عوارف المعارف

تأليف

شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف المربي

شهاب الدين أبي حفص عمر البكري السهروردي

(٥٣٩ - ٦٣٢هـ)

يُطبع بالاعتماد على أصول عديدة نفيسة
بعضها مقروء على المصنف أو قريب العهد به

ومعه

وصيته، ونبذة من عقيدته، ورائية الشربيني البديعة المسماة بـ:

أنوار السرائر وسرائر الأنوار

قدم له
الدكتور محمد ياسر القضماني

حققه وعلق عليه
بلال محمد حاتم السقا

الجزء الثاني

دار التقوى
دمشق الشام

عوارف المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

عوارف المعارف

تأليف

شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف المربي

شهاب الدين أبي حفص عمر البكري السهروردي

(٥٣٩-٦٣٢هـ)

يُطبع بالاعتماد على أصولٍ عديدةٍ نفيسةٍ، بعضها مقروءٌ على المصنِّف أو قريبُ العهدِ به

حققه وعلّق عليه

بلال محمد حاتم السقا

الجزء الثاني

دار التقوى

دمشق الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب : عوارف المعارف

المؤلف : عمر البكري السهروردي

الطبعة الأولى : ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

الرقم الدولي : 978-9933-610-35-7

9789933610357

دار التقوى
دمشق الشام

هاتف : ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣+ / ص . ب : ٣٠٧٢١
جوال : ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ ٩٦٣+ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣+
daraltaqwa.pu@gmail.com

الباب التاسع والعشرون

في ذكر أخلاق الصوفية وشرح الخُلق

الصُّوفيَّةُ أوفرُ الناسِ حظّاً مِنَ الاقتداءِ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأحقُّهُم بإحياءِ سُنَّتِهِ ، والتخلُّقِ بأخلاقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ مِنْ حُسْنِ الاقتداءِ بهِ وإحياءِ سُنَّتِهِ ؛ على ما :

(٧٢) ـ أخبرَنا الشيخُ الصدرُ الأوحدُ العالمُ ضياءُ الدِّينِ شيخُ الإسلامِ أبو أحمدَ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليِّ بنِ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ عبدُ الملكِ ابنُ أبي القاسمِ الهَرَويُّ(١) ، قالَ : أخبرَنا أبو نصرٍ عبدُ العزيزِ بنُ محمَّدٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ الجبَّار بنُ محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو العبَّاسِ محمَّدُ بنُ أحمدَ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسىٰ محمَّدُ بنُ عيسى بنِ سَوْرَةَ التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا مسلمُ بنُ حاتِمٍ الأنصاريُّ البَصْريُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ ، عن أبيهِ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ قالَ قالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا بُنَيَّ ؛ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ . فَٱفْعَلْ » ، ثمَّ قالَ : « يَا بُنَيَّ ؛

(١) هو الكَرُوخي .

وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي ، وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِي فِي ٱلْجَنَّةِ »[1]

فالصُّوفيَّةُ أَحْيَوْا سُنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لأنَّهُم وُفِّقُوا في بداياتِهِم لرعايةِ أقوالِهِ ، وفي وسطِ حالِهِمُ اقتدَوْا بأعمالِهِ ، فأَثْمرَ لهُم ذلكَ أنْ تحقَّقُوا في نهاياتِهِم بأخلاقِهِ[2]

وتحسينُ الأخلاقِ لا يتأتَّىٰ إلا بعدَ تزكيةِ النَّفْسِ ، وطريقُ التزكيةِ بالإذعانِ لسياسةِ الشرعِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] ، لمَّا كانَ أشرفَ الناسِ وأزكاهُم نَفْساً . . كانَ أحسنَهُم خُلُقاً

قالَ مُجاهِدٌ : (علىٰ خُلُقٍ عظيمٍ) ؛ أي : علىٰ دِينٍ عظيمٍ[3] ، والدِّينُ مجموعُ الأعمالِ الصالحةِ والأخلاقِ الحَسَنةِ .

سُئِلتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها عن خُلُقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالت : كانَ خُلُقُهُ القرآنَ[4] ، قالَ قَتادةُ (هوَ ما كانَ يأتمرُ مِنْ أمرِ اللهِ تعالىٰ وينتهي عمَّا نهى اللهُ عنهُ)[5]

وفي قولِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ خُلُقُهُ القرآنَ) . . سِرٌّ كبيرٌ[6] ،

---

(١) سبق تخريجه ، والتعليق عليه ، والتعريف ببعض رجاله . انظر (١/ ٢٣٢) .

(٢) في (ب) : (تخلقوا) بدل (تحققوا) ، وعلىٰ هامشه : (تحققوا) من دون إشارة .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٣/ ٥٢٩) ، ورواه أيضاً (٢٣/ ٥٢٩) من تفسير سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما

(٤) رواه مسلم (٤٧٦) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٣٨٧)

(٥) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٧/ ١٥٤) ، والبغوي في « تفسيره » (٨/ ١٨٨) .

(٦) في بعض النسخ : (عظيم) بدل (كبير) .

وعِلْمٌ غامضٌ ، ما نطقتْ بذلكَ إلا بما خصَّها اللهُ تعالىٰ بهِ ؛ مِنْ بركةِ الوحيِ السماويِّ ، وصُحْبةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وتخصيصِهِ إيَّاها بكلمةِ : « خُذُوا شَطْرَ دِينِكُمْ مِنْ هٰذِهِ ٱلْحُمَيْرَاءِ »[1]

وذلكَ[2] أنَّ النُّفُوسَ مجبولةٌ علىٰ غرائزَ وطبائعَ هيَ مِنْ لوازِمِها وضروراتِها ؛ لأنَّها خُلِقتْ مِنْ ترابٍ[3] ، ولها بحسَبِ ذلكَ طبعٌ ، وخُلِقَتْ مِنْ صَلْصالٍ ، ولها بحسبِ ذلكَ طبعٌ ، وهٰكذا مِنْ حَمَأٍ مسنونٍ ، ومِنْ صَلْصالٍ كالفخَّارِ[4] ، وبحسبِ تلكَ الأصولِ التي هيَ مبادئُ تكوُّنِها استفادَتْ صفاتٍ مِنَ البهيميَّةِ والسَّبُعيَّةِ والشيطانيَّةِ ، وإلىٰ صفةِ الشَّيطَنةِ في الإنسانِ إشارةٌ بقولِهِ تعالىٰ ﴿ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] ؛ لدخولِ النارِ في الفخَّار ؛ وقد قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن : ١٥][5]

---

(١) أورده ابن الأثير في « النهاية » (١/ ٤٣٨) ، وهو حديث لا أصل له ، وليس كلُّ حديثٍ وَرَدَ فيه لفظ (الحُميراء) يكون كذباً كما بالغ في ذلك بعضهم ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ٣٧٥) ، و« غنية العارف » (١/ ٣٨٨) ، والحُمَيراء : تصغير (حمراء) ؛ وهي البيضاء ، والعربُ تُسمِّي الأبيضَ أحمرَ ؛ ومنه قولُهُ صلَّى الله عليه وسلَّم : « بُعِثتُ إلى الأحمرِ والأسودِ » .

(٢) إشارةٌ إلىٰ قوله : (وتحسين الأخلاق لا يتأتَّىٰ إلا بعد تزكية النفس) . من هامش (ح)

(٣) قوله : (لأنَّها) سقطت من النسخ ما عدا (د)

(٤) الحمأ المسنون : الطين الأسود المُنتِن المُتغيِّر ، والصَّلْصال : الطين اليابس الذي له صلصلة ، والفخَّار : الطين بعد طبخه بالنار ، وهو الخزف ، وقد خلق الله آدم من تراب ، جعله طيناً ، ثمَّ حمأً مسنوناً ، ثمَّ طيناً ، فلا يخالف ذلك قوله : ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران : ٥٩] ونحوه . انظر « تفسير البيضاوي » (٥/ ١٧١) .

(٥) قوله : (وخلق الجان) ؛ أي الجن ، أو أبا الجن ، (من مارج) من صافٍ من =

واللهُ تعالىٰ بخَفيٍّ لُطْفِهِ وعظيمِ عنايتِهِ نَزَعَ نصيبَ الشيطانِ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ علىٰ ما وَرَدَ في حديثِ حَليمةَ بنتِ الحارثِ أنَّها قالتْ في حديثٍ طويلٍ فبينا نحنُ خلفَ بيوتِنا ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معَ أخٍ لهُ مِنَ الرَّضاعةِ في بَهْمٍ لنا[١] . . جاءنا أخوهُ يشتدُّ ، فقالَ ذاكَ أخي القُرَشيُّ قد جاءَهُ رجلانِ عليهِما ثيابٌ بياضٌ [٢] ، فأَضْجعاهُ فشقَّا بطنَهُ !!

فخرجتُ أنا وأبوهُ نشتدُّ نحوَهُ ، فنجدُهُ قائماً مُنتقِعاً لونُهُ[٣] ، فاعتنقَهُ أبوهُ وقالَ : أي بُنَيَّ ؛ ما شأنُكَ ؟ قالَ « جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ ، فَأَضْجَعَانِي فَشَقَّا بَطْنِي ، ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَا مِنْهُ شَيْئاً ، فَطَرَحَاهُ ثُمَّ رَدَّاهُ كَمَا كَانَ » .

فرجَعْنا بهِ معَنا ، فقالَ أبوهُ : يا حَليمةُ ؛ لقد خَشيتُ أنْ يكونَ ابني هـٰذا قد أُصِيبَ ، انطَلِقي بنا ، فَلْنَرُدَّهُ إلىٰ أهلِهِ قبلَ أنْ يظهرَ بهِ ما نتخوَّفُ .

قالتْ فاحْتَمَلْناهُ ، فلم تُرَعْ أمُّهُ إلا بهِ قد قَدِمْنا بهِ عليها ، قالتْ ما ردَّكُما ، قد كنتُما عليهِ حريصَينِ ؟! قلنا : لا واللهِ لا ضيرَ ، إلا أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أدَّىٰ عنَّا وقَضَيْنا الذي كانَ علينا ، وقلنا نخشى الإتلافَ والأحداثَ[٤] ، نَرُدُّهُ إلىٰ أهلِهِ .

= الدخان ، (من نار) بيان لـ (مارج) ؛ فإنَّهُ في الأصل المضطرب ؛ مِنْ مَرِجَ إذا اضطرب . « تفسير قاضي » . من هامش (ح) .

(١) البَهْم : جمع (بَهْمة) ؛ وهي الصغيرة من أولاد الغنم والمعز والبقر

(٢) في (ب ، ج ، ي) : (بيض) بدل (بياض) ، وكذلك في الموضع الآتي ، ويجوز أن يُقرأ (ثيابُ بياضٍ) بالإضافة .

(٣) يُقال : انتقعَ وامتقع لونُهُ : إذا تغيَّر من همٍّ أو فزع .

(٤) الأَحْداث : نُوَب الدهر بما يسوء ويهلك ، واحدُها : (حَدَث) .

فقالتْ : ما ذاك بكُما ؟ فاصدُقاني شأنَكُما ، فلم تَدَعْنا حتىٰ أَخبَرْناها خَبَرَهُ .

فقالتْ : خَشِيتُما عليهِ الشيطانَ ، كلَّا واللهِ ما للشيطانِ عليهِ سبيلٌ ، وإنَّهُ لَكائنٌ لابني هـٰذا شأنٌ ، أَلَا أُخبِرُكُما بخبرِهِ ؟ قلنا : بلىٰ .

قالتْ : حملتُ بهِ ، فما حملتُ حملاً قطُّ أخفَّ منهُ ، فأُرِيتُ في النومِ حينَ حملتُ بهِ كأنَّهُ خرجَ منِّي نورٌ أضاءتْ لهُ قُصُورُ الشامِ ، ثمَّ وقعَ حينَ ولدتُهُ وُقُوعاً ما يقعُهُ المولودُ ؛ مُعتمِداً علىٰ يديهِ رافعاً رأسَهُ إلى السماءِ ، فدعاهُ عنكُما(١)

فبعدَ تطهيرِ اللهِ رسولَهُ عن نصيبِ الشيطانِ . . بَقِيَتِ النَّفْسُ الزكيَّةُ النبويَّةُ علىٰ حدِّ نُفُوسِ البشرِ ؛ لها ظهورٌ بصفاتٍ وأخلاقٍ مُبقَّاةٍ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رحمةً للخَلْقِ ؛ لوجودِ أُمَّهاتِ تلكَ الصِّفاتِ في نُفُوسِ الأُمَّةِ بمزيدٍ مِنَ الظُّلْمةِ ؛ لتفاوتِ حالِ النبيِّ وحالِ الأُمَّةِ ، فاستمدَّتْ تلكَ الصِّفاتُ المُبقَّاةُ بظهورِها في رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تنزيلَ الآياتِ المُحكَماتِ بإزائِها لقمعِها ؛ تأديباً مِنَ اللهِ تعالىٰ لنبيِّهِ ، رحمةً خاصَّةً لهُ ، وعامَّةً للأُمَّةِ ، مُوزَّعاً نزولُ الآياتِ على الآناءِ والأوقاتِ عندَ ظهورِ الصِّفاتِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

---

(١) رواه ابن حبان (٦٣٣٥) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٧١٦٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٤/ ٢١٢ـ ٢١٥) ، والآجري في « الشريعة » (٩٦٤) عن سيدنا عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، وانظر « سبل الهدىٰ والرشاد » (١/ ٤٧٠) وما بعدها

وتثبيتُ الفؤادِ بعدَ اضطرابِهِ لحركةِ النَّفْسِ بظهورِ الصِّفاتِ ؛ لارتباطِ بينَ القلبِ والنَّفْسِ ، وعندَ كلِّ اضطرابِ آيةٌ مُتضمِّنةٌ لخُلُقٍ صالحٍ سَنِيٍّ ؛ إمَّا تصريحاً أو تعريضاً

كما تحرَّكتِ النَّفْسُ الشريفةُ النبويَّةُ لمَّا كُسِرَتْ رَباعِيَتُهُ وصارَ الدمُ يسيلُ على الوجهِ المُبارَكِ(١) ، ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يمسحُهُ ويقولُ : « كَيْفَ يُفلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ؟! » ، فأنزلَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] (٢) ، **فاكتسى القلبُ النبويُّ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لباسَ الاصطبارِ ، وفاءَ بعدَ الاضطرابِ إلى القَرَارِ

فلمَّا توزَّعتِ الآياتُ علىٰ ظهورِ الصِّفاتِ في مختلفِ الأوقاتِ . صَفَتِ الأخلاقُ النبويَّةُ بالقرآنِ ؛ ليكونَ خُلُقُهُ القرآنَ ، ويكونَ في إبقاءِ تلكَ الصِّفاتِ في نَفْسِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معنىً مِنْ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّمَا أُنَسَّىٰ لِأَسُنَّ »(٣)

---

(١) الرَّباعية : السِّنُّ التي بين الثنيَّة والناب .

(٢) رواه مسلم (١٧٩١) ، وعلَّقه البخاري قبل رقم : (٤٠٦٩) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٣٩١) .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » (١/ ١٠٠) بلاغاً ، وقال ابن عبد البر في « التمهيد » (٢٤/ ٣٧٥) (لا أعلمُهُ يُروىٰ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بوجه من الوجوه مُسنداً ولا مقطوعاً من غير هـٰذا الوجه ، والله أعلم ، وهو أحدُ الأحاديث الأربعة في « الموطأ » التي لا توجد في غيره مسندةً ولا مرسلة ، والله أعلم ، ومعناه صحيحٌ في الأصول)

وقال الإمام الكبير المُحدِّث ابن مرزوق الخطيب في « جنى الجنتين » مُعقِّباً علىٰ كلام ابن عبد البر ـ كما نقله الكتَّاني في « فهرسه » (١/ ٥٢٣) ـ : (توهَّم بعضُ العلماء أنَّ قول الحافظ أبي عمر ابن عبد البر يَدُلُّ علىٰ عدم صحَّتها ، وليس كذلك ؛ إذ الانفرادُ لا يقتضي عدم الصِّحَّة ، لا سيَّما في مثل مالك ، وقد أفردتُ قديماً جزءاً في إسناد هـٰذه=

فبظهورِ صفاتِ نَفْسِهِ الشريفةِ استُنزلتِ الآياتُ لتأديبِ نُفُوسِ الأُمَّةِ وتهذيبِها رحمةً في حقِّهم ؛ حتىٰ تتزكَّىٰ نُفُوسُهُم وتَشْرُفَ أخلاقُهُم ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْأَخْلَاقُ مَخْزُونَةٌ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، فَإِذَا أَرَادَ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِعَبْدٍ خَيْراً مَنَحَهُ مِنْهَا خُلُقاً »[1]

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ ٱلْأَخْلَاقِ »[2]

ورُوِيَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ لِلهِ تَعَالَىٰ مِئَةً وَسَبْعَةَ عَشَرَ خُلُقاً ، مَنْ آتَاهُ وَاحِداً مِنْهَا دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ »[3]

= الأربعة الأحاديث ، وقد أسند منها اثنين ، أحدُهُما في ذكري وغالبِ ظنِّي الحافظُ ابنُ أبي الدنيا في « إقليد التقليد » له ، وقد بيَّنتُ أسانيدها في غير هٰذا المقتضب) .
وقال الكتَّاني بعد أنْ نقل كلام ابن مرزوق : (وهي فائدةٌ عظيمة يُسافَرُ لسماعها ؛ إذ مِنْ زمنِ ابن عبد البر والحُفَّاظُ ينقلون كلامَهُ في هٰذه الأربعة ويَمُرُّون ، ولا مَنْ تعرَّض لإسنادها ، حتىٰ جاد بما رأيت الحافظُ ابن مرزوق ، وقد تكلَّمت في كتابي « الإفادات والإنشاءات » علىٰ وَصْلِ ابن الصلاح لها أيضاً ، والله أعلم) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٣٩١ـ٣٩٢) .

(١) رواه ابن وهب في « الجامع » (٤٩١) مرسلاً أو معضلاً عن العلاء بن كثير رحمه الله تعالىٰ ، وبنحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٦٢١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٨١) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٧٣) ، والحاكم (٢/ ٦١٢) ، واللفظ فيها : (صالح الأخلاق) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٢٧) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (١٢١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨١٩١) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

فتقديرُها وتحديدُها لا يكونُ إلا بوحيٍ سماويٍّ لمُرسَلٍ ونبيٍّ ، واللهُ تعالىٰ أبرزَ إلى الخَلْقِ أسماءَهُ مُنبِئةً عن صفاتِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ، وما أظهرَها لهُم إلا ليدعوَهُم إليها ، ولولا أنَّ اللهَ تعالىٰ أَوْدعَ في القُوى البشريَّةِ التخلُّقَ بهٰذهِ الأخلاقِ . . ما أبرزَها لهُم دعوةً لهُم إليها ؛ ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران : ٧٤]

ولا يَبعُدُ واللهُ أعلمُ أنَّ قولَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها (كانَ خُلُقُهُ القرآنَ) فيهِ رمزٌ غامضٌ وإيماءٌ خَفِيٌّ إلى الأخلاقِ الربَّانيَّةِ ، فاحتشمَتْ مِنَ الحضرةِ الإلـٰهيَّةِ أنْ تقولَ كانَ مُتخلِّقاً بأخلاقِ اللهِ تعالىٰ ، فعبَّرتْ عنِ المعنىٰ بقولِها : (كانَ خُلُقُهُ القرآنَ) ؛ استحياءً مِنْ سُبُحاتِ الجلالِ ، وسَتْراً للحالِ بلُطْفِ المَقالِ ، وهـٰذا مِنْ وُفُورِ علمِها وكمالِ أدبِها

وبينَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر ٨٧] ، وبينَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] . . مُناسبةٌ مُشعِرةٌ بقولِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ خُلُقُهُ القرآنَ)[1]

قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (سُمِّيَ خُلُقُهُ عظيماً ؛ لأنَّهُ لم يكنْ لهُ هِمَّةٌ سوى اللهِ تعالىٰ)[2]

وقالَ الواسطيُّ رحمَهُ اللهُ : (لأنَّهُ جادَ بالكونَيْنِ عِوَضاً عنِ الحقِّ)[3]

---

(١) يعني : مِنْ حيثُ وصفُهُما بالعظمة . من « شرح المكشلات » (ق/ ٤٥) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٧/ ١٥٤) ، وابن عطية في « المحرر الوجيز » (٥/ ٣٤٦) ، وأورده بنحوه القشيري في « رسالته » (ص٥٢٩) عن أبي سعيد الخراز رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٣) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » =

وقيلَ : لأنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عاشرَ الخَلْقَ بخُلُقِهِ وباينَهُم بقلبِهِ[1] ، وهٰذا ما قالَ بعضُهُم في معنى التصوُّفِ : (الخُلُقُ معَ الخَلْقِ ، والصِّدْقُ معَ الحقِّ)[2]

وقيلَ : عَظُمَ خُلُقُهُ حيثُ صَغُرتِ الأكوانُ في عينِهِ ؛ لمُشاهدةِ مُكوِّنِها[3]

وقيلَ : سُمِّيَ خُلُقُهُ عظيماً ؛ لاجتماعِ مكارمِ الأخلاقِ فيهِ[4]

وقد نَدَبَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أُمَّتَهُ إلىٰ حُسْنِ الخُلُقِ في حديثٍ :

(٧٣) ـ أخبرَنا بهِ الشيخُ الصدرُ العالمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليِّ بنِ عليٍّ ، قالَ أخبرَنا أبو الفتحِ عبدُ الملكِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو عيسىٰ محمَّدُ بنُ عيسى الحافظُ التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ خِراشٍ ، قالَ : حدَّثَنا

= (٢٧/ ١٥٤) ، والقشيري في « رسالته » (ص٥٢٨) .

(١) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٧/ ١٥٤) ، وزاد : (فكان ظاهرُهُ مع الخَلْق ، وباطنُهُ مع الحق) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٧/ ١٥٤) ، وابن عطية في « المحرر الوجيز » (٥/ ٣٤٦) عن بعض الحكماء

(٣) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٧/ ١٥٤ـ١٥٥) ، وعزاه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٤) إلى الحسين بن منصور الحلاج .

(٤) أورده الثعلبي في « تفسيره » (٢٧/ ١٥٥) ، والقرطبي في « تفسيره » (١٨/ ٢٢٧) .

حَبَّانُ بنُ هلالٍ ، قالَ : حدَّثَنا مباركُ بنُ فَضَالةَ ، قالَ : حدَّثَني عبدُ [ربِّهِ] بنُ سعيدٍ[1] ، عن محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ ، عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقاً ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . ٱلثَّرْثَارُونَ ٱلْمُتَشَدِّقُونَ ٱلْمُتَفَيْهِقُونَ » ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ عَلِمْنا (الثَّرْثارُونَ) و(المُتشدِّقُونَ) ، فما المُتفيهِقُونَ ؟ قالَ « ٱلْمُتَكَبِّرُونَ »[2]

والثَّرْثارُ : هوَ المِكْثارُ يُكثِرُ مِنَ الحديثِ ، والمُتشدِّقُ : المُتطاوِلُ على الناسِ في الكلامِ[3]

وقالَ الواسِطيُّ رحمَهُ اللهُ : (الخُلُقُ العظيمُ : أَلَّا يُخاصِمَ ولا يُخاصَمَ)[4] .

وقالَ أيضاً : (﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ؛ لوِجْدانِكَ حلاوةَ المُطالَعةِ على سِرِّكَ)[5]

---

(١) في النسخ : (عبد الله) بدل (عبد ربه) ، والمثبت من « سنن الترمذي »

(٢) سنن الترمذي (٢٠١٨) ، ورواه أيضاً الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٦٣) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (٦) ، ورواه من حديث سيدنا أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أحمدُ (٤/ ١٩٣) ، وابن حبان (٤٨٢) ، وقولُهُ : (عَلِمْنا « الثرثارون » و« المتشدِّقون ») قال ابن علان في « دليل الفالحين » (٥/ ٨٥) : (كذا هو بالواو في الأصول على الحكاية لما وقع منه في لفظ الخبر ؛ أي : عَرَفْنا المرادَ منهما)

(٣) في هامش (ب) : (بلغ في الخامس والعشرين للجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٣) ، والقشيري في « رسالته » (ص٥٢٨)

(٥) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٤) .

وقالَ أيضاً : (لأنَّكَ قَبِلتَ فُنُونَ ما أسدَيتُ إليكَ مِنْ نِعَمِي أحسنَ ممَّا قَبِلَهُ غيرُكَ مِنَ الأنبياءِ والرُّسُلِ)(١)

وقالَ الحُسينُ : (لأنَّهُ لم يُؤَثِّرْ فيكَ جفاءُ الخَلْقِ معَ مُطالَعةِ الحقِّ)(٢)

وقيلَ : الخُلُقُ العظيمُ : لباسُ النُّعُوتِ ، والتخلُّقُ بأخلاقِ اللهِ(٣) ؛ إذ لم يبقَ للأعواضِ عندَهُ خطرٌ(٤)

وقالَ بعضُهُم : (قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ [الحاقة : ٤٤ـ٤٥] . . أتمُّ ؛ لأنَّهُ حيثُ قالَ : ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ أَحْضَرَهُ ، وإذا أَحْضَرَهُ أَغْفَلَهُ وحَجَبَهُ ، وقولُهُ : ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ ﴾ أتمُّ ؛ لأنَّ فيهِ فناءً)

وفي قولِ هـٰذا القائلِ نَظَرٌ ؛ فهلَّا قالَ : إنْ كانَ في ذلكَ فناءٌ ففي قولِهِ : ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ إبقاءٌ وبقاءٌ بعدَ فناءٍ ، والبقاءُ أتمُّ مِنَ الفناءِ ، وهـٰذا أليقُ بمَنصِبِ الرسالةِ ؛ لأنَّ الفناءَ إنَّما عزَّ لمُزاحَمةِ وجودٍ مذمومٍ ، فإذا نُزِعَ المذمومُ مِنَ

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٤) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٤) ، والقشيري في « رسالته » (ص٥٢٩) .

(٣) يعني : صفات الحق ملازماً لذاته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] ؛ يعني : إذا صار التقوىٰ ملازماً لذات المُتَّقي . . فذلك التقوىٰ خير ، ورُوي عن بعضهم أنَّهُ قال : تفكَّرت يوماً في كيفيَّة صيرورة صفات الحقِّ وأخلاقه لباسَ العبد الملازم علىٰ بابه ، فرأيت في المنام الشيخ أبا يوسف الهَمْداني عليه ثوب نُسِج فيه مئةٌ وسبعةَ عَشَرَ اسماً من أسماء الله تعالىٰ ، وكتب علىٰ منكبٍ آية الكرسي ، وعلىٰ منكبٍ (آمن الرسول) ، فقال : هـٰكذا تصير صفاتُ الحقِّ الخالق ، لباسَ السالك الصادق . من هامش (ج) .

(٤) في (ب) : (للأغراض) بدل (للأعواض) ، وفي نسخة علىٰ هامش (و) : (للأعراض) .

الوجودِ وتبدَّلَتِ النُّعوتُ . . أيُّ عِزَّةٍ تبقىٰ في الفناءِ ؟! فيكونُ حضورُهُ باللهِ لا بنفسِهِ ، فأيُّ حَجْبةٍ تبقىٰ هنالكَ ؟!

وقيلَ : مَنْ أُوتِيَ الخُلُقَ فقد أُوتِيَ أعظمَ المقاماتِ ؛ لأنَّ المقاماتِ ارتباطٌ عامٌّ ، والخُلُقَ ارتباطٌ بالنُّعُوتِ والصِّفاتِ[1]

وقالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (اجتمعَ فيهِ أربعةُ أشياءَ : السَّخاءُ ، والأُلْفةُ ، والنصيحةُ ، والشَّفَقَةُ)[2]

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (الخُلُقُ العظيمُ : ألَّا يكونَ لهُ اختيارٌ ، ويكونَ تحتَ الحُكْمِ معَ فناءِ النَّفْسِ وفناءِ المألوفاتِ)[3]

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٤) ، وقولُهُ : (أعظمَ المقاماتِ . . .) إلىٰ آخره ؛ أي : أكثرَ الأحوال والمقاماتِ ، وإنَّما لم يذكر الأحوال ؛ لدخولها في المقامات ؛ لأنَّها بدايتُها وأوَّلها ، والمعنىٰ : أنَّ الأعمال والأحوالَ لها ارتباطٌ بعالَمِ المُلْك والشهادة ، ولها أيضاً اتِّصالٌ وارتباط بعالَم الملكوت ، فما دام الواردات في التحوُّل والتغيُّر فهو الأحوال ، وإذا صارت مُتمكِّنةً صارت مقاماتٍ ، وأمَّا الأخلاق فتَجَوْهُرُ الأحوالِ والمقامات كما ذكر ، ومثال ذلك : التواجد والوَجْد والوجود ؛ فإنَّ التواجدَ بدايةُ ظهور المطلوب ، والوجدَ حصولُهُ ، والوجودَ تَجَوْهُرُ ذلك وتمكُّنُهُ في القلب ، وذلك في مقام البقاء عند الفناء ، وكذلك الشكر والصبر ؛ فإنَّ العبدَ يكونُ في البداية شاكراً صابراً في وقتٍ بالإيمان نظراً إلىٰ خواصِّهما وفوائدِهما ، ويكونُ في وقتٍ في الكفران والعجلة ، حتىٰ يستقرَّ الشكرُ والصبر في القلب ويصيرا مقاماً له ويدوما له ، وفي المقام يثبت الكسب والسعي ، وإذا ارتفع الكسبُ والسعي وتَجَوْهَرَ الصبرُ والشكر في القلب وظهر مناسبتهما بشكوريَّة الحق وصُبوريَّته المُنزَّهين عن التبدُّل والتحوُّل والكسب والسعي ، وصارا موصوفين في الثبات والبقاء . . ظهر الارتباطُ الخاصُّ الذي هو التخلُّق بأخلاق الله تعالىٰ . من هامش (ج)

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٤)

(٣) رواه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٥)

وقالَ أبو سعيدٍ القُرَشيُّ[1] : (العظيمُ هوَ اللهُ ، ومِنْ أخلاقِهِ الجودُ والكرمُ والصَّفْحُ والعفوُ والإحسانُ ؛ أَلَا ترىٰ إلىٰ قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ لِلهِ مِئَةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ خُلُقاً ، مَنْ أَتَىٰ بِوَاحِدٍ مِنْهَا دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ » ، فتخلَّقَ بأخلاقِ اللهِ ، فوجدَ الثناءَ عليهِ بقولِهِ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾)[2]

وقيلَ عَظُمَ خُلُقُكَ ؛ لأنَّكَ لم تَرْضَ بالأخلاقِ ، وسِرْتَ ولم تسكنْ إلى النُّعُوتِ حتىٰ وصلتَ إلى الذاتِ[3]

وقيلَ : لمَّا بُعِثَ محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى الحجازِ . . حَجَزَهُ بها عنِ اللَّذَّاتِ والشَّهَوَاتِ ، وألقاهُ في الغُرْبةِ والجَفْوةِ ، فلمَّا صُفِّيَ بذلكَ عن دَنَسِ الأخلاقِ . . قالَ لهُ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[4]

(٧٤) ـ وأخبرَنا الشيخُ الصالحُ أبو زُرْعةَ بنُ الحافظِ أبي الفضلِ محمَّدِ بنِ طاهرٍ المَقْدِسيِّ ، عن أبيهِ ، قالَ : أخبرَنا أبو عُمَرَ المَلِيحِيُّ[5] ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ[6] ، قالَ : أخبرَنا أبو سعيدِ بنُ

---

(١) هو الإمام الزاهد المُعمَّر شيخ الصوفية أبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نُصير القرشي الرازي (ت ٣٨٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٢٧) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٥) ، والحديث في ضمنه سبق تخريجه في (٢/ ١١) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٥) عن الحسين بن منصور الحلاج .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٥) عن أبي بكر الواسطي رحمه الله تعالىٰ .

(٥) في بعض النسخ : (أبو عمرو) بدل (أبو عمر) ، والصواب المثبت ، وهو الإمام الصدوق مسند هَراةَ عبدُ الواحد بن أحمد بن أبي القاسم المَلِيحِي الهروي (ت ٤٦٣ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٢٥٥) .

(٦) هو الإمام المُحدِّث الصالح شيخ الصوفية عبد الله ابن باموية الأصبهاني (ت٤٠٩هـ) ، =

الأعرابيِّ ، قالَ : حدَّثَنا جعفرُ بنُ الحَجَّاجِ الرَّقِّيُّ[1] ، قالَ : حدَّثَنا أيُّوبُ بنُ محمَّدٍ الوَزَّانُ ، قالَ : حدَّثَني الوليدُ[2] ، قالَ : حدَّثَني ثابتُ [بنُ] يزيدَ[3] ، عنِ الأوزاعيِّ ، عنِ الزُّهْريِّ ، عن عُرْوةَ ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : كانَ نبيُّ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَكَارِمُ ٱلْأَخْلَاقِ عَشَرَةٌ ، تَكُونُ فِي ٱلرَّجُلِ وَلَا تَكُونُ فِي ٱبْنِهِ ، وَتَكُونُ فِي ٱلِٱبْنِ وَلَا تَكُونُ فِي أَبِيهِ ، وَتَكُونُ فِي ٱلْعَبْدِ وَلَا تَكُونُ فِي سَيِّدِهِ ، يَقْسِمُهَا ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ أَرَادَ بِهِ ٱلسَّعَادَةَ : صِدْقُ ٱلْحَدِيثِ ، وَصِدْقُ ٱلْيَأْسِ[4] ، وأَلَّا يَشْبَعَ وَجَارُهُ وَصَاحِبُهُ جَائِعَانِ ، وَإِعْطَاءُ ٱلسَّائِلِ ، وَٱلْمُكَافَأَةُ بِٱلصَّنَائِعِ ، وَحِفْظُ ٱلْأَمَانَةِ ، وَصِلَةُ ٱلرَّحِمِ ، وَٱلتَّذَمُّمُ لِلصَّاحِبِ ، وَإِقْرَاءُ ٱلضَّيْفِ ، وَرَأْسُهُنَّ ٱلْحَيَاءُ »[5]

وسُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن أكثرِ ما يُدخِلُ الناسَ الجنةَ ،

= من شيوخ الإمام أبي بكر البيهقي والأستاذ أبي القاسم القشيري ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٣٩) .

(١) هو أبو الحسن جعفر بن محمد بن الحجاج القطان الرَّقِّي . انظر « الجرح والتعديل » (٢/ ٤٨٨) .

(٢) هو أبو العباس الوليد بن الوليد بن زيد القلانسي الدمشقي (ت٢٢١هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٥/ ٤٣٩ـ٤٤٠) .

(٣) في النسخ : (ثابت عن يزيد) ، والمثبت من « المجروحين » لابن حبان (٣/ ٨١) ، و« لسان الميزان » (٢/ ٣٩٢ـ٣٩٣) .

(٤) أي : صدق اليأس من الناس ، وفي (ب ، هـ ، ز ، ي) و« شعب الإيمان » : (الناس) بدل (اليأس) ، وفي « نوادر الأصول » : (البأس) .

(٥) رواه من طريق أبي محمد بن يوسفَ البيهقيُّ في « الشعب » (٧٣٢٣) ، ورواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٩٩٧) ، وتمَّام في « فوائده » (١٧٧٠) ، والتذمُّم للصاحب : حفظ الحرمة والعهد والأمان ، والطرح عن نفسه ذمَّ الناس له إن لم يحفظه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٣٩٨) .

قالَ « تَقْوَى ٱللهِ وَحُسْنُ ٱلْخُلُقِ » ، وسُئِلَ عن أكثرِ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ ، فقالَ : « ٱلْغَمُّ وَٱلْفَرَحُ »(١)

ويكونُ هـٰذا الغمُّ غمَّ فواتِ الحُظُوظِ العاجلةِ ؛ لأنَّ ذلكَ يتضمَّنُ التسخُّطَ والتضجُّرَ ، وفيهِ الاعتراضُ على اللهِ وعدمُ الرِّضا بالقضاءِ .

ويكونُ الفَرَحُ المُشارُ إليهِ الفَرَحَ بالحُظُوظِ العاجلةِ الممنوعَ منهُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣] ، وهوَ الفرحُ الذي قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص : ٧٦] ؛ لمَّا رأىٰ مفاتحَهُ لَتَنوءُ بالعُصْبةِ أُولي القُوَّةِ

فأمَّا الفَرَحُ بالأقسامِ الأُخْرَوِيَّةِ فمحمودٌ يُنافَسُ فيهِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [يونس : ٥٨] .

وقد قيلَ : هوَ الفمُ والفرجُ(٢)

وفسَّرَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ حُسْنَ الخُلُقِ فقالَ هوَ بَسْطُ الوجهِ ، وبذلُ المعروفِ ، وكفُّ الأذىٰ(٣)

فالصُّوفيةُ راضُوا نفوسَهُم بالمُكابداتِ والمُجاهداتِ حتىٰ أجابتْ إلىٰ

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٤) ، وابن حبان (٤٧٦) ، والحاكم (٤/ ٣٢٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٣٧٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي بعض النسخ (الأجوفان : الفم والفرج) ، وهو الموافق لمصادر تخريجه ، ثم سقط الكلام فيه إلىٰ قوله الآتي : (فبذلك فليفرحوا) ، وفي بعضها إلىٰ قوله : (والفرج) ، والمثبت متلائم مع الموجود في النسخ الأخرىٰ

(٢) قوله : (هو) ؛ أي : الثابت في الحديث السابق .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٧٠٨) عن السفيانين وفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهم الله تعالىٰ .

تحسينِ الأخلاقِ ، وكم مِنْ نَفْسٍ تُجيبُ إلى الأعمالِ ولا تُجيبُ إلى الأخلاقِ !! فنُفُوسُ العُبَّادِ أجابتْ إلى الأعمالِ وجمحتْ عنِ الأخلاقِ ، ونُفُوسُ الزُّهَّادِ أجابتْ إلىٰ بعضِ الأخلاقِ دونَ البعضِ ، ونُفُوسُ الصُّوفيَّةِ أجابتْ إلى الأخلاقِ الكريمةِ كلِّها

(٧٥) ـ كما أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، عن أبي بكرِ بنِ خَلَفٍ إجازةً ، عنِ السُّلَميِّ قالَ : سمعتُ حسينَ بنَ أحمدَ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الكَتَّانيَّ يقولُ : (التصوُّفُ خُلُقٌ ، فمَنْ زَادَ عليكَ في الخُلُقِ زادَ عليكَ في التصوُّفِ)[1]

فالعُبَّادُ أجابتْ نُفُوسُهُم إلى الأعمالِ ؛ لأنَّهُم يَسلُكُونَ بنورِ الإسلامِ ، والزُّهَّادُ أجابتْ نُفُوسُهُم إلىٰ بعضِ الأخلاقِ ؛ لكونِهِم سَلَكُوا بنورِ الإيمانِ ، والصُّوفيَّةُ أهلُ القُرْبِ سَلَكُوا بنورِ الإحسانِ ، فلمَّا باشرَ بواطنَ أهلِ القُرْبِ والصُّوفيَّةِ نورُ اليقينِ ، وتأصَّلَ في بواطِنِهِم ذلكَ . . انصلحَ القلبُ بكلِّ أرجائِهِ وجوانبِهِ ؛ لأنَّ القلبَ يبيضُّ بعضُهُ بنورِ الإسلامِ ، وبعضُهُ بنورِ الإيمانِ ، وكلُّهُ بنورِ الإحسانِ والإيقانِ ، فإذا ابيضَّ القلبُ وتنوَّرَ انعكسَ نورُهُ على النَّفْسِ .

وللقلبِ وجهٌ إلى النَّفْسِ ووجهٌ إلى الرُّوحِ ، وللنَّفْسِ وجهٌ إلى القلبِ ووجهٌ إلى الطَّبْعِ والغريزةِ .

والقلبُ إذا لم يبيضَّ كلُّهُ لم يتوجَّهْ إلى الرُّوحِ بكلِّهِ ، ويكونُ ذا وجهَينِ

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٥٢٩) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/٢٨٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/٢٥٦)

وجهٌ إلى الرُّوحِ ، ووجهٌ إلى النَّفْسِ ، فإذا ابيضَّ كلُّهُ توجَّهَ إلى الرُّوحِ بكلِّهِ ، فيتداركُهُ مددُ الرُّوحِ ، ويزدادُ إشراقاً وتنوُّراً ، وكلَّما انجذبَ القلبُ إلى الرُّوحِ انجذبتِ النَّفْسُ إلى القلبِ ، وكلَّما انجذبتْ توجَّهتْ إلى القلبِ بوجهِها الذي يليهِ ، وتتنوَّرُ النَّفْسُ ؛ لتوجُّهِها إلى القلبِ بوجهِها الذي يلي القلبَ ، وعلامةُ تنوُّرِها طُمَأْنينتُها ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر : ٢٧ـ٢٨] .

وتنوُّرُ وَجْهِها الذي يلي القلبَ بمثابةِ نُورانيَّةِ أحدِ وَجْهَيِ الصَّدَفِ لاكتسابِ النُّورانيَّةِ مِنَ اللؤلؤِ ، وبقاءُ شيءٍ مِنَ الظُّلْمةِ على النَّفْسِ لنسبةِ وَجْهِها الذي يلي الغريزةَ والطبعَ . . كبقاءِ ظاهرِ الصَّدَفِ علىٰ ضَرْبٍ مِنَ الكَدَرِ والنُّقْصانِ مُخالِفاً لنُورانيَّةِ باطِنِهِ .

وإذا تنوَّرَ أحدُ وَجْهَيِ النَّفْسِ تُجيبُ إلىٰ تحسينِ الأخلاقِ وتبديلِ النُّعُوتِ ؛ ولذلكَ سَمَّوُا الأبدالَ أبدالاً

والسرُّ الأكبرُ في ذلكَ : أنَّ قلبَ الصُّوفيِّ بدوامِ الإقبالِ على اللهِ تعالىٰ ، ودوامِ الذِّكْرِ بالقلبِ واللِّسانِ . . يرتقي إلىٰ ذِكْرِ الذاتِ ، ويصيرُ حينئذٍ بمثابةِ العَرْشِ ، فالعَرْشُ قلبُ الكائناتِ في عالَمِ الخَلْقِ والحِكْمةِ ، والقلبُ عَرْشٌ في عالَمِ الأمرِ والقُدْرةِ

قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ : (القلبُ كالعَرْشِ ، والصَّدْرُ كالكرسيِّ) .

وقد وَرَدَ عنِ اللهِ تعالىٰ : « لَا يَسَعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي ، وَيَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي ٱلْمُؤْمِنِ »(١)

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (٤٢٣) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ ، وهو من =

فإذا اكتحلَ القلبُ بنورِ ذِكْرِ الذاتِ ، وصارَ بحراً مَوَّاجاً مِنْ نَسَماتِ القُرْبِ . . جرىٰ في جداولِ أخلاقِ النَّفْسِ صفاءُ النُّعُوتِ والصِّفاتِ ، وتحقَّقَ التخلُّقُ بأخلاقِ اللهِ .

حُكِيَ عنِ الشيخِ أبي عليٍّ الفارْمَذِيِّ[1] : أنَّهُ حكىٰ عن شيخِهِ أبي القاسمِ الكُرْكانيِّ أنَّهُ قالَ[2] : (إنَّ الأسماءَ التسعةَ والتسعينَ تصيرُ أوصافاً للعبدِ السالكِ ، وهوَ بعدُ في السلوكِ غيرُ واصلٍ)[3]

= الإسرائيليات ، ولم يرو مرفوعاً بهٰذا اللفظ ، ويشهد له ما رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٩٧) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً : « إنَّ للهِ في الأرضِ آنيةً ، وأحبُّ آنيةِ اللهِ إليهِ ما رقَّ منها وصفا ، وآنيةُ اللهِ في الأرضِ قلوبُ عبادِهِ الصالحينَ » ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠١ـ٤٠٢) .

(١) الفارْمَذي : نسبة إلىٰ (فارْمَذ) بسكون الراء ـ كما في « معجم البلدان » (٤/ ٢٢٨) ـ وفتحِها ، كما في « الأنساب » (١٠/ ١٢٤) ، وهي إحدىٰ قرىٰ طُوسَ في خراسان ، وأبو علي الفارمذي : هو شيخ الصوفيَّة في خراسان وزاهدها الكبير الفضل بن محمد بن علي بن الفضل الطُّوسي الخراساني (ت٤٧٧هـ) ، وهو من تلاميذ سيِّدي المُربِّي الأستاذ أبي القاسم القُشيري ، ومن شيوخ الإمام الحُجَّة أعجوبة الدهر أبي حامد الغزالي في طريق التصوُّف والتألُّه ، وقال عنه أبو سعد السمعاني في « الأنساب » (١٠/ ١٢٤ـ١٢٥) : (لسان خراسان وشيخها ، وصاحب الطريقة الحسنة من تربية المريدين والأصحاب ، وكان مجلسُ وعظه علىٰ ما سمعتُ كروضةٍ فيها أنواعُ الأزهار والثمار) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٥٦٥ ، ١٩/ ٣٢٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ٣٠٤ـ٣٠٦) .

(٢) هو الإمام القدوة الزاهد أبو القاسم عبد الله بن علي بن عبد الله الطُّوسي الطابَراني الكُرْكاني (ت ٤٦٩هـ) ، وهو من شيوخ أبي علي الفارمذي وأبو زوجته ، وكُرْكان : مدينة بين طبراستان وخراسان ، وإذا عُرِّبت قيل جُرْجان ، وضُبط (الكُرْكاني) في بعض النسخ بفتح الراء المشددة ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٤٠٥) ، و« معجم البلدان » (٤/ ٤٥٢) ، و« إتحاف السادة المتقين » (٩/ ٢٤١)

(٣) رواه الغزالي في « المقصد الأسنىٰ » (ص٣٠٣) .

ويكونُ الشيخُ عَنَىٰ بهـٰذا : أنَّ العبدَ يأخذُ مِنْ كلِّ اسمٍ وصفاً يُلائِمُ ضعفَ حالِ البشرِ وقُصُورَهُ ؛ مثلُ أنْ يأخذَ مِنِ اسمِ اللهِ تعالى (الرحيمِ) معنىً مِنَ الرحمةِ علىٰ قَدْرِ قُصُورِ البشرِ[1]

وكلُّ إشاراتِ المشايخِ في الأسماءِ والصِّفاتِ التي هيَ أعزُّ علومِهِم . . علىٰ هـٰذا المعنىٰ والتفسيرِ ، وكلُّ مَنْ توهَّمَ بذلكَ شيئاً مِنَ الحُلُولِ . . تزندقَ وأَلْحدَ .

وقد أَوْصىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معاذاً بوصيَّةٍ جامعةٍ لمحاسنِ الأخلاقِ ، فقالَ لهُ : « يَا مُعَاذُ ؛ أُوصِيكَ بِتَقْوَى ٱللهِ ، وَصِدْقِ ٱلْحَدِيثِ ، وَٱلْوَفَاءِ بِٱلْعَهْدِ ، وَأَدَاءِ ٱلْأَمَانَةِ ، وَتَرْكِ ٱلْخِيَانَةِ ، وَحِفْظِ ٱلْجِوَارِ ، وَرَحْمَةِ ٱلْيَتِيمِ ، وَلِينِ ٱلْكَلَامِ ، وَبَذْلِ ٱلسَّلَامِ ، وَحُسْنِ ٱلْعَمَلِ ، وَقِصَرِ ٱلْأَمَلِ ، وَلُزُومِ ٱلْإِيمَانِ ، وَٱلتَّفَقُّهِ فِي ٱلْقُرْآنِ ، وَحُبِّ ٱلْآخِرَةِ ، وَٱلْجَزَعِ مِنَ ٱلْحِسَابِ ، وَخَفْضِ ٱلْجَنَاحِ

وَإِيَّاكَ أَنْ تَسُبَّ حَلِيماً[2] ، أَوْ تُكَذِّبَ صَادِقاً ، أَوْ تُطِيعَ آثِماً ، أَوْ تَعْصِيَ إِمَاماً عَادِلاً ، أَوْ تُفْسِدَ أَرْضاً

أُوصِيكَ بِٱتِّقَاءِ ٱللهِ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ وَمَدَرٍ[3] ، وَأَنْ تُحْدِثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً ، ٱلسِّرُّ بِٱلسِّرِّ ، وَٱلْعَلَانِيَةُ بِٱلْعَلَانِيَةِ »[4]

---

(١) انظر « المقصد الأسنىٰ » (ص٣٠٤) .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، هـ ، و ، ح) : (حكيماً) .

(٣) في نسخة علىٰ هامش (د) : (بذكر الله) بدل (باتقاء الله) ، وهي كذلك في المصادر الآتية .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٤٠ـ٢٤١) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » =

فبذلكَ أدَّبَ اللهُ عبادَهُ ، ودعاهُم إلىٰ مكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِ الآدابِ

وروىٰ معاذٌ أيضاً عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ « حُفَّ ٱلْإِسْلَامُ بِمَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ ، وَمَحَاسِنِ ٱلْآدَابِ »[1]

(٧٦) ـ أخبرَنا الشيخُ الصدرُ العالِمُ الأوحدُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ بإسنادِهِ المُتقدِّمِ إلى التِّرمذيِّ قالَ حدَّثَنا أبو كُرَيبٍ ، قالَ حدَّثَنا قَبيصةُ بنُ اللَّيثِ ، عن مُطرِّفٍ ، عن عطاءٍ ، عن أمِّ الدَّرْداءِ ، عن أبي الدَّرْداءِ قالَ : سمعتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ « مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي ٱلْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ ٱلصَّوْمِ وَٱلصَّلَاةِ »[2]

وقد كانَ مِنْ أخلاقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أَنَّهُ كانَ أَسْخى الناسِ[3] ؛ لا يَبِيتُ عندَهُ دينارٌ ولا درهمٌ ، وإنْ فَضَلَ ولم يَجِدْ مَنْ يُعطِيهِ ويأتيهِ الليلُ . . لا يَأْوي إلىٰ منزلِهِ حتىٰ يبرأَ منهُ[4] ، ولا ينالُ مِنَ الدنيا أكثرَ

= (٩٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٨/ ٤٠٨) ، ورواه مختصراً الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (١٥٤) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٣)

(١) أورده الغزالي في « الإحياء » (٤/ ٧١٤) صدر حديث طويل ، وقال العراقي في « المغني » (٢٢٩٧) (لم أقف له علىٰ أصل ، ويُغني عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث) ، وهو الحديث الذي سبق قبل هٰذا

(٢) سنن الترمذي (٢٠٠٣) ، ورواه أبو داود (٤٧٩٩) ، وأحمد (٦/ ٤٤٢) دون الشطر الأخير

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٣) ، ومسلم (٢٣٠٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٤)

(٤) رواه البخاري (٨٥١) عن سيدنا عقبة بن الحارث النوفلي رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٥)

ما يكونُ قوتَ عامِهِ ؛ مِنْ أيسرِ ما يجدُ مِنَ التمرِ والشعيرِ ، ويضعُ ما عدا ذلكَ في سبيلِ اللهِ[١] ، لا يسألُ شيئاً إلا يُعطِي[٢] ، ثمَّ يعودُ إلىٰ قوتِ عامِهِ فيُؤْثِرُ منهُ ، حتىٰ ربَّما احتاجَ قبلَ انقضاءِ العامِ[٣]

وكانَ يَخصِفُ النعلَ ، ويَرقَعُ الثوبَ ، ويَخدُمُ في مَهْنَةِ أهلِهِ[٤] ، ويقطعُ اللحمَ معَهُنَّ[٥]

وكانَ أشدَّ الناسِ حياءً[٦] ، وأكثرَهُم تواضُعاً[٧] ، فصلواتُ الرحمٰنِ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ[٨]

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه البخاري (٢٩٠٤) ، ومسلم (١٧٥٧) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٥) .

(٢) رواه الدارمي (٧٢) عن سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما ، وأصله في « البخاري » (٦٠٣٦) عن سيدنا سهل رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/٤٠٦) .

(٣) انظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٦ـ٤٠٧) .

(٤) رواه أحمد (٦/ ٢٤٢) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٥٣٨ ، ٥٤٠) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٦٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها

(٥) رواه أحمد (٦/ ٩٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٦) رواه البخاري (٦١١٩)، ومسلم (٢٣٢٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٧) وهٰذا معلوم من سيرته صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقد مرَّ بعض ذلك ؛ ومنه : ما رواه الترمذي (١٠١٧) وغيره عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : (كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يعودُ المرضىٰ ، ويشهد الجنازة ، ويركب الحمار ، ويُجيبُ دعوة العبد ، وكان يومَ بني قريظةَ علىٰ حمارٍ مخطومٍ بحبل من لِيفٍ ، عليه إكافُ ليفٍ) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٨)

(٨) في هامش (ب) : (بلغ قراءةً) ، وفيه أيضاً : (بلغ قراءة كاتبه عبد السلام ، على الشيخ الحافظ جلال الدين) .

الباب الثلاثون

في ذكر تفاصيل أخلاق الصوفية

مِنْ أحسنِ أخلاقِ الصُّوفيّةِ التواضعُ ، ولا يلبَسُ العبدُ لِبْسةً أجملَ مِنَ التواضعِ

ومَنْ ظَفِرَ بكنزِ التواضعِ والحكمةِ . يُقِيمُ نفسَهُ عندَ كلِّ أحدٍ مقداراً يعلمُ أنَّهُ يُقيمُهُ ، ويُقِيمُ كلَّ أحدٍ علىٰ ما عندَهُ مِنْ نفسِهِ ، ومَنْ رُزِقَ هٰذا فقدِ استراحَ وأراحَ ؛ ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت :٤٣]

(٧٧) ـ أخبرَنا أبو زُرْعَةَ ، عن أبيهِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَنا عثمانُ ابنُ عُبيدِ اللهِ[1] ، قالَ : أخبرَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ إبراهيمَ[2] ، قالَ : أخبرَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ حَمْدانَ[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو حاتِمٍ الرَّازيُّ ، قالَ أخبرَنا النَّضْرُ بنُ عبدِ الجبَّارِ ، قالَ : أخبرَنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن يزيدَ بنِ

---

(١) هو الإمام المسند العدل أبو عمرو عثمان بن محمد بن عبيد الله المَخمِيُّ النيسابوري المُزكِّي (ت٤٨١هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٥٧٩)

(٢) هو الإمام الثقة أبو الحسن عبد الرحمـٰن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري المُزكِّي (ت٣٩٧هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٩٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٢٣) .

(٣) هو الإمام المُحدِّث أبو محمد عبد الرحمـٰن بن حمدان بن المَرْزُبان الهَمَذاني الجلَّاب الجزَّار (ت٣٤٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٤٧٧) .

أبي حبيبٍ ، عن سِنانِ بنِ سعدٍ ، عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ، وَلَا يَبْغِي بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ »(١)

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ؛ قالَ : « عَلَى ٱلْبِرِّ ، وَٱلتَّقْوَىٰ ، وَٱلرَّهْبَةِ ، وَذِلَّةِ ٱلنَّفْسِ »(٢)

وكانَ مِنْ تواضعِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنْ يُجيبَ دعوةَ الحُرِّ والعبدِ ، ويقبلَ الهديةَ ولو أنَّها جُرْعةُ لَبَنٍ أو فَخِذُ أرنبٍ ، ويُكافِئَ عليها ، ويأكلَها ، ولا يستكبرَ عن إجابةِ الأَمَةِ والمسكينِ(٣)

(٧٨) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، عنِ ابنِ خلفٍ إجازةً ، عنِ السُّلَميِّ ، قالَ: أخبرَنا أحمدُ بنُ عليٍّ المُقرِئُ، قالَ أخبرَنا محمَّدُ بنُ المِنْهالِ ، قالَ: حدَّثني أبي ، عن محمَّدِ بنِ جابرٍ [اليَمَاميِّ](٤) ، عن سليمانَ ، عن عمرِو بنِ شُعيبٍ ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ أنَّهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) صفوة التصوف (٧٤٧) ، ورواه مسلم (٢٨٦٥) عن سيدنا عياض بن حمار رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٩)

(٢) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٨٨٠) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٤٠٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٧/ ٥٩) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٧٤٨) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٣) هـٰذا مجموع من عدة أحاديث سبق بعضها في آخر الباب السابق ، وأورد بعضها الغماري في « غنية العارف » (١/ ٤١٠ـ٤١١)

(٤) في النسخ : (اليماني) ، والمثبت من « سير أعلام النبلاء » (٨/ ٢٣٨) ، وهو أبو عبد الله محمد بن جابر بن سيَّار بن طلق السُّحَيمي اليمامي (ت بعد ١٧٠هـ) .

وسلَّمَ : « إِنَّ مِنْ رَأْسِ ٱلتَّوَاضُعِ أَنْ تَبْدَأَ بِٱلسَّلَامِ عَلَىٰ مَنْ لَقِيتَ ، وَتَرُدَّ عَلَىٰ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ ، وَأَنْ تَرْضَىٰ بِٱلدُّونِ مِنَ ٱلْمَجْلِسِ ، وَأَلَّا تُحِبَّ ٱلْمِدْحَةَ وَٱلتَّزْكِيَةَ وَٱلْبِرَّ »[1]

ووَرَدَ أيضاً عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « طُوبَىٰ لِمَنْ تَوَاضَعَ مِنْ غَيْرِ مَنْقَصَةٍ ، وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْكَنَةٍ »[2]

سُئِلَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ عنِ التواضعِ ، فقالَ خَفْضُ الجَناحِ ، ولِينُ الجانبِ[3]

وسُئِلَ الفُضيلُ بنُ عِياضٍ عنِ التواضعِ ، فقالَ : تخضعُ للحقِّ ، وتنقادُ لهُ ، وتقبلُهُ ممَّنْ قالَهُ ، وتسمعُ منهُ[4]

---

(١) أسنده من طريق أبي عبد الرحمـٰن السلمي ، ورواه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١١٨) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٦٤٥) من كلام يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالىٰ ، ورواه ابن السري في « الزهد » (٨٠٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦٩١) موقوفاً علىٰ سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (١١٤٨) ، وابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٧٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ١٨٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٥/ ٧١) عن سيدنا ركب المصري رضي الله عنه ، واختلف في صحبته ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤١٢) ، و« الإصابة » (٢/ ٤١٤) ، وفي هامش (ج) : (لأن الذِّلَّة لله مُتضمِّنةٌ للعزَّة ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون : ٨]) .

(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص٣٨٣) .

(٤) رواه السلمي في « طبقاته » (ص١١ـ١٢) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٤٢٤) ، ورواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٨٨)

وقالَ أيضاً : (مَنْ رأىٰ لنفسِهِ قيمةً فليسَ لهُ في التواضعِ نصيبٌ)[1]

وقالَ وهبُ بنُ مُنبِّهٍ : (مكتوبٌ في كُتُبِ اللهِ[2] : إنِّي أخرجتُ الذَّرَّ مِنْ صُلْبِ آدمَ عليهِ السلامُ ، فلم أجدْ قلباً أشدَّ تواضعاً لي مِنْ قلبِ موسىٰ عليهِ السلامُ ؛ فلذلكَ اصطفَيتُهُ وكلَّمتُهُ)[3]

وقيلَ : مَنْ عَرَفَ كوامنَ نَفْسِهِ لم يطمعْ في العُلُوِّ والشَّرَفِ ، ويسلكُ سبيلَ التواضعِ ؛ فلا يُخاصِمُ مَنْ يذمُّهُ ، ويشكرُ اللهَ لِمَنْ يحمدُهُ

وقالَ أبو حفصٍ : (مَنْ أحبَّ أنْ يتواضعَ قلبُهُ فَلْيصحَبِ الصالحينَ ، ولْيَلْتزِمْ بحُرْمتِهِم[4] ، فمِنْ شِدَّةِ تواضعِهِم في أنفسِهِم يقتدي بهِم ولا يتكبَّرُ)

وقالَ لُقْمانُ : (لكلِّ شيءٍ مَطِيَّةٌ ، ومَطِيَّةُ العملِ التواضعُ)[5]

وقالَ الثَّوْريُّ : (خمسةُ أَنفُسٍ أَعَزُّ الخَلْقِ في الدنيا : عالمٌ زاهدٌ ، وفقيهٌ صُوفيٌّ ، وغنيٌّ مُتواضِعٌ ، وفقيرٌ شاكرٌ ، وشريفٌ سُنِّيٌّ)[6]

---

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص٣٨٢) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٩/٤٨) .

(٢) في (ب ، ج) : (كتاب) بدل (كتب) ، وعبارة « الرسالة » : (مكتوبٌ في بعض ما أنزل الله تعالىٰ من الكتب) .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣٨٣) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/٦١) ، والذَّرُّ : النَّسْل .

(٤) في (ج) ونسخة علىٰ هامش (أ) : (بخدمتهم) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/٦) ضمن خبر طويل ، وفيه : (العقل) بدل (العمل) .

(٦) رواه القشيري في « رسالته » (ص٣٨٣ـ٣٨٤) .

وقالَ ابنُ الجلَّا[1] : (لولا شَرَفُ التواضعِ كُنَّا إذا مشَيْنا نَخْطِرُ)[2]

وقالَ يوسفُ بنُ أسباطٍ وقد سُئِلَ ما غايةُ التواضعِ ؟ قالَ : أنْ تخرجَ مِنْ بيتِكَ فلا تلقىٰ أحداً إلا رأيتَهُ خيراً منكَ[3]

ورأيتُ شيخَنا ضِياءَ الدِّينِ أبا النَّجيبِ وكنتُ معَهُ في سفرِهِ إلى الشامِ وقد بعثَ بعضُ أبناءِ الدنيا لهُ طعاماً علىٰ رُؤُوس الأُسارىٰ مِنَ الإفْرَنجِ وهم في قُيُودِهِم ، فلمَّا مُدَّتِ السُّفْرةُ والأُسارىٰ ينتظرونَ الأوانيَ حتىٰ تَفرُغَ . قالَ الشيخُ للخادمِ أَحضِرِ الأُسارىٰ حتىٰ يقعدوا على السُّفْرةِ معَ الفقراءِ ، فجاءَ بهِم وأقعدَهُم على السُّفْرةِ صفّاً واحداً ، وقامَ الشيخُ مِنْ سَجَّادتِهِ ومشىٰ إليهِم وقعدَ بينَهُم كالواحدِ منهُم ، فأكلَ وأكلُوا ، فظهرَ لنا علىٰ وجهِهِ ما نازلَ باطنَهُ مِنَ التواضعِ للهِ ، والانكسارِ في نفسِهِ ، وانسلاخِهِ مِنَ التكبُّرِ عليهِم بإيمانِهِ وعِلْمِهِ وعملِهِ[4]

---

(١) بالتشديد والقصر كما نصَّ عليه في « القاموس » (٤/ ٣٠٧) ، وابن الجَلَّا : هو الإمام المُربِّي العارف شيخ الصوفية أبو عبد الله أحمد بن يحيى البغدادي (ت ٣٠٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٢٥١ـ٢٥٢)

(٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٥٨٠) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٦/ ٩٠) ، ونَخطِر : نتبختر ، وفي (د) (نتبخترِ) ، وفي هامش (ج) : وخَطَرانُ الرجلِ في مِشْيته : اهتزازه وتبختره؛ أي : اعتزازهم بالله تعالىٰ ، كما قيل : [من البسيط]

قومٌ يُخالِجُهُم زَهْوٌ بسيِّدِهِم ... والعبدُ يزهو علىٰ مقدارِ مولاهُ

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٣٨) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٤٦٧)

(٤) رُوي أنَّ الأسارىٰ كلَّهُم أسلموا ببركة تواضع الشيخ ، وأعتقهم ذلك الحاكمُ وأطلقهم من القيود . من هامش (أ ، ج)

(٧٩) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ طاهرٌ إجازةً ، عن أبي بكرِ بنِ خَلَفٍ إجازةً ، عنِ السُّلَميِّ قالَ سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : (صحَّ عندَ أهلِ المعرفةِ أنَّ للدِّينِ رأسَ مالٍ[١] : خمسةٌ في الظاهرِ ، وخمسةٌ في الباطنِ

فأمَّا اللَّوَاتي في الظاهرِ فصِدْقٌ في اللِّسانِ ، وسَخَاوةٌ في المِلْكِ[٢] ، وتواضعٌ في الأبدانِ ، وكفُّ الأذىٰ ، واحتمالُها بلا إباءٍ[٣]

وأمَّا اللَّواتي في الباطنِ : فحُبُّ وجودِ سيِّدِهِ ، وخوفُ الفِراقِ مِنْ سيِّدِهِ ، ورجاءُ الوصولِ إلىٰ سيِّدِهِ ، والندمُ علىٰ فعلِهِ ، والحياءُ مِنْ ربِّهِ)[٤]

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (التواضعُ في الخَلْقِ حَسَنٌ ، ولٰكن في الأغنياءِ أحسنُ ، والتكبُّرُ سَمجٌ في الخَلْقِ ، ولٰكن في الفقراءِ أسمجُ)[٥]

وقالَ ذو النُّونِ (ثلاثةٌ مِنْ علاماتِ التواضعِ : تصغيرُ النَّفْسِ معرفةً بالعيبِ ، وتعظيمُ الناسِ حُرمةً للتوحيدِ ، وقَبُولُ الحقِّ والنصيحةِ مِنْ كلِّ أحدٍ)[٦]

---

(١) زاد في (د) : (عشر خصال)

(٢) في (د) : (في المال) .

(٣) في (ب) : (واحتماله بلا إباء) ، وفي (هـ) : (واحتمال البلاء) ، والضمير على المثبت يعود على المذكورات الأربعة

(٤) الفتوَّة (ص٨٧) للسُّلَمي .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٨٨٦) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٣٨٤) ، ودون عزو الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٤٦٣) .

(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٦١ـ٣٦٢) ضمن خبر طويل ، والبيهقي في =

وقيلَ لأبي يزيدَ : متىٰ يكونُ الرجلُ متواضعاً ؟ قالَ : إذا لم يرَ لنفسِهِ مقاماً ولا حالاً[1] ؛ مِنْ علمِهِ بشرِّها وازْدِرائِها ، ولا يرىٰ أنَّ في الخَلْقِ شرّاً منهُ[2]

قالَ بعضُ الحكماءِ (وَجَدْنا التواضعَ معَ الجهلِ والبُخْلِ أحمدَ مِنَ الكِبْرِ معَ الأدبِ والسَّخاءِ)[3]

وقيلَ لبعضِ الحكماءِ : هل تعرفُ نعمةً لا يُحسَدُ عليها ، وبلاءً لا يُرحَمُ صاحبُهُ عليهِ ؟ قالَ : نعم ؛ أمَّا النعمةُ : فالتواضعُ ، وأمَّا البلاءُ : فالكِبْرُ[4]

والكشفُ عن حقيقةِ التواضعِ أنَّ التواضعَ رعايةُ الاعتدالِ بينَ الكِبْرِ والضَّعَةِ ؛ فالكِبْرُ رفعُ الإنسانِ نَفْسَهُ فوقَ قَدْرِهِ ، والضَّعَةُ وضعُ الإنسانِ نَفْسَهُ مكاناً يُزرِي بهِ ويُفضي إلىٰ تضييعِ حقِّهِ

= « الشعب » (٧٨٨٠) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٤٢٣ـ ٤٢٤) .

(١) في النسخ ما عدا (ج) ونسخة علىٰ هامش (أ) : (حقّاً ما) بدل (مقاماً)

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٤٦٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٨٣)

(٣) أورده ابن عبد البر في « بهجة المجالس » (١/ ٩٧) ، و« جامع بيان العلم وفضله » (٩٥٤) ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (١/ ٣٢٠) ، وعزواه إلىٰ بُزُرْجُمِهْر ، وزادا بعده واللفظ لابن عبد البر : (فَأَعْظِمْ بحسنةٍ عضَّتْ علىٰ سيِّئتَينِ !! وأَقْطِعْ بعيبٍ أَفْسدَ من صاحبه حسنتَينِ !!)

(٤) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة » (ص٢١٣ـ٢١٤) ، وعزاه إلىٰ بُزُرْجُمِهْر .

وقد فُهِمَ مِنْ كثيرٍ مِنْ إشاراتِ المشايخِ في شرحِ التواضعِ[1] . . أشياءُ إلىٰ حدٍّ أقامُوا التواضعَ مُقامَ الضَّعَةِ ، ويلوحُ فيهِ الهُوِيُّ مِنْ أَوْجِ الإفراطِ إلىٰ حَضيضِ التفريطِ ، ويُوهِمُ انحرافاً عن حدِّ الاعتدالِ ، ويكونُ قصدُهُم في ذلكَ المبالغةَ في قَمْعِ نفوسِ المُرِيدينَ ؛ خوفاً عليهِم مِنَ العُجْبِ والكِبْرِ ، فقَلَّ أنْ ينفكَّ مُرِيدٌ في مَبادئِ ظهورِ سُلْطانِ الحالِ مِنَ العُجْبِ ؛ حتىٰ لقد نُقِلَ عن جمعٍ مِنَ الكبارِ كلماتٌ مُؤْذِنةٌ بالإعجابِ .

فكلُّ ما نُقِلَ مِنْ ذلكَ القَبيلِ عنِ المشايخِ . . لبقايا السُّكْرِ عندَهُم ، وانحصارِهِم في مَضِيقِ سُكْرِ الحالِ ، وعدمِ الخروجِ إلىٰ فضاءِ الصَّحْوِ في ابتداءِ أمرِهِم ، وذلكَ إذا حَدَّقَ صاحبُ البصيرةِ نظرَهُ يعلمُ أنَّهُ مِنِ استراقِ النَّفْسِ السمعَ عندَ نزولِ الواردِ على القلبِ ، والنَّفْسُ إذا اسْتَرَقَتِ السمعَ عندَ ظهورِ الواردِ على القلبِ . . ظهرتْ بصِفَتِها علىٰ وجهٍ لا يجفو على الوقتِ وصَلَافَةِ الحالِ ، فيكونُ مِنْ ذلكَ كلماتٌ مُؤْذِنةٌ بالعُجْبِ ؛ كقولِ بعضِهِم (مَنْ تحتَ خضراءِ السماءِ مثلي ؟!)

وقولِ بعضِهِم[2] : (قَدَمي علىٰ رقبةِ جميعِ الأولياءِ)[3]

وكقولِ بعضِهِم : (أَسْرجتُ وأَلْجمتُ وطُفْتُ في أقطارِ الأرضِ وقلتُ :

---

(١) في النسخ ما عدا (أ ، ج ، ز ، ي) : (انفهم) بدل (فُهِم) ، وفي (ج) : (يُفهم) .
(٢) في هامش (أ ، ح) : (هو عبد القادر الجيلاني) .
(٣) انظر « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » (٢/ ٩٤٢ـ٩٤٣) ، وقد سئل عن قول سيدي عبد القادر الجيلاني ، و« الفتاوى الحديثية » لابن حجر الهيتمي (ص ٥٨١ـ٥٨٢) .

هل مِنْ مُبارِزٍ ؟ فلم يخرجْ إليَّ أحدٌ) ؛ إشارةً منهُ في ذلكَ إلىٰ تفرُّدِهِ في وقتِهِ

ومَنْ أشكلَ عليهِ ذلكَ ، ولم يعلمْ أنَّهُ مِنِ استراقِ النَّفْسِ السمعَ . . فليَزِنْ ذلكَ بِميزانِ أحوالِ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وتواضعِهِم ، واجتنابِهِم أمثالَ هٰذهِ الكلماتِ ، واستبعادِهِم أنْ يجوزَ للعبدِ التظاهرُ بشيءٍ مِنْ ذلكَ ، ولٰكن نجعلُ لكلامِ الصادقينَ وجهاً في الصِّحَّةِ ، ويُقالُ إنَّ ذلكَ طَفَحَ عليهِم في سُكْرِ الحالِ ، وكلامُ السُّكارىٰ يُحمَلُ(١)

فالمشايخُ أربابُ التمكينِ ، لمَّا عَلِمُوا أنَّ في النفوسِ هٰذا الداءَ الدَّفِينَ . . بالغُوا في شرحِ التواضعِ إلىٰ حدٍّ أَلْحقُوهُ بالضَّعَةِ تَدَاوِياً للمُرِيدينَ

والاعتدالُ في التواضعِ : أنْ يرضى الإنسانُ بمنزلةٍ دُوَينَ ما يستحقُّهُ ، ولو أَمِنَ الشخصُ جُمُوحَ النَّفْسِ لأوقفَها علىٰ حدٍّ تستحقُّهُ مِنْ غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ

ولٰكن لمَّا كانَ الجُمُوحُ في جِبِلَّةِ النَّفْسِ ؛ لكونِها مخلوقةً مِنْ صَلْصالٍ كالفخَّارِ ، فيها نسبةُ الناريَّةِ وطلبُ الاستعلاءِ بطبعِها إلىٰ مركزِ النارِ . . احتاجتْ إلى التَّدَاوِي بالتواضعِ وإيقافِها دُوَينَ ما تستحقُّهُ ؛ لئلا يتطرَّقَ إليها الكِبْرُ

فالكِبْرُ ظنُّ الإنسانِ أنَّهُ أكبرُ مِنْ غيرِهِ ، والتكبُّرُ إظهارُهُ ذلكَ ، وهٰذهِ صفةٌ لا يستحقُّها إلا اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ ، ومَنِ ادَّعاها مِنَ المخلوقينَ يكونُ كاذباً

---

(١) في (ج) ونسخة على هامش (أ، ح) : (يُتحمَّل) ، وفي (هـ ، ح) : (يُحتمل) .

والكِبْرُ يتولَّدُ مِنَ الإعجابِ ، والإعجابُ مِنَ الجهلِ بحقيقةِ المحاسنِ ، والجهلُ الانسلاخُ مِنَ الإنسانيَّةِ حقيقةً

وقد عَظَّمَ اللهُ تعالىٰ شأنَ الكِبْرِ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل : ٢٣] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر ٦٠] .

وقد وَرَدَ : « يَقُولُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ٱلْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَٱلْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ »[1] ، وفي روايةٍ « قَذَفْتُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ »[2]

وقالَ اللهُ تعالىٰ ردّاً للإنسانِ في طُغْيانِهِ إلىٰ حدِّهِ : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٧] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق : ٥ـ ٦] ، وأبلغُ مِنْ هٰذا قولُهُ تعالىٰ : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ * مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ [عبس : ١٧ـ١٩]

وقد قالَ بعضُهُم لبعضِ المُتكبِّرينَ : (أوَّلُكَ نُطْفةٌ مَذِرَةٌ ، وآخِرُكَ جِيفةٌ قَذِرَةٌ ، وأنتَ فيما بينَ ذلكَ تحملُ العَذِرَةَ)[3]

---

(١) رواه بنحوه مسلم (٢٦٢٠) ، وبلفظه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص١٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) رواه أبو داود (٤٠٩٠) ، وأحمد (٢/ ٤١٤) ، وابن حبان (٥٦٧١) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤١٧) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/ ٣٠٣) من كلام مالك بن دينار للمُهلَّب بن أبي صُفْرة ، والمَذِرة : الفاسدة ، والعَذِرة : الغائط

وقد نَظَمَ الشاعرُ هٰذا المعنىٰ[1] [من مجزوء الرمل]

كَيْــفَ يَــزْهُــو مَــنْ رَجِيعُــهْ   أَبَــدَ ٱلــدَّهْــرِ ضَجِيعُــهْ

وإذا ارتحلَ التواضعُ مِنَ القلبِ وسكنَ الكِبْرُ.. ينتشرُ أَثَرُهُ في بعضِ الجوارحِ ، ويَرشَحُ الإناءُ بما فيهِ ؛ فتارةً يظهرُ أثَرُهُ في العُنُقِ بالتمايلِ ، وتارةً في الخَدِّ بالتصعيرِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان : ١٨] ، وتارةً يظهرُ في الرأسِ عندَ استعصاءِ النَّفْسِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون : ٥]

وكما أنَّ للكِبْرِ انقساماً على الجوارحِ والأعضاءِ.. يتشعَّبُ منهُ شُعَبٌ بعضُها أكثفُ مِنَ البعضِ ؛ كالتِّيهِ والزَّهْوِ والعِزَّةِ وغيرِ ذلكَ[2]

إلا أنَّ العِزَّةَ تشتبهُ بالكِبْرِ مِنْ حيثُ الصورةُ ، وتختلفُ مِنْ حيثُ الحقيقةُ ؛ كاشتباهِ التواضعِ بالضَّعَةِ ، والتواضعُ محمودٌ ، والضَّعَةُ مذمومةٌ ، والكِبْرُ مذمومٌ ، والعِزَّةُ محمودةٌ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون : ٨] ، والعِزَّةُ غيرُ الكِبْرِ ، ولا يَحِلُّ لمؤمنٍ أنْ يُذِلَّ نفْسَهُ .

---

(١) البيت لابن الرومي في « ديوانه » (٤/١٥٥٢) ، ويزهو : يتكبَّر ، والرَّجيع : بمعنى العذرة ، وأخذه أيضاً ابن عون ، فنَظَمَهُ فقال : (من المنسرح)

عجبتُ مِنْ مُعجَبٍ بصورتِهِ   وكانَ بالأمسِ نُطْفةً مَذِرَهْ
وفي غدٍ بعدَ حُسْنِ صورتِهِ   يصيرُ في اللَّحْدِ جِيفةً قَذِرَهْ
وهْوَ علىٰ تِيهِهِ ونَخْوتِهِ   ما بينَ ثوبَيْهِ يحملُ العَذِرَهْ

انظر « أدب الدين والدنيا » (ص٣٧٧)

(٢) التِّيه : الكِبْر ، ومثلُهُ الزَّهْو .

فالعِزَّةُ : معرفةُ الإنسانِ بحقيقةِ نَفْسِه ، وإكرامُها ألَّا يضعَها لأقسامٍ عاجلةٍ دنيويةٍ ، كما أنَّ الكِبْرَ : جهلُ الإنسانِ بنفسِهِ ، وإنزالُها فوقَ منزلتِها

قالَ بعضُهُم للحسنِ ما أعظمَكَ في نَفْسِكَ !! قالَ : لستُ بعظيمٍ ، ولكنَّني عزيزٌ[1]

ولمَّا كانتِ العِزَّةُ غيرَ مذمومةٍ ، وفيها مشاكلةٌ بالكِبْرِ . قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] ؛ فيه إشارةٌ خفيةٌ لإثباتِ العِزَّةِ بالحقِّ

والوقوفُ علىٰ حدِّ التواضعِ مِنْ غيرِ انحرافٍ إلى الضَّعَةِ . . وقوفٌ علىٰ صراطِ العِزَّةِ المنصوبِ علىٰ متنِ نارِ الكِبْرِ ، ولا يُؤيَّدُ في ذلكَ ولا يثبتُ عليهِ إلا أقدامُ العلماءِ الراسخينَ ، والسادةِ المُقرَّبينَ ، ورُؤساءِ الأبدالِ والصِّدِّيقينَ .

قالَ بعضُهُم : (مَنْ تكبَّرَ فقد أخبرَ عن نَذَالةِ نَفْسِهِ[2] ، ومَنْ تواضعَ فقد أظهرَ كرمَ طبعِهِ)[3]

وقالَ التِّرْمذيُّ : التواضعُ علىٰ ضربَينِ :

الأوَّلُ : وهوَ أنْ يتواضعَ العبدُ لأمرِ اللهِ ونهيِهِ ؛ فإنَّ النَّفْسَ لطلبِ الراحةِ تتعلَّىٰ في أمرِهِ ، وللشهوةِ التي فيها تَهْوي في نهيِهِ[4] ، فإذا وَضَعَ نَفْسَهُ لأمرِهِ ونهيِهِ . . فهوَ تواضعٌ .

---

(١) أورده الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٣٢٥) ، و« الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة » (ص٢١٥) ، وفي بعض النسخ : (للحسن بن علي) بدل (للحسن) .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (د) : (رذالة) بدل (نذالة) ، والنذالة : السَّفَالة والخِسَّة .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٨٨) .

(٤) في النسخ ما عدا (أ) : (والشهوة) بدل (وللشهوة) .

والثاني : أنْ يضعَ نَفْسَهُ لعظمةِ اللهِ تعالىٰ ، فإنِ اشتهتْ نَفْسُهُ شيئاً ممَّا أُطلِقَ لهُ مِنْ كلِّ نوعٍ مِنَ الأنواعِ . . منعَها ذلكَ ، وجملةُ ذلكَ : أنْ يتركَ مشيئتَهُ لمشيئةِ اللهِ تعالىٰ

واعلَمْ : أنَّ العبدَ لا يبلغُ حقيقةَ التواضعِ إلا عندَ لَمَعَانِ نورِ المشاهدةِ في قلبِهِ ، فعندَ ذلكَ تذوبُ النَّفْسُ ، وفي ذَوَبانِها صفاؤُها مِنْ غِشِّ الكِبْرِ والعُجْبِ ، فتلينُ وتنطبعُ للحقِّ والخَلْقِ لمَحْوِ آثارِها ، وسكونِ وَهَجِها وغُبارِها[1]

وكانَ الحظُّ الأوفرُ مِنَ التواضعِ لنبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في أوطانِ القُرْبِ ؛ فيما رَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها في الحديثِ الطويلِ قالتْ : فقدتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذاتَ ليلةٍ ، فأَخَذَني ما يأخذُ النساءَ مِنَ الغِيرةِ ؛ ظنّاً منِّي أنَّهُ عندَ بعضِ أزواجِهِ ، فطلبتُهُ في حُجَرِ نسائِهِ فلم أَجِدْهُ[2] ، فوجدتُهُ في المسجدِ ساجداً كالثوبِ الخَلَقِ وهوَ يقولُ في سجودِهِ[3] : « سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي ، وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِي ، وَأَقَرَّ بِكَ لِسَانِي ، وَهَـٰأَنَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَا عَظِيمُ ، يَا غَافِرَ ٱلذَّنْبِ ٱلْعَظِيمِ »[4]

وقولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي » . . استقصاءٌ

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) .
(٢) الحُجَر : جمع (حُجْرة) ؛ وهي البيت والغرفة
(٣) الخَلَق : البالي .
(٤) رواه بنحوه أبو يعلىٰ في « المسند » (٤٦٦١) ، والطبراني في « الدعاء » (٦٠٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٥٥٧) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٢٠ـ٤٢١) ، وما سبق في (١/ ٣٢٠) .

في التواضعِ بمَحْوِ آثارِ الوجودِ حيثُ لم تتخلَّفْ ذَرَّةٌ عنِ السجودِ ظاهراً وباطناً

ومتىٰ لم يكنْ للصُّوفيِّ حظٌّ مِنَ التواضعِ الخاصِّ علىٰ بِساطِ القُرْبِ.. لا يتوفَّرُ حظُّهُ مِنَ التواضعِ للخَلْقِ ، وهٰذهِ سعادةٌ إذا أقبلتْ جاءتْ بكُلِّيَّتِها

والتواضعُ مِنْ أشرفِ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ[١]

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : المُدَاراةُ ، واحتمالُ الأذىٰ مِنَ الخَلْقِ .

وبَلَغَ مِنْ مُدَاراةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّهُ وَجَدَ قتيلاً مِنْ أصحابِهِ بينَ اليهودِ ، فلم يَحِفْ عليهِم ، ولم يَزِدْ علىٰ مُرِّ الحقِّ ، بل وَدَاهُ بمئةِ ناقةٍ مِنْ قِبَلِهِ ، وإنَّ بأصحابِهِ لحاجةً إلىٰ بعيرٍ واحدٍ يتقوَّونَ بهِ[٢]

وكانَ مِنْ حُسْنِ مُداراتِهِ : ألَّا يَذُمَّ طعاماً[٣] ، ولا يَنهَرَ خادماً[٤]

(٨٠) ـ أخبرَنا الشيخُ الإمامُ الصالحُ العالمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الكَرُوخيُّ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نصرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا الجَرَّاحيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو عيسى التِّرمِذيُّ ، قالَ حدَّثَنا قُتيبةُ ، قالَ : حدَّثَنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قالَ (خَدَمْتُ رسولَ اللهِ

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ سماع الجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

(٢) رواه البخاري (٦١٤٢) ، ومسلم (١٦٦٩/٢) عن سيدنا رافع بن خَديج وسهل بن أبي حَثْمة رضي الله عنهم .

(٣) رواه البخاري (٥٤٠٩) ، ومسلم (٢٠٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) سيأتي تخريجه في الحديث بعدُ

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَشْرَ سنينَ ، فما قالَ لي أُفٍّ قطُّ ، وما قالَ لشيءٍ صنعتُهُ : لِمَ صنعتَهُ ؟ ولا لشيءٍ تركتُهُ لِمَ تركتَهُ ؟ وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ أحسنِ الناسِ خُلُقاً ، وما مَسِسْتُ خَزّاً قطُّ ولا حَريراً ولا شيئاً كانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولا شَمِمْتُ مِسْكاً قطُّ ولا عِطْراً كانَ أَطْيبَ مِنْ عَرَقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[1]

فالمُدَاراةُ معَ كلِّ أحدٍ ؛ مِنَ الأهلِ والأولادِ ، والجيرانِ والأصحابِ والخَلْقِ كافَّةً . . مِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ ، وباحتمالِ الأذىٰ يظهرُ جوهرُ النَّفْسِ

وقد قيلَ : (لكلِّ شيءٍ جوهرٌ ، وجوهرُ الإنسانِ العقلُ ، وجوهرُ العقلِ الصبرُ)[2]

(٨١) ـ أخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعةَ طاهرٌ ، عن أبيهِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الصَّرِيفِينيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ عُبيدُ اللهِ بنُ حَبَابةَ ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، قالَ حدَّثَنا عليُّ بنُ الجَعْدِ ، قالَ : أخبرَنا شُعْبةُ ، عنِ الأعمشِ ، عن يحيى بنِ وَثَّابٍ ، عن شيخٍ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ قلتُ مَنْ

---

(١) سنن الترمذي (٢٠١٥) ، الشمائل المحمدية (٣٤٦) ، وبعضه في « البخاري » (١٩٧٣ ، ٣٥٦١) ، و« مسلم » (٢٣٣٠) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٢٢) ، وفي هامش (ج) : (ذِكْرُ لين كفِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في هـٰذا الموضع . . إشارةٌ إلىٰ كمال حسن خُلُقه ولين سجيَّته ؛ بحيثُ أثَّر في كفِّه الذي هو محلُّ العمل الموجب للخشونة) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٠٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣٥٨) ، والسلمي في « الطبقات » (ص٥٩) عن الحارث المحاسبي رحمه الله تعالىٰ

هوَ ؟ قالَ : ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما ـ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ٱلْمُؤْمِنُ ٱلَّذِي يُعَاشِرُ ٱلنَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ . خَيْرٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ »[1]

وفي الخبرِ : « أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ ؟ » قيلَ : ماذا كانَ يصنعُ أبو ضَمْضَمٍ ؟ قالَ : « كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ : ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي تَصَدَّقْتُ ٱلْيَوْمَ بِعِرْضِي عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنِي ، فَمَنْ ضَرَبَنِي لَا أَضْرِبُهُ ، وَمَنْ شَتَمَنِي لَا أَشْتِمُهُ ، وَمَنْ ظَلَمَنِي لَا أَظْلِمُهُ »[2]

(٨٢) ـ وأخبرَنا ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا الجرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا المَحْبُوبيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا ابنُ أبي عُمَرَ ، قالَ : حدَّثَنا سفيانُ[3] ، عن محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ ، عن عُرْوةَ ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : استأذنَ رجلٌ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأنا عندَهُ[4] ، فقالَ : « بِئْسَ ٱبْنُ ٱلْعَشِيرَةِ » أو « أَخُو ٱلْعَشِيرَةِ » ، ثمَّ أَذِنَ لهُ ،

---

(١) صفوة التصوف (٧٣٨) ، مسند ابن الجعد (٧٦٧) ، ورواه الترمذي (٢٥٠٧) ، وابن ماجه (٤٠٣٢) ، وأحمد (٢/ ٤٣) ، وسبق ترجمة بعض رجال إسناده (١/ ٤٢٩).

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٦٥) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (٥٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأبو داود (٤٨٨٧) مرسلاً عن عبد الرحمٰن بن عجلان رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار » (٢/ ٤١٦) ، و« غنية العارف » (١/ ٤٢٤) .

(٣) هو ابن عيينة رحمه الله تعالىٰ .

(٤) قال القاري في « مرقاة المفاتيح » (٧/ ٣٠٣٣) : (قيل : هو عُيينة الفزاري ، وقيل : مخرمة بن نوفل ، ويمكن الجمع بتعداد الواقعة) ، وانظر « المرقاة » أيضاً (٧/ ٣٠٣٤) وما سيأتي في التعليق الآتي .

فألانَ لهُ القولَ ، فلمَّا خَرَجَ قلتُ لهُ : يا رسولَ اللهِ ؛ قلتَ لهُ ما قلتَ ثمَّ أَلَنْتَ لهُ القولَ !! قالَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّ مِنْ شَرِّ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتْرُكُهُ ٱلنَّاسُ ـ أو يَدَعُهُ ٱلنَّاسُ ـ ٱتِّقَاءَ فُحْشِهِ »(١)

وروىٰ أبو ذرٍّ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ٱتَّقِ ٱللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ ٱلسَّيِّئَةَ ٱلْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ ٱلنَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ »(٢)

فما شيءٌ يُستدَلُّ بهِ علىٰ قُوَّةِ عقلِ الشخصِ ووُفُورِ علمِهِ وحِلْمِهِ . . كحُسْنِ المُدَاراةِ

والنَّفْسُ لا تزالُ تشمئزُّ ممَّنْ يَعكِسُ مُرادَها ، ويَستفِزُّها الغيظُ والغضبُ ،

---

(١) سنن الترمذي (١٩٩٦) ، الشمائل المحمدية (٣٥١) ، ورواه البخاري (٦١٣١) ، ومسلم (٢٥٩١) ، وقال النووي في « شرح مسلم » نقلاً عن القاضي عياض (١٦/ ١٤٤) : (هـٰذا الرجل هو عُيَينةُ بنُ حِصْن ، ولم يكن أسلمَ حينئذٍ ، وإن كان قد أظهر الإسلامَ ، فأراد النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُبيِّنَ حاله ليعرفَهُ الناس ، ولا يغترَّ به مَنْ لم يعرف حاله) ، قال : (وكان منه في حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وبعدَهُ . . ما دلَّ علىٰ ضعف إيمانه ، وارتدَّ مع المُرتدِّين ، وجِيء به أسيراً إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه ، ووصفُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم له بأنَّهُ بئسَ أخو العَشِيرة . . من أعلام النبوَّة ؛ لأنَّهُ ظَهَرَ كما وصف ، وإنَّما ألان له القولَ تألُّفاً له)

وقال القاري في « مرقاة المفاتيح » (٧/ ٣٠٣٤) : (وليس قولُه عليه السلام في أُمَّته بالأمور التي يَسِمُهُم بها ويُضِيفُها إليهم من المكروه . . غيبةً ، وإنَّما يكونُ ذلك من بعضهم في بعض ، بل الواجبُ عليه صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُبيِّن ذلك ويُفصِحَ به ، ويُعرِّفَ الناس أمورهم ؛ فإنَّ ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأُمَّة ، ولـٰكنَّهُ لِمَا جُبِلَ عليه من الكرم وأُعطِيَهُ من حُسْن الخُلُق أظهر له البشاشة ، ولم يُجبْهُ بالمكروه ، وليقتديَ به أُمَّتُهُ في اتِّقاء شرِّ مَنْ هـٰذا سبيلُهُ ، وفي مداراته ليسلموا من شرِّهِ وغائلته) .

(٢) رواه الترمذي (١٩٨٧) ، والدارمي (٢٨٣٣) ، وأحمد (٥/ ١٥٣)

وبالمُداراةِ قَطْعُ حُمَةِ النَّفْسِ[(١)] ، وردُّ طَيْشِها ونُفُورِها

وقد وَرَدَ « مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ . . دَعَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ ٱلْخَلَائِقِ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ ٱلْحُورِ شَاءَ »[(٢)]

وروىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَحْرُمُ ٱلنَّارُ ؟ عَلَىٰ كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ ، سَهْلٍ قَرِيبٍ »[(٣)]

وروىٰ أبو مسعودٍ الأنصاريُّ قالَ : أُتِيَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ برجلٍ ، فكلَّمَهُ فأُرْعِدَ ، فقالَ « هَوِّنْ عَلَيْكَ ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنَا ٱبْنُ ٱمْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ ٱلْقَدِيدَ »[(٤)]

---

(١) الحُمَة في الأصل : سمُّ العقرب وضرُّها .

(٢) رواه أبو داود (٤٧٧٧) ، والترمذي (٢٠٢١) ، وابن ماجه (٤١٨٦) ، وأحمد (٣/ ٤٤٠) عن سيدنا معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه ، وقولُهُ : (في أيِّ الحور شاء) قال القاري في « المرقاة » (٨/ ٣١٨١) : (أي : في أخذ أيهنَّ شاء ، وهو كنايةٌ عن إدخاله الجنةَ المَنيعة ، وإيصالِهِ الدرجةَ الرفيعة ، قال الطِّيبيُّ : « وإنَّما حُمِدَ الكَظْمُ ؛ لأنَّهُ قهرٌ للنفس الأمَّارة بالسوء ؛ ولذلك مدحهم الله تعالىٰ بقوله : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ، ومَنْ نهى النفس عن هواه ، فإن الجنة مأواه ، والحورَ العينَ جزاه » ، قلت وهـٰذا الثناء الجميل والجزاء الجزيل إذا ترتَّب علىٰ مُجرَّد كظم الغيظ ، فكيف إذا انضمَّ العفو إليه ، أو زاد بالإحسان عليه ؟!) .

(٣) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (١٨٥٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٣٧) ، ورواه الترمذي (٢٤٨٨) ، وابن حبان (٤٧٠) ، وأحمد (١/ ٤١٥) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) رواه ابن ماجه (٣٣١٢) ، واختلف في وصل الحديث وإرساله ، كما في « حاشية السندي على ابن ماجه » (٢/ ٣١٣) ، ورواه الحاكم (٢/ ٤٦٦) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٢٦٠) عن سيدنا جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ، =

وعن بعضِهِم في معنىٰ لِينِ جانبِ الصُّوفيّةِ[1] [من البسيط]

هَيْنُـونَ لَيْنُـونَ أَيْسَـارٌ بَنُـو يَسَـرٍ سُـوَّاسُ مَكْـرُمَـةٍ أَبْنَـاءُ أَيْسَـارِ
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يُمَـارُونَ إِنْ مَـارَوْا بِـإِكْثَـارِ
مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ ٱلنُّجُومِ ٱلَّتِي يَسْرِي بِهَا ٱلسَّارِي

ورَوىٰ أبو الدَّرْداءِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ « مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ ٱلرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ ٱلرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ »[2]

(٨٣) ـ حدَّثَنا شيخُنا ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ رحمَهُ اللهُ إملاءً ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ محمَّدُ بنُ أبي عبدِ اللهِ المَالِينيُّ[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ عبدُ الرحمـٰنِ ابنُ أبي طلحةَ الداوُديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ الحَمُّوِيُّ السَّرَخْسيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عِمْرانَ عيسى بنُ عمرَ السَّمَرْقَنْديُّ ، قالَ أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ الدَّارِميُّ ، قالَ

= والقَدِيد : اللحم المُملَّح المُجفَّف على الشمس .

(١) الأبيات للعرندس الكلابي ، كما في « حماسة أبي تمام » (٤/١٤٦ـ ١٤٨) ، و« الكامل » للمبرد (١/١٠٦) ، والبيت الأول والثالث في « البرصان والعرجان » للجاحظ (ص٣٦٥) دون نسبة ، وفي « الحماسة » و« البرصان والعرجان » : (ذوو) بدل (بنو) ، واليَسَر : السهولة واللين ، والأَيْسار : جمع (يَسَر) ؛ وهو المقامر ، وهو ممدوح مُبجَّل في الجاهلية .

(٢) رواه الترمذي (٢٠١٣) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٤٦٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٨١٤) .

(٣) وسمَّاه شيخه أبو إسماعيل الأنصاري بـ(عبد الأوَّل) ، وكناه بـ(أبي الوقت) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/٣٠٦) ، وما سبق تعليقاً في (١/ ٣١٢)

أخبرَنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي خلفٍ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ محمَّدٍ ، عن محمَّدِ بنِ إسحاقَ ، قالَ حدَّثني عبدُ اللهِ بنُ أبي بكرٍ ، عن رجلٍ مِنَ العربِ قالَ : زَحَمْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَ حُنينٍ وفي رِجْلي نعلٌ كَثيفةٌ ، فوَطِئتُ بها علىٰ رِجْلِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فنفَحَني نَفْحةً بسَوْطٍ في يدِهِ وقالَ : « بِٱسْمِ اللهِ ، أَوْجَعْتَنِي »

قالَ : فبِتُّ لنَفْسي لائماً ؛ أقولُ : أوجعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ : فبِتُّ بليلةٍ كما يعلمُ اللهُ ، فلمَّا أَصْبَحْنا إذا رجلٌ يقولُ : أينَ فلانٌ ؟ قالَ : قلتُ هـٰذا واللهِ الذي كانَ منِّي بالأمسِ ، قالَ : فانطلقتُ وأنا مُتخوِّفٌ ، فقالَ لي : « إِنَّكَ وَطِئْتَ بِنَعْلِكَ عَلَىٰ رِجْلِي بِٱلْأَمْسِ فَأَوْجَعْتَنِي ، فَنَفَحْتُكَ نَفْحَةً بِٱلسَّوْطِ ، فَهَـٰذِهِ ثَمَانُونَ نَعْجَةً ، فَخُذْهَا بِهَا »(١)

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ الإيثارُ والمُوَاساةُ ، ويحملُهُم علىٰ ذلكَ فَرْطُ الشَّفَقَةِ والرحمةِ طبعاً ، وقُوَّةُ اليقينِ شرعاً ؛ لأنَّهُم يُؤْثِرُونَ بالموجودِ ، ويَصبِرونَ على المفقودِ .

قالَ أبو يزيدَ البِسْطاميُّ رحمَهُ اللهُ : ما غَلَبَني أحدٌ ما غلَبَني شابٌّ مِنْ أهلِ بَلْخَ ؛ قَدِمَ علينا حاجّاً ، فقالَ لي : يا أبا يزيدَ ؛ ما حدُّ الزُّهْدِ عندَكُم ؟ قلتُ إذا وَجَدْنا أَكَلْنا ، وإذا فَقَدْنا صَبَرْنا ، فقالَ : هـٰكذا عندَنا كلابُ

---

(١) مسند الدارمي (٧٣) ، ونعلٌ كثيفةٌ : غليظة ثخينة ، ونَفَحَني : ضربني ، وسبق التعريف ببعض رجال السند في (١/ ٣١٢ـ٣١٣) .

بَلْخَ ، فقلتُ فما حدُّ الزُّهْدِ عندَكُم ؟ قالَ : إذا فَقَدْنا صَبَرْنا ، وإذا وَجَدْنا آثَرْنا[1]

وقالَ ذو النُّونِ رحمَهُ اللهُ : (مِنْ علامةِ الزاهدِ المشروحِ صدرُهُ ثلاثٌ تفريقُ المجموعِ ، وتركُ طلبِ المفقودِ ، والإيثارُ عندَ القُوتِ)[2]

روىٰ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَ النَّضِيرِ للأنصارِ : « إنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَدِيَارِكُمْ وَتُشَارِكُونَهُمْ فِي هَـٰذِهِ ٱلْغَنِيمَةِ ، وَإِنْ شِئْتُمْ كَانَتْ لَكُمْ دِيَارُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ ، وَلَمْ يُقْسَمْ لَكُمْ شَيْءٌ مِنَ ٱلْغَنِيمَةِ » ، فقالتِ الأنصارُ : بل نقسمُ لهُم مِنْ أموالِنا وديارِنا ، ونُؤْثِرُهُم بالغنيمةِ ولا نُشارِكُهُم فيها ، فأنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩][3] .

وروىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقد أصابَهُ جُهدٌ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنِّي جائعٌ فأَطْعِمْني ، فبَعَثَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ أزواجِهِ « هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ ؟ » ، فكلُّهُنَّ قُلْنَ : والذي بعثَكَ بالحقِّ نبيّاً ؛ ما عندَنا إلا الماءُ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُكَ هَـٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ » ، ثمَّ قالَ : « مَنْ

---

(١) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦/ ٢٢٩) ، وفيه وفي (هـ ، ح) : (شكرنا) بدل (صبرنا) في الموضع الثاني ، ورُويت هـٰذه القصة بنحوها بين شقيق البلخي وإبراهيم بن أدهم ، كما في « الحلية » (٨/ ٣٧) ، و« تاريخ دمشق » (٦/ ٢٩٩)

(٢) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦/ ٢٢٩)

(٣) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦/ ٢٢٩ـ٢٣٠) ، والبغوي في « تفسيره » (٨/ ٧٧) .

يُضِيفُ هَـٰذَا هَـٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ رَحِمَهُ ٱللهُ ؟ » ، فقامَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ فقالَ : أنا يا رسولَ اللهِ .

فأتىٰ بهِ منزلَهُ ، فقالَ لأهلِهِ هـٰذا ضيفُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأَكْرِمِيهِ ولا تَدَّخِري عنهُ شيئاً ، فقالتْ : ما عندَنا إلا قوتُ الصِّبْيةِ ، فقالَ فقُومي عَلِّليهِم عن قُوتِهِم حتىٰ يناموا ولا يَطْعَمُوا شيئاً ثمَّ أَسْرِجي[1] ، فإذا أَخَذَ الضيفُ ليأكلَ قُومي كأنَّكِ تُصلِحِينَ السِّراجَ ، فأَطْفِئيهِ وتعالَيْ نمضغْ ألسنتَنا لضيفِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتىٰ يشبعَ ضيفُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فقامتْ إلى الصِّبْيةِ فعلَّلَتْهُم حتىٰ نامُوا عن قُوتِهِم ولم يَطْعَمُوا شيئاً ، ثمَّ قامتْ فاثَّرَدَتْ وأَسْرَجَتْ ، فلمَّا أخذَ الضيفُ ليأكلَ قامتْ كأنَّها تُصلحُ السِّراجَ فأَطْفَأَتْهُ ، فجعلا يمضغانِ ألسنتَهُما لضيفِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وظنَّ الضيفُ أنَّهُما يأكلانِ معَهُ ، حتىٰ شَبِعَ الضيفُ ، وباتا طاوِيَينِ .

فلمَّا أصبحُوا غدَوَا إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلمَّا نظرَ إليهِما تبسَّمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ قالَ : « لَقَدْ عَجِبَ ٱللهُ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ هَـٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ » ، وأنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ

---

(١) علِّليهم : أَشْغِليهم ولَهِّيهم ، قال الإمام النووي في « شرح مسلم » (١٤/ ١٢) : (هـٰذا محمولٌ علىٰ أنَّ الصِّبْيانَ لم يكونوا محتاجين إلى الأكل ، وإنَّما تطلبُهُ أنفسُهُم علىٰ عادة الصبيان من غير جوع يَضُرُّهُم ؛ فإنَّهُم لو كانوا علىٰ حاجةٍ بحيثُ يَضُرُّهُم تركُ الأكل . . لكان إطعامُهُم واجباً ، ويجبُ تقديمه على الضِّيافة ، وقد أثنى الله ورسوله صلَّى الله عليه وسلَّم علىٰ هـٰذا الرجل وامرأته ، فدلَّ علىٰ أنَّهُما لم يتركا واجباً ، بل أَحْسنا وأَجْملا رضي الله عنهما) .

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . . .﴾ الآيةَ [الحشر : ٩] [١].

وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (أُهْدِيَ لبعضِ أصحابِهِ رأسُ شاةٍ مَشْوِيٌّ وكانَ مَجْهُوداً ، فوجَّهَ بِهِ إلىٰ جارٍ لهُ ، فتداولَهُ سبعةُ أَنْفُسٍ ثمَّ عادَ إلى الأوَّلِ ، فأُنزِلَتِ الآيةُ لذلكَ)[٢]

ورُوِيَ أنَّ أبا الحسنِ الأنطاكيَّ اجتمعَ عندَهُ نَيِّفٌ وثلاثونَ رجلاً بقريةٍ بقُرْبِ الرَّيِّ ، ولهُ أَرْغِفةٌ معدودةٌ لا تُشبِعُ خمسةً منهُم ، فكَسَرُوا الرُّغْفانَ وأطْفَؤُوا السِّراجَ وجلسُوا للطعامِ ، فلمَّا رُفِعَ الطعامُ إذا هوَ بحالِهِ لم يأكلْ أحدٌ ؛ إيثاراً منهُ علىٰ نَفْسِهِ[٣]

وحُكِيَ عن حُذَيفةَ العَدَويِّ رَحِمَهُ اللهُ قالَ : انطلقتُ يومَ اليرموكِ أَطلُبُ ابنَ عمٍّ لي ومعي شيءٌ مِنْ ماءٍ وأنا أقولُ : إنْ كانَ بهِ رَمَقٌ سقَيتُهُ ومسحتُ وجهَهُ ، فإذا أنا بهِ ، فقلتُ : أَسْقِيكَ ؟ فأشارَ إليَّ : نعم ، فإذا رجلٌ يقولُ : آهِ ، فقالَ ابنُ عمِّي : انطلِقْ بهِ إليهِ ، فجئتُهُ فإذا هوَ هشامُ بنُ

---

(١) رواه البخاري (٤٨٨٩) ، ومسلم (٢٠٥٤) ، وجاء في بعض طرق مسلم تسميةُ المُضيف ؛ وهو سيدنا أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه ، وقولُهُ : (لقد عجب الله) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٨/ ٦٣٢) : (قال الخطَّابي : إطلاق العجب على الله محالٌ ، ومعناه الرضا ، فكأنَّهُ قال : إنَّ ذلك الصنيعَ حلَّ من الرضا عند الله حلولَ العجب عندكم ، قال : وقد يكونُ المرادُ بالعجب هنا : أنَّ الله يُعجِّب ملائكته من صنيعهما ؛ لندور ما وقع منهما في العادة) ، وانظر « مشكل الحديث وبيانه » لابن فورك (ص١٩٢ـ١٩٣) .

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٤٨٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢٠٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٣١)

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٨٦) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦/ ٢٢٧) ، وفيهما : (لم تسع جميعهم) بدل (لا تشبع خمسة)

العاصِ ، فقلتُ : أَسْقِيكَ ؟ فسمعَ هشامٌ آخَرَ يقولُ : آهِ ، فقالَ : انطلِقْ بهِ إليهِ ، فجئتُهُ فإذا هوَ قد ماتَ ، ثمَّ رجعتُ إلىٰ هشامٍ فإذا هوَ أيضاً قد ماتَ ، ثمَّ رجعتُ إلى ابنِ عمِّي فإذا هوَ أيضاً قد ماتَ[1]

وسُئِلَ أبو الحسنِ البُوشَنْجِيُّ عنِ الفُتُوَّةِ ، فقالَ : الفُتُوَّةُ عندي ما وَصَفَ اللهُ تعالىٰ بهِ الأنصارَ في قولِهِ ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ . . . ﴾ الآيةَ [الحشر : ٩][2] .

قالَ ابنُ عطاءٍ رحمَهُ اللهُ : (﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ جُوداً وكرماً ، ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ؛ يعني : جُوعاً وفَقْراً)[3]

وقالَ أبو حفصٍ رحمَهُ اللهُ : (الإيثارُ : هوَ أنْ يُقدِّمَ حُظُوظَ الإخوانِ علىٰ حُظُوظِهِ في أمرِ الدنيا والآخرةِ)[4]

وقالَ بعضُهُم : (الإيثارُ لا يكونُ عنِ اختيارٍ ، وإنَّما الإيثارُ أنْ تُقدِّمَ حُقُوقَ الخَلْقِ أجمعَ علىٰ حقِّكَ ، ولا تُميِّزَ في ذلكَ بينَ أخٍ وصاحبٍ وذي معرفةٍ)[5]

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٥٢٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢٠٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨/ ١٨٠)، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٨/ ٢٠٣) .

(٢) رواه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣١٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢١٠) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣١٨) .

(٤) رواه السلمي في « طبقاته » (ص١٢٢) ، وأورده في « تفسيره » (٢/ ٣١٨) ، وأبو حفص : هو عمرو بن سَلْم ـ وقيل : (عمر) بدل (عمرو) ، و(سلمة) بدل (سلم) ـ النيسابوري الحدَّاد (ت٢٧٠هـ) ، وانظر « طبقات الصوفية » (ص١١٥ـ ١١٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٥١٠) .

(٥) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣١٨) .

وقالَ يوسُفُ بنُ الحسينِ (مَنْ رأىٰ لنفسِهِ مِلْكاً لا يصحُّ منهُ الإيثارُ ؛ لأنَّهُ يرىٰ نفسَهُ أحقَّ بالشيءِ برؤيةِ مِلْكِهِ ، إنَّما الإيثارُ ممَّنْ يرى الأشياءَ كلَّها للحقِّ ، فمَنْ وَصَلَ إليهِ فهوَ أحقُّ بهِ ، فإذا وَصَلَ شيءٌ مِنْ ذلكَ إليهِ . يرىٰ نَفْسَهُ ويدَهُ فيهِ يدَ أمانةٍ يُوصِلُها إلىٰ صاحبِها أو يُؤدِّيها إليهِ)(١)

وقالَ بعضُهُم : (حقيقةُ الإيثارِ أنْ تُؤثِرَ بحظِّ آخرتِكَ علىٰ إخوانِكَ ؛ فإنَّ الدنيا أقلُّ خَطَراً مِنْ أنْ يكونَ لإيثارِها محلٌّ أو ذِكْرٌ)(٢)

ومِنْ هٰذا المعنىٰ ما نُقِلَ أنَّ بعضَهُم رأىٰ أخاً لهُ ، فلم يُظهِرِ البِشْرَ الكثيرَ في وجهِهِ ، فأنكرَ أخوهُ ذلكَ منهُ ، فقالَ يا أخي ؛ سمعتُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ « إِذَا ٱلْتَقَى ٱلْمُسْلِمَانِ تَنْزِلُ عَلَيْهِمَا مِئَةُ رَحْمَةٍ ؛ تِسْعُونَ لِأَكْثَرِهِمَا بِشْراً ، وَعَشَرَةٌ لِأَقَلِّهِمَا بِشْراً »(٣) ، فأردتُ أنْ تكونَ أكثرَ بِشْراً منِّي ؛ ليكونَ لكَ الأكثرُ(٤)

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣١٩) ، ويوسف بن الحسين : هو الرازي ، من أصحاب ذي النون المصري وأبي تراب النخشبي رحمهم الله تعالىٰ (ت ٣٠٤هـ) ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص١٧٣) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣١٩) .

(٣) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٦٧٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/ ٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والبزار في « المسند » (٣٠٨) ، والدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (٨٥٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٦٩٢) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٣/ ٤٣٣ـ٤٣٤)

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٢٣ـ١٢٤) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٥٤٣ـ٥٤٤) ، والبعض : هو السَّرِي بن المُغلِّس السَّقَطي رحمه الله تعالىٰ

(٨٤) ـ أخبرَنا شيخُنا الشيخُ ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ رحمةُ اللهِ عليهِ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو حَفْصٍ عمرُ بنُ أحمدَ الصفَّارُ النَّيْسابُوريُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ خَلَفٍ الشِّيرازيُّ ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ أبا القاسمِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرِ بنَ أبي سَعْدانَ يقولُ : (مَنْ صَحِبَ الصُّوفيَّةَ فَلْيَصحَبْهُم بلا نَفْسٍ ولا قلبٍ ولا مِلْكٍ ، فمتىٰ نَظَرَ إلىٰ شيءٍ مِنْ أسبابِهِ . قطعَهُ ذلكَ عن بُلُوغِ مَقْصِدِهِ)[1]

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ (الصُّوفيُّ مَنْ يرىٰ دمَهُ هَدْراً ، ومِلْكَهُ مُباحاً)[2]

وقالَ رُوَيمٌ : (التصوُّفُ مبنيٌّ علىٰ ثلاثِ خصالٍ التمسُّكُ بالفقرِ

---

(١) طبقات الصوفية (ص٤٢٠ـ٤٢١) ، وفي هامش (ج) : (لأنَّ محبَّتَهم تفيد وتثمر عند دخول الصفات النفسانيّة ؛ لأنَّهُم خرجوا من صفات النفي ، كما قال أبو عبد الله محمد بن الخفيف الشيرازيُّ : « البشريَّةُ من العارفين تفنىٰ ، ومن المريدين تخمد » ، فمَنْ صحبهم مع وجود النفس ربَّما يخالفهم ولا يوافقهم في أحوالهم وصفاتهم ، وحقيقةُ الصحبة مبنيّةٌ على الموافقة في جميع الأحوال وعند طرح الصفات القلبيَّة أيضاً ؛ لئلا يقابلهم بشيء من حاله وكماله ، بل يصاحبهم بالتواضع والتسليم والانقياد لأمرهم ، ورعايةِ الأدب في محاورتهم ومجالستهم ، ولا يضيف إلىٰ نفسه شيئاً ؛ فلا يقول : « نعلي » و« ثوبي » و« بيتي » ، بل يعرف أنَّ ماله عارية من الله تعالىٰ عنده ، والكل في التصرُّف سواء)

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨٨) ، وزاد الخركوشي : (ولم يَرَ الأشياء إلا من الله تعالىٰ ، وتسبيحُهُ الرحمة لجميع خلق الله)

والافتقارِ ، والتحقُّقُ بالبَذْلِ والإيثارِ ، وتَرْكُ التعرُّضِ والاختيارِ)[1]

وقيلَ لمَّا سُعِيَ بالصُّوفيّةِ ، وتميَّزَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ بالفقهِ ، وقُبِضَ على الشَّحّامِ والرَّقّامِ والنُّوريِّ[2] ، وبُسِطَ النِّطْعُ لضربِ رقابِهِم. تقدَّمَ النُّوريُّ ، فقيلَ لهُ : إلىٰ ماذا تُبادِرُ ؟! فقالَ أُوثِرُ إخواني بفضلِ حياةِ ساعةٍ[3]

---

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص٥٨٦ـ٥٨٧) ، وفي هامش (ج) : (قيل : نهاية الفقر بداية التصوُّف ، والفرق بين الفقر والافتقار : أنَّ الفقر فناء الأشياء في نظر الفقير ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن : ٢٦] ، و﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] ؛ بمعنىٰ : أنَّ وجود الأشياء وبقاءَهُم ليس بأنفسهم ، بل بالله تعالىٰ وجود كل شيء ، وبقاؤه بذلك الشيء ، والافتقارَ : الاحتياج إلىٰ إيجاد الموجد ، والقيام بالقيُّوم الأزلي الأبدي) .

(٢) الرَّقّام : نسبة إلىٰ رَقْم الثياب ؛ وهو توشيتها وتزيينها وتعليمها

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٠) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ٣٤١) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٥٣٧) ، وباقي القصَّة كما في المصادر السابقة ـ واللفظ لـ « الرسالة » ـ : فتحيَّر السيَّاف ، وأنهى الخبرَ إلى الخليفة ، فردَّهُم إلى القاضي ليتعرَّف حالهم ، فألقى القاضي علىٰ أبي الحسين النُّوريِّ مسائلَ فقهية ، فأجاب عن الكل ، ثمَّ أخذ يقول وبعدُ ؛ فإن لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله ، وإذا نطقوا نطقوا بالله ، وسَرَدَ ألفاظاً أبكى القاضي ، فأرسل القاضي إلى الخليفة وقال : إن كان هـٰؤلاء زنادقةً فما علىٰ وجه الأرض مسلم .

والتهمةُ التي وُجِّهتْ إليهم هي تهمة الحلول والإباحة ، وكان القاضي حينَها الإمامَ الحافظَ أبا إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدي البصري قاضي بغداد ، والساعي بهم هو أحمد بن محمد بن غالب الباهلي المعروف بـ (غلام خليل) ، وكانت والدةُ المُوفَّق ورجال الدولة والعوام يميلون إلىٰ غلام خليل لزهده وتقشُّفه ، فأمرت المحتسب أن يطيعه في سعايته ، فطُلب القوم وبُثَّ الأعوان في طلبهم ، وكانوا نيِّفاً وسبعين نَفْساً ، ومنهم مَنْ ذكره المؤلف بالإضافة إلى الإمام الجليل الصوفي أبو محمد رُويم ، وهـٰذه الواقعة هي المشهورة بفتنة الصوفية ، وكانت في حدود سنة (٢٦٤هـ)، وانظر « تاريخ=

وقيلَ : دَخَلَ الرُّوذْباريُّ دارَ بعضِ أصحابِهِ ، فوجدَهُ غائباً وبابُ بيتِهِ مُغلَقٌ ، فقالَ : صُوفيٌّ ولهُ بابٌ مُغلَقٌ ؟! اكسِرُوا البابَ ، فكسَرُوا وأَمَرَ بجميعِ ما وجدوا في البيتِ أنْ ينفذوهُ إلى السُّوقِ ، واتَّخذُوا وقتاً مِنَ الثمنِ[1] ، وقعدوا في الدارِ ، فدخلَ صاحبُ المنزلِ ولم يَقُلْ شيئاً ، ودخلتِ امرأتُهُ الدارَ وعليها كِساءٌ ، فدخلَتْ بيتاً وَرَمَتْ بالكِساءِ وقالتْ : هـٰذا أيضاً مِنْ بقيَّةِ المتاعِ فبيعُوهُ ، فقالَ الزوجُ لها لِمَ تكلَّفتِ هـٰذا باختيارِكِ ؟ قالتِ : اسكُتْ ، مثلُ الشيخِ يُباسِطُنا ويحكمُ علينا ويبقىٰ لنا شيءٌ نَدَّخِرُهُ عنهُ ؟![2]

وقيلَ مَرِضَ قيسُ بنُ سعدٍ ، فاستبطأَ إخوانَهُ في عيادتِهِ ، فسألَ عنهُم ، فقالوا : إنَّهُم يستحيُونَ بما لَكَ عليهِم مِنَ الدَّينِ ، فقالَ : أَخْزى اللهُ مالاً يمنعُ الإخوانَ مِنَ الزيارةِ ، ثمَّ أَمَرَ مُنادياً يُنادي : مَنْ كانَ لقيسٍ عليهِ مالٌ فهوَ منهُ في حِلٍّ ، فكُسِرَتْ عَتَبَتُهُ بالعَشِيِّ لكثرةِ عُوَّادِهِ[3]

وقيلَ : أتىٰ رجلٌ صديقاً لهُ ، ودقَّ عليهِ البابَ ، فلمَّا خرجَ قالَ لماذا جئتَني ؟ قالَ : لأربعِ مئةِ درهمٍ دَينٍ عَلَيَّ ، فدخلَ الدارَ ووَزَنَ أربعَ مئةِ درهمٍ

= الإسلام » (٢٠/ ١٤ ، ٢٣/ ١٢١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٢٨٢_٢٨٥) ، و« مرآة الزمان » (١٦/ ٣٣١) .

(١) أي : قيمةً من الثمن . من هامش (ح) ، وفي (د) : (قوتاً)

(٢) رواه السلمي في « ذكر النساء المتعبدات الصوفية » (ص٩٨) ، ورواه القشيري عنه منقطعاً في « الرسالة » (ص٥٣٩_٥٤٠) ، والزوجة : هي فُسَيمة العابدة امرأة أبي يعقوب التِّنِّيسي ، صحبت الرُّوذْباري ومَنْ فوقه من المشايخ رحمها الله تعالىٰ ورضي عنها

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص٥٤٠) .

وأخرجَها إليهِ ، ودَخَلَ الدارَ باكياً ، فقالتِ امرأتُهُ : هلَّا تعلَّلْتَ حينَ شقَّ عليكَ الإجابةُ ؟ فقالَ إنَّما أبكي ؛ لأنِّي لم أتفقَّدْ حالَهُ حتى احتاجَ إلىٰ أنْ يُفاتِحَني بهِ[1]

(٨٥) ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ أخبرَنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ إمامُ جامعِ أَصْفَهانَ ، قالَ حدَّثَنا أبو عبدِ اللهِ الجُرْجانيُّ[2] ، قالَ : حدَّثَنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ المُحَمَّداباذيُّ[3] ، قالَ حدَّثَنا أبو البَخْتَريِّ[4] ، قالَ حدَّثَنا أبو أُسامةَ[5] ، قالَ : حدَّثَنا بُرَيدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي بُرْدةَ ، عن جدِّهِ أبي بُردةَ ، عن أبي موسى الأشعريِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي ٱلْغَزْوِ أو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ . جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ ٱقْتَسَمُوا فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِٱلسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ »[6]

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٥٤١) ، وأبو بكر الخوارزمي في « مفيد العلوم » (ص٣٥٦) .

(٢) هو مسند أصفهان الإمام الثقة محمد بن إبراهيم بن جعفر اليزدي (ت ٤٠٨هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٨٦) .

(٣) المُحمَّداباذي : نسبة إلىٰ (مُحمَّداباذ) ؛ قرية علىٰ باب نيسابور ، بينهما حوالي (٧ كم) .

(٤) هو الإمام المُحدِّث الثقة عبد الله بن محمد بن شاكر العنبري البغدادي المُقرئ (ت٢٧٠هـ)

(٥) هو الإمام الحافظ الثبت حماد بن أسامة القرشي الكوفي (ت ٢٠١هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩/ ٢٧٧) .

(٦) صفوة التصوف (٩٢٩) ، ورواه البخاري (٢٤٨٦) ، ومسلم (٢٥٠٠) ، وأرملوا : =

وحدَّثَ جابرٌ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّهُ أرادَ أنْ يغزوَ فقالَ : « يَا مَعْشَرَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ؛ إِنَّ مِنْ إِخْوَانِكُمْ قَوْماً لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ وَلَا عُدَّةٌ ، فَلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ ٱلرَّجُلَ وَٱلرَّجُلَيْنِ وَٱلثَّلَاثَةَ ، فَمَا لِأَحَدِكُمْ مِنْ ظَهْرِ جَمَلِهِ إِلَّا عُقْبَةٌ كَعُقْبَةِ أَحَدِهِمْ » ، قالَ : فضممتُ إليَّ اثنينِ أو ثلاثةً ، ما لي إلَّا عُقبةٌ كعُقْبةِ أحدِهِم مِنْ جملِهِ(١)

وروىٰ أنسٌ قالَ : لمَّا قَدِمَ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عوفٍ المدينةَ . آخى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بينَهُ وبينَ سعدِ بنِ الربيعِ ، فقالَ لهُ : أُقاسِمُكَ مالي نصفَينِ ، ولي امرأتانِ فأُطلِّقُ إحداهُما ، فإذا انقضتْ عِدَّتُها فتزوَّجْها ، فقالَ لهُ عبدُ الرحمـٰنِ : باركَ اللهُ لكَ في أهلِكَ ومالِكَ(٢)

فما حَمَلَ الصُّوفيَّ على الإيثارِ إلا طهارةُ نفسِهِ ، وشرفُ غَرِيزتِهِ ، وما جعلَهُ اللهُ تعالىٰ صُوفيّاً إلا بعدَ أنْ سوَّىٰ غَرِيزتَهُ لذلكَ .

وكلُّ مَنْ كانتْ غَرِيزتُهُ السخاءَ يُوشِكُ أنْ يصيرَ صُوفيّاً ؛ لأنَّ السخاءَ صفةُ الغَرِيزةِ ، وفي مقابلتِهِ الشُّحُّ ، والشُّحُّ مِنْ لوازمِ صفةِ النَّفْسِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

حَكَمَ بالفلاحِ لمَنْ يُوقى الشُّحَّ ، وحَكَمَ بالفلاحِ لمَنْ أنفقَ وبَذَلَ ؛

= فَنِيَ زادهم ، وأصلُهُ : من الرَّمْل ؛ كأنَّهم لصقوا بالرمل من القِلَّة ، كما قيل : تَرِبَ الرجلُ : إذا افتقر ؛ كأنَّهُ لَصِقَ بالتراب .

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٤) ، والحاكم (٢/ ٩٠) ، والعُقْبة : النَّوبة من الركوب ، سُمِّيت بذلك ؛ لأنَّ كلَّ واحد منهم يَعقُبُ صاحبه في الركوب .

(٢) رواه البخاري (٢٠٤٩) ، والترمذي (١٩٣٣) ، وأحمد (٣/ ١٩٠) ، واللفظ لهما

فقالَ ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٣ ، ٥] ، والفلاحُ أجمعُ اسمٍ لسعادة الدَّارَين

والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نبَّهَ بقولِهِ « ثَلاثٌ مُهلِكَاتٌ ، وثَلاثٌ مُنْجِيَاتٌ »[1] ، فجعلَ أحدَ المُهلِكاتِ شُحّاً مُطاعاً ، ولم يَقُلْ مُجرَّدُ الشُّحِّ يكونُ مُهلِكاً ، بل يكونُ مُهلِكاً إذا كانَ مُطاعاً ، فأمَّا كونُهُ موجوداً في النَّفْسِ غيرَ مُطاعٍ. فإنَّهُ لا يُنكَرُ ذلكَ ؛ لأنَّهُ مِنْ لوازمِ النَّفْسِ مُستمِدّاً مِنْ أصلِ جِبِلَّتِها التُّرابيِّ ، وفي التُّرابِ قبضٌ وإمساكٌ ، وليسَ ذلكَ بالعَجَبِ مِنَ الآدميِّ وهوَ جِبِلِّيٌّ فيهِ ، وإنَّما العَجَبُ وُجُودُ السَّخاءِ في الغَرِيزةِ ، وهوَ لنُفُوسِ الصُّوفيَّةِ الداعي لهُم إلى البَذْلِ والإيثارِ .

والسَّخاءُ أَتَمُّ وأكملُ مِنَ الجُودِ ؛ ففي مُقابَلةِ الجُودِ البُخلُ ، وفي مُقابَلةِ السخاءِ الشُّحُّ ، والجودُ والبُخْلُ يتطرَّقُ إليهِما الاكتسابُ بطريقِ العادةِ ، بخلافِ الشُّحِّ والسَّخاءِ ؛ إذ كانا مِنْ ضرورةِ الغَرِيزةِ ؛ فكلُّ سَخِيٍّ جَوَادٌ ، وليسَ كلُّ جَوَادٍ سَخِيّاً

والحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ لا يُوصَفُ بالسَّخاءِ ؛ لأنَّ السخاءَ مِنْ نتيجةِ الغرائزِ ، واللهُ تعالىٰ مُنزَّهٌ عنِ الغَرِيزةِ

---

(١) رواه الدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (٨٤٧) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٤٥٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٤٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٣١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، والحديث بتمامه « ثلاثٌ مُهلِكاتٌ شُحٌّ مُطاعٌ ، وهوىً مُتَّبعٌ ، وإعجابُ المرءِ بنفسِهِ مِنَ الخُيَلاءِ ، وثلاثٌ مُنجِياتٌ العدلُ في الرِّضا والغضبِ ، والقصدُ في الغنىٰ والفاقةِ ، ومخافةُ اللهِ في السِّرِّ والعلانيةِ » ، وسيأتي في (٢/ ٨٧) مسنداً من حديث سيدنا أبي هريرةَ رضي الله عنه

والجودُ يتطرَّقُ إليهِ الرِّياءُ ، ويأتي بهِ الإنسانُ مُتطلِّعاً إلىٰ عِوَضٍ مِنَ الخَلْقِ أوِ الحقِّ بمُقابَلَةٍ ما ؛ مِنَ الثناءِ وغيرِهِ مِنَ الخَلْقِ ، والثوابِ مِنَ اللهِ تعالىٰ .

والسَّخاءُ لا يتطرَّقُ إليهِ الرِّياءُ ؛ لأنَّهُ يَنبُعُ مِنَ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ المُرتفِعةِ عنِ الأعواضِ دُنْيا وآخرةً[1] ؛ لأنَّ طَلَبَ العِوَضِ مُشعِرٌ بالبُخْلِ ؛ لكونِهِ معلولاً بطلبِ العِوَضِ ، فما تَمَحَّضَ سخاءً ، فالسخاءُ لأهلِ الصفاءِ ، والإيثارُ لأهلِ الأنوارِ .

ويجوزُ أنْ يكونَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٩] أنَّهُ نفىٰ في الآيةِ الإطعامَ لطلبِ الأعْواضِ ؛ حيثُ قالَ : ﴿ لَا نُرِيدُ ﴾ ، بعدَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ ، فما كانَ للهِ لا يُشعِرُ بطلبِ العِوَضِ ، بلِ الغَريزةُ لطهارتِها تنجذبُ إلىٰ مُرادِ الحقِّ لا لعِوَضٍ ، وذلكَ أكملُ السخاءِ مِنْ أَطْهرِ الغرائزِ[2]

رَوَتْ أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالتْ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ليسَ لي مِنْ شيءٍ إلَّا ما أَدْخَلَ عليَّ الزُّبيرُ ، أفأُعْطِي ؟ قالَ : « نَعَمْ ، لَا تُوكِي فَيُوكِيَ ٱللهُ عَلَيْكِ »[3]

---

(١) في نسخة علىٰ هامش (هـ) : (وأُخْرىٰ) .

(٢) السخاء ذاتيٌّ غريزيٌّ ؛ أي : خاصِّيَّة وضعها الله تعالىٰ في النفس الزَّكيَّة ، ولا يدخل فيه الرياء ، والجود ليس غريزيّاً ذاتيّاً ، بل صفة ملكيَّة ، وللرياء والتصرُّف والعجب فيه مدخلٌ . من هامش (ج) .

(٣) رواه البخاري (١٤٣٤) ، ومسلم (١٠٢٩) ، وفيهما : (لا تُوعي فيُوعِيَ اللهُ عليك) ؛ أي : لا تجمعي في الوعاء وتبخلي بالنفقة فتُجازَي بمثل ذلك ، والمثبت =

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : التجاوزُ والعَفْوُ ، ومُقابَلةُ السَّيِّئةِ بالحَسَنَةِ

قالَ سُفْيانُ : (الإحسانُ أنْ تُحسِنَ إلىٰ مَنْ أساءَ إليكَ ؛ فإنَّ الإحسانَ إلى المُحسِنِ متاجرةٌ ؛ كنَقْدِ السُّوقِ ؛ خُذْ شيئاً وهاتِ شيئاً)(١)

وقالَ الحسنُ (الإحسانُ أنْ تَعُمَّ ولا تَخُصَّ ؛ كالشمسِ والرِّيحِ والغَيْثِ)(٢)

وروىٰ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « رَأَيْتُ قُصُوراً مُشْرِفَةً عَلَى ٱلْجَنَّةِ ، فَقُلْتُ يَا جِبْرَائِيلُ ؛ لِمَنْ هَـٰذِهِ ؟ قَالَ لِلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ، وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ »(٣)

وروىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ معَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في مجلسٍ ، فجاءَ رجلٌ فوَقَعَ في أبي بكرٍ وهوَ ساكتٌ ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتبسَّمُ ، ثمَّ رَدَّ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ

= رواية أبي داود (١٦٩٩) ، والترمذي (١٩٦٠) ، وغيرهما ، والإيكاء شدُّ رأس الوِعاء بالوِكاء ؛ وهو الرِّباط الذي يُربَط به ؛ أي لا تُمسكي المالَ وتُوكي عليه في الوعاء بأن تَشُدِّي رأسه فيُمسِكَ اللهُ عنك فضلَهُ كما أمسكتِ فضل ما أعطاك ، وفي هامش (ب) : (بلغ السماع لهم في الثامن والعشرين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) ، وفي هامشه أيضاً (بلغ بقراءة كاتبه عبد السلام على الشيخ الحافظ جلال الدين)

(١) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٩/ ٢٦٨) ، وسفيان : هو الثوري رحمه الله تعالىٰ

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٩/ ٢٦٨) ، والحسن : هو البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٩/ ٢٦٩-٢٧٠) ، والديلمي في « الفردوس » (٣١٨٧)

عليهِ بعضَ ما قالَ ، فغَضِبَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقامَ

فلَحِقَهُ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ شَتَمَني وأنتَ تتبسَّمُ ، ثمَّ رددتُ عليهِ بعضَ ما قالَ فغَضِبتَ وقُمتَ !! فقالَ : « إِنَّكَ حَيْثُ كُنْتَ سَاكِتاً كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا تَكَلَّمْتَ وَقَعَ ٱلشَّيْطَانُ ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ فِي مَقْعَدٍ فِيهِ ٱلشَّيْطَانُ ، يَا أَبَا بَكْرٍ ؛ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ : ٱذْكُرْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ يُظْلَمُ بِمَظْلَمَةٍ فَيَعْفُوَ عَنْهَا إِلَّا أَعَزَّ ٱللهُ تَعَالَىٰ نَصْرَهُ ، وَلَيْسَ عَبْدٌ يَفْتَحُ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلَّا زَادَهُ ٱللهُ قِلَّةً ، وَلَيْسَ عَبْدٌ يَفْتَحُ بَاباً يُرِيدُ بِهِ عَطِيَّةً أَوْ صِلَةً يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ ٱللهِ إِلَّا زَادَهُ ٱللهُ بِهَا كَثْرَةً »[١]

(٨٦) ـ أخبرَنا ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا الكَرُوخيُّ ، قالَ : أخبرَنا التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا المَحْبُوبيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو عيسى التِّرمذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو هشامٍ الرِّفاعيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ فُضيلٍ ، عنِ الوليدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ جُمَيعٍ ، عن أبي الطُّفَيلِ ، عن حُذيفةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً ؛ تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ ٱلنَّاسُ أَحْسَنَّا ، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا ، وَلَـٰكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ ؛ إِنْ أَحْسَنَ ٱلنَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاؤُوا فَلَا تَظْلِمُوا »[٢]

---

(١) رواه أحمد (٢/٤٣٦) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٢٣٩) ، وروراه إلىٰ قوله : (في مقعد فيه الشيطان) أبو داود (٤٨٩٧) ، والبزار في « مسنده » (٨٤٩٥) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٤٠ـ٤٤١) .

(٢) سنن الترمذي (٢٠٠٧) ، ورواه البزار في « مسنده » (٢٨٠٢) ، والسند إلى الترمذي سبق مراراً ، والإمَّعَة : الرجل الذي لا رأي له ولا عزم ؛ فهو يتابع كلَّ أحد علىٰ رأيه ، =

وقالَ بعضُ الصحابةِ يا رسولَ اللهِ ؛ الرجلُ أَمُرُّ بهِ فلا يُقْرِيني ولا يُضِيفُني ، فيَمُرُّ بي أفأَجْزِيهِ ؟ قالَ : « لَا ، أَقْرِه »[1]

وقالَ الفُضَيلُ : (الفُتُوَّةُ : الصفحُ عن عَثَراتِ الإخوانِ)[2]

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيْسَ ٱلْوَاصِلُ بِٱلْمُكَافِئِ ، وَلَـٰكِنِ ٱلْوَاصِلُ ٱلَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا »[3]

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ « مِنْ مَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ : أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ »[4]

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : البِشْرُ ، وطلاقةُ الوجهِ .

الصُّوفيُّ بكاؤُهُ في خَلْوتِهِ ، وبِشْرُهُ وطلاقةُ وجهِهِ معَ الناسِ ، فالبِشْرُ على وجهِهِ مِنْ آثارِ أنوارِ قلبِهِ

وقد يُنازِلُ باطنَ الصُّوفيِّ مُنازلاتٌ إلـٰهيَّةٌ ، ومواهبُ قُدْسيَّةٌ ، يرتوي منها

= ولا يثبت على شيء ، والتاء للمبالغة

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٦) ، وأحمد (٤/١٣٧) عن سيدنا مالك بن نضلة الجُشَمي رضي الله عنه .

(٢) رواه السلمي في « آداب الصحبة » (١٥) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص٥٠٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٤٣٠) .

(٣) رواه البخاري (٥٩٩١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وفي النسخ ما عدا (ج) : (المكافئ) بدل (بالمكافئ)

(٤) رواه أحمد (٤/١٤٨) ، والحاكم (٤/١٦١ـ ١٦٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٧/ ٢٦٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٥٨٧) عن سيدنا عقبة بن عامر الجُهَني رضي الله عنه

القلبُ ، ويَمتلِئُ فَرَحاً وسروراً ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس : ٥٨]

والسُّرُورُ إذا تمكَّنَ مِنَ القلبِ فاضَ على الوجه آثارُهُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ ؛ أي : مُضِيئةٌ مُشرِقةٌ ، و﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس : ٣٨-٣٩] ؛ أي : فرحةٌ ، قيلَ : أشرقتْ مِنْ طُولِ ما اغبرَّتْ في سبيلِ اللهِ .

ومثالُ فَيْضِ النُّورِ على الوجهِ مِنَ القلبِ : كفَيَضَانِ نُورِ السِّراجِ على الزُّجاجِ والمِشْكاةِ ؛ فالوجهُ مِشْكاةٌ ، والقلبُ زُجاجٌ ، والرُّوحُ مصباحٌ ، فإذا تنعَّمَ القلبُ بلذيذِ المُسامرةِ . . ظَهَرَ البِشْرُ على الوجهِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين : ٢٤] ؛ أي : غَضارتَهُ وبَرِيقَهُ ؛ يُقالُ : أَنْضَرَ النباتُ : إذا أَزْهَرَ ونوَّر ؛ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فلمَّا نَظَرَتْ نَضَرَتْ

فأربابُ المُشاهَدةِ مِنَ الصُّوفيَّةِ تنوَّرتْ بصائرُهُم بنورِ المُشاهَدةِ ، وانصقلتْ مَرَائي قلوبِهِم ، وانعكسَ فيها نورُ الجمالِ الأزليُّ ، فإذا أشرقتِ الشمسُ على المِرْآةِ المَصْقُولةِ . . استنارتِ الجُدْرانُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وإذا تأثَّرَ الوجهُ بسجودِ الظِّلالِ ـ وهيَ القوالبُ في قولِ اللهِ تعالىٰ ﴿وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ [الرعد : ١٥] ـ . . كيفَ لا يتأثَّرُ بشهودِ الجمالِ ؟!

(٨٧) ـ أخبرَنا ضِياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ أخبرَنا الكَرُوخيُّ ، قالَ : أخبرَنا التِّرْياقيُّ ، قالَ أخبرَنا الجَرَّاحيُّ ، قالَ أخبرَنا المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا قُتيبةُ ، قالَ

حدَّثَنا المُنكدِرُ بنُ محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ ، عن أبيهِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ »(١)

وقالَ سعيدُ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ الزُّبَيديُّ (يُعجِبُني مِنَ القُرَّاءِ كلُّ سهلٍ طَلْقٍ مِضْحاكٍ ، فأمَّا مَنْ تلقاهُ بالبِشْرِ ويلقاكَ بالعُبُوسِ كأنَّهُ يَمُنُّ عليكَ . . فلا أكثرَ اللهُ في القُرَّاءِ مثلَهُ)(٢)

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّة : السُّهُولةُ ، ولِينُ الجانبِ ، والنُّزُولُ معَ الناسِ إلىٰ أخلاقِهِم وطِباعِهِم ، وتركُ التعسُّفِ والتكلُّفِ ؛ فقد رُوِيَ في ذلكَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحاديثُ ، وأخلاقُ الصُّوفيَّةِ تُحاكي أخلاقَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وكانَ يقولُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ « أَمَا إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقّاً »(٣)

---

(١) سنن الترمذي (١٩٧٠) ، ورواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٠٤) ، وأحمد (٣/ ٣٦٠) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٤٤ـ٤٤٥) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٦٧) ، و« اصطناع المعروف » (٣٢) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (٧٧١٠) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ٤٥٨) عن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالىٰ ، والزُّبَيدي : هو أبو شيبة الكوفي قاضي الري (ت ١٥٦هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٩/ ٤٠١) ، والمراد بالقرّاء العلماء

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٣٢٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/ ١٤٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله =

رُوِيَ أنَّ رجلاً يُقالُ لهُ : زاهرُ بنُ حِزَامٍ ـ ويُروىٰ بالراءِ غيرَ معجمةٍ ، وهو الأصحُّ ـ وكانَ بَدَوِيّاً ، وكانَ لا يأتي إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلَّا جاءَ بطُرْفةٍ يُهْدِيها إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[(١)]

فجاءَ يوماً مِنَ الأيَّامِ فوجدَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في سُوقِ المدينةِ يبيعُ سِلْعةً لهُ ، ولم يكنْ أتاهُ ذلكَ اليومَ ، فاحتضنَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ ورائِهِ بكفَّيهِ ، فالتفتَ فأَبْصَرَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقبَّلَ كفَّيهِ

فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ يَشْتَرِي ٱلْعَبْدَ ؟ » ، فقالَ إذاً تَجدَني كاسداً يا رسولَ اللهِ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَلَـٰكِنْ عِنْدَ ٱللهِ رَبِيحٌ » ، ثمَّ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « لِكُلِّ أَهْلِ حَضَرٍ بَادِيَةٌ ، وَبَادِيَةُ آلِ مُحَمَّدٍ زَاهِرُ بْنُ حِزَامٍ »[(٢)]

(٨٨) ـ وأخبرَنا أبو زُرْعةَ طاهرُ بنُ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، عن أبيهِ ، قالَ أخبرَنا المُطهَّرُ بنُ محمَّدٍ الفقيهُ[(٣)] ، قالَ أخبرَنا أبو الحسنِ[(٤)] ،

= عنه ، وفي (أ ، ز) : (جدّاً) بدل (حقّاً) .

(١) الطُّرْفة : الشيء الذي يُعطاه الرجلُ هديَّةً ممَّا لا يُباع مثله في بلده

(٢) رواه الترمذي في « الشمائل » (٢٤٠) ، وأحمد (٣/ ١٦١) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٣٤٥٦) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٤٣٢) واللفظ له ، عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) كذا في النسخ ، وفي « صفوة التصوف » (المفيد) بدل (الفقيه) ، واسمه فيها في عدة مواضع : (أبو الفتح المطهر بن محمَّد بن جعفر المفيد الأصبهاني)

(٤) هو الإمام الصوفي الزاهد القدوة شيخ الإسلام علي بن ماشَاذَهْ محمَّد بن أحمد بن مِيله الأصفهاني الفرضي (ت ٤١٤هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٩٧) .

قالَ أخبرَنا أبو عمرِو ابنُ حكيمٍ[1] ، قالَ أخبرَنا أبو أُميَّةَ[2] ، قالَ أخبرَنا عُبَيدُ بنُ إسحاقَ العطَّارُ ، قالَ : أخبرَنا سِنانُ بنُ هارونَ ، عن حُميدٍ، عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فقالَ يا رسولَ اللهِ ؛ احمِلْني علىٰ جَمَلٍ ، فقالَ « أَحْمِلُكَ عَلَى ٱبْنِ ٱلنَّاقَةِ » ، قالَ : أقولُ لكَ : احمِلْني علىٰ جَمَلٍ ، وتقولُ : أَحمِلُكَ على ابنِ الناقةِ ؟! فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَٱلْجَمَلُ ٱبْنُ ٱلنَّاقَةِ »[3] .

وروىٰ صُهَيبٌ قالَ : أَتَيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وبينَ يديهِ تمرٌ يأكلُ ، فقالَ : « أَصِبْ مِنْ هَـٰذَا ٱلطَّعَامِ » ، فجعلتُ آكُلُ مِنَ التمرِ ، فقالَ : « تَأْكُلُ مِنَ ٱلتَّمْرِ وَأَنْتَ رَمِدٌ ؟! » ، فقلتُ : إذاً أمضغَ مِنَ الجانبِ الآخَرِ ، فضَحِكَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[4]

وروىٰ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لهُ ذاتَ يومٍ : « يَا ذَا ٱلْأُذُنَيْنِ »[5]

---

(١) هو الإمام المُحدِّث الأديب الرحَّال أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن حكيم المَدِيني الأصفهاني (ت ٣٣٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٣٠٦)

(٢) هو الإمام الحافظ المُجوِّد الرحَّال محمَّد بن إبراهيم بن مسلم البغدادي الطَّرَسُوسي (ت ٢٧٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٩١) .

(٣) صفوة التصوف (٤٣٣) ، ورواه أبو داود (٤٩٩٨) ، والترمذي (١٩٩١) ، وأحمد (٣/ ٢٦٧) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٤٧) .

(٤) رواه ابن ماجه (٣٤٤٣) ، والحاكم (٤/ ٤١١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٤١) ، وقوله : (من الجانب الآخر) ؛ أي : من الشق الآخر للعين السليمة ، قاله ممازحاً أيضاً رضي الله عنه .

(٥) رواه أبو داود (٥٠٠٢) ، والترمذي (١٩٩٢) ، وأحمد (٣/ ١١٧) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٤٢٠)

وسُئِلتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : كيفَ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا خلا في البيتِ ؟ قالتْ : كانَ أَلْيَنَ الناسِ ، بسَّاماً ضحَّاكاً[(١)]

ورَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سابقَها فسبقَتْهُ ، ثمَّ سابقَها بعدَ ذلكَ فسبقَها ، فقالَ : « هَـٰذِهِ بِتِلْكَ »[(٢)]

(٨٩) ـ وأخبرَنا الشيخُ العالِمُ ضِياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى الحافظُ التِّرمذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ الوضَّاحِ الكوفيُّ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ إدريسَ ، عن شُعْبَةَ ، عن أبي التَّيَّاحِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : إنْ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لَيُخالِطُنا ؛ حتىٰ إنْ كانَ يقولُ لأخٍ لي صغيرٍ « يَا أَبَا عُمَيرٍ ؛ مَا فَعَلَ ٱلنُّغَيْرُ ؟ »[(٣)] ،

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في « مسنده » (١٠٠١) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٦٥) ، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي وآدابه » (٢٣) .

(٢) رواه أبو داود (٢٥٧٨) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٨٩٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١٧) .

(٣) سنن الترمذي (١٩٨٩) ، ورواه البخاري (٦١٢٩) ، ومسلم (٢١٥٠) ، وقال الإمام النووي في « شرح مسلم » (١٤/ ١٢٩) : (وفي هـٰذا الحديث فوائدُ كثيرةٌ جدّاً ؛ منها : جوازُ تكنيةِ مَنْ لم يُولَدْ له ، وتكنيةِ الطفل وأنَّهُ ليس كذباً ، وجوازُ المزاح فيما ليس إثماً ، وجوازُ تصغير بعض المُسمَّيات ، وجوازُ لعب الصبيِّ بالعصفور ، وتمكينِ الوليِّ إيَّاه مِنْ ذلك ، وجوازُ السَّجْع بالكلام الحسن بلا كُلْفةٍ ، وملاطفةِ الصبيان وتأنيسِهِم ، وبيانُ ما كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم عليه من حسن الخُلُق وكرم الشمائل ، والتواضع وزيارةِ الأهل ؛ لأنَّ أمَّ سُلَيم والدةَ أبي عُمَير هي مِنْ محارمه صلَّى الله عليه وسلَّم)

والنُّغَيرُ عُصْفُورٌ صغيرٌ

ورُوِيَ أنَّ عمرَ سابقَ زُبيراً رضيَ اللهُ عنهُما ، فسبقَهُ الزُّبيرُ ، فقالَ سبقْتُكَ وربِّ الكعبةِ ، ثمَّ سابقَهُ مرَّةً أُخْرىٰ ، فسبقَهُ عمرُ ، فقالَ عمرُ سبقْتُكَ وربِّ الكعبةِ[(١)]

وروىٰ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ قالَ لي عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : تعالَ أُنافِسْكَ في الماءِ أيُّنا أَطْولُ نَفَساً ، ونحنُ مُحرِمُونَ[(٢)]

وروىٰ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ قالَ (كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتبادحُونَ بالبِطِّيخِ ، فإذا كانتِ الحقائقُ كانوا همُ الرِّجالَ)[(٣)] ، يُقال بَدَحَ يَبدَحُ : إذا رمىٰ ؛ أي : يترامَونَ بالبِطِّيخِ

(٩٠) ـ وأخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ قالَ أخبرَنا [أحمدُ بنُ الحسنِ الكَرَجيُّ][(٤)] ، قالَ حدَّثَنا أبو طالبٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ[(٥)] ،

---

(١) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٠٦٨١) إلى المحاملي ، ورواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٤٣٩)

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٣٠٠٣) ، والشافعي في « الأم » (٣/ ٣٦٢)

(٣) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٦٦) ، وبكر بن عبد الله : هو الإمام القدوة الحُجَّة الواعظ التابعي الجليل أبو عبد الله المزني البصري (ت ١٠٨هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٥٣٢)

(٤) هو الإمام المُحدِّث أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد الكَرَجي الباقلاني البغدادي (ت ٤٨٩ هـ) ، وفي النسخ (الحسن بن أحمد الكرخي) ، والمثبت من « صفوة التصوف » (٤٤٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٩/ ١٤٤)

(٥) هو الإمام المعمَّر المُسند أبو طالب ابن غيلان ، ممَّن سمع علىٰ أبي بكر الشافعي البزاز ، فروىٰ عنه أجزاء كثيرة لُقِّبت بـ « الغيلانيات » .

قالَ حدَّثَنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ[(١)] ، قالَ : حدَّثَني إسحاقُ الحَرْبيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو سلمةَ[(٢)] ، قالَ : حدَّثَنا حمَّادُ بنُ خالدٍ ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ عمرِو بنِ عَلْقَمةَ أبو الحسنِ ابنُ مِحْصَنٍ اللَّيثيُّ[(٣)] ، عن يحيى بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ حاطبِ بنِ أبي بَلْتَعةَ قالَ إنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ أَتَيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بخَزيرةٍ طبختُها لهُ[(٤)] ، فقُلتُ لسَوْدةَ والنبيُّ عليهِ السلامُ بيني وبينَها : كُلِي ، فأَبَتْ ، فقلتُ لها : كُلِي ، فأبتْ ، فقلتُ : لتَأكُلِنَّ أو لَأَلْطَخَنَّ بها وَجْهَكِ ، فأَبَتْ ، فوضعتُ يدي في الخَزيرةِ فلَطَختُ بها وَجْهَها ، فضَحِكَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فوَضَعَ فَخِذَهُ لها وقالَ لسَوْدةَ : « ٱلْطَخِي وَجْهَهَا » ، فلَطَخَتْ بها وجهي ، فضَحِكَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أيضاً .

فمرَّ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ على البابِ فنادىٰ : يا عبدَ اللهِ ، يا عبدَ اللهِ ، فظَنَّ النبيُّ أنَّهُ سيدخلُ ، فقالَ : « قُومَا فَٱغْسِلَا وَجْهَيْكُمَا » ، قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها فما زِلْتُ أهابُ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُ لهَيْبَةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إيَّاهُ[(٥)]

---

(١) هو الإمام المُحدِّث المتقن مسند العراق أبو بكر الشافعي البغدادي البزَّاز صاحب « الغيلانيات »

(٢) هو الإمام الحافظ أبو سلمة موسى بن إسماعيل التَّبُوذكي البصري (ت ٢٢٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٠/ ٣٦٠) .

(٣) زاد في النسخ بعد (علقمة) : (قال : حدثنا) ، والمثبت من « صفوة التصوف » .

(٤) سبق شرح (الخزيرة) في (١/ ٤٢٢)

(٥) صفوة التصوف (٤٤٧) ، الغيلانيات (١٢١) ، ورواه من طريق أبي طالب ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٩٠)

ووَصَفَ بعضُهُمُ ابنَ طاوسٍ فقالَ : (كانَ معَ الصبيِّ صبياً ، ومعَ الكَهْلِ كَهْلاً ، وكانَ فيهِ مُزاحةٌ إذا خلا)[1]

وروىٰ مُعاوِيةُ بنُ عبدِ الكريمِ قالَ (كُنَّا نتذاكرُ الشِّعْرَ عندَ محمَّدِ بنِ سيرينَ ، وكانَ يقولُ ونمزحُ عندَهُ ويُمازِحُنا ، وكُنَّا نخرجُ مِنْ عندِهِ ونحنُ نضحكُ ، وكُنَّا إذا دَخَلْنا على الحسنِ نخرجُ مِنْ عندِهِ ونحنُ نكادُ نبكي)[2]

فهٰذهِ الأخبارُ والآثارُ دالَّةٌ علىٰ حُسْنِ لِينِ الجانبِ ، وصِحَّةِ حالِ الصُّوفيَّةِ ، وحُسْنِ أخلاقِهِم فيما يعتمدونَهُ مِنَ المُداعبةِ في الرُّبُطِ ، وينزلونَ معَ الناسِ علىٰ حَسَبِ طِباعِهِم ؛ لنَظَرِهِم إلىٰ سَعَةِ رحمةِ اللهِ تعالىٰ ، فإذا خَلَوْا وقفوا مَوقِفَ الرجالِ ، واكتسَوا ملابسَ الأعمالِ والأحوالِ .

ولا يقفُ في هٰذا المعنىٰ علىٰ حَدِّ الاعتدالِ إلا صُوفيٌّ قاهرٌ للنَّفْسِ ، عالمٌ بأخلاقِها وطِباعِها ، سائسٌ لها بوُفُورِ العِلْمِ ، حتىٰ يقفَ في ذلكَ علىٰ صِراطِ الاعتدالِ بينَ الإفراطِ والتفريطِ .

ولا يصلُحُ الإكثارُ مِنْ ذلكَ للمُريدينَ المُبتدِئينَ ؛ لقِلَّةِ عِلْمِهِم ومعرفتِهِم بالنَّفْسِ ، وتَعَدِّيهِم حَدَّ الاعتدالِ ؛ فللنَّفْسِ في هٰذهِ المواطنِ نَهَضاتٌ ووَثَباتٌ تَجُرُّ إلى الإفسادِ ، وتَجْنَحُ إلى العِنادِ .

فالنُّزُولُ إلىٰ طِباعِ الناسِ يَحسُنُ بمَنْ صَعِدَ عنهُم ، وترقَّىٰ لعُلُوِّ حالِهِ ومقامِهِ ، فينزلُ إليهِم وإلىٰ طِباعِهِم حينَ ينزلُ بالعلمِ .

---

(١) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٤٤٨)

(٢) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٤٥٠)

فأمَّا مَنْ لم يصعَدْ بصفاءِ حالِهِ عنهُم ، وفيهِ بَقِيَّةُ مَزْجٍ مِنْ طِباعِهِم ونُفُوسِهِمُ الجامحةِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ . . إذا دَخَلَ في هٰذهِ المداخلِ أخذتِ النَّفْسُ حظَّها ، واغتنمتْ مآربَها ، واستروحَتْ إلى الرُّخْصةِ ، والنُّزُولُ إلى الرُّخْصةِ يَحسُنُ لمَنْ رَكِبَ العزيمةَ غالبَ أوقاتِهِ ، وليسَ ذلكَ شأنَ المُبتدئِ .

فللصُّوفيَّةِ العلماءِ فيما ذَكَرْناهُ ترويحٌ يعلمونَ حاجةَ القلبِ إلىٰ ذلكَ ، والشيءُ إذا وُضِعَ للحاجةِ يتقدَّرُ بقَدْرِ الحاجةِ ، ومِعْيارُ مقدارِ الحاجةِ في ذلكَ علمٌ غامضٌ لا يسلمُ لكلِّ أحدٍ .

قالَ سعيدُ بنُ العاصِ لابنِهِ : (اقتصدْ في مُزاحِكَ ؛ فالإفراطُ فيهِ يُذهِبُ البهاءَ ، ويُجرِّئُ عليكَ السُّفهاءَ ، وتركُهُ يَغِيظُ المُؤانِسينَ ، ويُوحِشُ المُخالِطينَ)[1]

وقالَ بعضُهُمْ : (المُزاحُ مَسْلَبةٌ للبهاءِ ، مَقْطَعةٌ للإخاءِ)[2]

---

(١) أورده الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص٥٠٣) ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (١/٣٤٦) ، وفي « أدب الدين والدنيا » : (يقصي عنك) بدل (يغيظ) ، وفي « المحاضرات » : (يقبض) ، وفي ذلك يقول السابوري في « منظومته » : (من الرجز)

شـرُّ مُـزاحِ المـرءِ لا يُقـالُ ... وخيـرُهُ يـا صـاحِ لا يُنـالُ
وقـد يُقـالُ كثـرةُ المُـزاحِ ... مِنَ الفتىٰ تدعو إلى التَّلاحِي
إنَّ المُـزاحَ بَـدْؤُهُ حَـلاَوهْ ... لٰكنَّمـا آخِـرُهُ عَـدَاوهْ
يَحقِـدُ منـهُ الـرجـلُ الشـريـفُ ... ويَجْتـرِي بسُخْفِـهِ السخيـفُ

انظر « أدب الدين والدنيا » (ص٥٠٢) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٤٠١) عن الحسين بن عبد الرحمٰن ، وأورده =

وكما يَصعُبُ معرفةُ الاعتدالِ في ذلكَ . . يَصعُبُ معرفةُ الاعتدالِ في الضحكِ ، والضحكُ مِنْ خصائصِ الإنسانِ ، ويُميِّزُهُ عن جنسِ الحيوانِ ، ولا يكونُ الضحكُ إلا عن سابقةِ تَعجُّبٍ ، والتعجُّبُ يستدعي الفِكْرَ ، والفِكْرُ شرفُ الإنسانِ وخاصِّيَّتُهُ

ومعرفةُ الاعتدالِ فيهِ أيضاً شأنُ مَنْ ترسَّخَ قدمُهُ في العلمِ ؛ ولهـٰذا قيلَ : (إيَّاكَ وكثرةَ الضحكِ ؛ فإنَّهُ يُميتُ القلبَ)[1]

وقيلَ : كثرةُ الضحكِ مِنَ الرُّعُونةِ[2]

ورُوِيَ عن عيسىٰ عليهِ السلامُ أنَّهُ قالَ (إنَّ اللهَ تعالىٰ يُبغِضُ الضَّحَّاكَ مِنْ غيرِ عَجَبٍ ، والمَشَّاءَ في غيرِ أَرَبٍ)[3]

وذُكِرَ فرقٌ بينَ المُداعَبةِ والمُزاحِ ؛ فقيلَ المُداعَبةُ : ما لا يُغضِبُ جِدُّهُ ، والمُزاحُ : ما يُغضِبُ جِدُّهُ

وقد جَعَلَ أبو حنيفةَ رحمَهُ اللهُ القهقهةَ في الصلاةِ مِنَ الذنبِ ، وحَكَمَ ببُطْلانِ الوضوءِ بهِ ، وقالَ : نُقيمُ الإثمَ مُقامَ خروجِ الخارجِ[4]

= ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٧٨) من كلام أبي حاتم رحمه الله تعالىٰ

(١) رواه مرفوعاً ابن حبان (٣٦١) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٥٩٢) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه ، وابن ماجه (٤١٩٣) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (١٠٥٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص٢٠٢) ، وعزاه في « محاضرات الأدباء » (١/ ٣٤٧) إلىٰ سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص٢٠٢) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٦٧) عن كعب الأحبار رحمه الله تعالىٰ

(٤) والقهقهة : ما يكون مسموعاً للمُصلِّي وجارِهِ ، وهو يفسد الوضوء والصلاة جميعاً =

فالاعتدالُ في المُزاحِ والضحكِ لا يتأتّىٰ إلا إذا خَلَصَ وخَرَجَ مِنْ مَضيقِ الخوفِ والقَبْضِ والهَيْبَةِ ؛ فإنَّهُ يتقوَّمُ بكلِّ مَضيقٍ مِنْ هـٰذهِ المضايقِ بعضَ التقويمِ ، فيعتدلُ الحالُ فيهِ ويستقيمُ ؛ فالبسطُ والرجاءُ يُنْشِئانِهِ ، والخوفُ والقبضُ يحكمانِ بالعدلِ فيهِ

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : تركُ التكلُّفِ .

وذلكَ أنَّ التكلُّفَ تَصَنُّعٌ وتَعَمُّلٌ وتمايلٌ على النَّفْسِ لأجلِ الناسِ ، وذلكَ يُبايِنُ حالَ الصُّوفيَّةِ ، وفي بعضِهِ خَفِيٌّ مُنازَعةٍ للأقدارِ ، وعدمُ الرِّضا بما قَسَمَ الجبَّارُ

ويُقالُ : التصوُّفُ : تركُ التكلُّفِ[1]

ويُقالُ التكلُّفُ تخلُّفٌ[2] ، وهوَ تخلُّفٌ عن شَأْوِ الصادقينَ[3]

روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ (شَهِدْتُ وليمةً لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما فيها خُبْزٌ ولا لحمٌ)[4]

ورُوِيَ عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ أتاهُ ناسٌ مِنْ أصحابِهِ ، فأتاهُم بخُبزٍ

= عنده ، والضحك : ما يكون مسموعاً للمصلِّي ، وهو يفسد الصلاة فقط ، والمراد بالصلاة : ذات الركوع والسجود ، حتىٰ تخرجُ صلاة الجنازة وسجدة التلاوة . انظر « حاشية ابن عابدين » (١/ ٢٧٥ـ ٢٧٦) .

(١) أورده أبو منصور الثعالبي في « خاص الخاص » (ص٧٤) ، وعزاه إلى ابن السماك ، وأورده الحصري القيرواني في « زهر الآداب » (٣/ ٨٦٦) ، وسبق بنحوه (١/ ٢٥٤).

(٢) أورده ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » تحت رقم : (٦٧٠) .

(٣) الشَّأو : الغاية والسبق .

(٤) رواه البخاري (٤٢١٣) ، وكانت الوليمة بسبب بنائه بالسيدة صَفيَّة رضي الله عنها بين خيبر والمدينة .

وخَلٌّ وقالَ كُلُوا ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ « نِعْمَ ٱلْإِدَامُ ٱلْخَلُّ »(١)

وروىٰ شَقِيقُ بنُ سَلَمَةَ قالَ(٢) دخلتُ علىٰ سَلْمانَ الفارسيِّ ، فأخرجَ إليَّ خُبْزاً ومِلْحاً ، وقالَ : كُلْ ، لولا أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ سلَّمَ نهانا عنِ التكلُّفِ ؛ أنْ يتكلَّفَ أحدٌ لأحدٍ . . لتكلَّفْتُ لكُم(٣)

والتكلُّفُ مذمومٌ في جميعِ الأشياءِ ؛ كالتكلُّفِ في الملبوسِ للناسِ مِنْ غيرِ نيَّةٍ فيهِ ، والتكلُّفِ في الكلامِ ، وزيادةِ التملُّقِ الذي صارَ دَأْبَ أهلِ الزمانِ ، فما يكادُ يسلمُ مِنْ ذلكَ إلا آحادٌ وأفرادٌ

وكم مِنْ تَمَلُّقٍ لا يُعرَفُ أنَّهُ تَمَلُّقٌ ولا يُفطَنُ لهُ !! فقد يتملَّقُ الشخصُ إلىٰ حَدٍّ يُخرِجُهُ إلىٰ صريحِ النفاقِ ، وهوَ مُبايِنٌ لحالِ الصُّوفيِّ

(٩١) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ ضِياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ مَنِيعٍ ، قالَ حدَّثَنا يَزِيدُ بنُ هارونَ ، عن محمَّدِ بنِ مُطرِّفٍ ، عن حسَّانَ بنِ عَطِيَّةَ ، عن أبي أُمامَةَ ، عنِ

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٧١) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٠٦٦) ، ورواه من سياق آخر مسلم (٢٠٥٢/١٦٧) ، والدارمي (٢٢١٢) ، وروىٰ قولَ النبي صلى الله عليه وسلم فقط مسلمٌ (٢٠٥١)، والدارمي (٢٢١٣) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) هو أبو وائل كما سيأتي التصريح به في (١/ ٧٣)

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٤٠٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٦/ ٢٣٥) ، و« المعجم الأوسط » (٥٩٣٥)

النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱلْحَيَاءُ وَٱلْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ ٱلْإِيمَانِ ، وَٱلْبَذَاءُ وَٱلْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ ٱلنِّفَاقِ »[١]

البَذَاءُ الفُحْشُ ، وأرادَ بالبيانِ ها هنا : كثرةَ الكلامِ والتكلُّفَ للناسِ بزيادةِ تملُّقٍ وثناءٍ عليهِم ، وإظهارِ التفصُّحِ ، وذلكَ ليسَ مِنْ شأنِ أهلِ الصِّدْقِ والتصوُّفِ

وحُكِيَ عن أبي وائلٍ قالَ مَضَيْتُ معَ صاحبٍ لي نزورُ سَلْمانَ ، فقدَّمَ إلينا خُبْزَ شعيرٍ ومِلْحاً جَريشاً[٢] ، فقالَ صاحبي : لو كانَ في هـٰذا المِلْحِ سَعْترٌ كانَ أَطْيبَ ، فخَرَجَ سَلْمانُ ورَهَنَ مِطْهرتَهُ وأَخَذَ سَعْتراً ، فلمَّا أَكَلْنا قالَ صاحبي : الحمدُ للهِ الذي قَنَّعَنا بما رَزَقَنا ، فقالَ سَلْمانُ لو قَنِعتَ بما رزقَكَ لم تكنْ مِطْهَرَتي مرهونةً[٣]

وفي هـٰذا مِنْ سلمانَ تركُ التكلُّفِ قولاً وفعلاً

وفي حديثِ يونسَ النبيِّ عليهِ السلامُ أَنَّهُ زارهُ إخوانُهُ ، فقدَّمَ إليهِم كِسَراً مِنْ خُبْزِ شعيرٍ ، وجزَّ لهُم بَقْلاً كانَ يزرعُهُ ، ثمَّ قالَ لولا أنَّ اللهَ تعالىٰ لَعَنَ المُتكلِّفينَ لتكلَّفتُ لكُم[٤]

---

(١) سنن الترمذي (٢٠٢٧) ، ورواه أحمد (٥/ ٢٦٩) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٣٠٠) ، والحاكم (١/ ٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٣٠٧) ، وأراد بالعِيِّ : قلة الكلام تحرُّزاً عن الوقوع في الكذب والبهتان .

(٢) الجَرِيش : الغليظ الخَشِن .

(٣) رواه الحاكم (٤/ ١٢٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٦/ ٢٣٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٩١٥٣) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٣/ ١٤٣٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٤٦) .

وقالَ بعضُهُم : (إذا قُصِدتَ للزيارةِ فقَدِّمْ ما حَضَرَ ، وإذا استَزَرْتَ فلا تُبْقِ ولا تَذَرْ)(١)

وروىٰ زُبيرُ بنُ العوَّام قالَ : نادىٰ مُنادي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يوماً فقالَ « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ لِأَمْوَاتِ أُمَّتِي وَلَا يَتَكَلَّفُونَ ، أَلَا إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ ٱلتَّكَلُّفِ وَصَالِحُو أُمَّتِي »(٢)

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ قَرَأَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا * وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا * وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا * وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا * وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴾ [عبس : ٢٧-٣١] ، ثمَّ قالَ : هٰذا كلُّهُ قد عَرَفْناهُ ، فما الأَبُّ ؟ قالَ وبيدِ عُمَرَ عَصاً ، فضَرَبَ بها الأرضَ ثمَّ قالَ : هٰذا لَعَمْرُ اللهِ هوَ التكلُّفُ ، فخُذُوا أيُّها الناسُ ما بُيِّنَ لكُم منهُ ؛ فما عَرَفْتُمُ اعْمَلُوا بهِ ، وما لم تَعْرِفُوا فكِلُوا عِلْمَهُ إلى اللهِ تعالىٰ(٣)

---

(١) أورده أبو طالب المكي (٣/١٤٣٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٤٥) ، واستَزَرْتَ : طلبتَ من الناس أن يزوروك ، وفي « القوت » : (دعوتَ) بدل (استزرت)

(٢) رواه الديلمي في « الفردوس » (٢٢٨) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٣١٣٦) للدارقطني في « الأفراد » والخطيب البغدادي وابن عساكر والرافعي ، وصالحو : مبتدأ وخبره محذوف ؛ أي : وصالحو أمَّتي بريئون ، ويجوز فيه غير ذلك .

(٣) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/ ٤٦٥) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٧٧٣) ، ورواه إلىٰ قوله : (هو التكلف) سعيد بن منصور في « سننه » (٤٣) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٧٢٩) ، وإلىٰ قوله : (ما بين لكم) الحاكم (٢/ ٥١٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٨٤) ، وليس المراد من كلام سيدنا عمر وغيره ألا يتكلَّمَ أحدٌ في القرآن إلا بما سمعه ؛ وإلا لتعارض مع قوله صلَّى الله عليه وسلَّمَ لابن عبَّاس رضي الله عنه : « اللهمَّ ؛ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعلِّمْهُ التأويلَ » ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء : ٨٣] ، وللإمام الغزالي بحث نفيس في ذلك انظره في « الإحياء » (٢/ ٣٢٥ـ ٣٢٩) ، وفي هامش =

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيّةِ : الإنفاقُ مِنْ غيرِ إقتارٍ ، وتركُ الادِّخارِ .

وذلكَ أنَّ الصُّوفيَّ يرىٰ خزائنَ فَضْلِ الحقِّ ، فهوَ بمثابةِ مَنْ هوَ مُقيمٌ علىٰ شاطئِ بحرٍ ، والمُقيمُ علىٰ شاطئِ البحرِ لا يَدَّخِرُ الماءَ في قِرْبتِهِ وراويتِهِ

رَوىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ ؛ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : ٱللَّهُمَّ ؛ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً ، وَيَقُولُ ٱلآخَرُ : ٱللَّهُمَّ ؛ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً »(1)

ورَوىٰ أنسٌ قالَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يَدَّخِرُ شيئاً لغدٍ)(2)

ورُوِيَ أنَّهُ أُهْدِيَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثلاثُ طَوَائرَ ، فأَطْعمَ

= (ب) : (بلغ سماع الجماعة في التاسع والعشرين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) ، وفي هامشه أيضاً : (بلغ على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

(1) رواه البخاري (١٤٤٢) ، ومسلم (١٠١٠) ، قال القسطلاني في « إرشاد الساري » (٣/ ٣٧) : (وقولُهُ : « اللهمَّ ؛ أعط ممسكاً تلفاً » هو من قبيل المشاكلة ؛ لأنَّ التَّلَفَ ليس بعطيّة ، وظاهرُهُ ـ كما قال القرطبي ـ يَعُمُّ الواجباتِ والمندوبات ، لكنَّ الممسكَ عن المندوبات لا يستحقُّ الدعاء بالتلف ، نعم ؛ إذا غلب عليه البخلُ المذمومُ ؛ بحيثُ لا تطيب نفسه بإخراج ما أُمر به إذا أخرجه) .

وقال النووي في « شرح مسلم » (٧/ ٩٥) : (قال العلماء : هـٰذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضِّيفانِ والصدقات ونحو ذلك بحيثُ لا يُذمُّ ولا يُسمَّىٰ سَرَفاً ، والإمساك المذموم هو الإمساك عن هـٰذا) .

(2) رواه الترمذي (٢٣٦٢) ، وابن حبان (٦٣٥٦) ، والبيهقي في « الشعب » (١٣٩١) .

خادمَهُ طيراً ، فلمَّا كانَ الغدُ أتاهُ بهِ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « أَلَمْ أَنْهَكَ أَنْ تُخَبِّئَ شَيْئاً لِغَدٍ ؟! فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَأْتِي بِرِزْقِ كُلِّ غَدٍ »(١)

وروىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دخلَ علىٰ بلالٍ وعندَهُ صُبْرةٌ مِنْ تمرٍ ، فقالَ « مَا هَـٰذَا يَا بِلَالُ ؟ » ، فقالَ أَدَّخِرُ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « أَمَا تَخْشَىٰ ؟! أَنْفِقْ يَا بِلَالُ ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي ٱلْعَرْشِ إِقْلَالاً »(٢)

ورُوِيَ أنَّهُ كانَ عيسى بنُ مريمَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يأكلُ الشجرَ ، ويَلْبَسُ الشَّعَرَ ، ويَبِيتُ حيثُ أمسىٰ ، ولم يكنْ لهُ ولدٌ يموتُ ، ولا بيتٌ يَخرَبُ ، ولا يُخبِّئُ شيئاً لغدٍ(٣)

---

(١) رواه أحمد (٣/١٩٨) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٤٢٢٣) ، والبيهقي في « الشعب » (١٣٩٢) ، وابن بشران في « أماليه » (١١٨٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وطوائر جمع (طائر) ، والطائر يُطلق على المذكر والمؤنث ، وقولُهُ : (طيراً) استُعمل مفرداً علىٰ قول قطرب وأبي عبيدة ، وإلا فالأصل أن يُقال (طائراً) ، وقد جاء كذلك على الأصل في « مسند أبي يعلىٰ » ، وانظر « تاج العروس » (١٢/ ٤٥٠)

(٢) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٦٠٤٠) ، والبزار في « مسنده » (٩٨٩٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١/ ٣٤١ـ٣٤٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٨٠) ، والبيهقي في « الشعب » (١٢٨٣) ، وروي أيضاً عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وفي (ج ، د) : (أنفق بلالاً) بالنصب ، ويُخرَّج علىٰ أنه أتىٰ به كذلك ؛ لمناسبة (إقلالاً) ، وقيل غير ذلك ، وفي (هـ) : (بلال) دون (يا) ، وهو ظاهر

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٣٦٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٧٣) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (١١/ ٥٤٦) عن مجاهد عن عبيد بن عمير رحمهما الله تعالىٰ ، وروي عن مجاهد دون ذكر عمير ، كما في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ٤١٤) ، و« الزهد » لوكيع بن الجراح (١٢٥)

فالصُّوفيُّ كلُّ خباياهُ في خزائنِ اللهِ تعالىٰ ؛ لصِدْقِ توكُّلِهِ ، وثِقَتِهِ بربِّهِ .

فالدنيا للصُّوفيِّ كدارِ الغُرْبةِ ؛ ليسَ لهُ فيها ادِّخارٌ ، ولا لهُ منها استكثارٌ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى ٱللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ . لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ ٱلطَّيْرُ ؛ تَغْدُو خِمَاصاً ، وَتَرُوحُ بِطَاناً »[1]

(٩٢) ـ أخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمةُ اللهِ عليهِ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ محمَّدُ بنُ أبي عبدِ اللهِ المَالِينيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ عبدُ الرحمـٰنِ الداوُديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ السَّرَخْسِيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عِمْرانَ السَّمَرْقَنْديُّ ، قالَ : أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ الدَّارِميُّ ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ يوسفَ ، عن سُفْيانَ ، عنِ ابنِ المُنكدِرِ ، عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (ما سُئِلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شيئاً قطُّ فقالَ : لا) ، قالَ ابنُ عُيَينةَ : (إذا لم يكنْ عندَهُ شَيْءٌ وَعَدَ)[2]

(٩٣) ـ وبالإسنادِ إلى الدَّارِميِّ قالَ : أخبرَنا يعقوبُ بنُ حُمَيدٍ ، قالَ حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ محمَّدٍ ، عنِ ابنِ أخي الزُّهْريِّ قالَ : (إنَّ جِبْريلَ عليهِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٨٠٥) ، وابن ماجه (٤١٦٤) ، وأحمد (١/ ٣٠) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفي (ب ، ج ، و ، ز) : (لرزقكم كما يرزقُ الطيرَ) ، وهي رواية ابن ماجه وأحمد ، وتَغدُو : تذهب أوّل النهار ، وخِمَاصاً : جِياعاً ، وتَرُوحُ : ترجع آخر النهار ، وبِطَاناً : شِباعاً

(٢) سنن الدارمي (٧١) ، ورواه البخاري (٦٠٣٤) ، ومسلم (٢٣١١) دون قول ابن عيينة ، وسبق السند إلى الإمام الدارمي والتعريفُ ببعض رجاله . انظر (١/ ٣١٢ـ٣١٣)

السلامُ قالَ : ما في الأرضِ أهلُ عَشَرَةِ أبياتٍ إلا قلَّبتُهُم ، فما وجدتُ أحداً أشدَّ إنفاقاً لهـٰذا المالِ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)(١)

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : القناعةُ باليسيرِ مِنَ الدنيا

قالَ ذو النُّونِ المِصْريُّ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ قَنِعَ استراحَ مِنْ أهلِ زمانِهِ ، واستطالَ علىٰ أقرانِهِ)(٢)

وقالَ بِشْرُ بنُ الحارثِ : (لو لم يكنْ في القناعةِ إلا التمتُّعُ بالعِزِّ . . لكفىٰ صاحبَهُ)(٣)

وقالَ بُنانٌ الحمَّالُ : (الحُرُّ عبدٌ ما طَمِعَ ، والعبدُ حُرٌّ ما قَنِعَ)(٤)

وقالَ بعضُهُمْ : (انتقمْ مِنْ حِرْصِكَ بالقناعةِ ، كما تنتقمُ مِنْ عدوِّكَ بالقِصاصِ)(٥)

وقالَ أبو بكرٍ المَرَاغيُّ : (العاقلُ : مَنْ دَبَّرَ أمرَ الدنيا بالقناعةِ والتسويفِ ، ودَبَّرَ أمرَ الآخرةِ بالحِرْصِ والتعجيلِ)(٦)

---

(١) سنن الدارمي (٧٤) ، وهو مرسل ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٦٠)

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٤٠٥) ، وقولُهُ : (واستطال علىٰ أقرانه) ؛ أي : عزَّ في نفسه ، وارتفعت مرتبتُهُ عليهم في الدنيا والآخرة ، واستغنىٰ عنهم بفضل الله عليه . من « إحكام الدلالة » (٣/ ٤٤) .

(٣) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/ ٢١٤) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٢٤) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٨/ ٢١١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٠٤)

(٥) رواه القشيري في « رسالته » (ص٤٠٥) عن إبراهيم المارستاني رحمه الله تعالىٰ .

(٦) أورده القشيري في « رسالته » (ص٤٠٤) ، وفي « تنبيه الغافلين » (ص٢٤) (ينبغي للعاقل أن ينتبهَ من رَقْدة الغفلة ، وعلامةُ مَنِ انتبه مِنْ رَقْدة الغفلة أربعةُ أشياءَ : =

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (مَنْ قَنِعَ بالرِّزْقِ فقد ذهبَ بالآخرةِ وطابَ عيشُهُ) .

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ : (القناعةُ سيفٌ لا ينبو)[1]

(٩٤) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ أبي الفضلِ ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ الخَلَّالُ ببغدادَ ، قالَ : أخبرَنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ إبراهيمَ[2] ، قالَ : حدَّثَنا أبو القاسمِ البَغَويُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ عَبَّادٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبو سعيدٍ ، عن صدقةَ بنِ الربيعِ ، عن عُمَارةَ بنِ غَزِيَّةَ ، عن عبدِ الرحمٰنِ بنِ أبي سعيدٍ ، عن أبيهِ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ على الأعوادِ يقولُ[3] « مَا قَلَّ وَكَفَىٰ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَىٰ »[4]

= أوَّلُها : أن يُدبِّر أمرَ الدنيا بالقناعة والتسويف ، والثاني : أن يُدبِّر أمرَ الآخرة بالحرص والتعجيل ، والثالث : أن يُدبِّر أمرَ الدِّين بالعلم والاجتهاد ، والرابع : أن يُدبِّر أمرَ الخَلْق بالنصيحة والمُداراة)

(١) أورده أبو حيان التوحيدي في « البصائر والذخائر » (٢/ ١٤٩) ، والماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص٤٦١) ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٥٢٤) .

(٢) هو الكَتَّاني البغدادي الإمام المقرئ المُحدِّث المُعمَّر (ت ٣٩٠هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٨٢) .

(٣) قال في « شرح المشكلات » (ق/ ٤٦) : (الأعواد : اسم موضع بالمدينة ، ويمكن أن يكون مرادُهُ المنبر) .

(٤) صفوة التصوف (٧١٥) ، ورواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (١٠٥٣) من طريق محمد بن عبَّاد به ، ورواه ابن حبان (٣٣٢٩) ، والحاكم (٢/ ٤٤٥) ، والبيهقي في « الشعب »=

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ « أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً ، ثُمَّ صَبَرَ عَلَيْهِ »(١)

وروىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دعا وقالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً »(٢)

وروىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ٱلْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ »(٣)

ورُوِيَ عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ (كُونُوا أوعيةَ الكتابِ ، وينابيعَ الحكمةِ ، وعُدُّوا أنفسَكُم في الموتىٰ ، واسْأَلُوا اللهَ تعالىٰ رزقَ يومٍ بيومٍ ، ولا يَضُرُّكُم ألَّا يُكثِرَ لكُم)(٤)

(٩٥) ـ وأخبرَنا أبو زُرْعةَ طاهرٌ ، عن والدِهِ أبي الفضلِ قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ عبدِ اللهِ السَّاوِيُّ ، قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عليٍّ الحافظُ(٥) ،

= (٣١٣٩) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٦٢)

(١) رواه مسلم (١٠٥٤) بلفظ : (وقنَّعه اللهُ بما آتاه) بدل (ثمَّ صبر عليه) ، وابن حبان (٦٧٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٠) ، ومسلم (١٠٥٥) .

(٣) رواه أبو الشيخ في « أمثال الحديث » (٨٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٩٢٢) ، وابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٣٠٦) ، ورواه القضاعي في « المسند » (٦٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ١٠٢) ، و« غنية العارف » (١/ ٤٦٣) .

(٤) رواه أحمد في « الزهد » (٦٣٢) ، وابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٥١)

(٥) هو الإمام الحافظ المُجوِّد أبو بكر ابن منجويه الأصبهاني (ت ٤٢٨هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٤٤٠) .

قالَ : أخبرَنا أبو عمرِو بنُ حَمْدانَ(١) ، قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ سُفْيانَ(٢) ، قالَ : حدَّثَنا عمرُو بنُ مالكٍ البَصْريُّ ، قالَ : حدَّثَنا مروانُ بنُ مُعاويةَ ، قالَ حدَّثَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ أبي شُميلةَ الأنصاريُّ ، قالَ أخبرَني سلمةُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ مِحْصَنٍ(٣) ، عن أبيهِ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فِي سِرْبِهِ ، مُعَافىً فِي بَدَنِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ . . فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا »(٤)

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل ٩٧] : هيَ القناعةُ(٥)

---

(١) هو الإمام المُحدِّث النحوي الثقة محمَّد بن أحمد بن حمدان الحِيري (ت ٣٧٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٣٥٦) .

(٢) هو الإمام الحافظ الثَّبْت أبو العبَّاس الشيباني الخراساني النسوي (ت ٣٠٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء »(١٤/ ١٥٧)

(٣) ويقال أيضاً : (عبيد الله) بدل (عبد الله) ، كما نصَّ عليه المِزِّي في « تهذيب الكمال » (١١/ ٢٩٥) .

(٤) صفوة التصوف (٧٢٢) ، ورواه الترمذي (٢٣٤٦) ، وابن ماجه (٤١٤١) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٣٠٠) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٦٣ـ ٤٦٤) ، والسِّرْب : النَّفس ، وقيل : الجماعة ؛ أي في أهله وعياله ، وكسر السين هو المشهور ، وقيل بفتح السين ؛ أي : في مسلكه وطريقه ، وقيل : بفتحتين ؛ أي في بيته ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (٨/ ٣٢٥٠) ، وزيد في غالب النسخ آخرَ الحديث : (بحذافيرها) ، وهي رواية ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢١٢٦) .

(٥) قاله سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، كما رواه الحاكم (٢/ ٣٥٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٨٦٤) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٢٦٥١) ، وروي أيضاً عن سيدنا علي رضي الله عنه ، والحسن البصري رحمه الله تعالى انظر « تفسير الطبري » (١٧/ ٢٩٠)

فالصُّوفيُّ قَوَّامٌ على نَفْسِهِ بالقِسْطِ ، عالمٌ بطبائعِ النَّفْسِ ، وجَدْوى القناعةِ والتوصُّلِ إلى استخراجِ ذلكَ مِنَ النَّفْسِ ؛ لعلمِهِ بدائِها ودوائِها

قالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ (القناعةُ مِنَ الرِّضا ، كما أنَّ الورعَ مِنَ الزُّهْدِ)(١)

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ تركُ المِراءِ والمُجادَلةِ والغضبِ إلا بحقٍّ ، واعتمادُ الرِّفْقِ والحِلْمِ .

وذلكَ أنَّ النفوسَ تَثِبُ وتظهرُ في المُمارِينَ ، والصُّوفيُّ كلَّما رأىٰ نَفْسَ صاحبِهِ ظاهرةً قابلَها بالقلبِ ، وإذا قُوبِلَتِ النَّفْسُ بالقلبِ ذهبتِ الوَحْشةُ ، وانطفأتِ الفِتْنةُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ تعليماً لعبادِهِ : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

ولا يُنزَعُ المِراءُ إلا مِنْ نفوسٍ زكيَّةٍ انتُزِعَ منها الغِلُّ ، ووجودُ الغِلِّ في النفوسِ مِراءُ الباطنِ ، وإذا انتُزِعَ المِراءُ مِنَ الباطنِ ذهبَ مِنَ الظاهرِ أيضاً ، وقد يكونُ الغِلُّ في النَّفْسِ معَ مَنْ يُشاكِلُهُ ويُماثِلُهُ ؛ لوجودِ المُنافَسةِ .

ومَنِ استقصىٰ في تذويبِ النَّفْسِ بنارِ الزَّهَادةِ في الدُّنيا . . يَنْمحِي الغِلُّ مِنْ باطنِهِ ، ولا يبقىٰ عندَهُ مُنافَسةٌ دنيويَّةٌ في حُظُوظٍ عاجلةٍ مِنْ جاهٍ ومالٍ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ في وصفِ أهلِ الجنَّةِ المُتَّقينَ ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله بقضائه » (١٠٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٤) ، وابن الأعرابي في « الزهد وصفة الزاهدين » (٢٤) .

قالَ أبو حفصٍ : (كيفَ يبقى الغِلُّ في قلوبٍ ائتلفَتْ باللهِ ، واتَّفقَتْ علىٰ مَحَبَّتِهِ ، واجتمعتْ علىٰ مَوَدَّتِهِ ، وأَنِستْ بذِكْرِهِ ؟! فإنَّ تلكَ قلوبٌ صافيةٌ مِنْ هواجسِ النفوسِ ، وظُلُماتِ الطبائعِ ، بل كُحِلَتْ بنورِ التوفيقِ ، فصارتْ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِخْوَانًا ﴾)(١)

فهكذا قلوبُ أهلِ التصوُّفِ والمُجتمعِينَ على الكلمةِ الواحدةِ ؛ مِنَ التَّلَزُّمِ بشروطِ الطريقِ ، والانكبابِ على الظَّفَرِ بالتحقيقِ .

والناسُ رجلانِ :

رجلٌ طالبٌ ما عندَ اللهِ تعالىٰ ، ويدعو إلىٰ ما عندَ اللهِ نَفْسَهُ وغيرَهُ ، فما للمُحِقِّ الصُّوفيِّ معَ هـٰذا مُنافسةٌ ومِراءٌ وغِلٌّ ؛ فإنَّ هـٰذا معَهُ في طريقٍ واحدةٍ ووِجْهةٍ واحدةٍ ، وأخوهُ ومُعِينُهُ ، والمؤمنونَ كالبُنْيانِ يَشُدُّ بعضُهُم بعضاً .

ورجلٌ مُفتتَنٌ بشيءٍ مِنْ محبَّةِ الجاهِ والمالِ والرِّياسةِ ونَظَرِ الخَلْقِ ، فما للصُّوفيِّ معَ هـٰذا مُنافَسةٌ ؛ لأنَّهُ زَهِدَ فيما فيهِ رَغِبَ .

فمِنْ شأنِ الصُّوفيِّ أنْ ينظرَ إلىٰ مِثْلِ هـٰذا نَظَرَ رحمةٍ وشفقةٍ حيثُ يراهُ محجوباً مُفتتَناً ؛ فلا ينطويَ لهُ علىٰ غِلٍّ ، ولا يُماريَهُ في الظاهرِ علىٰ شيءٍ ؛ لعلمِهِ بظهورِ نَفْسِهِ الأَمَّارةِ بالسُّوءِ في المِراءِ والمُجادَلةِ

(٩٦) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ أخبرَنا

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٥٥) ، وسبق في (١/ ٢٣٤) .

أبو عيسى التِّرمذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا زيادُ بنُ أيُّوبَ ، قالَ حدَّثَنا المُحارِبيُّ ، عن ليثٍ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عِكْرِمةَ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لَا تُمَارِ أَخَاكَ ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِداً فَتُخْلِفَهُ »(١)

وفي الخبرِ « مَنْ تَرَكَ ٱلْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ . بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ ٱلْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَرَكَ ٱلْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ . بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِهَا ، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ . بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلَاهَا »(٢)

(٩٧) ـ وأخبرَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ السُّهْرَوَرْدِيُّ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ محمَّدُ بنُ أبي عبدِ اللهِ المَالِينيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ عبدُ الرحمـٰنِ الدَّاوُديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ الحَمُّويِيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عِمْرانَ عيسى السَّمَرْقَنْديُّ ، قالَ أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ الدَّارميُّ ، قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ بِسْطامَ ، عن يحيى بنِ حمزةَ ، قالَ حدَّثَني النُّعمانُ ، عن مكحولٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ طَلَبَ ٱلْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ ٱلْعُلَمَاءَ ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ ٱلسُّفَهَاءَ ، أَوْ يُرِيدَ

(١) سنن الترمذي (١٩٩٥) ، ورواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٩٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٤٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٠٧٣) ، وزادوا جميعاً بعد (لا تمار أخاك) : (ولا تُمازِحْهُ) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٦٦)

(٢) رواه بنحوه الترمذي (١٩٩٣) ، وابن ماجه (٥١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأبو داود (٤٨٠٠) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، ورَبَضُ الجنة : نواحيها وجوانبها من داخلها لا من خارجها .

أَنْ يُقبِلَ بِوُجُوهِ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ . أَدْخَلَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ جَهَنَّمَ »(١)

أُنظُرْ كيفَ جَعَلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المُمَارَاةَ معَ السُّفَهاءِ سبباً لدخولِ النارِ ؛ وذلكَ لظهورِ نُفُوسِهِم في طلبِ القَهْرِ والغَلَبةِ ، والقَهْرُ والغَلَبةُ مِنْ صفاتِ الشَّيْطَنَةِ في الآدميِّ .

قالَ بعضُهُمْ : (المُجادِلُ المُمارِي يضعُ في نَفْسِهِ عندَ الخوضِ في الجدالِ أَلَّا يَقنَعَ بشيءٍ ، ومَنْ لا يَقنَعُ إِلَّا بأَلَّا يقنَعَ . فما إلىٰ قناعتِهِ سبيلٌ)(٢)

فنَفْسُ الصُّوفيِّ تبدَّلَتْ صفاتُها ، وذهبَ عنهُ صفةُ الشَّيْطَنةِ والسَّبُعِيَّةِ ، وتبدَّلَ باللِّينِ والرِّفْقِ ، والسُّهُولةِ والطُّمَأْنينةِ

ورُوِيَ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَنَّهُ قالَ : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّىٰ يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ »(٣)

---

(١) سنن الدارمي (٣٨٦) مرسلاً عن مكحول رحمه الله تعالىٰ ، ورواه الترمذي (٢٦٥٤) ، والحاكم (١/ ٨٦) عن سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه ، وابن ماجه (٢٥٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(٢) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص١٨٧) ، وفي بعض النسخ : (بأن يقنع) بدل (بألا يقنع) .

(٣) رواه أحمد (١/ ٣٨٧) ، والحاكم (٤/ ١٦٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٦٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٥١٣٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقولُهُ : (حتىٰ يَسْلَمَ) كذا ضبطت في بعض النسخ ، والمعنىٰ : حتىٰ ينقاد ، وهو المناسب مع سياق المؤلف ، وضُبطت في بعضها : (حتىٰ يُسلِمَ) ، كما هي الرواية المشهورة ، والبوائق : جمع (بائقة) ؛ وهي الظلم والشر ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (٨/ ٣١٢٨) .

انظُرْ كيفَ جَعَلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ شرطِ الإسلامِ سلامةَ القلبِ واللِّسانِ .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مَرَّ بقومٍ وهم يَجُرُّونَ حَجَراً ، فقالَ « مَا هَـٰذَا ؟ » ، قالوا : هـٰذا حَجَرُ الأَشِدَّاءِ ، قالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَشَدَّ مِنْ هَـٰذَا ؟ رَجُلٌ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ غَضَبٌ ، فَأَتَاهُ فَغَلَبَ شَيْطَانَهُ وَشَيْطَانَ أَخِيهِ فَكَلَّمَهُ »(١)

ورُوِيَ أنَّهُ جاءَ غلامٌ لأبي ذَرٍّ وقد كسرَ رِجْلَ شاةٍ لهُ ، فقالَ أبو ذَرٍّ : مَنْ كَسَرَ رِجْلَ هـٰذهِ الشاةِ ؟ فقالَ : أنا ، قالَ : ولِمَ فعلتَ ذلكَ ؟ قالَ : عَمْداً فعلتُ ، قالَ : ولِمَ ؟ قالَ : أَغِيظُكَ فتَضرِبُني فتأثَمُ ، فقالَ أبو ذَرٍّ : لَأَغِيظَنَّ مَنْ حضَّكَ علىٰ غَيْظي ، فأَعْتَقَهُ(٢)

وروى الأَصْمَعيُّ عن أعرابيٍّ قالَ : (إذا أَشْكَلَ عليكَ أمرانِ لا تدري

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٨٨٤) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٨٨٦) مرسلاً عن مجاهد رحمه الله تعالىٰ ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٢٢) عن سيدنا عبد الرحمـٰن بن عجلان رضي الله عنه ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (٣٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، واللفظ في « الشعب » ـ ونحوُه في « المكارم » ـ : (مَنْ ملكَ نفسَهُ عندَ الغضبِ) بدل (رجلٌ كانَ . . .) ، وقولُهُ : (يَجُرُّون) جاءت في « الشعب » (يربعون) ، وفي « المكارم » : (يرفعون) ، وتفاوتت في النسخ ما بين (يجرُّون ، ويَجُدُّون ، ويَجُذُّون ، ويَحُذُّون) ، والثلاثة الأخيرة بمعنى القطع ، ويَربَعُون : يرفعون ، والمثبت موافق لـ« المصنف » و« صفوة التصوف »

(٢) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٨٩٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/ ٢١١) .

أيُّهما أرشدُ . . فخَالِفْ أَقْرَبَهُما إلىٰ هواكَ ؛ فإنَّ أكثرَ ما يكونُ الخطأُ معَ مُتابَعةِ الهوىٰ)[1]

(٩٨) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ أبي الفضلِ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ[2] ، قالَ حدَّثَنا ابنُ خُرَّشِيذَ قُولَهْ إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ سُلَيمٍ[3] ، قالَ : حدَّثَنا الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ ، قالَ : حدَّثَنا [سعدُ] بنُ [سعيدٍ][4] ، عن أخيهِ[5] ، عن جدِّهِ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ .

فَأَمَّا ٱلْمُنْجِيَاتُ فَخَشْيَةُ ٱللهِ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَانِيَةِ ، وَٱلْحُكْمُ بِٱلْحَقِّ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ وَٱلرِّضَا ، وَٱلِاقْتِصَادُ عِنْدَ ٱلْفَقْرِ وَٱلْغِنَىٰ .

وَأَمَّا ٱلْمُهْلِكَاتُ : فَشُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ »[6]

---

(١) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٨٩٤) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص٤٨) ، والسبكي في « معجم الشيوخ » (ص٥٥٣) ، وبنحو ما روى الأصمعي قال ابن عطاء الله السكندري في « حكمه » (إذا التبس عليك أمرانِ فانظر أثقلَهُما على النَّفس ؛ فإنَّهُ لا يثقل عليها إلا ما كان حقّاً)

(٢) هو المسند الثقة المُعمَّر السِّمْسار الأصبهاني ، وقد سبق في (١/ ٣٢٧) .

(٣) في (أ ، ج ، ز) : (سليمان) بدل (سليم) .

(٤) في النسخ : (سعيد بن سعد) ، والمثبت من « تهذيب الكمال » (١٠/ ٢٦١) ، وهو سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري المدني .

(٥) في « صفوة التصوف » : (عن أبيه) .

(٦) صفوة التصوف (٨٩٢) ، ورواه قوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٣٥٣) ، وشُهْدة في مشيختها المسماة بـ « العمدة من الفوائد والآثار الصحاح والغرائب »=

فالحُكْمُ بالحقِّ عندَ الغضبِ والرِّضا لا يصحُّ إلا مِنْ عالِمٍ ربَّانيٍّ ، أميرٍ على النَّفْسِ ، يُصَرِّفُها بعقلٍ حاضرٍ ، وقلبٍ يَقْظانَ ، ونَظَرٍ إلى اللهِ بحُسْنِ الاحتسابِ

نُقِلَ أنَّهم كانوا يتوضَّؤُونَ عن أذى المسلمِ ؛ يقولُ بعضُهم : (لَأَنْ أتوضَّأَ عن كلمةٍ خبيثةٍ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أتوضَّأَ مِنْ طعامٍ طَيِّبٍ)[1]

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما (الحَدَثُ حَدَثانِ : حَدَثٌ مِنْ فَرْجِكَ ، وحَدَثٌ مِنْ فِيكَ)[2]

فلا يَحُلُّ حُبْوَةَ الوَقارِ والحِلْمِ إلا الغضبُ[3] ، ويخرجُ عن حَدِّ العَدْلِ إلى العُدْوانِ بتجاوزِ الحَدِّ .

فبالغضبِ يتحرَّكُ دمُ القلبِ ، فإنْ كانَ الغضبُ علىٰ مَنْ فوقَهُ ممَّنْ يَعجِزُ عن إنفاذِ الغضبِ فيهِ . . ذهبَ الدمُ مِنْ ظاهرِ الجلدِ ، واجتمعَ في القلبِ ، ويصيرُ منهُ الحزنُ والهمُّ والانكمادُ

= (٨٦) ، وابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٩/ ٧٦) ، وسبق دون إسناد في (٢/ ٥٦) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٤٣٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ٢٨٥) ، وابن أبي عاصم في « الزهد » (١١٤) موقوفاً علىٰ سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (٢٨٤) ، والدِّينَوري المالكي في « المجالسة وجواهر العلم » (٨٨٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٢٩٨) ، وزاد عائشة مع ابن عباس رضي الله عنهم

(٣) الحُبْوة في الأصل : اسم من الاحتباء ؛ وهو أن يُجمعَ بين الظَّهر والساق بعمامة ونحوها

ولا يَنطوِي الصُّوفيُّ علىٰ مِثْلِ هـٰذا ؛ لأنَّهُ يرى الحوادثَ والأعراضَ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، فلا ينكمدُ ولا يغتمُّ ، والصُّوفيُّ صاحبُ الرِّضا ، وصاحبُ الرَّوحِ والراحةِ ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَخْبَرَ أنَّ الهمَّ والحزنَ في الشكِّ والسُّخْطِ(١)

سُئِلَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ الغمِّ والغضبِ(٢) ، قالَ مخرجُهُما واحدٌ واللفظُ مُختلِفٌ ؛ فمَنْ نازعَ مَنْ يَقْوىٰ عليهِ. . أَضْمرَهُ غضباً ، ومَنْ نازعَ مَنْ لا يقوىٰ عليهِ. . كتمَهُ حُزْناً(٣)

والحَرَدُ غضبٌ أيضاً(٤) ، ولـٰكن يُستعمَلُ إذا قُصِدَ المغضوبُ عليهِ .

وإنْ كانَ الغضبُ علىٰ مَنْ يُشاكِلُهُ ويُماثِلُهُ ممَّنْ يتردَّدُ في الانتقام منهُ. . يتردَّدُ دمُ القلبِ بينَ الانقباضِ والانبساطِ ، فيتولَّدُ منهُ الغِلُّ والحِقْدُ ، ولا يَأْوِي مثلُ هـٰذا إلىٰ قلبِ الصُّوفيِّ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

وصَلَافةُ قلبِ الصُّوفيِّ وحالُهُ(٥) يَقذِفُ زَبَدَ الغِلِّ والحِقْدِ كما يقذفُ البحرُ

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/ ٢٦٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٢١) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وروي عنه موقوفاً كما في « اليقين » لابن أبي الدنيا (٣٢) ، و« شعب الإيمان » (٢٠٥) .

(٢) في (ب) : (عن الهم) بدل (عن الغم) .

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (١/ ٢٧٨) ، و« الذريعة » (ص٢٣١) .

(٤) الحَرَد : الغيظ والغضب .

(٥) في هامش (و) : (وصلافته : إباؤه عن الصفات الذميمة) ، وفي هامش (ج) : (الصلافة : هي اللطافة)

الزَّبَدَ ؛ لما فيهِ مِنْ تلاطمِ أمواجِ الأُنْسِ والهَيْبَةِ

وإنْ كانَ الغضبُ علىٰ مَنْ دونَهُ ممَّنْ يقدرُ على الانتقامِ منهُ . . ثارَ دمُ القلبِ ، والقلبُ إذا ثارَ دمُهُ يحمرُّ ويقسُو ويتصلَّبُ ، ويذهبُ عنهُ الرِّقَّةُ والبياضُ ، ومنهُ تحمرُّ الوَجْنتانِ ؛ لأنَّ الدمَ في القلبِ ثارَ وطلبَ الاستعلاءَ ، وانتفخَ منهُ العروقُ ، فظهرَ عكسُهُ وأَثَرُهُ على الخَدِّ ، فيتعدَّى الحدودَ حينئذٍ بالضربِ والشتمِ ، ولا يكونُ هـٰذا في الصُّوفيِّ إلا عندَ هَتْكِ الحُرُماتِ والغضبِ للهِ تعالىٰ ، فأمَّا في غيرِ ذلكَ فينظرُ الصُّوفيُّ عندَ الغضبِ إلى اللهِ تعالىٰ ، ثمَّ تقواهُ تحملُهُ علىٰ أنْ يَزِنَ حركتَهُ وقولَهُ بميزانِ الشرعِ والعدلِ ، ويتَّهمَ النَّفْسَ بعدمِ الرِّضا بالقضاءِ

قيلَ لبعضِهِم : مَنْ أَقْهَرُ الناسِ لنفسِهِ ؟ قالَ : أَرْضاهُم بالمقدورِ[١]

وقالَ بعضُهُم : (أصبحتُ وما لي سُرُورٌ إلَّا مواقعُ القضاءِ)[٢]

فإذا اتَّهمَ الصُّوفيُّ النَّفْسَ عندَ الغضبِ . . تداركَهُ العِلْمُ ، وإذا لاحَ عَلَمُ العِلْمِ . . قَوِيَ القلبُ وسكنتِ النَّفْسُ ، وعادَ دمُ القلبِ إلىٰ مواضعِهِ ومَقارِّهِ ، واعتدلَ الحالُ ، وغاضَ حُمْرَةُ الخدِّ[٣] ، وبانَ فضيلةُ العلمِ

قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ « ٱلسَّمْتُ ٱلْحَسَنُ وَٱلتُّؤَدَةُ وَٱلِاقْتِصَادُ . . جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ ٱلنُّبُوَّةِ »[٤]

---

(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٦٠) عن الحارث المحاسبي رحمه الله تعالىٰ

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/٥٤٩) عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ .

(٣) يُقال : غاض الماءُ : إذا قلَّ ونَضَب .

(٤) رواه الترمذي (٢٠١٠) ، والطبراني في « المعجم الأوسط »(١٠١٧) عن سيدنا =

وروىٰ جاريةُ بنُ قُدامةَ قالَ قلتُ يا رسولَ اللهِ ؛ أَوْصِني وأَقلِلْ لعلِّي أَعِيهِ ، قالَ : « لَا تَغْضَبْ » ، فأعادَ عليهِ ، كلُّ ذلكَ يقولُ « لَا تَغْضَبْ »[1]

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إِنَّ ٱلْغَضَبَ جَمْرَةٌ مِنَ ٱلنَّارِ ، أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَٱنْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ ؟ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَإِنْ كَانَ قَائِماً فَلْيَجْلِسْ ، وَإِنْ كَانَ جَالِساً فَلْيَضْطَجِعْ »[2]

(٩٩) ـ أخبرَنا ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا الجَرَّاحيُّ ، قالَ أخبرَنا المَحْبُوبيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ، قالَ : حدَّثَنا بِشْرُ بنُ المُفضَّلِ ، عن قُرَّةَ بنِ خالدٍ ، عن أبي جَمْرةَ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ

= عبد الله بن سَرْجِس رضي الله عنه ، وأبو داود (٤٧٧٦) ، وأحمد (١/ ٢٩٦) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٧٩١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٨٤) ، وابن حبان (٥٦٩٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٢٦) عن سيدنا جارية أن رجلاً قال : يا رسول الله ، فذكره ، ورواه أحمد (٢/ ٣٦٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٢٤) عن سيدنا أبي هريرة كذلك ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٨٨٩) عن سيدنا جارية دون واسطة

(٢) رواه ضمن حديث طويل الترمذي (٢١٩١) ، وأحمد (٣/ ١٩) ، والحاكم (٤/ ٥٠٤ـ٥٠٥) ، وابن طاهر في « صفوة التصوف » (٩٧٠) واللفظ له ، جميعهم عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وروىٰ أبو داود (٤٧٨٢) ، وابن حبان (٥٦٨٨) عن سيدنا أبي ذر مرفوعاً « إذا غَضِبَ أحدُكُم وهوَ قائمٌ فليجلسْ ، فإنْ ذهبَ عنهُ الغضبُ ، وإلا فليضطجعْ » ، والأَوْداج : جمع (وَدَج) ؛ وهو عِرْق في الرقبة .

عليهِ وسلَّمَ قالَ لِأَشَجِّ عبدِ القيسِ : « إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا ٱللهُ تَعَالَىٰ ٱلْحِلْمُ ، وَٱلْأَنَاةُ »(١)

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : التَّوَدُّدُ والتَّآلُفُ ، والمُوافقةُ معَ الإخوانِ وتركُ المُخالفةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ في وصفِ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

والتَّوَدُّدُ والتآلُفُ مِنِ ائتلافِ الأرواحِ ؛ علىٰ ما وَرَدَ في الخبرِ الذي أَوْرَدْناهُ : « فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ٱئْتَلَفَ »(٢)

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقالَ : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران : ١٠٣]

وقالَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱلْمُؤْمِنُ آلِفٌ مَأْلُوفٌ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ »(٣)

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَثَلُ ٱلْمُؤْمِنَيْنِ إِذَا ٱلْتَقَيَا مَثَلُ ٱلْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ، وَمَا ٱلْتَقَى ٱلْمُؤْمِنَانِ إِلَّا ٱسْتَفَادَ أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَيْراً »(٤)

---

(١) سنن الترمذي (٢٠١١) ، ورواه مسلم (١٧/ ٢٥) ، وفي هامش (ب) : (بلغ سماع الجماعة في الثامن والعشرين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) .

(٢) انظر (١/ ٣٦٥) .

(٣) سبق تخريجه (١/ ٣٦٤ـ ٣٦٥) .

(٤) رواه دون الشطر الثاني ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٤٣٣) ، =

وقالَ أبو إدريسَ الخَوْلانيُّ لمُعاذِ بنِ جبلٍ : إنِّي أُحِبُّكَ في اللهِ ، فقالَ أَبشِرْ ثمَّ أَبشِرْ ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « تُنْصَبُ لِطَائِفَةٍ مِنَ ٱلنَّاسِ كَرَاسِيُّ حَوْلَ ٱلْعَرْشِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وُجُوهُهُمْ كَٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ ، يَفْزَعُ ٱلنَّاسُ وَهُمْ لَا يَفْزَعُونَ ، وَيَخَافُ ٱلنَّاسُ وَهُمْ لَا يَخَافُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ ٱللهِ ٱلَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » ، فقيلَ مَنْ هـٰؤلاءِ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « ٱلْمُتَحَابُّونَ فِي ٱللهِ »[1]

وقيلَ : لو تحابَّ الناسُ وتعاطَوُا المَحَبَّةَ . لاستغنَوْا بها عنِ العدالةِ .

وقيلَ : العدالةُ خليفةُ المَحَبَّةِ ؛ تُستعمَلُ حيثُ لا تُوجَدُ المَحَبَّةُ[2]

وقيلَ طاعةُ المَحَبَّةِ أفضلُ مِنْ طاعةِ الرَّهْبةِ ؛ فإنَّ طاعةَ المَحَبَّةِ مِنْ داخلٍ ، وطاعةَ الرَّهْبةِ مِنْ خارجٍ[3]

ولهـٰذا المعنىٰ كانتْ صُحْبةُ الصُّوفيَّةِ مُؤثِّرةً مِنَ البعضِ في البعضِ ؛ لأنَّهم

= والسلمي في « آداب الصحبة » (١٢٨) ، والديلمي في « الفردوس » (٦٤١١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٧٥ـ٤٧٦) .

(١) روىٰ قول النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أبو داود (٣٥٢٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٥) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١١٧٢) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٦١١٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وأما حديث أبي إدريس عن سيدنا معاذ : فرواه أحمد (٥/ ٢٣٦ـ٢٣٧) وجماعة بلفظ : « المتحابُّونَ في اللهِ علىٰ منابرَ مِنْ نورٍ في ظلِّ العرشِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّهُ » ، وهو من إدخال حديث في حديث ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٧٦ـ٤٧٧)

(٢) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص٢٥٧)

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص٢٥٧) ، والطُّرْطُوشي في « سراج الملوك » (ص ٢٢٢) ، وليس فيه : (فإن طاعة . . .) .

لمَّا تحابُّوا في اللهِ تواصَوْا بمحاسنِ الأخلاق ، ووقعَ القَبولُ لوجودِ المَحَبَّةِ ، فانتفعَ لذلكَ المُرِيدُ بالشيخِ ، والأخُ بالأخِ

ولهٰذا المعنىٰ أَمَرَ اللهُ تعالىٰ باجتماعِ الناسِ في كلِّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ في المساجدِ ؛ أهلِ كلِّ دربٍ وكلِّ مَحَلَّةٍ ، وفي الجامعِ في الأسبوعِ مرَّةً ؛ أهلِ كلِّ بلدٍ ، وانضمامِ أهلِ السَّوادِ إلى البُلْدانِ في الأعيادِ في جميعِ السنةِ مرَّتَينِ ، وأهلِ الأقطارِ مِنَ البُلْدانِ المُتفرِّقةِ في العُمُرِ مرَّةً للحجِّ ؛ كلُّ ذلكَ لِحِكَمٍ بالغةٍ ؛ منها : تأكيدُ الأُلْفةِ والمَوَدَّةِ بينَ المؤمنينَ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱلْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَٱلْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً »[1]

(١٠٠) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، قالَ : أخبرَنا والدي أبو الفضلِ ، قالَ أخبرَنا أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ سهلِ بنِ محمَّدٍ العدلُ[2] ، قالَ : أخبرَنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ مَحْمِشٍ الزِّياديُّ ، قالَ أخبرَنا أبو العبَّاسِ عبدُ اللهِ بنُ يعقوبَ الكَرْمانيُّ ، قالَ : حدَّثَنا يحيى الكَرْمانيُّ[3] ، قالَ : حدَّثَنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن مُجالِدِ بنِ سعيدٍ ، عنِ الشَّعْبيِّ ، عنِ النُّعْمانِ بنِ بشيرٍ قالَ

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢٦) ، ومسلم (٢٥٨٥) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) في النسخ ما عدا (د) : (أبو نصر محمد بن سلمان ـ أو سليمان ـ العدل) ، والصواب المثبت من (د) ، وهو الإمام المُعمَّر مسند نيسابور أبو نصر محمَّد بن سهل بن محمَّد بن أحمد الشَّاذْياخِي السرَّاج العدل (ت ٤٨٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/٥٢٩) .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن بحر الكرماني .

سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ « أَلَا إِنَّ مَثَلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَحَابِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ . كَمَثَلِ ٱلْجَسَدِ إِذَا ٱشْتَكَىٰ عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَىٰ سَائِرُهُ بِٱلسَّهَرِ وَٱلْحُمَّىٰ »(١)

والتآلُفُ والتودُّدُ يُؤكِّدُ أسبابَ الصُّحْبَةِ ، والصُّحْبَةُ معَ الأخيارِ مُؤثِّرةٌ جدّاً ، وقد قيلَ : لقاءُ الإخوانِ لَقَاحٌ(٢)

ولا شكَّ أنَّ البواطنَ تَتَلَقَّحُ ويَقْوى البعضُ بالبعضِ ، بل مُجرَّدُ النَّظَرِ إلىٰ أهلِ الصلاحِ يُؤثِّرُ صلاحاً ، والنظرُ في الصُّوَرِ يُؤثِّرُ أخلاقاً مُناسِبةً لخُلُقِ المنظورِ إليهِ ؛ كدوامِ النظرِ إلى المحزونِ يُحزِنُ ، ودوامِ النظرِ إلى المسرورِ يَسُرُّ ، وقد قيلَ : (مَنْ لا ينفعُكَ لَحْظُهُ لا ينفعُكَ لفظُهُ) .

والجملُ الشَّرُودُ يصيرُ ذَلُولاً بمُقارَنةِ الجملِ الذَّلُولِ ، فالمُقارَنةُ لها تأثيرٌ في الحيوانِ والنباتِ والجمادِ ، والماءُ والهواءُ يفسدانِ بمُقارَنةِ الجِيَفِ ، والزُّرُوعُ تُنقَّىٰ عن أنواعِ العُرُوقِ في الأرضِ والنباتِ ؛ لموضعِ الإفسادِ بالمُقارَنةِ

فإذا كانتِ المُقارَنةُ مُؤثِّرةً في هٰذهِ الأشياءِ . . ففي النُّفُوسِ الشريفةِ البشريَّةِ أكثرُ تأثيراً

وقيلَ : سُمِّيَ الإنسانُ إنساناً ؛ لأنَّهُ يأنسُ بما يراهُ مِنْ خيرٍ وشرٍّ(٣)

---

(١) صفوة التصوف (٩١٧) ، ورواه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) ، وفي غالب النسخ : (بعضه) بدل (عضو منه) ، وكلاهما مروي ، وفيه روايات غيرهما .

(٢) أورده السمرقندي في « بستان العارفين » (ص٤٠٩)

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة إلى مكارم الشريعة » (ص٢٥٩) .

والتآلُفُ والتودُّدُ مُستجلِبٌ للمَزِيدِ ، وإنَّما العُزْلةُ والوَحْدةُ تُحمَدُ بالنسبةِ إلىٰ أراذلِ الناسِ وأهلِ الشرِّ ، فأمَّا أهلُ العلمِ والصفاءِ والوفاءِ والأخلاقِ الحميدةِ . يُغتَنَمُ مُقارنتُهُم ، والاستئناسُ بهِمُ استئناسٌ باللهِ تعالىٰ ، كما أنَّ مَحَبَّتَهُم مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ تعالىٰ ، والجامعُ معَهُم رابطةُ الحقِّ ، ومعَ غيرِهِم رابطةُ الطبعِ

فالصُّوفيُّ معَ غيرِ الجنسِ كائنٌ بائنٌ ، ومعَ الجنسِ كائنٌ مُعايِنٌ .

والمؤمنُ مِرآةُ المُؤمِنِ ؛ إذا نظرَ إلىٰ أخيهِ يَستشِفُّ مِنْ وراءِ أقوالِهِ وأعمالِهِ وأحوالِهِ تجلِّياتٍ إلـٰهيَّةً ، وتعريفاتٍ وتلويحاتٍ مِنَ اللهِ الكريمِ خَفِيَّةً ، غابتْ عنِ الأغيارِ ، وأَدْرَكَها أهلُ الأنوارِ .

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : شُكْرُ المُحسِنِ على الإحسانِ ، والدعاءُ لهُ .

وذلكَ منهُم معَ كمالِ توكُّلِهِم علىٰ ربِّهِم ، وصفاءِ توحيدِهِم ، وقَطْعِهِمُ النظرَ إلى الأغيارِ ، ورُؤْيتِهِمُ النِّعَمَ مِنَ المُنعِمِ الجبَّارِ ، ولـٰكن يفعلونَ ذلكَ اقتداءً برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ علىٰ ما وَرَدَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خَطَبَ فقالَ : « مَا مِنَ ٱلنَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ مِنِ ٱبْنِ أَبِي قُحَافَةَ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَليلاً لَٱتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً »[1]

وقالَ أيضاً عليهِ السلامُ : « مَا نَفَعَنِي مَالٌ كَمَالِ أَبِي بَكْرٍ »[2]

---

(١) رواه البخاري (٤٦٦) ، ومسلم (٢٣٨٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي (٣٦٦١) ، وابن ماجه (٩٤) ، وأحمد (٢/ ٢٥٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

فالخَلْقُ حُجِبوا عنِ اللهِ تعالىٰ بالخَلْقِ في المنعِ والعطاءِ

فالصُّوفيُّ في الابتداءِ يُفنِي الخَلْقَ ، ويرى الأشياءَ مِنَ اللهِ تعالىٰ ؛ حيثُ طالعَ ناصيةَ التوحيدِ ، وخَرَقَ الحجابَ الذي مَنَعَ الخَلْقَ عن صِرْفِ التوحيدِ ، فلا يُثبِتُ للخلقِ منعاً ولا عطاءً ، ويحجُبُهُ الحقُّ عنِ الخَلْقِ

فإذا ارتقىٰ إلىٰ ذُروةِ التوحيدِ . يشكرُ الخَلْقَ بعدَ شُكْرِ الحقِّ ، ويُثبِتُ لهُم وجوداً في المنعِ والعطاءِ ، بعدَ أنْ يرى المُسبِّبَ أوَّلاً ؛ وذلكَ لسَعَةِ علمِهِ وقُوَّةِ معرفتِهِ ، يُثبِتُ الوسائطَ ، فلا يَحجُبُهُ الخَلْقُ عنِ الحقِّ كعامَّةِ المسلمينَ ، ولا يَحجُبُهُ الحقُّ عنِ الخَلْقِ كأربابِ الإرادةِ والمُبتدِئينَ ، فيكونُ شكرُهُ للحقِّ ؛ لأنَّهُ هوَ المُنعِمُ والمُعطِي والمُسبِّبُ ، ويشكرُ الخَلْقَ ؛ لأنَّهُم واسطةٌ وسببٌ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَوَّلُ مَا يُدْعَىٰ إِلَى ٱلْجَنَّةِ : ٱلْحَمَّادُونَ ٱلَّذِينَ يَحْمَدُونَ ٱللهَ فِي ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ »(١)

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ عَطَسَ أَوْ تَجَشَّأَ فَقَالَ : (ٱلْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ) . . دَفَعَ ٱللهُ بِهَا عَنْهُ سَبْعِينَ دَاءً أَهْوَنُهَا ٱلْجُذَامُ »(٢)

وروىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٥٠٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/ ١٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٦٩) ، والبزار في « مسنده » (٥٠٢٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه أبو طاهر المُخلِّص في « المخلصيات » (١١٣٨) ، وابن عدي في « الكامل » (٧/ ٥٠٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/ ٢٨) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٨١-٤٨٢) .

« مَا مِنْ عَبْدٍ يُنْعَمُ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ فَحَمِدَ ٱللهَ تَعَالَىٰ.. إِلَّا كَانَ ٱلْحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْهَا »[1]

وقولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ « كَانَ ٱلْحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْهَا » يحتملُ أنَّهُ يرضىٰ بها شُكْراً ، ويحتملُ أنَّ الحمدَ أفضلُ منها نعمةً ، فتكونُ نعمةُ الحمدِ أفضلَ مِنَ النعمةِ التي حَمِدَ عليها ، فإذا شكروا المُنعِمَ الأوَّلَ يشكرونَ الواسطةَ المُنعِمَ مِنَ الناسِ ويَدعُونَ لهُ

وروىٰ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أفطرَ عندَ قومٍ قالَ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ ٱلصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ ٱلْأَبْرَارُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْكُمُ ٱلسَّكِينَةُ »[2]

(١٠١) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ ، قالَ أخبرَنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ البزَّازُ[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ إبراهيمَ ، قالَ حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ البَغَويُّ ، قالَ : حدَّثَنا عمرُ بنُ زُرارةَ ، قالَ : حدَّثَنا عُيَينةُ بنُ يونسَ ، عن موسى بنِ عُبَيدةَ ، عن محمَّدِ بنِ ثابتٍ ، عن

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٠٩٢) ، ورواه ابن ماجه (٣٨٠٥) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه بلفظ : « ما أنعمَ اللهُ علىٰ عبدٍ نعمةً فقالَ (الحمدُ للهِ).. إلا كانَ الذي أعطىٰ أفضلَ ممَّا أَخَذَ » ، وروي أيضاً عن الحسن مرسلاً ومن قوله رحمه الله تعالى . انظر « شعب الإيمان » (٤٠٩٣ ، ٤٠٩٤) ، و« غنية العارف » (١/ ٤٨٢)

(٢) رواه الحاكم في « معرفة علوم الحديث » (ص١١٧) ، وابن الأعرابي في « معجمه » (٣٩٠) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٩٤٢) ، وفي (ب ، ج ، و ، ح) : (السكينة والوقار) ، وفي (أ) : (الملائكة) بدل (السكينة) ، وهي رواية ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٨٣٨) ، وأحمد في « المسند » (٣/ ١١٨) .

(٣) هو ابن النقُّور مسند العراق ، وقد سبق في (١/ ٣٥٦) .

أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ : (جَزَاكَ ٱللهُ خَيْراً) . . فَقَدْ أَبْلَغَ فِي ٱلثَّنَاءِ »[1]

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : بَذْلُ الجاهِ للإخوانِ والمسلمينَ كافَّةً .

وإذا كانَ الرجلُ وافرَ العلمِ ، بصيراً بعيوبِ نَفْسِهِ وآفاتِها وشهواتِها . . يتوصَّلُ إلىٰ قضاءِ حوائجِ المسلمينَ ببذلِ الجاهِ والمُعاوَنةِ في إصلاحِ ذاتِ البَيْنِ .

وفي هـٰذا المعنىٰ يحتاجُ إلىٰ مَزِيدِ عِلْمٍ ؛ لأنَّها أمورٌ تتعلَّقُ بالخَلْقِ ومُخالَطتِهِم ومُعاشَرتِهِم ، ولا يَصلُحُ ذلكَ إلا لصُوفيٍّ تامِّ الحالِ عالِمٍ ربَّانيٍّ .

رُوِيَ عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ قالَ : (كانَ نبيٌّ مِنَ الأنبياءِ يأخذُ بركَابِ المَلِكِ يتألَّفُهُ بذلكَ لقضاءِ حوائجِ الناسِ)

وقالَ عطاءٌ : (لَأَنْ يُرائيَ الرجلُ سنينَ فيكتسبَ جاهاً يعيشُ فيهِ مؤمنٌ . . أتمُّ لهُ مِنْ أنْ يُخلِصَ العملَ لنجاةِ نَفْسِهِ)

وهـٰذا بابٌ غامضٌ لا يُؤمَنُ أنْ يُفتتَنَ بهِ خَلْقٌ مِنَ الجُهَّالِ المُدَّعِينَ ، ولا يصلحُ هـٰذا إلا لعبدٍ اطَّلَعَ اللهُ تعالىٰ علىٰ باطنِهِ ، فعَلِمَ منهُ ألَّا رغبةَ لهُ في شيءٍ مِنَ الجاهِ والمالِ ، ولو أنَّ ملوكَ الأرضِ وَقَفُوا في خدمتِهِ . . ما طغىٰ

---

(١) صفوة التصوف (٩٤٣) ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧٠٤٩) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (١١٨٤) ، ورواه الترمذي (٢٠٣٥) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩٩٣٧) ، وابن حبان (٣٤١٣) عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما بلفظ : « مَنْ صُنِعَ إليهِ معروفٌ فقالَ لفاعلِهِ : (جزاكَ اللهُ خيراً) . . . » .

ولا استطالَ ، ولو دخلَ إلىٰ أَتُّونٍ يُوقَدُ[1] . . ما ظهرتْ نَفْسُهُ بصريحِ الإنكارِ لهـٰذا الحالِ .

وهـٰذا لا يَصلُحُ إلا لآحادٍ مِنَ الخَلْقِ ، وأفرادٍ مِنَ الصالحينَ الصادقينَ[2] ؛ ينسلخونَ مِنْ إراداتِهِم واختياراتِهِم ، ويُكاشِفُهُمُ اللهُ تعالىٰ بمُرادِهِ منهُم ، فيدخلونَ في الأشياءِ بمُرادِ اللهِ تعالىٰ ، فإذا علموا أنَّ الحقَّ يريدُ منهُمُ المخالطةَ وبذلَ الجاهِ . . يدخلونَ في ذلكَ بغَيبةِ صفاتِ النَّفْسِ .

وهـٰذا لأقوامٍ ماتُوا ثمَّ حُشِرُوا ، وأَحْكَمُوا مقامَ الفناءِ ، ثمَّ رُقُّوا إلىٰ مقامِ البقاءِ ، فيكونُ لهُم في كلِّ مدخلٍ ومخرجٍ برهانٌ وبيانٌ وإذنٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، فهم علىٰ بصيرةٍ مِنْ ربِّهِم ، وهـٰذا ليسَ فيهِ ارتيابٌ لصاحبِ قلبٍ مُكاشَفٍ بصريحِ المُرادِ في خَفِيِّ الخطابِ ، فيأخذُ وقتَهُ أبداً مِنَ الأشياءِ ، ولا تأخذُ الأشياءُ مِنْ وقتِهِ ، ولا يكونُ هـٰذا إلا في قُطْرٍ مِنَ الأقطارِ واحدٍ مُتحقِّقٍ بهـٰذا الحالِ .

قالَ أبو عثمانَ الحِيريُّ : (لا يَكمُلُ الرجلُ حتىٰ يستويَ في قلبِهِ أربعةُ أشياءَ : المنعُ ، والعطاءُ ، والعِزُّ ، والذُّلُّ)[3] ، فلمِثْلِ هـٰذا الرجلِ يَصلُحُ بذلُ الجاهِ والدخولُ فيما ذَكَرْناهُ .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمةُ اللهِ عليهِ : (لا يستحقُّ الإنسانُ الرِّياسةَ حتىٰ

---

(١) الأَتُّون : المَوقِدُ .

(٢) في (د) : (الصديقين) .

(٣) رواه السلمي في « طبقاته » (ص١٧٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٤٤) ، ومن طريق السلمي القشيري في « رسالته » (ص١٥٧)

يجتمعَ فيهِ ثلاثُ خصالٍ : يصرفُ جهلَهُ عنِ الناسِ ، ويحتملُ جهلَ الناسِ ، ويتركُ ما في أيديهِم ويَبذُلُ ما في يدِهِ لهُم)[1]

وهٰذهِ الرِّياسةُ آنفاً غيرُ الرِّياسةِ التي زَهِدَ فيها وتعيَّنَ الزهدُ فيها لضرورةِ صِدْقِهِ وسلوكِهِ ، وإنَّما هٰذهِ رِياسةٌ أقامَها الحقُّ لصلاحِ خَلْقِهِ ، فهوَ فيها باللهِ يقومُ بواجبِ حقِّها ويشكرُ نعمتَها للهِ تعالىٰ[2] ، واللهُ المُوفِّقُ للصوابِ والهدايةِ[3]

* * *

(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٢٠٩) .

(٢) في بعض النسخ : (وشكرِ) بدل (ويشكر) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ بقراءة كاتبه عبد السلام على الحافظ جلال الدين) ، وفي هامشه أيضاً : (بلغ مقابلةً)

الباب الحادي والثلاثون

في ذكر الأدب ومكانه من التصوف[1]

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي »[2]

فالأدبُ تهذيبُ الظاهرِ والباطنِ[3] ، فإذا تهذَّبَ ظاهرُ العبدِ وباطنُهُ[4] . . صارَ صُوفيّاً أديباً[5]

وإنَّما سُمِّيتِ المَأْدُبةُ مأدُبةً ؛ لاجتماعِها على أشياءَ[6]

---

(١) قال أهل الحقيقة الأدب على ثلاثة أوجه أدبِ اللِّسان ، وأدبِ النفس ، وأدبِ القلب ، أمَّا أدبُ اللسان : فتركُ الكلام بما لا يعني وإن كان صدقاً ، فكيف الكذبُ ؟! وأمَّا أدبُ النفس : فهو أن يُعرِّفَها الشرَّ ، فيزجُرَها عنه ، وأمَّا أدبُ القلب : عِرفانُ قَدْرِ النفس . من هامش (ح)

(٢) رواه العسكري في « أمثال الحديث » عن سيدنا علي رضي الله عنه ، وهو حديثٌ لا يصح ، ومعناه صحيح ، وبعضُ العلماء صحَّحه ، وبعضُهُم حسَّنه ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ٧٠ـ٧١) ، و« غنية العارف » (١/ ٤٨٦ـ٤٨٧)

(٣) التهذيب كالتنقية ، ورجلٌ مُهذَّب ؛ أي مُطهَّر الأخلاق . من هامش (ح)

(٤) قوله : (ظاهر العبد) ؛ بألا يصدُرَ عنه شيءٌ يخالف الشريعة ، وقوله (وباطنه) ؛ بألا يصدُرَ عنه شيءٌ يخالف الطريقة . من هامش (ح)

(٥) يمكن له أن يؤدِّب غيره وينتفع بالاقتداء به ، ومَنْ لم فلم . من هامش (ح)

(٦) في الحديث « القرآنُ مأدُبةُ اللهِ في الأرضِ » ؛ وهي صنيعٌ يصنعه الرجل يدعو الناسَ إليه ، وسُمِّي الأدب أدباً ؛ لأنَّهُ يدعو الناس إلى المحامد . من هامش (ح)

ولا يتكاملُ الأدبُ في العبدِ إلا بتكاملِ مكارمِ الأخلاقِ ، ومكارمُ الأخلاقِ مجموعُها مِنْ تحسينِ الخَلْقِ والخُلُقِ ؛ فالخَلْقُ صُورةُ الإنسانِ ، والخُلُقُ معناهُ .

فقالَ بعضُهُمُ (الخُلُقُ لا سبيلَ إلىٰ تغييرِهِ كالخَلْقِ) ، وقد وَرَدَ : « فَرَغَ رَبُّكُمْ عَنِ ٱلْخَلْقِ وَٱلْخُلُقِ ، وَٱلرِّزْقِ وَٱلْأَجَلِ »[١] ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٠]

والأصحُّ : أنَّ تبديلَ الأخلاقِ مُمكِنٌ مقدورٌ عليهِ ، بخلافِ الخَلْقِ ؛ وقد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ سلَّمَ أنَّهُ قالَ : « حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ »[٢]

وذلكَ أنَّ اللهَ تعالىٰ خَلَقَ الإنسانَ وهيَّأَهُ لقَبولِ الصلاحِ والفسادِ ، وجعلَهُ أهلاً للأدبِ ومكارمِ الأخلاقِ ، ووجودُ الأهليَّةِ فيهِ كوجودِ النارِ في الزِّنادِ[٣] ،

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٥٦٠) ، والقضاعي في « مسنده » (٦٠١) مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ورواه موقوفاً عليه الدارقطني (٤٣٩٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٦/١٦٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩/٢١٧) .

(٢) قال الغُماري في « الغنية » (١/٤٨٧ـ٤٨٨) : (لم أره بهٰذا اللفظ ، والمعروف الأمر بذلك بالإفراد ؛ كحديث : « اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ ، وأَتبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها ، وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ » ، وقد سبق ، وحديثِ جرير بن عبد الله : « إنَّكَ امرؤٌ قد حسَّنَ اللهُ خَلْقَكَ ، فحَسِّنْ خُلُقَكَ » رواه الخرائطي [في « مكارم الأخلاق » (٧)] ، وحديث معاذ « يا معاذُ ؛ حَسِّنْ خُلُقَكَ للناسِ » رواه ابن لال بسند صحيح إلا أنَّهُ منقطع ، وحديث عبد الله بن عمرو : « استقِمْ ، ولتُحسِّنْ خُلُقَكَ للناسِ » رواه الطبراني [في « المعجم الكبير » (٢٠/٣٩ـ٤٠)] ، والحاكم [في « المستدرك » (١/٥٤)] ، وغيرِ ذلك) ، وانظر (٢/٤٢)

(٣) الزَّنْد : العود الذي يُقدَح به النار ، وهو الأعلىٰ ، والزَّنْدة السفلىٰ فيها ثقب ، وهي=

ووجودِ النَّخْلِ في النَّوىٰ ، ثمَّ إنَّ اللهَ تعالىٰ بقدرتِهِ أَلْهَمَ الإنسانَ ومكَّنَهُ مِنْ إصلاحِهِ بالتربيةِ إلىٰ أنْ يصيرَ النَّوىٰ نخلاً ، والزِّنادِ بالعلاجِ حتىٰ تخرجَ منهُ نارٌ .

وكما جَعَلَ في نَفْسِ الآدميِّ صلاحيَّةَ الخيرِ والشرِّ . . أحالَ الإصلاحَ والإفسادَ عليهِ ؛ فقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس : ٧ـ٨] ، فتسويتُها بصلاحيَّتِها للشيئينِ جميعاً

ثمَّ قالَ سبحانَهُ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس : ٩ـ١٠]، فإذا تزكَّتِ النَّفْسُ تدبَّرتْ بالعقلِ ، واستقامتْ أحوالُها الظاهرةُ والباطنةُ ، وتهذَّبتِ الأخلاقُ ، وتكوَّنتِ الآدابُ .

فالأدبُ : استخراجُ ما في القُوَّةِ إلى الفعلِ[1] ، وهـٰذا يكونُ لمَنْ رُكِّبتِ السَّجِيَّةُ الصالحةُ فيهِ ، والسَّجِيَّةُ : فِعْلُ الحقِّ لا قدرةَ للبشرِ علىٰ تكوينِها ، كتكوُّنِ النارِ في الزِّنادِ ؛ إذ هوَ فعلُ اللهِ المحضُ ، واستخراجُهُ بكَسْبِ الآدميِّ ؛ فهكذا الآدابُ ؛ منبعُها السَّجايا الصالحةُ ، والمِنَحُ الإلـٰهيَّةُ

ولمَّا هَيَّأَ اللهُ تعالىٰ بواطنَ الصُّوفيَّةِ بتكميلِ السَّجايا الصالحةِ فيها . . توصَّلُوا بحُسْنِ المُمارَسةِ والرِّياضةِ إلى استخراجِ ما في النفوسِ مركوزٌ بخَلْقِ اللهِ تعالىٰ إلى الفعلِ ، فصارُوا مُؤدَّبينَ مُهذَّبينَ .

والآدابُ تقعُ في حقِّ بعضِ الأشخاصِ مِنْ غيرِ زيادةِ مُمارَسةٍ ورياضةٍ ؛ لقُوَّةِ ما أَوْدعَ اللهُ تعالىٰ في غرائزِهِم ؛ كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

= الأنثىٰ ، فإذا اجتمعا قيل : (زَنْدان) ، والجمع : (زِناد) . من هامش (ح)

(١) في (هـ ، ز) : (استخراج ما في الهيئة والخلق إلى الفعل)

وسلَّمَ : « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي »[1]

وفي بعضِ الناسِ مَنْ يحتاجُ إلىٰ طُولِ المُمارَسةِ ؛ لنقصانِ قُوَّةِ أصولِها في الغَرِيزةِ ؛ ولهـٰذا احتاجَ المُرِيدونَ إلىٰ صُحْبةِ المشايخِ ؛ لتكونَ الصُّحبةُ والتعلُّمُ عوناً على استخراجِ ما في الطَّبيعةِ إلى الفعلِ

قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم : ٦] ؛ قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (فَقِّهُوهُم وأدِّبُوهُم)[2]

وفي لفظٍ آخَرَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي ، ثُمَّ أَمَرَنِي بِمَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ ؛ فَقَالَ : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] »[3]

قالَ يوسفُ بنُ الحسينِ : (بالأدبِ يُفهَمُ العلمُ[4] ، وبالعلمِ يصحُّ

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ١٠٢) .

(٢) رواه بنحوه الطبري في « تفسيره » (٢٣/ ٤٩١) ، ورواه أيضاً عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانظر « الدر المنثور » (٨/ ٢٢٥) .

(٣) رواه أبو سعد السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص١) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٨٩) ، وقولُهُ : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ ؛ أي : خُذْ ما عفا لك ـ أي : سَهُلَ ـ من أفعال الناس وأخلاقِهم وما أتىٰ منهم وسَهُلَ من غير كلفة ، ولا تُداقَّهم ـ أي : لا تُناقشهم ـ ولا تطلب منهم الجد وما تشقُّ عليهم ؛ حتىٰ لا ينفروا ؛ كقوله عليه الصلاة والسلام : « يَسِّرُوا ولا تُعسِّرُوا » ، قال الشاعر : [من الطويل]

خُذِي العفوَ منِّي تَسْتدِيمِي مَوَدَّتي ... ولا تَنطِقي في سَوْرتي حينَ أغضبُ

وقولُهُ : ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ المعروفِ والجميلِ من الأفعال ، ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ ولا تُكافئِ السفهاءَ بمثل سفههم ، ولا تُمارِهِم ، واحلُمْ عنهم ، وأغض علىٰ ما يسوءك منهم . « كشاف » . من هامش (ح) .

(٤) إذ نور الأدب يُنوِّرُ العقل ، فيُفهم العلم . من هامش (ح) .

العملُ ، وبالعملِ تُنالُ الحكمةُ[(١)] ، وبالحكمةِ يُقامُ الزهدُ ، وبالزهدِ تُترَكُ الدنيا ، وبتركِ الدنيا يُرغَبُ في الآخرةِ ، وبالرغبةِ في الآخرةِ تُنالُ الرُّتْبةُ عندَ اللهِ تعالىٰ)[(٢)]

قيلَ : لمَّا وَرَدَ أبو حفصٍ الحدَّادُ العراقَ . . جاءَ إليهِ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِما ، فرأىٰ أصحابَ أبي حفصٍ وقوفاً علىٰ رأسِهِ يأتمرونَ بأمرِهِ ، لا يُخطِئُ أحدٌ منهُم ، فقالَ : يا أبا حفصٍ ؛ أَدَّبتَ أصحابَكَ أدبَ الملوكِ !! فقالَ : لا يا أبا القاسمِ ، ولٰكنْ حُسْنُ الأدبِ في الظاهرِ عُنْوانُ حُسْنِ الأدبِ في الباطنِ[(٣)]

قالَ أبو الحسينِ النُّوريُّ رحمَهُ اللهُ : (ليسَ للهِ في عبدِهِ مقامٌ ولا حالٌ ولا معرفةٌ يسقطُ معَها آدابُ الشريعةِ ، وآدابُ الشريعةِ حِلْيةُ الظاهرِ ، واللهُ تعالىٰ لا يُبيحُ تعطيلَ الجوارحِ مِنَ التحلِّي بمحاسنِ الآدابِ)[(٤)]

قالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ[(٥)] : (أدبُ الخدمةِ أعزُّ مِنَ الخدمةِ)[(٦)]

---

(١) أي : العقلُ الكامل ؛ يُقال : فلانٌ حكيم : إذا كان كاملَ العقل . من هامش (ح) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٣٩) .

(٣) أي : ما قصدي في تأديب ظواهرهم إلا أن تتأدَّب بواطنُهُم . من هامش (ح) ، وهٰذه القصة أوردها السلمي في « آداب الصحبة » (٢٠٧) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٦)

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٦٨) دون نسبة ودون قوله : (ليس لله . . . معها آداب الشريعة) ، وفي هامش (ح) : (وكلُّ أدبٍ يستعملُهُ السالك في الظاهر . . يُثمِرُ له نوراً في الباطن) .

(٥) في (أ ، و) : (منازل) بدل (المبارك) ، وصوَّبه في هامش (أ) ، والمثبت من باقي النسخ موافق لـ « تفسير السلمي » ، والله أعلم بالصواب .

(٦) لأنَّ الخدمة إذا لم تكن بالأدب لم تكن مقبولةً مرضيَّةً . من هامش (ح) ، والأثر أورده=

حُكِيَ عن أبي عُبيدٍ القاسمِ بنِ سلَّامٍ قالَ دخلتُ مكَّةَ ، فكنتُ ربَّما أقعدُ بحِذاءِ الكعبةِ ، وربَّما كنتُ أستلقي وأَمُدُّ رِجْلي ، فجاءَتْني عائشةُ المكِّيَّةُ فقالتْ لي يا أبا عُبيدٍ ؛ يُقال إنَّكَ مِنْ أهلِ العلمِ ، اقبَلْ منِّي كلمةً لا تُجالِسْهُ إلَّا بأدبٍ ، وإلَّا فيُمحى اسمُكَ مِنْ ديوانِ القُرْبِ ، قالَ أبو عُبيدٍ : وكانتْ مِنَ العارفاتِ(١)

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (النَّفْسُ مجبولةٌ علىٰ سوءِ الأدبِ(٢) ، والعبدُ مأمورٌ بمُلازمةِ الأدبِ ، والنَّفْسُ تجري بطِباعِها في ميدانِ المُخالَفةِ(٣) ، والعبدُ يَرُدُّها بجُهدِهِ إلىٰ حُسْنِ المطالبةِ(٤) ، فمَنْ أَعْرضَ عنِ الجُهدِ فقد أَطْلقَ عِنانَ النَّفْسِ ، وغَفَلَ عنِ الرِّعايةِ ، ومهما أعانَها فهوَ شريكُها)(٥)

وقالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ أعانَ نَفْسَهُ علىٰ هواها . . فقد أشركَ في قَتْلِ نَفْسِهِ)(٦) ؛ لأنَّ العُبُوديَّةَ مُلازَمةُ الأدبِ ، والطُّغْيانَ سوءُ الأدبِ(٧)

(١٠٢) ـ أخبرَنا الشيخُ العالمُ ضِياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ،

= السلمي في « تفسيره » (٢/ ١٢١)

(١) أورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢/ ٢٧٥) .

(٢) لجهلها في أصل الفطرة ؛ إذ هي ترابية . من هامش (ح)

(٣) إذ هي لا تحبُّ الانقيادَ ؛ لما فيها من الناريَّة . من هامش (ح) .

(٤) أي : إلىٰ ما أمر الله به . من هامش (ح) .

(٥) أورده القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٣٨٩) ، وعزاه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٤) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (١٥١) إلىٰ أبي علي الرُّوذْباري رحمه الله تعالىٰ .

(٦) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٥) موقوفاً علىٰ سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٧) أي : الخروجَ عن دائرة العبوديَّة ، والتجاوزَ عن الحدِّ . من هامش (ح) .

قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاس المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا قُتيبةُ ، قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ يعلىٰ ، عن ناصحٍ ، عن سِماكٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَأَنْ يُؤَدِّبَ ٱلرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ »[1]

ورُوِيَ أيضاً أنَّهُ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ والتحيَّةُ : « مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً مِنْ نُحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ »[2]

وروَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « حَقُّ ٱلْوَلَدِ عَلَى ٱلْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ ٱسْمَهُ ، وَيُحَسِّنَ مَرْضَعَهُ ، وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ »[3]

وقالَ أبو عليٍّ الدَّقَّاقُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (العبدُ يصلُ بطاعتِهِ إلى الجنَّةِ ، وبأدبِهِ في طاعتِهِ إلى اللهِ تعالىٰ)[4]

قالَ أبو القاسمِ القُشَيريُّ رحمَةُ اللهُ عليهِ : (كانَ الأستاذُ أبو عليٍّ لا

---

(١) سنن الترمذي (١٩٥١) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٩١) .

(٢) رواه الترمذي (١٩٥٢) ، وأحمد (٤/ ٧٧) ، والحاكم (٤/ ٢٦٣) عن سيدنا عمرو بن سعيد بن العاص رضي الله عنه ، والنُّحْل : العطيّة

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٨٣٠٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٣) ، وضبط (يُحسِّن) في (ج) : (يُحسِن) ، وقولُهُ : (ويُحسِّنَ مَرْضَعَهُ) ؛ أي : لا يعطيه لمرضعةٍ سيِّئةِ الأخلاق ، دنيئة الطباع . من هامش (ح) ، وذلك حتىٰ يطيب مغذاه ويحسن خلقه . انظر « نتائج الأفكار » (٤/ ١٥) .

(٤) رواه القشيري في « رسالته » (ص٥٩٤) .

يستندُ إلىٰ شيءٍ ، وكانَ يوماً في مَجْمَعٍ ، فأردتُ أنْ أَضعَ لهُ وِسادةً خلفَ ظهرِهِ ؛ لأنّي رأيتُهُ غيرَ مُستنِدٍ ، فتنحَّىٰ عنِ الوِسادةِ قليلاً ، فتوهَّمتُ أنَّهُ توقَّى الوِسادةَ لأنَّهُ لم يكنْ عليها خِرْقةٌ أو سَجَّادةٌ ، فقالَ : لا أُرِيدُ الاستنادَ ، فتأمَّلتُ بعدَ ذلكَ ، فعَلِمْتُ أنَّهُ لا يستندُ إلىٰ شيءٍ أبداً)[1]

وقالَ الجَلَاجِليُّ البَصْريُّ[2] (التوحيدُ يُوجِبُ الإيمانَ ؛ فمَنْ لا إيمانَ لهُ لا توحيدَ لهُ ، والإيمانُ يُوجِبُ الشريعةَ[3] ؛ فمَنْ لا شريعةَ لهُ لا إيمانَ لهُ ولا توحيدَ لهُ ، والشريعةُ تُوجِبُ الأدبَ ؛ فمَنْ لا أدبَ لهُ لا شريعةَ لهُ ولا إيمانَ لهُ ولا توحيدَ لهُ)[4]

---

(١) الرسالة القشيرية (ص٥٩٤) .

(٢) هو الإمام المُحدِّث المُقرئ أبو السري موسى بن الحسن بن عبادٍ النسائي البغدادي ، والجَلاجلي : نسبة إلى (الجَلاجل) ، وهي جمع (جُلْجُل) ؛ وهو شيء يُصوِّت به ، ولُقِّب بذلك ؛ لطِيبِ صوتِهِ وحُسْنه ، وانظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (١/ ٣١٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٣٧٨) .

(٣) أي : امتثالَ الأوامر واجتناب النواهي . من هامش (ح) .

(٤) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٦) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص٥٩٤) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٥) ، والمراد من هٰذه المعاني : كمالها ، ولا شكَّ أنَّ الكمال علىٰ هٰذا الترتيب . من هامش (ح) ، وفي هامش (ج) : (التوحيد : هو المكتوب في القلوب ، وهو المُوجِبُ للتصديق للجنان ، بما جاء به الرسول والقرآن ؛ فمن لم يكن له التصديقُ بالجنان . . عُلِمَ [أنَّ] الله سبحانه لم يكتب في قلبه أصلَ التوحيد في سابقة الزمان ، وذلك التصديق يُوجِبُ الإذعان للأحكام الشرعية التي [هي] مبنى الإسلام ؛ فمن لم يُذْعِنْ لأحكام الإسلام . . عُلِمَ أنْ ليس له تصديقٌ ولا توحيد ، [وكذلك] الشريعة توجب الآداب ؛ فمن لا أدب له عُلِمَ أنَّهُ خالٍ من الشريعة والتصديق والتوحيد ؛ ومثل الأدب بالنسبة إلى الشريعة والتصديق والتوحيد . . مثلُ الثمر بالنسبة إلىٰ أغصان الشجر وأصلِهِ وعِرْقه ؛ لقوله تعالىٰ ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم : ٢٤] ، فإذا وُجِدَ الثمر دلَّ علىٰ=

وقالَ بعضُهُمْ : (الزَمِ الأدبَ ظاهراً وباطناً ، فما أساءَ أحدٌ الأدبَ في ظاهرٍ إلا عُوقِبَ ظاهراً ، وما أساءَ أحدٌ الأدبَ باطناً إلا عُوقِبَ باطناً)[1]

وقالَ بعضُهُم ـ وهو غلامُ الزَّقَّاقِ ـ : نظرتُ إلىٰ غلامٍ أمردَ ، فنظرَ إليَّ الزَّقَّاقُ رحمةُ اللهِ عليهِ وأنا أنظرُ إليهِ ، فقالَ : لَتَجِدَنَّ غِبَّها ولو بعدَ سنينَ[2] ، قالَ : فوجدتُ غِبَّها بعدَ عشرينَ سنةً ؛ أنْ أُنسِيتُ القرآنَ[3]

وقالَ السَّرِيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : صَلَّيتُ وِرْدي ليلةً مِنَ الليالي ومَدَدْتُ رِجْلي في المِحْرابِ ، فنُودِيتُ : يا سَرِيُّ ؛ كذا تُجالِسُ الملوكَ ؟! فضَمَمْتُ رِجْلي ، ثمَّ قلتُ : وعِزَّتِكَ ؛ لا مَدَدْتُ رِجْلي أبداً ، قالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : فبَقِيَ ستِّينَ سنةً ما مدَّ رِجْلَهُ ليلاً ولا نهاراً[4]

قالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رحمةُ اللهِ عليهِ : (مَنْ تهاونَ بالأدبِ عُوقِبَ

= حياة وقوة غصن وأصل وعِرْق الشجر ، وعدمُ الثمر دليلٌ علىٰ نقصان الشجر وأصله وعِرْقه) .

(١) فإنَّ الجزاءَ علىٰ وفق العمل . من هامش (ح) ، والقول رواه السلمي في « ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات » (ص٨٥) عن عائشة بنت أبي عثمان الحيري رحمهما الله تعالىٰ ، وأورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/ ١٢٥) .

(٢) غِبُّ كلِّ شيء : عاقبتُهُ . من هامش (ح) .

(٣) حكاه أبو سعد السمعاني في « الأنساب » (٦/ ٣١١) عن أبي الأديان ، وشيخه هو أبو بكر الزقاق الكبير الإمام الصوفي المشهور ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص١٦٢) عن أبي عبد الله بن الجلَّا مع أستاذ له ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٨٤) من طريقين أحدهما عن القشيري ، وصرَّح في الطريق الثاني باسم أستاذ ابن الجلَّا ؛ وهو أبو عبد الله البلخي رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٢٠) دون قول الجنيد ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/ ٤٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/ ١٨٠) .

بحِرْمانِ السُّنَنِ ، ومَنْ تهاونَ بالسُّننِ عُوقِبَ بحِرْمانِ الفرائضِ ، ومَنْ تهاونَ بالفرائضِ عُوقِبَ بحِرْمانِ المعرفةِ)[١]

وسُئِلَ السَّرِيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ عن مسألةٍ[٢] ، فجعلَ يتكلَّمُ فيها ، فدَبَّ علىٰ رِجْلِهِ عقربٌ ، فجعلَ يضربُهُ بإبرتِهِ ، فقيلَ لهُ : أَلَا تدفعُهُ عن نَفْسِكَ ؟ قال : أستحيي مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ أتكلَّمَ في حالٍ ثمَّ أُخالِفَ ما أعلمُ فيهِ[٣]

وقيلَ في أدبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « زُوِيَتْ لِيَ ٱلْأَرْضُ ، فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا »[٤] ، ولم يقلْ : فرأيتُ .

وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (الأدبُ في العملِ علامةُ قَبولِ العملِ) .

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٣٠١٧) ، ورواه ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٣٣٠) عن الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله تعالىٰ ، ولفظ الجملة الأخيرة فيه : (ومَنِ استهان بالفرائض قيَّض الله له مُبتدِعاً يذكرُ عنده باطلاً ، فيُوقِعُ في قلبه شبهةً) .

(٢) أي : مسألةٍ في الصبر . من هامش (ح) ، وصُرِّح بذلك في (ط) ، وسيأتي أيضاً في (٢/ ٤٩٣) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٢٤) ، والقشيري في « رسالته » (ص٤٤٥) ، وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في « إحكام الدلالة » (٣/ ٩٠) : (فيه : أنَّ العبدَ لا يتكلَّمُ في شيء من علوم المقامات والأحوال الصالحات حتىٰ يكونَ مُتخلِّقاً به ؛ ليَسْلَمَ من الدخول في ذمِّ الله لمَنْ يقول ما لا يفعل ، فيسلم من مقته ، كما قال : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٣] ، لكنَّ هٰذا المقتَ إنَّما يكون للمُرائي في كلامه الذي يُوهِمُ الناسَ أنَّهُ مُتخلِّقٌ بما يقول ؛ ليَعظُمَ قدرُهُ عندهم ، وللكذَّاب المُتشبِّع بما لم يَنَلْ ؛ وهو المُدَّعي [المقام] لم يبلغه) .

(٤) رواه مسلم (٢٨٨٩) ، وأبو داود (٤٢٥٢) ، والترمذي (٢١٧٦) ، وابن ماجه (٣٩٥٢) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، وفي جميعها : (فرأيت) بالمبني للمعلوم ، ونصَّ الغماري في « الغنية » (١/ ٤٩٣) علىٰ أنَّ المبني للمجهول وقع في رواية لأبي داود .

وقالَ ابنُ عطاءٍ رحمةُ اللهِ عليهِ : **الأدبُ** : الوقوفُ معَ المُستحسَناتِ ، قيلَ : ما معناهُ ؟ قالَ أنْ تُعامِلَ اللهَ سِرّاً وعَلَناً بالأدبِ ، فإذا كنتَ كذلكَ كنتَ أديباً وإنْ كنتَ أعجميّاً ، ثمَّ أنشدَ : [من الطويل]

إِذَا نَطَقَـتْ جَـاءَتْ بِكُـلِّ مَلِيحَـةٍ وَإِنْ سَكَتَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحِ[1]

وقالَ الجُرَيريُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (منذُ عِشْرينَ سنةً ما مَدَدْتُ رِجْلي في الخَلْوةِ ؛ فإنَّ حُسْنَ الأدبِ معَ اللهِ أحسنُ وأَوْلىٰ)[2]

وقالَ أبو عليٍّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (تركُ الأدبِ مُوجِبٌ للطَّرْدِ ، فمَنْ أساءَ الأدبَ على البِساطِ . رُدَّ إلى البابِ[3] ، ومَنْ أساءَ الأدبَ على البابِ . رُدَّ إلىٰ سِياسةِ الدوابِّ)[4] ، واللهُ أعلمُ[5]

* * *

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٦) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٤ـ٥٩٥) .

(٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٥٩٥) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ١٩٨) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٣) .

(٣) قوله : (البساط) ؛ أي : بساط المشاهدة والمؤانسة ، وقوله : (البابِ) ؛ أي : بابِ المجاهدة والسعي في الخدمة . من هامش (ح) .

(٤) قوله : (رُدَّ إلىٰ سياسة الدواب) ؛ أي : يُغلَّب عليه البهيميَّة ؛ فالأدب للمشاهد : ألا يلتفت إلىٰ ما سواه ، والأدب للمجاهد : أن يخالف هواه ، ويتركَ مشتهاه ، ويسعىٰ دائماً في خدمة مولاه . من هامش (ح) ، وقولُ أبي علي رواه القشيري في « رسالته » (ص٥٩٥) عن شيخه الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله تعالىٰ .

(٥) في هامش (ب) : (بلغ سماع الجماعة في التاسع والعشرين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) ، وفيه أيضاً : (بلغ قراءة كاتبه عبد السلام على الإمام الحافظ جلال الدين) .

الباب الثاني والثلاثون

في آداب الحضرة الإلهية لأهل القرب

كلُّ الآدابِ تُتلقَّىٰ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ والتحيَّةُ مَجْمَعُ الآدابِ ظاهراً وباطناً

وأخبرَ اللهُ تعالىٰ عن حُسْنِ أدبِهِ في الحضرةِ بقولِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧] (١) ، وهٰذهِ غامضةٌ مِنْ غوامضِ الآدابِ اختُصَّ بها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (٢)

---

(١) قوله : ﴿ مَا زَاغَ . . . ﴾ ؛ أي : ما مال بصرُهُ عن رؤية الحقِّ إلىٰ رؤية غيره ؛ بحيثُ يقعُ في عين التفرقة ويغيبُ عن الحقِّ ، فينحجبُ بالخَلْق عن الحقِّ ، وما يجاوزُ نظرُهُ عن حدِّهِ عند رؤية الحقِّ ؛ بحيثُ يقعُ في عين الجمع ويغيبُ في الحقِّ ولا يرى الغيرَ ، فينحجبُ بالحقِّ عن الخَلْق ، بل كان في حدِّ الوسط وعينِ جمع الجمع ؛ وهو إثباتُ الحقِّ والخَلْق ، وهو الكمال ؛ فإنَّهُ قيل : كلُّ تفرقةٍ بلا جمعٍ تعطيلٌ ، وكلُّ جمعٍ بلا تفرقةٍ زندقة . من هامش (ج)

(٢) قوله (من غوامض الآداب) ؛ أي : وأدبُ هٰذه الآيةِ ـ وهو تركُ التأسُّفِ على الفائت ـ عامٌّ لأهل القرب ؛ فإنَّهُم لم يتأسَّفوا ولم يتحسَّروا علىٰ ما طرحوا وراءَ ظهورهم ، وأسقطوا عن نظرهم وقلبهم ما سوى الله ؛ لأنَّهُ كان قليلاً أو فانياً في نظرهم ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء : ٧٧] ، و﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص ٨٨] ، وخطابُ ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ مخصوصٌ برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ يعني : كان آدابُ المُقرَّبين في تقرُّبهم إلى الحضرة أن يتركوا ما سواه ويعبروا عنه ، بعدما نظروا إليه وتمكَّن في خاطرهم وعدُّوهُ شيئاً ، وما عبروا عنه وتركوه لم يتأسَّفوا=

أَخْبرَ اللهُ تعالىٰ عنِ اعتدالِ قلبِهِ المُقدَّسِ في الإعراضِ والإقبالِ ؛ أَعْرضَ عمَّا سوى اللهِ ، وتوجَّهَ إلى اللهِ ، وتَرَكَ وراءَ ظهرِهِ الأَرَضِينَ والدارَ العاجلةَ بحظوظِها ، والسماواتِ والدارَ الآخرةَ بحظوظِها ، فما التفتَ إلىٰ ما أَعْرضَ عنهُ ، ولا لَحِقَهُ الأَسَفُ على الفائتِ في إعراضِهِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣] ، فهٰذا الخطابُ للعمومِ .

و﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ إخبارٌ عن حالِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بوصفٍ خاصٍّ مِنْ معنىٰ ما خاطبَ بهِ العمومَ ؛ فكانَ ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ حالَهُ في طَرَفِ الإعراضِ ، وفي طَرَفِ الإقبالِ تلقَّىٰ ما وَرَدَ عليهِ في مقام ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ [النجم : ٩] بالرُّوحِ والقلبِ ، ثمَّ فَرَّ مِنَ اللهِ حياءً منهُ وهَيْبةً وإجلالاً ، وطوىٰ نَفْسَهُ بفِرارِهِ في مَطَاوِي انكسارِهِ وافتقارِهِ ؛ لكيلا تنبسطَ النَّفْسُ فتَطْغىٰ ؛ لأنَّ الطُّغْيانَ عندَ الاستغناءِ وصفُ النَّفْسِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦ـ٧]

والنَّفْسُ عندَ المواهبِ الواردةِ على الرُّوحِ والقلبِ . . تَسترِقُ السَّمْعَ ، ومتىٰ نالتْ قِسْطاً مِنَ المِنَحِ استغنتْ وطَغَتْ ، والطُّغْيانُ يظهرُ منهُ فَرْطُ البَسْطِ ، والإفراطُ في البَسْطِ يَسُدُّ بابَ المَزِيدِ ، وطُغْيانُ النَّفْسِ لضِيقِ وِعائِها عنِ المواهبِ

فموسىٰ عليهِ السلامُ صحَّ لهُ في الحضرةِ الإلٰهيّةِ أحدُ طَرَفَيْ ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ ، وما التفتَ إلىٰ ما فاتَهُ مُتأسِّفاً عليهِ ؛ لحُسْنِ أدبِهِ ، ولٰكنِ امتلأَ مِنَ

= عليه ، وكان أدبُ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ ما نظر إليه [وما أحبَّ] شيئاً بغير ما سوى الله تعالىٰ ، حتىٰ لا يحتاج أن يُسقِطَهُ عن نظره . من هامش (ج) .

المِنَحِ ، واسترقَتِ النَّفْسُ السمعَ ، وتطلَّعتْ إلى القِسْطِ والحَظِّ[1] ، فلمَّا حَظِيَتِ النَّفْسُ استغنتْ ، وطَفَحَ عليها ما وَصَلَ إليها ، وضاقَ نِطاقُها ، فتجاوزَ الحدَّ مِنْ فرطِ البَسْطِ ، وقالَ : ﴿ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، فمُنِعَ ولم يُطلَقْ في فَضاءِ المَزيدِ ، وظهرَ الفرقُ بينَ الحبيبِ والكليمِ صَلَواتُ اللهِ عليهِما

وهٰذهِ دقيقةٌ لأربابِ القُرْبِ والأحوالِ السَّنِيَّةِ ، فكلُّ قبضٍ يُوجَدُ عقوبةٌ ؛ لأنَّ كلَّ قبضٍ سَدٌّ في وجهِ بابِ الفُتُوحِ

والعقوبةُ بالقبضِ وجبتْ للإفراطِ في البَسْطِ ، ولو حَصَلَ الاعتدالُ في البَسْط ما وجبتِ العقوبةُ بالقبضِ ، والاعتدالُ في البَسْطِ بإيقافِ النازلِ مِنَ المِنَحِ على الرُّوحِ والقلبِ ، والإيقافُ على الرُّوحِ والقلبِ بما ذَكَرْناهُ مِنْ حالِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ تغييبِ النَّفْسِ في مَطاوِي الانكسارِ ، فذلكَ الفِرارُ مِنَ اللهِ إلى اللهِ ، وهوَ غايةُ الأدبِ ، حَظِيَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[2] ، فما قُوبِلَ بالقبضِ ، فدامَ مَزيدُهُ ، وكانَ قابَ قوسَينِ أو أَدْنىٰ .

ويُشاكِلُ الشرحَ الذي شَرَحْناهُ قولُ أبي العبَّاسِ ابنِ عطاءٍ رحمةُ اللهِ عليهِ في قولِهِ تعالىٰ ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ ؛ قالَ : (لم يَرَهُ بطُغْيانٍ يميلُ[3] ،

---

(١) أي : حظّ الروح من الرؤية والمعاينة . من هامش (ح) ، وفي (أ ، ز) : (إلى البسط) بدل (إلى القسط) .

(٢) رجلٌ حَظِيٌّ : إذا كان ذا حُظْوة ومنزلة ، وقد حَظِيَ عند الأمير واحتظىٰ به بمعنىً . من هامش (ح) .

(٣) أي : إلىٰ ما يلزم فيه سوءُ أدب . من هامش (ح) .

بل رآهُ على شرطِ اعتدالِ القُوى)[1]

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (لم يَرجِعْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى شاهدِ نفسِهِ ، ولا إلى مُشاهَدتِها ، وإنَّما كانَ مُشاهِداً بكُلِّيَّتِهِ لربِّهِ ، يُشاهِدُ ما يظهرُ عليهِ مِنَ الصفاتِ التي أَوْجبتْ لهُ الثبوتَ في ذلكَ المحلِّ)[2]

وهٰذا الكلامُ لمَنِ اعتبرَهُ مُوافِقٌ لِمَا شَرَحْناهُ برمزٍ في ذلكَ مِنْ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ رحمةُ اللهِ عليهِ

ويُؤيِّدُ ذلكَ أيضاً

(١٠٣) ـ ما أخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ العالِمُ عصامُ الدِّينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ أحمدَ بنِ منصورٍ الصَّفَّارُ النَّيسابُوريُّ ، قالَ أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ ابنُ خَلَفٍ الشِّيرازيُّ ، قالَ أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ سمعتُ أبا نصرٍ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ السَّرَّاجَ قالَ : أخبرَني أبو الطيِّبِ العَكِّيُّ ، عن أبي محمَّدٍ الجُرَيريِّ قالَ : (التبرُّعُ إلى استدراكِ عِلْمِ الانقطاعِ وسيلةٌ[3] ، والوقوفُ على حدِّ الانحسارِ نجاةٌ ، واللِّياذُ بالهَرَبِ مِنْ عِلْمِ الدُّنُوِّ وُصْلةٌ ،

---

(١) رواه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٨٦)

(٢) أو صُرِفَ كلٌّ إلى ما هُيِّئَ وقُدِّر له ؛ فالعينُ للمشاهدة ، والسمعُ لاستماع ما يخاطب ، والنفسُ للخدمة ، والقلبُ للمحبَّة والمعرفة ، والرُّوحُ للمعاينة ، والسِّرُّ للاستغراق من هامش (ح) ، وقول التستري أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٨٦)

(٣) أي وسيلةٌ إلى الخشية من هامش (ح) ، وفي « طبقات الصوفية » : (التسرع) بدل (التبرع) ، وفي (د) : (التبرك) ، وفي نسخة على هامشها كالمثبت .

واستفتاحُ فَقْدِ تركِ الجوابِ ذخيرةٌ ، والاعتصامُ مِنْ قَبولِ دواعي استماعِ الخِطابِ تَكَلُّفٌ[1] ، وخوفُ فَوْتِ علمِ ما انطوىٰ مِنْ فصاحةِ الفهمِ في حينِ الإقبالِ مَسَاءةٌ ، والإصغاءُ إلىٰ تَلَقِّي ما ينفصلُ عن مَعْدِنِهِ بُعْدٌ ، والاستسلامُ عندَ التلاقي جَرَاءةٌ ، والانبساطُ في مَحَلِّ الأُنْسِ غِرَّةٌ)[2]

وهٰذهِ الكلماتُ كلُّها مِنْ آدابِ الحضرةِ لأربابِها

وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ وجهٌ آخرُ ألطفُ ممَّا سَبَقَ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ حيثُ لم يتخلَّفْ عنِ البصيرةِ ولم يتقاصَرْ ، ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ لم يسبقِ البصيرةَ البصرُ فيتجاوزَ حدَّهُ ويتعدَّىٰ مَقامَهُ[3] ، بلِ استقامَ البصرُ معَ البصيرةِ ، والظاهرُ معَ الباطنِ ، والقلبُ معَ القالَبِ ، والنظرُ معَ القَدَمِ ؛ ففي تقدُّمِ النظرِ على القَدَمِ طُغْيانٌ ، والمعنيُّ بالنظرِ عِلْمٌ ، وبالقَدَمِ حالٌ ، فلم يتقدَّمِ النظرُ على القَدَمِ فيكونَ طُغْياناً ، ولم يتخلَّفِ القَدَمُ عنِ النظرِ فيكونَ تقصيراً

فلمَّا اعتدلتِ الأحوالُ صارَ قلبُهُ كقالَبِهِ ، وقالَبُهُ كقلبِهِ ، وظاهرُهُ كباطنِهِ ، وباطنُهُ كظاهرِهِ ، وبصرُهُ كبصيرتِهِ ، وبصيرتُهُ كبصرِهِ ، فحيثُ انتهىٰ نظرُهُ وعلمُهُ قارنَهُ قَدَمُهُ وحالُهُ

ولهٰذا المعنى انعكسَ حكمُ معناهُ ، ونورُهُ علىٰ ظاهرِهِ ، وأُتِيَ ببُراقٍ ينتهي خَطْوُهُ حيثُ ينتهي نظرُهُ ، لا يتخلَّفُ قدمُ البُراقِ عن موضعِ نظرِهِ ، كما

---

(١) في « طبقات الصوفية » : (تلطف)

(٢) طبقات الصوفية (ص ٢٦٠_٢٦١)

(٣) ضُبط (البصيرة) و(البصر) في (أ) بالرفع والنصب معاً

جاءَ في حديثِ المعراجِ[1] ، فكانَ البُراقُ لقالَبِهِ مُشاكِلاً لمعناهُ ، ومُتَّصِفاً بصفتِهِ ؛ لقوَّةِ حالِهِ ومعناهُ .

وأشارَ في حديثِ المعراجِ إلىٰ مقاماتِ الأنبياءِ ، ورأىٰ في كلِّ سماءٍ بعضَ الأنبياءِ ؛ إشارةً إلىٰ تعويقِهِم وتخلُّفِهِم عن شَأْوِهِ ودرجتِهِ[2] ، ورأىٰ موسىٰ عليهِما السلامُ في بعضِ السماواتِ

فمَنْ هوَ في بعضِ السماواتِ يكونُ قولُهُ : ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ تجاوزَ النظرُ عن حدِّ القَدَمِ ، وتخلَّفَ القَدَمُ عنِ النظرِ ، وهـٰذا هوَ الإخلالُ بأحدِ الوصفَينِ مِنْ قولِهِ تعالىٰ ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾

فرسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حُمِلَ مُقترِناً قَدَمُهُ ونظرُهُ في حِجَالِ الحياءِ والتواضعِ[3] ، ناظراً إلىٰ قَدَمِهِ ، قادماً علىٰ نظرِهِ ، ولو خَرَجَ عن حِجَالِ الحياءِ والتواضعِ ، وتَطَاوَلَ بالنظرِ مُتعدِّياً حدَّ القَدَمِ . تَعَوَّقَ في بعضِ السماواتِ كتعوُّقِ غيرِهِ مِنَ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ

فلم يَزَلْ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُستحلِسَ حِجالِهِ ، في خَفَارةِ أدبِ حالِهِ[4] . . حتىٰ خَرَقَ حُجُبَ السماواتِ ، فانصبَّتْ إليهِ أقسامُ القُرْبِ

---

(١) حديث الإسراء والمعراج رواه البخاري (٣٨٨٧) ، ومسلم (١٦٤) عن سيدنا مالك بن صعصعة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٤٩٨) .

(٢) الشَّأْو : الغاية والسبق . من هامش (ح)

(٣) الحِجَال في الأصل : جمع (حَجَلَةٍ) العروس ؛ وهو بيتٌ يُزيَّن بالثياب والأَسِرَّة والسُّتُور .

(٤) يقال : استَحْلَسَ النباتُ : إذا غطَّى الأرضَ بكثرته وطوله ، والخَفَارة : الحياء والوَقار ، وقال في « شرح المشكلات » (ق/ ٥٠) : (قوله : « مستحلس حجاله » ؛ أي : مستقر مقيم ، مأخوذ من الحِلْس ؛ وهو عبارة عن الاستقرار والإقامة ؛ يُقال : هو =

انصباباً ، وانقشعتْ عنهُ سحائبُ الحُجُبِ حجاباً حجاباً ، حتى استقامَ علىٰ صراطِ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ ، فمرَّ كالبرقِ الخاطفِ ، إلىٰ مُخْدَعِ الوصلِ واللطائفِ(١) ، وهـٰذا غايةٌ في الأدبِ ، ونهايةٌ في الأَرَبِ(٢)

قالَ أبو محمَّدٍ رُوَيمٌ رحمةُ اللهِ عليهِ حينَ سُئِلَ عن أدبِ المسافرِ ، فقالَ لا يُجاوِزُ همُّهُ قدمَهُ ، وحيثُ وقفَ قلبُهُ يكونُ مَقَرُّهُ(٣)

(١٠٤) ـ أخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا عمرُ بنُ أحمدَ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ خَلَفٍ ، قالَ أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ حدَّثَنا القاضي أبو محمَّدٍ يحيى بنُ منصورٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عليٍّ التِّرْمِذيُّ ، قالَ حدَّثَنا محمَّدُ بنُ رِزَامٍ الأُبُلِّيُّ ، قالَ : حدَّثَنا [أحمدُ] بنُ عطاءٍ الهُجَيْميُّ(٤) ، قالَ حدَّثَنا محمَّدُ بنُ نُصَيرٍ ، عن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ

= حِلْس بيته ؛ أي : مقيم بيته ؛ لأنَّ الحِلْس قلَّما يرتفع) .

(١) المُخْدع في الأصل : بيت صغير يُحرز فيه الشيء .

(٢) قال الشيخ نجم الدين الكُبْرىٰ : ولا يُظَنُّ من هـٰذا قِصَرُ حال الصوفي ؛ فإنَّهُ قَدَمانِ ؛ قدم في النهاية ، وقدم في اللانهاية « حاشية زين الدين » . من هامش (ح) ، والكُبْرىٰ : علىٰ وزن (فُعْلىٰ) كما ضبطه السبكي في « الطبقات » (٨/ ٢٥) ، وضبطه الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٧/ ١٧٢) : (الكُبْرِي) بضم الكاف وسكون الباء الموحدة وكسر الراء .

(٣) وهـٰذا يتناول السفر الظاهر والباطن . من هامش (ح) ، وقولُ رُويم رواه أبو نصر السرَّاج في « لمعه » (ص٢٥٠) ، والسلمي في « طبقاته » (ص١٨١) ، والقشيري في « رسالته » (ص٦٠٤) .

(٤) في النسخ : (محمد) بدل (أحمد) ، والمثبت من « نوادر الأصول » (٦٣٤) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩/ ٤٠٨) .

رضيَ اللهُ عنهُما قالَ تلا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هٰذهِ الآيةَ ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، قالَ : « قَالَ : يَا مُوسَىٰ ؛ إِنَّهُ لَا يَرَانِي حَيٌّ إِلَّا مَاتَ ، وَلَا يَابِسٌ إِلَّا تَدَهْدَهَ ، وَلَا رَطْبٌ إِلَّا تَفَرَّقَ ، إِنَّمَا يَرَانِي أَهْلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّذِينَ لَا تَمُوتُ أَعْيُنُهُمْ ، وَلَا تَبْلَىٰ أَجْسَادُهُمْ »(١)

ومِنْ آدابِ الحضرةِ : ما قالَ الشِّبْليُّ رحمَهُ اللهُ : (الانبساطُ بالقولِ معَ الحقِّ تركُ الأدبِ)(٢)

وهٰذا يختصُّ ببعضِ الأحوالِ والأشياءِ دونَ البعضِ ، ليسَ هوَ على الإطلاقِ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ أَمَرَ بالدعاءِ ، وإنَّما الإمساكُ عنِ القولِ كما أَمْسكَ موسىٰ عليهِ السلامُ عنِ الانبساطِ في طَلَبِ المآربِ والحاجاتِ الدنيويَّةِ ، حتىٰ رفعَهُ الحقُّ مقاماً في القُرْبِ ، وأَذِنَ لهُ في الانبساطِ وقالَ : اطلُبْ منِّي ولو مِلْحاً لعجينِكَ ، فلمَّا بُسِطَ انبسطَ وقالَ : ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص ٢٤] ؛ لأنَّهُ كانَ يسألُ حوائجَ الآخرةِ ، ويستعظمُ الحضرةَ أنْ يسألَ حوائجَ الدنيا لحقارتِها ، وهوَ في حجابِ الحِشْمةِ عن سؤالِ المُحقَّراتِ .

---

(١) طبقات الصوفية (ص٢١٧ـ٢١٨) ، نوادر الأصول (٦٣٤) ، ورواه من طريق السلمي أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٣٥) ، وفي نسخة علىٰ هامش (أ) : (أجسامهم) بدل (أجسادهم) ، وهي رواية « النوادر » ، وابن رِزَام مُتَّهم بالوضع ، ويُقال دَهْدَهَ الحجر : إذا دحرجه ، والشيءَ : إذا قلب بعضه علىٰ بعض .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٧) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/ ٦١) ، وزاد : (وتركُ الأدب يُوجِبُ الطرد ، ومن لم يُراعِ أسرارَهُ مع الحقِّ . لا يُكاشَف عن عين الحقيقة بذرَّة) .

ولهٰذا مثالٌ في الشاهدِ : فإنَّ المَلِكَ المُعظَّمَ يُسألُ المُعظَّماتِ ، ويُحتشَمُ في طلبِ المُحقَّراتِ .

فلمَّا رُفِعَ بساطُ الحِشْمةِ صارَ في مقامٍ خاصٍّ مِنَ القُرْبِ ؛ يسألُ الحقيرَ كما يسألُ الخطيرَ

قالَ ذو النُّونِ المِصْريُّ رحمَهُ اللهُ : (أدبُ العارفِ فوقَ كلِّ أدبٍ ؛ لأنَّ معروفَهُ مُؤدِّبُ قلبِهِ)[1]

وقالَ بعضُهُم : (يقولُ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ « مَنْ ألزمتُهُ القيامَ معَ أسمائي وصفاتي . . ألزمتُهُ الأدَبَ ، ومَنْ كشفتُ لهُ عن حقيقةِ ذاتي . . ألزمتُهُ العَطَبَ » ، فاخترْ أيَّهُما شئتَ : الأدبَ أوِ العَطَبَ)[2]

وقولُ القائلِ هٰذا يُشِيرُ : إلىٰ أنَّ الأسماءَ والصفاتِ تستقلُّ بوجودٍ مُحتاجٍ إلى الأدبِ[3] ؛ لبقاءِ رسومِ البشريَّةِ وحظوظِ النفسِ ، ومعَ لَمَعَانِ نورِ عَظَمةِ

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٨) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٨) ، والعَطَبُ : الهلاك .

(٣) يحتملُ أن يُراد بقوله : (تستقل) ؛ أي : تتحمل ؛ من قولهم : استقلَّ بالحمل : إذا تحمَّل ورفع ، والباءُ للتعدية ، فيكونُ حملُ الأسماء والصفات الوجودَ المحتاجَ إلى الأدب ، حُمِلَ من أرض الطبيعة البشرية ، ورُفِعَ بالتربية وتعليمِ الآداب إلىٰ أن يصير أهلاً للتجلِّيات الذاتيّة ؛ فإنَّ الوجود إذا لم يتنوَّر بالأنوار ولم يتأدَّب بالآداب . . لم يستحقَّ بالقرب ؛ إذ كلٌّ من رسوم البشريَّة وصفات الطبيعة وحظوظِ النفس تُبعِّده ؛ فحملُ الأسماء والصفات إيَّاه يكونُ بهٰذا المعنىٰ .

ويحتمل أن يُرادَ باستقلال الأسماء والصفات : استقلالُها واستبدادها بتربية الوجود ؛ أي : من غير تجلِّي الذات ؛ فإنَّ تجلِّيَ الذات يُذِيب الوجود ويُفنيه ، وتجلِّيَ الصفات=

الذاتِ تتلاشى الآثارُ بالأنوارِ ، ويكونُ معنى العَطَبِ التحقُّقَ بالفَناءِ ، وفي ذلكَ العَطَبِ نهايةُ الأَرَبِ[1]

وقالَ أبو عليٍّ الدَّقَّاقُ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]؛ قالَ لم يَقُلِ : (ارحَمْني)؛ لأَنَّهُ حَفِظَ أدبَ الخطابِ ، وقالَ عيسىٰ عليهِ السلامُ ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ [المائدة : ١١٦] ، ولم يَقُلْ : (لم أَقُلْ) ؛ رعايةً لأدبِ الحَضْرةِ[2]

وقالَ أبو نصرٍ السَّرَّاجُ : (أدبُ أهلِ الخُصُوصيَّةِ مِنْ أهلِ الدِّينِ في طهارةِ القلوبِ[3] ، ومُراعاةِ الأسرارِ ، والوفاءِ بالعُهُودِ ، وحِفْظِ الوقتِ ، وقِلَّةِ الالتفاتِ إلى الخواطرِ والعوارضِ والبوادي والعوائقِ ، واستواءِ السِّرِّ والعلانيَةِ[4] ، وحُسْنِ الأدبِ في مواقفِ الطَّلَبِ ومقاماتِ القُرْبِ وأوقاتِ الحُضُورِ)[5]

= يُربِّيه ويُبقيه ، إلىٰ أن يصير أهلاً للفناء ، مُستعِداً للوصل واللقاء « حاشية زين الدين » . من هامش (ح) .

(١) في بعض النسخ : (الأدب) بالدال

(٢) رواه القشيري في « رسالته » (ص٥٩٩)

(٣) عن الأوصاف المذمومة ؛ كالغِلِّ والغِشِّ ، والحِقْد والحسد ، والكِبْر والعُجْب ، وغيرها . من هامش (ح)

(٤) وهٰذا أمرٌ صعب على المختلط بأرباب العادات والرُّسُوم ، المُراعي خواطرَهُم ، لٰكن إذا غلب على الباطن ذوقُ المشاهدة . . يَفِرُّ بقلبه إلى الحضرة سائلاً مُتضرِّعاً أن يحفظ عليه وقتَهُ في أوان الاختلاط كما كان في العزلة ، ولا بدَّ من تحمُّل التشنيع والإنكار لطالب الاستمرار ، واستواء الإعلان والإسرار . من هامش (ح)

(٥) اللمع (ص١٩٦) ، وينبغي أن يعلم المُتفطِّنُ أوقاتَ الطلب ، فليس كلُّ وقتٍ يصلُحُ للطلب ؛ فإنَّهُ إذا لَمَعَ بارقٌ من نور الجمال ، وسَرَتْ نسمةٌ من مَهَبِّ الوصال . . يستديمُ=

والأدبُ أَدَبانِ أدبُ قولٍ ، وأدبُ فعلٍ ؛ فمَنْ تقرَّبَ إلى اللهِ بأدبِ فعلِهِ . . منحَهُ مَحَبَّةَ القلوبِ .

قالَ ابنُ المباركِ (نحنُ إلىٰ قليلٍ مِنَ الأدبِ أَحْوجُ منَّا إلىٰ كثيرٍ مِنَ العلمِ)(١)

وقالَ أيضاً : (الأدبُ للعارفِ بمنزلةِ التوبةِ للمُستأنِفِ)(٢)

وقالَ النُّوريُّ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ لم يتأدَّبْ للوقتِ فوقتُهُ مَقْتٌ)(٣)

وقالَ ذو النُّونِ رحمَهُ اللهُ : (إذا خَرَجَ المُرِيدُ عن حدِّ استعمالِ الأدبِ . .

= (. . .) بترك الدعاء والسؤال ، ويسعىٰ بسرِّهِ في التلاشي والاضمحلال ، وإذا حان أوان ظهور الوجود ، وتزاعمت الدواعي والقصود . . فلا يطلب إلا ما ثبت علىٰ قوانين أهل المحبَّة ؛ من استقامة قلبه وسرِّهِ ، وعدمِ تسليط نفسه ، ودوامِ حمايته وحفظه . من هامش (ح)

(١) فإن القليلَ من الأدب نافعٌ ، والكثيرَ من العلم الغير المشفوع بالعمل غيرُ نافع من هامش (ح) ، وقول ابن المبارك أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٦) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ٤٤٥)

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٦) ، ورواه السلمي في « الطبقات » (ص٢٢٥) ، وعزاه إلىٰ أبي بكر الورَّاق رحمه الله تعالىٰ ، والمُستأنِف ؛ أي : المبتدئ ، **فكما أنَّ المبتدئَ لا يترقَّىٰ إلى المقامات إلا بمراعاة التوبة** . . لا يترقَّى العارفُ في مراتب المعارف إلا بمراعاة الأدب ، **وكما أنَّ المبتدئ إذا وقعت له فترةٌ لا يستدركها بالدفع إلا بتجديد التوبة** . . ينبغي للعارف إذا وقعتْ له حَجْبةٌ [أن] يبالغ في مراعاة الأدب ، ويستغفرَ من التقصير في مراعاته للوقت بمراعاة حقِّ الوقت . من هامش (ح)

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٩)

فإنَّهُ يرجعُ مِنْ حيثُ جاءَ)[1]

وقالَ ابنُ المباركِ أيضاً : (قد أكثرَ الناسُ في الأدبِ ، ونحنُ نقولُ : معرفةُ النَّفْسِ)[2]

وهـٰذهِ إشارةٌ منهُ : إلىٰ أنَّ النَّفْسَ هيَ منبعُ الجَهالاتِ ، وتركَ الأدبِ مِنْ مُخامَرةِ الجهلِ ، فإذا عَرفَ النَّفْسَ صادفَ نورَ العِرْفانِ ؛ علىٰ ما وَرَدَ : (مَنْ عَرَفَ نفسَهُ فقد عَرَفَ ربَّهُ)[3] ، ولهـٰذا النورِ لا تظهرُ النَّفْسُ بجهالةٍ إلا ويقمعُها بصريحِ العِلْمِ ، وحينئذٍ يتأدَّبُ ، ومَنْ قامَ بآدابِ الحَضْرةِ فهوَ بغيرِها أَقْومُ ، وعليها أَقْدرُ ، واللهُ أعلمُ[4]

* * *

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٩) ، وقولُهُ : (يرجع . . .) ؛ أي : يرجعُ إلى الطبيعة البشريَّة ، وتستولي عليه النفس الأمَّارة ، بل يزدادُ تسليطُها ، وربَّما انجرَّ الأمرُ إلى الارتداد والعياذُ بالله ، وشؤمُ الخروج عن حدِّ استعمال الأدب أكثرُ من أن يُحرَّر في حاشية الكتاب ، ربِّ سَلِّم . من هامش (ح) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٧) .

(٣) سبق تخريجه في (١/ ٢٣٧)

(٤) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) ، وفيه : (بلغ سماع الجماعة في الموفي ثلاثين على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي)

الباب الثالث والثلاثون

في آداب الطهارة ومقدماتها

قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ في وصفِ أصحابِ الصُّفَّةِ : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

قيلَ في التفسيرِ : يُحِبُّونَ أنْ يتطهَّروا مِنَ الأحداثِ والجَنَاباتِ والنجاساتِ بالماءِ[١]

قالَ الكَلْبيُّ : (هوَ غَسْلُ الأدبارِ بالماءِ)[٢]

وقالَ عطاءٌ : (كانوا يستنجُونَ بالماءِ ، ولا ينامُونَ بالليلِ على الجنابةِ)[٣]

رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لأهلِ قُباءٍ لمَّا نزلتْ هـٰذهِ الآيةُ : « إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَثْنَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلطُّهُورِ ، فَمَا هُوَ ؟ » ، قالوا : إنَّا نستنجي بالماءِ[٤]

---

(١) انظر « الكشف والبيان » (١٤/ ٦٠) ، و« تفسير البغوي » (٤/ ٩٦) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٤/ ٦٠) .

(٣) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٤/ ٦٠) ، والبغوي في « تفسيره » (٤/ ٩٦) .

(٤) رواه ابن ماجه (٣٥٥) ، والحاكم (٢/ ٣٣٤) عن السادة أبي أيوب وجابر وأنس رضي الله عنهم ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٠٤ـ ٥٠٥)

وكانَ قبلَ ذلكَ قالَ لهُم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « إِذَا أَتَىٰ أَحَدُكُمُ ٱلْخَلَاءَ فَلْيَسْتَنْجِ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ »[١] ، وهكذا كانَ الاستنجاءُ في الابتداءِ حتىٰ نزلتِ الآيةُ في أهلِ قُباءٍ

قيلَ لسَلْمانَ رضيَ اللهُ عنهُ : قد علَّمَكُم نبيُّكُم كلَّ شيءٍ حتى الخِرَاءةَ ؟! فقالَ سَلْمانُ : أَجَلْ ، نهانا أنْ نستقبلَ القبلةَ بغائطٍ أو بولٍ ، أو أنْ نستنجيَ باليمينِ ، أو يستنجيَ أحدُنا بأقلَّ مِنْ ثلاثةِ أحجارٍ ، أو يستنجيَ برَجِيعٍ أو عَظْمٍ[٢]

(١٠٥) ـ حدَّثَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ إملاءً ، قالَ أخبرَنا أبو منصورٍ الحَرِيميُّ[٣] ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ الخطيبُ ، قالَ أخبرَنا أبو عمرَ الهاشميُّ[٤] ، قالَ أخبرَنا أبو عليٍّ اللُّؤْلُؤيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو داودَ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ، قالَ حدَّثَنا ابنُ المُبارَكِ ، عنِ ابنِ عَجْلانَ ، عنِ القَعْقاعِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّمَا

---

(١) ليس هـٰذا الخطاب خاصّاً بأهل قباء ، بل كان عامّاً كما سيأتي من حديث سلمان وأبي هريرة رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٠٥) .

(٢) سبق تخريجه في (١/٣٣٢) ، والرَّجيع : الروث .

(٣) الحَرِيمي : نسبة إلى (الحَريم) الطاهريّ ؛ وهي محلَّة غربيَّ بغداد ، وأبو منصور الحَريمي : هو الإمام الثقة عبد الرحمـٰن بن أبي غالب محمد بن عبد الواحد البغدادي القزَّاز المقرئ راوي « تاريخ بغداد » (ت ٥٣٥ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٦٩)

(٤) هو الإمام المُعمَّر القاضي الفقيه مسند العراق القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي العباسي البصري (ت ٤١٤هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٢٥) .

أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ ٱلْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ[1] ؛ فَإِذَا أَتَىٰ أَحَدُكُمُ ٱلْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ ٱلْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا ، وَلَا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ » ، وكانَ يأمرُ بثلاثةِ أحجارٍ ، وينهىٰ عنِ الرَّوثِ والرِّمَّةِ[2]

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : الفرضُ في الاستنجاءِ شيئانِ : إزالةُ الخَبَثِ ، وطهارةُ المُزيلِ ؛ وهوَ ألَّا يكونَ رَجيعاً ؛ وهوَ الرَّوْثُ ، ولا مُستعمَلاً مرَّةً أخرىٰ ، ولا رِمَّةً ؛ وهيَ عظمُ الميتةِ

ووِتْرُ الاستنجاءِ سنَّةٌ ؛ إمَّا ثلاثةُ أحجارٍ ، أو خمسةٌ ، أو سبعةٌ ، واستعمالُ الماءِ بعدَ استعمالِ الحجرِ سنَّةٌ .

وقد قيلَ في الآيةِ ﴿ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾ [التوبة : ١٠٨] ، قالوا لمَّا سُئِلوا عن ذلكَ قالوا : كُنَّا نُتبِعُ الماءَ الحجرَ[3]

والاستنجاءُ بالشِّمالِ سُنَّةٌ ، ومسحُ اليدِ بالتُّرابِ بعدَ الاستنجاءِ سُنَّةٌ ، وهٰذا يكونُ في الصحراءِ إذا كانتْ أرضاً طاهرةً وتُراباً طاهراً

وكيفيةُ الاستنجاءِ : أنْ يأخذَ الحَجَرَ بيسارِهِ ويضعَهُ علىٰ مُقدَّمِ المخرجِ قبلَ مُلاقاةِ النجاسةِ ، ويَمُدَّهُ بالمسحِ[4] ، ويُدِيرَ الحجرَ في مَدِّهِ حتىٰ لا ينقلَ النجاسةَ مِنْ موضعٍ إلىٰ موضعٍ[5] ، يفعلُ ذلكَ إلىٰ أنْ ينتهيَ إلىٰ مُؤخَّرِ

---

(١) أي : كلَّ شيء تحتاجون إليه . من هامش (ح)

(٢) سنن أبي داود (٨) ، ورواه النسائي (١/ ٣٨) ، وأحمد (٢/ ٢٥٠) ، وابن حبان (١٤٣١) ، والرِّمَّة : واحدة (الرِّمَم) و(الرِّمَام) ؛ وهي العظام البالية ، وسيأتي شرحها أيضاً بعد قليل .

(٣) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٥) ، وانظر (٢/ ١٢٥) .

(٤) في بعض النسخ : (ويُمره) بدل (ويمده)

(٥) في بعض النسخ : (في مرِّه) بدل (في مده) .

المخرجِ ، ويأخذَ الثانيَ ويضعَهُ على المُؤخَّر كذلكَ ، ويمسحَ إلى المُقدَّمِ ، ويأخذَ الثالثَ ويُدِيرَهُ حولَ المَسْرُبَةِ[١]

وإنِ استجمرَ بحجرٍ ذي ثلاثِ شُعَبٍ . . جازَ .

وأمَّا الاستبراءُ إذا انقطعَ البولُ . . يَمُدُّ ذكرَهُ مِنْ أصلِهِ ثلاثاً إلى الحَشَفَةِ بالرِّفْقِ ؛ لئلا تندفقَ بقيَّةُ البولِ ، ثمَّ يَنتُرُهُ ثلاثاً[٢]

ويحتاطُ في الاستبراءِ بالاستنقاءِ ؛ وهوَ أنْ يَتَنَحْنَحَ ثلاثاً ؛ لأنَّ العُرُوقَ مُمتدَّةٌ مِنَ الحَلْقِ إلى الذَّكَرِ ، وبالتَّنَحْنُحِ تتحرَّكُ وتقذفُ ما في مَجْرى البولِ ، فإنْ مشىٰ خَطَواتٍ وزادَ في التَّنَحْنُحِ . . فلا بأسَ ، ولـٰكن يُراعي حدَّ العلمِ ، ولا يجعلُ للشيطانِ عليهِ سبيلاً بالوسوسةِ وتضييعِ الوقتِ .

ثمَّ يمسحُ الذَّكَرَ ثلاثَ مَسَحَاتٍ أو أكثرَ إلىٰ ألَّا يرى الرُّطُوبةَ ، وشبَّهَ بعضُهُمُ الذَّكَرَ بالضَّرْعِ ، وقالَ : (لا يزالُ تظهرُ منهُ الرُّطُوبةُ ما دامَ يُمَدُّ) ، فيُراعِي الحدَّ في ذلكَ ، ويُراعِي الوِتْرَ في ذلكَ أيضاً .

والمَسَحَاتُ تكونُ على الأرضِ الطاهرةِ أو حَجَرٍ طاهرٍ ، وإنِ احتاجَ إلىٰ أَخْذِ الحجرِ لصِغَرِهِ . . فليأخذِ الحَجَرَ باليمينِ والذَّكَرَ باليسارِ ، ويمسحْ على الحَجَرِ ، وتكونُ الحركةُ باليسارِ لا باليمينِ ؛ لئلا يكونَ مُستنجِياً باليمينِ .

وإذا أرادَ استعمالَ الماءِ انتقلَ إلىٰ موضعٍ آخَرَ ، ويُقنِعُ الحجرَ ما لم ينتشرِ البولُ على الحَشَفَةِ[٣]

---

(١) المَسْرُبة : مجرى الغائط .

(٢) النَّتر : جذبُ الذَّكَر بعنف دون مبالغة

(٣) في نسخة مضبوطة علىٰ هامش (أ) : (ويَقْنَعُ بالحجر) .

وفي تركِ الاستنقاءِ في الاستبراءِ وعيدٌ وَرَدَ فيما رواهُ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : مَرَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ قبرينِ ، فقالَ : « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ؛ أَمَّا هَـٰذَا فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ ـ أو لَا يَسْتَنْزِهُ[1] ـ مِنَ ٱلْبَوْلِ ، وَأَمَّا هَـٰذَا فَكَانَ يَمْشِي بِٱلنَّمِيمَةِ » ، ثمَّ دعا بعَسِيبٍ رَطْبٍ فشقَّهُ باثنينِ ، ثمَّ غَرَسَ علىٰ هـٰذا واحداً وعلىٰ هـٰذا واحداً ، وقالَ « لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا »[2] ، والعَسِيبُ : الجَرِيدُ[3]

وإذا كانَ في الصحراءِ يَبعُدُ عنِ العُيُونِ ؛ روىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ إذا أرادَ البَرَازَ انطلقَ حتىٰ لا يراهُ أحدٌ[4]

وروى المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كنتُ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في سفرٍ ، فأتى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حاجتَهُ ، فأَبْعدَ في المَذْهَبِ[5]

---

(١) وفي مطبوع « الصحيحين » : (لا يستتر) قال النووي في « شرح مسلم » (٣/ ٢٠١) : (رُوِيَ ثلاث روايات : « يستتر » ، و« يستنزه » ، و« يستبرئ » ، وهـٰذه الثالثة في « البخاري » وغيره ، وكلها صحيحة ، ومعناها : لا يتجنَّبه ويتحرَّز منه ، والله أعلم) ، ونصَّ القسطلاني في « الإرشاد » (١/ ٢٨٧) : أنَّ (يستبرئ) روايةُ الحافظ ابن عساكر .

(٢) رواه البخاري (٢١٦) ، ومسلم (٢٩٢) .

(٣) الجَرِيد : عَسِيب النخل إذا جُرِّد من ورقه .

(٤) رواه أبو داود (٢) ، وابن ماجه (٣٣٥) ، والبَرَاز : اسم للفضاء الواسع ، كنوا به عن حاجة الإنسان ، ويُروىٰ أيضاً بكسر الباء ، وهو رواية كثير من المُحدِّثين . انظر « مرقاة المفاتيح » (١/ ٣٧٩) .

(٥) رواه الترمذي (٢٠) ، ومختصراً أبو داود (١) ، والنسائي (١/ ١٨) ، وابن ماجه (٣٣١) .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يتبوَّأُ لحاجتِهِ كما يتبوَّأُ الرجلُ المنزلَ[1] ، وكانَ يستترُ بحائطٍ أو نَشْزٍ مِنَ الأرضِ ، أو كُومٍ مِنَ الحجارةِ[2]

ويجوزُ أنْ يستترَ الرجلُ براحلتِهِ في الصحراءِ ، أو بذيلِهِ إذا حفظَ الثوبَ مِنَ الرَّشَاشِ .

ويُستحَبُّ أنْ يكونَ البولُ في أرضٍ دَمِثَةٍ[3] ، أو علىٰ ترابٍ مَهيلٍ[4]

قالَ أبو موسىٰ رضيَ اللهُ عنهُ : كنتُ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأرادَ أنْ يبولَ ، فأتىٰ دَمِثاً في أصلِ جدارٍ ، فبالَ ثمَّ قالَ : « إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَبُولَ . . فَلْيَرْتَدْ لِبَوْلِهِ »[5]

وينبغي ألَّا يستقبلَ القِبْلَةَ ولا يستدبرَها ، ولا يستقبلَ الشمسَ ولا القمرَ ، ولا يُكرَهُ استقبالُ القِبْلةِ في البُنْيان ، والأَوْلى اجتنابُهُ ؛ لذهابِ بعضِ الفقهاءِ

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٠٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن حبان في « المجروحين » (٢/ ٩١) عن سيدنا أبي قتادة رضي الله عنه ، ويتبوَّأ لحاجته ؛ أي : يطلب موضعاً يصلح لها

(٢) رواه مسلم (٣٤٢) ، وأبو داود (٢٥٤٩) وغيرهما عن سيدنا عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، بلفظ : (كان أحبَّ ما استتر به رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لحاجته . . هدفٌ أو حائشُ نخل) ، والهدف : كلُّ مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو نشز من الأرض ، والنَّشْز : المرتفع من الأرض ، وفي هامش (ح) : (الكُوم : جمع « كُومة » ؛ وهو ما اشتدَّ وغَلُظَ من الحجارة)

(٣) الدَّمِثة : السهلة الليِّنة .

(٤) المَهِيل : السائل .

(٥) أي : فليطلبْ مكاناً ليّناً أو منحدراً . من هامش (ح) ، والحديث رواه أبو داود (٣) ، وأحمد (٤/ ٣٩٦) ، والحاكم (٣/ ٤٦٦) .

إلىٰ كراهيَةِ ذلكَ في البُنْيانِ أيضاً[1] ، ولا يرفعُ ثوبَهُ حتىٰ يدنوَ مِنَ الأرضِ ، ويجتنبُ مَهابَّ الرِّياحِ ؛ احترازاً مِنَ الرَّشَاشِ

قالَ رجلٌ لبعضِ الصحابةِ مِنَ الأعرابِ وقد خاصمَهُ ؛ قالَ : لا أَحسَبُكَ تُحسِنُ الخِرَاءةَ ، فقالَ : بلىٰ وأبيكَ إنِّي بها لَحَاذِقٌ ، قالَ : فصِفْها لي ، فقالَ : أَبْعُدُ عنِ البَشَرِ ، وأُعِدُّ المَدَرَ ، وأستقبلُ الشِّيحَ ، وأستدبرُ الرِّيحَ ، وأُقْعِي إِقْعاءَ الظَّبِيِّ ، وأُجْفِلُ إجْفالَ النَّعَامِ[2]

يعني : أستقبلُ أصولَ النباتِ مِنَ الشِّيحِ وغيرِهِ ، وأستدبرُ الريحَ ؛ احترازاً مِنَ الرَّشَاشِ ، والإقعاءُ ها هنا : أنْ يستوفزَ علىٰ صُدُورِ قَدَمَيهِ ، والإِجْفالُ : أنْ يرفعَ عَجُزَهُ .

ويقولُ عندَ الفراغِ مِنَ الاستنجاءِ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وطَهِّرْ قَلْبِي مِنَ الرِّياءِ ، وحَصِّنْ فَرْجِي مِنَ الفواحشِ)[3]

ويُكرَهُ أنْ يبولَ الرجلُ في المُغتسَلِ ؛ روىٰ عبدُ اللهِ بنُ مُغفَّلٍ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نهىٰ أنْ يبولَ الرجلُ في مُستحَمِّهِ وقالَ : « إِنَّ عَامَّةَ ٱلْوَسْوَاسِ مِنْهُ »[4]

---

(١) وهو مذهب السادة الحنفية . انظر « حاشية ابن عابدين » (١/ ٥٥٤) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١١٩٠) ، وابن حمدون في « التذكرة الحمدونية » (٧/ ٢٥٤) ، وسيأتي شرح ألفاظه بعده مباشرة

(٣) أورده أبـو طـالـب المكي في « القـوت » (٣/ ١١٩٣) ، والغـزالـي فـي « الإحيـاء » (١/ ٤٨٨) .

(٤) رواه أبـو داود (٢٧) ، والتـرمـذي (٢١) ، والنسـائـي (١/ ٣٤) ، وابـن مـاجـه (٣٠٤)

وقالَ ابنُ المباركِ : (يُوسَّعُ في البولِ في المُستحَمِّ إذا جرىٰ فيهِ الماءُ)[١]

وإذا كانَ في البُنْيانِ يُقدِّمُ رِجْلَهُ اليسرىٰ لدخولِ الخلاءِ ، ويقولُ قبلَ الدخولِ : (باسمِ اللهِ ، أعوذُ باللهِ مِنَ الخُبُثِ والخبائثِ)[٢]

(١٠٦) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ السُّهْرَوَرْديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ المُقرئُ[٣] ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ الخطيبُ ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرَ الهاشميُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عليٍّ اللُّؤْلُؤيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو داودَ ، قالَ : حدَّثَنا عمرٌو ـ هوَ ابنُ مرزوقٍ البَصْريُّ ـ ، قالَ : حدَّثَنا شُعْبةُ ، عن قَتادةَ ، عنِ النَّضْرِ بنِ أنسٍ ، عن زيدِ بنِ أرقمَ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِنَّ هَـٰذِهِ ٱلْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ ، فَإِذَا أَتَىٰ أَحَدُكُمُ ٱلْخَلَاءَ فَلْيَقُلْ : (أَعُوذُ بِٱللهِ مِنَ ٱلْخُبُثِ وَٱلْخَبَائِثِ) »[٤]

وأرادَ بالحُشُوشِ : الكُنُفَ ، وأصلُ الحُشِّ : جماعةُ النخلِ الكثيفِ ، كانوا يَقضُونَ حوائجَهُم إليها قبلَ أنْ تُتَّخَذَ الكُنُفُ في البيوتِ ، وقولُهُ : (مُحتَضَرةٌ) ؛ أي : يَحضُرُها الشياطينُ

---

(١) رواه الترمذي (٢١) .

(٢) الخبث : جمع (الخبيث) ؛ وهو المُؤذِي من الجنِّ والشياطين ، والخبائث : جمع (الخبيثة) ، والمراد : أعوذ بك من ذُكرانهم وإناثهم ، وقيل في معناهما غير ذلك انظر « مرقاة المفاتيح » (١/ ٣٧٥) .

(٣) هو الحَرِيمي ، وقد سبق في (٢/ ١٢٦) .

(٤) سنن أبي داود (٦) ، ورواه ابن ماجه (٢٩٦) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩٨٢٠) ، وأحمد (٤/ ٣٧٣) .

وفي الجلوسِ للحاجةِ يعتمدُ على الرِّجْلِ اليُسْرىٰ ، ولا يتولَّعُ بيدِهِ[1] ، ولا يَخُطُّ في الأرضِ والحائطِ وقتَ قُعُودِهِ ، ولا يُكثِرُ النظرَ إلىٰ عورتِهِ ، إلا للحاجةِ إلىٰ ذلكَ ، ولا يتكلَّمُ ؛ فقد وَرَدَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لَا يَخْرُجُ ٱلرَّجُلَانِ يَضْرِبَانِ ٱلْغَائِطَ كَاشِفَيْنِ عَوْرَتَهُمَا يَتَحَدَّثَانِ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَمْقُتُ عَلَىٰ ذَلِكَ »[2]

ويقولُ عندَ خروجِهِ : (غفرانَكَ ، الحمدُ للهِ الذي أَذْهبَ عنِّي ما يُؤْذِيني ، وأَبْقَىٰ عليَّ ما ينفعُني)[3]

ولا يستصحبُ معَهُ شيئاً عليهِ اسمُ اللهِ تعالىٰ ؛ مِنْ ذهبٍ وخاتَمٍ وغيرِهِ

ولا يدخلُ الخلاءَ حاسرَ الرأسِ ؛ رَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها عن أبيها أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنِّي لَأدخلُ الكَنيفَ ، فأُلزِقُ ظَهْري وأُغطِّي رأسي ؛ استحياءً مِنْ ربِّي عزَّ وجلَّ)[4] ، واللهُ أعلمُ وأحكمُ .

❁ ❁ ❁

---

(1) أي : لا يشتغل ولا يلعب بيده . من هامش (ح) .

(2) رواه أبو داود (١٥) ، وابن ماجه (٣٤٢) ، وأحمد (٣/٣٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ويضربان الغائط ؛ أي : يمشيان لأجل قضاء الحاجة ، أو يأتيان الخلاء .

(3) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٢) مرسلاً عن طاوس رحمه الله تعالىٰ .

(4) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٤١) ، ورواه ابن المبارك في « الزهد » (٣١٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١١٣٣) ، وأحمد في « الزهد » (١١٦٨) عن الزبير عن أبي بكر رضي الله عنهما ، وفي هامش (ب) : (بلغ قراءة كاتبه عبد السلام على الشيخ الحافظ جلال الدين)

الباب الرابع والثلاثون

في آداب الوضوء وأسراره

إذا أرادَ الوضوءَ يبتدئُ بالسِّواكِ .

(١٠٧) ـ حدَّثَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ الطائيُّ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ الفرَّاءُ[١] ، قالَ : أخبرَنا عبدُ الواحدِ بنُ أحمدَ المَليحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ محمَّدٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الجبَّارِ ، قالَ : حدَّثَنا حُمَيدُ بنُ زَنْجُويَه ، قالَ : حدَّثَنا يعلى بنُ عُبَيدٍ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ إسحاقَ ، عن محمَّدِ بنِ إبراهيمَ ، عن أبي سلمةَ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ ، عن زيدِ بنِ خالدٍ الجُهَنيِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لَأَخَّرْتُ ٱلْعِشَاءَ إِلَىٰ ثُلُثِ ٱللَّيْلِ ، وَأَمَرْتُهُمْ بِٱلسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ مَكْتُوبَةٍ »[٢]

---

(١) هو الإمام الحافظ الفقيه المُفسِّر محيي السنة أبو محمَّد الحسين بن مسعود الفرَّاء البغوي (ت ٥١٦هـ) صاحب « التهذيب » في فقه السادة الشافعية ، و« معالم التنزيل » ، و« المصابيح » ، وغيرها ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٤٣٩) .

(٢) شرح السنة (١٩٨) للبغوي ، ورواه أبو داود (٤٧) دون ذكر تأخير العشاء ، والترمذي (٢٣) ، وأحمد (٤/ ١١٤) ، ورواه من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أحمد (٢/ ٢٥٠) ، وابن حبان (١٥٣١) ، وهو في « البخاري » (٨٨٧) ، =

وروَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ « ٱلسِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ »(١)

وعن حُذَيفةَ بنِ اليمانِ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وسلَّمَ إذا قامَ مِنَ اللَّيلِ يَشُوصُ فاهُ بالسِّواكِ)(٢) ، والشَّوْصُ الدَّلْكُ

ويُستحَبُّ السِّواكُ : عندَ كلِّ صلاةٍ ، وعندَ كلِّ وضوءٍ ، وكلَّما تغيَّرَ الفمُ مِنْ أَزْمٍ وغيرِهِ ، وأصلُ الأَزْمِ إمساكُ الأسنانِ بعضِها علىٰ بعضٍ ، وقيلَ للسُّكوتِ : أَزْمٌ ؛ لأنَّ الأسنانَ تنطبقُ ، وبذلكَ يتغيَّرُ الفمُ

ويُكرَهُ للصائمِ بعدَ الزوالِ ، ويُستحَبُّ لهُ قبلَ الزوالِ ، وأكثرُ استحبابِهِ معَ غُسْلِ الجُمُعةِ ، وعندَ القيامِ مِنَ اللَّيلِ

ويُندِّي السواكَ اليابسَ بالماءِ ، ويستاكُ عَرْضاً وطولاً ، وإنِ اقتصرَ فعَرْضاً ، فإذا فَرَغَ مِنَ السِّواكِ يغسلُهُ

ويجلسُ للوضوءِ ، والأَوْلىٰ أنْ يكونَ مُستقبِلَ القبلةِ ، يبتدئُ بـ (بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ) ، ويقولُ(٣) : (ربِّ ؛ أعوذُ بكَ مِنْ هَمَزاتِ

= و« مسلم » (٢٥٢) من حديثه أيضاً ولـٰكن دون ذكر تأخير العشاء .

(١) رواه النسائي (١/ ١٠) ، وأحمد (٦/ ٤٧) ، والدارمي (٧١١) ، وابن حبان (١٠٦٧) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥١٤) .

(٢) رواه البخاري (٢٤٥) ، ومسلم (٢٥٥/ ٤٧) .

(٣) سيذكر المؤلف رحمه الله تعالىٰ دعاء الأعضاء ، وقد أورده الغزالي في « الإحياء » (١/ ٤٩١ـ٤٩٥) وغيرُهُ ، قال النووي في « الأذكار » (ص٧٤) : (وأمَّا الدعاء علىٰ أعضاء الوضوء فلم يجئ فيه شيءٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقد قال الفقهاءُ : =

الشياطينِ ، وأعوذُ بكَ ربِّ أنْ يَحضُرونِ)

ويقولُ عندَ غَسْلِ اليدِ : (اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ اليُمْنَ والبَرَكَةَ ، وأعوذُ بكَ مِنَ الشُّؤْمِ والهَلَكَةِ) .

ويقولُ عندَ المَضْمَضَةِ (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ ، وأَعِنِّي على تلاوةِ كتابِكَ ، وكثرةِ الذِّكْرِ لكَ)

ويقولُ عندَ الاستنشاقِ (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ ، وأَوْجِدْني رائحةَ الجنَّةِ وأنتَ عنِّي راضٍ)(1)

ويقولُ عندَ الاستنثارِ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ ، وأعوذُ بكَ مِنْ روائحِ النارِ ، وسُوءِ الدارِ) .

ويقولُ عندَ غَسْلِ الوجهِ (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ ، وبيِّضْ وَجْهي يومَ تَبْيَضُّ وجوهُ أوليائِكَ ، ولا تُسوِّدْ وَجْهي يومَ تَسْوَدُّ فيهِ وجوهُ أعدائِكَ) .

= يُستحَبُّ فيه دعواتٌ جاءت عن السلف ، وزادوا ونقصوا فيها) ، وقال الخطيب الشربيني في « مغني المحتاج » (١/ ١٠٨) بعد أن ذكر كلام النوويِّ : (وفات الرافعيَّ والنوويَّ أنَّهُ رُوي عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم من طرق في « تاريخ ابن حبان » وإن كانت ضعيفة ؛ للعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، ومشى شيخي ـ أي : الشهاب الرملي ـ على أنَّهُ مستحب ، وأفتى به ؛ لهٰذا الحديث) ، وقد أفاض في الكلام على هٰذا الحديث الإمامُ الحافظ ابن حجر العسقلاني في « نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار » (١/ ٢٥٦ـ٢٦٣) .

(١) قوله : (أَوْجِدْني) كذا في النسخ ، وفي هامش (ح) : (أي : اجْعَلْني واجداً رائحة الجنة ؛ من قولهم أوجده الله مطلوبه ؛ أي : [أظْفَرَهُ] به) ، وفي كثير من المصادر والمراجع : (أَرِحْني) .

وعندَ غَسْلِ اليمينِ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وآتِني كتابي بيميني ، وحاسِبْني حساباً يسيراً)

وعندَ غَسْلِ الشِّمالِ : (اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ أنْ تُؤتِيَني كتابي بشِمالي أو مِنْ وراءِ ظَهْري) بعدَ أنْ تُصلِّيَ علىٰ محمَّدٍ

وعندَ مسحِ الرأسِ (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وغَشِّني برحمتِكَ ، وأنزِلْ عليَّ مِنْ بركاتِكَ ، وأَظِلَّني تحتَ ظِلِّ عرشِكَ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّ عرشِكَ)

ويقولُ عندَ مسحِ الأُذُنينِ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، واجعَلْني ممَّنْ يستمعُ القولَ فيتَّبِعُ أَحْسنَهُ ، اللَّهُمَّ ؛ أَسْمِعْني مُنادِيَ الجنَّةِ معَ الأبرارِ)

ويقولُ عندَ مسحِ العُنُقِ : (اللَّهُمَّ ؛ فُكَّ رَقَبَتي مِنَ النارِ ، وأعوذُ بكَ مِنَ السلاسلِ والأَغْلالِ)

ويقولُ عندَ غَسْلِ قدمِهِ اليُمْنىٰ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وثَبِّتْ قَدَمِي على الصِّراطِ معَ أقدامِ المؤمنينَ)

ويقولُ عندَ اليُسْرىٰ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وأعوذُ بكَ أنْ تَزِلَّ قَدَمي على الصِّراطِ يومَ تَزِلُّ فيهِ أقدامُ المنافقينَ)

وإذا فرغَ مِنَ الوضوءِ يرفعُ رأسَهُ إلى السماءِ ويقولُ (أشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لَا شريكَ لهُ ، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ ، سُبحانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدِكَ لَا إلـٰهَ إلَّا أنتَ ، عملتُ سوءاً وظلمتُ نَفْسي ، أستغفرُكَ

وأتوبُ إليكَ ، فاغْفِرْ لي وتُبْ عليَّ إنَّكَ أنتَ التوَّابُ الرحيمُ ، اللهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ ، واجْعَلْني مِنَ التوَّابينَ ، واجْعَلْني مِنَ المُتطهِّرينَ ، واجْعَلْني صَبُوراً شَكُوراً ، واجْعَلْني أذكرُكَ كثيراً ، وأُسبِّحُكَ بُكْرةً وأَصِيلاً)

وفرائضُ الوضوءِ

[الواجبُ الأوَّلُ] : النيةُ عندَ غَسْلِ الوجهِ .

و[الواجبُ الثاني] : غسلُ الوجهِ ، وحدُّ الوجهِ : مِنْ مُبتدأِ تسطيحِ الوجهِ إلىٰ مُنتهى الذَّقَنِ ، وما ظهرَ مِنَ اللِّحْيةِ وما استَرْسَلَ منها ، ومِنَ الأُذُنِ إلى الأُذُنِ عَرْضاً .

ويدخلُ في الغَسْلِ البياضُ الذي بينَ الأُذُنَينِ واللِّحْيةِ ، وموضعُ الصَّلَعِ ، وما انحسرَ عنهُ الشَّعَرُ ـ وهما النَّزَعَتانِ ـ مِنَ الرأسِ[١] ، ويُستحَبُّ غسلُهُما معَ الوجهِ

ويُوصِلُ الماءَ إلىٰ شَعَرِ التحذيفِ ؛ وهوَ القَدْرُ الذي تُزِيلُهُ النساءُ مِنَ الوجهِ ، ويُوصِلُ الماءَ إلى العَنْفَقَةِ والشاربِ والحاجبِ والعِذَارِ[٢] ، وما عدا ذلكَ لا يجبُ .

ثمَّ اللِّحْيةُ إنْ كانتْ خفيفةً يجبُ إيصالُ الماءِ إلى البَشَرَةِ ، وحَدُّ الخفيفِ : أنْ تُرى البشرةُ مِنْ تحتِهِ ، وإنْ كانتْ كثيفةً فلا يجبُ .

---

(١) لا من الوجه ، وقال بعض فقهاء الشافعية : لا يحصل تحقيق كمال غسل الوجه إلا بغسل أجزاء معه ؛ وهي النَّزَعَتان ، والصُّدْغان ، ومحلُّ التحذيف ، وجزءٌ من صفحة العنق ، وما تحت الذَّقَن . من هامش (ح) .

(٢) العَنْفَقَة : الشعر النابت تحت الشفة السفلىٰ ، والعِذَار : الشعر النابت على العظم الناتئ قُرْب الأذن .

ويجتهدُ في تنقيةِ مُجتمَعِ الكُحْلِ مِنْ مُقدَّمِ العينِ

الواجبُ الثالثُ : غَسْلُ اليدينِ إلى المِرْفقَينِ ، ويجبُ إدخالُ المِرْفقَينِ في الغَسْلِ ، ويُستحَبُّ غسلُهُما إلىٰ أنصافِ العَضُدَينِ ، وإنْ طالتِ الأظافيرُ حتىٰ خرجتْ مِنْ رؤوسِ الأصابعِ . . يجبُ غَسْلُ ما تحتَها على الأصحِّ .

الواجبُ الرابعُ : مسحُ الرأسِ ، ويكفي ما يُطلَقُ عليهِ اسمُ المسحِ

واستيعابُ الرأسِ بالمسحِ سنةٌ ؛ وهوَ أنْ يُلصِقَ رأسَ أصابعِ اليُمْنىٰ باليُسْرىٰ ويضعَهُما علىٰ مُقدَّمِ الرأسِ ، ويَمُدَّهُما إلى القَفَا[1] ، ثمَّ يَرُدَّهُما إلى الموضعِ الذي بدأَ منهُ ، ويَنصُفَ بَلَلَ الكفَّينِ مُستقبِلاً ومُستدبِراً

الواجبُ الخامسُ غَسْلُ القَدَمَينِ ، ويجبُ إدخالُ الكعبَينِ في الغَسْلِ ، ويُستحَبُّ غَسْلُهُما إلىٰ أنصافِ الساقَينِ ، ويُقنِعُ غسلَ القدمَينِ معَ الكعبَينِ .

ويجبُ تخليلُ الأصابعِ المُلتفَّةِ ؛ فيُخلِّلُ بخِنصِرِ يدِهِ اليُسْرىٰ مِنْ باطنِ القدمِ ، يبدأُ بخِنصِرِ رِجْلِهِ اليُمْنىٰ ، ويَختِمُ بخِنصِرِهِ اليُسْرىٰ .

وإنْ كانَ في الرِّجْلِ شُقُوقٌ يجبُ إيصالُ الماءِ إلىٰ باطنِها ، وإنْ تركَ فيها عجيناً أو شَحْماً تجبُ إزالةُ عينِ ذلكَ الشيءِ .

والواجبُ السادسُ : الترتيبُ على النَّسَقِ المذكورِ في كلامِ اللهِ تعالىٰ .

والواجبُ السابعُ : التتابعُ[2] في القولِ القديمِ عندَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ

(١) في بعض النسخ : (القفاء) بالمد ، وهي لغةٌ قليلة حكاها ابن بَرّي عن ابن جنّي . انظر « تاج العروس » (٣٩/٣٢٦) .

(٢) أي : الموالاة ، وهو سنةٌ في القول الجديد ، ومحلُّ الخلاف : في التفريق بغير عذر ، =

عنهُ ، وحدُّ التفريقِ الذي يقطعُ التتابعَ : نَشَافُ العُضْوِ معَ اعتدالِ الهواءِ .

وسُنَنُ الوضوءِ ثلاثَ عَشْرَةَ التسميةُ في أوَّلِ الطهارةِ ، وغسلُ اليدَينِ إلى الكُوعَينِ قبلَ إدخالِهما الإناءَ ، والمضمضةُ ، والاستنشاقُ ، والمبالغةُ فيهِما ؛ فيُغرغِرُ في المضمضةِ حتىٰ يَرُدَّ الماءَ إلى الغَلْصَمَةِ[1] ، ويستمدُّ في الاستنشاقِ الماءَ بالنَّفَسِ إلى الخياشيمِ ، ويَرفُقُ في ذلكَ إذا كانَ صائماً

وتخليلُ اللِّحيةِ الكَثَّةِ[2] ، وتخليلُ الأصابعِ المُنفرِجةِ[3] ، والبدايةُ بالميامنِ[4] ، وإطالةُ الغُرَّةِ[5] ، واستيعابُ الرأسِ بالمسحِ ، والتثليثُ ،

= وفي طول التفريق ، أمَّا بالعذر فلا يضرُّ قطعاً ، وقيل يضر على القديم ، وأما اليسير : فلا يضر إجماعاً ، وانظر « نهاية المطلب » (١/ ٩١ـ٩٣) ، و« المجموع » (١/ ٤٧٨ـ ٤٨٠) ، و« مغني المحتاج » (١/ ١٠٥ـ١٠٦)

(١) الغَلْصَمَة : رأس الحلقوم .

(٢) في (ب) : (الكثيفة) ، والكثيف عند الفقهاء ما لم تُرَ البشرة من خلاله في مجلس التخاطب عرفاً ، وعند غيرهم الثخين والغليظ ، وهنا فائدة أوردها صاحب « إعانة الطالبين » (١/ ٣٩) ؛ وهي أنَّهُ لا يُقال للحية النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : كثيفة ؛ لما فيه من البشاعة ، بل يُقال : عظيمة .

(٣) احتراز من أصابع المستورة ـ وهي التي لا يصل الماء إليها إلا بالتخليل ـ فإنَّ تخليله واجبٌ عند الشافعي . من هامش (ح) .

(٤) قوله : (والبداية) كذا في جميع النسخ ، والأكثر والمشهور : (والبُداءة) ، والمثبتُ لغةٌ أنصاريَّة ذكرها ابن القطَّاع ، وعدَّها ابن بَرِّي من الأغلاط ، وانظر « تاج العروس » (١/ ١٣٨)

(٥) معنىٰ إطالة الغُرَّة : غسلُ شيء من الحدود التي تعيَّنتْ بالنص ؛ كالمرفقين والكعبين ، فيغسلُ اليدين إلىٰ أنصاف العضدين ، والكعبين إلىٰ أنصاف الساقين ؛ فإنَّ أعضاء الوضوء تتنوَّر يوم القيامة وتبيضُّ ، فكلَّما يطولُ موضع الغسل يطول بياضه ونوره ، وأمَّا الغُرَّة ـ بالضم ـ : بياضٌ في جبهة الفرس قدرَ الدرهم ؛ يُقال : فرسٌ أَغَرُّ ، والأَغَرُّ : الأبيض . من هامش (ح) .

ومسحُ الأُذُنَينِ ، وفي القولِ الجديدِ : التتابعُ

ويجتنبُ أنْ يزيدَ على الثلاثِ ، ولا ينفضُ اليدَ ، ولا يتكلَّمُ في أثناءِ الوضوءِ ، ولا يَلطِمُ وجهَهُ بالماءِ لَطْماً

وتجديدُ الوضوءِ مُستحَبٌّ ؛ بشرطِ أنْ يُصلِّيَ بالوضوءِ ما تيسَّرَ ، وإلا فمكروهٌ ، واللهُ أعلمُ[١]

❁ ❁ ❁

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الخامس والثلاثون

في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء

أدبُ الصُّوفيّةِ بعدَ القيامِ بمعرفةِ الأحكامِ ؛ أدبُهُم في الوضوءِ[1] : حضورُ القلبِ في غَسْلِ الأعضاءِ .

سمعتُ بعضَ الصالحينَ يقولُ : (إذا حضرَ القلبُ في الوضوءِ يَحضُرُ في الصلاةِ ، وإذا دخلَ السهوُ فيهِ دخلَ الوسوسةُ في الصلاةِ) .

ومِنْ أدبِهِم : استدامةُ الوضوءِ ؛ فالوضوءُ سلاحُ المؤمنِ ، والجوارحُ إذا كانتْ في حمايةِ الوضوءِ الذي هوَ أَثَرٌ شرعيٌّ . يَقِلُّ طُرُوقُ الشيطانِ عليها .

قالَ عَدِيُّ بنُ حاتِمٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما أُقِيمتْ صلاةٌ منذُ أسلمتُ إلا وأنا على وضوءٍ)[2] .

وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : قَدِمَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المدينةَ وأنا يومئذٍ ابنُ ثمانِ سنينَ ، فقالَ لي : « يَا بُنَيَّ ؛ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَلَّا تَزَالَ عَلَى ٱلطَّهَارَةِ . فَٱفْعَلْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ أَتَاهُ ٱلْمَوْتُ وَهُوَ عَلَى ٱلْوُضُوءِ أُعْطِيَ

---

(١) قال في « شرح المشكلات » (ق/ ٥١) : (قوله : « أدبهم في الوضوء » أعاد المبتدأ ؛ للفصل الطويل بينه وبين الخبر) .

(٢) رواه الدولابي في « الكنى والأسماء » (٨٩٦) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٢/ ٢٨٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠/ ٨٦) .

ٱلشَّهادَةَ »[1] ، فشأنُ العاقلِ أنْ يكونَ أبداً مُستعِدّاً للموتِ ، ومِنَ الاستعدادِ لزومُ الطهارةِ .

وحُكِيَ عنِ الحُصْريِّ أنَّهُ قالَ : (مهما أَنتبِهُ مِنَ الليلِ لا يَحمِلُني النومُ إلا بعدَما أقومُ وأُجدِّدُ الوضوءَ ؛ لئلَّا يعودَ إليَّ النومُ وأنا علىٰ غيرِ طهارةٍ)[2] .

وسمعتُ مَنْ صَحِبَ الشيخَ عليَّ بنَ الهِيتيِّ أنَّهُ كانَ يقعدُ الليلَ جميعَهُ ، فإنْ غلبَهُ النومُ يكونُ قاعداً كذلكَ ، وكلَّما انتبهَ يقولُ : لا أكونُ أسأتُ الأدبَ ، فيقومُ ويُجدِّدُ الوضوءَ ، ويُصلِّي ركعتَينِ[3] .

روىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لبلالٍ عندَ صلاةِ الفجرِ : « يَا بِلَالُ ؛ حَدِّثْنِي بِأَرْجَىٰ عَمَلٍ عَمِلْتَ فِي ٱلْإِسْلَامِ مَنْفَعَةً ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ ٱللَّيْلَةَ خَشْفَةَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي ٱلْجَنَّةِ » ، فقالَ ما عَمِلتُ عملاً في الإسلامِ أَرْجىٰ عندي منفعةً مِنْ أنِّي لا أتطهَّرُ طُهْراً تامّاً في ساعةٍ مِنْ ليلٍ أو نهارٍ إلا صلَّيتُ لربِّي عزَّ وجلَّ ما كُتِبَ لي أنْ أُصلِّيَ[4] .

---

(١) رواه ضمن حديث طويل أبو يعلىٰ في « المسند » (٣٦٢٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٩٩١) ، وفي « المعجم الصغير » (٨٥٦) ، ورواه الترمذي مختصراً كما سبق مسنداً في (١/ ٢٣٢) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣١)

(٣) وقال ابن المستوفي في « تاريخ إربل » (٢/ ٥٤) : (ولم يُرَ قطُّ مضطجعاً ، إنَّما كان إذا أراد النوم جعل رأسه بين ركبتيه ، ثمَّ يرفعه في أكثر الأوقات ، ويُصفِّق بيديه تصفيقةً أو تصفيقتين ، ثمَّ يعود فيضعه بين ركبتيه) ، توفي ابن الهيتي سنة (٥٦٤هـ) ، وانظر ترجمته في « تاريخ إربل » (١/ ٥٣ـ ٥٥) ، و« ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار (١٩/ ١٥٩ـ ١٦٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٩/ ٢٠٤)

(٤) رواه البخاري (١١٤٩) ، ومسلم (٢٤٥٨) ، وفي (أ ، ج ، ز) : (خشخشة =

ومِنْ أدبِهِم في الطهارةِ : تركُ الإسرافِ في الماءِ ، والوقوفُ على حدِّ العِلْمِ .

(١٠٨) ـ أخبرَنا الشيخُ العالمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرمِذيُّ ، قالَ حدَّثَنا محمَّدُ بنُ بشَّارٍ ، قالَ حدَّثَنا أبو داودَ[١] ، قالَ حدَّثَنا خارجةُ بنُ مُصعَبٍ ، عن يونسَ بنِ عُبيدٍ ، عنِ الحسنِ ، عن عُتَيِّ بنِ ضَمْرةَ السَّعْديِّ ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لِلْوُضُوءِ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ : ٱلْوَلَهَانُ ، فَٱتَّقُوا وَسْوَاسَ ٱلْمَاءِ »[٢]

قالَ أبو عبدِ اللهِ الرُّوذْباريُّ (إنَّ الشيطانَ يجتهدُ أنْ يأخذَ نصيبَهُ مِنْ جميعِ أعمالِ بني آدمَ ، فلا يُبالي أنْ يأخذَ نصيبَهُ ؛ بأنْ يَزْدادُوا فيما أُمِرُوا بهِ أو يَنقُصُوا منهُ)[٣]

= نعليك) بدل (خشفة نعليك) ، والخَشْفة : الصوت والحركة ، والخَشْخَشَة : حركة لها صوت كصوت السلاح ، وفي رواية « البخاري » (دَفَّ نعليك) ؛ أي صوت مشيك فيهما

(١) هو الطيالسي .

(٢) سنن الترمذي (٥٧) ، مسند الطيالسي (٥٤٩) ، ورواه ابن ماجه (٤٢١) ، والحاكم (١/ ١٦٢) ، والوَلَهان : مصدر : (وَلِهَ يَولَهُ وَلَهَاناً) ؛ وهو ذهاب العقل والتحيُّرُ من شدَّة الوجد وغاية الشوق ، فسُمِّي به شيطان الوضوء ؛ إمَّا لشدَّة حرصه على طلب الوسوسة في الوضوء ، وإمَّا لإلقائه الناس بالوسوسة في مَهْواة الحَيْرة ؛ حتى يُرى صاحبه حيرانَ ذاهب العقل ، لا يدري كيف يلعب به الشيطان ، ولم يعلم هل وصل الماء إلى العضو أم لا ، وكم مرَّة غسله . انظر « مرقاة المفاتيح » (٢/ ٤١٧)

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٨)

وحُكِيَ عنِ ابنِ الكَرَنْبيِّ : أنَّهُ أصابَتْهُ جنابةٌ ليلةً مِنَ الليالي ، وكانتْ عليهِ مُرَقَّعَةٌ ثخينةٌ غليظةٌ(١) ، فجاءَ إلىٰ دِجْلَةَ وكانَ بردٌ شديدٌ ، فحَرَنَتْ نفسُهُ عنِ الدخولِ في الماءِ لشِدَّةِ البردِ(٢) ، فطرحَ نَفْسَهُ في الماءِ معَ المُرَقَّعَةِ ، ثمَّ خرجَ مِنَ الماءِ وقالَ : اعتقدتُ ألَّا أنزِعَها مِنْ بدني حتىٰ تَجِفَّ عَلَيَّ(٣) ، قيلَ : فلم تَجِفَّ عليهِ شهراً كاملاً ؛ لثخانتِها وغِلَظِها ، أدَّبَ بذلك نَفْسَهُ لمَّا حَرَنَتْ عندَ الائتمارِ لأمرِ اللهِ تعالىٰ(٤)

وقيلَ إنَّ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ كانَ يَحُثُّ أصحابَهُ علىٰ كثرةِ شُرْبِ الماءِ وقِلَّةِ صبِّهِ على الأرضِ(٥) ، وكانَ يرىٰ أنَّ في الإكثارِ مِنْ شربِ الماءِ ضعفَ النَّفْسِ ، وإماتةَ الشَّهَواتِ ، وكسرَ القُوَّةِ(٦)

ومِنْ أفعالِ الصُّوفيَّةِ : الاحتياطُ في استِبْقاءِ الماءِ للوضوءِ .

قيلَ كانَ إبراهيمُ الخَوَّاصُ إذا دخلَ الباديةَ لا يحملُ معَهُ إلا رَكْوَةً مِنَ

---

(١) المُرَقَّعة : من لباس سادتنا الصوفيَّة ، سُمِّيت بذلك ؛ لما بها من الرُّقَع .

(٢) قوله : (حَرَنَتْ) يُقال : فرسٌ حَرُون : لا ينقاد ، وإذا اشتدَّ به الجري وقف من هامش (ح) .

(٣) اعتقدت : عاهدتُ ، وفي (ب) : (عهدت) ، و(د) : (عقدت)

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣٠)

(٥) أي : في الوضوء . من هامش (ح) ، وزاد في « اللمع » : (وكان يقول : إنَّ الماء له حياة ، وموته صبُّهُ على الأرض) ، وهـٰذا التأثير الناتج عن كثرة شرب الماء . . إنَّما هو بعد خلو المعدة والجوع ، وإلا فإنَّهُ يُؤدِّي إلى النوم والراحة وتزاحم الشهوات ، والله تعالىٰ أعلم .

(٦) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٩)

الماءِ[1] ، وربَّما كانَ لا يشربُ منها إلا القليلَ ؛ يَحفَظُهُ للوضوءِ[2]

وقيلَ : إنَّهُ كانَ يخرجُ مِنْ مكَّةَ إلى الكوفةِ ولا يحتاجُ إلى التيمُّمِ ؛ يَحفَظُ الماءَ للوضوءِ ، ويقنعُ بالقليلِ للشُّرْبِ[3]

وقيلَ : إذا رأيتَ الصُّوفيَّ ليسَ معَهُ رَكْوةٌ أو كُوزٌ . فاعلَمْ أنَّهُ قد عَزَمَ على تركِ الصلاةِ شاءَ أم أبى[4]

وحُكِيَ عن بعضِهِم : أنَّهُ أدَّبَ نَفْسَهُ في الطهارةِ إلى حدٍّ أنَّهُ أقامَ بينَ ظَهْرَانَيْ جماعةٍ مِنَ النُّسَّاكِ وهم مجتمعونَ في دارٍ[5] ، فما رآهُ أحدٌ منهُم أنَّهُ دخلَ الخَلاءَ ؛ لأنَّهُ كانَ يقضي حاجتَهُ إذا خلا الموضعُ في وقتٍ ؛ يريدُ : لتأديبِهِ نَفْسَهُ[6] .

وقيلَ : ماتَ الخَوَّاصُ في جامعِ الرَّيِّ في وسطِ الماءِ ، وذاكَ أنَّهُ كانَ بهِ عِلَّةُ البطنِ ، وكلَّما قامَ دخلَ الماءَ وغسلَ نَفْسَهُ ، فدخلَ الماءَ مرَّةً فماتَ فيهِ ؛ كلُّ ذلكَ لحفظِهِ على الوضوءِ والطهارةِ[7]

---

(١) الرَّكْوة : الدلو الصغيرة .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣١) ، وقد سبق في (١/ ٤٠٧) فيما له علقة بهذا الأثر .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٠)

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣١)

(٥) قوله : (بين ظَهْرَانَيْ جماعة) يُقال : هو نازلٌ بين ظَهْرَانَيْهِم : بفتح النون ، وقولهم لَقِيتُهُ بين الظَهْرَانَينِ : في اليومين ، أو في الأيام . من هامش (ح) .

(٦) ولا يتيسَّر هذا التأديبُ إلا بتقليل الأكل والحكم على الطبع بترك مقتضياته . من هامش (ح) ، وما حكاه المؤلف رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٩)

(٧) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٢) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣١-٢٣٢)

وقيلَ : كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ بهِ قيامٌ[1] ، فقامَ في ليلةٍ واحدةٍ نيِّفاً وسبعينَ مرَّةً ، وكلَّ مرَّةٍ يُجدِّدُ الوضوءَ ويُصلِّي ركعتَينِ[2]

وقيلَ : إنَّ بعضَهُم أدَّبَ نَفْسَهُ حتى لا يخرجَ منهُ الرِّيحُ إلا في وقتِ البَرَازِ ؛ يُراعي الأدبَ في الخَلَوَاتِ[3]

واتِّخاذُ المِنْديلِ بعدَ الوضوءِ كَرِهَهُ قومٌ وقالوا : إنَّ ماءَ الوضوءِ يُوزَنُ ، وأجازَهُ بعضُهُم ، ودليلُهُم

(١٠٩) ـ ما أخبرَنا الشيخُ العالمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا سُفيانُ بنُ وكيعٍ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ ، عن زيدِ بنِ حُبَابٍ ، عن أبي مُعَاذٍ ، عنِ الزُّهْريِّ ، عن عُرْوةَ ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : (كانَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خِرْقةٌ يُنشِّفُ بها أعضاءَهُ بعدَ الوضوءِ)[4]

وروى معاذُ بنُ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا توضَّأَ مسحَ وجهَهُ بطَرَفِ ثوبِهِ)[5]

---

(١) أي : قيام إلى قضاء الحاجة ، وهو كناية عن الإسهال الشديد

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٢) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣٠) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٠)

(٤) سنن الترمذي (٥٣)، ورواه الحاكم (١/ ١٥٤)، وليس فيهما وفي (أ ، ب) : (أعضاءه).

(٥) رواه الترمذي (٥٤) ، وبنحوه ابن ماجه (٤٦٨) من حديث سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وروى البخاري أيضاً (٣٤٤) ، ومسلم (٦٨٢) من حديث سيدنا =

واستقصاءُ الصُّوفيّةِ في تطهيرِ البواطنِ مِنَ الصفاتِ الرديئةِ والأخلاقِ المذمومةِ ، لا الاستقصاءُ في طهارةِ الظاهرِ إلىٰ حدٍّ يُخرِجُ عن حدِّ العلمِ

وتوضَّأَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ جَرَّةٍ نصرانيّةٍ ، معَ كونِ النصارىٰ لا يَحترِزُونَ عنِ الخمرِ[1] ، وأَجْرى الأمرَ على الظاهرِ وأصلِ الطهارةِ

وقد كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُصلُّونَ على الأرضِ مِنْ غيرِ سَجَّادةٍ[2] ، ويَمشُونَ حُفَاةً في الطُّرُقِ[3] ، وقد كانوا لا يجعلونَ وقتَ النومِ بينَهُم وبينَ الترابِ حائلاً[4] ، وقد كانوا يقتصرونَ على الحَجَرِ في الاستنجاءِ في بعضِ الأوقاتِ[5] ، وكانَ أمرُهُم في الطهاراتِ الظاهرةِ على التساهلِ ، واستقصاؤُهُم في طهارةِ الباطنِ[6] ، وهكذا شُغْلُ الصُّوفيّةِ[7]

وقد يكونُ في بعضِ الأشخاصِ تشدُّدٌ في الطهارةِ ، ويكونُ مُستنَدُ ذلكَ رُعُونةَ النَّفْسِ ؛ فلوِ اتَّسخَ ثوبُهُ تحرَّجَ ، ولا يُبالي بما في باطنِهِ مِنَ الغِلِّ والحِقْدِ ، والكِبْرِ والعُجْبِ ، والرِّياءِ والنِّفاقِ ، ولعلَّهُ يُنكِرُ على الشخصِ إذا داسَ الأرضَ حافياً معَ وجودِ رُخْصةِ الشَّرْعِ ، ولا يُنكِرُ عليهِ أنْ يتكلَّمَ بكلمةِ

= عمران بن حصين رضي الله عنهما : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم توضَّأ من مَزَادةِ مشركة .

(١) رواه الشافعي في « الأم » (٢/ ٢٨) ، ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١/ ٣٢) .

(٢) ولا يتوسوسون بأنَّ الأرض ربَّما تكون نجسة . من هامش (ح) .

(٣) ثمَّ يُصلُّون من غير غسل الأقدام عن غبار الطريق . من هامش (ح) .

(٤) أي : لا يُنزِّهون ثيابهم عن التراب بوهم إمكان التراب غيرَ طاهر . من هامش (ح) .

(٥) أي : من غير الجمع بين الحجر والماء مع أنَّهُ أفضل . من هامش (ح) .

(٦) إذِ الباطنُ هو الذي ينظرُ إليه الحقُّ ، والظاهرُ ينظر إليه الخلق ؛ « إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلىٰ صُوَرِكُم وأبشارِكُم ، ولـٰكن ينظرُ إلىٰ قلوبِكُم ونيَّاتِكُم » . من هامش (ح) .

(٧) انظر « إحياء علوم الدين » (١/ ٤٦٥-٤٧٢) ، ففيه تفصيل نفيس في ذلك

غِيبةٍ يُخرِبُ بها دينَهُ ، وكلُّ ذلكَ مِنْ قِلَّةِ العلمِ ، وتركِ التأدُّبِ بصُحْبةِ الصادقينَ مِنَ العلماءِ الراسخينَ .

وكانوا يكرهونَ كثرةَ الدَّلْكِ في الاستبراءِ[١] ؛ لأنَّهُ ربَّما يسترخي العِرْقُ ولا يُمسِكُ البولَ ، ويتولَّدُ منهُ القَطْرُ المُفرِطُ

ومِنْ حكاياتِ الصُّوفيَّةِ في الوضوءِ والطَّهارةِ أنَّ أبا عمرٍو الزُّجَاجيَّ جاورَ بمكَّةَ ثلاثينَ سنةً ، وكانَ لا يتغوَّطُ في الحَرَمِ ، ويخرجُ إلى الحِلِّ ، وأقلُّ ذلكَ فرسخٌ[٢]

وقيلَ : كانَ بعضُهُم علىٰ وَجْهِهِ قُرْحٌ لم يَندَمِلِ اثنتي عشرةَ سنةً ؛ لأنَّ الماءَ كانَ يَضُرُّهُ ، وكانَ معَ ذلكَ لا يَدَعُ تجديدَ الوضوءِ عندَ كلِّ فريضةٍ[٣]

وبعضُهُم نزلَ في عينِهِ الماءُ ، فحملوا إليهِ المُداوِيَ[٤] ، وبَذَلُوا لهُ مالاً كثيراً ليُداوِيَهُ ، فقالَ المُداوِي يحتاجُ ألَّا يَمَسَّ الماءَ أيَّاماً ، ويكونَ مُستلقِياً علىٰ قَفَاهُ ، فلم يفعلْ ذلكَ ، واختارَ ذهابَ بصرِهِ علىٰ تركِ الوضوءِ[٥]

❁ ❁ ❁

---

(١) أي : كثرة الدلك للذكر أثناء الاستبراء

(٢) أي : حوالي (١٠كم) ، وهـٰذه الحكاية أوردها أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣١) ، ورواها منقطعةً السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٤٣١) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٣٧٢٩) ، وفيهما : (أربعين) بدل (ثلاثين)

(٣) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠١) .

(٤) في (ب ، هـ ، ح ، ي) : (فحُمِلَ) بدل (فحملوا) .

(٥) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠١) عن أبي عبد الله الرازي المُقرئ ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلةً)

الباب السادس والثلاثون

في فضيلة الصلاة وكبر شأنها

رویٰ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَمَّا خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَىٰ جَنَّةَ عَدْنٍ(١) ، وَخَلَقَ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ . قَالَ لَهَا : تَكَلَّمِي ، قَالَتْ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] ؛ ثَلَاثاً »(٢)

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : شَهِدَ القرآنُ المَجيدُ بالفلاحِ للمُصلِّينَ .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتَانِي جِبْرِيلُ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ حِينَ زَالَتْ ، وَصَلَّىٰ بِيَ ٱلظُّهْرَ »(٣)

واشتقاقُ الصلاةِ : قيلَ : مِنَ الصَّلَىٰ(٤) ؛ وهوَ النارُ ، والخشبةُ المُعْوَجَّةُ إذا أرادوا تقويمَها تُعرَضُ على النارِ ثمَّ تُقوَّمُ ، وفي العبدِ اعوجاجٌ ؛ لوجودِ

---

(١) جنة عدن ؛ أي : جنةُ إقامةٍ ؛ يُقال : عَدَنَ بالمكان : إذا أقام به . من هامش (ح) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/ ١٨٤) ، وأبو نعيم في « صفة الجنة » (١٦) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٢٨)

(٣) رواه أبو داود (٣٩٣) ، والترمذي (١٤٩) ، وأحمد (١/ ٣٣٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ودُلُوكُ الشمس : ميلها

(٤) والصِّلاء ـ بالكسر والمد ـ : الشواء ؛ لأنه يُصلىٰ بالنار ، والصِّلاء أيضاً : صِلاء النار ، وإن فتحتَ الصادَ قَصرتَ وقلت : (صَلَى النار) . من هامش (ح) .

نَفْسِهِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ ، وسُبُحَاتُ وجهِ اللهِ الكريمِ التي لو كشفَ حجابَها أحرقَتْ مَنْ أدركتْهُ . . يُصِيبُ بها المُصلِّيَ مِنْ وَهَجِ السَّطْوةِ الإلـٰهيَّةِ والعَظَمةِ الربَّانيَّةِ ما يزولُ بهِ اعوجاجُهُ[1] ، بل يتحقَّقُ بهِ مِعْراجُهُ ، فالمُصلِّي كالمُصطلِي بالنارِ ، ومَنِ اصطلىٰ بنارِ الصلاةِ وزالَ بها اعوجاجُهُ . . لا يُعرَضُ علىٰ نارِ جهنَّمَ إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ[2]

(١١٠) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ رَضِيُّ الدِّينِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ القَزْوِينيُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو سعدٍ محمَّدُ بنُ أبي العبَّاسِ بنِ محمَّدٍ الخَلِيليُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو سعيدٍ الفَرُّخْزَاديُّ ، قالَ أخبرَنا أبو إسحاقَ أحمدُ بنُ محمَّدٍ[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ[4] ، قالَ : أخبرَنا أبو زكريَّا يحيى بنُ محمَّدٍ العَنْبَريُّ ، قالَ : حدَّثَنا جعفرُ بنُ أحمدَ الحافظُ[5] ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ نصرٍ[6] ، قالَ حدَّثَنا آدمُ بنُ

---

(١) (ما) في (ما يزول) : فاعل (يصيب) ، و(المُصلِّي) : مفعول له ، و(من وَهَج) : بيان (ما). من هامش (ح)، وقوله : (مفعول له) ؛ أي : مفعول به للفعل (يصيب)

(٢) قولُهُم : [لم] أفعلْ إلا تَحِلَّةَ القسم ؛ أي : لم أفعل إلا بقدر ما حللتُ به [يميني] ولم [أبالغ] ، وفي الحديث : « لا يموتُ للرجلِ ثلاثةُ أولادٍ فتمسَّهُ النارُ إلا تحِلَّةَ القسمِ » ؛ أي : قدر ما يبر الله فيه بقوله : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] . من هامش (ح)

(٣) هو الثعلبي صاحب « الكشف والبيان » ، وقد سبق السند إليه والتعريف ببعض رجاله في (١٦٦/١) .

(٤) هو الحَبيبي النيسابوري المفسّر الواعظ (ت ٤٠٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٣٧/١٧)

(٥) هو الإمام الحُجَّة القدوة أبو محمَّد جعفر ابن نصر الحَصِيري النيسابوري (ت ٣٠٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢١٧/١٤) .

(٦) ابن زياد القرشي النيسابوري الإمام القدوة شيخ نيسابور ومقرئها ومفتيها وزاهدها =

أبي إياسٍ ، عنِ ابنِ سِمْعانَ ، عنِ العلاءِ[1] ، عن أبيهِ ، عن أبي هُرَيرة رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ « يَقُولُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : قَسَمْتُ ٱلصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، فَإِذَا قَالَ ٱلْعَبْدُ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . . قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَجَّدَنِي عَبْدِي[2] ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . . قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : حَمِدَنِي عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . . قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ . . قَالَ : فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . . قَالَ : هَٰذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة : ١ـ٧] . . قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : هَٰذَا لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ »[3]

فالصلاةُ صِلَةٌ بينَ العبدِ وبينَ الربِّ سبحانَهُ[4] ، وما كانَ صِلَةً بينَهُ وبينَ اللهِ فحقُّ العبدِ أنْ يكونَ خاشعاً لصَوْلةِ الرُّبُوبيَّةِ على العُبُوديَّةِ

وقد وَرَدَ أنَّ اللهَ تعالىٰ إذا تجلَّىٰ لشيءٍ خضعَ لهُ[5] ، ومَنْ تحقَّقَ بالصِّلَةِ

= (ت ٢٤٥هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٢٣٩) .

(١) أي : عن العلاء بن عبد الرحمٰن . من هامش (ح) ، وهو أبو شبل الحُرَقي المدني (ت ١٣٨هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٦/ ١٨٦)

(٢) أي : ذكرني بالمجد ، المجد في كلام العرب : الشرف الواسع ، ورجلٌ ماجد مفضال كثير الخير ، والمجيد من صفاته تعالىٰ ؛ أي : الكريم الفعَّال لما يريد « غريبين » . من هامش (ح) .

(٣) الكشف والبيان (٢/ ٣٣٣ـ٣٣٥) ، ورواه مسلم (٣٩٥) وغيرُهُ دون ذكر البسملة ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٢٩ـ٥٣٠) .

(٤) قوله : (صلة) ؛ أي : وصلة ؛ يقال : بينهما وصلة . من هامش (ح)

(٥) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٤٩٤٣) من قول أبي قلابة رحمه الله تعالىٰ

في الصلاةِ تلمعُ لهُ طوالعُ التجلِّي فيخشعُ[1]

والفلاحُ للذينَ هم في صلاتِهِم خاشعونَ[2] ، وبانتفاءِ الخشوعِ ينتفي الفلاحُ

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه : ١٤] ؛ وإذا كانتِ الصلاةُ للذِّكْرِ كيفَ يَسَعُ فيها النِّسيانُ ؟!

وقالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء : ٤٣] ؛ فمَنْ قالَ ولا يعلمُ ما يقولُ كيفَ يُصلِّي وقد نهاهُ اللهُ تعالىٰ عن ذلكَ ؟! فالسَّكْرانُ يقولُ الشيءَ لا بحضورِ عقلٍ ، والغافلُ يُصلِّي لا بحضورِ عقلٍ[3] ، فهو كالسَّكْرانِ .

وقيلَ في غرائبِ التفسيرِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ [طه ١٢] : قيلَ : ﴿ نَعۡلَيۡكَ ﴾ : هَمَّكَ بامرأتِكَ وغنمِكَ[4]

فالاهتمامُ بغيرِ اللهِ سُكْرٌ في الصلاةِ

وقيلَ : كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يرفعونَ أبصارَهُم إلى السماءِ في الصلاةِ ، وينظرونَ يميناً وشمالاً ، فلمَّا نزلتْ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي

(١) قوله : (طوالعُ التجلِّي) ؛ أي : أوائلُ ظهور أنوار التجلِّي . من هامش (ح) .

(٢) أي : خاضعون ، وقيل خائفون ، والخشوع : السكون والتذلل ، وقيل الخشوع قريب المعنىٰ من الخضوع ، إلا أنَّ الخضوعَ في البدن ، والخشوعَ في البدن والبصر والصوت . « غريبين » .من هامش (ح)

(٣) في (أ ، ز) : (إيمان) بدل (عقل) .

(٤) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٧/ ٥١٠) ، والكرماني في « غرائب التفسير » (٢/ ٧١١)

صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ . . جعلوا وجوهَهُم حيثُ يسجدونَ ، وما رُئِيَ بعدَ ذلكَ أحدٌ منهُم ينظرُ إلا إلى الأرضِ[1]

رویٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ « إِنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا قَامَ إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَإِنَّهُ بَيْنَ يَدَيِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ، فَإِذَا ٱلْتَفَتَ[2] قَالَ لَهُ ٱلرَّبُّ إِلَىٰ مَنْ تَلْتَفِتُ ؟! إِلَىٰ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي ؟! ٱبْنَ آدَمَ ؛ أَقْبِلْ إِلَيَّ[3] ؛ فَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ »[4]

وأَبْصَرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجلاً يعبثُ بِلحْيتِهِ في الصلاةِ ، فقالَ : « لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَـٰذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ »[5]

وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا صَلَّيْتَ صَلَاةً فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ »[6] ؛ فالمُصلِّي سائرٌ إلى اللهِ تعالىٰ بقلبِهِ ، يُودِّعُ هواهُ ودُنْياهُ ، وكلَّ شيءٍ سِواهُ

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (٨/١٩) .

(٢) أي بقلبه ، وهـٰذا عند أهل القُرْب والصُّوفيَّة ، وأمَّا عند الفقهاء فالالتفات المكروه : أن يلويَ عنقه حتىٰ يخرج من أن يكون إلىٰ جهة القبلة ، فأمَّا لو نظر بمُؤخَّر عينه يمنةً أو يسرةً من غير أن يلويَ عُنُقَه . . فلا يُكْرَه ؛ لأنَّهُ عليه الصلاة والسلام كان يُلاحِظُ أصحابَهُ في صلاته بمُوق عينه ، كذا ذكر صاحبُ « الكافي » . من هامش (ح).

(٣) أي : بقلبك ؛ علىٰ لسان الإشارة ، وبلسان العبارة معلوم . من هامش (ح)

(٤) رواه البزار في « المسند » (٩٣٣٢) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٥٠٨)

(٥) سبق تخريجه في (١/٢٤٨) .

(٦) رواه ابن ماجه (٤١٧١)، وأحمد (٥/ ٤١٢) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٤٢٧) ، والقضاعي في « المسند » (٩٥٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٣٢_٥٣٤)

والصلاةُ في اللغةِ هيَ الدعاءُ ؛ فكأنَّ المُصلِّيَ يدعو اللهَ تعالىٰ بجميعِ جوارحِهِ ، فصارتْ أعضاؤُهُ كلُّها أَلْسِنةً يدعو بها ظاهراً وباطناً ، ويُشارِكُ الظاهرُ والباطنُ بالتضرُّعِ[1] ، والتقلُّبُ في الهيئاتِ تَمَلُّقاتُ مُتضرِّعٍ سائلٍ محتاجٍ ، فإذا دعا بكُلِّيَّتِهِ أجابَهُ مولاهُ ؛ لأنَّهُ وعدَ وقالَ ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [غافر ٦٠]

وكانَ خالدٌ الرَّبَعيُّ يقولُ (عَجِبتُ لهـٰذهِ الآيةِ : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ ؛ أمرَهُم بالدعاءِ ووعدَهُم بالإجابةِ ، ليسَ بينَهُما شرطٌ !!)[2]

والاستجابةُ والإجابةُ : هوَ نفوذُ دعاءِ العبدِ[3] ؛ فإنَّ الداعيَ الصادقَ العالِمَ بمَنْ يدعوهُ بنورِ يقينِهِ تخرقُ دعوتُهُ الحُجُبَ ، وتقفُ الدعوةُ بينَ يَدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ مُتقاضِيةً للحاجةِ

وخصَّ اللهُ تعالىٰ هـٰذهِ الأمَّةَ بإنزالِ (فاتحةِ الكتابِ)[4] ، وفيها تقديمُ الثناءِ على الدعاءِ ؛ ليكونَ أسرعَ إلى الإجابةِ ، وهيَ تعليمُ اللهِ عبادَهُ كيفيَّةَ الدعاءِ

و(فاتحةُ الكتابِ) : هيَ السبعُ المَثَاني والقرآنُ العظيمُ ، قيلَ : سُمِّيتْ (مَثَانيَ) ؛ لأنَّها نزلتْ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مرَّتَينِ ؛ مرَّةً

---

(١) في (و ، ز) ونسخة علىٰ هامش (ح) : (ويشارك الظاهرُ الباطنَ بالتضرع) .
(٢) أورده القرطبي في « تفسيره » (١٥/ ٣٢٧) .
(٣) زاد في نسخة علىٰ هامش (د) : (بين يدي الرب) .
(٤) والتخصيص إمَّا حقيقيٌّ ؛ بأن تكون (الفاتحة) لم تنزل علىٰ غيره عليه الصلاة والسلام ، وما نُقِلَ أنَّ في « التوراة » سورةَ (فاتحةٍ) . . غيرُ معتبر ، أو يكون في الاسم لا في المعنىٰ . من هامش (ح) .

بمكَّةَ ، ومرَّةً بالمدينةِ ، وكانَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بكلِّ مرَّةٍ نزلتْ منها فهمٌ آخَرُ ، بل كانَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بكلِّ مرَّةٍ يقرؤُها على التَّرْدادِ معَ طولِ الزمانِ فهمٌ آخَرُ ، وهـٰكذا المُصلُّونَ المُحقِّقونَ مِنْ أُمَّتِهِ ؛ تنكشفُ لهُم عجائبُ أسرارِها ، وتُقذَفُ لهُم كلَّ مرَّةٍ دُرَرُ بحارِها .

وقيلَ : سُمِّيتْ مَثَانيَ ؛ لأنَّها استُثنِيتْ مِنَ الرُّسُلِ[1] ، وهيَ سبعُ آياتٍ .

وروَتْ أمُّ رُومَانَ قالتْ : رآني أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ وأنا أتميَّلُ في الصلاةِ ، فزجرَني زَجْراً كِدْتُ أنْ أنصرفَ عن صلاتي ، ثمَّ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى ٱلصَّلَاةِ . فَلْيُسَكِّنْ أَطْرَافَهُ ، وَلَا يَتَمَيَّلْ تَمَيُّلَ ٱلْيَهُودِ ؛ فَإِنَّ سُكُونَ ٱلْأَطْرَافِ مِنْ تَمَامِ ٱلصَّلَاةِ »[2]

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تَعَوَّذُوا بِٱللهِ مِنْ خُشُوعِ ٱلنِّفَاقِ » ، قيلَ : وما خشوعُ النِّفاقِ ؟ قالَ : « خُشُوعُ ٱلْبَدَنِ ، وَنِفَاقُ ٱلْقَلْبِ »[3]

---

(١) وخُصَّتْ بالنبي عليه الصلاة والسلام . من هامش (ح) ؛ أي : استثناها لهـٰذه الأُمَّةِ ولم يُعطِها رسولاً من الرسل عليهم السلام . من هامش (ج) .

(٢) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٨٢٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٠٤) ، وأبو الشيخ في « ذكر الأقران » (١٦٦) .

(٣) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٨٢٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٥٦٨) عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ورواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٨٦١) ، وأحمد في « الزهد » (٧٦٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٥٦٧) موقوفاً على سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه

فأمَّا تَمَيُّلُ اليهودِ : قيلَ : كانَ موسىٰ عليهِ السلامُ يُعامِلُ بني إسرائيلَ علىٰ ظاهِرِ الأمورِ ؛ لِقِلَّةِ ما في باطِنِهم[1] ، فكانَ يُهيِّبُ الأمورَ ويُعظِّمُها ؛ ولهـٰذا المعنىٰ أَوْحى اللهُ تعالىٰ إليهِ أنْ يُحلِّيَ التوراةَ بالذهبِ[2]

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : ووَقَعَ لي ـ واللهُ أعلمُ ـ أنَّ موسىٰ عليهِ السلامُ كانَ يَرِدُ عليهِ الواردُ في صلاتِهِ ومَحَالِّ مُناجاتِهِ ، فيموجُ بِهِ باطنُهُ كبحرٍ ساكنٍ تَهُبُّ عليهِ الريحُ ، فتتلاطمُ الأمواجُ ، فكانَ تمايلُ موسىٰ تلاطمَ أمواجِ بحرِ القلبِ إذا هبَّتْ عليهِ نَسَمَاتُ الفضلِ ، وربَّما كانتِ الرُّوحُ تتطلَّعُ إلى الحَضْرةِ الإلـٰهيَّةِ ، فيَهُمُّ بالاستعلاءِ وللقالَبِ بها تشبُّكٌ وامتزاجٌ ، فيضطربُ القالَبُ ويتمايلُ

فرأتِ اليهودُ ظاهرَهُ مُتمايلاً ، فتمايلوا مِنْ غيرِ حَظٍّ لبواطنِهم مِنْ ذلكَ ؛ ولهـٰذا المعنىٰ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إنكاراً علىٰ أهلِ الوَسْوسَةِ : « هَـٰكَذَا خَرَجَتْ عَظَمَةُ ٱللهِ مِنْ قُلُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ حَتَّىٰ شَهِدَتْ أَبْدَانُهُمْ ، وَغَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، لَا يَقْبَلُ ٱللهُ صَلَاةَ ٱمْرِئٍ لَا يَشْهَدُ فِيهَا قَلْبُهُ كَمَا يَشْهَدُ بَدَنُهُ ، وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ عَلَىٰ صَلَاتِهِ دَائِمٌ ، وَلَا يُكْتَبُ لَهُ عُشْرُهَا إِذَا كَانَ قَلْبُهُ سَاهِياً لَاهِياً »[3]

---

(١) أي : ما كان في باطنهم بصيرةٌ وصفاءٌ بحيثُ يدركون بها المعانيَ وحقائقَ الأشياء ، فيُهيِّب موسىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ الصلاةَ بالتميُّل في قلوبهم . من هامش (ح)

(٢) انظر « نوادر الأصول » (٤/ ٩)

(٣) رواه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (١٥٧) مرسلاً عن عثمان بن أبي دهرش رحمه الله تعالىٰ إلىٰ قوله : (كما يشهد بدنه) ، وروىٰ باقيه كذلك المروزي في الكتاب السابق (١٥٢ـ١٥٣) مرفوعاً عن سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٣٦)

واعلَمْ أنَّ اللهَ سبحانَهُ أَوْجبَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ ؛ وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلصَّلَاةُ عِمَادُ ٱلدِّينِ[١] ؛ فَمَنْ تَرَكَ ٱلصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ »[٢]

فبالصلاةِ تحقيقُ العُبُوديَّةِ ، وأداءُ حقِّ الرُّبُوبيَّةِ ، وسائرُ العباداتِ وسائلُ إلىٰ تحقيقِ سِرِّ الصلاةِ

قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ رحمَهُ اللهُ : (يحتاجُ العبدُ إلى السُّنَنِ الرواتبِ ؛ لتكميلِ الفرائضِ ، ويحتاجُ إلى النوافلِ ؛ لتكميلِ السُّنَنِ ، ويحتاجُ إلى الآدابِ ؛ لتكميلِ النوافلِ ، ومِنَ الأدبِ : تركُ الدنيا)

والذي ذَكَرَهُ سهلٌ هو معنىٰ ما قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ على المنبر : إنَّ الرجلَ لَيَشِيبُ عارضاهُ في الإسلامِ وما أَكْملَ للهِ صلاةً[٣] ، قيلَ : وكيفَ ذلكَ ؟ قالَ : لا يُتِمُّ خشوعَها وتواضعَها ، وإقبالَهُ على اللهِ فيها[٤]

وقد وَرَدَ في الأخبارِ : إنَّ العبدَ إذا قامَ إلى الصلاةِ رَفَعَ اللهُ تعالى الحجابَ

---

(١) أي : بها يقوم الدين . من هامش (ح) .

(٢) روىٰ شطره الأول : الديلمي في « الفردوس » (٣٧٩٥) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٢٠١٦) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، والبيهقي في « الشعب » (٢٥٥٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وروىٰ شطره الثاني : الترمذي (٢٦٢١) ، وابن ماجه (١٠٧٩) ، والنسائي (١/ ٢٣١) عن سيدنا بُرَيدة الأسلمي رضي الله عنه .

(٣) عارضا الإنسان : صَفْحتا خدَّيه ، وقولُهُم : فلانٌ خفيفُ العارضَين ؛ يُراد به : خِفَّةُ شَعَر عارضَيه . من هامش (ح) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤٨٣) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢١٩)

بينَهُ وبينَهُ ، وواجهَهُ بوجهِهِ الكريمِ ، وقامتِ الملائكةُ مِنْ لَدُنْ مَنكِبَيهِ إلى الهواءِ يُصلُّونَ بصلاتِهِ ، ويُؤمِّنونَ على دُعائِهِ ، وإنَّ المُصلِّيَ لَيُنشَرُ عليهِ مِنَ البرِّ مِنْ عَنَانِ السماءِ إلىٰ مَفْرِقِ رأسِهِ[١] ، ويُنادِيهِ مُنادٍ (لو عَلِمَ المُصلِّي مَنْ يُناجي . . ما التفتَ) ، أو (ما انفتل)[٢]

وقد جمعَ اللهُ تعالىٰ للمُصلِّينَ في كلِّ ركعةٍ . . ما فرَّقَ علىٰ أهلِ السماواتِ ؛ فللهِ ملائكةٌ في الركوعِ منذُ خَلَقَهُمُ اللهُ تعالىٰ ؛ لا يرفعونَ مِنَ الركوعِ إلىٰ يومِ القيامةِ ، وهكذا في السجودِ والقيامِ والقعودِ

والعبدُ المُتيقِّظُ يتَّصِفُ في ركوعِهِ بصفةِ الراكعينَ منهُم ، وفي السجودِ بصفةِ الساجدينَ ، وفي كلِّ هيئةٍ هٰكذا ، ويصيرُ كالواحدِ منهُم وبينَهُم .

وفي غيرِ الفريضةِ ينبغي للمُصلِّي أنْ يمكثَ في ركوعِهِ مُتلذِّذاً بالركوعِ ، غيرَ مُهتَمٍّ بالرفعِ منهُ ، فإنْ طَرَقَتْهُ سآمةٌ بحُكْمِ الجِبِلَّةِ . . استغفرَ منها ، ويستديمُ تلكَ الهيئةَ ، ويتطلَّعُ إلىٰ أنْ يذوقَ الخشوعَ اللائقَ بهٰذهِ الهيئةِ ؛ ليصيرَ قلبُهُ بلونِ الهيئةِ[٣] ، وربَّما يتراءىٰ للراكعِ المُحِقِّ أنَّهُ إنْ سبقَ همُّهُ في حالِ الركوعِ أوِ السجودِ إلى الرفعِ منها . . ما وَفَّى الهيئةَ حقَّها ، فيكونُ همُّهُ لحظتَهُ مُستغرِقاً فيها ، مشغولاً بها عن غيرِها مِنَ الهيئاتِ ، فبذلكَ يتوفَّرُ حظُّهُ مِنْ بركةِ كلِّ هيئةٍ ؛ فإنَّ السُّرْعةَ التي يتقاضىٰ بها الطَّبْعُ تَسُدُّ بابَ الفُتُوحِ ،

---

(١) في بعض النسخ : (ليُنثَر) بدل (ليُنشَر) ، وفي بعضها : (لينتثر)

(٢) فتلتُهُ عن وجهه فانفتل ؛ أي : صرفتُهُ فانصرف . من هامش (ح) ، والخبر رواه مختصراً ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤٢١) من كلام عباد بن كثير رحمه الله تعالىٰ ، وأورده بلفظه الغزالي في « الإحياء » (١ / ٦٣٢) .

(٣) في التواضع ؛ أي : يصيرُ قلبُهُ بهيئة قالبِهِ في الركوع بالتواضع . من هامش (ح) .

ويقفُ في مَهَابِّ النَّفَحَاتِ الإلـٰهيَّةِ ، حتىٰ يتكاملَ حظُّ العبدِ ، فتنمحيَ آثارُهُ بحُسْنِ الاسترسالِ[1] ، ويستقرَّ في مقعدِ الوِصالِ

وقيل : في الصلاةِ : أربعُ هَيْئاتٍ ، وستةُ أذكارٍ .

فالهيئاتُ الأربعُ : القيامُ ، والقعودُ ، والركوعُ ، والسجودُ .

والأذكارُ الستةُ : التِّلاوةُ ، والتسبيحُ ، والحمدُ ، والاستغفارُ ، والدعاءُ ، والصلاةُ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

فصارتْ عشرةً كاملةً ، تُفرَّقُ هـٰذهِ العشرةُ علىٰ عشرةِ صفوفٍ مِنَ الملائكةِ ؛ كلُّ صفٍّ عشرةُ آلافٍ[2] ، فيجتمعُ في الركعتَينِ ما يتفرَّقُ علىٰ مئةِ ألفٍ مِنَ الملائكةِ ، واللهُ أعلمُ[3]

* * *

(١) أي : الانكسار والخضوع ، والسكون والطمأنينة وعدم الاستعجال . من هامش (ح) ، وفي هامش (ج) : (آثاره ؛ أي : صفاتُهُ واختيارُهُ ، وقولُه « بحسن الاسترسال » ؛ أي : بحسن الشروع في كل هيئة ، وعدمِ قَصْدِ الرفع منها)

(٢) في (ب) : (صنوف . . . صنف) بدل (صفوف . . . صف) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً)

الباب السابع والثلاثون

في وصف صلاة أهل القرب

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : ونذكرُ في هـٰذا البابِ : كيفيةَ الصلاةِ بهيئاتِها وشروطِها وآدابِها الظاهرةِ والباطنةِ على الكمالِ ، بأقصىٰ ما انتهىٰ إليهِ فهمُنا وعِلْمُنا على الوجهِ[١] ، معَ الإعراضِ عن نَقْلِ الأقوالِ في كلِّ شيءٍ مِنْ ذلكَ ؛ إذ في ذلكَ كَثْرةٌ ، ويخرجُ عن حدِّ الاختصارِ والإيجازِ المقصودِ[٢] ؛ فنقولُ وباللهِ التوفيقُ :

ينبغي للعبدِ أنْ يستعدَّ للصلاةِ قبلَ دخولِ وقتِها بالوضوءِ[٣] ، ولا يُوقعَ الوضوءَ في وقتِ الصلاةِ ؛ فذلكَ مِنَ المحافظةِ عليها .

ويحتاجُ لمعرفةِ الوقتِ إلىٰ معرفةِ الزَّوالِ وتفاوتِ الأقدامِ لطولِ النهارِ وقِصَرِهِ ، ويُعتبَرُ الزوالُ : بأنَّ الظِّلَّ ما دامَ في الانتقاصِ فهوَ النِّصْفُ الأوَّلُ مِنَ النهارِ ، فإذا أَخَذَ الظِّلُّ في الازديادِ . فهوَ النِّصْفُ الأخيرُ ، وقد زالتِ الشمسُ ، فإذا عَرَفَ الزوالَ وأنَّ الشمسَ علىٰ كَمْ قَدَمٍ تزولُ . .

---

(١) أي : على الوجه المعتبر المُحقَّق . من هامش (ح) ، ونحوه في (ج) .

(٢) وأيضاً : نقلُ الأقوال للتحقيق والتثبيت ، وما أذكرُهُ من المُحقَّقات والمُقرَّرات لا يُحتاج فيها إلىٰ بيان وبرهان . من هامش (ح) .

(٣) ويترك المساهلة الطبيعية المؤذنة بعدم الاهتمام بالقيام بأمر الله . من هامش (ح) .

يعرفُ أولَ الوقتِ وآخِرَهُ ووقتَ العصرِ

ويحتاجُ إلىٰ معرفةِ المَنازلِ ؛ ليعلمَ طلوعَ الفجرِ ، ويعلمَ أوقاتَ الليلِ ، وشرحُ ذلكَ يطولُ ، ويحتاجُ أنْ يُفرَدَ لهُ بابٌ

فإذا دخلَ وقتُ الصلاةِ يُقدِّمُ السُّنَّةَ الراتبةَ ؛ ففي ذلكَ سِرٌّ وحِكْمةٌ ؛ وذلكَ واللهُ أعلَمُ أنَّ العبدَ تَشَعَّثَ باطنُهُ ، وتفرَّقَ همُّهُ بما بُلِيَ بهِ مِنَ المُخالطةِ معَ الناسِ ، وقيامِهِ بمَهَامِّ المَعَاشِ ، أو سهوٍ جَرَىٰ بوَضْعِ الجِبِلَّةِ ، أو صَرْفِ هَمٍّ إلىٰ أكلٍ أو نومٍ بمُقتضى العادةِ ، فإذا قَدَّمَ السُّنَّةَ ينجذبُ باطنُهُ إلى الصلاةِ ، ويتهيَّأُ للمُناجاةِ ، ويذهبُ بالسُّنَّةِ الراتبةِ أثرُ الغَفْلةِ والكُدُورةِ مِنَ الباطنِ ، فينصلحُ الباطنُ ، ويصيرُ مُستعِدّاً للفريضةِ .

فالسُّنَّةُ مُقدِّمةٌ صالحةٌ تستنزلُ البركاتِ ، وتتطرَّقُ للنفحاتِ[1]

ثمَّ يُجدِّدُ التوبةَ معَ اللهِ تعالىٰ عندَ الفريضةِ عن كلِّ ذنبٍ عَمِلَهُ

ومِنَ الذُّنُوبِ عامَّةٌ وخاصَّةٌ[2] :

فالعامَّةُ : الكبائرُ والصغائرُ ممَّا أَوْمأَ إليهِ الشرعُ ، ونَطَقَ بهِ الكتابُ والسُّنَّةُ .

والخاصَّةُ : ذنوبُ حالِ الشخصِ ؛ فكلُّ عبدٍ علىٰ قَدْرِ صفاءِ حالِهِ لهُ ذنوبٌ تُلائِمُ حالَهُ ، ويعرفُها صاحبُها[3]

---

(١) كذا في (ج) ، وفي (أ ، د ، ز) : (وتُطرِّقُ النفحات) ، وفي (ب ، هـ ، و ، ح) : (وتطرُّقٌ للنفحات) .

(٢) (من) : بمعنىٰ (بعض) ؛ أي : بعض الذنوب . من هامش (ح) .

(٣) أي : الذي يعزم علىٰ إلزام النَّفْس معنىً من المعاني التي نَدَبَهُ الله إليها في المقامات أو الأخلاق أو غيرِها ممَّا بينه وبين الله تعالىٰ . من هامش (ح) .

وقيلَ : حسناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المُقرَّبينَ[١]

ثمَّ لا يُصلِّي إلا جماعةً ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تَفْضُلُ صَلاَةُ ٱلْجَمَاعَةِ صَلاَةَ ٱلْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً »[٢]

ثمَّ يستقبلُ القِبْلةَ بظاهرِهِ ، والحَضْرةَ الإلـٰهيَّةَ بباطنِهِ ، ويقرأُ : (قُلْ أعوذُ بربِّ الناسِ) ، ويقرأُ في نَفْسِهِ آيةَ التوجُّهِ ، وهـٰذا التوجُّهُ قبلَ الصلاةِ ، والاستفتاحُ قبلَ الصلاةِ لوجهِهِ الظاهرِ بانصرافِهِ إلى القِبْلةِ ، وتخصيصِ جهةٍ مِنَ الجهاتِ بالتوجُّهِ دونَ جهةِ الصلاةِ[٣]

ثمَّ يرفعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنكِبيهِ ؛ بحيثُ يكونُ كفَّاهُ حَذْوَ مَنكِبيهِ ، وإبهاماهُ عندَ شَحْمَةِ أُذُنَيهِ ، ورؤوسُ أصابعِهِ معَ الأُذُنينِ ، ويَضُمُّ الأصابعَ ، وإنْ نَشَرَها جازَ ، والضمُّ أَوْلىٰ ؛ فإنَّهُ قيلَ : النَّشْرُ نَشْرُ الكفِّ ، لا نَشْرُ الأصابعِ

ويُكبِّرُ ، ولا يُدخِلُ بينَ باءِ (أكبرْ) ورائِهِ ألفاً ، ويجزمُ (الأكبرَ) ، ويجعلُ المَدَّ في (اللهُ) ، ولا يُبالِغُ في ضمِّ الهاءِ مِنَ (اللهُ) ، ولا يبتدئُ بالتكبيرِ إلَّا إذا استقرَّتِ اليدانِ حَذْوَ المَنكِبَينِ ، ويُرسِلُهُما معَ التكبيرِ مِنْ غيرِ نَفْضٍ ؛ فالوقارُ إذا سَكَنَ القلبَ تشكَّلَتْ بهِ الجوارحُ ، وتأيَّدَتْ بالأَوْلىٰ والأَصْوب

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/ ١٣٧) من كلام أبي سعيد الخرَّاز رحمه الله تعالىٰ ، ويُحكىٰ عن ذي النون المصري وأبي القاسم الجنيد رحمهما الله تعالى . انظر « كشف الخفاء » (١/ ٣٥٧) .

(٢) والتقديرات الشرعية لا يصعد العقل علىٰ مراقي معرفتها من هامش (ح) ، والحديث رواه البخاري (٦٤٥) ، ومسلم (٦٥٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(٣) والتوجُّه بعد الدخول في الصلاة بانصراف باطنِهِ ممَّا سوى الله إلى الله ، فإذا صدق في الانصراف استحقَّ ورودَ أنوار الألطاف ، وفهمَ لطائف الخطاب من هامش (ح)

ويجمعُ بينَ نيّةِ الصلاةِ والتكبيرِ ؛ بحيثُ لا يغيبُ عن قلبِهِ حالةَ التكبيرِ أنَّهُ يُصلِّي الصلاةَ بعينِها

حُكِيَ عنِ الجُنَيدِ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ (لكلِّ شيءٍ صفوةٌ ، وصفوةُ الصلاةِ التكبيرةُ الأُولىٰ)[1] ، وإنَّما كانتِ التكبيرةُ صفوةً ؛ لأنَّها موضعُ النِّيَّةِ وأوَّلُ الصلاةِ

قالَ أبو نَصْرٍ السَّرَّاجُ : سمعتُ ابنَ سالمٍ يقولُ : النِّيَّةُ باللهِ وللهِ ومِنَ اللهِ[2] ، والآفاتُ التي تدخلُ في صلاةِ العبدِ بعدَ النِّيَّةِ . . مِنَ العَدُوِّ[3] ، ونصيبُ العَدُوِّ وإنْ كَثُرَ لا يُوازَنُ بالنِّيَّةِ التي هيَ للهِ وباللهِ ومِنَ اللهِ وإنْ قَلَّ[4]

وسُئِلَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : كيفَ الدخولُ في الصلاةِ ؟ فقالَ : هوَ أنْ تُقبِلَ على اللهِ تعالىٰ كإقبالِكَ عليهِ يومَ القيامةِ ، ووقوفِكَ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالىٰ ليسَ

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣٣) ، ورواه مرفوعاً أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٦٧) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه ، والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (١/ ٢٤٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٦٤٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) النيّةُ بالله تكون لمَنْ تجلَّى اللهُ عليه بطريق الأفعال ؛ فيرىٰ حركاتِهِ بتحريك الله إيَّاه ، ولا يرىٰ نَفْسه في البين ، ويلزمُ من هـٰذا المقام أن تكون النيّةُ لله ، وأمَّا كونُها من الله إلى الله يكون بدوام حضور القلب مع الله قبل الدخول في الصلاة ، فإذا دخل فيها بنيّة من قلبه . . كان حاضراً مع الله ، وكانتْ نيَّتُهُ من الله إلى الله . من هامش (ح) ، وفي النسخ ما عدا (و) : (لله) بدل (ولله)

(٣) أي : الشيطان والنفس . من هامش (ح) ، وزاد في « اللمع » : (وهو نصيب العدو) .

(٤) اللمع (ص٢٠٥) ، وقولُهُ : (وإن قَلَّ) كذا في النسخ ، والقياس : (قَلَّت) ؛ أي : النية ، وقد جاء على القياس في « اللمع »

بينَكَ وبينَهُ تَرْجُمانٌ ، وهوَ مُقبِلٌ عليكَ وأنتَ تُناجِيهِ ، وتعلمَ بينَ يَدَيْ مَنْ أنتَ واقفٌ ؛ فإنَّهُ المَلِكُ العظيمُ[1]

وقيلَ لبعضِ العارفينَ كيفَ نُكبِّرُ التكبيرةَ الأُولىٰ ؟ فقالَ : ينبغي إذا قلتَ (اللهُ أكبرْ) أنْ يكونَ مصحوبُكَ في (اللهُ) التعظيمَ معَ الألفِ ، والهيبةَ معَ اللامِ ، والمراقبةَ والفَرَقَ معَ الهاءِ[2]

واعلَمْ : أنَّ مِنَ الناسِ مَنْ إذا قالَ : (اللهُ أكبرْ) . . غابَ في مُطالَعةِ العَظَمَةِ والكِبْرياءِ ، وامتلأَ باطنُهُ نوراً ، وصارَ الكونُ بأَسْرِهِ[3] في فضاءِ شَرْحِ صدرِهِ كخَرْدَلَةٍ بأرضِ فلاةٍ ، ثمَّ تُلْقى الخَرْدَلَةُ ، فما يَخشَىٰ مِنَ الوَسْوَسةِ وحديثِ النَّفْسِ ، وما يتخايلُ في الباطنِ . . هوَ مِنَ الكَوْنِ الذي صارَ بمثابةِ الخَرْدَلَةِ والْقِيَتْ[4] ، فكيفَ تُزاحِمُ الوسوسةُ وحديثُ النفسِ مثلَ هٰذا العبدِ ؟!

---

(١) وفي استشعار مثلِ هٰذا لا بدَّ أن يُحضِرَ القلب ، ويتركَ الالتفات إلىٰ ما سوى الله ، ويُغلِّبَ عليه هيبةَ عظمة الله تعالىٰ . من هامش (ح) ، والخبر أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣٣) .

(٢) وسمع أبو يزيد رحمه الله رجلاً يقول : (الله أكبر) ، فقال : ما معنىٰ قولك : (الله أكبر) ؟ فقال الرجل : أكبرُ من كل شيء سواه ، فقال : ويحك حَدَدْتَهُ !! أَوَكان معه شيءٌ فيكونَ أكبرَ منه ؟! فقال الرجل : ما معنى (الله أكبر) ؟ فقال أبو يزيد رحمه الله : أكبرُ من أن يُقاس بالناس ، أو يدخلَ تحت القياس ، أو أن يدركه الحواس . من هامش (ح) ، وما ذكره المؤلف أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣٣) ، والفَرَق : الخوف ، وفي (ب) : (والقرب) بدل (والفَرَق) ، وهي كذلك في « اللمع » و« التهذيب »

(٣) يُقال : هٰذا الشيء لك بأسره ؛ أي : بقدِّه ؛ يعني : بجميعه ، كما يُقال : برُمَّته من هامش (ح) .

(٤) ولا يتيسَّر هٰذا المعنىٰ إلا بترك ما هو حادثٌ ، والإقبالِ بكُنْه الهِمَّة علىٰ جناب القديم العظيم ؛ ليتنوَّرَ قلبُهُ بنور العَظَمة ، وتصيرَ الكائناتُ في جنبه كخردلةٍ في أرضِ فلاة ، =

وقد تُزاحِمُ مُطالَعةُ العَظَمةِ والغيبوبةُ في ذلكَ كونَ النِّيَّةِ[١] ، غيرَ أنَّهُ لغايةِ لُطْفِ الحالِ يختصُّ الرُّوحُ بمُطالَعةِ العَظَمةِ ، والقلبُ يتميَّزُ بالنِّيَّةِ ، فتكونُ النِّيَّةُ موجودةً بألْطفِ صفاتِها ، مُندرِجةً في نورِ العَظَمةِ اندراجَ الكوكبِ في ضوءِ الشمسِ .

ثمَّ يَقبِضُ بيدِهِ اليُمْنىٰ يدَهُ اليُسْرىٰ ، ويجعلُهُما بينَ السُّرَّةِ والصَّدْرِ ، واليُمْنىٰ لكرامتِها تُجعَلُ فوقَ اليُسْرىٰ ، ويَمُدُّ المُسبِّحةَ والوُسْطىٰ على الساعدِ ، ويَقبِضُ بالثلاثةِ البواقي اليُسْرىٰ مِنَ الطَّرَفَينِ[٢]

وقد فسَّرَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] ؛ قالَ : إنَّهُ وَضْعُ اليُمْنىٰ على الشِّمالِ تحتَ الصَّدْرِ[٣] ؛ وذلكَ أنَّ تحتَ الصَّدْرِ عِرْقاً يُقالُ لهُ : الناحِرُ ؛ أي : ضَعْ يَدَكَ على الناحِرِ .

وقالَ بعضُهُم : ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ ؛ أي : استقبِلِ القبلةَ بنَحْرِكَ[٤]

= وبازدياد أنوار العظمة الإلـٰهيَّةِ تُلقى الخردلة أيضاً . من هامش (ح)

(١) أي : وجود النية . من هامش (ح) .

(٢) أي : طَرَفي الساعد . من هامش (ح) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٤/ ٦٥٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٣١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وروي أيضاً عن سيدنا علي دون تحديد بموضع

(٤) أي : في وضع اليمين على الشمال ، وجعلِها من السُّرَّة والصدر ، والنحر : موضع القلادة من الصدر . من هامش (ح) ، وهـٰذا القولُ للفرَّاء إمامِ أهل الكوفة في العربية ، كما رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٣٠/ ٣٨٤) ، وانظر « معاني القرآن » للفراء (٣/ ٢٩٦) .

وفي ذلكَ سِرٌّ عظيمٌ خَفِيٌّ يُكاشَفُ بهِ مِنْ وراءِ أستارِ الغيبِ :

وذلكَ أنَّ اللهَ تعالىٰ بلُطْفِ حكمتِهِ خَلَقَ الآدميَّ وشرَّفَهُ وكرَّمَهُ ، وجعلَهُ مَحَلَّ نظرِهِ ومَوردَ وَحْيِهِ ، ونُخَبَةَ ما في أرضِهِ وسمائِهِ[١] ؛ رُوحانيّاً جِسْمانيّاً ، أرضيّاً سماويّاً ، مُنتصِبَ القامةِ ، مُرتفِعَ الهيئةِ ، فنصفُهُ الفَوْقانيُّ مِنْ حَدِّ الفؤادِ[٢] مُستودَعُ أسرارِ السماواتِ ، ونصفُهُ التَّحْتانيُّ مُستودَعُ أسرارِ الأرضِ[٣]

فمَحَلُّ نَفْسِهِ ومركزُها النصفُ الأسفلُ ، ومَحَلُّ رُوحِهِ الرُّوحانيِّ والقلبِ النصفُ الأعلىٰ ، فجواذبُ الرُّوحِ معَ جواذبِ النَّفْسِ تتطاردانِ وتتجاذبانِ[٤] ، وباعتبارِ تطارُدِهما وتجاذبِهما لَمَّةُ المَلَكِ ولَمَّةُ الشيطانِ

ووقتُ الصلاةِ يَكثُرُ التَّطارُدُ[٥] ؛ لوجودِ التَّجاذُبِ بينَ الإيمانِ والطَّبْعِ[٦] ، فيُكاشَفُ المُصلِّي الذي صارَ قلبُهُ سماويّاً مُتردِّداً بينَ الفناءِ والبقاءِ . . بجواذبِ النَّفْسِ مُتصاعِدةً مِنْ مركزِها[٧]

---

(١) قوله : (نُخَبَة) ؛ مثل (رُطَبَة) ، والجمع : (نُخَب) ؛ مثل (رُطَب) ؛ يُقال جاء في نُخَب أصحابِهِ ؛ أي : في خيارهم . من هامش (ح) .

(٢) الفؤاد مستجمع أسرار السماوات والأرض . من هامش (ح) ، وفي بعض النسخ (الأعلىٰ) بدل (الفوقاني) .

(٣) في بعض النسخ : (الأسفل) بدل (التحتاني) .

(٤) في (أ ، و ، ز) : (ويتحاربان) .

(٥) كذا ضبط (وقت) بالوجهين في (و) ، وهو واضح ، والتقدير على الرفع : (يكثُر التطاردُ فيه) .

(٦) الإيمانُ يقتضي التوجُّهَ التامَّ إلى الله ، والطبعُ يقتضي استصحابَ التخيُّلات التي كانتْ قبل الصلاة لا يريدُ تركَها ، حتىٰ يحصلَ له التوجُّه التام . من هامش (ح) .

(٧) متصاعدة : حالٌ من (الجواذب) . من هامش (ح) .

وللجوارحِ وتصرُّفِها وحركتِها معَ معاني الباطنِ . . ارتباطٌ ومُوازنةٌ[1] ؛ فبوَضْعِ اليمينِ على الشِّمالِ حَصْرُ النَّفْسِ ، ومَنْعٌ مِنْ صعودِ جواذِبِها ، وأَثَرُ ذلكَ[2] يظهرُ بدَفْعِ الوَسْوَسةِ ، وزوالِ حديثِ النَّفْسِ في الصلاةِ

ثمَّ إذا استولتْ جواذبُ الرُّوحِ ، وتملَّكَتْ مِنَ الفَرْقِ إلى القَدَمِ عندَ كمالِ الأُنْسِ ، وتحقَّقَ قُرَّةُ العَينِ واستيلاءُ سُلْطانِ المُشاهَدةِ . . تصيرُ النَّفْسُ مقهورةً ذليلةً ، ويستنيرُ مركزُها بنُورِ الرُّوحِ ، فتنقطعُ حينئذٍ جواذبُ النَّفْسِ ، وعلىٰ قَدْرِ استنارةِ مركزِ النَّفْسِ يزولُ كَلُّ العبادةِ[3] ، ويستغني حينئذٍ عن مُقاوَمةِ النَّفْسِ ومَنْعِ جواذِبِها بوَضْعِ اليمينِ على الشِّمالِ ، فيُسبِلُ حينَئذٍ[4] ، ولعلَّ لذلكَ واللهُ أعلمُ ما نُقِلَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ صلَّىٰ مُسبِلاً[5] ، وهوَ مذهبُ مالكٍ رحمَهُ اللهُ[6]

ثمَّ يقرأُ ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِىَ . . . ﴾ الآيةَ [الأنعام : ٧٩] ، وهـٰذا التوجُّهُ آنفاً

---

(١) تُؤثِّر حركاتُ الجوارح في معاني الباطن ، فإن كانتِ الحركاتُ بالطاعات بشرائطها . . تُؤثِّر في تنوير الباطن ، وإن كانتْ بالمعاصي تُؤثِّر في تكدير الباطن . من هامش (ح) .

(٢) أي : الوضع . من هامش (ح) .

(٣) أي : ثِقَلُها

(٤) أي : اليدين من غير وضع اليمين على الشمال ؛ أَسْبل إزاره ؛ أي : أَرْخاه . من هامش (ح)

(٥) رواه البخاري (٨٢٨) عن سيدنا أبي حميد الساعدي رضي الله عنه ، وفيه : أنَّهُ وصف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام ثُلَّة من أصحابه عليه الصلاة والسلام ، ولم يذكر فيه السبل ، ورواه صريحاً في ذلك الطبرانيُّ في « المعجم الكبير » (٢٠/ ٧٤) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٦) وهو مندوبٌ عندهم في الفرض والنفل انظر « شرح الزرقاني علىٰ مختصر خليل » (١/ ٣٧٨)

لوجهِ قلبِهِ ، والذي قبلَ الصلاةِ لوَجْهِ قالَبِهِ .

ثمَّ يقولُ[1] : (سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدِكَ ، وتباركَ اسمُكَ ، وتعالىٰ جَدُّكَ ، ولا إلـٰهَ غيرُكَ ، اللَّهُمَّ أنتَ المَلِكُ لا إلـٰهَ إلَّا أنتَ سُبْحَانَكَ وبِحَمْدِكَ ، أنتَ ربِّي وأنا عبدُكَ ، ظلمتُ نَفْسي ، واعترفتُ بذَنْبِي ؛ فاغْفِرْ لي ذُنُوبي جميعاً ؛ إنَّهُ لا يغفرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ ، واهْدِني لأحسنِ الأخلاقِ ؛ فإنَّهُ لا يهدي لأحسنِها إلا أنتَ ، واصْرِفْ عنِّي سيِّئَها ؛ فإنَّهُ لا يَصرِفُ عنِّي سيِّئَها إلا أنتَ ، لَبَّيكَ وسَعْدَيكَ ، والخيرُ كلُّهُ بيدَيكَ ، والشرُّ ليسَ إليكَ ، أنا بكَ وإليكَ ، تباركتَ وتعالَيتَ ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ)

ويُطرِقُ رأسَهُ في قيامِهِ ، ويكونُ نَظَرُهُ إلىٰ مَوضِعِ سجودِهِ ، ويُكمِلُ القيامَ بانتصابِ القامةِ ونَزْعِ يسيرِ الانطواءِ عنِ الرُّكْبتَينِ والخواصرِ ومَعَاطِفِ البدنِ ، ويقفُ كأنَّهُ ناظرٌ بجميعِ جَسَدِهِ إلى الأرضِ ، فهـٰذا مِنْ خشوعِ سائرِ الأجزاءِ ، ويكونُ الجسدُ بلونِ القلبِ مِنَ الخشوعِ

ويُراوِحُ بينَ القدمَينِ بمقدارِ أربعِ أصابعَ ؛ فإنَّ ضَمَّ الكعبَينِ هوَ الصَّفْدُ المَنهِيُّ عنهُ ، ولا يرفعُ إحدى الرِّجْلَينِ ؛ فإنَّهُ الصَّفْنُ المَنهِيُّ عنهُ ؛ نهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الصَّفْنِ والصَّفْدِ[2]

---

(١) وهـٰذا الجمعُ بين التوجُّه والثناء هو مختار القاضي أبي حامد وأبي إسحاق المروزي انظر « المجموع » (٣/ ٢٧٨) ، وفي هامش (ح) (وأبو يوسف أيضاً على الجمع بين التوجُّه والثناء ، إلا أنَّهُ قدَّم الثناءَ على التوجُّه)

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٢) ، والغزالي في « الإحياء » (١/ ٥٦٧) ، وقال العراقي في « المغني » (٤١١) : (عزاه رَزين إلى الترمذي ، ولم أجده عنده ولا عند غيره ، وإنما ذكره أصحاب الغريب ؛ كابن الأثير في « النهاية » ، =

وإذا كانَ الصَّفْنُ مَنهيّاً عنهُ . ففي زيادةِ الاعتمادِ علىٰ إحدى الرِّجْلَينِ دونَ الأُخرىٰ معنىً مِنَ الصَّفْنِ ، فالأَوْلىٰ : رعايةُ الاعتدالِ في الاعتمادِ على الرِّجْلَينِ جميعاً

ويُكرَهُ اشتمالُ الصَّمَّاءِ ؛ وهوَ أنْ يُخرِجَ يدَهُ مِنْ قِبَلِ صدرِهِ[1]

ويجتنبُ السَّدْلَ ؛ وهوَ أنْ يُرخِيَ أطرافَ الثوبِ إلى الأرضِ ؛ ففيه معنى الخُيَلاءِ ، وقيلَ : هوَ الذي يلتفُّ بالثوبِ ويجعلُ يدَيْهِ مِنْ داخلٍ ، فيركعُ ويسجدُ كذلكَ ، وفي معناهُ : ما إذا جعلَ يدَيْهِ داخلَ القميصِ

ويجتنبُ الكَفَّ ؛ وهوَ أنْ يرفعَ ثيابَهُ بيدَيْهِ عندَ السجودِ

ويُكرَهُ الاختصارُ[2] ؛ وهو أنْ يجعلَ يدَهُ على الخاصرةِ .

= وروىٰ سعيد بن منصور أنَّ ابن مسعود رأىٰ رجلاً صافّاً ـ أو صافناً ـ قدميه ، فقال : أخطأ هٰذا السُّنَّةَ) .

(١) نهىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام من اشتمال الصمَّاء ، ومعنى اشتمل أنَّهُ لا يقدر على الاحتراس من شيء بيده لو أصابه . « فائق » ، قال أهل اللغة : اشتمالُ الصمَّاء : أن تُجلِّل جسدَكَ بثوبك نحو شملة الأعراب بأكسيتهم ؛ وهو أن يَرُدَّ الكِساءَ مِنْ قِبَلِ يمينه علىٰ يده اليسرىٰ وعاتقه الأيسر ، ثمَّ يَرُدَّهُ ثانيةً من خلفه علىٰ يده اليُمْنىٰ وعاتقه الأيمن [فيغطِّيهما جميعاً] ، وأمَّا الفقهاء يقولون : هو أن يشتملَ بثوبٍ واحدٍ ليس عليه غيرُهُ ، ثمَّ يرفعَهُ من أحد جانبيه فيضعَهُ علىٰ منكبيه ، فيبدو منه فرجُهُ ، قاله صاحب « النهاية » ، والعلماءُ أعلمُ بالتأويل في هٰذا لو ذلك [صحَّ] ، [وكلا] القولين مذكور في « الصحاح » ، وإنَّما قال لها : صمَّاء ؛ لأنَّهُ إذا اشتمل سدَّ علىٰ يديه ورجليه المنافذ كلَّها ؛ كالصخرة الصمَّاء التي [ليس فيها] خرق ولا صدع . « غريبين » ، وتأنيث الصمَّاء باعتبار أنَّها صفة للِّبْسة الصمَّاء . من هامش (ح) .

(٢) نُهي عنه ، ومعنى النَّهْي : أنَّهُ فِعْلُ [المُصاب] ، وحالةُ الصلاة حالٌ يُناجي فيه العبدُ ربَّهُ ، فهو حالُ الارتجاء ، لا حالُ [إظهار المصيبة] . « مبسوط » ، ولأنَّ فيه تركَ سنة أخذ اليد . من هامش (ح) .

ويُكرَهُ الصَّلْبُ ؛ وهوَ وضعُ اليدَينِ جميعاً على الخَصْرَينِ ، ويُجافِي العَضُدَينِ .

فإذا وقفَ في الصلاةِ على الهيئةِ التي ذَكَرْناها مُجتنِباً للمَكَارِهِ . . فقد تمَّمَ القيامَ وكمَّلَهُ ، فيقرأُ التوجُّهَ والدُّعاءَ كما ذَكَرْنا ، ثمَّ يقولُ : (أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرَّجيمِ) ، ويقولُها في كلِّ ركعةٍ أمامَ القراءةِ ، ويقرأُ (الفاتحةَ) وما يُقرَأُ بعدَها بحضورِ قلبٍ وجَمْعِ هَمٍّ ، ومُوَاطأةٍ بينَ القلبِ واللِّسانِ ، بحظٍّ وافرٍ مِنَ الوُصْلةِ والدُّنُوِّ[1] ، والهَيبةِ والخُشُوعِ ، والخَشْيةِ والتعظيمِ والوَقَارِ ، والمُشاهَدةِ والمُناجاةِ .

وإنْ قرأَ بينَ (الفاتحةِ) وما يُقرَأُ بعدَها إذا كانَ إماماً في السَّكْتةِ الثانيةِ (اللَّهُمَّ ؛ باعِدْ بيني وبينَ خَطَايايَ كما باعدتَ بينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، ونَقِّني مِنَ الخَطَايا كما يُنقَّى الثوبُ الأبيضُ مِنَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ ؛ اغْسِلْ خَطَايايَ بالماءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ)[2] . . فحَسَنٌ[3] ، وإنْ قالَها في السَّكْتةِ الأُولىٰ . . فحَسَنٌ ؛ رُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ ذلكَ[4]

---

(١) أي : منه ؛ باستشعار عظمته . من هامش (ح) .

(٢) يشاهد السالكُ المراتبَ الثلاث ؛ الغَسْلَ بالماء ؛ أي : بنورٍ هو كالماء تُنحَّىٰ به كُدُوراتُ الطبيعة ، والغَسْلَ بالثلج ؛ أي : بنور أَصْفىٰ وأزهرَ هو كالثلج ؛ يزولُ به ظُلُماتُ صفات النَّفس ، والغَسْلَ بالبَرَدِ ؛ أي : بنورٍ أَصْفىٰ من الأَصْفىٰ ؛ ينغسلُ به القلبُ من أغيار الالتفات إلى الغير . من هامش (ح) .

(٣) قال التاج السبكي في « الطبقات » (٣٤١/٨) : (تَبِعَ في هٰذا الغزاليَّ ؛ فإنَّهُ كذلك ذكر في « الإحياء » ، وهو غريبٌ ، والحديثُ يشهدُ لأنَّ موضعَ ذلك قبل « الفاتحة ») .

(٤) رواه البخاري (٧٤٤) ، ومسلم (٥٩٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وإنْ كانَ مُنفرِداً يقولُها قبلَ القراءةِ .

ويعلمُ العبدُ : أنَّ تلاوتَهُ نُطْقُ اللِّسانِ ، ومعناها نُطْقُ القلبِ ، وكلُّ مُخاطِبٍ لشخصٍ يتكلَّمُ بلسانِهِ ، ولسانُهُ يُعبِّرُ عمَّا في قلبِهِ ، ولو أمكنَ المُتكلِّمَ إفهامُ مَنْ يُكلِّمُهُ مِنْ غيرِ لسانٍ . . فَعَلَ ، ولـٰكنْ حيثُ تعذَّرَ الإفهامُ إلَّا بالكلامِ . . جُعِلَ اللِّسانُ تَرْجُماناً ، فإذا قالَ باللِّسانِ مِنْ غيرِ مُوَاطأةِ القلبِ . . فما اللِّسانُ تَرْجُمانٌ ، ولا القارئُ مُتكلِّمٌ قاصدٌ إسماعَ اللهِ حاجتَهُ ، ولا مُستمِعٌ إلى اللهِ فاهمٌ عنهُ سبحانَهُ ما يُخاطِبُهُ ، وما عندَهُ غيرُ حركةِ اللِّسانِ بقلبٍ غائبٍ عن قَصْدِ ما يقولُ ؛ فلا يكونُ مُتكلِّماً مُناجِياً ، ولا مُستمِعاً واعياً .

فأقلُّ مراتبِ أهلِ الخُصُوصِ في الصلاةِ : الجمعُ بينَ القلبِ واللِّسانِ في التلاوةِ ، ووراءَ ذلكَ أحوالٌ للخواصِّ يطولُ شرحُها[(١)] .

قالَ بعضُهُم : (ما دخلتُ في صلاةٍ قطُّ فأَهَمَّني فيها غيرُ ما أقولُ)[(٢)] .

وقيلَ لعامرِ بنِ عبدِ اللهِ[(٣)] : هل تجدُ في الصلاةِ شيئاً مِنْ أمورِ الدنيا ؟ فقالَ : لأَنْ تختلفَ عليَّ الأَسِنَّةُ أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أجدَ في الصلاةِ ما تجدونَ[(٤)] .

---

(١) كفَهْمِ لطائفِ المخاطبات ، ولَذَاذةِ المُسامَرة والمُناجاة ، والاستغراقِ في المشاهدات وتَجَلِّيات الصفات والذات ، وغيرِها من المراتب والمقامات . من هامش (ح) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٢١٨) ، والغزالي في « الإحياء » (١/٦٣٦) عن الربيع بن خُثَيم رحمه الله تعالىٰ .

(٣) ويُعرَفُ بـ (عامر بن عبد قيس) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٢٦/٣)

(٤) كذا أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٢١٨) ، والغزالي في « الإحياء » =

وقيلَ لبعضِهِم : هل تُحدِّثُ نفسَكَ في الصلاةِ بشيءٍ مِنْ أمورِ الدُّنيا ؟ فقالَ : لا في الصلاةِ ولا في غيرِها[1]

ومِنَ الناسِ مَنْ إذا أَقْبَلَ في صلاتِهِ على اللهِ يتحقَّقُ بمعنى الإنابةِ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ قَدَّمَ الإنابةَ وقالَ : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ [الروم : ٣١] ، فيُنيبُ إلى اللهِ تعالىٰ ويتَّقي اللهَ بالتبرُّؤِ عمَّا سواهُ ، ويُقِيمُ الصلاةَ بصَدْرٍ مُنشرِحٍ بالإسلامِ ، وقلبٍ مُنفسِحٍ بنورِ الإنعامِ ، فتخرجُ الكلمةُ مِنَ القرآنِ مِنْ لسانِهِ ، ويسمعُها بقلبِهِ ، فتقعُ الكلمةُ في فضاءِ قلبٍ ليسَ فيهِ غيرُها ، فيتملَّكُها القلبُ بحُسْنِ الفهمِ ، ولَذَاذةِ الإصغاءِ ، ويتشرَّبُها بحَلاوةِ الاستماعِ وكمالِ الوَعْيِ ، ويُدرِكُ لطيفَ معناها وشريفَ فَحْواها ؛ معانيَ تَلطُفُ عن تفصيلِ الفِكْرِ ، وتتشكَّلُ بخَفِيِّ الذِّكْرِ ، ويصيرُ الظاهرُ مِنْ معاني القرآنِ قُوتاً للنَّفْسِ .

والنَّفْسُ المُطمئنَّةُ مُتعوِّضةٌ بمعاني القرآنِ عن حديثِها ؛ لكونِها معانيَ ظاهرةً مُتوجِّهةً إلىٰ عالَمِ الحِكْمةِ والشهادةِ ، تَقْرُبُ مُناسَبتُها مِنَ النَّفْسِ المُكوِّنةِ لإقامةِ رَسْمِ الحِكْمةِ ، ومعاني القرآنِ الباطنةُ التي يُكاشَفُ بها مِنَ المَلَكُوتِ[2] . . قوتُ القلبِ ، ويتخلَّصُ الرُّوحُ المُقدَّسُ إلىٰ أوائلِ سُرَادِقاتِ الجَبَرُوتِ . . بمُطالَعةِ عَظَمَةِ المُتكلِّمِ ، وبمثلِ هٰذهِ المُطالَعةِ يكونُ كمالُ الاستغراقِ ، في لُجَجِ الأَشْواقِ ، كما نُقِلَ عن مُسلِمِ بنِ يسارٍ أنَّهُ صلَّىٰ ذاتَ

= (١/ ٦٣٧) ، ورواه بنحوه أحمد في « الزهد » (١٢٤٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٩٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٨٩٦) .

(١) أورده الغزالي في « الإحياء » (١/ ٦٣٧) .

(٢) أي : من عالم الغيب . من هامش (ح) .

يومٍ في مسجدِ البَصْرةِ ، فوقعَتْ أُسْطُوانةٌ تسامعَ بسقوطِها أهلُ السُّوقِ ، وهوَ واقفٌ في الصلاةِ ولم يعلَمْ بذلكَ !![1]

ثمَّ إذا أرادَ الركوعَ يفصلُ بينَ القراءةِ والركوعِ ، ثمَّ يركعُ مُنطويَ القامةِ[2] ، والنصفُ الأسفلُ بحالِهِ في القيامِ مِنْ غيرِ انطواءِ الرُّكْبتَينِ ، ويُجافِي مِرْفَقَيهِ عن جَنْبَيهِ ، ويَمُدُّ عُنُقَهُ معَ ظهرِهِ ، ويضعُ راحتَيهِ علىٰ رُكبتَيهِ منشورةَ الأصابعِ .

روىٰ مصعبُ بنُ سعدٍ قالَ : صلَّيتُ إلىٰ جنبِ سعدِ بنِ مالكٍ[3] ، فجعلتُ يديَّ بينَ رُكْبتيَّ وبينَ فَخِذيَّ وطبَّقتُهُما ، فضَرَبَ بيديَّ وقالَ : اضْرِبْ بكفَّيكَ علىٰ رُكبتَيكَ ، وقالَ : يا بُنيَّ ؛ إنَّا كُنَّا نفعلُ ذلكَ ، فأُمِرْنا أنْ نضربَ بالأكُفِّ على الرُّكَبِ[4]

ويقولُ : (سُبْحانَ ربِّيَ العظيمِ) ثلاثاً ، وهوَ أَدْنى الكمالِ ، والكمالُ : أنْ يقولَ عشراً[5] ، وما يأتي بهِ مِنَ العددِ يكونُ بعدَ التمكُّنِ مِنَ الركوعِ ،

---

(١) لكمال استغرافه ، وزوالِ إحساسه . من هامش (ح) ، والخبر رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٨/ ١٣٥) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢١٨) ، والغزالي في « الإحياء » (١/ ٦٣٧) .

(٢) أي : من غير سقوط . من هامش (ح) .

(٣) هو سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وأبو وقاص : كنيةُ والدِهِ مالكٍ ، ومصعب : هو ابن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري (٧٩٠) ، ومسلم (٥٣٥) .

(٥) قوله : (عشراً) كذا في النسخ ما عدا (ط) ، وهو ما ذهب إليه الإمام الغزالي في « الإحياء » (١/ ٥٧٢) ، وفي (ط) : (إحدىٰ عشرة) ، والمشهور والمعروف : أنَّ أكملَهُ : خمسٌ ، فسبعٌ ، فتسعٌ ، فإحدىٰ عشرة ، وذهب بعضهم : إلىٰ أنَّ أدنى الكمال : ثلاث ، وأعلاه : تسعٌ أو إحدىٰ عشرة ، وأوسطُهُ : خمسٌ . انظر =

ومِنْ غيرِ أنْ يَمزِجَ آخرَ ذلكَ بالرَّفْعِ[1] ، ويرفعُ يدَيهِ للركوعِ وللرفعِ مِنَ الركوعِ ، ويكونُ في ركوعِهِ ناظراً نحوَ قَدَمَيهِ ؛ فهوَ أقربُ إلى الخشوعِ مِنَ النظرِ إلىٰ موضعِ السجودِ ، وإنَّما ينظرُ إلىٰ موضعِ سجودِهِ في قيامِهِ[2]

ويقولُ بعدَ التسبيحِ (اللَّهُمَّ ؛ لكَ ركعتُ ، ولكَ خشعتُ ، وبكَ آمنتُ ، ولكَ أسلمتُ ، خَشَعَ لكَ سَمْعي وبَصَري ، وعَظْمي ومُخِّي وعَصَبي) ، ويكونُ قلبُهُ في الركوعِ بمعنى الركوعِ ؛ مِنَ التواضعِ والإِخْباتِ .

ثمَّ يرفعُ رأسَهُ قائلاً[3] : (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ) ، عالماً بقلبِهِ ما يقولُ .

فإذا استوىٰ قائماً يحمدُ ويقولُ : (اللَّهُمَّ ؛ ربَّنا ؛ لكَ الحمدُ ، مِلْءَ السماواتِ ومِلْءَ الأرضِ ، ومِلْءَ ما شئتَ مِنْ شيْءٍ بعدُ) ، ثمَّ يقولُ : (أهلَ الثناءِ والمَجْدِ ، حقُّ ما قالَ العبدُ : كلُّنا لكَ عبدٌ ، لا مانعَ لِمَا

= « المجموع » (٣/ ٣٨٣ـ٣٨٤) .

(١) أي : يكونُ تمامُ التسبيحات في حال الاطمئنان في الركوع . من هامش (ح)

(٢) المعتمد عند السادة الشافعيّة : أنَّهُ في حال القيام والقعود يكون نظرُهُ إلىٰ موضع سجوده ، والذي ذهب إليه المؤلف هو ما جزم به البغوي والمتولي ، وهو أيضاً مذهب السادة الحنفية ، وتفصيلُ قولهم : أنَّهُ في القيام يكون نظره إلىٰ موضع سجوده ، وفي الركوع إلىٰ ظهر قدميه ، وفي السجود إلىٰ أنفه ، وفي القعود إلىٰ حِجْره ؛ لأنَّ امتداد البصر يُلهي ، فإذا قصره كان أَوْلىٰ ، ودليل الأوَّل : أنَّ ترديد البصر من مكان إلىٰ مكان يُشغِلُ القلبَ ويمنع الخشوع . انظر « المجموع » (٣/ ٢٧٠) .

(٣) أي : يبتدئ بقول : (سمع الله) حين ابتداء رفع الرأس ، ويُتِمُّ إذا استوىٰ قائماً . من هامش (ح) .

أَعْطَيتَ ، ولا مُعطِيَ لِمَا منعتَ ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منكَ الجَدُّ)[1]

وإنْ أطالَ في النافلةِ القيامَ بعدَ الرفعِ مِنَ الركوعِ . . فليَقُلْ (لربِّيَ الحمدُ) ، مُكرِّراً ذلكَ مهما شاءَ[2] ، فأمَّا في الفرضِ فلا يُطوِّلُ تطويلاً يزيدُ على الحدِّ زيادةً بيِّنةً .

ويقنعُ في الرفعِ مِنَ الركوعِ تمامَ الاعتدالِ بإقامةِ الصُّلْبِ ؛ وَرَدَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَنَّهُ قالَ « لَا يَنْظُرُ ٱللهُ إِلَىٰ مَنْ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ ٱلرُّكُوعِ وَٱلسُّجُودِ »[3]

ثمَّ يَهْوِي ساجداً ، ويكونُ في هُوِيِّهِ مُكبِّراً مُتيقِّظاً[4] ، حاضراً خاشعاً ، عالِماً بما يَهْوِي فيهِ وإليهِ ولهُ

---

(١) قوله (حقُّ ما قال العبد : كلُّنا لك عبد) كذا في النسخ ، وقال النووي في « المجموع » (٣/ ٣٨٨ـ ٣٨٩) : (. . . رواه مسلم بلفظه ، إلا أنَّهُ قال : « أحقُّ ما قال العبد ، وكلُّنا لك عبد » بإثبات الألف في « أحق » ، وواوٍ في « وكلُّنا » ، هـٰكذا رواه أبو داود وسائرُ المُحدِّثين ، ووقع في « المهذَّب » وكتب الفقه : « حَقُّ ما قال العبد : كلُّنا » بحذف الألف والواو ، وهـٰذا وإن كان مُنتظِمَ المعنىٰ لـٰكنَّ الصوابَ ما ثبت في كتب الحديث ، قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله : معناه : أحقُّ ما قال العبدُ قولُهُ : « لا مانعَ لِمَا أعطَيت . . » إلىٰ آخره ، وقولُهُ : « وكلُّنا لك عبد » اعتراضٌ بين المبتدأ والخبر ، قال أبو داود : أو يكون قولُهُ : « أحقُّ ما قال » خبراً لما قبله ؛ أي قولُهُ : « ربَّنا ؛ لك الحمدُ . . . » إلىٰ آخره . . أحقُّ ما قال العبدُ ، والأوَّل أَوْلىٰ) .

(٢) في (د) : (ما شاء) بدل (مهما شاء) .

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٤٠٥ـ ٤٠٦) عن سيدنا طلق بن علي رضي الله عنه

(٤) في بعض النسخ : (مستيقظاً) ، والهُوِي ـ بضم الهاء وفتحها كما في « المصباح » (٢/ ٨٨٥) ـ السقوط من أعلىٰ إلىٰ أسفل ، وفي هامش (ح) : (الهَوِي بفتح الهاء : ذهابٌ في انخفاض ، وبضمِّها : ذهابٌ في ارتفاع)

فمِنَ الساجدينَ مَنْ يُكاشَفُ أنَّهُ يَهْوِي إلىٰ تُخُومِ الأَرَضِينَ[1] ، مُتغيِّباً في أجزاءِ المُلْكِ ؛ لامتلاءِ قلبِهِ مِنَ الحياءِ ، واستشعارِ رُوحِهِ عظيمَ الكِبْرياءِ ، كما وَرَدَ أنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ تَسَتَّرَ بخافقةٍ مِنْ جناحِهِ حياءً مِنَ اللهِ تعالىٰ[2] .

ومِنَ الساجدينَ مَنْ يُكاشَفُ أنَّهُ يَطْوِي بسجودِهِ بِساطَ الكَونِ والمكانِ ، ويسرحُ قلبُهُ في فضاءِ الكَشْفِ والعِيانِ ، فتَهْوِي دونَ هُوِيِّهِ أطباقُ السماواتِ ، وتَنْمحِي لقوَّةِ شهودِهِ تماثيلُ الكائناتِ ، ويسجدُ علىٰ طَرَفِ رداءِ العَظَمةِ والكِبْرياءِ[3] ، وذلكَ أقصىٰ ما ينتهي إليهِ طائرُ الهِمَّةِ البشريَّةِ ، وتَفِي بالوصولِ إليهِ القُوى الإنسانيَّةُ .

ويتفاوتُ الأنبياءُ والأولياءُ في مراتبِ العَظَمَةِ واستشعارِ كُنْهِها ؛ لكلٍّ منهُم علىٰ قَدْرِهِ حظٌّ مِنْ ذلكَ ، وفوقَ كلِّ ذي عِلْمٍ عليمٌ

ومِنَ الساجدينَ مَنْ يتَّسعُ وِعَاؤُهُ، وينتشرُ ضِياؤُهُ ، ويَحْظَىٰ بالصِّفتَينِ[4]، ويبسطُ الجناحَينِ ، فيتواضعُ بقلبِهِ إجلالاً ، ويُرفَعُ برُوحِهِ إكراماً وإفضالاً ،

---

(١) التَّخم : مُنتهىٰ كلِّ قرية أو أرض ، والجمع : (تُخُوم) ؛ كـ(فَلْس وفُلُوس)

(٢) الخافقة الجانب والطَّرَف ، وفي نسخة علىٰ هامش (و) : (بخافية) بدل (بخافقة) ، والخافية : واحدةُ (الخَوَافي) ؛ وهي ريشات إذا ضَمَّ الطائرُ جناحيه خَفِيتْ .

(٣) أي : إذا لم يبقَ عنده أثرُ الكائنات ، فلا يرىٰ إلا عظمةَ الله تعالىٰ ؛ فحينئذ يسجدُ علىٰ طرف رداء العظمة . من هامش (ج)

(٤) أي : بصفة العبوديّة في أجزاء الملك ؛ بحيثُ [يُكاشَفُ] أنَّهُ يَهْوِي إلىٰ تُخُوم الأَرَضِين لأجل الحياء ، وصفةِ البقاء والظهور ؛ بحيث يزول بشهوده أثر الكائنات . من هامش (ج)

فيجتمعُ لهُ الأُنْسُ والهَيبةُ ، والحضورُ والغَيبةُ ، والفِرارُ والقَرارُ ، والإِسْرارُ والجِهارُ ، فيكونُ في سجودِهِ سابحاً في بَحْرِ شُهُودِهِ ، لم يتخلَّفْ منهُ عنِ السجودِ شعرةٌ ، كما قالَ سيِّدُ البشرِ عليه الصلاةُ والسلامُ في سُجُودِهِ « سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي »[1] ؛ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد : ١٥] ؛ فالطَّوْعُ للرُّوحِ والقلبِ ؛ لِمَا فيهما مِنَ الأهليَّةِ ، والكَرْهُ مِنَ النَّفْسِ ؛ لِمَا فيها مِنَ الأجنبيَّةِ .

ويقولُ في سجودِهِ : (سبحانَ ربِّيَ الأَعْلىٰ) ثلاثاً إلى العَشْرِ الذي هوَ الكمالُ[2] ، ويكونُ في السجودِ مفتوحَ العينَينِ ؛ لأنَّهُما تسجدانِ

وفي الهُوِيِّ يضعُ رُكْبَتَيهِ ثمَّ يدَيهِ ثمَّ جبهتَهُ وأنفَهُ ، ويكونُ ناظراً نحوَ أَرْنَبةِ أنفِهِ في السجودِ ؛ فهوَ أبلغُ في الخشوعِ للساجدِ ، ويُباشِرُ بكفَّيهِ المُصلَّىٰ ، ولا يلفُّهُما في الثوبِ ، ويكونُ رأسُهُ بينَ كَفَّيْهِ ، ويدَاهُ حَذْوَ مَنكِبَيهِ ، غيرَ مُتيامِنٍ ولا مُتياسِرٍ بهِما .

ويقولُ بعدَ التسبيحِ : (اللَّهُمَّ ؛ لكَ سجدتُ ، وبكَ آمنتُ ، ولكَ أسلمتُ ، سَجَدَ وَجْهي للذي خَلَقَهُ وصوَّرَهُ ، وشَقَّ سمعَهُ وبصرَهُ ، تبارَكَ اللهُ أحسنُ الخالقينَ) ؛ روىٰ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يقولُ في سجودِهِ ذلكَ[3]

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٣٨) .

(٢) قوله : (إلى العشر) كذا في النسخ ، والمشهور : أنَّ الكمال درجات ؛ أعلاها : إحدىٰ عشرة أو تسع ، وأوسطُها : خمس . انظر « النجم الوهاج » (٢/ ١٣٥) .

(٣) رواه مسلم (٧٧١) .

وإنْ قالَ : (سُبُوحٌ قُدُّوسٌ ، ربُّ الملائكةِ والرُّوحِ) . . فحَسَنٌ ؛ رَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يقولُ في سجودِهِ ذلكَ[1] .

ويُجافي مِرْفَقَيهِ عن جَنْبَيهِ ، ويُوجِّهُ أصابعَهُ في السجودِ نحوَ القِبْلةِ ، ويَضُمُّ أصابعَ كفَّيهِ معَ الإبهامِ ، ولا يَفرُشُ ذراعَيهِ على الأرضِ .

ثمَّ يرفعُ رأسَهُ مُكبِّراً ، ويجلسُ علىٰ رِجْلِهِ اليُسْرىٰ ، ويَنصِبُ اليُمْنىٰ مُوجِّهاً بالأصابعِ إلى القبلةِ ، ويضعُ اليدَينِ على الفَخِذَينِ مِنْ غيرِ تكلُّفِ ضمِّها وتفريجِها، ويقولُ : (ربِّ ؛ اغْفِرْ لي وارْحَمْني ، واهْدِني واجْبُرْني، وعافِني واعفُ عنِّي) .

ولا يُطِيلُ هٰذهِ الجَلْسةَ في الفريضةِ ، وأمَّا في النافلةِ فلا بأسَ مهما أطالَ قائلاً : (ربِّ ؛ اغفِرْ وارْحَمْ) مُكرِّراً ذلك ، ثمَّ يسجدُ السَّجْدةَ الثانيةَ مُكبِّراً .

ويُكرَهُ الإقعاءُ في القعودِ ؛ وهوَ ها هنا : أنْ يضعَ أَلْيَتيهِ علىٰ عَقِبَيهِ

ثمَّ إذا أرادَ النهوضَ إلى الركعةِ الثانيةِ . . يجلسُ جَلْسةً خفيفةً للاستراحةِ ، ويفعلُ في بقيَّةِ الرَّكَعاتِ هٰكذا ، ثمَّ يتشهَّدُ .

وفي الصلاةِ سِرُّ المِعْراجِ ، وهوَ مِعْراجُ القلوبِ ، والتشهُّدُ مَقَرُّ الوصولِ بعدَ قطعِ مسافاتِ الهيئاتِ علىٰ تدريجِ طَبَقاتِ السماواتِ ، والتحيَّاتُ سلامٌ

(١) رواه مسلم (٤٨٧) .

علىٰ ربِّ البَرِيَّاتِ ، فلْيَذْهَنْ لما يقولُ[1] ، ويتأدَّبْ معَ مَنْ يقولُ ، ويَدْرِ كيفَ يقولُ .

ويُسلِّمُ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ويُمثِّلُهُ بينَ عَينَيْ قلبِهِ ، ويُسلِّمُ علىٰ عبادِ اللهِ الصالحينَ ؛ فلا يبقىٰ في الأرضِ والسماءِ عبدٌ مِنْ عبادِ اللهِ إلَّا ويُسلِّمُ عليهِ بالنسبةِ الرُّوحيَّةِ والخاصِّيَّةِ الفِطْرِيَّةِ

ويضعُ يدَهُ اليُمْنىٰ علىٰ فَخِذِهِ اليُمْنىٰ مقبوضةَ الأصابعِ إلَّا المُسبِّحةَ ، ويرفعُ المُسبِّحةَ في الشهادةِ في (إلا اللهُ) ، لا في كلمةِ النَّفْيِ ، ولا يرفعُها مُنتصِبةً بل مائلةً برأسِها إلى الفَخِذِ مُنطوِيةً ، فهٰذهِ هيئةُ خشوعِ المُسبِّحةِ ، ودليلُ سِرايةِ خشوعِ القلبِ إليها

ويدعو في آخرِ صلاتِهِ لنَفْسِهِ وللمؤمنينَ ، وإنْ كانَ إماماً ينبغي ألَّا يَنفرِدَ بالدُّعاء ، بل يدعو لنَفْسِهِ ولِمَنْ وراءَهُ ؛ فإنَّ الإمامَ المُتيقِّظَ في الصلاةِ كحاجِبٍ دَخَلَ علىٰ سُلْطانٍ ووراءَهُ أصحابُ الحوائجِ يسألُ لهُم ويَعرِضُ حاجاتِهِم ، والمؤمنونَ كالبُنْيانِ يَشُدُّ بعضُهُم بعضاً ، وبهٰذا وَصَفَهُمُ اللهُ تعالىٰ في كلامِهِ ؛ فقالَ : ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] .

وفي وصفِ هٰذهِ الأُمَّةِ في الكُتُبِ السالفةِ : صَفُّهُم في صلاتِهِم كصَفِّهِم في قتالِهِم .

(١١١) ـ أخبرَنا بذلك شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجِيبِ السُّهْرُوَرْدِيُّ رحِمَهُ اللهُ إملاءً ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمٰنِ محمَّدُ بنُ عيسى بنِ شُعَيبِ

---

(١) يَذْهَن : يتفطَّن ويعقل ويفهم .

المَالِينيُّ[1] ، قالَ أخبرَنا أبو الحسنِ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ المُظفَّرِ الواعظُ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ السَّرَخْسِيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو عِمْرانَ عيسى بنُ عمرَ بنِ العبَّاسِ السَّمَرْقَنْديُّ ، قالَ أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ الدَّارِميُّ ، قالَ أخبرَنا مُجاهِدُ بنُ موسىٰ ، قالَ حدَّثَنا مَعْنٌ ـ هوَ ابنُ عيسىٰ ـ أنَّهُ سألَ كعبَ الأحبارِ كيفَ تَجِدُ نَعْتَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في التوراةِ ؟ قالَ نجدُ (محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ، يُولَدُ بمكَّةَ ، ويُهاجِرُ بطَيبةَ ، ويكونُ مُلْكُهُ بالشامِ ، وليسَ بفَحَّاشٍ ولا سَخَّابٍ في الأسواقِ[2] ، ولا يُكافِئُ بالسَّيِّئةِ السَّيِّئةَ ، ولـٰكنْ يعفو ويغفرُ[3] ، أُمَّتُهُ الحمَّادونَ ، يَحمَدُونَ اللهَ في كلِّ سرَّاءَ ، ويُكبِّرونَ اللهَ علىٰ كلِّ نَجْدٍ[4] ، يُوضِّئُونَ أطرافَهُم ، ويَأْتَزِرُونَ في أوساطِهِم ، يَصُفُّونَ في صلاتِهِم كما يَصُفُّونَ في قتالِهِم ، دَوِيُّهُم في مساجِدِهِم كدَوِيِّ النَّحْلِ ، يُسمَعُ مُنادِيهِم في جوِّ السماءِ)[5]

فالإمامُ في الصلاةِ مُقدِّمةُ الصفِّ في محاربةِ الشيطانِ ؛ فهوَ أَوْلى

---

(١) هو نفسه أبو الوقت عبد الأوّل كما سبق التنبيه عليه في (١/ ٣١٢، ٢/ ٤٤)

(٢) السَّخَّاب والصَّخَّاب : الصَّيَّاح ؛ من السَّخَب والصَّخَب ؛ وهما اختلاط الأصوات ، والأصلُ السين . « مغرب » . من هامش (ح) .

(٣) في (ج ، د ، و) : (ويصفح) .

(٤) النَّجْد : ما ارتفع من الأرض .

(٥) سنن الدارمي (٨) ، وفيه : (حدَّثنا معن بن عيسىٰ ، حدَّثنا معاوية بن صالح ، عن أبي فروة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل كعب الأحبار) ، ومن المعلوم والواضح أنَّ مَعْناً لم يلق كعب الأحبار ، ورواه أيضاً من طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٨٥) .

المُصلِّينَ بالخشوعِ والإتيانِ بوظائفِ الأدبِ ظاهراً وباطناً

والمُصلُّونَ المُتيقِّظُونَ كلَّما اجتمعَتْ ظواهرُهُم تجتمعُ بواطنُهُم ، وتتناصرُ وتتعاضدُ ، ويَسْرِي مِنَ البعضِ إلى البعضِ أنوارٌ وبركاتٌ ، بل جميعُ المؤمنينَ المُصلِّينَ في أقطارِ الأرضِ بينَهُم تعاضُدٌ وتناصُرٌ بحسَبِ القلوبِ ونَسَبِ الإسلامِ ورابطةِ الإيمانِ ، بل يَمُدُّهُمُ اللهُ تعالىٰ بالملائكةِ الكِرامِ ، كما أَمَدَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالملائكةِ المُسوِّمينَ ، فحاجتُهُم إلىٰ مُحارَبةِ الشيطانِ أَمَسُّ مِنْ حاجتِهِم إلىٰ مُحارَبةِ الكُفَّارِ ؛ ولهٰذا كانَ يقولُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَجَعْنَا مِنَ ٱلْجِهَادِ ٱلْأَصْغَرِ إِلَى ٱلْجِهَادِ ٱلْأَكْبَرِ »(١) ، فتتداركُهُمُ الأملاكُ ، بل بأنفاسِهِمُ الصادقةِ تتماسكُ الأفلاكُ(٢)

فإذا أرادَ الخروجَ مِنَ الصلاةِ يُسلِّمُ عن يمينِهِ ، وينوي معَ التسليمِ الخروجَ مِنَ الصلاةِ ، والسلامَ على الملائكةِ والحاضرينَ مِنَ المؤمنينَ ومُؤْمِنِي الجنِّ ، ويجعلُ خَدَّهُ مُبيَّناً لمَنْ علىٰ يمينِهِ بإِلْواءِ عُنُقِهِ(٣) ، ويَفصِلُ بينَ هٰذا السلامِ والسلامِ عن يسارِهِ ؛ فقد وَرَدَ النهيُ عنِ المُواصَلةِ(٤)

---

(١) سبق تخريجه في (١/٣٥١) .

(٢) ضبط : (يتداركهم) و(يتماسك) في (د) بالتاء والياء معاً

(٣) في (ج) ونسخة على هامش (د) : (بِلَيِّ) بدل (بإلواء) ، وفي (هـ ، ح) : (بالتواء) .

(٤) قال العراقي في « المغني » (٤٣٠) (عزاه رَزين إلى الترمذي ، ولم أجده عنده ، وقد فسَّره الغزالي بوَصْلِ القراءة بالتكبير ، ووَصْلِ القراءة بالركوع ، وغيرِ ذلك ، وقد روىٰ أبو داود [٧٨٠] ، والترمذي [٢٥١] وحسَّنه ، وابن ماجه [٨٤٤] من حديث سمرة : « سكتتانِ حَفِظتُهُما عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إذا دخل في صلاته ، =

والمُواصَلةُ خَمْسٌ : اثنتانِ تختصَّانِ بالإمامِ ؛ وهوَ أَلَّا يُواصِلَ القراءةَ بالتكبيرِ ، والركوعَ بالقراءةِ

واثنتانِ على المأمومِ : وهوَ أَلَّا يُواصِلَ تكبيرةَ الإحرامِ بتكبيرةِ الإمامِ ، ولا تسليمَهُ بتسليمِهِ .

وواحدةٌ على الإمامِ والمأمومِ وهوَ أَلَّا يُواصِلَ تسليمَ الفرضِ بتسليمِ النَّفْلِ .

ويجزمُ التسليمَ ولا يَمُدُّهُ مدّاً ، ثمَّ يدعو بعدَ التسليمِ بما شاءَ مِنْ أمرِ دِينِهِ ودُنْياهُ ، ويدعو قبلَ التسليمِ أيضاً في صُلْبِ الصلاةِ ؛ فإنَّهُ يُستجابُ .

ومَنْ أقامَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ في جماعةٍ . . فقد ملأَ البَرَّ والبحرَ عبادةً ، وكلُّ الأحوالِ والمقاماتِ زُبْدتُها الصَّلَواتُ الخَمْسُ في جماعةٍ ، وهي سِرُّ الدِّينِ ، وكفَّارةُ المؤمنِ ، وتمحيصٌ للخَطَايا على ما :

(١١٢) ـ أخبرَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْدِيُّ رحمَهُ اللهُ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ ابنُ خَيْرونَ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ بنِ زكريَّا ، قالَ : حدَّثَنا أبو محمَّدٍ يحيى بنُ محمَّدِ بنِ صاعدٍ ، قالَ حدَّثَنا الحسينُ بنُ الحسنِ المَرْوَزِيُّ ، قالَ أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ المباركِ ، قالَ : أخبرَنا يحيى بنُ

= وإذا فرغ من قراءة القرآن » ، وفي « الصحيحين » [« صحيح البخاري » (٧٤٤) ، « صحيح مسلم » (٥٩٨)] من حديث أبي هريرة : « كانَ يسكتُ بينَ التكبيرِ والقراءةِ إسكاتةً . . . » الحديثَ) .

عبدِ اللهِ قالَ : سمعتُ أبي يقولُ   سمعتُ أبا هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلصَّلَوَاتُ كَفَّارَاتٌ لِلْخَطَايَا[1] ، فَٱقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] »[2]

✿ ✿ ✿

---

(١) في (ز ، ي) : (الصلوات الخمس) بزيادة (الخمس) ، وليس هـٰذا القيد في باقي النسخ ومصادر تخريج الحديث .

(٢) الزهد (٩٠٧) ، ورواه من طريقه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٨١) ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣/٣٢٩) من حديث سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، وسبق رجال سنده إلى ابن المبارك والتعريفُ ببعضهم ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) ، وفيه أيضاً : (بلغ سماع الجماعة في الحادي والعشرين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام)

الباب الثامن والثلاثون

في ذكر آداب الصلاة وأسرارها

أحسنُ آدابِ المُصلِّي ألَّا يكونَ مشغولَ القلبِ بشيءٍ قَلَّ أو كَثُرَ ؛ لأنَّ الأَكْياسَ لم يَرفُضُوا الدنيا إلا ليُقِيمُوا الصلاةَ كما أُمِرُوا ؛ لأنَّ الدنيا وأَشْغالَها لمَّا كانتْ شاغلةً للقلبِ . . رَفَضُوها ؛ غَيْرةً على مَحَلِّ المُناجاةِ ، ورغبةً في أَوْطانِ القُرُباتِ ، وإذعاناً بالباطنِ لربِّ البَرِيَّاتِ ؛ لأنَّ حُضُورَ الصلاةِ بالظاهرِ إذعانُ الظاهرِ ، وفراغَ القلبِ في الصلاةِ عمَّا سوى اللهِ تعالىٰ . . إذعانُ الباطنِ ، فلم يَرَوْا حُضُورَ الظاهرِ وتخلُّفَ الباطنِ ؛ حتىٰ لا يختلَّ إذعانُهُم فتنخَرِمَ عُبُوديَّتُهُم ، فيجتنبُ أنْ يكونَ باطنُهُ مُرتهَناً بشيءٍ ويدخلَ الصلاةَ .

وقيلَ (مِنْ فِقْهِ الرجلِ أنْ يبدأَ بقضاءِ حاجتِهِ قبلَ الصلاةِ)[1] ؛ ولهـٰذا وَرَدَ : « إِذَا حَضَرَ ٱلْعَشَاءُ وَٱلْعِشَاءُ فَقَدِّمُوا ٱلْعَشَاءَ عَلَى ٱلْعِشَاءِ »[2]

ولا يُصلِّي وهوَ حاقِنٌ يُطالِبُهُ البولُ ، ولا حازِقٌ يُطالِبُهُ الغائطُ ، والحَزْقُ

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١١٤٢) ، ومن طريقه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (١٣٤) موقوفاً علىٰ سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) العِشَاء ـ بالمد والكسر ـ : من صلاة المغرب إلىٰ صلاة العتمة ، والعَشَاء ـ بالمد والفتح ـ : الطعام بعينه ، وهو خلاف الغداء . من هامش (ح) ، والحديث رواه بنحوه البخاري (٥٤٦٣) ، ومسلم (٥٥٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩)

أيضاً ضِيقُ الخُفِّ[1] ، ولا يُصلِّي أيضاً وخُفُّهُ ضَيِّقٌ يشغلُ قلبَهُ ؛ فقد قيلَ (لا رأيَ لحازِقٍ) ، قيلَ : الذي يكونُ خُفُّهُ ضَيِّقاً

وفي الجملةِ ليسَ مِنَ الأدبِ أنْ يُصلِّيَ وعندَهُ ما يُغيِّرُ مزاجَ باطنِهِ عنِ الاعتدالِ ؛ كهـٰذهِ الأشياءِ التي ذَكَرْناها ، والاهتمامِ المُفرِطِ ، والغَضَبِ ؛ وفي الخبرِ : « لَا يَدْخُلْ أَحَدُكُمْ فِي ٱلصَّلَاةَ وَهُوَ مُقَطِّبٌ ، وَلَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمْ وَهُوَ غَضْبَانُ »[2]

فلا ينبغي للعبدِ أنْ يتلبَّسَ بالصلاةِ إلا وهوَ علىٰ أتمِّ الهيئاتِ

وأحسنُ لِبْسَةِ المُصلِّي : سُكُونُ الأطرافِ، وعدمُ الالتفاتِ، والإطراقُ[3] ، ووضعُ اليمينِ على الشِّمالِ ، فما أحسنَها مِنْ هيئةِ عبدٍ ذليلٍ ، واقفٍ بينَ يَدَيْ مَلِكٍ عزيزٍ !!

وفي رُخْصةِ الشَّرْعِ دونَ ثلاثِ حَرَكاتٍ مُتوالياتٍ . . جائزٌ ، وأربابُ العزيمةِ يتركونَ الحركةَ في الصلاةِ جُمْلةً ، وقد حَرَّكتُ يدي في الصلاةِ مرَّةً وعندي شخصٌ مِنَ الصالحينَ ، فلمَّا انصرفتُ مِنَ الصلاةِ أنكرَ عليَّ وقالَ

---

(١) المشهور في كتب السَّادة الشافعيّة : أنَّ الحاقنَ : الذي يُدافِعُهُ البول ، والحارقَ : الذي يدافعه الغائط أو الذي ضاق خفُّهُ حتىٰ ضغط رجله وعصرها ، والحاقبَ الذي يدافعه الغائط ، وزاد الخطيب في « الإقناع » (١/ ١٥٢) الحاقم ؛ وهو الذي يدافعه البول والغائط معاً ، وانظر « مغني المحتاج » (١/ ٣٠٨) ، و« حاشية الشرقاوي علىٰ تحفة الطلاب » (١/ ١٦٨) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٥ ـ ١٢٠٦) ، والغزالي في « الإحياء » (١/ ٥٨٠)

(٣) يُقال : أَطْرق الرجلُ : إذا أَرْخىٰ عينيه ينظر إلى الأرض

عندَنا أنَّ العبدَ إذا وَقَفَ في الصلاةِ ينبغي أنْ يبقىٰ جَمَاداً مُجمَّداً لا يتحرَّكُ منهُ شيءٌ

وقد جاءَ في الخبرِ : « سَبْعَةُ أَشْيَاءَ فِي ٱلصَّلَاةِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ : ٱلرُّعَافُ ، وَٱلنُّعَاسُ ، وَٱلْوَسْوَسَةُ ، وَٱلتَّثَاؤُبُ ، وَٱلْحُكَاكُ ، وَٱلِٱلْتِفَاتُ ، وَٱلْعَبَثُ بِٱلشَّيْءِ » ، وقيلَ : « ٱلسَّهْوُ وَٱلشَّكُّ »(١)

وقد رُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّهُ قالَ : (إنَّ الخشوعَ في الصلاةِ : ألَّا يعرفَ المُصلِّي مَنْ علىٰ يمينِهِ وشمالِهِ)(٢)

ونُقِلَ عن سُفْيانَ رحمَهُ اللهِ أنَّهُ قالَ : (مَنْ لم يَخشَعْ فسدتْ صلاتُهُ)(٣).

ورُوِيَ عن معاذِ بنِ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ أشدُّ مِنْ ذلكَ(٤) ؛ قالَ (مَنْ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٢٠٥) ، والغزالي في « الإحياء » (١/ ٥٨٠ـ٥٨١) ، وقال العراقي في « المغني » (٤٣٨) : (رواه الترمذي [٢٧٤٨] من رواية عدي بن ثابت عن أبيه عن جدِّهِ ، فذكر منها : « الرعاف » و« النُّعاس » و« التثاؤب » ، وزاد ثلاثةً أخرىٰ ، وقال : حديث غريب ، ولمسلم [٢٢٠٣] من حديث عثمان بن أبي العاص : « يا رسول الله ؛ إنَّ الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي . . . » الحديثَ ، وللبخاري [٧٥١] من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة : « هوَ اختلاسٌ يَختلِسُهُ الشيطانُ مِنْ صلاةِ أحدِكُمْ » ، وللشيخين [« صحيح البخاري »(٣٢٨٩) ، « صحيح مسلم » (٢٩٩٤)] من حديث أبي هريرة : « التثاؤبُ مِنَ الشيطانِ » ، ولهما [« صحيح البخاري » (١٢٣٢) ، « صحيح مسلم » (٣٨٩)] من حديث أبي هريرة : « إنَّ أحدَكُم إذا قامَ يُصلِّي جاءَ الشيطانُ فلَبَسَ عليهِ صلاتَهُ حتىٰ لا يدري كم صلَّىٰ ») .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٢٠٦) .

(٣) رواه أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٢٠٦) ، وسفيان : هو الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أي : من قول سفيان .

عرفَ مَنْ علىٰ يمينِهِ وشمالِهِ في الصلاةِ مُتعمِّداً . . فلا صلاةَ لهُ)[1]

وقالَ بعضُ العلماءِ (مَنْ قرأَ كلمةً مكتوبةً في حائطٍ أو بساطٍ في صلاتِهِ . . فصلاتُهُ باطلةٌ)[2] ؛ قالَ بعضُهُم : (لأنَّ ذلكَ عَدُّوهُ عملاً)[3]

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ [المعارج : ٢٣] ؛ قيلَ : هوَ سكونُ الأطرافِ ، والطُّمَأْنينةُ[4]

قالَ بعضُهُم (إذا كبَّرتَ التكبيرةَ الأُولىٰ . . فاعلَمْ أنَّ اللهَ تعالىٰ ناظرٌ إلىٰ شخصِكَ ، عالمٌ بما في ضميرِكَ ، مَثِّلْ في صلاتِكَ الجنَّةَ عن يمينِكَ ، والنارَ عن شمالِكَ)[5]

وإنَّما ذَكَرَ أنْ يُمثِّلَ الجنةَ والنارَ ؛ لأنَّ القلبَ إذا اشتغلَ بذكرِ الآخرةِ ينقطعُ عنهُ الوَسْواسُ ، فيكونُ هٰذا التمثيلُ تداوِياً للقلبِ لدَفْعِ الوَسْوسةِ .

(١١٣) ـ أخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ إجازةً ، قالَ أخبرَنا عمرُ بنُ أحمدَ الصفَّارُ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ خَلَفٍ ، قالَ أخبرَنا أبو عبدِ الرحمٰنِ ، قالَ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ :

---

(١) رواه أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٦)

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٦ـ١٢٠٧) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٧) عن بشر بن الحارث رحمه الله تعالىٰ .

(٤) لأنَّ من الدوام في الصلاة السكونَ فيها ، وهٰذا القول أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٧) .

(٥) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص ٢٠٥)

سمعتُ محمَّدَ بنَ الحُسينِ يقولُ(١) : قالَ سهلٌ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ خلا قلبُهُ مِنْ ذِكْرِ الآخرةِ . تَعَرَّضَ لوَساوسِ الشيطانِ)(٢)

فأمَّا مَنْ باشرَ باطنَهُ صفوُ اليقينِ ونورُ المعرفةِ . . يستغني بشاهدِهِ عن تمثيلِ مَشَاهِدِهِ .

قالَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : (إذا ركعَ فالأدبُ في ركوعِهِ : أنْ ينتصبَ ويدنوَ ويتدلَّىٰ في ركوعِهِ حتىٰ لا يبقىٰ منهُ مَفصِلٌ إلَّا وهوَ مُنتصِبٌ نحوَ العرشِ العظيمِ(٣) ، ثمَّ يُعظِّمَ اللهَ تعالىٰ حتىٰ لا يكونَ في قلبِهِ شيءٌ أعظمَ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، ويَصغُرَ في نَفْسِهِ حتىٰ يكونَ أقلَّ مِنَ الهباءِ ، فإذا رَفَعَ رأسَهُ وحمدَ اللهَ يعلمُ أنَّهُ سبحانَهُ وتعالىٰ يسمعُ ذلكَ)(٤)

وقالَ أيضاً : (ويكونَ معَهُ مِنَ الخشيةِ ما يكادُ يذوبُ بهِ)(٥)

وقالَ السَّرَّاجُ : (إذا أَخَذَ العبدُ في التلاوةِ فالأدبُ في ذلكَ : أنْ يُشاهِدَ

---

(١) في (هـ ، ح) : (الحسن) بدل (الحسين) .

(٢) طبقات الصوفية (ص٢١١) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٩٨) .

(٣) التَّدَلِّي : بمعنى الدُّنوِّ ، لكنَّ الدُّنُوَّ يُستعمل بمعنى القُرب ، والتدلِّيَ بمعنى الأقرب ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [النجم : ٨] ، [والمراد] بالانتصاب هنا : بمعنى القيام الذي بمعنى الوقوف ، وهـٰذان الحالان في الركوع كالصفتين المذكورتين في السجود في الباب المُتقدِّم ، لـٰكنَّ صفة الشهود والحضور أفضلُ وأبلغُ في السجود ، وفي السجود تماثيلُ الكائنات من العرش إلى الثَّرَىٰ ؛ ولهـٰذا يسجدُ علىٰ رداء العَظَمة ؛ إذ لم يبق عنده غيرُ عَظَمة الله تعالىٰ ، وأمَّا صفةُ التَّدَلِّي والشهودِ في الركوع بمثابة شهود العرش . فبقي تمثالُ العرش حجاباً له عن رؤية العَظَمة ؛ ولذلك قال الله : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق : ١٩] . من هامش (ح) .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٦) .

(٥) هو ضمن التخريج السابق .

بسَمْعِ قلبِهِ كأنَّهُ يسمعُ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، أو كأنَّهُ يقرأُ على اللهِ تعالىٰ)[1]

وقالَ السَّرَّاجُ (مِنْ أدبِهِم قبلَ الصلاةِ : المُراقبةُ ، ومُراعاةُ القلبِ مِنَ الخواطرِ والعوارضِ ، وذِكْرِ كلِّ شيءٍ غيرِ ذِكْرِ اللهِ تعالىٰ

فإذا قاموا إلى الصلاةِ بحُضُورِ القلبِ . . فكأنَّهُم قاموا مِنَ الصلاةِ إلى الصلاةِ ، فيبقَونَ معَ النَّفْسِ والعقلِ اللَّذَينِ دخلوا في الصلاةِ بهما[2] ، فإذا خرجوا مِنَ الصلاةِ رجعوا إلىٰ حالِهِم مِنْ حضورِ القلبِ ، فكأنَّهُم أبداً في الصلاةِ ، فهٰذا هوَ أدبُ الصلاةِ)[3]

وقيلَ : (كانَ بعضُهُم لا يتهيَّأُ لهُ حفظُ العددِ مِنْ كمالِ استغراقِهِ ، وكانَ يُجلِسُ واحداً مِنْ أصحابِهِ يَعُدُّ عليهِ كم ركعةً صلَّىٰ)[4]

وقيلَ : (للصلاةِ أربعُ شُعَبٍ : حضورُ القَلبِ في المحرابِ[5] ، وشهودُ العقلِ عندَ المَلِكِ الوهَّابِ ، وخشوعُ القلبِ بلا ارتيابٍ ، وخضوعُ الأركانِ بلا ارتقابٍ ؛ لأنَّ عندَ حضورِ القَلبِ رَفْعَ الحجابِ[6] ، وعندَ شهودِ العقلِ رَفْعَ العتابِ ، وعندَ خشوعِ القلبِ فَتْحَ الأبوابِ[7] ، وعندَ خضوعِ الأركانِ وجودَ الثوابِ .

---

(١) اللمع (ص٢٠٦)

(٢) في « اللمع » : (مع النية والعقد) بدل (مع النفس والعقل)

(٣) اللمع (ص٢٠٧) .

(٤) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٧) ، وقال بعده : (لأنَّهُ كان يُراعي قلبَهُ علىٰ ثبات العقد الذي دخل به في الصلاة ، فكان يخافُ الغلطَ علىٰ نفسه ؛ لأنَّهُ كان لا يدري كم ركعةً صلَّاها ؛ فلذلك كان يستعين بمن يَعُدُّ عليه حتىٰ يتيقَّن كم ركعةً صلَّاها) .

(٥) في بعض النسخ : (القالب) بدل (القلب) .

(٦) في بعض النسخ : (القالب) بدل (القلب)

(٧) في النسخ ما عدا (هـ) : (النفس) بدل (القلب) .

فمَنْ أتى الصلاةَ بلا حضورِ القلبِ . . فهوَ مُصَلٍّ لاهٍ ، ومَنْ أتاها بلا شهودِ العَقْلِ . . فهوَ مُصلٍّ ساهٍ ، ومَنْ أتاها بلا خضوعِ النَّفْسِ . . فهوَ مُصلٍّ خاطئٌ ، ومَنْ أتاها بلا خشوعِ الأركانِ . . فهوَ مُصلٍّ جافٍ ، ومَنْ أتاها كما وُصِفَ . . فهوَ مُصلٍّ وافٍ)[١]

وقد وَرَدَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا قَامَ ٱلْعَبْدُ إِلَى ٱلصَّلَاةِ ٱلْمَكْتُوبَةِ ، مُقْبِلاً عَلَى ٱللهِ بِقَلْبِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ . . ٱنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَإِنَّ ٱللهَ لَيَغْفِرُ بِغَسْلِ ٱلْوَجْهِ خَطِيئَةً أَصَابَهَا ، وَبِغَسْلِ رِجْلَيْهِ خَطِيئَةً أَصَابَتْهُمَا ، وَبِغَسْلِ يَدَيْهِ خَطِيئَةً أَصَابَتْهُمَا[٢] ، حَتَّىٰ يَدْخُلَ فِي صَلَاتِهِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ وِزْرٌ »[٣]

وذُكِرَتِ السرقةُ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « أَيُّ ٱلسَّرِقَةِ أَقْبَحُ ؟ » ، فقالوا اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، فقالَ « إِنَّ أَقْبَحَ ٱلسَّرِقَةِ أَنْ يَسْرِقَ ٱلرَّجُلُ صَلَاتَهُ » ، قالوا كيفَ يسرقُ الرجلُ صلاتَهُ ؟ قالَ : « لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا ، وَلَا سُجُودَهَا ، وَلَا خُشُوعَهَا ، وَلَا ٱلْقِرَاءَةَ فِيهَا »[٤]

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٩) .

(٢) في (أ ، ج ، ز) تقديم غسل اليدين علىٰ غسل الرجلين ، وكتب علىٰ هامش (ج) : (في نسخة مقروءة على المصنف رحمه الله قُدِّم الرجل على اليد)

(٣) الحديث غريب بهٰذا اللفظ ، ورواه الحاكم (١/١٣١) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٣٠) عن سيدنا عمرو بن عبسة رضي الله عنه بلفظ : « إذا توضَّأَ العبدُ المؤمنُ فمضمضَ واستنثرَ . . خرجتِ الخطايا مِنْ أطرافِ فمِهِ ، فإذا غسلَ يديهِ تناثرتِ الخطايا مِنْ أظفارِهِ ، فإذا مسحَ برأسِهِ تناثرتِ الخطايا مِنْ أطرافِ رأسِهِ ، فإنْ قامَ وصلَّىٰ ركعتَينِ يُقبِلُ فيهما بقلبِهِ وطرفِهِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ . . خَرَجَ مِنْ ذنوبِهِ كيومَ ولدتْهُ أمُّهُ » ، وانظر « غنية العارف » (٢/٥٦٣ـ٥٦٤) .

(٤) رواه مالك (١/١٦٧) مرسلاً عن النعمان بن مرة رضي الله عنه ، ورواه البيهقي في =

ورُوِيَ عن أبي عمرِو بنِ العلاءِ أنَّهُ قُدِّمَ للإمامةِ ، فقالَ : لا أصلحُ ، فلمَّا ألحُّوا عليهِ كبَّرَ ، فغُشِيَ عليهِ ، فقدَّمُوا إماماً آخرَ ، فلمَّا أفاقَ سُئِلَ ، فقالَ : لمَّا قلتُ : (استووا) هَتَفَ بي هاتفٌ فقالَ : هلِ استويتَ أنتَ معَ اللهِ قطُّ ؟![1]

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا أَحْسَنَ ٱلْوُضُوءَ ، وَصَلَّى ٱلصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا ، وَحَافَظَ عَلَىٰ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَمَوَاقِيتِهَا . . قَالَتِ ٱلصَّلَاةُ : حَفِظَكَ ٱللهُ كَمَا حَفِظْتَنِي ، ثُمَّ صَعِدَتْ وَلَهَا نُورٌ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ، وَحَتَّىٰ تَصِلَ إِلَى ٱللهِ فَتَشْفَعَ لِصَاحِبِهَا ، وَإِذَا أَضَاعَهَا قَالَتْ : ضَيَّعَكَ ٱللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي ، ثُمَّ صَعِدَتْ وَلَهَا ظُلْمَةٌ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ أَبْوَابِ ٱلسَّمَاءِ فَتُغْلَقَ دُونَهَا ، ثُمَّ تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ ٱلثَّوْبُ ٱلْخَلَقُ ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا »[2]

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (إذا وَقَفَ العبدُ في الصلاةِ يقولُ اللهُ : ارفَعُوا الحُجُبَ فيما بيني وبينَ عَبْدِي ، فإذا التفتَ يقولُ اللهُ : أَرْخُوها فيما بيني وبينَهُ ، وخَلُّوا عَبْدِي وما اختارَ لنَفْسِهِ)

وقالَ أبو بكرٍ الورَّاقُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (ربَّما أُصلِّي ركعتَينِ ، فأنصرفُ

= « الشعب » (٢٨٤٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣/ ٢٧٣) عن سيدنا أبي قتادة رضي الله عنه

(١) أورده بنحوه الكلاباذي في « التعرف » (ص١٧٠) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٥٢٧) .

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في « المسند » (٥٨٦) ، والبزار في « المسند » (٢٦٩١) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٤٢٧) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٠٩٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه

منهُما وأنا أَسْتحيي مِنَ اللهِ تعالىٰ حياءَ رجلٍ انصرفَ مِنَ الزِّنىٰ)[1]

قولُهُ هـٰذا لعظيمِ الأدبِ عندَهُ ، ومعرفةُ كلِّ إنسانٍ بأدبِ الصلاةِ علىٰ قَدْرِ حظِّهِ مِنَ القُرْبِ .

وقيلَ لموسى بنِ جعفرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّ الناسَ قد أَفْسدُوا عليكَ الصلاةَ بمَمَرِّهِم بينَ يدَيكَ ، قالَ إنَّ الذي أُصلِّي لهُ أقربُ إليَّ مِنَ الذي يمشي بينَ يَدَيَّ .

وقيلَ كانَ زينُ العابدينَ عليُّ بنُ الحسينِ رضيَ اللهُ عنهُما إذا أرادَ أنْ يخرجَ إلى الصلاةِ لا يُعرَفُ مِنْ تَغَيُّرِ لونِهِ ، فيُقالُ لهُ في ذلكَ ، فيقولُ أتدرونَ بينَ يَدَيْ مَنْ أُرِيدُ أنْ أَقِفَ ؟![2]

وروىٰ عمَّارُ بنُ ياسرٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لَا يُكْتَبُ لِلعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا يَعْقِلُ »[3]

وقد وَرَدَ في لفظٍ آخَرَ : « مِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي ٱلصَّلَاةَ كَامِلَةً ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي ٱلنِّصْفَ ، وَٱلثُّلُثَ ، وَٱلرُّبُعَ ، وَٱلْخُمُسَ » ، حتىٰ يَبلُغَ العُشْرَ[4]

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣٧) ، وعزاه إلىٰ أبي عبد الله المغربي رحمه الله تعالىٰ

(٢) رواه أحمد في « الزهد » (٢١٣٨) ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (١٤٨) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢١٦)

(٣) رواه موقوفاً ابن المبارك في « الزهد » (١٣٠٠) بلفظ : (لا يُكتَبُ للرجل من صلاته ما سها عنه) ، وروي بنحوه مرسلاً عن عثمان بن أبي دهرش ، كما سبق في (٢/ ١٥٧)

(٤) رواه أحمد (٤/ ٣٢١) ، والطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (١١٠٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٢٨١) عن سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

قالَ الخوَّاصُ : (ينبغي للرجلِ أنْ ينويَ نوافلَهُ لفرائضِهِ[١] ، فإنْ لم يَنوِها لم يُحتسَبْ له منها شيءٌ ؛ بَلَغَنا أنَّ اللهَ تعالىٰ لا يقبلُ نافلةً حتىٰ تُؤدَّىٰ فريضتُهُ ؛ يقولُ اللهُ : مَثَلُكُم كمَثَلِ العبدِ السوءِ ؛ بدأَ بالهديَّةِ قبلَ قضاءِ الدَّينِ)[٢]

وقالَ أيضاً : (انقطعَ الخَلْقُ عنِ اللهِ بخَصْلتَينِ : إحداهُما : أنَّهُم طلبوا النوافلَ وضيَّعوا الفرائضَ ، والثانيةُ : أنَّهُم عَمِلُوا أعمالاً بالظواهرِ ولم يأخذوا أنفسَهُم بالصِّدْقِ فيها والنُّصْحِ لها ، وأبى اللهُ أنْ يقبلَ مِنْ عاملٍ عملاً إلا بالصِّدقِ وإصابةِ الحقِّ) .

وفَتْحُ العينِ في الصلاةِ أَوْلىٰ مِنْ تغميضِ العينِ ، إلا أنْ يَتَشَتَّتَ همُّهُ بتفريقِ النَّظَرِ ؛ فيُغمِضُ العينَ للاستعانةِ على الخشوعِ ، وإنْ تثاءبَ في الصلاةِ يَضُمُّ شفتَيهِ بقَدْرِ الإمكانِ ، ولا يُلزِقُ ذَقَنَهُ بصدرِهِ ، ولا يُزاحِمُ في الصلاةِ غيرَهُ ؛ قيل : ذهبَ المزحومُ بصلاةِ الزاحمِ .

وقيلَ : مَنْ تركَ الصفَّ الأوَّلَ مخافةَ أنْ يُضيِّقَ علىٰ أهلِهِ فقامَ في الثاني . . أعطاهُ اللهُ تعالىٰ مثلَ ثوابِ الصفِّ الأوَّلِ مِنْ غيرِ أنْ يَنقُصَ مِنْ أجورِهِم شيءٌ[٣]

---

(١) في (ط) : (لنقصان فرائضه) بدل (لفرائضه)

(٢) رواه بنحوه دون قوله : (ينبغي . . . منها شيءٌ) البيهقيُّ في « السنن الكبرىٰ » (٢/٣٨٧) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (١٩١٣) مرفوعاً عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٣٧) ، والرافعي في « التدوين » (٢/ ٢٠) مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وقيلَ   إنَّ إبراهيمَ الخليلَ صلواتُ اللهِ عليهِ كانَ إذا قامَ إلى الصلاةِ يُسمَعُ خَفقَانُ قلبِهِ مِنْ مِيلٍ(١)

ورَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها   أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يُسمَعُ مِنْ صَدْرِهِ أَزِيزٌ كأَزِيزِ المِرْجَلِ ؛ حتىٰ كانَ يُسمَعُ في بعضِ سِكَكِ المدينةِ(٢)

وسُئِلَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : ما فريضةُ الصلاةِ ؟ فقالَ   قطعُ العلائقِ ، وجمعُ الهَمِّ ، والحضورُ بينَ يدَيهِ(٣)

وقالَ الحسنُ رحمَهُ اللهُ : (ماذا يَعِزُّ عليكَ مِنْ أمرِ دينِكَ إذا هانتْ عليكَ صلاتُكَ ؟!)(٤)

وقيلَ   أَوْحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ بعضِ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ وقالَ   إذا

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/٢١٨) عن وهب بن منبِّه رحمه الله تعالىٰ ، وليس فيه تحديد صلاة ومسافة .

(٢) رواه دون قوله : (حتىٰ كان يسمع . . .) أبو داود (٩٠٤) ، والنسائي (٣/١٣) ، وأحمد (٤/ ٢٥) ، وابن حبان (٧٥٣) عن سيدنا عبد الله بن الشخير رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٦٨ـ ٥٦٩) ، والأَزيز : صوت غَلَيان القِدْر ، والمِرْجَل : قِدْر من نحاس .

(٣) أورده أبو شامة في « مختصر المؤمل » (ص٧٥) ، وزاد بعده : (قيل له : كيف تدخل في الصلاة ؟ قال : بإلقاء سمع ، وشهودِ قلب ، وحضور عقل ، وجَمْع هَمٍّ ، وصحَّة تيقُّظ ، وحُسْن إقبال ، وتدبُّر في ترتيل)

(٤) أي : أعزُّ أمور الدِّين على الشخص وأصعبُها . . الصلاة ، فإذا سهلت الصلاةُ عليه لم يصعب غيرُها . من هامش (ج) ، وقولُ الحسن رواه أحمد في « الزهد » (١٦٣٠) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤٦٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٩٠٧) ، والحسن : هو البصري رحمه الله تعالىٰ .

دخلتَ الصلاةَ فَهَبْ لي مِنْ قلبِكَ الخشوعَ ، ومِنْ بدنِكَ الخضوعَ ، ومِنْ عينَيكَ الدُّموعَ ؛ فإنِّي قريبٌ[1]

وقالَ أبو الخيرِ الأَقْطعُ : رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أَوْصِني ، فقالَ يا أبا الخيرِ ؛ عليكَ بالصلاةِ ؛ فإنِّي استوصَيتُ ربِّي فأَوْصاني بالصلاةِ ، وقالَ لي إنَّ أقربَ ما أكونُ منكَ وأنتَ تُصلِّي .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (رَكْعتانِ في تفكُّرٍ خيرٌ مِنْ قيامِ ليلةٍ)[2]

وقيلَ : إنَّ محمَّدَ بنَ يوسفَ الفَرْغانيَّ رأىٰ حاتِماً الأَصَمَّ واقفاً يَعِظُ الناسَ ، فقالَ لهُ : يا حاتِمُ ؛ أراكَ تَعِظُ الناسَ ، أفتُحسِنُ أنْ تُصلِّيَ ؟ قالَ : نعم .

قالَ : كيفَ تُصلِّي ؟ قالَ : أقومُ بالأمرِ ، وأَمْشي بالخَشْيةِ ، وأدخلُ بالهَيْبةِ ، وأُكبِّرُ بالعَظَمَةِ ، وأقرأُ بالترتيلِ ، وأركعُ بالخشوعِ ، وأسجدُ بالتواضعِ ، وأجلسُ للتشهُّدِ بالتمامِ ، وأُسلِّمُ على السُّنَّةِ ، وأُسلِّمُها إلىٰ ربِّي ، وأحفظُها أيَّامَ حياتي ، وأرجعُ باللَّوْمِ علىٰ نَفْسي ، وأخافُ ألَّا تُقبَلَ

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٧١) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ ، وأورده ابن قتيبة الدينوري في « عيون الأخبار » (٢/ ٢٩٨) ، ونصَّ الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص١٨٣) علىٰ أنَّ النبي هو سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام ، وفي (د) : (فإني منك قريب) ، وفي المصادر السابقة : (وادعُني ؛ فإني قريب)

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢٨٨) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤٤)

منِّي ، وأرجو أنْ تُقبَلَ منِّي ، وأنا بينَ الخوفِ والرجاءِ ، وأشكرُ مَنْ علَّمَني ، وأُعلِّمُها مَنْ سَأَلَني ، وأحمدُ ربِّي إذ هَدَاني .

فقالَ محمَّدُ بنُ يوسفَ : مثلُكَ يَصلُحُ أنْ يكونَ واعظاً[1]

وقيلَ : ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾ [النساء : ٤٣] ؛ قيلَ : مِنْ حُبِّ الدُّنْيا ، وقيلَ : مِنَ الاهتمامِ بها[2]

وقالَ عليهِ السلامُ : « مَنْ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا . غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[3]

وقالَ أيضاً « إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ ، وَتَضَرُّعٌ وَتَنَادُمٌ ، وَتَرْفَعُ يَدَيْكَ وَتَقُولُ : (ٱللَّهُمَّ ٱللَّهُمَّ) ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهِيَ خِدَاجٌ »[4] ؛ أي : ناقصةٌ .

وقد وَرَدَ : أنَّ المؤمنَ إذا توضَّأَ للصلاةِ . تباعدتْ عنهُ الشياطينُ في أقطارِ الأرضِ خوفاً منهُ ؛ لأنَّهُ يتأهَّبُ للدخولِ على المَلِكِ ، فإذا كَبَّرَ حُجِبَ عنهُ إبليسُ ، ويُضرَبُ بينَهُ وبينَهُ سُرَادِقٌ لا ينظرُ إليهِ ، وواجهَهُ ٱلْمَلِكُ الجبَّارُ

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٧٤ـ٧٥) ، وابن الجوزي في « التبصرة » (ص٣٨٦) ، وفيهما : (عصام بن يوسف) بدل (محمد بن يوسف الفرغاني) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٢٠٦) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٧٧١٣) مرسلاً عن صلة بن أشيم رحمه الله تعالىٰ ، والبخاري (١٥٩) ، ومسلم (٢٢٦) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي (٣٨٥) ، وأحمد (٤/ ١٦٧) عن سيدنا الفضل بن العباس رضي الله عنهما ، وأبو داود (١٢٩٦) ، وابن ماجه (١٣٢٥) ، وأحمد (٤/ ١٦٧) عن المطَّلب بن أبي وداعة رضي الله عنه

بوجهِهِ ، وإذا قالَ : (اللهُ أكبرُ) . . اطَّلَعَ المَلَكُ في قلبِهِ ، فإذا رآهُ ليسَ في قلبِهِ أكبرُ مِنَ اللهِ تعالىٰ . . فيقولُ صدقتَ ؛ اللهُ تعالىٰ أكبرُ في قلبِكَ كما تقولُ ، ويتشعشعُ مِنْ قلبِهِ نورٌ يلحقُ بمَلَكُوتِ العرشِ ، ويُكشَفُ لهُ بذلكَ النورِ مَلَكُوتُ السماواتِ والأرضِ ، ويُكتَبُ لهُ حَشْوَ ذلكَ النورِ حسناتٌ .

وإنَّ الغافلَ الجاهلَ إذا قامَ إلى الصلاةِ . . احْتَوَشَتْهُ الشياطينُ كما تحتوشُ الذُّبابُ علىٰ نُقْطةِ العَسَلِ[1] ، فإذا كَبَّرَ اطَّلَعَ المَلَكُ علىٰ قلبِهِ ، فإذا كانَ في قلبِهِ شَيْءٌ أكبرُ مِنَ اللهِ تعالىٰ عندَهُ . . فيقولُ لهُ : كَذَبْتَ ؛ ليسَ اللهُ تعالىٰ أكبرَ في قلبِكَ كما تقولُ ، فيثورُ مِنْ قلبِهِ دُخانٌ يلتحقُ بعَنانِ السماءِ ، فيكونُ حجاباً لقلبِهِ عنِ المَلَكُوتِ ، فيزدادُ ذلكَ الحجابُ صلابةً ، ويلتقمُ الشيطانُ قلبَهُ ، فلا يزالُ يَنفُخُ فيهِ ويَنفُثُ ، ويُوسوِسُ إليهِ ويُزيِّنُ . . حتىٰ ينصرفَ مِنْ صلاتِهِ ولا يعقلَ ما كانَ فيهِ[2]

وفي الخبرِ « لَوْلَا أَنَّ ٱلشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَىٰ قُلُوبِ بَنِي آدَمَ . . لَنَظَرُوا إِلَىٰ مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ »[3]

فالقلوبُ الصافيةُ التي كَمَلَ أدبُها لكمالِ أدبِ قوالبِها . . تصيرُ سماويةً ؛ تدخلُ بالتكبيرِ في السماءِ كما تدخلُ في الصلاةِ ، واللهُ تعالىٰ حَرَسَ السماءَ مِنْ تَصَرُّفِ الشياطينِ ؛ فالقلبُ السماويُّ لا سبيلَ للشيطانِ إليهِ ، فتبقىٰ

---

(١) يُقال : احْتَوَش القوم بالصيد : إذا أحاطوا به ، وقد يتعدَّىٰ بنفسه ؛ فيُقال : احتوشوه

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢١٠) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٧١) .

(٣) سبق تخريجه في (١/ ١٨٤)

هواجسُ نَفْسانيَّةٌ عندَ ذلكَ لا تنقطعُ بالتحصُّنِ بالسماءِ كانقطاعِ تصرُّفِ الشياطينِ .

والقلوبُ المُرادةُ بالقُرْبِ تُدرَّجُ بالتقريبِ ، وتُعرَّجُ في طبقاتِ السماواتِ ، وفي كلِّ طبقةٍ مِنْ أطباقِ السماءِ يتخلَّفُ شيءٌ مِنْ ظُلْمةِ النَّفْسِ ، وبقَدْرِ ذلكَ يَقِلُّ الهاجسُ ، إلىٰ أنْ يتجاوزَ السماواتِ ، ويقفَ أمامَ العَرْشِ ، فعندَ ذلكَ يذهبُ بالكُلِّيَّةِ هاجسُ النَّفْسِ بساطعِ نورِ العرشِ ، وتندرجُ ظُلُماتُ النَّفْسِ في نورِ القلبِ اندراجَ الليلِ في النهارِ ، وتتأدَّىٰ حينئذٍ حقوقُ الآدابِ علىٰ وجهِ الصوابِ

وما ذَكَرْناهُ مِنْ أدبِ الصلاةِ يسيرٌ مِنْ كثيرٍ ، وشأنُ الصلاةِ أكبرُ مِنْ وَصْفِنا ، وأكملُ مِنْ ذِكْرِنا .

وقد غَلِطَ أقوامٌ وظنُّوا أنَّ المقصودَ مِنَ الصلاةِ ذِكْرُ اللهِ تعالىٰ ، وإذا حَصَلَ الذِّكْرُ فأيُّ حاجةٍ إلى الصلاةِ ؟! وسلكوا طُرُقاً مِنَ الضلالِ ، ورَكَنُوا إلىٰ أباطيلِ الخيالِ ، ومَحَوُا الرُّسُومَ والأحكامَ ، ورفضُوا الحلالَ والحرامَ

وقومٌ آخَرونَ سَلَكُوا في ذلكَ طريقاً أَدَّتْهُم إلىٰ نُقْصانِ الحالِ ؛ حيثُ سَلِمُوا مِنَ الضلالِ ؛ لأنَّهُمُ اعترفُوا بالفرائضِ ، وأنكرُوا فَضْلَ النوافلِ ، واغترُّوا بيسيرِ رَوْحِ الحالِ ، وأَهْملُوا فضلَ الأعمالِ[1] ، ولم يَعْلَمُوا أنَّ للهِ في كلِّ هيئةٍ مِنَ الهيئاتِ ، وكلِّ حركةٍ مِنَ الحركاتِ . . أسراراً وحِكَماً لا تُوجَدُ في شيءٍ مِنَ الأذكارِ

---

(١) في (أ ، ب ، و ، ز ، ي) : (أفضل) بدل (فضل) .

فالأحوالُ والأعمالُ رُوحٌ وجُثْمانٌ ، وما دامَ العبدُ في دارِ الدُّنْيا إعراضُهُ عنِ الأعمالِ عَينُ الطُّغْيانِ ، فالأعمالُ تزكو بالأحوالِ ، والأحوالُ تنمو بالأعمالِ[1]

* * *

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) .

الباب التاسع والثلاثون

في فضل الصوم وحسن أثره

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ « ٱلصَّبْرُ نِصْفُ ٱلْإِيمَانِ ، وَٱلصَّوْمُ نِصْفُ ٱلصَّبْرِ »(١)

وقيلَ ما في عملِ ابنِ آدمَ شيءٌ إلا ويذهبُ بردِّ المَظَالِمِ ، إلا الصومُ ؛ فإنَّهُ لا يدخلُهُ قِصاصٌ(٢)

ويقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ : (هٰذا لي) ، فلا يقتصُّ أحدٌ منهُ شيئاً

وفي الخبرِ : « ٱلصَّوْمُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ »(٣) ، وقيلَ أضافَهُ إلىٰ نَفْسِهِ ؛ لأنَّ فيهِ خُلُقاً مِنْ أخلاقِ الصَّمَديَّةِ(٤) ، وأيضاً : لأنَّهُ مِنْ أعمالِ السِّرِّ

---

(١) رویٰ قوله : « الصبرُ نصفُ الإيمان » : أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٤) ، والقضاعي في « المسند » (١٥٨) ، وابن الأعرابي في « المعجم » (٥٩٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، ورواه الحاكم (٢/ ٤٤٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٢٦٦) موقوفاً عليه ، وقوله : « والصومُ نصفُ الصبر » : الترمذي (٣٥١٩) ، وأحمد (٤/ ٢٦٠) ، والدارمي (٦٨٠) عن رجل من بني سُلَيم رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٧٤ـ٥٧٥) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١/ ٢١٩)

(٣) رواه البخاري (٧٤٩٢) ، ومسلم (١١٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) لأنَّ (الصمد) هو الذي لا جوف له ، ولا يحتاج إلى الطعام والشراب ؛ ولهٰذا فضَّله=

مِنْ قَبيلِ التُّرُوكِ لا يطَّلِعُ عليهِ أحدٌ إلا اللهُ

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالى : ﴿ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ [التوبة ١١٢] همُ الصائمونَ(١) ؛ لأنَّهُم ساحُوا إلى اللهِ بجُوعِهِم وعَطَشِهِم

وقيلَ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] : همُ الصائمونَ(٢) ؛ لأنَّ الصبرَ اسمٌ مِنْ أسماءِ الصومِ ، ويُفرَغُ للصائمِ إفراغاً ، ويُجازَفُ لهُ مُجازَفةً .

وقيلَ أحدُ الوجوهِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] : كانَ عملُهُمُ الصومَ(٣)

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ رحمَهُ اللهُ : (إذا ابتُلِيَ المريدُ بكثرةِ الأَكْلِ . . بَكَتْ عليهِ الملائكةُ رحمةً لهُ ، ومَنِ ابتُلِيَ بحِرْصِ الأَكْلِ . . فقد أُحْرِقَ بنارِ الشهوةِ) .

= بعضهم على الصلاة ؛ لأنها تذلُّلٌ ، وهو من صفات العُبُوديَّة . انظر « اللمع » (ص٢١٦) ، و« مرقاة المفاتيح » (١/ ٣٤٣) .

(١) لقوله عليه السلام : « سياحةُ أُمَّتي الصومُ » ، شُبِّه بها ؛ من حيثُ إنَّهُ يعوقُ عن الشهوات ، أو لأنَّهُ رياضة نفسانيَّة يُتوصَّل بها إلى الاطِّلاع علىٰ خفايا المُلْك والمَلَكوت ، أو السائحون للجهاد ، أو لطلب العلم . « بيضاوي » من هامش (ح) ، وهـٰذا التفسيرُ رواه الطبري في « تفسيره » (١٤/ ٥٠٣) ، وابن المقرئ في « معجمه » (٥٧٤) مرفوعاً وموقوفاً علىٰ سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ٢٥٦) ، والطبري في « تفسيره » (١٤/ ٥٠٣) ، والدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (٤٣٤) موقوفاً علىٰ سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وروي عن غيرهما أيضاً

(٢) انظر « تفسير القرطبي » (١٥/ ٢٤١) .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٢/ ٢١٩) .

وفي نَفْسِ ابنِ آدمَ ألفُ عضوٍ مِنَ الشرِّ كلُّها في كفِّ الشيطانِ مُتعلِّقٌ بها ، فإذا جَوَّعَ بطنَهُ ، وأَخَذَ حلقَهُ ، ورَوَّضَ نَفْسَهُ . . يَبِسَ كلُّ عضوٍ واحترقَ بنارِ الجوعِ ، وفَرَّ الشيطانُ مِنْ ظِلِّهِ ، وإذا أَشْبَعَ بطنَهُ وتركَ حَلْقَهُ في لذائذِ الشَّهَوَاتِ . . فقد رَطَّبَ أعضاءَهُ ، وأَمْكَنَ الشيطانَ منهُ .

والشِّبَعُ نَهَرٌ في النَّفْسِ تَرِدُهُ الشياطينُ ، والجوعُ نَهَرٌ في الرُّوحِ تَرِدُهُ الملائكةُ ، وينهزمُ الشيطانُ مِنْ جائعٍ نائمٍ ، فكيفَ إذا كانَ قائماً ؟! ويُعانِقُ الشيطانُ شَبْعاناً قائماً ، فكيفَ إذا كانَ نائماً ؟!

فقلبُ المُرِيدِ الصادقِ يَصرُخُ إلى اللهِ تعالىٰ مِنْ طلبِ النَّفْسِ الطعامَ والشرابَ

دخلَ رجلٌ على الطَّيَالِسِيِّ وهوَ يأكلُ خُبْزاً يابساً قد بَلَّهُ بالماءِ معَ مِلْحٍ جَرِيشٍ ، فقالَ لهُ : كيفَ تشتهي هـٰذا ؟! قالَ : أَدَعُهُ حتىٰ أشتهيَهُ[1]

وقيلَ : مَنْ أَسْرفَ في مَطْعَمِهِ ومَشْرَبِهِ . . تَعجَّلَ الصَّغارُ والذُّلُّ إليهِ في دُنْياهُ قبلَ آخرتِهِ .

وقالَ بعضُهُمْ : (البابُ العظيمُ الذي يُدخَلُ منهُ إلى اللهِ تعالىٰ . . قطعُ الغِذاءِ)

وقالَ بِشْرُ بنُ الحارثِ رحمَهُ اللهُ : (إنَّ الجوعَ يُصفِّي الفؤادَ ، ويُميتُ

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٥٧٨) ، وأورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/ ٣٦٤) ، والآبي في « نثر الدر » (٢/ ١٢٥) ، وفي جميعها : (داود الطائي) بدل (الطيالسي) ، ولعل المثبت تحرف من (الطائي) إلى (الطيالسي) ، والله تعالىٰ أعلم

الهوىٰ ، ويُورِثُ العلمَ الدقيقَ)[1]

وقالَ ذو النُّونِ رحمَهُ اللهُ : (ما أكلتُ حتىٰ شَبِعتُ ، ولا شربتُ حتىٰ رَوِيتُ . . إلا عَصَيتُ اللهَ ، أو هَمَمْتُ بمعصيةٍ)[2]

وروى القاسمُ بنُ محمَّدٍ عن عائشةَ أمِّ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : كانَ يأتي علينا الشهرُ ونصفُ شهرٍ ما يدخلُ بيتَنا نارٌ ؛ لا لمصباحٍ ولا لغيرِهِ ، قالَ : قلتُ : سبحانَ اللهِ !! فبأيِّ شيءٍ كنتُم تعيشونَ ؟! قالتِ التمرُ والماءُ ، وكانَ لنا جيرانٌ مِنَ الأنصارِ جزاهُمُ اللهُ خيراً ، كانتْ لهُم منائحُ ، فربَّما أَرْسلوا لنا بشيءٍ[3]

ورُوِيَ أنَّ حَفْصةَ بنتَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالتْ لأبيها رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّ اللهَ قد أَوْسَعَ الرزقَ ، فلو أكلتَ طعاماً أكثرَ مِنْ طعامِكَ ، ولَبِستَ ثياباً أَلْينَ مِنْ ثيابِكَ ؟ فقالَ : أنا أُخاصِمُكِ إلىٰ نَفْسِكِ ، ألم يكنْ مِنْ أمرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كذا ؟! يقولُ مراراً ، فبَكَتْ ، فقالَ قد أخبرتُكِ، واللهِ ؛ لَأُشارِكَنَّهُ في عيشِهِ الشديدِ ؛ لعلِّي أُصِيبُ عيشَهُ الرَّخِيَ[4] .

---

(١) رواه ابن بشران في « أماليه » (١٥٤١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/ ٤٦٧)

(٢) رواه أبو موسى المديني في « نزهة الحفاظ » (ص٨٨) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٦٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٥/ ٣٠٧)

(٣) رواه بنحوه البخاري (٢٥٦٧) ، ومسلم (٢٩٧٢) من رواية عروة بن الزبير لا القاسم بن محمد ، والمنائح جمع (منيحة) ؛ وهي الغنم فيها اللبن ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٧٧)

(٤) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٨٠٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٧٥) ، والحاكم (١/ ١٢٣) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠١٢١)

وقالَ بعضُهُم : (ما نخلتُ لعمرَ دقيقاً إلا وأنا لهُ عاصٍ)[1]

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها (ما شَبِعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثلاثةَ أيّامٍ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ حتىٰ مضىٰ لسبيلِهِ)[2]

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : أَدِيمُوا قَرْعَ بابِ المَلَكُوتِ . . يُفتَحْ لكُم ، قالوا : كيفَ نُدِيمُ ؟ قالتْ : بالجوعِ والعطشِ والظَّمأِ[3]

وقيلَ : ظَهَرَ إبليسُ ليحيى بنِ زكريَّا عليهِما السلامُ وعليهِ معاليقُ ، فقالَ : ما هٰذهِ ؟ قالَ الشهواتُ التي أُصِيبُ بها ابنَ آدمَ ، قالَ هل تجدُ لي فيها شهوةً ؟ قالَ : لا ، غيرَ أنَّكَ شَبِعتَ ليلةً فثقَّلْناكَ عنِ الصلاةِ والذِّكْرِ ، فقالَ لا جَرَمَ أنِّي لا أشبعُ أبداً ، قالَ إبليسُ : لا جَرَمَ أنِّي لا أنصحُ أحداً أبداً[4]

وقالَ شَقِيقٌ رحمَهُ اللهُ : (العبادةُ حِرْفةٌ ، وحانوتُها الخَلْوةُ ، وآلاتُها الجوعُ)[5]

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٥٩٤) ، وابن المبارك في « الزهد » (٥٨٣) ، وابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٧٧) ، والبعض : هو سيدنا يسار بن نُمير خازن سيدنا عمر رضي الله عنهما

(٢) رواه البخاري (٦٦٨٧) ، ومسلم (٢٩٧٠/ ٢١) ، واللفظ له .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٨٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٥/ ٢٩١ـ٢٩٢) مرفوعاً عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وهي السائلة ، وقال عنه العراقي في « المغني » (٢٧٥٧) : (لم أجده) ، وقال الزبيدي في « الإتحاف » (٤/ ١٩٤) : (هو في كتاب « العوارف » من قول عائشةَ . . . وهٰذا أشبه) ، وأورده الخركوشي في « التهذيب » (ص١٧٢) عن ابن عائشة .

(٤) رواه أحمد في « الزهد » (٣٩٣) ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٤٠٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٢٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٣٠٨)

(٥) أورده أبو حيان التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ص٣٣٥) ، والغزالي في =

وقالَ لُقمانُ لابنِهِ (إذا مُلِئَتِ المَعِدةُ نامتِ الفِكْرةُ ، وخَرِسَتِ الحكمةُ ، وقعدتِ الأعضاءُ عنِ العبادةِ)[1]

وقالَ الحسنُ رحمَهُ اللهُ : (لا تَجْمعُوا بينَ الأُدْمَينِ ؛ فإنَّهُ مِنْ طعامِ المنافقينَ)[2]

وقالَ بعضُهُم : (أعوذُ باللهِ مِنْ زاهدٍ قد أفسدتْ مَعِدتَهُ ألوانُ أطعمةِ الأغنياءِ)[3]

فيُكرَهُ للمُرِيدِ أنْ يُوالِيَ في الإفطارِ أكثرَ مِنْ أربعةِ أيّامٍ ؛ فإنَّ النَّفْسَ عندَ

= « الإحياء » (٥/ ٢٩٤) .

(١) أورده أبو حيان التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ص٣٣٥) ، والغزالي في « الإحياء » (٥/ ٢٩٤) .

(٢) الأُدْم : ما يُؤكل مع الخبز ، والمراد : النهي عن الجمع في الطعام بين إدامين فأكثرَ .

(٣) أورده الطرطوشي في « تحريم الغناء والسماع » (ص١٨٠) ، وابن الحاج في « المدخل » (٣/ ١١٣) ، وعزواه إلىٰ يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالىٰ ، ومن المناسب إيراده ها هنا ما سئل عنه إمامنا المؤلف رضي الله عنه ؛ وهو أنَّهُ هل يجوز للمريد معاشرةُ الأغنياء ومجالستُهُم والتواضعُ لهم وأكلُ أموالهم من غير بحثٍ عنها ، وادِّعاءُ قوَّة الحال في ذلك والاستسلامُ للأحكام في مجاري التوحيد ؟

فأجاب : بأنَّهُ لا ينبغي للمريد أن يتواضع للأغنياء لموضع غناهم ، ولا يرفعَ حاجتَهُ إليهم إلا إذا دعتِ الضرورةُ لذلك من غير اعتمادٍ عليهم بقلبه في المنع والعطاء ، بل لارتباط العادة بالوجوه وتمامِ الحكمة في هٰذه الدار ، وإذا علم أنَّ المال حرام. . لم يجز له التلبُّسُ به البتَّةَ ، ولا يحملُهُ الغرور والاعتماد على الحال أن يأكل المالَ الحرامَ ؛ فإنَّ المريد الصحيح يأنف من المباح أن يتناولَ منه شيئاً بالغفلة فضلاً عن أن يكون شبهة ، إلا أن تدعوه لذلك ضرورةٌ مُسوِّغة له بالشرع مخافةَ التلف والإهلاك ، وأمَّا الحرام فلا يجوز له البتةَ ؛ فإنَّ مِنْ صحَّة أمره وصِدْقِ حاله ألا يطفئ نورُ حالِهِ نورَ ورعه ، سواءٌ كان مُتجرِّداً أو مُتأهِّلاً ؛ فالله سبحانه وتعالىٰ يعصمنا بكرمه . « أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٥) .

ذلكَ تركنُ إلى العادةِ ، وتتَّسعُ بالشهوةِ .

وقيلَ : الدُّنْيا بَطْنُكَ ، على قَدْرِ زُهْدِكَ في بَطْنِكَ زهدُكَ في الدنيا[1]

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ سلَّمَ : « مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ ، حَسْبُ ٱبْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ؛ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ »[2]

وقالَ فَتْحٌ المَوْصِليُّ رحمَهُ اللهُ : (صَحِبتُ ثلاثينَ شيخاً ؛ كلٌّ يُوصِيني عندَ مُفارَقَتي إيَّاهُ بتَرْكِ عِشْرةِ الأَحْداثِ ، وقِلَّةِ الأَكْلِ)[3]

❁ ❁ ❁

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٣٢) ، والسلمي في « طبقات الصوفية » (ص٢١٤) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٥٣٢٤) عن محمد بن الفضل البلخي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٠) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٦٧٣٧) ، وابن ماجه (٣٣٤٩) ، وأحمد (٤/ ١٣٢) عن سيدنا المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه ، وفي بعض النسخ : (طعام ، شراب) بدل (للطعام، للشراب)، وهي رواية النسائي وأحمد .

(٣) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٧٨٢) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٣٦٩) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الأربعون

في اختلاف أحوال الصوفية في الصوم والإفطار

جمعٌ مِنْ مشايخِ الصُّوفيَّةِ كانوا يُدِيمُونَ الصَّوْمَ في السَّفَرِ والحَضَرِ على الدوامِ حتىٰ لَحِقُوا باللهِ تعالىٰ

وكانَ أبو عبدِ اللهِ بنُ جَابارَ صامَ نيِّفاً وخمسينَ سنةً لا يُفطِرُ في السفرِ والحَضَرَ ، فجَهَدَ بهِ أصحابُهُ يوماً فأَفْطرَ ، فاعتلَّ مِنْ ذلكَ أيّاماً[1]

فإذا رأى المريدُ صلاحَ قلبِهِ في دوامِ الصومِ . . فليَصُمْ دائماً ويَدَعَ الإفطارَ جانباً ؛ فهوَ عونٌ حَسَنٌ لهُ علىٰ ما يريدُ .

روىٰ أبو موسى الأشعريُّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ صَامَ ٱلدَّهْرَ ضُيِّقَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ هَكَذَا » ، وعَقَدَ تسعينَ[2] ؛ أي : لم يكنْ لهُ فيها موضعٌ

وكَرِهَ قومٌ صومَ الدَّهْرِ ، وقد وَرَدَ في ذلك ما رواهُ أبو قتادةَ رضيَ اللهُ عنهُ

---

(١) أورده أبو نصر السرّاج في « اللمع » (ص٢١٨) ، وابن جابار : هو محمد الصوفي الهمذاني صاحب أبي بكر الشبلي ، وانظر « الإكمال » لابن ماكولا (٢/ ١١) .

(٢) رواه أحمد (٤/ ٤١٤) ، وابن حبان (٣٥٨٤) ، وأبو داود الطيالسي في « المسند » (٥١٦) ، ورواه موقوفاً ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٦٤٦) ، وأحمد في « الزهد » (١٠٩٥) ، وأبو داود الطيالسي في « المسند » (٥١٥)

قالَ : سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : كيفَ بمَنْ صامَ الدَّهرَ ؟ قالَ : « لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ »[1]

وأوَّلَ قومٌ : أنَّ صومَ الدهرِ هوَ ألَّا يُفطِرَ العيدَينِ وأيَّامَ التشريقِ ، فهٰذا الذي يُكرَهُ ، وإذا أفْطَرَ هٰذهِ الأيَّامَ فليسَ هوَ الصومَ الذي كَرِهَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ومنهُم مَنْ كانَ يصومُ يوماً ويُفطِرُ يوماً ؛ وقد وَرَدَ : « أَفْضَلُ ٱلصِّيَامِ صَوْمُ أَخِي دَاوُدَ ؛ كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً »[2] ، واسْتَحْسَنَ ذلكَ قومٌ مِنَ الصالحينَ ؛ ليكونَ بينَ حالِ الصَّبْرِ وحالِ الشُّكْرِ

ومنهُم مَنْ كانَ يصومُ يومَينِ ويُفطِرُ يوماً ، أو يصومُ يوماً ويُفطِرُ يومَينِ ، ومنهُم مَنْ كانَ يصومُ يومَ الاثنينِ والخميسَ والجمعةَ

وقيلَ : كانَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ يأكلُ في كلِّ خمسةَ عشَرَ يوماً مرَّةً ، وفي رمضانَ يأكلُ أَكْلةً واحدةً ، وكانَ يُفطِرُ في كلِّ ليلةٍ بالماءِ القَراحِ للسُّنَّةِ[3]

وحُكِيَ عنِ الجُنيدِ رحمَهُ اللهُ : أنَّهُ كانَ يصومُ على الدوامِ ، فإذا دخلَ عليهِ إخوانُهُ أَفْطَرَ معَهُم ويقولُ : ليسَ فضلُ المُساعَدةِ معَ الإخوانِ بأقلَّ مِنْ فضلِ الصومِ[4]

---

(١) رواه مسلم (١١٦٢/ ١٩٧) وغيره

(٢) رواه الترمذي (٧٧٠) ، وأحمد (١/ ٣١٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وأصله في « البخاري » (١٩٧٩) ، و« مسلم » (١١٥٩/ ١٨٧) ضمن سياق آخر

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢١٧) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٤٠) ، والقَرَاح : الصافي الذي لا يشوبه شيء .

(٤) أورده أبو نصر السـرَّاج في « اللمع » (ص٢٢٠) .

غيرَ أنَّ هـٰذا الإفطارَ يحتاجُ إلىٰ عِلْمٍ ؛ فقد يكونُ الداعي إلىٰ ذلكَ شِرَّةَ النَّفْسِ لا نيَّةَ المُوافقةِ[١] ، وتخليصُ النيّةِ لمَحْضِ المُوافقةِ معَ وجودِ شِرَّةِ النَّفْسِ . . صعبٌ .

وسمعتُ شيخَنا رحمَهُ اللهُ يقولُ لي سنينَ ما أكلتُ شيئاً بشهوةِ نَفْسٍ ابتداءً واستدعاءً ، بل يُقدَّمُ ليَ الشيءُ فأَرَىٰ فَضْلَ اللهِ ونعمتَهُ وفِعْلَهُ ، فأُوافِقُ الحقَّ في فعلِهِ

وذَكَرَ أنَّهُ ذاتَ يومٍ اشتهى الطعامَ ولم يحضرْ مَنْ عادتُهُ تقديمُ الطعامِ إليهِ ، قالَ : ففتحتُ بابَ البيتِ الذي فيهِ الطعامُ وأخذتُ رُمَّانةً لآكلَها ، فدخلَتِ السِّنَّوْرُ وأخذتْ دجاجةً كانتْ هناكَ ، فقلتُ : هـٰذا عقوبةٌ لي علىٰ تَصَرُّفي في أَخْذِ الرُّمَّانِ .

ورأيتُ الشيخَ أبا السُّعُودِ رحمةُ اللهِ عليهِ يتناولُ الطعامَ في اليومِ مرَّاتٍ[٢] ، أيَّ وقتٍ أُحضِرَ الطعامُ أكلَ منهُ ، ويرىٰ أنَّ تناولَهُ الطعامَ موافقةٌ للحقِّ ؛ لأنَّ حالَهُ معَ اللهِ كانَ تركَ الاختيارِ في مأكولِهِ وملبوسِهِ وجميعِ تصاريفِهِ ، وكانَ حالُهُ الوقوفَ معَ فِعْلِ الحقِّ .

وقد كانَ لهُ في ذلكَ بدايةٌ يَعِزُّ مثلُها ؛ حتىٰ لعلَّ كانَ يبقىٰ أيّاماً لا يأكلُ

---

(١) الشِّرَّة : الحرص والرغبة والنشاط ، ويحتمل أن تكون (شَرَه) كما في بعض النسخ ، وكذلك في الموضع الآتي

(٢) أبو السعود : هو الإمام العابد الزاهد أبو السعود بن الشبل العطار الحَرِيمي (ت ٥٨٢هـ) ، من أصحاب القطب العارف سيدي عبد القادر الجيلاني ، وكان ذا أحوال وكرامات ، وقد سبق ما يُؤيِّد ما ذُكر هنا . انظر « تاريخ الإسلام » (٤١/ ١٥٠ـ١٥١) ، وما سبق في (١/ ٤٥٠) .

ولا يعلمُ أحدٌ بحالِهِ ، ولا يتصرَّفُ هوَ لنَفْسِهِ ، ولا يتسبَّبُ إلىٰ تناولِ شيءٍ ، وينتظرُ فِعْلَ الحقِّ بسياقِهِ الرزقَ إليهِ ، ولم يشعرْ بحالِهِ أحدٌ مُدَّةً مِنَ الزمانِ .

ثمَّ إنَّ اللهَ تعالىٰ أَظْهَرَ حالَهُ ، وأقامَ لهُ الأصحابَ والتلامذةَ ، وكانوا يتكلَّفونَ الأَطْعِمَةَ ويأتُونَ بها إليهِ ، وهوَ يرىٰ في ذلكَ فعلَ الحقِّ والمُوافَقة[1]

سمعتُهُ يقولُ : (أُصبحُ كلَّ يومٍ وأَحَبُّ ما إليَّ الصومُ ، فينقضُ الحقُّ عليَّ مَحَبَّتي للصومِ بفعلِهِ ، فأُوافِقُ الحقَّ في فعلِهِ) .

وحُكِيَ عن بعضِ الصادقينَ مِنْ أهلِ واسطَ أنَّهُ صامَ سنينَ كثيرةً ، وكانَ يُفطِرُ كلَّ يومٍ قبلَ غروبِ الشمسِ ، إلا في رمضانَ[2]

وقالَ أبو نَصْرٍ السَّرَّاجُ (أَنْكرَ قومٌ هٰذا ؛ لمُخالَفةِ العِلْمِ وإنْ كانَ الصومُ تطوُّعاً ، واستحسنَهُ آخَرُونَ ؛ لأنَّ صاحبَهُ كانَ يُريدُ بذلكَ تأديبَ النَّفْسِ بالجُوعِ ، وألَّا يتمتَّعَ برؤيةِ الصومِ)[3]

ووَقَعَ لي : أنَّ هٰذا إنْ قَصَدَ ألَّا يتمتَّعَ برؤيةِ الصَّومِ . . فقد تمتَّعَ برُؤيةِ عَدَمِ التمتُّعِ برؤيةِ الصَّومِ ، وهٰذا يتسلسلُ ، والأَلْيَقُ موافقةُ العِلْمِ وإمضاءُ الصومِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٣] .

ولٰكنَّ أهلَ الصِّدْقِ لهُم نيَّاتٌ فيما يفعلونَ ، فلا يُعارَضُونَ ، والصِّدْقُ محمودٌ لعينِهِ كيفَ كانَ ، والصادقُ في خُفَارةِ صِدْقِهِ كيفَ تَقَلَّبَ .

---

(١) في النسخ ما عدا (أ ، ي) : (فضل الحق) بدل (فعل الحق) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٢٠) .

(٣) اللمع (ص٢٢١) .

وقالَ بعضُهُم (إذا رأيتَ الصُّوفيَّ يصومُ صومَ التطوُّعِ . . فاتَّهِمْهُ ؛ فإنَّهُ قدِ اجتمعَ معَهُ شيءٌ مِنَ الدنيا)[١]

وقيلَ إذا كانوا جماعةً متوافقينَ أَشْكالاً وفيهِم مُرِيدٌ . . يَحُثُّونَهُ على الصِّيامِ ، فإنْ لم يُساعِدُوهُ يهتمُّوا لإفطارِهِ ويتكلَّفُوا لهُ رِفْقاً بهِ ، ولا يحملونَ حالَهُ علىٰ حالِهِم ، وإنْ كانوا جماعةً معَ شيخٍ يصومونَ لصومِهِ ويُفطِرُونَ لإفطارِهِ ، إلا مَنْ يأمرُهُ الشيخُ بغيرِ ذلكَ[٢]

وقيلَ إنَّ بعضَهُم صامَ سنينَ بسببِ شابٍّ كانَ يصحبُهُ ؛ حتىٰ ينظرَ الشابُّ إليهِ ، فيتأدَّبَ بهِ ويصومَ بصيامِهِ[٣]

وحُكِيَ عن أبي الحسنِ المَكِّيِّ أنَّهُ كانَ يصومُ الدهرَ ، وكانَ مُقِيماً بالبَصْرةِ ، وكانَ لا يأكلُ الخبزَ إلا ليلةَ الجمعةِ ، وكانَ قوتُهُ في كلِّ شهرٍ أربعةَ دَوَانيقَ[٤] ، يعملُ بيدِهِ حِبالَ اللِّيفِ ويبيعُها ، وكانَ الشيخُ أبو الحسنِ ابنُ سالمٍ يقولُ : لا أُسلِّمُ عليهِ إلَّا أنْ يُفطِرَ ويأكلَ[٥]

فكأنَّ ابنَ سالمٍ اتَّهمَهُ بشهوةٍ خَفِيَّةٍ لهُ في ذلكَ ؛ لأنَّهُ كانَ مشهوراً بينَ الناسِ[٦]

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٢٠) ، وعلَّله في هامش (ح) بقوله : (لأنَّ الصائم يهتمُّ بالرزق قبل الصوم ، وبعده غالباً)

(٢) انظر « اللمع » (ص٢٢٠)

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٢٠) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٤٠)

(٤) الدَّوَانيق : جمع (دانِق) ؛ وهو سُدُس الدرهم

(٥) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٢٠)

(٦) أي : كان مشهوراً بين الناس بصوم الدهر

وقالَ بعضُهُم (ما أَخْلَصَ عبدٌ للهِ قطُّ إلا أَحَبَّ أنْ يكونَ في جُبٍّ لا يُعرَفُ ، ومَنْ أَكَلَ فَضْلاً مِنَ الطعامِ أَخْرجَ فَضْلاً مِنَ الكلامِ)[١]

وقيلَ : أقامَ أبو الحسنِ التِّنِّيسيُّ بالحَرَمِ معَ أصحابِهِ سبعةَ أيّامٍ لم يأكلوا ، فخَرجَ بعضُ أصحابِهِ ليتطهَّرَ ، فرأىٰ قِشْرَ بِطِّيخٍ ، فأخذَهُ وأكلَهُ ، فرآهُ إنسانٌ ، فاتَّبَعَ أثَرَهُ وجاءَ برِفْقٍ فوضعَهُ بينَ يَدَيِ القومِ ، فقالَ الشيخُ : مَنْ جنىٰ منكُم هـٰذهِ الجِنايَةَ ؟

فقالَ الرجلُ : أنا ؛ وَجَدتُ قِشْرَ بِطِّيخٍ فأكلتُهُ ، فقال كُنْ أنتَ معَ جنايتِكَ ورِفْقِكَ ، فقالَ أنا تائبٌ مِنْ جِنايتِي ، فقالَ لا كلامَ بعدَ التوبةِ .

وكانوا يستحبُّونَ صِيامَ أيّامِ البِيضِ[٢] ؛ وهوَ الثالثَ عَشَرَ ، والرابعَ عَشَرَ ، والخامسَ عَشَرَ .

رُوِيَ أنَّ آدمَ عليهِ السلامُ لمَّا أُهبِطَ إلى الأرضِ اسودَّ جسدُهُ مِنْ أثَرِ المعصيةِ[٣] ، فلمَّا تابَ اللهُ عليهِ أَمَرَهُ أنْ يصومَ أيامَ البِيضِ ، فابيضَّ ثُلُثُ جسدِهِ بكلِّ يومٍ صامَ ، حتى ابيضَّ جميعُ جسدِهِ بصيامِ أيَّامِ البِيضِ[٤]

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٧/ ٤٥) عن أبي عبد الله الراهبي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) وجمع الأبيض : (بِيض) ، وأصلُهُ : (بُيض) ، وإنَّما أبدلوا من الضمة كسرة لتصح الياء . « صحاح » . من هامش (ح) .

(٣) الأصحُّ المختار عند المُحقِّقين : أنَّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون قبل النبوَّة وبعدها من كبائر الذنوب وصغائرها عَمْدِها وسَهْوِها انظر « الشفاء » للقاضي عياض (ص٦٠٦) وما بعدها ، و« مرقاة المفاتيح » (٥/ ١٧٢٠)

(٤) رواه الخطيب في « أماليه » كما في « كنز العمال » (٢٤١٩٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٤١٩ـ٤٢٠) مرفوعاً وموقوفاً علىٰ سيدنا عبد الله بن مسعود =

ويستحبُّونَ صومَ النصفِ الأوَّلِ مِنْ شعبانَ ، وإفطارَ نصفِهِ الأخيرِ ، وإنْ واصلَ بينَ شعبانَ ورمضانَ فلا بأسَ بهِ ، ولـكن إنْ لم يكنْ صامَ فلا يستقبلُ رمضانَ بيومٍ أو يومَينِ

وكانَ بعضُهُم يكرهُ أنْ يُصامَ رجبٌ جميعُهُ ؛ كراهةَ المُضاهاةِ برمضانَ .

ويُستحَبُّ صومُ العَشْرِ مِنْ ذي الحِجَّةِ ، والعَشْرِ مِنَ المُحرَّمِ .

ويُستحَبُّ الخميسُ والجمعةُ والسبتُ أنْ يُصامَ مِنَ الأشهرِ الحُرُمِ[1] ؛ وَرَدَ في الخبرِ « مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرٍ حَرَامٍ ؛ ٱلْخَمِيسَ وَٱلْجُمُعَةَ وَٱلسَّبْتَ . بَعُدَ مِنَ ٱلنَّارِ سَبْعَ مِئَةِ عَامٍ »[2]

❁ ❁ ❁

= رضي الله عنه ، والديلمي في « الفردوس » (١٣٨٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٨٥) .

(١) المراد من الأشهر الحُرُم : رجب ، وذو القَعْدة ، وذو الحِجَّة ، والمحرَّم . من هامش (ح) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٧٨٩) ، وفيه : (كتبت له عبادة سنتين) بدل (بَعُدَ من النار. . .) ، والبيهقي في « فضائل الأوقات » (٣٠٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٨٦) .

الباب الحادي والأربعون
في آداب الصوم ومهامه

أدبُ الصُّوفيّةِ في الصومِ : ضبطُ الظاهرِ والباطنِ ، وكَفُّ الجوارحِ عنِ الآثامِ ؛ كمَنْعِ النَّفْسِ عنِ الطعامِ ، ثمَّ كَفُّ النَّفْسِ عنِ الاهتمامِ بالأَقْسامِ .

سمعتُ أنَّ بعضَ الصالحينَ بالعراقِ كانَ طريقُهُ وطريقُ أصحابِهِ أنَّهُم كانوا يصومونَ ، فكلُّ ما فُتِحَ عليهِم قبلَ وقتِ الإفطارِ يُخرِجُونَهُ ، ولا يُفطِرونَ إلا علىٰ ما فُتِحَ لهُم وقتَ الإفطارِ

وليسَ مِنَ الأدبِ أنْ يُمسِكَ المُريدُ عن مُباحِ الطعامِ ، ويُفطِرَ بحرامِ الآثامِ .

قالَ أبو الدَّرْداءِ رضيَ اللهُ عنهُ : (يا حبَّذا نومُ الأكياسِ وفِطْرُهُم !! كيفَ يَغْبِنُونَ قيامَ الحَمْقَىٰ وصِيامَهُم ؟! ولَذَرَّةٌ مِنْ ذي يقينٍ وتَقْوىٰ أفضلُ مِنْ أمثالِ الجبالِ مِنْ أعمالِ المُغترِّينَ)[1]

ومِنْ فضيلةِ صَوْمِهِ وأدبِهِ أنْ يُقلِّلَ الطعامَ عنِ الحَدِّ الذي كانَ يأكلُهُ وهوَ مُفطِرٌ ، وإلا إذا جمعَ الأَكَلاتِ بأَكْلةٍ واحدةٍ . فقد أَدْرَكَ ما فَوَّتَ .

ومقصودُ القومِ مِنَ الصَّوْمِ : قَهْرُ النَّفْسِ ومَنْعُها مِنَ الاتِّساعِ ، وأخذُهُم

(١) رواه أحمد في « الزهد » (٧٣٨) ، وابن أبي الدنيا في « اليقين » (٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢١١) ، وفيهما : (يعيبون) بدل (يغبنون)

مِنَ الطعامِ قَدْرَ الضرورةِ ؛ لعلمِهم أنَّ الاقتصارَ على الضرورةِ يَجذِبُ النَّفسَ في سائرِ الأفعالِ والأقوالِ إلى الضرورةِ .

والنَّفْسُ مِنْ طَبْعِها أنَّها إذا قُهِرَتْ للهِ تعالىٰ في شيءٍ واحدٍ على الضرورةِ.. تأدَّىٰ ذلكَ إلىٰ سائرِ أحوالِها ، فيصيرُ الأكلُ ضرورةً ، والنومُ ضرورةً ، والقولُ والفعلُ ضرورةً ، وهٰذا بابٌ كبيرٌ مِنْ أبوابِ الخيرِ لأهلِ اللهِ تعالىٰ يجبُ رعايتُهُ وافتقادُهُ(١)

ولا يُخَصُّ بعِلْمِ الضرورةِ وفائدتِها وطلبِها إلا عبدٌ يُرِيدُ اللهُ تعالىٰ بهِ أنْ يُقرِّبَهُ ويُدنِيَهُ ، ويَصْطَفِيَهُ ويُربِّيَهُ

ويمتنعُ في صومِهِ مِنْ مُلاعَبةِ الأَهْلِ بالمُلامَسةِ ؛ لأنَّ ذلكَ أَنْزهُ للصومِ .

ويتسحَّرُ ؛ استعمالاً للسُّنَّةِ ، وهوَ أَدْعىٰ إلىٰ إمضاءِ الصَّومِ ؛ لمعنيَيْنِ ؛ أحدُهُما : عودُ بركةِ السُّنَّةِ عليهِ ، والثاني : التقويةُ بالطعامِ على الصِّيامِ .

روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « تَسَحَّرُوا ؛ فَإِنَّ فِي ٱلسُّحُورِ بَرَكَةً »(٢)

---

(١) في (ج) ونسخة علىٰ هامش (و) : (وتفقُّده) ، وكلاهما صحيح .

(٢) رواه البخاري (١٩٢٣) ، ومسلم (١٠٩٥) ، وقولُهُ : (السحور) قال القاري في « مرقاة المفاتيح » (٤/ ١٣٨٠) : (الرواية المحفوظة عند المُحدِّثين : فتح السين ؛ وهو ما يُتسحَّر به من الطعام والشراب) ، وقال أيضاً نقلاً عن « النهاية » : (أكثرُ ما يُروىٰ : بالفتح ، وقيل : الصوابُ بالضم ؛ لأنَّهُ المصدرُ ، والأجرُ في الفعل لا في الطعام) ، ثمَّ قال : (ويُمكِنُ أن يُقال : الصواب : بالفتح ؛ لأنَّ الفعلَ إنَّما يُثابُ عليه لكونه مُوافِقاً لاستعمال السُّنَّة ، فإذا أُثيب علىٰ أَثَره فبالأَوْلىٰ علىٰ نفسه ؛ فيُفِيدُ من المبالغة ما لا يخفىٰ)

ويُعجِّلُ الفِطْرَ ؛ عَمَلاً بالسُّنَّةِ ، فإنْ لم يُرِدْ تناولَ الطعام إلا بعدَ العِشَاءِ ، ويُرِيدُ إحياءَ ما بينَ العِشاءَينِ . . يُفطِرْ بالماءِ ، أو على أَعْدادٍ مِنَ الزَّبيبِ أوِ التمرِ ، أو يأكلْ لُقَماً إنْ كانتِ النَّفْسُ تُنازِعُ[1] ؛ ليصفوَ لهُ الوقتُ بينَ العِشاءينِ ؛ ففي إحياءِ ذلكَ فضلٌ كثيرٌ[2] ، وإلا فيقتصرُ على الماءِ لأَجْلِ السُّنَّةِ .

(١١٤) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ أخبرَنا أبو الفَتْحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا إسحاقُ بنُ موسى الأنصاريُّ ، قالَ : حدَّثَنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عنِ الأوزاعيِّ ، عن قُرَّةَ ، عنِ الزُّهْريِّ ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ : أَعْجَلُهُمْ فِطْراً »[3]

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يَزَالُ ٱلنَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا ٱلْفِطْرَ »[4]

---

(١) في (ب) : (لقمة) بدل (لقماً) ، وفي (هـ) : (لُقَيمات) .

(٢) قال أحمد [بن أبي] الحواري : قلتُ لأبي سليمانَ الدَّاراني : أصومُ النهارَ وأتعشَّىٰ بين المغرب والعشاء أحبُّ إليك ، أو أُفطِرُ بالنهار وأُحْيي ما بينهما ؟ قال : إنْ جمعتَ ذلك فعظيمٌ ، وإن لم تقدر بين صوم النهار والصلاة بين العشاءين . . فأَفطِرْ وصَلِّ بين العشاءين . من « الإحياء » . من هامش (ح) .

(٣) سنن الترمذي (٧٠٠) ، ورواه أحمد (٢/ ٢٣٧ـ٢٣٨) ، وابن حبان (٣٥٠٧)

(٤) رواه البخاري (١٩٥٧) ، ومسلم (١٠٩٨) عن سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما

والإفطارُ قبلَ الصلاةِ سُنَّةٌ ؛ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُفطِرُ علىٰ جُرْعَةٍ مِنْ ماءٍ ، أو مَذْقَةٍ مِنْ لَبَنٍ ، أو تَمَراتٍ(١)

وفي الخبرِ : « كَمْ مِنْ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ ٱلْجُوعُ وَٱلْعَطَشُ !! »(٢)

قيلَ : هوَ الذي يجوعُ بالنهارِ ويُفطِرُ على الحرامِ(٣)

وقيلَ : هوَ الذي يصومُ عنِ الحلالِ مِنَ الطَّعامِ ويُفطِرُ علىٰ لُحُومِ الناسِ بالغِيبةِ(٤)

وقالَ سُفْيانُ رحمَهُ اللهُ : (مَنِ اغْتابَ فَسَدَ صومُهُ)(٥)

وعن مُجاهِدٍ رحمَهُ اللهُ: (خَصْلتانِ تُفْسِدانِ الصَّومَ : الغِيبةُ، والكذبُ)(٦).

وقالَ الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمَهُ اللهُ : (قَرَنَ اللهُ الاستماعَ إلى الباطلِ والقولِ بالإثمِ إلىٰ أكْلِ الحرامِ ؛ فقالَ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة : ٤٢])(٧)

---

(١) رواه بنحوه أبو داود (٢٣٥٦) ، والترمذي (٦٩٦) ، وأحمد (٣/ ١٦٤) ، والحاكم (١/ ٤٣٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، والمَذْقة : اللبن المخلوط بالماء .

(٢) رواه ابن ماجه (١٦٩٠) ، وأحمد (٢/ ٣٧٣) ، والدارمي (٢٧٦٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ٢٧٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٢٤٧)

(٤) زاد في (أ ، ي) : (أو الكذب) ، وانظر « قوت القلوب » (٣/ ١٢٤٧) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٤٧) ، وسفيانُ : هو الثوري رحمه الله تعالىٰ ، وفسد صومُهُ : ذهب ثوابه ، وقال الزَّبيدي في « الإتحاف » (٤/ ٢٤٥) : (وقيل : إنَّ مذهبَ سفيانَ إفسادُ الصوم بالغيبة حقيقةً ، هٰكذا حكاه المنذري عنه وعن عائشة، وذهب الأوزاعي إلىٰ هٰذا ؛ فأَوْجَبَ عليه القضاء ، وسائرُ العلماء علىٰ خلافه) .

(٦) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٨٩٨٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٣٧٨)

(٧) قوت القلوب (١/ ٢٢٢)

ووَرَدَ في الخبرِ أنَّ امرأتَينِ صامتا على عَهْدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأَجْهدَهُما الجوعُ والعَطَشُ مِنْ آخرِ النهارِ ، حتى كادتا أنْ تَتْلَفا ، فبَعَثَتا إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تستأذنانِهِ في الإفطارِ ، فأَرْسلَ إليهما قَدَحاً وقالَ « قُولُوا لَهُمَا : قِيئَا فِيهِ مَا أَكَلْتُمَا » ، فقاءَتْ إحداهُما نصفَهُ دماً عَبِيطاً ولحماً غَرِيضاً[1] ، وقاءَتِ الأُخرى مثلَ ذلكَ ، حتى مَلأَتاهُ ، فتعجَّبَ الناسُ مِنْ ذلكَ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هَاتَانِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ ٱللهُ لَهُمَا ، وَأَفْطَرَتَا عَلَىٰ مَا حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِمَا »[2]

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ . فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ ، فَإِنِ ٱمْرُؤٌ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ »[3]

وفي الخبرِ : (إنَّ الصومَ أمانةٌ ، فليحفَظْ أحدُكُم أمانتَهُ)[4]

---

(١) العَبِيط : الطري الخالص الذي لا خلط فيه ، والغَرِيض : الطري .

(٢) رواه أحمد (٥/ ٤٣١) ، وأبو يعلى في « المسند » (١٥٧٦) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الغيبة » (٣٣) عن سيدنا عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو داود الطيالسي في « المسند » (٢٢٢١) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٧٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٢٩٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (١٩٠٤) ، ومسلم (١١٥١/١٦٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٢٢٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ١١٩) ، وقال العراقي في « المغني » (٧٤٣) : (رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » من حديث ابن مسعود في حديث الأمانة والصوم ، وإسناده حسن) ، وقال الغماري في « الغنية » (٢/ ٥٩٢) مُعقِّباً على كلام العراقي : (كذا قال ، والواقع بخلافه ؛ فإنَّ الحديثَ المذكورَ ليس فيه حديثُ الباب ، وإنَّما فيه أنَّ الأمانةَ تكونُ في الصلاة وفي الصوم وفي الوضوء وفي الحديث ؛ فهو حديثٌ آخرُ بعيدٌ لفظُهُ عن حديث الباب) .

والصُّوفيُّ الذي لا يرجعُ إلىٰ معلومٍ ، ولا يدري متىٰ يُساقُ إليهِ الرِّزْقُ ، فإذا ساقَ اللهُ إليهِ الرِّزْقَ تناولَهُ بالأدبِ ، وهوَ دائمُ المُراقَبةِ لوقتِهِ ، فهوَ في إفطارِهِ أفضلُ مِنَ الذي لهُ معلومٌ مُعَدٌّ ، فإنْ كانَ معَ ذلكَ يصومُ فقد أَكْملَ الفَضْلَ .

حُكِيَ عن رُوَيمِ بنِ أحمدَ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : اجتزتُ في الهاجرةِ ببعضِ سِكَكِ بغدادَ[1] ، فعَطِشْتُ ، فتقدَّمتُ إلىٰ بابِ دارٍ ، فاستسقَيتُ ، فإذا جاريةٌ قد خرجَتْ ومعَها كُوزٌ جديدٌ ملآنُ مِنَ الماءِ المُبرَّدِ ، فلمَّا أَرَدْتُ أنْ أتناولَ مِنْ يدِها قالَتْ : صُوفيٌّ ويشربُ بالنهارِ ؟! وضربتْ بالكُوزِ على الأرضِ وانصرفَتْ ، قالَ رُوَيمٌ : فاستحيَيتُ مِنْ ذلكَ ، ونذرتُ أَلَّا أُفطِرَ أبداً[2]

والجماعةُ الذينَ كَرِهُوا دوامَ الصَّومِ كَرِهُوهُ لمكانِ أنَّ النَّفْسَ إذا أَلِفَتِ الصومَ وتَعَوَّدَتْ عليهِ اشتدَّ عليها الإفطارُ ، وهكذا بتعوُّدِها الإفطارَ تكرهُ الصومَ ، فيرَوْنَ الفضلَ في أَلَّا تَرْكَنَ النَّفْسُ إلىٰ عادةٍ ، ورَأَوْا أنَّ إفطارَ يومٍ وصومَ يومٍ أشدُّ على النَّفْسِ .

ومِنْ أدبِ الفقراءِ أنَّ الواحدَ إذا كانَ بينَ جَمْعٍ أو في صُحْبةِ جماعةٍ . . لا يصومُ إلا بإذنِهِم ، وإنَّما كانَ ذلكَ ؛ لأنَّ قلوبَ الجَمْعِ تتعلَّقُ بفَطُورِهِ وهم علىٰ غيرِ معلومٍ[3]

فإنْ صامَ بإذنِ الجَمْعِ وفُتِحَ عليهِم شيءٌ . . لا يلزمُهُمُ ادِّخارُهُ للصائمِ ،

---

(١) الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر .

(٢) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢١٧) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٤٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص١٦٤)

(٣) الفَطُور : ما يُفطَر عليه

مَعَ العلمِ بأنَّ الجَمْعَ المُفطِرينَ يحتاجونَ إلىٰ ذلكَ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يأتي للصائمِ برِزْقِهِ ، إلا أنْ يكونَ الصائمُ يحتاجُ إلى الرِّفْقِ لضَعْفِ حالِهِ ، أو ضَعْفِ بِنْيتِهِ لشيخوخةٍ أو غيرِ ذلكَ

وهكذا الصائمُ لا يليقُ أنْ يأخذَ نصيبَهُ فيدَّخِرَهُ ؛ لأنَّ ذلكَ مِنْ ضعفِ الحالِ ، فإنْ كانَ ضعيفاً يعترفُ بحالِهِ وضَعْفِهِ ، فيدَّخِرُهُ .

والذي ذَكَرْناهُ لأقوامٍ هم علىٰ غيرِ معلومٍ ، فأمَّا الصُّوفيَّةُ المُقيمونَ في رِبَاطٍ علىٰ معلومٍ . . فالأَلْيَقُ بحالِهِمُ الصيامُ ، ولا يلزمُهُم موافقةُ الجَمْعِ في الإفطارِ إذا كانَ الإفطارُ يستمرُّ في جَمْعٍ منهُم ، ولهُم معلومٌ يُقدَّمُ لهُم بالنهارِ ، فأمَّا إذا كانوا علىٰ غيرِ معلومٍ . . فقد قيلَ : مُساعَدةُ الصُّوَّامِ للمُفطِرينَ أحسنُ مِنِ استدعاءِ المُوافقةِ مِنَ المُفطِرينَ للصُّوَّامِ .

وأمرُ القومِ مَبْناهُ على الصِّدْقِ ، ومِنَ الصِّدْقِ افتقادُ النِّيَّةِ وأحوالِ النَّفْسِ ؛ فكلُّ ما صحَّتِ النيّةُ فيهِ ؛ مِنَ الصومِ والإفطارِ ، والمُوافقةِ وتركِ المُوافَقةِ . . فهوَ الأفضلُ[1]

فأمَّا مِنْ حيثُ السُّنَّةُ : فمَنْ يُوافِقُ : لهُ وجهٌ إذا كانَ صائماً وأَفْطرَ للمُوافَقةِ ، وإنْ صامَ ولم يُوافِقْ فلهُ وجهٌ .

فأمَّا وجهُ مَنْ يُفطِرُ ويُوافِقُ فما :

(١١٥) ـ أخبرَنا بهِ أبو زُرْعةَ طاهرٌ ، عن أبيهِ أبي الفَضْلِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفَضْلِ محمَّدُ بنُ [عُبيدِ] اللهِ[2] ، قالَ : أخبرَنا

---

(١) في (ب) : (الأصل)

(٢) في النسخ : (عبد الله) ، والمثبت من « صفوة التصوف » ، وأبو الفضل : هو الإمام=

السَّيِّدُ أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ الحسينِ العَلَويُّ ، قالَ أخبرَنا أبو بكرٍ محمَّدُ ابنُ حَمْدُويَه[1] ، قالَ حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ حمَّادٍ ، قالَ : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قالَ حدَّثني عطَّافُ بنُ خالدٍ ، عن حمَّادِ بنِ [أبي] حُمَيدٍ ، عن محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ اصطنعتُ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابِهِ طعاماً ، فلمَّا قُدِّمَ إليهِم قالَ رجلٌ مِنَ القومِ : إنِّي صائمٌ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دَعَاكُمْ أَخُوكُمْ وَتَكَلَّفَ لَكُمْ ، ثُمَّ تَقُولُ : إِنِّي صَائِمٌ !! أَفْطِرْ وَٱقْضِ يَوْماً مَكَانَهُ »[2]

وأمَّا وجهُ مَنْ لا يُوافِقُ فقد وَرَدَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابَهُ أكلوا وبلالٌ صائمٌ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نَأْكُلُ رِزْقَنَا ، وَرِزْقُ بِلَالٍ فِي ٱلْجَنَّةِ »[3]

فإذا علمَ أنَّ هناكَ قلباً يتأذَّىٰ ، أو فضلاً يُرجىٰ مِنْ مُوافَقةِ مَنْ تُغتَنَمُ مُوافَقتُهُ . يُفطِرُ بحُسْنِ النيّةِ ، لا بحُكْمِ الطَّبْعِ وتَقَاضِيهِ

= العابد المسند محمد بن عبيد الله بن محمد النيسابوري الصرَّام المقرئ (ت٤٧٩هـ) ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/ ٣٢٤ـ ٣٢٥) .

(١) هو الإمام الصوفي الزاهد أبو بكر محمد بن حيَّان بن حَمْدُويه النيسابوري (ت ٣٣٥ هـ) من كبار أصحاب أبي عثمان الحيري ، ومن كبار رجال الصوفية رحمه الله تعالىٰ

(٢) صفوة التصوف (١٠٨) ، ورواه أبو داود الطيالسي في « المسند » (٢٣١٧) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٢٤٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ٢٧٩)

(٣) رواه ابن ماجه (١٧٤٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٣١٤) عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه

فإنْ لم يَجِدْ هـٰذا المعنىٰ لا ينبغي أنْ يتلبَّسَ عليهِ الشَّرَهُ وداعيةُ النَّفْسِ بالنيَّةِ ، فليُتِمَّ صومَهُ ، وقد تكونُ الإجابةُ لداعيةِ النَّفْسِ لا لقضاءِ حقِّ أخيهِ

ومِنْ أحسنِ أدبِ الفقيرِ الطالبِ أنَّهُ إذا أَفْطرَ وتناولَ الطعامَ ربَّما يَجِدُ باطنَهُ مُتغيِّراً عن هيئتِهِ ، ونَفْسَهُ مُتثبِّطةً عن أداءِ وظائفِ العباداتِ ، فيُعالِجُ مزاجَ القلبِ المُتغيِّرَ بإذهابِ التغيُّرِ عنهُ ، ويُذِيبُ الطعامَ برَكَعاتٍ يُصلِّيها ، أو بآياتٍ يَتْلُوها ويتفكَّرُ فيها ، أو بأَذْكارٍ واستغفارٍ يأتي بهِ ؛ فقد وَرَدَ في الخبرِ : « أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِالذِّكْرِ »[1]

ومِنْ مَهَامِّ آدابِ الصَّوْمِ كِتْمانُهُ مهما أَمْكنَ ، إلا أنْ يكونَ مُتمكِّناً مِنَ الإخلاصِ ؛ فلا يُبالي ظَهَرَ أم بَطَنَ[2]

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (١/ ١٥٦) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٤٨٨) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٩٥٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٦٤٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها

(٢) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الثاني والأربعون

في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة

الصُّوفيُّ بحُسْنِ نيَّتِهِ ، وصِحَّةِ مَقْصِدِهِ ، ووُفُورِ علمِهِ ، وإتيانِهِ بأدبِهِ .. تصيرُ عاداتُهُ عبادةً .

والصُّوفيُّ موهوبٌ وقتُهُ للهِ ، ويريدُ حياتَهُ للهِ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ آمِراً لهُ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

فيدخلُ على الصُّوفيِّ أمورُ العادةِ ؛ لموضعِ حاجتِهِ ، وضرورةِ بَشَريَّتِهِ ، ويَحُفُّ بعاداتِهِ نورُ يَقَظَتِهِ ، وحُسْنِ نيَّتِهِ ، فتتنوَّرُ العاداتُ ، وتتشكَّلُ بالعباداتِ ؛ ولهـٰذا وَرَدَ : « نَوْمُ ٱلْعَالِمِ عِبَادَةٌ ، وَنَفَسُهُ تَسْبِيحٌ »[١] ، هـٰذا معَ كونِ النومِ عينَ الغَفْلةِ ، ولـٰكن كلُّ ما يُستعانُ بهِ على العبادةِ يكونُ عبادةً .

فتناوُلُ الطَّعامِ أصلٌ كبيرٌ يحتاجُ إلىٰ علومٍ كثيرةٍ ؛ لاشتمالِهِ على المصالحِ

---

(١) رواه ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (١٤٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٦٥٢) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٨٣) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وفيها : (نوم الصائم) بدل (نوم العالم) قال الغماري في « الغنية » (٢/ ٥٩٨) : (وعندي : أنَّ لفظ : « العالم » تحريف من النُّسَّاخ ، وإنما هو « الصائم » ، والله أعلم) .

الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ ، وتعلَّقِ أَثَرِهِ بالقلبِ والقالَبِ ، وبهِ قِوامُ البَدَنِ بإجراءِ سُنَّةِ اللهِ تعالىٰ بذلكَ ، والقالَبُ مركبُ القلبِ ، وبهِما عِمارةُ الدنيا والآخرةِ.

وقد وَرَدَ : « أَرْضُ ٱلْجَنَّةِ قِيعَانٌ ، نَبَاتُهَا ٱلتَّسْبِيحُ وَٱلتَّقْدِيسُ وَٱلتَّهْلِيلُ »(١)

والقالَبُ بمُفرَدِهِ علىٰ طبيعةِ الحيواناتِ يُستعانُ بهِ علىٰ عِمارةِ الدنيا ، والرُّوحُ والقلبُ علىٰ طبيعةِ الملائكةِ يُستعانُ بهِما علىٰ عِمارةِ الآخرةِ ، وباجتماعِهِما صَلُحا لعِمارةِ الدَّارَينِ

واللهُ سبحانَهُ رَكَّبَ الآدميَّ بلطيفِ حِكْمتِهِ مِنْ أَخصِّ جواهرِ الجِسْمانيَّاتِ والرُّوحانيَّاتِ ، وجَعَلَهُ مُستودَعَ خُلاصةِ الأَرَضِينَ والسماواتِ ، وجعلَ عالَمَ الشهادةِ وما فيها مِنَ النباتِ والحيوانِ لِقِوَامِ بَدَنِ الآدميِّ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] .

فكَوَّنَ الطبائعَ ؛ وهي الحرارةُ ، والبُرُودةُ ، والرُّطُوبةُ ، واليُبُوسةُ ، وكَوَّنَ بواسطتِها النباتَ ، وجَعَلَ النباتَ قِوَاماً للحيواناتِ ، وجَعَلَ الحيواناتِ مُسخَّرةً للآدميِّ ، يستعينُ بها علىٰ أَمْرِ معاشِهِ لِقِوَامِ بَدَنِهِ .

فالطعامُ يَصِلُ إلى المَعِدَةِ ، وفي المَعِدَةِ طبائعُ أربعٌ ، وفي الطعامِ طبائعُ أربعٌ .

فإذا أرادَ اللهُ تعالى اعتدالَ مِزاجِ البَدَنِ . . أَخَذَ كلُّ طبعٍ مِنْ طباعِ المَعِدَةِ

---

(١) رواه بنحوه الترمذي (٣٤٦٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ٢١٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والقِيعان : جمع (قاع) ؛ وهو المستوي من الأرض .

ضدَّهُ مِنَ الطعامِ ؛ فتأخذُ الحرارةُ البُرُودةَ ، والرُّطوبةُ اليُبُوسةَ ، فيعتدلُ المِزاجُ ، ويأمنُ الاعوجاجَ

وإذا أرادَ اللهُ تعالىٰ إفناءَ قالَبٍ وتخريبَ بِنْيةٍ . . أخذتْ كلُّ طبيعةٍ جنسَها مِنَ المأكولِ ، فتميلُ الطبائعُ ، ويضطربُ المِزاجُ ، ويَسْقَمُ البدنُ ؛ ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام : ٩٦] .

رُوِيَ عن وَهْبِ بنِ مُنبِّهٍ قالَ (وجدتُ في التوراةِ صفةَ آدمَ عليهِ السلامُ : إنِّي خلقتُ آدمَ ، وركَّبتُ جسدَهُ مِنْ أربعةِ أشياءَ مِنْ رَطْبٍ ، ويابسٍ ، وباردٍ ، وسُخْنٍ ؛ وذلكَ لأنِّي خلقتُهُ مِنَ الترابِ وهوَ يابسٌ ، ورطوبتُهُ مِنَ الماءِ ، وحرارتُهُ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ ، وبُرُودتُهُ مِنْ قِبَلِ الرُّوحِ

وخلقتُ في الجسدِ بعدَ هٰذا الخَلْقِ الأوَّلِ أربعةَ أنواعٍ مِنَ الخَلْقِ هُنَّ مِلاكُ الجسمِ بإِذْني ، وبهِنَّ قِوَامُهُ ، فلا يقومُ الجسمُ إلا بهِنَّ ، ولا تقومُ منهُنَّ واحدةٌ إلا بأُخْرىٰ منهُنَّ المِرَّةُ السَّوْداءُ ، والمِرَّةُ الصَّفْراءُ ، والدمُ ، والبَلْغَمُ

ثمَّ أَسْكنتُ بعضَ هٰذا الخَلْقِ في بعضٍ ؛ فجعلتُ مَسْكَنَ اليُبُوسةِ في المِرَّةِ السَّوْداءِ ، ومَسْكَنَ الرُّطوبةِ في المِرَّةِ الصَّفْراءِ ، ومَسْكَنَ الحرارةِ في الدَّمِ ، ومَسْكَنَ البُرُودةِ في البَلْغَمِ

فأيُّما جسدٍ اعتدلَتْ فيهِ هٰذهِ الفِطَرُ الأربعُ التي جَعَلْتُها مِلاكَهُ وقِوَامَهُ ، فكانتْ كلُّ واحدةٍ منهُنَّ رَبْعاً لا يزيدُ ولا ينقُصُ[1] . . كَمَلَتْ صِحَّتُهُ ، واعتدلَتْ بِنْيتُهُ

(١) الرَّبْع : المعتدل ، ويجوز أن تقرأ : (رُبُعاً) ، كما ضبطت كذلك في بعض النسخ

فإنْ زادَ منهُنَّ واحدةٌ عليهِنَّ . . هَزَمَتْهُنَّ ومالَتْ بهِنَّ ، ودَخَلَ عليهِ السُّقْمُ مِنْ ناحيتِها بقَدْرِ غَلَبَتِها ، حتىٰ تَضعُفَ عن طاقتِهِنَّ ، وتَعجِزَ عن مقدارِهِنَّ)[١]

فأَهَمُّ الأمورِ في الطعامِ : أنْ يكونَ حلالاً ، وكلُّ ما لا يذمُّهُ الشرعُ حلالٌ ؛ رُخصةً ورحمةً مِنَ اللهِ تعالىٰ لعبادِهِ ، ولولا رُخصةُ الشَّرْعِ لكَبُرَ الأمرُ وأَتْعبَ طلبُ الحلالِ .

ومِنْ أدبِ الصُّوفيّةِ : رُؤْيةُ المُنعِمِ على النِّعْمةِ .

ويبتدئُ بغَسْلِ اليدِ قبلَ الطعامِ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْوُضُوءُ قَبْلَ ٱلطَّعَامِ يَنْفِي ٱلْفَقْرَ »[٢]

وإنَّما كانَ مُوجِباً لنفْيِ الفقْرِ ؛ لأنَّ غَسْلَ اليدِ قَبْلَ الطعامِ استقبالُ النِّعْمةِ بالأدبِ ، وذلكَ مِنْ شُكْرِ النِّعْمةِ ، والشكرُ يستوجبُ المزيدَ[٣] ، فصارَ غَسْلُ اليدِ مُستجلِباً للنِّعمةِ ، مُذهِباً للفقرِ

---

(١) رواه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/ ٦٢) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٤٣٦) ، والعبارة فيه بدل (هزمتهُنَّ ومالَتْ بهِنَّ . . . عن طاقتهن) : (وقهرتهنَّ ومالَتْ بهِنَّ دخل علىٰ أخواتها السقم من ناحيتها بقدر ما زادت ، وإذا كانت ناقصة مِلْنَ بها ، وأدخلن السقم من نواحيهنَّ لقلَّتها عنهنَّ ، حتىٰ تضعف عن طاقتهنَّ) .

(٢) رواه القضاعي في « المسند » (٣١٠) عن موسى بن جعفر عن آبائه متصلاً رضي الله عنهم ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧١٦٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، والدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (١٧٨٨) موقوفاً علىٰ سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، ورواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٦٤٠) عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ من كلامه .

(٣) كما قال الله تعالىٰ : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] من هامش (ح)

وقد روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْثُرَ خَيْرُ بَيْتِهِ . . فَلْيَتَوَضَّأْ إِذَا حَضَرَ غَدَاؤُهُ »[(١)]

ثمَّ يُسمِّي اللهَ تعالىٰ ؛ فقولُهُ سبحانَهُ وتعالىٰ ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ . . تفسيرُهُ : تسميةُ اللهِ تعالىٰ عندَ ذَبْحِ الحيوانِ ، واختلفَ الشافعيُّ وأبو حنيفةَ رضوانُ اللهِ عليهما في وجوبِ ذلكَ[(٢)]

وفَهِمَ الصُّوفيُّ مِنْ ذلكَ بعدَ القيامِ بظاهرِ التَّفْسيرِ . . ألَّا يأكلَ الطعامَ إلا مُقترِناً بذكرِ اللهِ تعالىٰ ، وذلكَ فريضةُ وقتِهِ وأدبُهُ ، ويرىٰ أنَّ تناولَ الطعامِ داءٌ ؛ لما ينتجُ مِنْ إفاقةِ النَّفْسِ ومُتابَعةِ هواها[(٣)] ، ويرىٰ ذكرَ اللهِ تعالىٰ دواءَهُ وتِرْياقَهُ .

ورَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يأكلُ الطعامَ في سِتَّةِ نَفَرٍ مِنْ أصحابِهِ ، فجاءَ أعرابيٌّ فأكلَهُ بلُقْمتَينِ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ يُسَمِّي اللَّهَ تَعَالَىٰ . . لَكَفَاكُمْ ، فَإِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً . . فَلْيَقُلْ : (بِاسْمِ اللَّهِ) ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٦٠) ، وأحمد كما في « شعب الإيمان » تحت رقم : (٥٤٢٣) ، ورواه ابن المقرئ في « المعجم » (٧٩٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما

(٢) ذهب الشافعي إلىٰ أنَّها غير واجبة ؛ فلو تركها عمداً أو سهواً حلَّ الحيوان مع الكراهة ، وأبو حنيفة إلىٰ أنَّها واجبة ، ولا يحل إلا إذا تركها ناسياً . انظر « الاختيار » (٤/ ٢٢٨_٢٢٩) ، و« تحفة المحتاج » (٩/ ٣٢٥)

(٣) في (أ ، ز) (إقامة) بدل (إفاقة) ، وفي نسخة علىٰ هامشهما كالمثبت ، وفي (و ، ي) : (آفة)

يَقُولَ : (بِاسْمِ اللهِ) . فَلْيَقُلْ : (بِاسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ) »[1]

ويُستحَبُّ أنْ يقولَ في أوَّلِ لُقمةٍ : (باسمِ اللهِ) ، وفي الثانيةِ : (باسمِ اللهِ الرَّحمـٰنِ) ، وفي الثالثةِ : (بسمِ اللهِ الرَّحمـٰنِ الرَّحيمِ)[2]

ويشربُ الماءَ بثلاثةِ أَنْفاسٍ ؛ يقولُ في أوَّلِ نَفَسٍ : (الحمدُ للهِ) إذا شَرِبَ ، وفي الثاني : (الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ) ، وفي الثالثِ : (الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ الرَّحمـٰنِ الرَّحيمِ)

وكما أنَّ للمَعِدةِ طِباعاً تُدَبَّرُ ـ كما ذَكَرْنا ـ بمُوافقةِ طِباعِ الطعامِ . فللقلبِ أيضاً مِزاجٌ وطِباعٌ لأربابِ التَّفَقُّدِ والرِّعايةِ واليَقَظَةِ ؛ يُعرَفُ انحرافُ مِزاجِ القلبِ مِنَ اللُّقْمةِ المُتناوَلةِ .

تارةً يَحدُثُ مِنَ اللُّقْمةِ حرارةُ الطَّيْشِ بالنُّهُوضِ إلى الفُضُولِ ، وتارةً يَحدُثُ في القلبِ بُرُودةُ الكَسَلِ بالتقاعُدِ عن وظيفةِ الوقتِ ، وتارةً تَحدُثُ رُطُوبةُ السَّهْوِ والغَفْلةِ ، وتارةً يُبُوسةُ الهمِّ والحُزْنِ بسببِ الحظوظِ العاجلةِ .

فهـٰذهِ كلُّها عوارضُ يَتفطَّنُ لها المُتيقِّظُ ، ويرىٰ تَغيُّرَ القلبِ بهـٰذهِ العوارضِ تَغيُّرَ مِزاجِ القلبِ عنِ الاعتدالِ[3] ، والاعتدالُ كما هوَ مُهِمٌّ طَلَبُهُ للقالَبِ . فللقلبِ أهمُّ وأَوْلىٰ ، وتَطَرُّقُ الانحرافِ إلى القلبِ أسرعُ منهُ إلى

---

(١) رواه الترمذي (١٨٥٨) ، وابن ماجه (٣٢٦٤) ، وأحمد (٦/١٤٣) ، والدارمي (٢٠٦٣) ، وهو في « سنن أبي داود » (٣٧٦٧) دون ذكر السبب .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، ج ، و ، ز) : (ويتمم) بدل (بسم الله الرحمـٰن الرحيم)

(٣) في (أ ، ز) : (ويرىٰ بعين القلب هـٰذه العوارضَ . . .) ، وفي (ي) ونسخة علىٰ هامش (أ) : (ويرىٰ بعين البصيرة تغيرَ القلب بهـٰذه العوارض ، وإنها لتغير مزاج القلب عن الاعتدال)

القالَبِ ، ومِنَ الانحرافِ ما يَسْقَمُ بهِ القلبُ فيموتُ كموتِ القالَبِ .

واسمُ اللهِ تعالىٰ دواءٌ نافعٌ مُجرَّبٌ ؛ يَقِي الأَسْواءَ ، ويُذهِبُ الداءَ ، ويَجلِبُ الشفاءَ

حُكِيَ أنَّ الشيخَ مُحمَّداً الغَزَاليَّ رحمَهُ اللهُ لمَّا رجعَ إلىٰ طُوسَ . . وُصِفَ لهُ في بعضِ القُرىٰ عبدٌ صالحٌ ، فقصدَهُ زائراً ، فصادفَهُ وهوَ في صحراءَ لَهُ يَبذُرُ الحِنْطةَ في الأرضِ ، فلمَّا رأى الشيخَ محمَّداً جاءَ إليهِ وأَقْبلَ عليهِ ، فجاءَ رجلٌ مِنْ أصحابِهِ وطَلَبَ منهُ البَذْرَ ؛ لينوبَ عنِ الشيخِ في ذلكَ وقتَ اشتغالِهِ بالغزاليِّ ، فامتنعَ ولم يُعطِهِ البَذْرَ ، فسألَهُ الغَزَاليُّ عن سببِ امتناعِهِ ، فقالَ : لأنِّي أبذُرُ هـٰذا البَذْرَ بقلبٍ حاضرٍ ولسانٍ ذاكرٍ ، أرجو البركةَ فيهِ لكلِّ مَنْ يتناولُ منهُ شيئاً ، فلا أُحِبُّ أنْ أُسلِّمَهُ إلىٰ هـٰذا ، فيَبذُرَهُ بلسانٍ غيرِ ذاكرٍ ، وقلبٍ غيرِ حاضرٍ

وكانَ بعضُ الفقراءِ عندَ الأكلِ يشرعُ في تلاوةِ سورةٍ مِنَ القرآنِ ؛ يُحضِرُ القلبَ بذلكَ[1] ؛ حتىٰ ينغمرَ أجزاءُ الطعامِ بأنوارِ الذِّكْرِ ، ولا يُعقِبُ الطعامُ مكروهاً ، ولا يُغيِّرُ مِزاجَ القلبِ .

وقد كانَ شيخُنا أبو النَّجيبِ السُّهرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أنا آكلُ وأنا أُصلِّي) ؛ يُشيرُ إلىٰ حضورِ القلبِ في الطعامِ ، وربَّما كانَ يُوقِفُ مَنْ يمنعُ عنهُ الشواغلَ وقتَ أكلِهِ ؛ لئلا يتفرَّقَ همُّهُ وقتَ الأكلِ ، ويرىٰ للذِّكْرِ

---

(١) في (ج ، د) : (يحصر بذلك الوقت) ، وفي (أ) ونسخة علىٰ هامش (و) : (فيُحصِّل الوقتَ بذلك) ، وحصل في بعض النسخ تقديم وتأخير لـ (بذلك) عن (الوقت) أو (القلب) .

وحضورِ القلبِ في الأكلِ أثراً كثيراً لا يَسَعُهُ الإهمالُ لهُ .

ومِنَ الذِّكْرِ عندَ الأكلِ الفِكْرُ فيما هَيَّأَ اللهُ تعالىٰ ؛ مِنَ الأسنانِ المُعِينةِ على الأَكْلِ ؛ فمِنْها الكاسرةُ ، ومِنْها القاطعةُ ، ومِنْها الطاحنةُ ، وما جَعَلَ اللهُ تعالىٰ مِنَ الماءِ الحُلْوِ في الفمِ ؛ حتىٰ لا يتغيَّرَ الذَّوْقُ ، كما جعلَ اللهُ ماءَ العينِ مالحاً لِمَا كانَ شحماً ؛ حتىٰ لا يَفسُدَ[1]

وكيفَ جعلَ النَّداوَةَ تَنبَعُ مِنْ أرجاءِ اللِّسانِ والفمِ ؛ ليُعِينَ ذلكَ على المَضْغِ والسَّوغِ ، وكيفَ جعلَ القُوَّةَ الهاضمةَ مُتسلِّطةً على الطعامِ ؛ تُفصِّلُهُ وتُجزِّئُهُ مُتعلِّقاً مَدَدُها بالكَبِدِ ، والكَبِدُ بمثابةِ النارِ ، والمَعِدةُ بمثابةِ القِدْرِ ، وعلىٰ قَدْرِ فسادِ الكَبِدِ تَقِلُّ الهاضمةُ ، ويَفسُدُ الطعامُ ولا ينفصلُ ، ولا يَصِلُ إلىٰ كلِّ عُضْوٍ نصيبُهُ .

وهكذا تأثيرُ الأعضاءِ كلِّها ؛ مِنَ الكَبِدِ والطِّحالِ والكُلْيتَينِ ، ويَطُولُ شرحُ ذلكَ .

فمَنْ أرادَ الاعتبارَ فليُطالِعْ تشريحَ الأعضاءِ ؛ ليرى العَجَبَ مِنْ قُدْرةِ اللهِ تعالىٰ ؛ مِنْ تعاضُدِ الأعضاءِ وتعاونِها ، وتعلُّقِ بعضِها بالبعضِ في إصلاحِ الغذاءِ ، واستجلابِ القُوَّةِ منهُ للأعضاءِ ، وانقسامِهِ إلى الدَّمِ والثُّفْلِ واللَّبَنِ ؛ لتغذيةِ المولودِ مِنْ بينِ فَرْثٍ ودمٍ لَبَناً خالصاً سائغاً للشاربينَ ، فتباركَ اللهُ أحسنُ الخالقينَ .

فالفِكْرُ في ذلكَ وقتَ الطعامِ ، وتَعَرُّفُ لطيفِ الحِكَمِ والقُدَرِ فيهِ . . مِنَ الذِّكْرِ .

---

(١) في بعض النسخ : (لا ينفسد) ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/ ٣٩١) .

وممَّا يُذهِبُ داءَ الطعامِ المُغيِّرَ لمِزاجِ القَلْبِ : أنْ يدعوَ في أوَّلِ الطعامِ ، ويسألَ اللهَ تعالىٰ أنْ يجعلَهُ عَوْناً على الطاعةِ ، ويكونَ مِنْ دعائِهِ (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وما رَزَقْتَنا ممَّا نُحِبُّ اجعلْهُ عَوْناً لنا علىٰ ما تُحِبُّ ، وما زَوَيْتَ عنَّا ممَّا نُحِبُّ اجعلْهُ فراغاً لنا فيما تُحِبُّ) ، واللهُ أعلمُ[1]

• • •

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ قراءة) ، وفي هامش (و) : (بلغ بلغ)

الباب الثالث والأربعون

في آداب الأكل

فمِنْ ذلكَ : أنْ يبتدئَ بالمِلْحِ ويَختِمَ بهِ ؛ رَوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : « يَا عَلِيُّ ؛ ٱبْدَأْ طَعَامَكَ بِٱلْمِلْحِ ، وَٱخْتِمْ بِٱلْمِلْحِ ؛ فَإِنَّ ٱلْمِلْحَ شِفَاءٌ مِنْ سَبْعِينَ دَاءً ؛ مِنْهَا ٱلْجُنُونُ وَٱلْجُذَامُ وَٱلْبَرَصُ ، وَوَجَعُ ٱلْبَطْنِ وَوَجَعُ ٱلْأَضْرَاسِ »(١)

ورَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : لُدِغَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في إبهامِهِ مِنْ رجلِهِ اليُسْرىٰ لَدْغةً ، فقالَ « عَلَيَّ بِذَلِكَ ٱلْأَبْيَضِ ٱلَّذِي يَكُونُ فِي ٱلْعَجِينِ » ، فجِئْنا بمِلْحٍ ، فوضعَهُ في كفِّهِ ، ثمَّ لَعَقَ منهُ ثلاثَ لَعَقاتٍ ، ثمَّ وضعَ بقيَّتَهُ على اللَّدْغةِ ، فسكنتْ عنهُ(٢)

ويُستحَبُّ الاجتماعُ على الطعامِ(٣) ، وهوَ سُنَّةُ الصُّوفيَّةِ في الرُّبُطِ

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٤٦٩) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٣١٢) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(٢) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٤٠١٩) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٨٩٠) ، وأبو نعيم في « الطب النبوي » (٥٧٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٣٤٠) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/٦٠٦-٦٠٧)

(٣) واجتماعُ الناس على القصعة الواحدة أحبُّ إلى الله تعالىٰ ، وأكثرُ ثواباً ، وأجلبُ للأُلفة بين القلوب ، ولا بركةَ في القِصاع الصغار . من « شرعة الإسلام » . من هامش (ح) .

وغيرِها ؛ روىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مِنْ أَحَبِّ ٱلطَّعَامِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَيْدِي »(١)

ورُوِيَ أنَّهُ قيلَ يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّا نأكلُ ولا نشبعُ ، قالَ « لَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ عَلَىٰ طَعَامِكُمْ ، ٱجْتَمِعُوا وَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللهِ عَلَيْهِ . يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ »(٢)

ومِنْ عادةِ الصُّوفيَّةِ : الأكلُ على السُّفرة ، وهوَ سُنَّةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

(١١٦) ـ أخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعةَ ، عنِ المُقوِّميِّ بإسنادِهِ إلى ابنِ ماجه الحافظِ القَزْوِينيِّ(٣) ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ المُثنَّىٰ ، قالَ : حدَّثَنا مُعاذُ بنُ هشامٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبي ، عن يُونُسَ بنِ [أبي] الفُراتِ(٤) ، عن قَتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ ما أَكَلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ خِوَانٍ ولا في سُكُرُّجَةٍ ، قالَ : فعلامَ كانوا يأكلونَ ؟ قالَ : على السُّفَرِ(٥)

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في « المسند » (٢٠٤٥) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٣١٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٩١٧٤) ، ورواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/ ٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٧)

(٣) وسبق إسناد المُقوِّمي إلى ابن ماجه في (١/ ٤٧٣) .

(٤) ما بين معقوفين زيادة من « سنن ابن ماجه » ، وانظر « إرشاد الساري » (٨/ ٢٢٧)

(٥) سنن ابن ماجه (٣٢٩٢) ، ورواه البخاري (٥٤١٥) وغيره ، والخِوَان : المائدة التي يُوضع عليها الطعام ، وهي ما يُسمَّى الآن بـ (الطاولة) ، والسُّكُرُّجة ـ بضمِّ الراء المشددة وفتحها ، وبعضهم صوَّب الفتح ـ : قصعة صغيرة يُؤكل فيها ، وكانت العجم=

ويُصغِّرُ اللُّقْمةَ ، ويُجوِّدُ الأَكْلَ بالمَضْغِ ، وينظرُ بينَ يَدَيهِ ، ولا يُطالِعُ وجوهَ الآكِلِينَ

ويقعدُ علىٰ رِجْلِهِ اليُسْرىٰ ويَنصِبُ اليُمْنىٰ ، ويجلسُ جِلْسةَ التواضعِ ؛ غيرَ مُتَّكِئٍ ولا مُتعزِّزٍ ؛ نهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يأكلَ الرجلُ مُتَّكِئاً[(١)]

ورُوِيَ أنَّهُ أُهْدِيَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شاةٌ ، فجثا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ رُكْبَتَيْهِ يأكلُ ، فقالَ أعرابيٌّ ما هـٰذهِ الجِلْسةُ ؟! فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ خَلَقَنِي عَبْداً ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً عَنِيداً »[(٢)]

ولا يبتدئُ بالطعامِ حتىٰ يبتدئَ المُقدَّمُ أوِ الشيخُ[(٣)] ؛ روىٰ حُذيفةُ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (كُنَّا إذا حَضَرْنا معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ طعاماً . لم يَضَعْ أحدُنا يَدَهُ حتىٰ يبدأَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[(٤)]

= تستخدمُها حول المائدة للهضم والتشهّي ، وهي من علامات الكبر والبخل ، والسُّفَر : جمع (سُفْرة) ؛ وهو الطعام الذي يُوضَع على الأرض ، وهو في الأصل : الطعام الذي يُتَّخذ للمسافر يُوضَع ضمنَ وعاء جلدي .

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ١٢٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، و« المعجم الأوسط » (٣٣) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، والبزار كما في « كشف الأستار » (٢٨٧٠) عن سيدنا أبي إهاب رضي الله عنه .

(٢) رواه أبو داود مطوّلاً (٣٧٧٣) ، وابن ماجه (٣٢٦٣) عن سيدنا عبد الله بن بسر رضي الله عنه

(٣) في النسخ ما عدا (ب ، هـ ، ح) : (المتقدم) بدل (المقدم)

(٤) رواه مسلم (٢٠١٧) ، وأبو داود (٣٧٦٦) ، واللفظ له

ويأكلُ باليمينِ ؛ روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لِيَأْكُلْ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيَأْخُذْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيُعْطِ بِيَمِينِهِ ؛ فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ ، وَيُعْطِي بِشِمَالِهِ »[١]

وإنْ كانَ المأكولُ تمراً أو ما لَهُ عَجَمٌ[٢] . . لا يجمعُ مِنْ ذلكَ ما يُرمىٰ وما يُؤكَلُ على الطَّبَقِ ولا في كَفِّهِ ، بل يَضَعُ ذلكَ علىٰ ظَهْرِ كَفِّهِ مِنْ فِيهِ ويَرْمِيهِ .

ولا يأكلُ مِنْ ذُرْوَةِ الثَّرِيدِ ؛ روىٰ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا وُضِعَ ٱلطَّعَامُ فَخُذُوا مِنْ حَاشِيَتِهِ وَذَرُوا وَسَطَهُ ؛ فَإِنَّ ٱلْبَرَكَةَ تَنْزِلُ فِي وَسَطِهِ »[٣]

ولا يَعِيبُ الطعامَ ؛ روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (ما عَابَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ طعاماً قطُّ ؛ إنِ اشتهاهُ أكلَهُ ، وإلَّا تَرَكَهُ)[٤]

وإذا سَقَطَتِ اللُّقْمةُ يأكلُها ؛ فقد روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ . . فَلْيُمِطْ

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٦٦) ، وبنحوه مسلم (٢٠٢٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) العَجَم ـ بالتحريك ـ : النَّوَىٰ وكلُّ ما كان في جوفِ مأكول ؛ كالزبيب وما أشبهه ، والعامَّةُ تقول : (عَجْم) بالتسكين . « صحاح » . من هامش (ح)

(٣) رواه أبو داود (٣٧٧٢) ، والترمذي (١٨٠٥) ، وابن ماجه (٣٢٧٧) .

(٤) رواه البخاري (٥٤٠٩) ، ومسلم (٢٠٦٤) ، وسبق في (١/ ٣٩)

عَنْهَا ٱلْأَذَىٰ وَلْيَأْكُلْهَا ، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ »[1]

ويَلعَقُ أصابعَهُ ؛ فقد روىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمُ ٱلطَّعَامَ فَلْيَمُصَّ أَصَابِعَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تكُونُ ٱلْبَرَكَةُ »[2]

وهكذا **أَمَرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بإِسْلَاتِ القَصْعةِ** ؛ وهوَ مَسْحُها مِنَ الطعام ؛ قالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (أَمَرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بإِسْلاتِ القَصْعةِ)[3]

ولا يَنفُخُ في الطعامِ ؛ فقد رَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « **ٱلنَّفْخُ فِي ٱلطَّعَامِ يُذْهِبُ ٱلْبَرَكَةَ** »[4]

وروىٰ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ (لم يكنْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ **يَنفُخُ في طعامٍ ولا شرابٍ**)[5]

ولا يتنفَّسُ في الإناءِ ؛ فليسَ مِنَ الأدبِ ذلكَ

والخَلُّ والبقلُ على السُّفرةِ مِنَ السُّنَّةِ[6] ؛ قيلَ إنَّ الملائكةَ

---

(١) رواه مسلم (٢٠٣٤) .

(٢) رواه مسلم (٢٠٣٣/ ١٣٥) وغيره ، واللفظ لأبي عوانة في « المستخرج » (٨٢٧٧) .

(٣) رواه مسلم (٢٠٣٤) .

(٤) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ٤١٥)، والديلمي في « الفردوس » (٦٩٠٦)، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٤١٥) ، وله شواهد ، ومنها الحديث الآتي .

(٥) رواه ابن ماجه (٣٢٨٨) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥١٣٨) ، وروىٰ أحمد (١/ ٣٠٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال (نهىٰ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن النفخ في الطعام والشراب) .

(٦) **البقل** : ما يُنبِتُ الربيعُ من العشب ، وعن الليث : **هو من النبات** : ما ليس بشجر دِقٌّ=

تَحضُرُ المائدةَ إذا كانَ عليها بقلٌ[1]

رَوَتْ أمُّ سعدٍ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : دخلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها وأنا عندَها ، فقالَ : « هَلْ مِنْ غَدَاءٍ ؟ » ، فقالتْ : عندَنا خبزٌ وتمرٌ وخَلٌّ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نِعْمَ ٱلْإِدَامُ ٱلْخَلُّ ، ٱللَّهُمَّ ؛ بَارِكْ فِي ٱلْخَلِّ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ إِدَامَ ٱلْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي عَلَيهِمُ ٱلسَّلَامُ ، وَلَمْ يَفْتَقِرْ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ »[2]

ولا يَصمُتُ على الطعام ؛ فهوَ مِنْ سِيرةِ الأعاجمِ .

ولا يقطعُ اللَّحْمَ والخبزَ بالسِّكِّينِ ؛ ففيهِ نَهْيٌ[3]

ولا يَكُفُّ يدَهُ عنِ الطعامِ حتىٰ يَفرُغَ الجمعُ ؛ فقد وَرَدَ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِذَا وُضِعَتِ ٱلْمَائِدَةُ فَلَا يَقُومُ رَجُلٌ حَتَّىٰ تُرْفَعَ ٱلْمَائِدَةُ ، وَلَا يَرْفَعُ يَدَهُ وَإِنْ شَبِعَ حَتَّىٰ يَفْرُغَ

= ولا جِلٌّ ، وفُرِّق ما بين البقل ودِقِّ الشجر : أنَّ البقلَ إذا رُعي لم يبقَ له ساق ، والشجرَ يبقىٰ له سُوقٌ وإن دقَّت ، وعن الدِّينوري : البقل : كلُّ عشبةٍ تنبت من بذر ، ويُقال : كلُّ نبات اخضرَّت له الأرضُ فهو بقلٌ . « مغرب » . من هامش (ح) .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٤٢٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٧٠) .

(٢) رواه ابن ماجه (٣٣١٨) ، وقولُهُ : (نعم الإدام الخل) في « مسلم » (٥٤٠٠) كما سبق في (٢/ ٧١ـ ٧٢) .

(٣) النهي عن قطع اللحم : رواه أبو داود (٣٧٧٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٢٨٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، والنهي عن قطع الخبز : رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣/ ٢٨٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٦٠٦) ، وابن عدي في « الكامل » (٨/ ٢٩٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٦١٤)

ٱلْقَوْمُ ، وَلْيَتَعَلَّلْ ؛ فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ يُخْجِلُ جَلِيسَهُ فَيَقْبِضُ يَدَهُ ، وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي ٱلطَّعَامِ حَاجَةٌ »(١)

وإذا وُضِعَ الخبزُ لا ينتظرُ غيرَهُ ؛ فقد روىٰ أبو موسى الأشْعَريُّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « أَكْرِمُوا ٱلْخُبْزَ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَخَّرَ لَكُمْ [بِهِ] بَرَكَاتِ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ، وَٱلْحَدِيدَ وَٱلْبَقَرَ وَٱبْنَ آدَمَ »(٢)

ومِنْ أحسنِ الأدبِ وأَهَمِّهِ ألَّا يأكلَ إلَّا بعدَ الجوعِ ، ويُمسِكَ عنِ الطعامِ قبلَ الشِّبَعِ ؛ فقد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنَ ٱلْبَطْنِ »(٣)

ومِنْ عادةِ الصُّوفيَّةِ : أنْ يُلقِمَ الخادمَ إذا لم يجلسْ معَ القومِ ، وهوَ سُنَّةٌ ؛ روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ : فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ ؛ فَإِنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ »(٤)

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٩٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٧٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٤٧٨) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٦١٥) .

(٢) رواه أبو طاهر المخلص في « المخلصيات » (٩٩٣) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٣/ ٣٠٤) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٣١٤) ، ورواه الطبراني في « مسند الشاميين » (١٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٤٦) عن سيدنا عبد الله ابن أم حرام الأنصاري رضي الله عنهما دون قوله : (والحديد . . .) ، وقولُهُ : (أكرموا الخبز) فقط روي من طرق متعددة بعضها صححه الحاكم (٤/ ١٢٢) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها

(٣) سبق تخريجه في (٢/ ٢٠٧) .

(٤) رواه البخاري (٥٤٦٠) ، ومسلم (١٦٦٣) ، والأُكْلَة : اللُّقْمة ، وفي « البخاري » : =

وإذا فَرَغَ مِنَ الطعامِ يَحمَدُ اللهَ تعالىٰ ؛ روىٰ أبو سعيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أكَلَ طعاماً قالَ « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ »[١]

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ أَكَلَ طَعَاماً فَقَالَ : (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَطْعَمَنِي هَـٰذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ) . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[٢]

ويتخلَّلُ ؛ فقد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « تَخَلَّلُوا ؛ فَإِنَّهُ نَظَافَةٌ ، وَٱلنَّظَافَةُ تَدْعُو إِلَى ٱلْإِيمَانِ ، وَٱلْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي ٱلْجَنَّةِ »[٣]

ويغسلُ يَدَهُ ؛ فقد روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ

= (وعلاجه) بدل (ودخانه) ؛ أي : علاجَ الطعام عند تحصيل آلاته وتحمُّلِ مَشاقِّهِ ودُخانِهِ عند الطبخ ، وشقَّت به نَفْسُهُ وشمَّ راتحتَهُ ، وقال الإمام النووي في « شرح مسلم » (١١/ ١٣٥) : (وفي هـٰذا الحديث : الحثُّ على مكارم الأخلاقِ ، والموساةُ في الطعام ، سيَّما في حقِّ مَنْ صَنَعَهُ أو حَمَلَهُ ؛ لأنَّهُ وَلِيَ حرَّهُ ودخانه ، وتعلَّقت به نَفْسُهُ وشمَّ رائحتَهُ ، وهـٰذا كلُّهُ محمولٌ على الاستحباب) .

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٠) ، والترمذي (٣٤٥٧) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٠٤٧) ، وابن ماجه (٣٢٨٣) .

(٢) رواه أبو داود (٤٠٢٣) ، والترمذي (٣٤٥٨) ، وابن ماجه (٣٢٨٥) عن سيدنا معاذ بن أنس الجُهَني رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٣١١) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ٢٢٤) ، والديلمي في « الفردوس » (٢٣٠٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٦١٧) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ لَمْ يُغْسَلْ ، فَأَصَابَهُ شَيْءٌ . . فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ »(١)

ومِنَ السُّنَّةِ : غَسْلُ الأيدي في طَسْتٍ واحدٍ ؛ روى ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتْرِعُوا ٱلطُّسُوسَ ، وَخَالِفُوا ٱلْمَجُوسَ »(٢)

ويُستحَبُّ مسحُ العينِ ببللِ اليدِ ؛ روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا تَوَضَّأْتُمْ فَأَشْرِبُوا أَعْيُنَكُمُ ٱلْمَاءَ ، وَلَا تَنْفُضُوا أَيْدِيَكُمْ ؛ فَإِنَّهَا مَرَاوِحُ ٱلشَّيْطَانِ » ، قيلَ لأبي هُرَيرةَ : في الوضوءِ وغيرِهِ ؟ قالَ : نَعَمْ ، في الوضوءِ وغيرِهِ(٣)

وفي غَسْلِ اليدِ يأخذُ الأُشْنانَ باليمينِ(٤) ، وفي الخِلالِ لا يَزْدَرِدُ ما يخرجُ بالخِلالِ مِنَ الأسنانِ(٥) ، وما يلوكُهُ باللِّسانِ فلا بأسَ بهِ

ويجتنبُ التصنُّعَ في أكلِ الطعامِ ، ويكونُ أكلُهُ بينَ الجَمْعِ كأكلِهِ مُنفرِداً ؛

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٢) ، والترمذي (١٨٥٩ ، ١٨٦٠) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٦٨٧٨) ، وابن ماجه (٣٢٩٧) ، والغَمَر : الدسم والوسخ

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٥٤٣٤) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ٢١٢ـ٢١٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/ ٣٥١ـ٣٥٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وأَتْرِعوا : املؤوا ، والطُّسُوس : جمع (طَسٌّ) على الأصل ، وأهلُ طيِّئ يقولون : (طست) ، كما يقولون في (لِصٌّ) : (لِصْت)

(٣) رواه ابن حبان في « المجروحين » (١/ ٢٠٣) ، وابن أبي حاتم في « علل الحديث » (٧٣) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٢٥٠) ، واللفظ له ، والديلمي في « الفردوس » (١٠٢٩) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٦١٩)

(٤) الأُشْنان : مادة تُغسَل بها الثياب والأيدي ، وتُؤخذ من شجر يُقال له : (الحُرُض)

(٥) يَزْدَرِد : يبتلع

فإنَّ الرِّياءَ يدخلُ على العبدِ في كلِّ شيءٍ[1]

وُصِفَ لبعضِ العلماءِ بعضُ العُبَّادِ ، فلم يُثْنِ عليهِ ، قيلَ لهُ : تعلمُ بهِ بأساً ؟ قالَ : نَعَمْ ؛ رأيتُهُ يتصنَّعُ في الأكلِ ، ومَنْ تَصَنَّعَ في الأكلِ لا يُؤمَنُ عليهِ التصنُّعُ في العملِ[2]

وإنْ كانَ الطعامُ حلالاً فليقُلِ : (الحمدُ للهِ الذي بنعمتِهِ تَتِمُّ الصالحاتُ ، وتنزلُ البركاتُ ، اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، اللَّهُمَّ ؛ أَطْعِمْنا طيِّباً ، واستَعْمِلْنا صالحاً)

وإنْ كانَ شُبْهةً يقولُ : (الحمدُ للهِ علىٰ كلِّ حالٍ ، اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، ولا تجعلْهُ عَوْناً علىٰ معصيتِكَ) .

ويُكثِرُ الاستغفارَ والحزنَ ، ويبكي علىٰ أكلِ الشُّبْهةِ ولا يضحكُ ؛ فليسَ مَنْ يأكلُ وهوَ يبكي كمَنْ يأكلُ وهوَ يضحكُ .

ويقرأُ بعدَ الطعامِ : (قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، و(لإيلافِ قريشٍ)

ويجتنبُ الدخولَ علىٰ قومٍ في وقتِ أكلِهِم ؛ فقد وَرَدَ : « مَنْ مَشَىٰ إِلَىٰ طَعَامٍ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ . . مَشَىٰ فَاسِقاً وَأَكَلَ حَرَاماً »[3] ، وسَمِعْنا لفظاً آخَرَ :

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٤١٠) .

(٣) رواه أبو داود الطيالسي في « المسند » (٢٤٥٢) موقوفاً علىٰ سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والخطيب البغدادي في « التطفيل وحكايات الطفيليين » (ص٦٣) مرفوعاً عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها

« دَخَلَ سَارِقاً وخَرَجَ مُغِيراً »[1] ، إلا أنْ يتَّفِقَ دخولُهُ علىٰ قومٍ يعلمُ منهُم فَرَحَهُم بمُوافقتِهِ .

ويُستحَبُّ أنْ يخرجَ الرجلُ معَ ضيفِهِ إلىٰ بابِ الدارِ ، ولا يخرجُ الضيفُ بغيرِ إذنِ صاحبِ الدارِ ، ويجتنبُ المُضِيفُ التكلُّفَ ، إلا أنْ يكونَ لهُ نيَّةٌ فيهِ مِنْ كثرةِ الإنفاقِ ، ولا يفعلُ ذلكَ حياءً وتكلُّفاً

وإذا أكَلَ عندَ قومٍ طعاماً فليَقُلْ عندَ فراغِهِ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ ٱلصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ ٱلْأَبْرَارُ ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ »[2]

ورُوِيَ أيضاً (عليكُم صلاةُ قومٍ أبرارٍ ، ليسوا بآثِمينَ ولا فُجَّارٍ ، يُصلُّونَ بالليلِ ويصومونَ بالنهارِ) كانَ بعضُ الصحابةِ يقولُ ذلكَ[3]

ومِنَ الأدبِ : ألَّا يستحقرَ ما يُقدَّمُ لهُ مِنَ الطعامِ ؛ وكانَ بعضُ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولونَ : (ما ندري أيُّهُم أعظمُ وِزْراً ؛ الذي يحتقرُ ما يُقدَّمُ إليهِ ، أوِ الذي يحتقرُ ما عندَهُ أنْ يُقدِّمَهُ)[4]

ويُكرَهُ أكلُ طعامِ المُباهاةِ ، وما تُكلِّفَ للأعراسِ والتَّعازي ؛ فما عُمِلَ

---

(1) رواه أبو داود (٣٧٤١) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٦٨) ، والخطيب البغدادي في « التطفيل وحكايات الطفيليين » (ص٦٠-٦٢) ، وأورد له طرقاً عديدة .

(2) رواه أبو داود (٣٨٥٤) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٦٨٧٤) ، وأحمد (٣/ ١١٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وابن ماجه (١٧٤٧) ، وابن حبان (٥٢٩٦) عن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

(3) قاله سيدنا أنس رضي الله عنه ، كما رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٣١) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٤) .

(4) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٤٣٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٤٦) .

للنوائحِ لا يُؤكَلُ ، وما عُمِلَ لأهلِ العَزاءِ لا بأسَ بهِ وما يَجري مَجْراهُ

وإذا عَلِمَ الرجلُ مِنْ حالِ أخيهِ أنَّهُ يفرحُ بالانبساطِ إليهِ في التصرُّفِ في شيءٍ مِنْ طعامِهِ . . فلا حَرَجَ أنْ يأكلَ مِنْ طعامِهِ بغيرِ إذنِهِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ [النور ٦١]

قيلَ دخلَ قومٌ علىٰ سُفيانَ الثَّوْريِّ رحمَهُ اللهُ ، فلم يجدوهُ ، ففتحوا البابَ ، وأَنْزلوا السُّفْرَةَ وأكلوا ، فدَخَلَ سُفْيانُ الثَّوْريُّ وفَرِحَ ، وقالَ ذَكَّرْتُمُوني أخلاقَ السَّلَفِ ؛ هٰكذا كانوا[1]

ومَنْ دُعِيَ إلىٰ طعامٍ فالإجابةُ مِنَ السُّنَّةِ ، وأَوْكَدُ ذلكَ : الوليمةُ[2]

وقد يتخلَّفُ بعضُ الناسِ عنِ الدعوةِ تكبُّراً ، وذلكَ خطأٌ ، وإنْ عَمِلَ ذلكَ تصنُّعاً ورِياءً . . فهوَ شرٌّ مِنَ التكبُّرِ .

رُوِيَ أنَّ الحُسَينَ بنَ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما مَرَّ بقومٍ مِنَ المساكينِ الذينَ يسألونَ الناسَ على الطُّرُقِ ، وقد نَثَرُوا كِسَراً على الأرضِ وهوَ علىٰ بغلتِهِ ، فلمَّا مَرَّ بهِم سَلَّمَ عليهِم ، فردُّوا عليهِ السلامَ وقالوا : هَلُمَّ الغداءَ يا بنَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فقالَ : نعم ؛ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُستكبِرينَ ، ثمَّ ثنىٰ وَرِكَهُ ، فنزلَ عن دابَّتِهِ ، وقَعَدَ معَهُم على الأرضِ وأَقْبلَ يأكلُ ، ثمَّ سلَّمَ عليهِم ورَكِبَ[3]

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٤٥٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/٤٢) .

(٢) الوليمة : طعامُ العُرْس ، أو كلُّ طعام صُنِع لدعوة وغيرها .

(٣) رواه مختصراً ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٣٨٧) ط . مكتبة الصديق ، وابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١١٠) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » =

وكانَ يُقالُ : (الأكلُ معَ الإخوانِ أفضلُ مِنَ الأكلِ معَ العِيالِ)

رُوِيَ أنَّ هارونَ الرشيدَ دعا أبا مُعاوِيةَ الضَّريرَ وأَمَرَ أنْ يُقدَّمَ لهُ طعامٌ ، فلمَّا أكلَ صَبَّ الرشيدُ الماءَ علىٰ يدِهِ في الطَّسْتِ ، فلمَّا فَرَغَ قالَ يا أبا مُعاوِيةَ ؛ تدري مَنْ صَبَّ علىٰ يدِكَ الماءَ ؟ قالَ لا ، قالَ : أميرُ المؤمنينَ ، قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّما أكرمتَ العلمَ وأَجْلَلْتَهُ ، فأَجَلَّكَ اللهُ تعالىٰ وأَكْرمَكَ كما أكرمتَ العلمَ[1] ، واللهُ أعلمُ

* * *

= (١٧٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/ ١٨١) ، وفي جميع النسخ ما عدا (و) : (الحسن) بدل (الحسين) ، والمثبت موافق للمصادر السابقة ، وفيها : أنَّهُ دعاهم إلىٰ منزله بعد دعوتهم له .

(١) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٨ ـ ٩)، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٤٣٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٣٣) ، وفي هامش (ب) : (بلغ سماعهم في الثاني والثلاثين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الرابع والأربعون

في ذكر آدابهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه

اللِّباسُ مِنْ حاجاتِ النَّفْسِ وضروراتِها لدَفْعِ الحَرِّ والبردِ ، كما أنَّ الطعامَ مِنْ حاجاتِ النَّفْسِ لدفعِ الجوعِ

وكما أنَّ النَّفْسَ غيرُ قانعةٍ بقدرِ الحاجةِ في الطعامِ ، بل تطلُبُ الزياداتِ والشهواتِ . . فهكذا في اللِّباسِ تتفنَّنُ فيهِ ، ولها فيهِ أَهْوِيةٌ مُتنوِّعةٌ ومآربُ مختلفةٌ(١)

فالصُّوفيُّ يَرُدُّ النَّفْسَ في اللِّباسِ إلىٰ مُتابَعةِ صريحِ العلمِ

قيلَ لبعضِ الصُّوفيَّةِ : ثوبُكَ مُمزَّقٌ !! قالَ : ولٰكنَّهُ مِنْ وجهِ حلالٍ ، قيلَ لهُ : وهوَ وَسِخٌ !! قالَ : ولٰكنَّهُ طاهرٌ .

فنَظَرُ الصادقِ في ثوبِهِ : أنْ يكونَ مِنْ وجهِ حلالٍ ؛ لأنَّهُ وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنِ ٱشْتَرَىٰ ثَوْباً بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ وَفِي ثَمَنِهِ دِرْهَمٌ مِنْ حَرَامٍ . . لَا يَقْبَلُ ٱللهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً »(٢) ؛

---

(١) قوله : (أهوية) كذا في النسخ ، والصواب : (أهواء) ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/٢٦٩) .

(٢) رواه أحمد (٢/٩٨) ، وابن أبي الدنيا في « الورع » (١٧٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٧٠٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وفيها :=

أي لا فريضةً ولا نافلةً[1]

ثمَّ بعدَ ذلكَ نظرُهُ فيهِ : أنْ يكونَ طاهراً ؛ لأنَّ طهارةَ الثوبِ شرطٌ في صِحَّةِ الصلاةِ

وما عدا هـٰذينِ النَّظَرَينِ : فنَظَرُهُ في كونِهِ يدفعُ الحَرَّ والبردَ ؛ لأنَّ ذلكَ مَصلَحةُ النَّفْسِ ، وبعدَ ذلكَ ما تدعو النَّفْسُ إليهِ . . فكلُّهُ فُضولٌ وزيادةٌ ونَظَرٌ إلى الخَلْقِ

والصادقُ لا ينبغي أنْ يَلْبَسَ الثوبَ إلا للهِ ؛ وهوَ سَتْرُ العورةِ ، أو لِنَفْسِهِ لدَفْعِ الحَرِّ والبردِ .

حُكِيَ أنَّ سُفْيانَ الثَّوْرِيَّ رحمَهُ اللهُ خرجَ ذاتَ يومٍ وعليهِ ثوبٌ قد لَبِسَهُ مقلوباً ، فقيلَ لهُ[2] ، ولم يعلَمْ بذلكَ ، فهَمَّ أنْ يخلعَهُ ويُغيِّرَهُ ، ثمَّ تَرَكَ وقالَ : حيثُ لَبِستُهُ نَوَيتُ أنِّي أَلبَسُهُ للهِ ، والآنَ فما أُغيِّرُهُ إلَّا لنَظَرِ الخَلْقِ ، فلا أَنقُضُ النيَّةَ الأُولىٰ بهـٰذهِ[3]

والصُّوفيَّةُ خُصُّوا بطهارةِ الأخلاقِ ، وما رُزِقُوا طهارةَ الأخلاقِ إلَّا بالصَّلاحيَّةِ والأهليَّةِ والاستعدادِ الذي هيَّأَ اللهُ لنفوسِهِم

= (لم يقبل الله له صلاةً ما دام عليه) .

(١) وقيل لا يقبل توبة ولا فدية ، كما ذكره الأنباري مرفوعاً ، وبه قال مكحول والأصمعي وأبو عبيد ، وقيل اكتساباً ولا فدية ، قاله يونس ، والذي أورده المؤلف هو ما ذهب إليه الجمهور . انظر « كشف المشكل من حديث الصحيحين » (١/ ١٩٥) ، و« شرح النووي على مسلم » (٩/ ١٤١) .

(٢) زاد في نسخة على هامش (د) : (في ذلك)

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٥٢ـ١٣٥٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٩/ ٤٤) .

وفي طهارةِ الأخلاقِ وتعاضُدِها تناسُبٌ واقعٌ ؛ لوجودِ تناسُبِ هيئةِ النَّفْسِ ، وتناسبُ هيئةِ النَّفْسِ هوَ المُشارُ إليهِ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر ٢٩] ؛ فالتناسُبُ : هو التسويةُ

فمِنَ التناسُبِ : أنْ يكونَ لباسُهُم مُشاكِلاً لطعامِهِم ، وطعامُهُم مُشاكِلاً لكلامِهِم ، وكلامُهُم مُشاكِلاً لمنامِهِم ؛ لأنَّ التناسُبَ الواقعَ في النَّفْسِ مُقيَّدٌ بالعلمِ ، والتشابهُ والتماثلُ في الأحوالِ يَحكُمُ بهِ العلمُ

ومُتصوِّفةُ هٰذا الزمانِ مُتلزِّمونَ بشيءٍ مِنَ التناسُبِ معَ مَزْجِ الهوىٰ ، وما عندَهُم مِنَ التطلُّعِ إلى التناسُبِ رَشْحُ حالِ سَلَفِهِم في وجودِ التناسُبِ .

قالَ أبو سُلَيمانَ الدَّارانيُّ رحمَهُ اللهُ : (يَلبَسُ أحدُهُم عَباءةً بثلاثةِ دراهمَ ، وشهوتُهُ في بطنِهِ بخمسةِ دراهمَ !!)[١] ؛ أنْكرَ ذلكَ لعدمِ التناسُبِ .

فمَنْ خَشُنَ ثوبُهُ ينبغي أنْ يكونَ مأكولُهُ مِنْ جنسِهِ ، وإذا اختلفَ الثوبُ والمأكولُ يَدُلُّ علىٰ وجودِ انحرافٍ ؛ لوجودِ هوىً كامنٍ في أحدِ الطَّرَفَينِ ؛ إمَّا في طَرَفِ الثوبِ ؛ لموضعِ نَظَرِ الخَلْقِ ، وإمَّا في طَرَفِ المأكولِ ؛ لفَرْطِ الشَّرَهِ[٢] ، وكلا الوصفَينِ مرضٌ يحتاجُ إلى المُداواةِ ؛ ليعودَ إلىٰ حَدِّ الاعتدالِ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٠) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦١) ، وزادوا ـ واللفظ لـ « اللمع » ـ : (فما يستحي أن تجاوز شهوته لباسه ؟!) .

(٢) ضُبطت في بعض النسخ : (الشِّرَة) ، وتقدم معناها في (٢/ ٢١٠) ، وفي (د) : (الشهوة) ، والكل صحيح مناسب .

لَبِسَ أبو سُلَيمانَ الدارانيُّ ثوباً غَسِيلاً ، فقالَ لهُ أحمدُ لو لَبِسْتَ ثوباً أَجْوَدَ مِنْ هـٰذا ، فقالَ ليْتَ قلبِي في القلوبِ مثلُ قميصِي في الثِّيابِ[١]

فكانَ الفقراءُ يَلْبَسونَ المُرقَّعَ ، وربَّما كانوا يأخذونَ الخِرَقَ مِنَ المزابلِ ويُرقِّعونَ بها ثوبَهُم ، وقد فَعَلَ ذلكَ طائفةٌ مِنْ أهلِ الصلاحِ

وهـٰؤلاءِ ما كانَ لهُم معلومٌ يرجعونَ إليهِ ، فكما كانتْ رِقَاعُهُم مِنَ المزابلِ كانَ لُقَمُهُم مِنَ الأبوابِ .

كانَ أبو عبدِ اللهِ الرِّفاعيُّ سافرَ على الفقرِ والتوكُّلِ ثلاثينَ سنةً[٢] ، وكانَ إذا حَضَرَ للفقراءِ طعامٌ لا يأكلُ معَهُم ، فيُقالُ لهُ في ذلكَ ، فيقولُ لهُم : أنتُم تأكلونَ بحَقِّ التوكُّلِ وأنا آكُلُ بحقِّ المَسْكَنةِ ، ثمَّ يخرجُ بينَ العِشاءَينِ يتصدَّقُ الكِسَرَ مِنَ الأبوابِ[٣]

وهـٰذا شأنُ مَنْ لا يرجعُ إلىٰ معلومٍ ، ولا يدخلُ تحتَ مِنَّةٍ

حُكِيَ أنَّ جماعةً مِنْ أصحابِ المُرقَّعاتِ دخلوا علىٰ بِشْرِ بنِ الحارثِ ، فقالَ لهُم يا قومِ ؛ اتَّقوا اللهَ ولا تُظهِرُوا هـٰذا الزِّيَّ ؛ فإنَّكُم تُعرَفونَ بهِ

---

(١) روىٰ قول الداراني فقط السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٧٧) ، وأورده كاملاً أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٨) ، وبنحوه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦٠) ، وأحمد : هو ابن أبي الحَواريِّ صاحب الداراني وتلميذه ، وفي نسخة علىٰ هامش (د) : (ثوبي) بدل (قميصي) .

(٢) في (د) : (الرقاعي) بدل (الرفاعي) .

(٣) قوله (يتصدق) كذا في غالب النسخ ؛ أي : يسأل الصدقة ، كما نقله ابن السِّيد البَطَلْيَوْسي عن أبي زيد وابن جني ، وقال الأزهري : وحُذَّاق النحويين يُنكرون أن يُقال للسائل : مُتصدِّق ، وفي (هـ ، و) : (يتطلَّب) ، وفي نسخة علىٰ هامش (ح) : (يطلب) ، وانظر « تاج العروس » (٢٦/ ١٥) .

وتُكرَمونَ لهُ ، فسكتوا كلُّهُم ، فقامَ شابٌّ مِنْ بينِهِم وقالَ : الحمدُ للهِ الذي جَعَلَنا ممَّنْ يُعرَفُ بهِ ويُكرَمُ لهُ[1] ، واللهِ ؛ لَنُظهِرَنَّ هـٰذا الزِّيَّ حتىٰ يكونَ الـدِّيـنُ كلُّـهُ للهِ ، فقـالَ لـهُ بِشْـرٌ : أحسنـتَ يـا غـلامُ ، مِثْلُـكَ مَـنْ يَلْبَسُ المُرقَّعةَ[2]

فكانَ أحدُهُم يبقىٰ زمانَهُ لا يُطوىٰ لهُ ثوبٌ ، ولا يملكُ غيرَ ثوبِهِ الذي عليهِ

ورُوِيَ أنَّ أميرَ المؤمنينَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ لَبِسَ قميصاً شراهُ بثلاثةِ دراهمَ ، ثمَّ قَطَعَ كُمَّهُ مِنْ رؤوسِ أصابعِهِ[3]

ورُوِيَ عنهُ أنَّهُ قالَ لعمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنْ أردتَ أنْ تلقىٰ صاحبَيكَ فرَقِّعْ قميصَكَ ، واخصِفْ نعلَكَ ، وقَصِّرْ أَمَلَكَ ، وكُلْ دونَ الشِّبَعِ)[4]

وحُكِيَ عنِ الجُرَيريِّ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : كانَ في جامعِ بغدادَ رجلٌ لا نكاد نجدُهُ إلا في ثوبٍ واحدٍ في الشتاءِ والصيفِ ، فسُئِلَ عن ذلكَ ، فقالَ قد كنتُ وَلِعْتُ بكثرةِ لُبْسِ الثِّيابِ ، فرأَيتُ ليلةً فيما يرى النائمُ كأنِّي

---

(١) في (ب) : (نعرف به ونكرم له) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦١)

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٣٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٤٨٣)

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٤٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ٤٢٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٢٨٨) ، وقوله (صاحبيك) ؛ أي : رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق رضي الله عنه

دخلتُ الجنةَ ، فرَأيتُ جماعةً مِنْ أصحابِنا مِنَ الفقراءِ علىٰ مائدةٍ ، فأردتُ أنْ أجلسَ معَهُم ، فإذا بجماعةٍ مِنَ الملائكةِ أخذوا بيدي وأقامُوني ، وقالوا لي هـٰؤلاءِ أصحابُ ثوبٍ واحدٍ وأنتَ لكَ قميصانِ ، فلا تجلسْ معَهُم ، فانتبهتُ ونَذَرْتُ ألَّا أَلْبَسَ إلا ثوباً واحداً إلىٰ أنْ ألقى اللهَ عزَّ وجلَّ(١)

وقيلَ : ماتَ أبو يزيدَ رحمَهُ اللهُ ولم يتركْ إلا قميصَهُ الذي كانَ عليهِ ، وكانَ عاريةً ، فردُّوهُ إلىٰ صاحبِهِ(٢)

وحُكِيَ لنا عنِ الشيخِ حمَّادٍ الدبَّاسِ شيخِ شيخِنا رحمَهُما اللهُ : أنَّهُ بَقِيَ زماناً لا يَلْبَسُ الثوبَ إلا مُستأجَراً(٣) ، حتىٰ لا يَلْبَسَ علىٰ مِلْكِ نَفْسِهِ شيئاً .

وقالَ أبو حَفْصٍ الحدَّادُ رحمَهُ اللهُ : (إذا رأيتَ ضوءَ الفقيرِ في ثوبِهِ . . فلا تَرْجُ خيرَهُ)(٤)

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦١) ، وروىٰ أبو طالب المكي في « القوت » (٢/٩٤٣) نحو هـٰذه القصة عن بعض العارفين قال : (رأيت في النوم كأنَّ القيامةَ قد قامت ، وكأنَّ الناسَ يُساقون زُمْرةً زُمْرةً إلى الجنَّة علىٰ طبقات ، فنظرت إلىٰ طبقةٍ أحسنِ الناس هيئةً ، وأعلاهم مُرتقىً ، وأسرعِهِم سَبْقاً ، فقلت : هـٰذه أفضلُهُم أكونُ فيهم) ، قال : (فذهبتُ لأخطوَ إليهم وأدخلَ معهم في طريقهم ، فإذا بملائكة حولَهُم قد منعوني ، وقالوا قِفْ مكانك حتىٰ يجيء أصحابُكَ فتدخلَ معهم ، فقلتُ : تمنعُوني أن أكونَ مع هـٰؤلاء السابقين ؟! فقالوا : هـٰذا طريقٌ لا يسلكُهُ إلا مَنْ لم يكن له إلا قميصٌ واحد ، ومِنْ كلِّ شيءٍ واحدٌ ، وأنت لك قميصان ، ومن الأشياء زوجان) ، قال : (فانتبهتُ باكياً حزيناً ، فجعلتُ علىٰ نفسي ألَّا أملكَ من كلِّ شيءٍ إلا واحداً) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٩) .

(٣) حمَّاد الدبَّاس : شيخ الإمام المُربِّي أبي النجيب السهروردي ، وقد سبقت ترجمته في (١/٤٤٦) .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٨) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » =

وقيلَ : ماتَ ابنُ الكَرَنْبيِّ ـ وكانَ أستاذَ الجُنَيدِ ـ وعليهِ مُرقَّعتُهُ ، قيلَ : كانَ وزنُ فردِ كُمٍّ لهُ ودخاريصِهِ ثلاثةَ عَشَرَ رَطْلاً[١]

فقد يكونُ جمعٌ مِنَ الصالحينَ علىٰ هـٰذا الزِّيِّ والتخشُّنِ .

وقد يكونُ جمعٌ مِنَ الصالحينَ يتكلَّفونَ لُبْسَ غيرِ المُرقَّعِ وزِيِّ الفقراءِ ، ويكونُ نيَّتُهُم في ذلكَ سَتْرَ الحالِ ، أو خَوْفَ عَدَمِ النهوضِ بواجبِ حقِّ المُرقَّعةِ .

وقيلَ : كانَ أبو حفصٍ الحدَّادُ رحمَهُ اللهُ يَلْبَسُ الناعمَ ، ولهُ بيتٌ فَرَشَ فيهِ الرَّمْلَ ، لعلَّهُ كانَ ينامُ عليهِ بلا وِطاءٍ[٢]

وقد كانَ قومٌ مِنْ أصحابِ الصُّفَّةِ يكرهونَ أنْ يجعلوا بينَهُم وبينَ الترابِ حائلاً ، ويكونُ لُبْسُ أبي حفصٍ الناعمَ بعِلْمٍ ونيَّةٍ يلقى اللهَ تعالىٰ بصحَّتِها ، وهـٰكذا الصادقونَ إنْ لَبِسُوا غيرَ الخَشِنِ مِنَ الثوبِ ؛ لنيَّةٍ تكونُ لهُم في ذلكَ ، فلا يُعترَضُ عليهِم .

غيرَ أنَّ لُبْسَ الخَشِنِ والمُرقَّعِ يصلُحُ لسائرِ الفقراءِ بنيَّةِ التقلُّلِ مِنَ الدنيا وزَهْرتِها وبَهْجتِها ، وقد وَرَدَ : « مَنْ تَرَكَ ثَوْبَ جَمَالٍ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ لُبْسِهِ . . أَلْبَسَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنْ حُلَلِ ٱلْجَنَّةِ »[٣]

= (١٠/ ٣٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/ ١١٦) عن أبي جعفر الحدَّاد رحمه الله تعالىٰ .

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١٤/ ٤١٥) ، والدَّخاريص : جمع (دِخْريص) ؛ وهو ما يُوصَلُ به القميص والدِّرع ليُوسِّعه ، وفي أغلب النسخ : (وتخاريصه) بالتاء ، وهي لغة فيه .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٩)

(٣) رواه الترمذي (٢٤٨١) ، والحاكم (١/ ٦١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » =

وأمَّا لُبْسُ الناعمِ فلا يصلُحُ إلا لعالِمٍ بحالِهِ ، بصيرٍ بصفاتِ نَفْسِهِ ، مُتفقِّدٍ خَفِيِّ شهواتِ النَّفْسِ ، يلقى اللهَ تعالىٰ بحُسْنِ النِّيَّةِ في ذلكَ ، ولحُسْنِ النيَّةِ في ذلكَ وجوهٌ مُتعدِّدةٌ يطولُ شرحُها .

ومِنَ الناسِ مَنْ لا يَقصِدُ لُبْسَ ثوبٍ بعينِهِ ؛ لا لخُشُونتِهِ ولا لنُعُومتِهِ ، بل يَلبَسُ ما يُدخِلُ الحقُّ عليهِ ، فيكونُ بحكمِ الوقتِ ، وهـٰذا حَسَنٌ .

وأحسنُ مِنْ ذلكَ : أنْ يتفقَّدَ نَفْسَهُ فيهِ ، فإنْ رأىٰ لنَفْسِهِ شِرْباً[1] ، أو شهوةً خَفِيَّةً أو جَلِيَّةً في الثوبِ الذي أَدْخلَهُ اللهُ عليهِ . يُخرِجُهُ ، إلا أنْ يكونَ حالُهُ معَ اللهِ تركَ الاختيارِ ؛ فعندَ ذلكَ لا يسعُهُ إلا أنْ يتلبَّسَ بالثوبِ الذي ساقَهُ اللهُ إليهِ

وقد كانَ شيخُنا أبو النَّجيبِ السُّهرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ لا يتقيَّدُ بهيئةٍ مِنَ الملبوسِ ، بل كانَ يَلبَسُ ما يتَّفقُ مِنْ غيرِ تعمُّلٍ وتكلُّفٍ واختيارٍ ، وقد كانَ يَلبَسُ العِمامةَ بعشرةِ دنانيرَ ، ويَلبَسُ العِمامةَ بدانقٍ .

وكانَ الشيخُ عبدُ القادرِ رحمَهُ اللهُ يَلبَسُ هيئةً مخصوصةً ويَتَطَلَّسُ[2]

وكانَ الشيخُ عليُّ بنُ الهِيتيِّ يَلبَسُ لُبْسَ فقراءِ السَّوادِ[3]

وكانَ أبو بكرٍ الفرَّاءُ بزَنْجانَ يَلبَسُ فَرْواً خَشِناً كآحادِ العوامِّ .

= (٢٠/ ١٨٨_١٨٩) عن سيدنا معاذ بن أنس الجُهَني رضي الله عنه .

(١) الشِّرْب : الحظ والنصيب .

(٢) في (ج ، هـ ، ح) : (ويتطيلس) بدل (ويتطلس) ، وكلاهما جائز .

(٣) روى الإربلي في « تاريخه » (١/ ٥٤) أنَّ ابن الهيتي كان يلبَس الخشن من الثياب ، وكان يلفُّ علىٰ رأسه قطعة من خام .

ولكلٍّ في لُبْسِهِ وهيئتِهِ نيّةٌ صالحةٌ ، وشرحُ تفاوتِ الأقدامِ في ذلكَ يطولُ .

وكانَ الشيخُ أبو السُّعودِ رحمَهُ اللهُ حالُهُ معَ اللهِ تركُ الاختيارِ ، وقد يُساقُ إليهِ الثوبُ الناعمُ فيَلبَسُهُ ، وكانَ يُقالُ لهُ : ربَّما يسبقُ إلىٰ بواطنِ بعضِ الناسِ الإنكارُ عليكَ في لُبْسِكَ هـٰذا الثوبَ ، فيقولُ لا نلقىٰ إلا أحدَ الرجلَينِ : رجلٌ يُطالِبُنا بظاهرِ حكمِ الشرعِ ، فنقولُ لهُ : هل ترىٰ أنَّ ثوبَنا يكرهُهُ الشرعُ أو يُحرِّمُهُ ؟ فيقولُ : لا ، ورجلٌ يُطالِبُنا بحقائقِ القومِ مِنْ أربابِ العزيمةِ ، فنقولُ لهُ : هل ترىٰ لنا فيما لَبِسْنا اختياراً ، أو ترىٰ عندَنا فيهِ شهوةً ؟ فيقولُ : لا(١)

وقد يكونُ مِنَ الناسِ مَنْ يقدرُ علىٰ لُبْسِ الناعمِ ولُبْسِ الخَشِنِ ، ولـٰكنْ يُحِبُّ أنْ يختارَ اللهُ تعالىٰ لهُ هيئةً مخصوصةً ، فيُكثِرُ اللجوءَ إلى اللهِ تعالىٰ والافتقارَ إليهِ ، ويسألُهُ أنْ يُرِيَهُ أحبَّ الزِّيِّ إلى اللهِ لهُ ، وأصلحَهُ لدِينِهِ ودُنْياهُ ؛ لكونِهِ غيرَ صاحبِ غَرَضٍ وهوىً في زِيٍّ بعينِهِ .

فاللهُ تعالىٰ يفتحُ عليهِ ويُعرِّفُهُ زِيّاً مخصوصاً ، فيلتزمُ بذلكَ الزِّيِّ ، فيكونُ لُبْسُهُ باللهِ ، ويكونُ هـٰذا أتمَّ وأكملَ مِمَّنْ يكونُ لُبْسُهُ للهِ

ومِنَ الناسِ مَنْ يتوفَّرُ حظُّهُ مِنَ العلمِ ، وينبسطُ بما يَبسُطُهُ اللهُ ؛ فيَلْبَسُ الثوبَ عن علمٍ وإيقانٍ ، ولا يُبالي بما لَبِسَهُ ؛ ناعماً كانَ أو خَشِناً

وربَّما لَبِسَ ناعماً ولنَفْسِهِ فيهِ اختيارٌ وحَظٌّ ، وذلكَ الحظُّ فيهِ يكونُ مُكفِّراً

---

(١) وقد سبق له قصة في ذلك أيضاً في (١/ ٤٥٠ ـ ٤٥١)

لهُ ، مَرْدوداً عليهِ ، مَوْهوباً لهُ ، يُوافِقُهُ اللهُ تعالىٰ في إرادةِ نَفْسِهِ ، ويكونُ هٰذا الشخصُ تامَّ التزكيةِ ، تامَّ الطهارةِ ، مَحْبوباً مُراداً ، يُسارِعُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ مُرادِهِ ومَحَابِّهِ ، غيرَ أنَّ ها هنا مَزَلَّةَ القَدَمِ لكثيرٍ مِنَ المُدَّعينَ

حُكِيَ عن يحيى بنِ مُعاذٍ الرازيِّ رحمَهُ اللهُ : أنَّهُ كانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ والخُلْقانَ في ابتداءِ أمرِهِ[1] ، ثمَّ صارَ في آخرِ عُمُرِهِ يَلْبَسُ الناعمَ ، فقيلَ لأبي يزيدَ ذلكَ ، فقالَ مسكينٌ يحيىٰ ؛ لم يصبرْ على الدُّونِ فكيفَ يصبرُ على النُّخَبِ ؟![2]

ومِنَ الناسِ مَنْ يسبقُ إليهِ علمُ ما سوفَ يدخلُ عليهِ مِنَ الملبوسِ ، فيَلْبَسُهُ فيكونُ محمولاً فيهِ

وكلُّ أحوالِ الصادقينَ على اختلافِ تنوُّعِها مُستحسَنةٌ ؛ ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٤] .

ولُبْسُ الخَشِنِ مِنَ الثيابِ هوَ الأحبُّ والأَوْلىٰ والأنسبُ والأَسْلمُ للعبدِ ، والأبعدُ مِنَ الآفاتِ

قالَ مَسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ : دخلتُ علىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ أَعُودُهُ في مرضِهِ ، فرأيتُ قميصَهُ وَسِخاً ، فقلتُ لامرأتِهِ فاطمةَ اغْسِلُوا ثيابَ أميرِ المؤمنينَ ، فقالتْ نفعلُ إنْ شاءَ اللهُ

قالَ : ثمَّ عُدْتُهُ فإذا القميصُ علىٰ حالِهِ ، فقلتُ : يا فاطمةُ ؛ أَلَمْ آمُرْكُم

---

(١) الخُلْقان : جمع (خَلَق) ؛ وهو البالي

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦٠ـ٢٦١) ، وفي « اللمع » : (البخت) بدل (النُّخب) ، وفي « التهذيب » (التخت) !!

أنْ تغسلوا قميصَهُ ؟ قالتْ : واللهِ ؛ ما لهُ قميصٌ غيرُهُ[1]

وقالَ سالمٌ : (كانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ مِنْ أَلْيَنِ الناسِ لباساً مِنْ قبلِ أنْ يُسلِّمَ عليهِ بالخلافةِ ، فلمَّا سُلِّمَ عليهِ بالخلافةِ ضَرَبَ رأسَهُ بينَ رُكْبتَيْهِ وبكىٰ ، ثمَّ دعا بأَطْمارٍ لهُ فلَبِسَها)[2]

وقيلَ لمَّا ماتَ أبو الدَّرْداءِ رضيَ اللهُ عنهُ وُجِدَ في ثوبِهِ أربعونَ رُقْعةً ، وكانَ عَطَاؤُهُ أربعةَ آلافٍ .

وقالَ زيدُ بنُ وَهْبٍ : لَبِسَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ قميصاً رازيّاً ، فكانَ إذا مَدَّ كُمَّهُ بلغَ أطرافَ أصابعِهِ ، فعابَهُ الخوارجُ في ذلكَ ، فقالَ : أَتعِيبُوني علىٰ لباسٍ هوَ أبعدُ مِنَ الكِبْرِ ، وأَجْدرُ أنْ يقتديَ بيَ المسلمُ ؟![3]

وقيلَ : كانَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ إذا رأىٰ علىٰ رجلٍ ثوبَينِ رقيقَينِ . . علاهُ بالدِّرَّةِ ، وقالَ : دَعُوا هـٰذهِ البَرَّاقاتِ للنساءِ[4]

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « نَوِّرُوا قُلُوبَكُمْ

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥/٢٥٨) ، وابن سمعون في « الأمالي » (١٩١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢١١) .

(٢) الأَطْمار : جمع (طِمْر) ؛ وهو الثوب البالي .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٨٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٤٨٥) ، ومختصراً ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٤١) .

(٤) رواه معمر بن راشد في « الجامع » (١٩٩٧٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٢٢٨) ، وفيهما أنه قاله لمَنْ لبس معصفراً ، وروىٰ مسلم (٢٠٦٩/ ١٥) وغيرُهُ أنَّ عمر بن الخطاب خطب بالجابية فقال : (نهىٰ نبيُّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن لُبْس الحرير ، إلا موضعَ إِصْبَعينِ أو ثلاثٍ أو أربعٍ) .

بِلِبَاسِ ٱلصُّوفِ ؛ فَإِنَّهُ مَذَلَّةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَنُورٌ فِي ٱلْآخِرَةِ ، وإِيَّاكُمْ أَنْ تُفْسِدُوا دِينَكُمْ بِحَمْدِ ٱلنَّاسِ وَثَنَائِهِمْ »[١]

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ احْتَذىٰ نعلَينِ[٢] ، فلمَّا نظرَ إليهِما أَعْجبَهُ حُسْنُهُما ، فسجدَ للهِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : « خَشِيتُ أنْ يُعْرِضَ عَنِّي رَبِّي فَتَوَاضَعْتُ لَهُ ، لَا جَرَمَ لَا يَبِيتَانِ فِي مَنْزِلِي ؛ لِمَا تَخَوَّفْتُ ٱلْمَقْتَ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ مِنْ أَجْلِهِمَا » ، فأخرجَهُما فدفعَهُما إلىٰ أوَّلِ مسكينٍ لَقِيَهُ ، ثمَّ أمرَ فاشتُرِيَ لهُ نعلانِ مَخْصُوفتانِ[٣]

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لَبِسَ الصُّوفَ ، واحْتذى المَخْصوفَ[٤] ، وأَكَلَ معَ العبيدِ[٥]

وإذا كانتِ النَّفْسُ مَحَلَّ الآفاتِ ، والوقوفُ علىٰ دسائسِها وخَفِيِّ شهواتِها وكامنِ هواها عَسِرٌ جداً . فالأَلْيَقُ والأَجْدرُ والأَوْلىٰ الأخذُ بالأَحْوطِ ، وتركُ ما يَرِيبُ إلىٰ ما لا يَرِيبُ

ولا يجوزُ للعبدِ الدخولُ في السَّعَةِ إلا بعدَ إتقانِ عِلْمِ السَّعَةِ وكمالِ تزكيةِ النَّفْسِ ؛ وذاكَ إذا غابتِ النَّفْسُ بغَيبةِ هواها المُتَّبَعِ ، وتخلَّصتِ النِّيَّةُ ، وتسدَّدَ التصرُّفُ بعِلْمٍ صريحٍ واضحٍ[٦]

---

(١) حكم بوضعه الغماري في « الغنية » (٢/ ٦٣١)
(٢) احْتذىٰ : انتعل ولبس .
(٣) حكم بوضعه أيضاً الغماري في « الغنية » (٢/ ٦٣٢)
(٤) المخصوف : الذي خُرِزَ بعضه علىٰ بعض .
(٥) سبق تخريجه في (١/ ٢٥٨)
(٦) في بعض النسخ : (وتسدَّدت للتصرف) بدل (وتسدَّد التصرف) .

وللعزيمةِ أقوامٌ يركبونَها ويُراعونَها ، لا يَرَوْنَ النزولَ إلى الرُّخَصِ ؛ خوفاً مِنْ فوتِ فضيلةِ الزُّهْدِ في الدنيا ، واللِّباسُ الناعمُ مِنَ الدنيا

وقد قيلَ : مَنْ رَقَّ ثوبُهُ رقَّ دِينُهُ[1]

وقد يُرَخَّصُ في ذلكَ لمَنْ لا يلتزمُ بالزُّهْدِ ويقفُ على رُخْصةِ الشرعِ

روىٰ عَلْقَمةُ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » ، فقالَ رجلٌ : إنَّ الرجلَ يُحِبُّ أنْ يكونَ ثوبُهُ حَسَناً ونعلُهُ حَسَناً ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ ٱلْجَمَالَ »[2]

وتكونُ هـٰذهِ الرُّخْصةُ في حقِّ مَنْ يَلبَسُهُ بهوىٰ نَفْسِهِ في ذلكَ[3] ، غيرَ مُفتخِرٍ بهِ ومُختالٍ ، فأمَّا مَنْ لَبِسَ الثوبَ للتفاخُرِ بالدنيا والتكاثُرِ بها . . فقد وَرَدَ فيهِ وعيدٌ .

روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِزْرَةُ ٱلْمُؤْمِنِ إِلَىٰ نِصْفِ ٱلسَّاقِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْكَعْبَيْنِ ، وَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ ٱلْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي ٱلنَّارِ ، مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَراً لَمْ يَنْظُرِ ٱللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَبَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَتَبَخْتَرُ فِي رِدَائِهِ . . إِذْ أَعْجَبَهُ رِدَاؤُهُ ، فَخَسَفَ ٱللهُ بِهِ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/٧٤٧) ، وابن كثير في « البداية والنهاية » (٩/ ٢٧١) ، وعزاه إلى الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه مسلم (٩١) وغيره .

(٣) في بعض النسخ : (لا بهوىٰ) بدل (بهوىٰ) ، ولعل الأنسب ما أثبت ، والله تعالىٰ أعلم .

ٱلْأَرْضَ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ »[1]

والأحوالُ تختلفُ ، ومَنْ صحَّ حالُهُ بصِحَّةِ عِلْمِهِ.. صحَّتْ نِيَّتُهُ في مأكولِهِ وملبوسِهِ وسائرِ تصاريفِهِ ، وكلُّ الأحوالِ تستقيمُ وتتسدَّدُ باستقامةِ الباطنِ معَ اللهِ ، وبقَدْرِ ذلكَ تستقيمُ تصاريفُ العبدِ كلُّها بحُسْنِ توفيقِ اللهِ تعالىٰ[2]

* * *

(١) رواه إلىٰ قوله : (فهو في النار) : النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩٦٢٦) ، وأحمد (٢/ ٢٨٧) ، وإلىٰ قوله : (لم ينظر الله إليه يوم القيامة) : مالك في « الموطأ » (٢/ ٩١٤) ، وأبو داود (٤٠٩٣) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩٦٣١) ، وابن ماجه (٣٥٧٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وروىٰ قوله : (فبينما رجلٌ . . . إلىٰ يوم القيامة) : البخاري (٥٧٨٩) ، ومسلم (٢٠٨٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ويتجلجل : يسيخ وينزل مضطرباً

(٢) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً)

الباب الخامس والأربعون

في ذكر فضل قيام الليل

قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾ [الأنفال : ١١] .

نزلتْ هٰذهِ الآيةُ في المسلمينَ يومَ بدرٍ ؛ حيثُ نزلوا علىٰ كَثِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ تَسُوخُ فيهِ الأقدامُ وحوافرُ الدَّوَابِّ ، وسَبَقَهُمُ المشركونَ إلىٰ ماءِ بدرٍ العُظْمىٰ وغلبوهُم عليها ، وأصبحَ المسلمونَ بينَ مُحدِثٍ وجُنُبٍ ، وأصابَهُمُ الظَّمَأُ

ووسوسَ لهُمُ الشيطانُ أنَّكُم تَزْعُمُونَ أنَّكُم على الحقِّ وفيكُم نبيُّ اللهِ ، وقد غَلَبَ المشركونَ على الماءِ وأنتُم تُصلُّونَ مُحدِثينَ ومُجنِبينَ ، فكيفَ ترجونَ الظَّفَرَ عليهِم ؟!

فأَنْزَلَ اللهُ تعالىٰ مطراً مِنَ السماءِ سالَ منهُ الوادي ، فشَرِبَ المسلمونَ واغتسلوا ، وتوضَّؤوا وسَقَوْا دوابَّهُم ، وملؤوا الأَسْقِيةَ ، ولَبَّدَ الأرضَ حتىٰ ثَبَتَ بهِ الأقدامُ[1]

---

(١) في (أ ، ج ، ز) : (الوادي) بدل (الأرض) ، وانظر « تفسير الطبري » (١٣/ ٤٢٣ـ٤٢٧) .

قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ ﴾ [الأنفال : ١١-١٢] ؛ أَمَدَّهُمُ اللهُ تعالىٰ بالملائكةِ حتىٰ غلبوا المشركينَ

ولكلِّ آيةٍ مِنَ القرآنِ ظَهْرٌ وبَطْنٌ ، وحدٌّ ومَطْلَعٌ ، واللهُ تعالىٰ كما جَعَلَ النُّعاسَ أَمَنَةً ورحمةً للصحابةِ خاصَّةً في تلكَ الواقعةِ والحادثةِ . فهوَ رحمةٌ تَعُمُّ المؤمنينَ .

والنُّعاسُ قِسْمٌ صالحٌ مِنَ الأقسامِ العاجلةِ للمُريدينَ ، وهوَ أَمَنَةٌ لقلوبِهِم عن مُنازَعاتِ النَّفْسِ ؛ لأنَّ النَّفْسَ بالنومِ تستريحُ ولا تشكو الكَلالَ والتعبَ ؛ إذ في شِكايتِها وتَعَبِها تكديرُ القلبِ ، وباستراحتِها بالنومِ بشرطِ العلمِ والاعتدالِ . راحةُ القلب ؛ لِمَا بينَ القلبِ والنَّفْسِ مِنَ المُواطأةِ عندَ طُمَأْنينتِها للمُريدينَ السالكينَ .

فقد قيلَ ينبغي أنْ يكونَ ثُلُثُ الليلِ والنهارِ نوماً حتىٰ لا يضطربَ الجسدُ ؛ فيكونَ ثمانِ ساعاتٍ للنومِ ؛ ساعتَينِ مِنْ ذلكَ يجعلُهُما المُريدُ بالنهارِ ، وستَّ ساعاتٍ بالليلِ ، ويزيدُ في أحدِهِما وينقُصُ مِنَ الآخرِ علىٰ قَدْرِ طُولِ الليلِ وقِصَرِهِ في الشتاءِ والصيفِ

وقد يكونُ بحُسْنِ الإرادةِ وصِدْقِ الطَّلَبِ يَنقُصُ النومَ عن قَدْرِ الثُّلُثِ ، ولا يَضُرُّ ذلكَ إذا صارَ بالتدريجِ عادةً

وقد يحملُ ثِقَلَ السَّهَرِ وقِلَّةَ النومِ وجودُ الرَّوحِ والأُنْسِ ؛ فإنَّ النومَ طبعُهُ باردٌ رَطْبٌ ينفعُ الجسدَ والدِّماغَ ، ويُسكِّنُ مِنَ الحرارةِ واليُبْسِ الحادثِ في المِزاجِ ، فإن نَقَصَ مِنَ الثُّلُثِ يَضُرُّ الدِّماغَ ، ويُخشىٰ منهُ اضطرابُ الجسمِ ،

فإذا نابَ عنِ النومِ رَوْحُ القلبِ وأُنْسُهُ . . لا يَضُرُّ نقصانُهُ ؛ لأنَّ طبيعةَ الرَّوحِ والأُنْسِ باردٌ رَطْبٌ كطبيعةِ النومِ .

وقد يُقصِّرُ مُدَّةَ طولِ الليلِ وجودُ الرَّوحِ ، فتصيرُ بالرَّوْحِ أوقاتُ الليلِ الطويلةُ كالقصيرةِ ، كما يُقالُ : (سَنَةُ الوَصْلِ سِنَةٌ ، وسِنَةُ الهَجْرِ سَنَةٌ)[1] ، فيَقصُرُ الليلُ لأهلِ الرَّوحِ

نُقِلَ عن عليِّ بنِ بكَّارٍ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : (منذُ أربعينَ سنةً ما أَحْزنَني إلا طُلُوعُ الفجرِ)[2]

وقيلَ لبعضِهِم كيفَ كنتَ والليلَ ؟ قالَ ما راعَيتُهُ قطُّ ؛ يُريني وجهَهُ ، ثمَّ ينصرفُ وما تأمَّلْتُهُ[3]

وقالَ أبو سُلَيمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ : (أهلُ الليلِ في ليلِهِم أَشَدُّ لَذَّةً مِنْ أهلِ اللَّهْوِ في لَهْوِهِم)[4]

وقالَ بعضُهُم : (ليسَ في الدنيا شيءٌ يُشبِهُ نعيمَ أهلِ الجنَّةِ . . إلا ما يَجِدُهُ

---

(١) هو مأخوذ من قول الشاعر العبَّاسي أبي محمَّد المطراني : (من البسيط)

ليلُ الهوىٰ سَنَةٌ في الهَجْرِ مُدَّتُهُ ... لكنَّهُ سِنَةٌ في الوصلِ مِنْ قِصَرِ

انظر « يتيمة الدهر » (٤/ ١٣٤) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٠٩) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٦٣) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٠٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٦٣) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ١٤٦) ، وزادوا (ولولا الليلُ ما أحببت البقاء في الدنيا) .

أهلُ التملُّقِ في قلوبِهِم بالليلِ مِنْ حلاوةِ المُناجاةِ)[١]

فحلاوةُ المُناجاةِ ثوابٌ عاجلٌ لأهلِ الليلِ

وقالَ بعضُ العارفينَ (إنَّ اللهَ تعالىٰ يَطَّلِعُ علىٰ قلوبِ المُستيقِظينَ في الأسحارِ فيملؤُها نوراً ، فتَرِدُ الفوائدُ علىٰ قلوبِهِم فتستنيرُ ، ثمَّ تنتشرُ مِنْ قلوبِهِمُ العَوَافي إلىٰ قلوبِ الغافلينَ)[٢]

وقد وَرَدَ أنَّ اللهَ تعالىٰ أَوْحىٰ في بعضِ ما أَوْحىٰ إلىٰ بعضِ أنبيائِهِ : إنَّ لي عباداً يُحبُّونَني وأُحِبُّهُم ، ويشتاقونَ إليَّ وأشتاقُ إليهِم ، ويَذْكُرُونَني وأَذْكُرُهُم ، وينظرونَ إليَّ وأنظرُ إليهِم ، فإنْ حَذَوْتَ طريقَهُم أحببتُكَ ، وإنْ عَدَلْتَ عن ذلكَ مَقَتُّكَ

قالَ : يا ربِّ ؛ ما علامتُهُم ؟

قالَ : يُراعُونَ الظِّلالَ بالنهارِ كما يُراعِي الراعي غَنَمَهُ ، ويَحِنُّونَ إلىٰ غروبِ الشمسِ كما تَحِنُّ الطيرُ إلىٰ أَوْكارِها ، فإذا جَنَّهُمُ الليلُ ، واختلطَ الظلامُ ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِهِ . . نَصَبُوا لي أقدامَهُم ، وافْتَرَشُوا لي وجوهَهُم ، ناجَوْني بكلامي ، وتملَّقوا لي بإِنْعامي ؛ فبينَ صارخٍ وباكٍ ، وبينَ مُتأوِّهٍ وشاكٍ ، بعَيني ما يتحمَّلونَ مِنْ أجلي ، وبسَمْعي ما يَشْكُونَ مِنْ حُبِّي .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١١٠) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٦٤) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١١١) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٦٤ـ ٥٦٦) ، والعَوَافي : الواردات والزوائد .

أَوَّلُ ما أُعطِيهِم أنْ أَقْذِفَ مِنْ نوري في قلوبِهِم ، فيُخبِرُونَ عنِّي كما أُخبِرُ عنهُم

والثاني لو كانتِ السماواتُ السبعُ والأَرَضُونَ السبعُ وما فيها في موازينِهِمُ . . استقللتُها لهُم .

والثالثُ : أُقبِلُ بوَجْهي عليهِم ، أفتَرَىٰ مَنْ أقبلتُ بوَجْهي عليهِ يعلمُ أحدٌ ما أُرِيدُ أنْ أُعطِيَهُ ؟ ! (١)

فالصادقُ المُرِيدُ إذا خلا في ليلِهِ بمُناجاةِ ربِّهِ انتشرَتْ أنوارُ ليلِهِ علىٰ جميعِ أجزاءِ نهارِهِ ، ويصيرُ نهارُهُ في حِمايةِ ليلِهِ ؛ وذلكَ لامتلاءِ قلبِهِ بالأنوارِ ، فتكونُ حركاتُهُ وتصاريفُهُ بالنهارِ تصدُرُ مِنْ منبعِ الأنوارِ المُجتمِعةِ مِنَ الليلِ ، ويصيرُ قالَبُهُ في قُبَّةٍ مِنْ قِبابِ الحقِّ ، مُسدَّدةً حركاتُهُ ، مُوقَّرةً سَكَناتُهُ .

وقد وَرَدَ : « مَنْ صَلَّىٰ بِٱللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِٱلنَّهَارِ »(٢) ، ويجوزُ أنْ يكونَ بمعنَيَينِ

أحدُهُما أنَّ المِشْكاةَ تستنيرُ بالمِصْباحِ ، فإذا صارَ سراجُ اليقينِ في القلبِ يَزْهَرُ بكثرةِ زيتِ العملِ بالليلِ . . يزدادُ المِصْباحُ إشراقاً ، وتكتسبُ مِشْكاةُ القالَبِ نُوراً وضِياءً .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/١١١-١١٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/٥٦٥) .

(٢) رواه ابن ماجه (١٣٣٣) ، والمروزي في « قيام الليل » (ص٥٨) ، والقضاعي في « المسند » (٤٠٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٨٣٠) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

كانَ يقولُ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (اليقينُ نارٌ ، والإقرارُ فَتيلةٌ ، والعملُ زيتٌ)(١)

وقد قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح ٢٩] ، وقالَ تعالىٰ ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور : ٣٥] .

فنورُ اليقينِ مِنْ نورِ اللهِ تعالىٰ في زُجاجةِ القلبِ ، تزدادُ ضياءً بزيتِ العملِ ، فتبقىٰ زجاجةُ القلبِ كالكوكبِ الدُّرِّيِّ ، وتنعكسُ أنوارُ الزُّجاجةِ علىٰ مِشْكاةِ القالَبِ .

وأيضاً : يلينُ القلبُ بنارِ النورِ ، ويسري لِينُهُ إلى القالَبِ ، فيلينُ القالَبُ للِينِ القلبِ ، فيتشابهانِ لوجودِ اللِّينِ الذي عمَّهُما ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٣] ؛ وَصَفَ الجلودَ باللِّينِ كما وَصَفَ القلوبَ باللِّينِ .

فإذا امتلأَ القلبُ بالنورِ ، ولانَ القالَبُ بما سرىٰ فيهِ مِنَ الأُنْسِ والسُّرورِ . . يندرجُ المكانُ والزمانُ في نورِ القلبِ ، فتندرجُ فيهِ الكَلِمُ والآياتُ والسُّوَرُ ، وتُشرِقُ الأرضُ ـ أرضُ القالَبِ ـ بنورِ ربِّها ؛ إذ يصيرُ القلبُ سماءً ، والقالَبُ أرضاً .

ولَذَّةُ تلاوةِ كلامِ اللهِ تعالىٰ في محلِّ المُناجاةِ . تَستُرُ كونَ الكائناتِ ، والكلامُ المَجيدُ بكونِهِ ينوبُ عن سائرِ الوجودِ في مُزاحمةِ صَفْوِ الشُّهُودِ ، فلا يبقىٰ حينئذٍ للنَّفْسِ حديثٌ ، ولا يُسمَعُ للهاجسِ حَسِيسٌ ، وفي مِثْلِ هٰذهِ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٠٢) ، وأورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٤١٧)

الحالةِ يُتصوَّرُ تلاوةُ القرآنِ مِنْ فاتحتِهِ إلى خاتمتِهِ مِنْ غيرِ وسوسةٍ وحديثِ نَفْسٍ ، وذلكَ هوَ الفضلُ العظيمُ .

والوجهُ الثاني لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ صَلَّىٰ بِٱللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِٱلنَّهَارِ » معناهُ : أنَّ وجوهَ أمورِهِ التي يتوجَّهُ إليها تَحسُنُ ، وتتداركُهُ المَعُونةُ مِنَ اللهِ الكريمِ في تصاريفِهِ ، ويكونُ مُعَاناً في مصدرِهِ وموردِهِ ، فيَحسُنُ وجهُ مقاصدِهِ وأفعالِهِ ، وينتظمُ في سِلْكِ السَّدادِ مُسدَّدُ أقوالِهِ[1] ؛ لأنَّ الأقوالَ تستقيمُ باستقامةِ القلبِ ، واللهُ أعلمُ وأحكمُ

❁ ❁ ❁

---

(١) في النسخ ما عدا (هـ ، ح) : (مسدَّداً أقوالُهُ) .

الباب السادس والأربعون

في ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم

فمِنْ ذلكَ أنَّ العبدَ يستقبلُ الليلَ عندَ غروبِ الشمسِ بتجديدِ الوضوءِ ، ويَقعُدُ مُستقبِلَ القبلةِ مُنتظِراً مجيءَ الليلِ وصلاةَ المغربِ ، مُقيماً في ذلك على أنواعِ الأذكارِ ، ومِنْ أَوْلاها : التسبيحُ والاستغفارُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [غافر : ٥٥] .

ومِنْ ذلكَ : أنْ يُواصِلَ بينَ العِشاءَينِ بالصلاةِ أو بالتلاوةِ أو بالذِّكْرِ ، وأفضلُ ذلكَ : الصلاةُ ؛ فإنَّهُ إذا واصلَ بينَ العِشاءَينِ تنغسلُ عن باطنِهِ آثارُ الكُدُورةِ الحادثةُ في أوقاتِ النهارِ ؛ مِنْ رؤيةِ الخَلْقِ ومُخالطتِهِم ، وسماعِ كلامِهِم ؛ فإنَّ ذلكَ كلَّهُ لهُ أثَرٌ وخَدْشٌ في القلوبِ ؛ حتى النَّظَرُ إليهِم يُعقِبُ كَدَراً في القلبِ ، يُدرِكُهُ مَنْ رُزِقَ صفاءَ القلبِ .

فيكونُ أثرُ النَّظَرِ إلى الخَلْقِ للبصيرةِ كالقَذَىٰ في العينِ للبصرِ ، وبالمُواصَلةِ بينَ العِشاءَينِ يُرجىٰ ذهابُ ذلكَ الأثَرِ .

ومِنْ ذلكَ تركُ الحديثِ بعدَ العِشاءِ الآخِرَةِ ؛ فإنَّ الحديثَ في ذلكَ الوقتِ يُذهِبُ طَرَاوةَ النورِ الحادثِ في القلبِ مِنْ مُواصَلةِ العِشاءَينِ ، ويُقيِّدُ عن قيامِ اللَّيلِ ، سِيَّما إذا كان عَرِيّاً عن يَقَظَةِ القلبِ .

ثمَّ تجديدُ الوضوءِ بعدَ العشاءِ الآخِرَةِ أيضاً . مُعِينٌ على قيامِ الليلِ ؛

حكىٰ لي بعضُ الفقراءِ عن شيخٍ لهُ بخُراسانَ : أنَّهُ كانَ يغتسلُ في الليلِ ثلاثَ مَرَّاتٍ ؛ مرَّةً بعدَ العِشاءِ الآخِرَةِ ، ومرَّةً في أثناءِ الليلِ بعدَ الانتباهِ مِنَ النومِ ، ومرَّةً قبلَ الصبحِ .

فللوضوءِ والغُسْلِ بعدَ العِشاءِ الآخِرَةِ . . أثرٌ ظاهرٌ في تيسيرِ قيامِ الليلِ .

ومِنْ ذلكَ : القعودُ على الذِّكْرِ أوِ القيامِ بالصلاةِ حتىٰ يَغلِبَ النومُ ؛ فإنَّ ذلكَ يُعِينُ علىٰ سُرْعةِ الانتباهِ ، إلا أنْ يكونَ واثقاً مِنْ نَفْسِهِ وعادتِهِ ؛ فيتعمَّلُ للنومِ ويَستجلِبُهُ ليقومَ في وقتِهِ المعهودِ ، وإلا فالنومُ عنِ الغَلَبةِ هوَ الذي يَصلُحُ للمُريدينَ والطالبينَ الصادقينَ ؛ وبهٰذا وُصِفَ المُحِبُّونَ ؛ قيلَ : (نومُهُم نومُ الغَرْقىٰ ، وأكلُهُم أكلُ المَرْضىٰ ، وكلامُهُم ضرورةٌ)(١)

فمَنْ نامَ عن غلبةٍ بهَمٍّ مُجتمِعٍ مُتعلِّقٍ بقيامِ الليلِ . . يُوفَّقُ لقيامِ الليلِ ، وإنَّما النَّفْسُ إذا أُطمِعَتْ ووُطِّنَتْ على النومِ استرسلَتْ فيهِ ، وإذا أُزعِجَتْ بصِدْقِ العزيمةِ . . لا تسترسلُ في الاستقرارِ ، وهٰذا الانزعاجُ في النَّفْسِ بصِدْقِ العزيمةِ . . هوَ التجافي الذي قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة : ١٦] ؛ لأنَّ الهَمَّ بقيامِ الليلِ وصِدْقَ العزيمةِ يجعلُ بينَ الجَنْبِ والمَضْجَعِ قَفْواً وتجافياً(٢)

وقد قيلَ : (للنَّفْسِ نَظَرانِ : نَظَرٌ إلىٰ تحتُ ؛ لاستيفاءِ الأقسامِ البَدَنيَّةِ ،

---

(١) رواه دون الجملة الأخيرة أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٢٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٢٩٨) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/١٩٣ـ١٩٤) عن سري السقطي رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : (قَفْواً) ؛ أي : بعداً ومخالفة . من هامش (ح)

ونَظَرٌ إلىٰ فوقُ ؛ لاستيفاءِ الأقسامِ العُلْويَّةِ الرُّوحانيَّةِ)[1]

فأربابُ العزيمةِ تجافَتْ جنوبُهُم عنِ المضاجعِ ؛ لنظرِهِم إلىٰ فوقُ إلى الأقسامِ العُلْويَّةِ الرُّوحانيَّةِ ، فأَعْطَوُا النُّفوسَ حقَّها مِنَ النومِ ، ومَنَعُوها حظَّها ، فالنَّفْسُ بما فيها مركوزٌ مِنَ التُّرابيَّةِ والجماديَّةِ. تَرسُبُ وتَسْتحلِسُ وتستلذُّ النومَ[2] ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [غافر ٦٧].

وللآدميِّ بكلِّ أصلٍ مِنْ أصولِ خِلْقتِهِ . . طبيعةٌ لازمةٌ لهُ ، والرُّسُوبُ صفةُ الترابِ ، والكسلُ والتقاعدُ والتناوُمُ بسببِ ذلكَ . . طبيعةٌ في الإنسانِ

فأربابُ الهِمَّةِ أهلُ العلمِ الذينَ حَكَمَ اللهُ تعالىٰ لهُم بالعِلْمِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ . . . ﴾ ، حتىٰ قالَ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر ٩]

حَكَمَ لهـٰؤلاءِ الذينَ قاموا بالليلِ بالعلمِ ، فهم لموضعِ علمِهِم أَزْعجُوا النفوسَ عن مَقَارِّ طبيعتِها ، ورَقَّوْها بالنظرِ إلى الذاتِ الرُّوحانيَّةِ إلىٰ ذُرا حقيقتِها ، فتجافَتْ جنوبُهُم عنِ المضاجعِ ، وخرجوا مِنْ صفةِ الغافلِ الهاجعِ

ومِنْ ذلكَ : أنْ يُغيِّرَ العادةَ ؛ فإنْ كانَ ذا وِسادةٍ يتركُ الوِسادةَ ، وإنْ كانَ ذا وِطاءٍ يتركُ الوِطاءَ ، وقد كانَ بعضُهُم يقولُ (لَأَنْ أَرَىٰ في بيتي شيطاناً أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أَرَىٰ وِسادةً ؛ فإنَّها تدعو إلى النومِ)[3]

---

(١) انظر « تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين » (ص٣٢) .

(٢) يُقال : استحلس النباتُ : إذا غطّى الأرضَ بكثرته ، وفي (ج ، هـ) : (وتستجلس) بالجيم .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/١١٣) ، والغزالي في « الإحياء » =

ولتغيُّرِ العادةِ في الوِسادةِ والغِطاءِ والوِطاءِ . . تأثيرٌ في ذلكَ ، ومَنْ تَرَكَ شيئاً مِنْ ذلكَ للهِ تعالىٰ ـ واللهُ أعلمُ بنيَّتِهِ وعزيمتِهِ ـ يُثِيبُهُ علىٰ ذلكَ بتيسيرِ ما رامَ .

ومِنْ ذلكَ : خِفَّةُ المَعِدةِ مِنَ الطعامِ ، ثمَّ تناولُ ما يأكلُهُ مِنَ الطعامِ إذا اقترنَ بذِكْرِ اللهِ تعالىٰ ويَقَظَةِ الباطنِ . . أعانَ علىٰ قيامِ الليلِ ؛ لأنَّ بالذِّكْرِ يذهبُ داؤُهُ .

فإنْ وَجَدَ للطعامِ ثِقَلاً على المَعِدةِ . . ينبغي أنْ يعلمَ أنَّ ثِقَلَهُ على القلبِ أكثرُ ، فلا ينامُ حتىٰ يُذِيبَ الطعامَ بالذِّكْرِ والتلاوةِ والاستغفارِ .

يقولُ بعضُهُم : (لَأَنْ أَنقُصَ لُقْمَةً مِنْ عَشائي أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أقومَ ليلةً)(١)

والأَحْوطُ : أنْ يُوتِرَ قبلَ النومِ ؛ فإنَّهُ لا يدري ماذا يَحدُثُ ، ويُعِدُّ طَهُورَهُ وسِواكَهُ عندَهُ ، ولا يدخلُ النومَ إلا وهوَ علىٰ الوضوءِ والطهارةِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا نَامَ ٱلْعَبْدُ وَهُوَ عَلَى ٱلطَّهَارَةِ . . عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى ٱلْعَرْشِ ، فَكَانَتْ رُؤْيَاهُ صَادِقَةً ، وَإِنْ لَمْ يَنَمْ عَلَى ٱلطَّهَارَةِ . . قَصُرَتْ رُوحُهُ عَنِ ٱلْبُلُوغِ ، فَتَكُونُ ٱلْمَنَامَاتُ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ لَا تَصْدُقُ »(٢)

= (٢/ ٥٥٤) عن وهب بن منبّه رحمه الله تعالىٰ .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٣١١) عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده بلفظه أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٠٣ـ١٠٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٠٦) ، وقال العراقي في « المغني » (١٢٢٠) : (رواه ابن المبارك=

والمُرِيدُ المُتأهِّلُ إذا نامَ في الفراشِ معَ زوجتِهِ.. ينتقضُ وضوءُهُ باللَّمْسِ ، ولا يفوتُهُ بذلكَ فائدةُ النومِ على الطهارةِ ما لم يسترسلْ في التذاذِ النَّفْسِ باللَّمْسِ ، ولا يَعْدَمُ يقظةَ القلبِ ، فأمَّا إذا استرسلَ في الالتذاذِ وغفَلَ.. ينحجبُ الرُّوحُ أيضاً ؛ لمكانِ صَلافتِهِ(١)

ومِنَ الطهارةِ التي تُثمِرُ صِدْقَ الرُّؤْيا : طهارةُ الباطنِ عن خُدُوشِ الهوىٰ ، وكُدُورةِ مَحَبَّةِ الدنيا ، والنَّقَاوةُ عن أنجاسِ الغِلِّ والحِقْدِ والحسدِ ، وقد وَرَدَ : « مَنْ أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ لَا يَنْوِي ظُلْمَ أَحَدٍ ، وَلَا يَحْقِدُ عَلَىٰ أَحَدٍ.. غُفِرَ لَهُ مَا ٱجْتَرَمَ »(٢)

وإذا طَهُرَتِ النَّفْسُ عنِ الرذائلِ.. انجلَتْ مِرْآةُ القلبِ ، وقابلَ اللَّوحَ المحفوظَ في النومِ ، وانتقشَ فيهِ عجائبُ الغيبِ وغرائبُ الأنباءِ .

ففي الصِّدِّيقينَ مَنْ يكونُ لهُ في منامِهِ مُكالَمةٌ ومُحادَثةٌ ، ويأمرُهُ اللهُ تعالىٰ وينهاهُ ، ويُفهِّمُهُ في المنامِ ويُعرِّفُهُ ، ويكونُ موضعُ ما يفتحُ لهُ في نومِهِ مِنَ الأمرِ والنهيِ كالأمرِ والنهيِ الظاهرِ ، يعصي اللهَ تعالىٰ إنْ أَخَلَّ بها ، بل تكونُ

= في « الزهد » [١٢٤٥] موقوفاً علىٰ أبي الدرداء ، والبيهقي في « الشعب » [٢٥٢٧] موقوفاً علىٰ عبد الله بن عمرو بن العاص ، وروى الطبراني في « الأوسط » [٥٢٢٠] من حديث علي : « ما مِنْ عبدٍ ولا أمةٍ تنامُ فتَثْقِلُ نوماً.. إلا عُرِج بروحِهِ إلى العرشِ ، فالذي لا يستيقظُ إلا عندَ العرشِ فتلكَ الرُّؤْيا التي تَصدُقُ ، والذي يستيقظُ دونَ العرشِ فهي الرُّؤْيا التي تكذبُ » ، وسنده ضعيف) ، ورواه أيضاً من حديث سيدنا عليٍّ الحاكمُ (٣٩٦/٤ـ٣٩٧)

(١) كذا في النسخ ، والقياس : (صَلَفه) .

(٢) رواه ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٥٢٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/ ٩٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٢٧٣) .

هـٰذهِ الأوامرُ آكَدَ وأَعْظَمَ وَقْعاً ؛ لأنَّ المخالفاتِ الظاهرةَ تمحوها التوبةُ ، والتائبُ مِنَ الذنبِ كمَنْ لا ذنبَ لهُ ، وهـٰذهِ أوامرُ خاصَّةٌ تتعلَّقُ بحالِهِ فيما بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ ، فإذا أَخَلَّ بها يُخشىٰ أنْ ينقطعَ عليهِ طريقُ الإرادةِ ، ويكونَ في ذلكَ الرجوعُ عنِ اللهِ واستيجابُ مقامِ المَقْتِ .

فإنِ ابتُلِيَ العبدُ في بعضِ الأحايينِ بكَسَلٍ أو فُتُورِ عزيمةٍ يمنعُ مِنْ تجديدِ الطهارةِ عندَ النومِ بعدَ الحَدَثِ . . فلْيَمْسَحْ أعضاءَهُ بالماءِ مَسْحاً حتىٰ يخرجَ بهـٰذا القَدْرِ عن زُمْرةِ الغافلينَ ؛ حيثُ تقاعدَ عن فِعْلِ المُتيقِّظِينَ .

وهكذا إذا كَسِلَ عنِ القيامِ عَقِيبَ الانتباهِ ؛ يجتهدُ أنْ يستاكَ ويمسحَ أعضاءَهُ بالماءِ مَسْحاً حتىٰ يخرجَ في تقلُّباتِهِ وانتباهاتِهِ مِن زمرةِ الغافلينَ ؛ ففي ذلكَ فضلٌ كثيرٌ لمَنْ كثُرَ نومُهُ وقَلَّ قيامُهُ .

رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يستاكُ في كلِّ ليلةٍ مِراراً ؛ عندَ كلِّ نومةٍ ، وعندَ الانتباهِ منها(١)

ويستقبلُ القبلةَ في نومِهِ ، وهو علىٰ نوعَينِ ؛ فإمَّا علىٰ جَنْبِهِ الأيمنِ كالمَلْحودِ ، وإمَّا علىٰ ظهرِهِ مُستقبِلاً للقبلةِ كالميِّتِ المُسجَّىٰ

ويقولُ : (باسمِكَ اللَّهُمَّ وضعتُ جَنْبي وبِكَ أرفعُهُ .

اللَّهُمَّ ؛ إنْ أمسكتَ نَفْسي فٱغْفِرْ لها وارْحَمْها ، وإنْ أرسلتَها فاحْفَظْها بما تحفظُ بهِ عبادَكَ الصالحينَ

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي [أسلمتُ نَفْسي إليكَ](٢) ، ووجَّهتُ وَجْهي إليكَ ،

---

(١) رواه مسلم (٧٦٣/ ١٩١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من المصادر والمراجع .

وفوَّضتُ أَمْري إليكَ ، وأَلْجأتُ ظَهْري إليكَ ؛ رَغبةً ورَهبةً إليكَ ، لا مَلْجأَ ولا مَنْجىٰ منكَ إلا إليكَ ، آمنتُ بكتابِكَ الذي أنزلتَ ، وبنبيِّكَ الذي أرسلتَ

اللَّهُمَّ ؛ قِنِي عذابَكَ يومَ تبعثُ عبادَكَ

الحمدُ للهِ الذي علا فقَهَرَ ، **الحمدُ** للهِ الذي بَطَنَ فخَبَرَ ، **الحمدُ** للهِ الذي مَلَكَ فقَدَرَ ، **الحمدُ** للهِ الذي هوَ يُحيي المَوْتىٰ وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنْ غضبِكَ ، وسوءِ عقابِكَ ، وشرِّ عبادِكَ ، وشرِّ الشيطانِ وشِرْكِهِ)[١]

ويقرأُ خمسَ آياتٍ مِنَ (البقرةِ) ؛ الأربعَ مِنَ الأوَّلِ ، والآيةَ (إنَّ في خَلْقِ السَّماواتِ والأرضِ) ، وآيةَ الكُرْسيِّ ، و(آمنَ الرسولُ) ، و(إنَّ ربَّكُمُ اللهُ)[٢] ، و(قُلِ ادعُوا اللهَ)[٣] ، وأولَ سورةِ (الحديد)[٤] ، وآخِرَ سورةِ (الحشرِ)[٥] ، و(قُلْ يا أيُّها الكافرونَ) ، و(قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، والمُعوِّذتَينِ ، **ويَنفُثُ** بِهِنَّ في يدَيهِ ، **ويمسحُ** بِهِما وجهَهُ وجسدَهُ

وإنْ أضافَ إلىٰ ما قَرَأَ عَشْراً مِنْ أوَّلِ (الكهفِ) ، وعَشْراً مِنْ آخِرِها . . **فحسنٌ**

---

(١) ويُروىٰ أيضاً (وشَرَكِهِ) ؛ أي مصايده وحبائله التي يفتن بها الناس انظر « مرقاة المفاتيح » (٤/١٦٥٩) .

(٢) أي : التي في سورة (الأعراف)

(٣) أي : آخر آيتين من سورة (الإسراء)

(٤) أي : أول خمس آيات منها .

(٥) أي : آخر ثلاث آيات منها

ويقولُ : (اللَّهُمَّ ؛ أَيقِظْني في أَحَبِّ الساعاتِ إليكَ ، واستَعْمِلْني بأَحَبِّ الأعمالِ إليكَ ؛ التي تُقرِّبُني إليكَ زُلْفىٰ ، وتُبعِّدُني عن سَخَطِكَ بُعْداً ؛ حتىٰ أسألَكَ فتُعطِيَني[1] ، وأستغفرَكَ فتغفرَ لي ، وأدعوَكَ فتستجيبَ لي .

اللَّهُمَّ ؛ لا تُؤْمِنِّي مَكْرَكَ ، ولا تُوَلِّني غيرَكَ ، ولا ترفعْ عنِّي سِتْرَكَ ، ولا تُنسِني ذِكْرَكَ ، ولا تَجْعَلْني مِنَ الغافلينَ)

وقد وَرَدَ : أنَّ مَنْ قالَ هـٰذهِ الكلماتِ بَعَثَ اللهُ تعالىٰ إليهِ ثلاثةَ أَمْلاكٍ يُوقِظُونَهُ للصلاةِ ، فإنْ صلَّىٰ ودعا أمَّنوا علىٰ دعائِهِ ، وإنْ لم يَقُمْ تعبَّدتِ الأَمْلاكُ في الهواءِ ، وكُتِبَ لهُ ثوابُ عبادتِهِم[2]

ويُسبِّحُ ويحمدُ ويُكبِّرُ ؛ كلَّ واحدٍ ثلاثاً وثلاثينَ مرَّةً ، ويُتمِّمُ المئةَ بـ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ) .

* * *

---

(١) في (ب) : (اللهم ؛ أسألك) بدل (حتىٰ أسألك) ، وفي باقي النسخ ما عدا (ج) : (أسألك) فقط .

(٢) أورده بلفظه أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٩٧-٩٨) ، ورواه بنحوه الديلمي في « الفردوس » (٢٠١٧) ، وابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٦/ ٢٢٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ورواه أيضاً ابن النجار في « الذيل » (١٩/ ٢٠١-٢٠٢) من كلام معروف الكرخي رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « المغني عن حمل الأسفار » (١١٤٧)

الباب السابع والأربعون

في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل

إذا فَرَغَ المُؤذِّنُ مِنْ أذانِ المغربِ . يُصلِّي ركعتَينِ خفيفتَينِ بينَ الأذانِ والإقامةِ ، وكانَ العلماءُ يُصلُّونَ هاتَينِ الركعتَينِ في البيتِ ، يُعجِّلُونَ بهِما قبلَ الخروجِ إلى الجماعةِ ؛ كيلا يَظُنَّ الناسُ أنَّهُما سُنَّةٌ مُرتَّبةٌ ، فيقتدوا بهِم ظنّاً منهُم بأنَّهُما سُنَّةٌ .

وإذا صلَّى المغربَ يُصلِّي ركعتَيِ السُّنَّةِ بعدَ المغربِ ، يُعجِّلُ بها ؛ فإنَّها تُرفَعُ معَ الفريضةِ ، يقرأُ فيهِما بـ (قُلْ يا أيُّها الكافرونَ) ، و(قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) .

ثمَّ يُسلِّمُ على ملائكةِ الليلِ والكرامِ الكاتبينَ ، فيقولُ : (مرحباً بملائكةِ الليلِ ، مرحباً بالمَلَكَينِ الكريمَينِ الكاتبَينِ ، اكتُبا في صَحِيفتي أنِّي أشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ ، وأشهدُ أنَّ الجنةَ حقٌّ ، والنارَ حقٌّ ، والحوضَ حقٌّ ، والشفاعةَ حقٌّ ، والصِّراطَ حقٌّ ، والمِيزانَ حقٌّ ، والقبرَ حقٌّ ، والسؤالَ حقٌّ ، والحسابَ حقٌّ ، والقِصاصَ حقٌّ ، والكتابَ حقٌّ ، وأشهدُ أنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها ، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ في القبورِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أُودِعُكَ هـٰذهِ الشهادةَ ليومِ حاجتي إليها ، اللَّهُمَّ ؛ احطُطْ بها وِزْري ، واغْفِرْ بها ذَنْبي ، وثَقِّلْ بها مِيزاني ، وأَوْجِبْ لي بها أماني ،

وتجاوَزْ عنِّي برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ)

فإنْ واصلَ بينَ العِشاءَينِ في مسجدِ جماعتِهِ.. يكونُ جامعاً بينَ الاعتكافِ ومُواصَلةِ العِشاءَينِ ، وإنْ رأى انصرافَهُ إلىٰ منزِلِهِ والمُواصَلةَ بينَ العِشاءَينِ في بيتِهِ أسلمَ لدِينِهِ ، وأقربَ إلى الإخلاصِ ، وأجْمعَ للهَمِّ.. فلْيَفْعَلْ

وسُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن قولِهِ تعالىٰ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة : ٢٣] ، فقالَ : « هِيَ ٱلصَّلَاةُ بَيْنَ ٱلْعِشَاءَيْنِ »(١)

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « عَلَيْكُمْ بِٱلصَّلَاةِ بَيْنَ ٱلْعِشَاءَيْنِ ؛ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِمُلَاغَاتِ ٱلنَّهَارِ ، وَتُهَذِّبُ آخِرَهُ »(٢)

ويجعلُ مِنَ الصلاةِ بينَ العِشاءَينِ ركعتَينِ بسورةِ (البروجِ) و(الطارقِ)، ثمَّ ركعتَينِ ؛ يقرأُ في الأُولىٰ : عشرَ آياتٍ مِنْ أوَّلِ سورةِ (البقرةِ)، والآيتَينِ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ . . . ﴾ إلىٰ آخِرِ الآيتَينِ [البقرة : ١٦٣ـ١٦٤] ، وخمسَ عَشْرَةَ مرَّةً (قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، وفي الثانيةِ : آيةَ الكُرْسيِّ ، و(آمنَ الرسولُ) ، وخمسَ عَشْرَةَ مرَّةً (قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ)

---

(١) رواه أبو داود (١٣٢١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٥٩٨١) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٣/ ١٩) موقوفاً علىٰ سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه الديلمي في « الفردوس » (٤٠٢٩) عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وفيه : (ومَهْدنة آخره مَهْدنة مضعفة) بدل (وتهذب آخره) ، وانظر « المغني عن حمل الأسفار » (١٢٠٣) ، و« غنية العارف » (٢/ ٦٥١ـ٦٥٢) ، وقوله : (بمُلاغات...) قال أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٥٦) : (جمع « ملغاة » ؛ من اللغو ؛ أي : تسقط اللغو ؛ أي : تطرح المطرح عن العبد من الباطل واللهو ، وتُهذِّب له آخره ؛ أي : تُصفِّيه وتُجوِّده) .

ويقرأُ في ركعتَينِ أُخْرَيَيْنِ : سورةَ (الزُّمَرِ) و(الواقعةِ)

ويُصلِّي بعدَ ذلكَ ما شاءَ ، فإنْ أرادَ يقرأُ شيئاً مِنْ حِزْبِهِ في هٰذا الوقتِ في الصلاةِ أو غيرِها[1] ، وإنْ شاءَ صلَّىٰ عشرينَ ركعةً خفيفةً بسورةِ (الإخلاصِ) و(الفاتحةِ)

ولو واصلَ بينَ العِشاءَينِ بركعتَينِ يُطِيلُهُما . . فحَسَنٌ ، وفي هاتَينِ الركعتَينِ يُطِيلُ القيامَ تالياً للقرآنِ حِزْبَهُ ، أو مُكرِّراً فيهما آيةً فيها الدعاءُ والتلاوةُ ؛ مثلُ أنْ يقرأَ مُكرِّراً ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة : ٤] ، أو يقرأَ آيةً أُخرىٰ في معناها ، فيكونُ جامعاً بينَ التلاوةِ والصلاةِ والدعاءِ ؛ ففي ذلكَ جمعُ الهَمِّ ، وظَفَرٌ بالفضلِ .

ثمَّ يُصلِّي قبلَ العشاءِ أربعاً ، وبعدَها ركعتَينِ ، ثمَّ ينصرفُ إلىٰ منزلِهِ أو موضعِ خَلْوتِهِ فيُصلِّي أربعاً أُخَرَ ، وقد كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُصلِّي في بيتِهِ أوَّلَ ما يدخلُ قبلَ أنْ يجلسَ أربعاً[2]

ويقرأُ في هٰذهِ الأربعِ سورةَ (لُقْمانَ) ، و(يسٓ) ، و(حمٓ الدخانَ) ، و(تباركَ المُلْكَ) ، وإنْ أرادَ أنْ يُخفِّفَ فيقرأُ فيها آيةَ الكُرْسيِّ ، و(آمنَ الرسولُ) ، وأوَّلَ سورةِ (الحديدِ) ، وآخِرَ سورةِ (الحشرِ)

ويُصلِّي بعدَ الأربعِ إحدىٰ عَشْرَةَ ركعةً ؛ يقرأُ فيها بثلاثِ مئةِ آيةٍ مِنَ القرآنِ ؛ ومِنْ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ [الطارق ١] إلىٰ آخرِ القرآنِ ثلاثُ مئةِ

---

(١) في بعض النسخ : (أو غيره)

(٢) رواه أبو داود (١٣٠٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٤٧٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها

آيةٍ ، هـٰكذا ذَكَرَ الشيخُ أبو طالبِ المَكِّيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ[١] ، وإنْ أرادَ قَرَأَ هـٰذا القَدْرَ في أقلَّ مِنْ هـٰذا العددِ مِنَ الرَّكَعاتِ[٢] ، وإنْ قرأَ مِنْ سورةِ (المُلْكِ) إلىٰ آخرِ القرآنِ ـ وهوَ ألفُ آيةٍ ـ فهوَ خيرٌ عظيمٌ كثيرٌ .

وإنْ لم يَحفَظِ القرآنَ يقرأُ في كلِّ ركعةٍ خمسَ مرَّاتٍ : (قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، إلىٰ عشرِ مرَّاتٍ ، إلىٰ أكثرَ

ولا يُؤَخِّرُ الوِتْرَ إلىٰ آخِرِ التهجُّدِ ، إلا أنْ يكونَ واثقاً مِنْ نَفْسِهِ في عادتِها الانتباهَ للتهجُّدِ ؛ فيكونُ تأخيرُ الوِتْرِ إلىٰ آخرِ التهجُّدِ حينئذٍ أفضلَ .

وقد كانَ بعضُ العلماءِ إذا أَوْتَرَ قبلَ النومِ ثمَّ قامَ يتهجَّدُ . . يُصلِّي ركعةً يشفعُ بها وِتْرَهُ ، ثمَّ يتنفَّلُ بما شاءَ ، ويُوتِرُ في آخرِ ذلكَ[٣]

وإذا كانَ الوِتْرُ مِنْ أوَّلِ الليلِ . . يُصلِّي بعدَ الوِتْرِ ركعتَينِ جالساً يقرأُ فيهِما بـ (إذا زُلزِلَتْ) ، و(ألهاكُم) .

وقيلَ : إنَّ فعلَ الركعتَينِ قاعداً بمنزلةِ الركعةِ قائماً يشفعُ لهُ الوِتْرَ ؛ حتىٰ إذا أرادَ التهجُّدَ يأتي بهِ ويُوتِرُ في آخرِ تهجُّدِهِ ، ونيةُ هاتَينِ الركعتَينِ نيةُ النَّفْلِ لا غيرُ ذلكَ ؛ فكثيراً ما رأيتُ الناسَ يتفاوضونَ في كيفيَّةِ نيَّتِهِما

وإنْ قرأَ في كلِّ ليلةٍ المُسبِّحاتِ ، وأضافَ إليها سورةَ (الأعلىٰ) فتصيرُ

---

(١) قوت القلوب (١/ ٥٧) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١/ ٥٧) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٥٩) ، وقال : (وقد رُوي في هـٰذا أثر عن عثمان وعلي رضي الله عنهما)

سبعاً[١] . . فقد كانَ العلماءُ يقرؤونَ هـٰذهِ السُّوَرَ ويتعرَّفونَ بركتَها[٢]

فإذا استيقظَ مِنَ النومِ فمِنْ أحسنِ الأدبِ عندَ الانتباهِ : أنْ يذهبَ بباطنِهِ إلى اللهِ تعالىٰ ، ويصرفَ فِكْرَهُ إلىٰ أمرِ اللهِ تعالىٰ قبلَ أنْ يجولَ الفكرُ في شيءٍ سوى اللهِ تعالىٰ[٣] ، ويُشغِلَ اللسانَ بالذِّكْرِ ؛ فالصادقُ كالطفلِ الكَلِفِ بالشيءِ[٤] ؛ إذا نامَ ينامُ علىٰ محبَّةِ الشيءِ ، وإذا انتبهَ يطلبُ ذلكَ الشيءَ الذي كانَ كَلِفاً بهِ .

وعلىٰ حَسَبِ هـٰذا الكَلَفِ والشُّغْلِ يكونُ الموتُ والقيامُ إلى الحشرِ

فلْيَنظُرْ ولْيَعتَبِرْ عندَ انتباهِهِ مِنَ النومِ ما همُّهُ[٥] ؛ فإنَّهُ هـٰكذا يكونُ عندَ القيامِ مِنَ القبرِ ؛ إنْ كانَ همُّهُ اللهَ فهمُّهُ هوَ ، وإلا فهمُّهُ غيرُ اللهِ[٦]

والعبدُ إذا انتبهَ مِنَ النومِ فباطنُهُ عائدٌ إلىٰ طهارةِ الفِطْرةِ ؛ فلا يَدَعُ الباطنَ يتغيَّرُ بغيرِ ذِكْرِ اللهِ تعالىٰ ؛ حتىٰ لا يذهبَ عنهُ نورُ الفِطْرةِ الذي انتبهَ عليهِ ، ويكونَ فارّاً إلىٰ ربِّهِ بباطنِهِ خوفاً مِنْ ذِكْرِ الأغيارِ .

ومهما وَفَى الباطنُ بهـٰذا العِيارِ . . فقد نقَّىٰ طريقَ الأنوارِ ، وطُرُقَ

---

(١) والمُسبِّحات الستُّ هي : سورة (الإسراء)، و(الحديد)، و(الحشر) ، و(الصف)، و(الجمعة) ، و(التغابن) .
(٢) انظر « قوت القلوب » (١/٥٨) .
(٣) في النسخ ما عدا (أ ، هـ ، و ، ز) : (يحول) بدل (يجول) .
(٤) يُقال : كَلِفَ بالشيء كَلَفاً فهو كَلِفٌ : إذا أحبَّهُ وأُولِعَ به .
(٥) زاد في (د) : (من أمر دينه)
(٦) أي : إن كان همُّهُ اللهَ كان عند القيام من القبر مع الله ، وإن كان همُّهُ مع غير الله كان عند القيام مع غير الله ، فافهمْ تَرشُدْ . من هامش (ح) .

النَّفَحَاتِ الإلـٰهيّةِ[1] ، فجديرٌ أنْ تنصبَّ إليهِ أقسامُ الليلِ انصباباً ، ويصيرَ جَنابُ القُرْبِ لهُ مَوْئلاً ومآباً !!

ويقولُ باللِّسانِ : (الحمدُ للهِ الذي أَحْيانا بعدَ ما أماتَنا وإليهِ النُّشورُ) ، ويقرأُ العشرَ الأواخرَ مِنْ سورةِ (آلِ عِمْرانَ)

ثمَّ يقصدُ الماءَ الطَّهُورَ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ [الأنفال : ١١] ، وقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد : ١٧] .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (الماءُ : القرآنُ ، والأوديةُ : القلوبُ ، فسالَتْ بقَدَرِها واحتملَتْ ما وَسِعَتْ)[2]

والماءُ مُطهِّرٌ ، والقرآنُ مُطهِّرٌ ، والقرآنُ بالتطهيرِ أَجْدرُ ؛ فالماءُ يقومُ غيرُهُ مَقَامَهُ ، والقرآنُ والعِلْمُ لا يقومُ غيرُهُ مَقَامَهُ ولا يَسُدُّ مَسَدَّهُ

فالماءُ الطَّهُورُ يُطهِّرُ الظاهرَ ، والقرآنُ والعِلْمُ يُطهِّرانِ الباطنَ ، ويُذْهِبانِ رِجْزَ الشيطانِ[3]

فالنومُ غَفْلَةٌ ، وهوَ مِنْ آثارِ الطبعِ ، وجديرٌ أنْ يكونَ مِنْ رِجْزِ الشيطانِ ؛ لما فيهِ مِنَ الغَفْلةِ عنِ اللهِ تعالىٰ !!

---

(١) في بعض النسخ : (وطرَّق للنفحات الإلـٰهية) ، ويجوز أن يُضبط المثبت : (وَطَرَقَ النفحاتِ الإلـٰهيةَ) .

(٢) سبق تخريجه في (١/ ١٦٩) .

(٣) في بعض النسخ هنا وفيما سيأتي في أكثر من موضع : (رجس) بدل (رجز) ، وكلاهما بمعنىً ؛ وهو الوسخ والقَذَر .

وذلكَ أنَّ اللهَ تعالىٰ أَمَرَ بقبضِ القَبْضةِ مِنَ الترابِ مِنْ وجهِ الأرضِ ، وكانتِ القَبْضةُ جلدةَ الأرضِ ، والجِلْدةُ ظاهرُها بَشَرَةٌ وباطنُها أَدَمَةٌ[(١)] ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص : ٧١] .

فالبَشَرَةُ والبَشَرُ عبارةٌ عن ظاهرِهِ وصُورتِهِ ، والأَدَمَةُ عبارةٌ عن باطنِهِ وآدميَّتِهِ ، والآدميَّةُ مَجْمَعُ الأخلاقِ الحميدةِ ، وكانَ الترابُ مَوْطِئَ أقدامِ إبليسَ ، ومِنْ ذلكَ اكتسبَ ظُلْمةً ، وصارتْ تلكَ الظُّلْمةُ معجونةً في طِينةِ الآدميِّ ، ومنها الصفاتُ المذمومةُ والأخلاقُ الرديئةُ ، ومنها الغَفْلةُ والسهوُ .

فإذا استعملَ الماءَ وقَرَأَ القرآنَ . . فقد أتىٰ بالمُطهِّرَينِ جميعاً ، ويذهبُ عنهُ رِجْزُ الشيطانِ وأَثَرُ وَطْأَتِهِ ، ويُحكَمُ لهُ بالعلمِ ، والخروجِ مِنْ حَيِّزِ الجهلِ .

فاستعمالُ الطَّهُورِ أمرٌ شرعيٌّ لهُ تأثيرٌ في تنويرِ القلبِ بإزاءِ النومِ ؛ الذي هوَ الحكمُ الطَّبَعيُّ الذي لهُ تأثيرٌ في تكديرِ القلبِ ، فيذهبُ نورُ هٰذا بظُلْمةِ ذلكَ .

ولهٰذا رأىٰ بعضُ العلماءِ الوضوءَ ممَّا مَسَّتِ النارُ[(٢)] ، وحَكَمَ أبو حنيفةَ

---

(١) الأَدَمَة : باطن الجلد الذي يلي اللحمَ ، وفلانٌ مُؤْدَمٌ مُبشَرٌ ؛ أي : جَمَعَ لِينَ الأَدَمَةِ وخشونةَ البشرة ، ويُستخدم مجازاً لمن جمع لِيناً وشدَّةً مع المعرفة بالأمور .

(٢) اختلف العلماء في مسألة الوضوء مِنْ أكل المأكولات علىٰ ثلاثة مذاهبَ :

الأوَّل : أنَّهُ لا يجبُ الوضوءُ بأكل شيءٍ ، سواءٌ ما مسَّته النارُ ولحمُ الإبل وغيرُ ذلك ، وبه قال جمهور العلماء ، وهو مَحْكِيٌّ عن أبي بكر الصِّدِّيق وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ، وبه قال جمهور التابعين ومالك وأبو حنيفة ، وهو مذهب الإمام الشافعي . =

رضيَ اللهُ عنهُ بالوضوءِ مِنَ القهقهةِ في الصلاةِ حيثُ رآهُ حُكْماً طَبَعِيّاً جالباً للإثمِ ، والإثمُ رِجْزٌ مِنَ الشيطانِ ، والماءُ يُذهِبُ رِجْزَ الشيطانِ[1] ؛ حتىٰ كانَ بعضُهُم يتوضَّأُ عندَ الغِيبةِ والكَذِبِ وعندَ الغضبِ ؛ لظهورِ النَّفْسِ ، وتصرُّفِ الشيطانِ في هٰذهِ المواطنِ[2]

ولو أنَّ المُتحفِّظَ المُراعِيَ المُراقِبَ المُحاسِبَ كلَّما انطلقَتِ النَّفْسُ في مُباحٍ ـ مِنْ كلامٍ ، أو مُساكَنةٍ إلىٰ مُخالَطةِ الناسِ ، أو غيرِ ذلكَ ممَّا هوَ بعَرَضِيَّةِ تحليلِ عَقْدِ العزيمةِ ؛ كالخوضِ فيما لا يَعْني قولاً وفعلاً ـ عَقَّبَ ذلكَ بتجديدِ الوضوءِ . . ثَبَتَ القلبُ علىٰ طهارتِهِ ونَزَاهتِهِ[3] ، ولَكَانَ الوضوءُ لصفاءِ البصيرةِ بمثابةِ الجَفْنِ الذي لا يزالُ بخِفَّةِ حركتِهِ يَجْلُو البَصَرَ ، وما يَعقِلُها إلا العالِمونَ .

فتفكَّرْ فيما نبَّهتُكَ عليهِ تَجِدْ بركتَهُ وأَثَرَهُ

ولوِ اغتسلَ عندَ هٰذهِ المُتجدِّداتِ والعوارضِ والانتباهِ مِنَ النومِ . . كانَ

= الثاني : أنَّهُ يجب ممَّا مسَّته النارُ ، وهو قولُ عمرَ بن عبد العزيز والحسن البَصْري والزهري ، وحكاه ابن المنذر عن جماعة من الصحابة ؛ منهم : ابن عمر وزيد بن ثابت وعائشة رضي الله عنهم .

الثالث : يجبُ الوضوءُ من أكل لحم الجَزُور خاصَّةً ، وهو قولُ الإمام أحمدَ ، وحكاه الماورديُّ عن جماعة من الصحابة ؛ منهم : زيد بن ثابت وابن عمر وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم ، وهو القول القديم للإمام الشافعي ، ورجَّحه الإمام النووي . انظر « المجموع » (٢/ ٦٦) .

(١) سبق تفصيل قول الحنفية في (٢/ ٧٠ـ ٧١) .

(٢) انظر « المجموع » (١/ ٤٩٧) ، و« حاشية ابن عابدين » (١/ ١٩٧ـ ١٩٨) .

(٣) قوله : (عقَّب) جوابُ (كلَّما) ، وقولُه : (ثَبَتَ) جواب (لو) ، ويجوز أن يُقرأ : (ثبَّت) ، ويكون (القلب) مفعولاً

أَزْيدَ في تنويرِ قلبِهِ ، ولَكَانَ الأَجْدرُ أنَّ العبدَ يغتسلُ لكلِّ فريضةٍ ، باذلاً مجهودَهُ في الاستعدادِ لمُناجاةِ اللهِ تعالىٰ

ويُجدِّدُ غَسْلَ الباطنِ بصِدْقِ الإنابةِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الروم : ٣١] ؛ قَدَّمَ الإنابةَ للدخولِ في الصلاةِ .

ولـٰكنْ مِنْ رحمةِ اللهِ تعالىٰ ، وحُكْمِ الحَنيفيَّةِ السَّهْلةِ السَّمْحةِ . . أنْ رَفَعَ الحَرَجَ[1] ، وعَوَّضَ بالوضوءِ عنِ الغُسْلِ ، وجوَّزَ أداءَ مُفترَضاتٍ بوضوءٍ واحدٍ ؛ رفعاً للحرجِ عن عامَّةِ الأُمَّةِ ، وللخواصِّ وأهلِ العزيمةِ مُطالَباتٌ مِنْ بواطنِهم تَحكُمُ عليهِم بالأَوْلىٰ ، وتُلجِئُهُم إلىٰ سلوكِ طريقِ الأَعْلىٰ

فإذا قامَ إلى الصلاةِ وأرادَ استفتاحَ التهجُّدِ . . يقولُ (اللهُ أكبرُ كبيراً ، والحمدُ للهِ كثيراً ، وسبحانَ اللهِ بُكْرةً وأصيلاً) ، ويقولُ : (سبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ . . .) الكلماتِ عَشْرَ مرَّاتٍ[2]

ويقولُ : (اللهُ أكبرُ ذو المُلْكِ والمَلَكُوتِ ، والجَبَرُوتِ والكِبْرياءِ ، والعَظَمَةِ والجلالِ ، والقُدْرةِ[3]

اللَّهُمَّ ؛ لكَ الحمدُ أنتَ نورُ السماواتِ والأرضِ ، ولكَ الحمدُ أنتَ بهاءُ السماواتِ والأرضِ ، ولكَ الحمدُ أنتَ قيُّومُ السماواتِ والأرضِ ، ولكَ

---

(١) ويجوز أن تكون العبارة أيضاً : (ولـٰكن رحمةُ . . . وحكمُ . . . رفعُ الحَرَج) ، وقد وُجدت كذلك في بعض النسخ

(٢) قوله : (الكلمات) يعني : (ولا إلـٰه إلا اللهُ واللهُ أكبرُ ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العَليِّ العظيم) من هامش (ح) ، وهو كذلك في « قوت القلوب » (١/ ١٠٤) دون ذكر الحوقلة .

(٣) زاد في (د) : (والكمال) .

الحمدُ أنتَ ربُّ السماواتِ والأرضِ ومَنْ فيهِنَّ ومَنْ عليهِنَّ ، أنتَ الحقُّ ، ومنكَ الحقُّ ، ووعدُكَ الحقُّ ، ولقاؤُكَ حقٌّ ، والجنَّةُ حقٌّ ، والنارُ حقٌّ ، والنبيُّونَ حقٌّ ، ومحمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حقٌّ

اللَّهُمَّ ، لكَ أَسْلمتُ ، وبكَ آمنتُ ، وعليكَ توكَّلتُ ، وبكَ خاصمتُ ، وإليكَ حاكمتُ ؛ فاغْفِرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ ، وما أسررتُ وما أَعْلنتُ ، وما أنتَ أعلمُ بهِ منِّي ؛ أنتَ المُقدِّمُ وأنتَ المُؤخِّرُ لا إلـٰهَ إلا أنتَ .

اللَّهُمَّ ؛ آتِ نَفْسي تَقْواها ، وزَكِّها أنتَ خيرُ مَنْ زكَّاها ، أنتَ وَلِيُّها ومَوْلاها .

اللَّهُمَّ ؛ اهْدِني لأحسنِ الأخلاقِ ؛ لا يهدي لأَحْسنِها إلا أنتَ ، واصْرِفْ عنِّي سيِّئَها ؛ لا يَصرِفُ عنِّي سيِّئَها إلا أنتَ .

أسالُكَ مسألةَ البائسِ المسكينِ ، وأدعوكَ دعاءَ الفقيرِ الذليلِ ، فلا تَجْعَلْني بدعائِكَ ربِّ شَقِيّاً ، وكُنْ بي رَؤُوفاً رحيماً ، يا خيرَ المسؤولينَ ، ويا أَكْرمَ المُعطِينَ) .

ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ تحيَّةَ الطهارةِ ؛ يقرأُ في الأُولىٰ بعدَ (الفاتحةِ) : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ . . . ﴾ الآيةَ [النساء : ٦٤] ، وفي الثانية : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١١٠] ، ويستغفرُ بعدَ الركعتَينِ مرَّاتٍ .

ثمَّ يستفتحُ الصلاةَ بركعتَينِ خفيفتَينِ ؛ إنْ أرادَ يقرأُ فيهِما بآيةِ الكُرْسيِّ و(آمنَ الرسولُ) ، وإنْ أرادَ قرأَ غيرَ ذلكَ ، ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ طويلتَينِ .

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ كانَ يتهجَّدُ هٰكذا ، ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ طويلتَينِ أقصرَ مِنَ الأُولَيَينِ ، وهٰكذا يُدرِّجُ إلىٰ أنْ يُصلِّيَ اثنتَيْ عَشْرَةَ ركعةً[1] ، أو ثمانِ ركعاتٍ[2] ، أو يزيدُ علىٰ ذلكَ ؛ ففي كلِّ ذلكَ فضلٌ كبيرٌ[3] ، واللهُ أعلمُ .

* * *

---

(١) إلىٰ هنا رواه مسلم (٧٦٥) عن سيدنا زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم (٧٦٣/ ١٩١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

(٣) في (أ ، و ، ز) : (كثير) ، وفي (د) : (عظيم)

الباب الثامن والأربعون

في تقسيم قيام الليل

قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٤] .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] : كانَ عَمَلُهُم قيامَ الليلِ[(١)]

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالى : ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة : ١٥٣] : استعينوا بصلاةِ الليلِ على مُجاهَدةِ النَّفْسِ ومُصابَرةِ العدوِّ[(٢)]

وفي الخبرِ : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ ٱللَّيْلِ ؛ فَإِنَّهُ مَرْضَاةٌ لِرَبِّكُمْ ، وَهُوَ دَأْبُ ٱلصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ ٱلْإِثْمِ ، وَمَلْغَاةٌ لِلْوِزْرِ ، وَمُذْهِبٌ كَيْدَ ٱلشَّيْطَانِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ ٱلْجَسَدِ »[(٣)]

وقد كانَ جمعٌ مِنَ الصالحينَ يقومونَ الليلَ كلَّهُ ؛ حتىٰ نُقِلَ ذلكَ عن

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (٢٠/ ١٨٠ـ ١٨٢) ، و« النكت والعيون » (٤/ ٣٦٣) ، و« قوت القلوب » (١/ ١٠٦)

(٢) انظر « قوت القلوب » (١/ ١٠٧) .

(٣) رواه الترمذي (٣٥٤٩) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٥٠٢) عن سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه ، وابن خزيمة (١١٣٥) ، والحاكم (١/ ٣٠٨) عن سيدنا أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

أربعينَ مِنَ التابعينَ كانوا يُصلُّون الغَداةَ بوضوءِ العِشاءِ ؛ منهُم سعيدُ بنُ المُسيِّبِ ، وفُضيلُ بنُ عياضٍ ، ووُهَيبُ بنُ الوردِ ، وأبو سليمانَ الدَّارانيُّ ، وعليُّ بنُ بكَّارٍ ، وحَبيبٌ العَجَميُّ ، وكَهْمَسُ بنُ المِنْهالِ ، وأبو حازمٍ ، ومحمَّدُ بنُ المُنكدِرِ ، وغيرُهُم ؛ عدَّهُم وسمَّاهُم بأنسابِهِمُ الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمَهُ اللهُ في كتابِهِ « قوت القلوب »[1]

فمَنْ عَجزَ عن ذلكَ يُستحَبُّ لهُ قيامُ ثُلُثَيهِ أو ثُلُثِهِ ، وأقلُّ الاستحبابِ سُدُسُ الليلِ

فإمَّا أنْ ينامَ ثُلُثَ الليلِ الأوَّلَ ويقومَ نصفَهُ وينامَ سُدُسَهُ الآخِرَ ، أو ينامَ النصفَ الأوَّلَ ويقومَ ثُلُثَهُ وينامَ السُّدُسَ .

رُوِيَ أنَّ داودَ عليهِ السلامُ قالَ : يا ربِّ ؛ إنِّي أُحِبُّ أنْ أتعبَّدَ لكَ ، فأيَّ وقتٍ أقومُ ؟ فأَوْحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : يا داودُ ؛ لا تَقُمْ أوَّلَ الليلِ ولا آخِرَهُ ؛ فإنَّهُ مَنْ قامَ أوَّلَهُ نامَ آخِرَهُ ، ومَنْ قامَ آخِرَهُ نامَ أوَّلَهُ ، ولـٰكن قُمْ وَسَطَ الليلِ ، حتىٰ تخلوَ بي وأخلوَ بكَ ، وارفعْ إليَّ حوائجَكَ[2]

فيكونُ القيامُ بينَ النومتَينِ ، وإلا فيُغالِبُ النَّفْسَ مِنْ أوَّلِ الليلِ ويتنفَّلُ ، فإذا غلبَهُ النومُ ينامُ ، فإذا انتبهَ يتوضَّأُ ، فيكونُ لهُ قومتانِ ونومتانِ ، ويكونُ ذلكَ مِنْ أفضلِ ما يفعلُهُ

---

(١) قوت القلوب (١/ ١١٣ـ١١٤) ، وزاد في (ي) بعد محمد بن المنكدر : أبا حنيفة ، وهو ليس في « القوت » المنقولِ الكلامُ منه وإن كان المشهورُ عنه ذلك رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه وأرضاه ، كما رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٥٤)

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٦١)، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥١٥).

ولا يُصلِّي وعندَهُ نومٌ يشغلُهُ عنِ الصلاةِ والتلاوةِ حتىٰ يعقلَ ما يقولُ ، وقد وَرَدَ : « لَا تُكَابِدُوا ٱللَّيْلَ »(1)

وقيلَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّ فُلانةَ تُصلِّي مِنَ الليلِ ، فإذا غَلَبَها النومُ تعلَّقتْ بحبلٍ ، فنهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن ذلكَ وقالَ : « لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ مِنَ ٱللَّيْلِ مَا تَيَسَّرَ ، فَإِذَا غَلَبَهُ ٱلنَّوْمُ فَلْيَنَمْ »(2)

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لَا تُشَادُّوا هَـٰذَا ٱلدِّينَ ؛ فَإِنَّهُ مَتِينٌ ، فَمَنْ يُشَادُّهُ يَغْلِبْهُ ، وَلَا تُبَغِّضَنَّ إِلَىٰ نَفْسِكَ عِبَادَةَ ٱللهِ »(3)

ولا يليقُ بالطالبِ ولا ينبغي لهُ أنْ يَطلُعَ الفجرُ وهوَ نائمٌ ، إلا أنْ يكونَ سَبَقَ لهُ في الليلِ قيامٌ طويلٌ ، فيُعذَرُ في ذلكَ ؛ علىٰ أنَّهُ إذا استيقظَ قبلَ الفجرِ بساعةٍ معَ قيامٍ قليلٍ سَبَقَ في الليلِ . . يكونُ أفضلَ مِنْ قيامٍ طويلٍ ، ثمَّ النومِ إلىٰ بعدَ طلوعِ الفجرِ

فإذا استيقظَ قبلَ طُلُوعِ الفجرِ . . يُكثِرُ الاستغفارَ والتسبيحَ ، ويغتنمُ تلكَ

---

(1) رواه الديلمي في « الفردوس » (٧٤٦٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وعزاه العراقي في « المغني » (١٢٢٧) إلىٰ « جامع سفيان الثوري » موقوفاً علىٰ سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(2) رواه بنحوه البخاري (١١٥٠) ، ومسلم (٧٨٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وفلانة : هي سيدتنا أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها .

(3) هو مُركَّب من حديثين : **الأوّل** : رواه البخاري (٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، ولن يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلبَهُ . . . » ، **والثاني** : رواه البزار كما في « كشف الأستار » (٧٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٨/٣) ، وأبو الشيخ في « أمثال الحديث » (٢٢٩) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ : « إنَّ هـٰذا الدِّينَ مَتينٌ ، فأَوْغِلْ فيهِ برِفْقٍ، ولا تُبغِّضْ إلىٰ نَفسِكَ عبادةَ اللهِ . . . » .

الساعةَ ، وكلَّما يُصلِّي بالليلِ يجلسُ قليلاً بعدَ كلِّ ركعتَينِ ، ويُسبِّحُ ويستغفرُ ويُصلِّي علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُ يجدُ بذلكَ ترويحاً وقوَّةً على القيامِ

وقد كانَ بعضُ الصالحينَ يقولُ : (هيَ أوَّلُ نَوْمةٍ ، فإنِ انتبهتُ ثمَّ عُدْتُ إلىٰ نَوْمةٍ أُخرىٰ . . فلا أنامَ اللهُ عيني)(١)

وحكىٰ لي بعضُ الفقراءِ عن شيخٍ لهُ : أنَّهُ كانَ يأمرُ الأصحابَ بنَوْمةٍ واحدةٍ بالليل ، وأَكْلةٍ واحدةٍ لليومِ والليلةِ

وقد جاءَ في الخبرِ : « قُمْ مِنَ ٱللَّيْلِ وَلَوْ قَدْرَ حَلْبِ شَاةٍ »(٢) ، وقيلَ : يكونُ ذلكَ قَدْرَ أربعِ رَكَعاتٍ ، وقيلَ : قَدْرَ ركعتَينِ(٣)

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] هوَ قيامُ الليلِ(٤)

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١١٨) ، ورواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٦٠) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤١١٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٢٦٧٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : فذكرتُ صلاة الليل ، فقال بعضُهُم : إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « نصفَهُ ، ثُلُثَهُ ، رُبُعَهُ ، فُواقَ حَلْبِ ناقةٍ ، فُواقَ حَلْبِ شاةٍ » ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٢٠٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١/ ٢٧١) مرسلاً عن إياس بن معاوية المزني رحمه الله تعالىٰ ، وأحمد في « الزهد » (١٧٦٦) من كلام محمد بن سيرين رحمه الله تعالىٰ ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٣٩٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٩٤٦) من كلام الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) انظر « قوت القلوب » (١/ ١٢٠) .

(٤) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٨/ ٢٠٩) عن بعض زُهَّاد اليمن .

وَمَنْ حُرِمَ قيامَ الليلِ كَسَلاً وفُتُوراً في العزيمةِ ، أو تهاوناً بهِ لِقِلَّةِ الاعتدادِ بذلكَ ، أوِ اغتراراً بحالِهِ.. فليَبْكِ عليهِ ؛ فقد قُطِعَ عليهِ طريقٌ كبيرٌ مِنَ الخيرِ[1]

وقد يكونُ مِنْ أربابِ الأحوالِ مَنْ يكونُ لهُ إيواءٌ إلى القُرْبِ ، ويجدُ مِنْ دَعَةِ القُرْبِ ما يُفتِّرُ عليهِ داعيةَ الشوقِ[2] ، ويرىٰ أنَّ القيامَ وقوفٌ في مقامِ الشوقِ ، وهٰذا يَغلَطُ فيهِ ويَهلِكُ بهِ خلقٌ كثيرٌ مِنَ المُدَّعِينَ ، والذي لهُ ذلكَ ينبغي أنْ يعلمَ أنَّ استمرارَ هٰذهِ الحالةِ مُتعذِّرٌ ، والإنسانَ مُتعرِّضٌ للقُصُورِ والتخلُّفِ والشُّبْهةِ ، ولا حالةَ أجلُّ مِنْ حالِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ وما استغنىٰ عن قيامِ الليلِ ، وقامَ حتىٰ تورَّمتْ قَدَماهُ[3]

وقد يقولُ بعضُ مَنْ يُحَاجُّ في ذلكَ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَعَلَ ذلكَ تشريعاً

فنقولُ : ما بالُنا لا نتَّبِعُ تشريعَهُ ، وهٰذهِ دقيقةٌ .

فليُعلَمْ : أنَّ رُؤْيةَ الفضيلةِ في تركِ القيامِ ، وادِّعاءَ الإيواءِ إلىٰ جَنَابِ القُرْبِ ، واستواءِ النومِ واليَقَظةِ.. امتلاءٌ وابتلاءٌ حاليٌّ[4] ، وتَقَيُّدٌ بالحالِ ، وتحكيمٌ للحالِ ، وتحكُّمٌ مِنَ الحالِ في العبدِ .

والأقوياءُ لا يتحكَّمُ فيهِمُ الحالُ ، ويَصرِفُونَ الحالَ في صُوَرِ الأعمالِ ،

---

(١) في (ب ، ح ، ز) : (كثير) بدل (كبير) .

(٢) الدَّعَة : الراحة وخَفضُ العيش .

(٣) رواه البخاري (٤٨٣٦) ، ومسلم (٢٨١٩) عن سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

(٤) في (أ) : (حال) .

فهُم مُتصرِّفونَ في الحالِ ، لا الحالُ مُتصرِّفٌ فيهِم ، فليُعلَمْ ذلكَ ؛ فإنَّا رَأَيْنا مِنَ الأَصِحَّاءِ مَنْ كانَ في ذلكَ ، ثمَّ انكشفَ لنا بتأييدِ اللهِ تعالىٰ أنَّ ذلكَ وُقوفٌ وقُصُورٌ

قالَ رجلٌ للحسنِ يا أبا سعيدٍ ؛ إنِّي أَبيتُ مُعافىً ، وأُحِبُّ قيامَ الليلِ ، وأُعِدُّ طَهُوري ، فما بالي لا أقومُ ؟ قالَ : ذنوبُكَ قيَّدَتْكَ(١)

فليحذَرِ العبدُ في نهارِهِ ذنوباً تُقيِّدُهُ في ليلِهِ

وقالَ الثَّوْريُّ رحمَهُ اللهُ : حُرِمْتُ قيامَ الليلِ سبعةَ أشهرٍ بذنبٍ أذنبتُهُ ، فقيلَ لهُ : ما كانَ الذنبُ ؟ قالَ : رأيتُ رجلاً يبكي ، فقلتُ في نفسي : هـٰذا مُراءٍ(٢)

وقالَ بعضُهُم دخلتُ علىٰ كُرْزِ بنِ وَبْرَةَ وهوَ يبكي ، فقلتُ لهُ : ما بالُكَ ؛ أتاكَ نَعْيُ بعضِ أهلِكَ ؟ فقالَ : أَشَدُّ ، فقلتُ وجعٌ يُؤلِمُكَ ؟ قالَ : أَشَدُّ ، قلتُ : فما ذاكَ ؟ قالَ : بابي مُغلَقٌ ، وسِتْري مُسبَلٌ ، ولم أَقْرَأْ حِزْبي البارحةَ ، وما ذاكَ إلا بذنبٍ أَحْدثتُهُ(٣)

وقالَ بعضُهُمُ : (الاحتلامُ عقوبةٌ)(٤)

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٢٠) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٥٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٧) ، وفيه : (خمسة أشهر) بدل (سبعة أشهر) ، وليس فيه ذكر السؤال والجواب ، وأورده تاماً أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٢١) ، وفي بعض النسخ : (بكَّاء) بدل (يبكي) ، وفي بعضها : (بكىٰ) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٧٩)

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٦) عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

وهٰذا صحيحٌ ؛ لأنَّ المُراعِيَ المُتحفِّظَ بحُسْنِ تحفُّظِهِ وعِلْمِهِ بحالِهِ يقدرُ ويتمكَّنُ مِنْ سَدِّ بابِ الاحتلامِ ، ولا يتطرَّقُ الاحتلامُ إلا علىٰ جاهلٍ بحالِهِ ، أو مُهمِلٍ حُكْمَ وقتِهِ وأدبَ حالِهِ

ومَنْ كَمَلَ تحفُّظُهُ ورعايتُهُ ، وقيامُهُ بأدبِ حالِهِ . قد يكونُ مِنْ ذنبِهِ المُوجِبِ للاحتلامِ وضعُ الرأسِ على الوِسادةِ إذا كانَ ذا عزيمةٍ في تَرْكِ الوِسادةِ ؛ فقد يتمهَّدُ للنومِ ووَضْعِ الرأسِ على الوِسادةِ بحُسْنِ النيّةِ . . مَنْ لا يكونُ ذلكَ ذنبَهُ ، ولهُ فيهِ نيّةٌ للعونِ على القيامِ ، وقد يكونُ ذلكَ ذنباً بالنسبةِ إلىٰ بعضِ الناسِ

فإذا كانَ هٰذا القَدْرُ يصلُحُ أنْ يكونَ ذنباً جالباً للاحتلامِ . . فقِسْ علىٰ هٰذا ذنوبَ الأحوالِ ؛ فإنَّها تختصُّ بأربابِها ، ويعرفُها أصحابُها .

وقد يترفَّقُ بأنواعِ الرِّفْقِ مِنَ الفِراشِ الوَطِيءِ والوِسادةِ ولا يُعاقَبُ بالاحتلامِ وغيرِهِ علىٰ فعلِهِ ؛ إذا كانَ عالماً ذا نيّةٍ يعرفُ مداخلَ الأمورِ ومخارجَها ، وكم مِنْ نائمٍ سَبَقَ القائمَ !! لوفورِ عِلْمِهِ وحُسْنِ نيّتِهِ .

وفي الخبرِ : « إِذَا نَامَ ٱلْعَبْدُ عَقَدَ ٱلشَّيْطَانُ عَلَىٰ رَأْسِهِ ثَلَاثَ عُقَدٍ ، فَإِنْ قَعَدَ[1] وَذَكَرَ ٱللهَ تَعَالَىٰ ٱنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ ٱنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ أُخْرَىٰ ، وَإِنْ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ٱنْحَلَّتِ ٱلْعُقَدُ كُلُّهَا فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ ٱلنَّفْسِ ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ ٱلنَّفْسِ كَسْلَانَ »[2]

---

(١) في (د) : (فإن انتبه وقعد) .

(٢) رواه البخاري (١١٤٢) ، ومسلم (٧٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي خبرٍ آخَرَ : « إنْ نَامَ حَتَّىٰ يُصْبِحَ بَالَ ٱلشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ »[1]

والذي يُخِلُّ بقيامِ الليلِ : كثرةُ الاهتمامِ بأمورِ الدنيا ، وكثرةُ أشغالِ الدنيا ، وإتعابُ الجوارحِ ، والامتلاءُ مِنَ الطعامِ ، وكثرةُ الحديثِ ، واللَّغْوُ[2] ، واللَّغَطُ ، وإهمالُ القَيْلُولةِ ، والمُوفَّقُ مَنْ يغتنمُ وقتَهُ ، ويعرفُ داءَهُ ودواءَهُ ، ولا يُهمِلُ فيُهمَلُ ، واللهُ المُوفِّقُ[3]

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري (١١٤٤) ، ومسلم (٧٧٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ذُكِرَ عند النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم رجلٌ ؛ فقيل : ما زال نائماً حتىٰ أصبح ، ما قام إلى الصلاة ، فقال : « بالَ الشيطانُ في أُذُنِهِ » .

(٢) في (ح ، د) : (واللهو) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ قراءةً) ، وفيه : (بلغ مقابلةً) .

الباب التاسع والأربعون

في استقبال النهار والأدب فيه

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ [هود : ١١٤] ؛ أَجْمعَ المُفسِّرونَ علىٰ أنَّ أحدَ الطَّرَفينِ أرادَ بهِ الفجرَ ، وأَمَرَ بصلاةِ الفجرِ(١)

واختلفُوا في الطَّرَفِ الآخرِ ؛ قالَ قومٌ : أرادَ المغربَ ، وقالَ آخرونَ : صلاةَ العشاءِ ، وقالَ قومٌ : صلاةُ الفجرِ والظهرِ طَرَفٌ ، وصلاةُ العصرِ والمغربِ طَرَفٌ ، و﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ صلاةُ العِشاءِ(٢)

ثمَّ إنَّ اللهَ تعالىٰ أَخْبرَ عن عظيمِ بركةِ الصلاةِ وشَرَفِ فائدتِها وثَمرتِها ؛ فقالَ : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] ؛ أيِ : الصلواتِ الخَمْسَ يُذْهِبْنَ الخَطيئاتِ .

ورُوِيَ أنَّ أبا اليَسَرِ كعبَ بنَ عمرٍو الأنصاريَّ كانَ يبيعُ التمرَ ، فأَتَتْهُ امرأةٌ تبتاعُ تمراً ، فقالَ لها : إنَّ هـٰذا التمرَ ليسَ بجَيِّدٍ وفي البيتِ أجودُ منهُ ، فهل لكِ فيهِ رغبةٌ ؟ قالتْ نَعَمْ ، فذَهَبَ بها إلىٰ بيتِهِ ، فضمَّها إلىٰ نَفْسِهِ

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (١٥/ ٥٠٢) ، و« النكت والعيون » (٢/ ٥٠٨)

(٢) وقيل في القول الثاني والثالث غير ذلك انظر « تفسير الطبري » (١٥/ ٥٠٢-٥٠٥) ، و« النكت والعيون » (٢/ ٥٠٨) ، و« تفسير القرطبي » (٩/ ١٠٩) .

وقبَّلَها ، فقالتْ لهُ : اتَّقِ اللهَ ، فتَرَكَها ونَدِمَ .

ثمَّ أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما تقولُ في رجلٍ راودَ امرأةً عن نَفْسِها ، ولم يَبْقَ شيءٌ ممَّا يفعلُ الرجالُ بالنساءِ إلا رَكِبَهُ ، غيرَ أنَّهُ لم يُجامِعْها ؟

فقالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : لقد سَتَرَ اللهُ عليكَ ، لو سَتَرْتَ على نَفْسِكَ ، ولم يَرُدَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عليهِ شيئاً ، وقالَ « أَنْتَظِرُ أَمْرَ رَبِّي »

وحَضَرَتْ صلاةُ العصرِ ، وصلَّى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ العصرَ ، فلمَّا فرَغَ أتاهُ جبريلُ بهذهِ الآيةِ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَيْنَ أَبُو ٱلْيَسَرِ ؟ » ، فقالَ هأنا ذا يا رسولَ اللهِ ، فقالَ : « شَهِدْتَ مَعَنَا هَـٰذِهِ ٱلصَّلَاةَ ؟ » ، قالَ : نعم ، قالَ : « ٱذْهَبْ ؛ فَإِنَّهَا كَفَّارَةٌ لِمَا عَمِلْتَ » ، فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : يا رسولَ اللهِ ؛ هذا لهُ خاصَّةً أو لنا عامَّةً ؟ فقالَ : « بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةً »(١)

فيستعدُّ العبدُ لصلاةِ الفجرِ باستكمالِ الطهارةِ قبلَ طلوعِ الفجرِ ، ويستقبلُ الفجرَ بتجديدِ الشهادةِ كما ذَكَرْنا في أوَّلِ الليلِ ، ثمَّ يُؤذِّنُ إنْ لم يكنْ أجابَ المُؤذِّنَ ، ثمَّ يُصلِّي ركعتَي الفجرِ ؛ يقرأُ في الأُولىٰ بعدَ (الفاتحةِ) :

---

(١) رواه بنحوه الترمذي (٣١١٥) ، والبزار في « المسند » (٢٣٠٠) عن سيدنا أبي اليَسَر رضي الله عنه ، والقصة مختصرة في « البخاري » (٤٦٨٧) ، و« مسلم » (٢٧٦٣) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه دون تعيين اسم الرجل ، وأورده بلفظه الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٤/ ٤٦٧ـ٤٦٨) .

(قُلْ يا أيُّها الكافرونَ) ، وفي الثانيةِ (قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ)

وإنْ أرادَ قَرَأَ في الأُولىٰ : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ . . . ﴾ الآيَةَ في سورةِ (البقرةِ) [الآية : ١٣٦] ، وفي الأُخْرىٰ : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ . . . ﴾ [آل عمران : ٥٣]

ثمَّ يستغفرُ اللهَ ، ويُسبِّحُ اللهَ تعالىٰ بما يتيسَّرُ لهُ مِنَ العددِ ، وإنِ اختصرَ علىٰ كلمةِ (أستغفرُ اللهَ لذَنْبي ، سُبْحانَ اللهِ بحمدِ ربِّي) . . أتىٰ بالمقصودِ مِنَ الاستغفارِ والتسبيحِ

ثمَّ يقولُ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ رحمةً مِنْ عندِكَ تَهْدي بها قَلْبي ، وتجمعُ بها شَمْلي ، وتَلُمُّ بها شَعَثي[1] ، وترُدُّ بها أُلْفتِي ، وتُصلِحُ بها دِيني ، وتحفظُ بها غائبي ، وترفعُ بها شاهدي[2] ، وتُزكِّي بها عَمَلي ، وتُبيِّضُ بها وَجْهي ، وتُلْهِمُني بها رُشْدي[3] ، وتَعصِمُني بها مِنْ كلِّ سوءٍ .

اللَّهُمَّ ؛ أَعْطِني إيماناً صادقاً[4] ، ويقيناً ليسَ بعدَهُ كفرٌ ، ورحمةً أنالُ بها شَرَفَ كرامتِكَ في الدنيا والآخرةِ

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ الفوزَ عندَ القضاءِ ، ومنازلَ الشُّهَداءِ ، وعَيْشَ السُّعَداءِ ، والنَّصْرَ على الأعداءِ ، ومُرافَقَةَ الأنبياءِ

---

(١) تَلُمُّ : تجمع ، وشَعَثي : ما تفرَّق من أمري .

(٢) أي : ظاهري ؛ بالعمل الصالح والخِلال الحميدة .

(٣) في بعض النسخ : (وتلقنني) بدل (وتلهمني)

(٤) زاد في (د) : (يباشر قلبي)

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أُنزِلُ بكَ حاجتي ، وإنْ قَصَرَ رَأْيي[1] ، وضَعُفَ عَمَلي ، وافتقرتُ إلىٰ رَحْمتِكَ ، فأسأَلُكَ يا قاضيَ الأُمُورِ ، ويا شافيَ الصُّدُورِ ، كما تُجيرُ بَيْنَ البُحُورِ[2] ؛ أن تُجيرَني مِنْ عذابِ السعيرِ ، ومِنْ دعوةِ الثُّبُورِ[3] ، ومِنْ فتنةِ القبورِ

اللَّهُمَّ ؛ ما قَصَرَ عنهُ رَأْيي[4] ، وضَعُفَ فيهِ عَمَلي ، ولم تَبْلُغْهُ نيَّتي وأُمْنِيَّتي ؛ مِنْ خيرٍ وعدتَهُ أحداً مِنْ عبادِكَ ، أو خيرٍ أنتَ مُعطيهِ أحداً مِنْ خلقِكَ . . فأنا أرغبُ إليكَ فيهِ ، وأسأَلُكَهُ يا ربَّ العالَمِينَ[5]

اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْنا هادينَ مَهْدِيِّينَ ، غيرَ ضالِّينَ ولا مُضِلِّينَ[6] ، حَرْباً لأعدائِكَ ، وسِلْماً لأوليائِكَ ، نُحِبُّ بحُبِّكَ الناسَ ، ونُعادي بعداوتِكَ مَنْ خالفَكَ مِنْ خَلْقِكَ

اللَّهُمَّ ؛ هـٰذا الدعاءُ ومنكَ الإجابةُ ، وهـٰذا الجُهْدُ وعليكَ التُّكْلانُ[7] ، وإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ[8] ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ ، ذي الحَبْلِ الشديدِ[9] ، والأمرِ الرشيدِ ، أسأَلُكَ الأمنَ يومَ الوعيدِ ، والجنةَ يومَ

---

(١) ويجوز أن يُقرأَ أيضاً : (قَصَّرَ) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٥/ ٦٣) .

(٢) كتب علىٰ هامش (د) دون إشارة : (تحجز) بدل (تجير) .

(٣) دعوة الثُّبور : النداء بالهلاك والخسران

(٤) ويضبط أيضاً : (قصَّر) بالتشديد .

(٥) زاد في بعض النسخ : (ويا أرحم الراحمين) .

(٦) في (ح) : (غير مغضوب عليهم ولا ضالين ومضلين) بدل (غير ضالين ولا مضلين) .

(٧) الجُهْد : الوُسْع والطاقة ، والتُّكْلان : الاعتماد

(٨) قوله : (وإنا لله . . .) زيادة من (أ ، ج) ونسخة علىٰ هامش (د) ، ولم أجدها فيما وقفت عليه من المصادر الحديثية ، وهي في « القوت » (١/ ١٣) .

(٩) قال الزَّبيدي في « الإتحاف » (٥/ ٦٤) : (هكذا في نسخ الكتاب ؛ علىٰ أنَّهُ بدلٌ من=

الخلودِ[1] ، معَ المُقرَّبينَ الشُّهُودِ ، والرُّكَّعِ السُّجُودِ ، والمُوفِينَ بالعُهُودِ ؛ إنَّكَ رحيمٌ وَدُودٌ ، وأنتَ تفعلُ ما تُرِيدُ .

سُبْحانَ مَنْ تعطَّفَ بالعِزِّ وقالَ بهِ ، سُبْحانَ مَنْ لَبِسَ المَجْدَ وتكرَّمَ بهِ ، سُبْحانَ الذي لا ينبغي التسبيحُ إلا لهُ ، سُبْحانَ ذي الفضلِ والنِّعَمِ ، سُبْحانَ ذي الجُودِ والكَرَمِ ، سُبْحانَ الذي أَحصىٰ كلَّ شيءٍ بعِلْمِهِ

اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْ لي نوراً في قَلْبي ، ونُوراً في قبري ، ونُوراً في سَمْعي ، ونُوراً في بَصَري ، ونُوراً في شَعَري ، ونُوراً في بَشَري ، ونُوراً في لَحْمي ، ونُوراً في دمي ، ونُوراً في مُخِّي ، ونُوراً في عِظامي ، ونُوراً مِنْ بينِ يَدَيَّ ، ونُوراً مِنْ خَلْفي ، ونُوراً عن يميني ، ونُوراً عن شمالي ، ونُوراً مِنْ فوقي ، ونُوراً مِنْ تحتي ؛ اللَّهُمَّ ؛ زِدْني نُوراً ، وأَعْطِني نُوراً[2] ، وٱجْعَلْ لي نُوراً) .

ولهـٰذا الدعاءِ أَثَرٌ كثيرٌ[3] ، وما رأيتُ أَحَداً حافظَ عليهِ إلا وعندَهُ خيرٌ

= اسم الله عزَّ وجلَّ ، وفي « القوت » « ذا الحبل » ؛ علىٰ تقدير « يا ذا الحبل » ، والروايةُ المشهورة بعد قوله : « رب العالمين » : « اللهمَّ يا ذا الحبل الشديد » ، واختلفوا في ضبط هـٰذا اللفظ ؛ فقال ابن الأثير : يرويه المُحدِّثون بموحدة ، والمراد القرآن أو الدِّين أو السبب ؛ ومنه : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ؛ وصفه بالشِّدَّة ؛ لأنَّها من صفات الحبال ، والشِّدَّةُ في الدِّين الثباتُ والاستقامة ، وصوَّب الأزهريُّ كونَهُ بالياء التحتيَّة ؛ وهي القوَّة ، واقتصر عليه الزمخشريُّ جازماً ؛ حيثُ قال : الحيل : هو الحول ؛ أبدل الواو ياء . . .) ، وفي (ج ، و) : (الحَيْل) .

(١) في (أ ، هـ ، ح) (دار) بدل (يوم) ، وفي (ي) : (ودار الخلود) بدل (والجنة يوم الخلود) .

(٢) في « الدعاء » للطبراني وغيره (وأَعْظِمْ لي) بدل (وأعطني)

(٣) في (هـ) : (كبير) .

ظاهرٌ وبركةٌ ، وهوَ مِنْ وصيَّةِ الصادقينَ بعضِهم بعضاً بحِفْظِهِ والمُحافظةِ عليهِ ، منقولٌ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ كانَ يقرؤُهُ بينَ الفريضةِ والسُّنَّةِ مِنْ صلاةِ الفجرِ ، ثمَّ يَقصِدُ المسجدَ للصلاةِ في الجماعةِ(١)

ويقولُ عندَ خروجِهِ مِنْ منزلِهِ : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ [الإسراء : ٨٠] .

ويقولُ في الطريقِ : (اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسأَلُكَ بحَقِّ السائلينَ عليكَ ، وبحقِّ مَمْشايَ هٰذا إليكَ ، لم أَخْرُجْ أَشَراً ولا بَطَراً(٢) ، ولا رِياءً ولا سُمْعةً ؛ خرجتُ اتِّقاءَ سَخَطِكَ وابتغاءَ مَرْضاتِكَ ؛ أسأَلُكَ أنْ تُنقِذَني مِنَ النارِ ، وأنْ تغفرَ لي ذُنُوبي ؛ إنَّهُ لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ) .

روىٰ أبو سعيدٍ الخُدْريُّ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ قَالَ ذَلِكَ إِذَا خَرَجَ إِلَى ٱلصَّلَاةِ . . وَكَّلَ ٱللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ، وَأَقْبَلَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّىٰ يَقْضِيَ صَلَاتَهُ »(٣)

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ٣٤٣ـ٣٤٤) ، و« الدعاء » (٤٨٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٠٩ـ٢١٠) ، والبيهقي في « الدعاء الكبير » (٦٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو في « سنن الترمذي » (٣٤١٩) أنه قاله حين الفراغ من صلاته دون تقييد بكونه بعد سنة الفجر ، والظاهر من قول المؤلف : (ولهٰذا الدعاء) : أنَّ الإشارة لجميع الدعاء السابق ، والذي يبدأ من عند قوله : (اللهم ؛ صلِّ علىٰ محمد) ، وجعل الغماري في « الغنية » (٢/ ٦٧٠) الإشارة للمقطع الأخير فقط ؛ وهو قوله : (اللهم ؛ اجعل لي نوراً) ، فعزاه إلى البخاري (٦٣١٦) ، ومسلم (٧٦٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما

(٢) الأَشَر : كفر النعمة ، والبَطَر : كالأَشَر وزناً ومعنىً .

(٣) رواه ابن ماجه (٧٧٨) ، وأحمد (٣/ ٢١) ، والطبراني في « الدعاء » (٤٢١) ، =

وإذا دَخَلَ المسجدَ ، أو دَخَلَ سَجَّادتَهُ للصلاةِ . . يقولُ : (بسمِ اللهِ الرَّحمـٰنِ الرحيمِ[1] ، والحمدُ للهِ ، والصَّلاةُ والسلامُ علىٰ رسولِ اللهِ ، اللَّهُمَّ ؛ اغْفِرْ لي ذُنُوبي ، وافتَحْ لي أبوابَ رحمتِكَ)

ويُقدِّمُ رِجْلَهُ اليُمْنىٰ في الدخولِ ، واليُسْرىٰ في الخروجِ مِنَ المسجدِ والسَّجَّادةِ ؛ فسَجَّادةُ الصُّوفيِّ بمنزلةِ البيتِ والمسجدِ .

ثمَّ يُصلِّي صلاةَ الصُّبْحِ في جماعةٍ ، فإذا سلَّمَ يقولُ : (لا إلـٰهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ ، يُحيي ويُمِيتُ وهوَ حيٌّ لا يموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ

لا إلـٰهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وعدَهُ ، ونَصَرَ عبدَهُ[2] ، وهَزَمَ الأحزابَ وَحْدَهُ[3]

لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، أهلُ النِّعمةِ والفَضْلِ والثناءِ الحَسَنِ ، لا إلـٰهَ إلا اللهُ ولا نعبدُ إلا إيَّاهُ ، مُخلِصينَ لهُ الدِّينَ ولو كَرِهَ الكافرونَ)

ويقرأُ : (هوَ اللهُ الذي لا إلـٰهَ إلا هوَ الرَّحمـٰنُ الرحيمُ . . .) التسعةَ والتسعينَ اسماً إلىٰ آخِرِها

فإذا فَرَغَ منها يقولُ (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ عبدِكَ ونبيِّكَ ورسولِكَ النبيِّ الأُمِّيِّ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، صلاةً تكونُ لك رِضاءً ، ولحَقِّهِ أداءً ، وأَعْطِهِ

= وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٨٤) ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٩٨١٢) موقوفاً .

(١) قوله : (الرحمـٰن الرحيم) زيادة من (د) .

(٢) زاد في (ط) : (وأعزَّ جنده)

(٣) زاد في (ي) : (وأَعَزَّ جندَه ، فلا شيء بعده) .

الوسيلةَ والفضيلةَ والمَقامَ المحمودَ الذي وعدتَهُ ، واجْزِهِ عنَّا ما هوَ أهلُهُ ، واجْزِهِ عنَّا أفضلَ ما جَزَيتَ نبيّاً عن أُمَّتِهِ ، وصلِّ علىٰ جميعِ إخوانِهِ مِنَ النبيِّينَ والصِّدِّيقينَ ، والشُّهَداءِ والصالحينَ

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ في الأوَّلِينَ ، وصلِّ علىٰ محمَّدٍ في الآخِرينَ ، وصلِّ علىٰ محمَّدٍ إلىٰ يومِ الدِّينِ

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ رُوحِ محمَّدٍ في الأَرْواحِ ، وصلِّ علىٰ جَسَدِ محمَّدٍ في الأَجْسادِ ، واجْعَلْ شرائفَ صلواتِكَ ونَوَاميَ بركاتِكَ ، ورَأْفَتَكَ ورحمتَكَ وتحيَّتَكَ ورِضْوانَكَ . . علىٰ محمَّدٍ عبدِكَ ونبيِّكَ ورسولِكَ

اللَّهُمَّ ، أنتَ السلامُ ، ومنكَ السلامُ ، وإليكَ يعودُ السلامُ ؛ فحَيِّنا ربَّنا بالسلامِ ، وأَدْخِلْنا دارَ السلامِ ، تباركْتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أصبحتُ لا أستطيعُ دَفْعَ ما أكرهُ ، ولا أَمْلِكُ نَفْعَ ما أرجو ، وأصبحَ الأمرُ بيدِ غيري ، وأصبحتُ مُرتَهِناً بعَمَلي ؛ فلا فقيرَ أفقرُ منِّي .

اللَّهُمَّ ؛ لا تُشْمِتْ بي عَدُوِّي ، ولا تَسُؤْ بي صديقي ، ولا تجعلْ مُصِيبتي في دِيني ، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ هَمِّي ، ولا مَبْلَغَ عِلْمي ، ولا تُسلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لا يَرْحَمُني .

اللَّهُمَّ ؛ هٰذا خَلْقٌ جديدٌ[1] ؛ فافْتَحْهُ عَلَيَّ بطاعتِكَ ، واخْتِمْهُ لي بمغفرتِكَ ورِضْوانِكَ ، وارْزُقْني فيهِ حسنةً تقبلُها منِّي ، وزَكِّها وضَعِّفْها لي ، وما عَمِلْتُ فيهِ مِنْ سيِّئةٍ فاغْفِرْها لي ؛ إنَّكَ غفورٌ رحيمٌ وَدُودٌ كريمٌ

(١) أي : هٰذا الوقت ؛ وهو الصباح من هامش (ح)

رَضِيتُ باللهِ ربّاً ، وبالإسلامِ دِيناً ، وبمحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نبيّاً

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ خيرَ هـٰذا اليومِ وخيرَ ما فيهِ ، وأعوذُ بكَ مِنْ شرِّهِ وشرِّ ما فيهِ ، وأعوذُ بكَ مِنْ شرِّ طوارقِ الليلِ والنهارِ ، ومِنْ بَغَتاتِ الأمورِ وفُجَاءةِ الأقدارِ ، ومِنْ شرِّ كلِّ طارقٍ يَطرُقُ ، إلا طارقاً يَطرُقُ منكَ بخيرٍ يا رحمـٰنَ الدنيا والآخرةِ ورحيمَهُما ، وأعوذُ بكَ أنْ أَزِلَّ أو أُزَلَّ ، أو أَذِلَّ أو أُذَلَّ ، أو أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أو أَظلِمَ أو أُظلَمَ ، أو أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ ، عزَّ جارُكَ ، وجَلَّ ثناؤُكَ ، وتقدَّسَتْ أسماؤُكَ ، وعَظُمَتْ نَعْماؤُكَ .

أعوذُ بكَ مِنْ شرِّ ما يَلِجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها ، وما ينزلُ مِنَ السماءِ وما يَعرُجُ فيها ، أعوذُ بكَ مِنْ حِدَّةِ الحِرْصِ ، وشِدَّةِ الطَّمَعِ ، وسَوْرَةِ الغَضَبِ[١] ، وسِنَةِ الغَفْلةِ ، وتَعَاطي الكُلْفةِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ مُباهاةِ المُكثِرينَ ، والإزراءِ على المُقلِّينَ ، وأنْ أَنصُرَ ظالماً ، أو أَخذُلَ مظلوماً ، وأنْ أقولَ في العِلْمِ بغيرِ علمٍ ، أو أَعْمَلَ في الدِّين بغيرِ يقينٍ .

أعوذُ بكَ أنْ أُشرِكَ بكَ وأنا أعلمُ ، وأستغفرُكَ لِمَا لا أعلمُ ، أعوذُ بعفوِكَ مِنْ عقابِكَ ، وأعوذُ برضاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وأعوذُ بكَ منكَ ، لا أُحصِي ثناءً عليكَ أنتَ كما أَثْنَيتَ على نَفْسِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ أنتَ ربِّي لا إلـٰهَ إلا أنتَ ، خلقتَني وأنا عبدُكَ وابنُ عبدِكَ[٢] ، وأنا على عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما استطعتُ ، أعوذُ بكَ مِنْ شرِّ ما صنعتُ ، أبوءُ

---

(١) السَّوْرة : الحِدَّة والوثوب .

(٢) في بعض النسخ : (وابن عبديك) .

بنعمتِكَ عَلَيَّ ، وأبوءُ بذَنْبي فاغْفِرْ لي ذنوبي جميعاً ؛ فإنَّهُ لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ

اللَّهُمَّ ؛ اجعلْ أوَّلَ يومِنا هـٰذا صلاحاً ، وأوسطَهُ فلاحاً ، وآخرَهُ نجاحاً

اللَّهُمَّ ؛ اجعلْ أوَّلَهُ رحمةً ، وأوسطَهُ نعمةً ، وآخرَهُ تَكْرُمةً .

أَصْبَحْنا وأصبحَ المُلْكُ للهِ ، والعَظَمَةُ والكِبْرياءُ للهِ ، والجَبَرُوتُ والسُّلْطانُ للهِ ، والليلُ والنهارُ وما سَكَنَ فيهما للهِ الواحدِ القهَّارِ

أَصْبَحْنا على فِطْرةِ الإسلامِ ، وكلمةِ الإخلاصِ ، وعلىٰ دِينِ نبيِّنا محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعلىٰ مِلَّةِ أبينا إبراهيمَ حَنِيفاً مُسلِماً وما كانَ مِنَ المُشرِكينَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنَّا نسألُكَ بأنَّ لكَ الحمدَ لا إلـٰهَ إلا أنتَ الحَنَّانُ المَنَّانُ ، بديعُ السماواتِ والأرضِ ذو الجلالِ والإكرامِ ، أنتَ الأحدُ الصَّمَدُ ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكنْ لهُ كُفُواً أحدٌ .

يا حيُّ يا قيُّومُ ، يا حيُّ حينَ لا حيَّ في دَيْمومةِ مُلْكِهِ وبقائِهِ ، يا حيُّ مُحْيِيَ المَوْتىٰ ، يا حيُّ مُمِيتَ الأحياءِ ، وارثَ الأرضِ والسماءِ[1]

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ باسمِكَ بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ ، وباسمِكَ الذي لا إلـٰهَ إلا هوَ الحيُّ القيُّومُ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ[2]

---

(١) في بعض النسخ : (أهل الأرض) بدل (الأرض) .

(٢) في (ب) : (الله الذي) بدل (الذي) .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ باسمِكَ الأعظمِ الأَجَلِّ الأَعَزِّ الأكرمِ ، الذي إذا دُعِيتَ بهِ أَجَبْتَ ، وإذا سُئِلتَ بهِ أَعْطَيتَ .

يا نورَ النُّورِ ، يا مُدبِّرَ الأمورِ ، يا عالِمَ ما في الصُّدُورِ ، يا سميعُ يا قريبُ ، يا مُجيبَ الدعاءِ ، يا لطيفاً لما يشاءُ ، يا رؤوفُ يا رحيمُ ، يا كبيرُ يا عظيمُ ، يا أللهُ يا رحمـٰنُ ، يا ذا الجلالِ والإكرام ، ﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران : ١ـ٢] ، ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾ [طه : ١١١] ، يا إلـٰهي وإلـٰهَ كلِّ شيءٍ إلـٰهاً واحداً لا إلـٰهَ إلا أنتَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ باسمِكَ يا أللهُ أللهُ أللهُ أللهُ الذي لا إلـٰهَ إلا هوَ ربُّ العرشِ العظيمِ ، فتعالى اللهُ المَلِكُ الحقُّ لا إلـٰهَ إلا هوَ ربُّ العرشِ الكريمِ ، أنتَ الأوَّلُ والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ ، وَسِعْتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلْماً

كَهيعَصَ ، حمَ ، عَسَقَ ، الَر ، حمَ ، نَ ، يا واحدُ يا قهَّارُ ، يا عزيزُ يا جبَّارُ ، يا أحدُ يا صمدُ ، يا وَدُودُ يا غفورُ .

هوَ اللهُ الذي لا إلـٰهَ إلا هوَ عالِمُ الغيبِ والشهادةِ هوَ الرحمـٰنُ الرحيمُ ، لا إلـٰهَ إلا أنتَ سُبْحانَكَ إنِّي كنتُ مِنَ الظالمينَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ باسمِكَ المكنونِ المخزونِ ، المُنزَلِ السلامِ ، الطُّهْرِ الطاهرِ ، القُدُّوسِ المُقدَّسِ ، يا دَهْرُ يا دَيْهُورُ يا دَيْهارُ ، يا أَبَدُ يا أَزَلُ ، يا مَنْ لم يَزَلْ ولا يزالُ هُو ، يا هُو ، يا مَنْ هُو هُو ، يا لا إلـٰهَ إلا هُو ، يا مَنْ لا هُو إلا هُو ، يا مَنْ لا يعلمُ ما هُو إلا هُو ، يا كائنُ يا كانُ يا كينانُ ، يا رُوحُ يا كائنُ قبلَ كلِّ كونٍ ، يا كائنُ بعدَ كلِّ كونٍ .

يا مُكوِّناً لكلِّ كونٍ ، أَهْيا شَرَاهِيا[1] ، آذوني أصباؤُث[2] ، يا مُجَلِّيَ عظائمِ الأمورِ[3] ، فإنْ تولَّوْا فقُلْ : حسبيَ اللهُ لا إلـٰهَ إلا هوَ عليهِ توكَّلتُ وهوَ ربُّ العرشِ العظيمُ ، ليسَ كمِثْلِهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، كما صلَّيتَ علىٰ إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ ، وبارِكْ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، كما باركتَ علىٰ إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ ؛ إنَّكَ حميدٌ مَجيدٌ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ علمٍ لا ينفعُ، وقلبٍ لا يخشعُ، ودعاءٍ لا يُسمَعُ.

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ فتنةِ الدجَّالِ ، وعذابِ القبرِ ، ومِنْ فتنةِ المَحْيا والمماتِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ شرِّ ما عَلِمتُ وشرِّ ما لم أعلمْ[4] ، وأعوذُ بكَ

---

(١) كذا في النسخ ، وقال في « التاج » مع « القاموس » (٣٦/ ٤١٤ـ٤١٥) : (« و » قولهم في الدعاء : « إهْيا ـ بكسر الهمزة ـ وأَشَرَاهِيا ، بفتح الهمزة والشين » وسكون الراء : كلمة « يونانية » أو سريانية أو عبرانية ، وهـٰذا أصحُّ ؛ « أي : الأزلي الذي لم يَزَل » ، قال الصاغاني : هـٰكذا أقرأنيه حَبْرٌ من أحبار اليهود بعدن أبين ، وقيل : هَيَا شراهيا ، وكأنَّهُ اختصار منه ؛ أي : يا حيُّ يا قيُّوم ، نقله الليث ، وقال الصاغاني : « وليس هـٰذا موضعَهُ » ؛ لأنَّهُ ليس علىٰ شرط الكتاب ، « لـٰكن لأنَّ الناس يغلَطون ويقولون : أَهْيا » بفتح الهمزة ، وبخط الصاغاني : بمد الهمزة و« شراهيا » بإسقاط الهمزة ، « وهو خطأٌ علىٰ ما يزعمه أحبار اليهود » ، وهـٰذا الذي خطَّأه هو المشهورُ في كتب القوم ، ولا يكادون ينطقون بغير ذلك) .

(٢) في (ط) : (أدوناي) بدل (آذوني) .

(٣) زاد في (ج): (سبحانك على حلمك بعد علمك، سبحانك على عفوك بعد قدرتك) .

(٤) زاد في (ب) : (وأعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل) ، وفي « صحيح مسلم » (٢٧١٦) وغيره من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها : (عملت . . . أعمل) .

مِنْ شرِّ سَمْعي وبَصَري ، ولساني وقَلْبي

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ القَسْوةِ والغَفْلةِ ، والذُّلِّ والمَسْكنةِ ، وأعوذُ بكَ مِنَ الفقرِ والكُفْرِ ، والفُسُوقِ والشِّقاقِ والنِّفاقِ ، وسُوءِ الأخلاق وضِيقِ الأرزاقِ ، والسُّمْعةِ والرِّياءِ ، وأعوذُ بكَ مِنَ الصَّمَمِ والبَكَمِ ، والجُنُونِ والجُذَامِ ، والبَرَصِ وسائرِ الأسقامِ

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمتِكَ ، ومِنْ تحويلِ عافيتِكَ ، ومِنْ فُجَاءةِ نِقْمتِكَ ، ومِنْ جميعِ سَخَطِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ الصلاةَ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ ، وأسألُكَ مِنَ الخيرِ كلِّهِ عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمتُ منهُ وما لم أعلمْ ، وأعوذُ بكَ مِنَ الشرِّ كُلِّهِ عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمتُ منهُ وما لم أعلمْ ، وأسألُكَ الجنَّةَ وما قَرَّبَ إليها مِنْ قولٍ وعَمَلٍ ، وأعوذُ بكَ مِنَ النارِ وما قَرَّبَ إليها مِنْ قولٍ وعَمَلٍ ، وأسألُكَ مِمَّا سألَكَ عبدُكَ ورسولُكَ محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأَسْتعِيذُكَ ممَّا استعاذَكَ منهُ عبدُكَ ونبيُّكَ محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأسألُكَ ما قَضَيتَ لي مِنْ أمرٍ أنْ تجعلَ عاقبتَهُ رَشَداً برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ

يا حيُّ يا قيُّومُ ، برحمتِكَ أستغيثُ ؛ لا تَكِلْني إلىٰ نَفْسي طَرْفةَ عَيْنٍ ، وأَصْلِحْ لي شَأْني كُلَّهُ .

يا جمالَ السماواتِ والأرضِ[1] ، يا عِمادَ السماواتِ والأرضِ ، يا بديعَ السماواتِ والأرضِ ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ ، يا صريخَ المُستصرِخِينَ ، يا غوثَ المُستغِيثينَ ، يا مُنتهىٰ رَغْبةِ الراغبينَ ، والمُفرِّجَ عنِ المكروبِينَ ،

---

(١) في (ح) : (يا كمال) بدل (يا جمال) .

والمُروِّحَ عنِ المغمومينَ ، ومُجيبَ دَعْوةِ المُضطرِّينَ ، وكاشفَ السُّوءِ ، وأرحمَ الراحمينَ[1] ، وإلـهَ العالَمينَ ، منزولٌ بكَ كلُّ حاجةٍ يا أرحمَ الراحمينَ

اللَّهُمَّ ؛ استُرْ عَوْراتي ، وآمِنْ رَوْعاتي[2] ، وأَقِلْني عَثَراتي

اللَّهُمَّ ؛ احفَظْني مِنْ بينِ يَدَيَّ ومِنْ خَلْفي ، وعن يميني وعن شِمالي ومِنْ فوقي ، وأعوذُ بكَ أنْ أُغتالَ مِنْ تحتي .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي ضعيفٌ فقَوِّ في رضاكَ ضَعْفي ، وخُذْ إلى الخيرِ بناصِيَتي ، واجعلِ الإسلامَ مُنتهىٰ رِضائي .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي ضعيفٌ فقَوِّني ، اللَّهُمَّ ؛ إنِّي ذليلٌ فأَعِزَّني ، اللَّهُمَّ ؛ إنِّي فقيرٌ فأَغْنِني ؛ برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ

اللَّهُمَّ ؛ إنَّكَ تعلمُ سِرِّي وعلانيَتي ، فاقْبَلْ مَعْذِرتي ، وتعلمُ حاجتي فأَعْطِني سُؤْلي ، وتعلمُ ما في نَفْسي فاغْفِرْ لي ذُنُوبي .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسأَلُكَ إيماناً يُباشِرُ قَلْبي ، ويقيناً صادقاً حتىٰ أعلمَ أنَّهُ لن يُصيبَني إلا ما كتبتَ لي ، وارزُقْني الرِّضا بما قسمتَ لي ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ .

اللَّهُمَّ ، يا هاديَ المُضِلِّينَ ، ويا راحمَ المُذنِبينَ ، ومُقِيلَ عَثَراتِ العاثرينَ ؛ ارحَمْ عبدَكَ ذا الخَطَرِ العظيمِ ، والمُسلِمينَ كلَّهُم أجمعينَ ، واجْعَلْنا معَ الأحياءِ المرزوقينَ ، معَ الذينَ أنعمتَ عليهِم مِنَ النبيِّينَ

---

(١) زاد في (ج) : (وإلـه الأولين والآخرين)

(٢) رَوْعاتي : جمع (رَوْعة) ؛ وهي المرة من الفزع

والصِّدِّيقينَ والشُّهَداءِ والصالحينَ ، آمينَ يا ربَّ العالَمينَ .

اللَّهُمَّ ، عالِمَ الخَفِيَّاتِ ، رفيعَ الدَّرَجاتِ ، ذا العرشِ ، تُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أمرِكَ علىٰ مَنْ تشاءُ مِنْ عبادِكَ ، غافرَ الذَّنْبِ ، وقابِلَ التَّوْبِ ، شديدَ العقابِ ، ذا الطَّوْلِ ، لا إلـٰهَ إلا أنتَ ، إليكَ المصيرُ ، يا مَنْ لا يشغلُهُ شأنٌ عن شأنٍ ، ولا يشغلُهُ سمعٌ عن سمعٍ ، ولا تشتبهُ عليهِ الأصواتُ ، ويا مَنْ لا تُغلِطُهُ المسائلُ ولا تختلفُ عليهِ اللُّغاتُ ، ويا مَنْ لا يتبرَّمُ بإلحاحِ المُلِحِّينَ ، ولا تُضجِرُهُ مسألةُ السائلينَ ؛ أَذِقْني بَرْدَ عَفْوِكَ ، وحلاوةَ رحمتِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ قَلْباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وعَمَلاً مُتقبَّلاً ، أسألُكَ مِنْ خيرِ ما تعلمُ ، وأعوذُ بكَ مِنْ شرِّ ما تعلمُ ، وأستغفرُكَ لِمَا تعلمُ ولا أعلمُ ، وأنتَ علَّامُ الغُيُوبِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ إيماناً لا يَرْتَدُّ ، ونعيماً لا يَنفَدُ ، وقُرَّةَ عينِ الأبدِ ، ومُرافَقَةَ نبيِّكَ مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأسألُكَ حُبَّكَ ، وحُبَّ مَنْ أحبَّكَ ، وحُبَّ كلِّ عَمَلٍ يُقرِّبُ إلىٰ حُبِّكَ .

اللَّهُمَّ ، بعِلْمِكَ الغَيبَ ، وقُدْرتِكَ علىٰ خَلْقِكَ ؛ أَحْيِني ما كانتِ الحياةُ خيراً لي ، وتَوَفَّني إذا كانتِ الوفاةُ خيراً لي ، أسألُكَ خَشْيَتَكَ في الغيبِ والشهادةِ ، وكلمةَ العَدْلِ في الرِّضا والغضبِ ، والقَصْدَ في الغِنىٰ والفَقْرِ ، ولَذَّةَ النَّظَرِ إلىٰ وَجْهِكَ ، والشوقَ إلىٰ لقائِكَ ، وأعوذُ بكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وفتنةٍ مُضِلَّةٍ .

اللَّهُمَّ ؛ اقسِمْ لي مِنْ خشيتِكَ ما تَحُولُ بهِ بيني وبينَ معصيتِكَ ، ومِنْ

طاعتِكَ ما تُدخِلُني جنَّتَكَ ، ومِنَ اليقينِ ما تُهوِّنُ بهِ علينا مصائبَ الدنيا[1]

اللَّهُمَّ ؛ ارزُقْنا حُزْنَ خوفِ الوعيدِ ، وسُرُورَ رجاءِ الموعودِ ؛ حتىٰ نَجِدَ لَذَّةَ ما نطلبُ ، وخوفَ ما منهُ نهربُ .

اللَّهُمَّ ؛ أَلْبِسْ وُجُوهَنا منكَ الحياءَ ، واملأْ قلوبَنا بكَ فَرَحاً ، وأَسْكِنْ في نفوسِنا مِنْ عَظَمتِكَ[2] ، وذَلِّلْ جوارحَنا لخِدْمتِكَ ، واجْعَلْكَ أحبَّ إلينا ممَّا سواكَ ، واجْعَلْنا أَخْشىٰ لكَ ممَّنْ سواكَ ، نسأَلُكَ تمامَ النِّعْمةِ بتمامِ التَّوبةِ ، ودوامَ العافيةِ بدوامِ العِصْمةِ ، وأداءَ الشُّكْرِ بحُسْنِ العبادةِ

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسأَلُكَ بركةَ الحياةِ وخيرَ الحياةِ ، وأعوذُ بكَ مِنْ شرِّ الحياةِ وشرِّ الوفاةِ ، وأسأَلُكَ خيرَ ما بينَهُما ، أَحْيِني حياةَ السُّعَداءِ ؛ حياةَ مَنْ تُحِبُّ بقاءَهُ ، وتَوَفَّني وفاةَ الشُّهَداءِ ؛ وفاةَ مَنْ تُحِبُّ لقاءَهُ ، يا خيرَ الرازقينَ ، وأَحْسَنَ التوَّابينَ ، وأَحْكَمَ الحاكمينَ ، وأَرْحمَ الراحمينَ ، وربَّ العالَمينَ

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وارْحَمْ ما خلقتَ ، واغْفِرْ ما قَدَّرتَ ، وطَيِّبْ ما رَزَقْتَ ، وتَمِّمْ ما أنعمتَ ، وتَقَبَّلْ ما استعملتَ ، واحْفَظْ ما استحفظتَ ، ولا تَهْتِكْ ما سترتَ ؛ فإنَّهُ لا إلـٰهَ إلا أنتَ ، أستغفرُكَ مِنْ كلِّ لذَّةٍ بغيرِ ذِكْرِكَ ، ومِنْ كلِّ راحةٍ بغيرِ خِدْمتِكَ ، ومِنْ كلِّ سرورٍ بغيرِ قُرْبِكَ ، ومِنْ كلِّ فَرَحٍ بغيرِ مُجالَستِكَ ، ومِنْ كلِّ شُغْلٍ بغيرِ مُعامَلتِكَ .

---

(١) قوله (تحول ، تدخلني ، تهوّن) يجوز أن يُقرَأَ بالياء التحتية كما وجد في بعض النسخ ، والضمير يعود علىٰ (ما)

(٢) زاد في (ط) : (مهابة)

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أستغفرُكَ مِنْ كلِّ ذنبٍ تُبْتُ إليكَ منهُ ثمَّ عُدْتُ فيهِ

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أستغفرُكَ مِنْ كلِّ عَقْدٍ عقدتُهُ ثمَّ لم أَفِ بهِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أستغفرُكَ مِنْ كلِّ نعمةٍ أنعمتَ بها عليَّ فقَوِيتُ بها على معصيتِكَ

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أستغفرُكَ مِنْ كلِّ عملٍ عَمِلتُهُ لكَ فخالطَهُ ما ليسَ لكَ(١)

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسأَلُكَ أنْ تُصلِّيَ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ ، وأسأَلُكَ جوامعَ الخيرِ وفواتحَهُ وخواتِمَهُ ، وأعوذُ بكَ مِنْ جوامعِ الشرِّ وفواتحِهِ وخواتِمِهِ .

اللَّهُمَّ ؛ احْفَظْنا فيما أَمَرْتَنا ، واحْفَظْنا عمَّا نَهَيْتَنا ، واحْفَظْ لنا ما أَعْطَيْتَنا ، يا حافظَ الحافظينَ ، ويا ذاكرَ الذاكرينَ ، ويا شاكرَ الشاكرينَ ، بذِكْرِكَ ذَكَرُوا ، وبفضلِكَ شَكَرُوا

يا غياثُ يا مُغيثُ يا مُستغاثُ ، يا غِياثَ المُستغيثينَ ؛ لا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفةَ عينٍ فأَهلِكَ ، ولا إلى أحدٍ مِنْ خَلْقِكَ فأَضِيعَ ، اكلأْني كلاءةَ الوليدِ ، ولا تَخَلَّ عنِّي ، وتَوَلَّني بما تتولَّى بهِ عبادَكَ الصالحينَ .

أنا عبدُكَ وابنُ عبدِكَ ، ناصِيَتي بيدِكَ ، جارٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قضاؤُكَ ، نافذٌ فِيَّ مَشيئتُكَ ، إنْ تُعذِّبْ فأهلُ ذلكَ أنا ، وإنْ ترحمْ فأهلُ ذلكَ أنتَ ، فافْعَلِ اللَّهُمَّ يا مَوْلايَ يا أللهُ يا ربِّ ما أنتَ لهُ أهلٌ ، ولا تفعلِ اللَّهُمَّ يا ربِّ يا أللهُ ما أنا لهُ أهلٌ ؛ إنَّكَ أهلُ التقوى وأهلُ المغفرةِ

---

(١) في (ب ، ج ، و) : (فخالطتُهُ) بدل (فخالطه)

يا مَنْ لا تضرُّهُ الذُّنُوبُ ، ولا تَنقُصُهُ المغفرةُ ؛ هَبْ لي ما لا يَضرُّكَ ، وأعْطِني ما لا يَنقُصُكَ

ربَّنا ؛ أَفْرِغْ عَلَينا صَبْراً وتَوَفَّنا مسلمينَ ، تَوَفَّني مُسلِماً وأَلْحِقْني بالصالحينَ ، أنتَ وَلِيُّنا فاغْفِرْ لنا وارحَمْنا وأنتَ خيرُ الراحمينَ[1]

ربَّنا ؛ عليكَ تَوَكَّلْنا وإليكَ أَنَبْنا وإليكَ المصيرُ ، ربَّنا ؛ اغْفِرْ لنا ذنوبَنا وإسرافَنا في أمرِنا وثَبِّتْ أقدامَنا وانصُرْنا على القومِ الكافرينَ

ربَّنا ؛ آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رحمةً وهَيِّئْ لنا مِنْ أمرِنا رَشَداً ، ربَّنا ؛ آتِنا في الدنيا حَسَنةً وفي الآخرةِ حَسَنةً وقِنا عذابَ النارِ .

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وارْزُقْنا العَوْنَ على الطاعةِ ، والعِصْمةَ مِنَ المعصيةِ ، وإفراغَ الصبرِ في الخِدْمةِ ، وإيزاعَ الشُّكْرِ في النعمةِ ، وأسألُكَ حُسْنَ الخاتمةِ ، وأسألُكَ اليقينَ ، وحُسْنَ المعرفةِ بكَ ، وأسألُكَ المَحَبَّةَ وحُسْنَ التوكُّلِ عليكَ ، وأسألُكَ الرِّضا وحُسْنَ الثِّقَةِ بكَ ، وأسألُكَ حُسْنَ المُنقلَبِ إليكَ

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وأَصْلِحْ أُمَّةَ محمَّدٍ ، اللَّهُمَّ ؛ ارْحَمْ أُمَّةَ محمَّدٍ ، اللَّهُمَّ ؛ فَرِّجْ عن أُمَّةِ محمَّدٍ فَرَجاً عاجلاً

ربَّنا ؛ اغْفِرْ لنا ولإخوانِنا الذينَ سَبَقُونا بالإيمانِ ، ولا تَجْعَلْ في قلوبِنا غِلّاً للذينَ آمنوا ، ربَّنا إنَّكَ رؤوفٌ رحيمٌ

اللَّهُمَّ ؛ اغْفِرْ لي ولوالديَّ ولمَنْ تَوالدا ، وارْحَمْهُما كما ربَّياني صغيراً ،

---

(١) في (د ، ح) : (الغافرين) .

واغْفِرْ لأعمامِنا وعمَّاتِنا ، وأخوالِنا وخالاتِنا ، وأزواجِنا وذُرِّيَّاتِنا ، ولجميعِ المؤمنينَ والمؤمناتِ ، والمسلمينَ والمسلماتِ ، الأحياءِ منهُم والأمواتِ ، يا أرحمَ الراحمينَ ، ويا خيرَ الغافرينَ)

ولمَّا كانَ الدعاءُ مُخَّ العبادةِ . . أَحْبَبْنا أنْ نستوفيَ مِنْ ذلكَ قِسْماً صالحاً نرجو بركتَهُ .

وهٰذهِ الأدعيةُ استخرجَها الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمَهُ اللهُ في كتابِهِ « قوتِ القلوبِ »[1] ، وعلىٰ نقلِهِ كلُّ الاعتمادِ ، وفيهِ البركةُ .

فَلْيَدْعُ بهٰذهِ الدعواتِ مُنفرِداً أو في جماعةٍ ؛ إماماً كانَ أو مأموماً ، ويختصرُ منها ما يشاءُ[2]

❁ ❁ ❁

(١) انظر « قوت القلوب » (١/ ٢٠ـ٣٧)

(٢) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) ، وفيه (بلغ سماعهم في الثالث والثلاثين على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام)

الباب الخمسون

في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات

فمِنْ ذلكَ : أنْ يُلازِمَ موضعَهُ الذي صلَّىٰ فيهِ مُستقبِلَ القبلةِ ، إلا أنْ يرى انتقالَهُ إلىٰ زاويتِهِ أَسْلمَ لدِينِهِ ؛ لكيلا يحتاجَ إلىٰ حديثٍ أوِ التفاتٍ إلىٰ شيءٍ ؛ فإنَّ السكوتَ في هٰذا الوقتِ وتَرْكَ الكلامِ . . لهُ أثَرٌ ظاهرٌ بيِّنٌ يجدُهُ أهلُ المُعامَلةِ وأربابُ القلوبِ ، وقد نَدَبَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ ذلكَ(١)

ثمَّ يقرأَ (الفاتحةَ) وأوَّلَ سورةِ (البقرةِ) إلى ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١ـ٥] ، والآيتَينِ ؛ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ . . . ﴾ [البقرة : ١٦٣ـ ١٦٤] ، وآيةَ الكُرْسيِّ ، والآيتَينِ بعدَها ، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ . . . ﴾ إلىٰ آخرِهِ [البقرة : ٢٨٥ـ ٢٨٦] ، والآيةَ قبلَهـا ، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ . . . ﴾ [آل عمـران : ١٨] ، و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ . . . ﴾ [آل عمران ٢٦] (٢) ، و﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ . . . ﴾ إلى ﴿ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤ ـ ٥٦] ، و﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ . . . ﴾ إلى الآخِرِ [التوبة : ١٢٨ـ ١٢٩] .

---

(١) رواه أبو داود (١٢٨٧) ، وأحمد (٣/ ٤٣٨ـ٤٣٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/ ١٩٦ـ١٩٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٣/ ٤٩) عن سيدنا معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه .

(٢) ويقرأ بعدها آية أيضاً ، كما في « القوت » (١/ ١٦) .

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ . . . ﴾ الآيتَينِ [الإسراء ١١٠-١١١] ، وآخرَ (الكهفِ) ؛ مِنْ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ . . . ﴾ إلىٰ آخرِهِ [الكهف : ١٠٧-١١٠] ، ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا . . . ﴾ إلىٰ ﴿ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٩] ، و ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . . . ﴾ [الروم ١٧] ، و﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ . . . ﴾ إلىٰ آخرِ السورةِ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]، و﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ . . . ﴾ إلىٰ آخرِهِ [الفتح: ٢٧-٢٩]، وأوَّلَ سورةِ (الحديدِ) إلىٰ ﴿ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحديد : ١ ـ ٦] ، وآخرَ سورةِ (الحشرِ) ؛ مِنْ ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا ﴾ [الحشر ٢١-٢٤] .

ثمَّ يُسبِّحَ ثلاثاً وثلاثينَ ، وهكذا يَحمَدُ مثلَهُ ، ويُكبِّرُ مثلَهُ ، ويُتمِّمُها مئةَ مرَّةٍ بـ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ) .

فإذا فَرَغَ مِنْ ذلكَ يشتغلُ بتلاوةِ القرآنِ حِفْظاً أو مِنَ المُصحَفِ ، أو يشتغلُ بأنواعِ الأذكارِ ، ولا يزالُ كذلكَ مِنْ غيرِ فُتُورٍ وقُصُورٍ ونُعاسٍ ؛ فإنَّ النومَ في هـٰذا الوقتِ مكروهٌ جدّاً ، فإنْ غَلَبَهُ النومُ فليَقُمْ في مُصلَّاهُ قائماً مُستقبِلَ القِبْلَةِ

فإنْ لم يذهبِ النومُ بالقيامِ يَخْطُ خَطَوَاتٍ نحوَ القِبْلَةِ ، ويتأخَّرْ بالخَطَوَاتِ كذلكَ ، ولا يستدبرِ القِبْلَةَ ؛ ففي إدامةِ استقبالِ القِبْلَةِ ، وتركِ الكلامِ والنومِ ، ودوامِ الذِّكْرِ في هـٰذا الوقتِ . . أَثَرٌ كثيرٌ وبركةٌ غيرُ قليلةٍ[1] ، وَجَدْنا ذلكَ بحمدِ اللهِ ، ونُوصي بهِ الطالبينَ[2] ، وأَثَرُ ذلكَ في حقِّ مَنْ يجمعُ

---

(١) في (هـ) : (كبير) بدل (كثير)

(٢) قال الشيخ أبو مدين رحمه الله : (مَنْ رُزِقَ حلاوة المناجاة طار عنه النوم) . من هامش (ح) .

في الأذكارِ بينَ القلبِ واللِّسانِ . . أَكْثرُ وأَظْهرُ .

وهـٰذا الوقتُ أوَّلُ النهارِ ، والنهارُ مَظِنَّةُ الآفاتِ ، فإذا أَحْكمَ أوَّلَهُ بهـٰذهِ الرِّعايةِ . . فقد أَحْكمَ بُنْيانَهُ ، وتُبتَنى أوقاتُ النهارِ جميعُها على هـٰذا البناءِ .

فإذا قاربَ طلوعُ الشمسِ يَبتدِئُ بقراءةِ المُسبَّعاتِ العشرِ ، وهيَ مِنْ تعليمِ الخَضِرِ عليهِ السلامُ ؛ علَّمَها إبراهيمَ التَّيْميَّ ، وذَكَرَ أنَّهُ تعلَّمَها مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] ، وينالُ بالمُداوَمةِ عليها جميعَ المُتفرِّقِ في الأذكارِ والدَّعَواتِ ؛ وهيَ :

عَشَرَةُ أشياءَ سبعةً سبعةً : (الفاتحةُ) ، و(المُعوِّذتَانِ) ، و(قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، و(قُلْ يا أيُّها الكافرونَ) ، وآيةُ الكُرْسيِّ ، و(سُبْحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلـٰهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ) ، والصلاةُ على النبيِّ وآلِهِ ، ويستغفرُ لنَفْسِهِ ولوالدَيهِ وللمؤمنينَ والمؤمناتِ ، ويقولُ سَبْعاً : (اللَّهُمَّ ؛ افعَلْ بي وبهِم عاجلاً وآجلاً في الدِّينِ والدنيا والآخرةِ ما أنتَ لهُ أهلٌ ، ولا تفعَلْ بنا يا مَوْلايَ ما نحنُ لهُ أهلٌ ؛ إنَّكَ غفورٌ حليمٌ ، جَوَادٌ كريمٌ ، رؤوفٌ رحيمٌ) .

---

(١) والخضر حيٌّ عند أكثر أهل العلم ؛ قال الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ١٧٦ـ ١٧٧) : (واختلفوا في حياة الخضر ؛ فقال الأكثرون من العلماء : هو حيٌّ موجودٌ بين أَظْهُرنا ، وذلك مُتَّفقٌ عليه عند الصوفيّة وأهلِ الصلاح والمعرفةِ . . . وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في « فتاويه » : هو حيٌّ عند جماهير العلماء والصالحين ، والعامَّةُ معهم في ذلك ، قال : وإنَّما شذَّ بإنكاره بعض المُحدِّثين) ، وانظر « فتاوى ابن الصلاح » (١/ ١٨٥ـ ١٨٦) ، و« تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المئة » للسيوطي (٢/ ٣١٧) ضمن « الحاوي للفتاوي » ، و« الفتاوى الحديثية » لابن حجر الهيتمي (ص٣٢٨) ، و« فتاوى الرملي » (٤/ ٢٢٢ـ٢٢٣) ، وسبق التنبيه عليه مختصراً في (١/ ٤٩٢) .

ورُوِيَ أنَّ إبراهيمَ التَّيْميَّ لمَّا قرَأَ هـٰذهِ بعدَ أنْ تعلَّمَها مِنَ الخَضِرِ عليهِ السلامُ . . رأىٰ في المَنَامِ أنَّهُ دخلَ الجنَّةَ ، ورأى الملائكةَ والأنبياءَ ، وأكلَ مِنْ طعامِ الجنَّةِ[1]

وقيلَ : إنَّهُ مَكَثَ أربعةَ أشهرٍ لم يَطْعَمْ ؛ قيلَ : لعلَّهُ كانَ ذلكَ لكونِهِ أكلَ مِنْ طعامِ الجنَّةِ[2]

فإذا فَرَغَ مِنَ المُسبَّعاتِ يُقبِلُ على التسبيحِ والاستغفارِ والتلاوةِ إلىٰ أنْ تَطلُعَ الشمسُ قِيدَ رُمْحٍ

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لَأَنْ أَقْعُدَ فِي مَجْلِسٍ أَذْكُرُ ٱللهَ فِيهِ مِنْ صَلَاةِ ٱلْغَدَاةِ إِلَىٰ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ . . أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ »[3]

ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ قبلَ أنْ ينصرفَ مِنْ مجلسِهِ ؛ فقد نُقِلَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ كانَ يُصلِّي الركعتَينِ[4] ، وبهاتَينِ الركعتَينِ تتبيَّنُ فائدةُ رِعايةِ هـٰذا الوقتِ .

---

(١) روىٰ حديث المُسبَّعات ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦/ ٤٢٩ـ٤٣٠) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٧ـ ١٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٤٧٦ـ ٤٧٨) ، وقال العراقي في « المغني » (١١٩٥) : (ليس له أصل) ، وقال الزَّبيدي في « الإتحاف » (٥/ ١٣٥) : (ولـٰكن مثل هـٰذا يُغتفر في فضائل الأعمال ، لا سيَّما وقد تلقَّتْهُ الأُمَّةُ بالقبول ، والله أعلم)

(٢) انظر « قوت القلوب » (١/ ١٨) ، و« إحياء علوم الدين » (٢/ ٤٧٩) .

(٣) رواه أبو داود (٣٦٦٧) ، والبزار في « المسند » (٧٢٤٤) ، والطبراني في « الدعاء » (١٨٧٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه

(٤) رواه الترمذي (٥٩٨) ، وابن ماجه (١١٦١) ، والنسائي (٢/ ١١٩) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وإذا صلَّى الركعتَينِ بجَمْعِ هَمٍّ وحضورِ فَهْمٍ وحُسْنِ تَدَبُّرٍ لِمَا يقرأُ . . يجدُ في باطنِهِ أَثَراً ونُوراً ورَوْحاً وأُنْساً إذا كانَ صادقاً ، والذي يَجِدُهُ مِنَ البركةِ ثوابٌ مُعجَّلٌ لهُ علىٰ عملِهِ هـٰذا

وأُحِبُّ أنْ يقرأَ في هاتَينِ الركعتَينِ في الأُولىٰ : آيةَ الكُرْسيِّ ، وفي الأُخـرىٰ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ . . . ﴾ [البقـرة : ٢٨٥] ، و﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . . ﴾ إلىٰ آخرِ الآيةِ [النور : ٣٥] ، وتكونُ نيَّتُهُ فيهما الشكرَ للهِ تعالىٰ علىٰ نِعَمِهِ في يومِهِ وليلتِهِ .

ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ أُخْرَيَينِ يقرأُ المُعوِّذتَينِ فيهما ؛ في كلِّ ركعةٍ سورةً ، وتكونُ صلاتُهُ هـٰذهِ ليستعيذَ باللهِ مِنْ شرِّ يومِهِ وليلتِهِ .

ويذكرُ بعدَ هاتَينِ الركعتَينِ كلماتِ الاستعاذةِ ؛ فيقولُ : (أعوذُ باسمِكَ وكلمتِكَ التامَّةِ ، مِنْ شرِّ السَّامَّةِ والهامَّةِ[1] ، وأعوذُ باسمِكَ وكلمتِكَ التامَّةِ مِنْ شرِّ عذابِكَ وشرِّ عبادِكَ ، وأعوذُ باسمِكَ وكلمتِكَ التامَّةِ مِنْ شرِّ الشيطانِ الرجيمِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ باسمِكَ وكلماتِكَ التامَّاتِ مِنْ خيرِ ما تُعطي أحداً وما تُسأَلُ ، ومِنْ خيرِ ما تُبْدي وما تُخفي ، وأعوذُ باسمِكَ وكلمتِكَ التامَّةِ مِنْ شرِّ ما يَجْري بهِ النهارُ[2] ، إنَّ ربِّيَ اللهُ لا إلـٰهَ إلا هوَ عليهِ توكَّلتُ وهوَ ربُّ العرشِ العظيمُ) .

---

(١) الهامَّة : واحدة (الهوامّ) ، ولا يقع هـٰذا الاسم إلا على المَخُوف من [الأحناش] « صحاح » . من هامش (ح)

(٢) في (أ ، د ، ح) : (الليل والنهار) ، والمثبت موافق لـ « القوت » (١/ ٢٣) ، وقال : (وإن كان مساءً قال : « ومن شرِّ ما جاء به الليلُ ») .

ويقولُ بعدَ الركعتَينِ الأُولَيَينِ : (اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أصبحتُ لا أستطيعُ دَفْعَ ما أكرهُ ، ولا أَملِكُ نَفْعَ ما أرجو ، وأصبحتُ مُرتهَناً بعملي ، وأصبحَ أَمْري بيدِ غَيْري ؛ فلا فقيرَ أَفْقرُ منِّي

اللَّهُمَّ ؛ لا تُشمِتْ بي عَدُوِّي ، ولا تَسُؤْ بي صديقي ، ولا تجعلْ مُصِيبتي في دِيني ، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ هَمِّي ، ولا مَبْلَغَ عِلْمي ، ولا غايةَ رغبتي[١] ، ولا تُسلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لا يرحمُني

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ الذُّنُوبِ التي تُزِيلُ النِّعَمَ ، وأعوذُ بكَ مِنَ الذُّنُوبِ التي تُوجِبُ النِّقَمَ)

ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ أُخْرَيَينِ بنيَّةِ الاستخارةِ لكلِّ عملٍ يعملُهُ في يومِهِ وليلتِهِ ، وهـٰذهِ الاستخارةُ تكونُ بمعنى الدعاءِ على الإطلاقِ ، وإلا فالاستخارةُ التي وَرَدَتْ بها الأخبارُ هيَ التي يُصلِّيها أمامَ كلِّ أمرٍ يُريدُهُ[٢]

---

(١) هـٰذه الجملة زيادة من نسخة علىٰ هامش (د) ، وهي في « القوت » (١/ ٢٤) بلفظ : (ولا غاية أملي)

(٢) كذا قال رحمه الله تعالىٰ ، وعقَّب عليه الإمام المُحقِّق الشهاب ابن حجر الهيتمي في « تحفة المحتاج » (٢/ ٢٣٨) ؛ فقال : (وهـٰذا عجيبٌ منه مع إمامته في الفقه أيضاً ، وكيف راجَ عليه صحَّةُ وحِلُّ صلاةٍ بنيَّةٍ مُختَرَعة لم يَرِدْ لها أصلٌ في السنة ؟! ومَنِ استحضر كلامَهُم في رَدِّ صلواتٍ ذُكِرَتْ في أيام الأسبوع . . عَلِمَ أنَّهُ لا تجوزُ ولا تصحُّ هـٰذه الصلواتُ بتلك النيَّات التي استحسنها الصُّوفيَّةُ من غير أن يَرِدَ لها أصلٌ في السنة . نعم ؛ إن نوىٰ مُطلَقَ الصلاة ثمَّ دعا بعدها بما يتضمَّنُ نحوَ استعاذةٍ أو استخارةٍ مُطلَقةٍ . . لم يكن بذلك بأسٌ) .

وكَتَبَ عليه الشرواني نقلاً عن السيِّد البَصْري : (الظاهر : أنَّهُ مُرادُ الشيخ المذكور ـ أي : صاحبِ « العوارف » ـ فمرادُهُ بقوله : « بنيةِ كذا » : بيانُ أنَّ ذلك لأمرٍ باعثٍ علىٰ فعل الصلاة المذكورة ، لا النيَّةُ المُرادةُ للفقهاء المُقترِنةُ بالتكبير ، وحملُ كلامِهِ =

ويقرأُ في هاتَينِ الركعتَينِ : (قُلْ يا أيُّها الكافرونَ) ، و(قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، ويقرأُ دعاءَ الاستخارةِ كما سَبَقَ ذكرُهُ في غيرِ هٰذا البابِ[1] ، ويقولُ فيهِ : (كلَّ قولٍ وعملٍ أُرِيدُهُ في هٰذا اليومِ اجعَلْ فيهِ الخِيَرَةَ)

ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ أُخرَيَينِ ؛ يقرأُ في الأُولىٰ سورةَ (الواقعةِ) ، وفي الأُخرىٰ : سورةَ (الأعلىٰ) ، ويقولُ بعدَها : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، واجْعَلْ حُبَّكَ أحبَّ الأشياءِ إليَّ ، وخَشْيتَكَ أخوفَ الأشياءِ عندي ، واقطَعْ عنِّي حاجاتِ الدنيا بالشوقِ إلىٰ لقائِكَ ، وإذا أَقْرَرْتَ أَعْيُنَ أهلِ الدنيا بدنياهُم . . فأَقْرِرْ عَيْنِي بعبادتِكَ ، واجْعَلْ طاعتَكَ في كلِّ شيءٍ منِّي يا أرحمَ الراحمينَ) .

ثمَّ يُصلِّي بعدَ ذلكَ ركعتَينِ ؛ يقرأُ فيهما شيئاً مِنْ حِزْبِهِ مِنَ القرآنِ .

ثمَّ بعدَ ذلكَ إنْ كانَ مُتفرِّغاً ليسَ لهُ شُغْلٌ في الدنيا . . يتنفَّلُ بأنواعِ العملِ مِنَ الصلاةِ والتِّلاوةِ والذِّكْرِ إلىٰ وقتِ الضُّحىٰ ، وإنْ كانَ ممَّنْ لهُ شُغْلٌ في الدنيا إمَّا لنَفْسِهِ أو لعِيالِهِ . . فلْيَمْضِ لحاجتِهِ ومَهَامِّهِ بعدَ أنْ يُصلِّيَ ركعتَينِ لخروجِهِ مِنَ المنزلِ

وهكذا ينبغي أنْ يفعلَ أبداً ؛ لا يخرجُ مِنَ البيتِ إلىٰ جهةٍ إلا بعدَ أنْ يُصلِّيَ ركعتَينِ ؛ ليَقِيَهُ اللهُ المَخْرَجَ السَّوءَ ، ولا يدخلُ البيتَ إلا ويُصلِّي ركعتَينِ ؛ ليَقِيَهُ اللهُ المَدْخَلَ السَّوءَ ، بعدَ أنْ يُسلِّمَ علىٰ مَنْ في المنزلِ مِنَ

= عليه أَوْلىٰ من التشنيع ، ويَعضُدُ هٰذا الاستحسانَ منهم ما صحَّ عنه صلَّى الله عليه وسلَّم من تقديم الصلاة عند عُرُوضِ أمرٍ يستدعي الدعاءَ)

(١) انظر (١/ ٣٩٥ـ٣٩٦)

الزوجةِ وغيرِها ، وإنْ لم يكنْ في البيتِ أحدٌ يُسلِّمُ أيضاً ويقولُ : (السلامُ علىٰ عبادِ اللهِ الصالحينَ المؤمنينَ) .

وإنْ كانَ مُتفرِّغاً أَحْسَنُ أَشْغالِهِ في هٰذا الوقتِ إلىٰ صلاةِ الضُّحىٰ . .

الصلاةُ

فإنْ كانَ عليهِ قضاءٌ يُصلِّي صلاةَ يومٍ أو يومَينِ أو أكثرَ ، وإلا يُصلِّي رَكَعاتٍ يُطوِّلُها ويقرأُ فيها القرآنَ ؛ فقد كانَ مِنَ الصالحينَ مَنْ يَختِمُ القرآنَ في الصلاةِ بينَ اليومِ والليلةِ ، وإلا فيُصلِّي أعداداً مِنَ الرَّكَعاتِ الخفيفةِ بـ (فاتحةِ الكتابِ) و(قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، وبالآياتِ التي في القرآنِ وفيها الدعاءُ ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة : ٤] ، وأمثالُ هٰذهِ الآيةِ ؛ يقرأُ في كلِّ ركعةٍ آيةً منها ؛ إمَّا مرَّةً ، أو يُكرِّرُها مهما شاءَ .

ويَقدِرُ الطالبُ أنْ يُصلِّيَ بينَ الصلاةِ التي ذَكَرْناها بعدَ طلوعِ الشمسِ وبينَ صلاةِ الضُّحىٰ مئةَ ركعةٍ خفيفةٍ ؛ فقد كانَ مِنَ الصالحينَ مَنْ وِرْدُهُ في اليومِ والليلةِ مئةُ ركعةٍ ، إلىٰ مئتَينِ ، إلىٰ خمسِ مئةِ ركعةٍ ، إلىٰ ألفِ ركعةٍ[1]

ومَنْ ليسَ لهُ في الدنيا شُغْلٌ وقد تركَ الدنيا علىٰ أهلِها . . فما بالُهُ يَبطُلُ ولا يتنعَّمُ بخِدْمةِ اللهِ تعالىٰ ؟! قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ رحمَهُ اللهُ : (لا يَكمُلُ شُغْلُ قلبِ العبدِ باللهِ الكريمِ ولهُ في الدنيا حاجةٌ) .

فإذا ارتفعتِ الشمسُ ، وتَنصَّفَ الوقتُ مِنْ صلاةِ الصبحِ إلى الظهرِ كما يَتنصَّفُ العصرُ بينَ الظهرِ والمغربِ . . يُصلِّي الضُّحىٰ ؛ فهٰذا الوقتُ أفضلُ الأوقاتِ لصلاةِ الضُّحىٰ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « صَلَاةُ

---

(١) انظر « قوت القلوب » (١/ ١٢٥) .

ٱلضُّحَىٰ إِذَا رَمِضَتِ ٱلْفِصَالُ »[1] ؛ وهوَ أنْ ينامَ الفَصِيلُ في ظِلِّ أُمِّهِ عندَ حرِّ الشمسِ[2]

وقيلَ : الضُّحىٰ إذا ضَحِيَتِ الأقدامُ بحرِّ الشمسِ

وأقلُّ صلاةِ الضُّحىٰ : ركعتانِ ، وأكثرُها : اثنتا عَشْرَةَ ركعةً

ويجعلُ لنَفْسِهِ دعاءً بعدَ كلِّ ركعتَينِ ، ويُسبِّحُ ويستغفرُ

ثمَّ بعدَ ذلكَ إنْ كانَ هناكَ حقٌّ يُقضىٰ ممَّا نُدِبَ إليهِ مِنْ زيارةٍ وعيادةٍ . . يمضي فيهِ ، وإلا فيُدِيمُ العملَ للهِ مِنْ غيرِ فُتُورٍ ؛ إمَّا ظاهراً وباطناً ، وقَلْباً وقالَباً ، وإلا فباطناً .

وترتيبُ ذلكَ : أنَّهُ يُصلِّي ما دامَ مُنشرِحاً ونَفْسُهُ مُجيبةً .

فإنْ سَئِمَ ينزلُ مِنَ الصلاةِ إلى التِّلاوةِ ؛ فإنَّ مُجرَّدَ التِّلاوةِ أخفُّ على النَّفْسِ مِنَ الصلاةِ

فإنْ سَئِمَ التِّلاوةَ أيضاً يَذكُرُ اللهَ بالقلبِ واللِّسانِ ؛ فهوَ أَخَفُّ مِنَ القراءةِ .

فإنْ سَئِمَ الذِّكْرَ أيضاً يَدَعُ ذكرَ اللِّسانِ ويُلازِمُ بقلبِهِ المُراقبَةَ ، والمُراقَبَةُ عِلْمُ القلبِ بنظرِ اللهِ إليهِ[3] ، فما دامَ هٰذا العِلْمُ مُلازِماً للقلبِ . . فهوَ مُراقِبٌ ، والمُراقَبةُ عينُ الذِّكْرِ وأَفْضلُهُ .

---

(١) رواه مسلم (٧٤٨/١٤٤) ، وغيرُهُ عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه ، وفيه : (صلاة الأوَّابين) بدل (صلاة الضحىٰ) ، وهي نفسها صلاة الضحىٰ ، وسُمِّيت بذلك ؛ للخبر الصحيح : « لا يُحافِظُ علىٰ صلاةِ الضحىٰ إلا أوَّابٌ ، وهيَ صلاةُ الأوَّابين » ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (٣/ ٩٧٩) .

(٢) **الفَصِيل** : واحدُ (الفِصال) و(الفُصْلان) ؛ وهو ولد الناقة إذا فُصِلَ عن أمه

(٣) أي : علم القلب المتصل بنظر الله تعالىٰ . من هامش (ح)

فإنْ عَجَزَ عن ذلكَ أيضاً ، وتَمَلَّكَتْهُ الوساوسُ ، وتزاحمَ في باطِنِهِ حديثُ النَّفْسِ . . فلْيَنَمْ ؛ ففي النومِ السلامةُ ، وإلا فكثرةُ حديثِ النَّفْسِ تُقسِّي القلبَ ككثرةِ الكلامِ ؛ لأنَّهُ كلامٌ مِنْ غيرِ لسانٍ ، فيحترزُ مِنْ ذلكَ ؛ قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ : (أَسْوأُ المعاصي حديثُ النَّفْسِ)

والطالبُ يُرِيدُ أنْ يعتبرَ باطنُهُ كما يعتبرُ ظاهرُهُ[١] ؛ فإنَّهُ بحديثِ النَّفْسِ وما يتخايلُ لهُ مِنْ ذِكْرِ ما مضىٰ وما رأىٰ وسَمِعَ . . كشخصٍ آخَرَ في باطِنِهِ[٢] ؛ فيُقَيِّدُ الباطنَ بالمُراقَبةِ والرِّعايةِ ، كما يُقَيِّدُ الظاهرَ بالعملِ وأنواعِ الذِّكْرِ

ويُمكِنُ للطالبِ المُجِدِّ أنْ يُصلِّيَ مِنْ صلاةِ الضُّحىٰ إلىٰ وقتِ الاستواءِ مئةَ ركعةٍ أُخْرىٰ ، وأقلُّ ذلكَ عشرونَ ركعةً يُصلِّيها خفيفةً ، أو يقرأُ في كلِّ ركعتَينِ جُزْءاً مِنَ القرآنِ أو أقلَّ أو أكثرَ

والنومُ بعدَ الفراغِ مِنْ صلاةِ الضُّحىٰ ، وبعدَ الفراغِ مِنْ أعدادٍ أُخَرَ مِنَ الرَّكَعاتِ . . حَسَنٌ ؛ قالَ سُفْيانُ رحمَهُ اللهُ : (كانَ يُعجِبُهُم إذا فَرَغُوا أنْ يناموا ؛ طَلَباً للسلامةِ)[٣]

وهٰذا النومُ فيهِ فوائدُ

منها : أنَّهُ يُعِينُ علىٰ قيامِ الليلِ

---

(١) في (أ) : (ينبغي) بدل (يريد)

(٢) في نسخة علىٰ هامش (أ) : (شَخَصَ أَثَرٌ في باطنه)

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٤٧) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٤٨٩) ، وسفيان : هو الثوري رحمه الله تعالىٰ

ومنها : أنَّ النَّفْسَ تستريحُ ، ويصفو القلبُ لبقيَّةِ النهارِ والعملِ فيهِ ، والنَّفْسُ إذا استراحَتْ عادَتْ جديدةً ، فبعدَ الانتباهِ مِنْ نومِ النهارِ يستجدُّ الباطنُ نشاطاً آخَرَ وشَغَفاً آخَرَ كما كانَ في أوَّلِ النهارِ ، فيكونُ للصادقِ في النهارِ نهارانِ يغتنمُهُما بخدمةِ اللهِ تعالىٰ والدُّؤوبِ في العملِ[1]

وينبغي أنْ يكونَ انتباهُهُ مِنْ نومِ النهارِ قبلَ الزَّوالِ بساعةٍ ؛ حتىٰ يتمكَّنَ مِنَ الوضوءِ والطَّهارةِ قبلَ الاستواءِ ؛ بحيثُ يكونُ وقتَ الاستواءِ مُستقبِلَ القِبْلَةِ ذاكراً ومُسبِّحاً وتالياً

قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ [هود ١١٤] ، وقالَ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه : ١٣٠] .

قيلَ : قبلَ طلوعِ الشمسِ : صلاةُ الصبحِ ، وقبلَ الغروبِ صلاةُ العصرِ ، ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ ﴾ أرادَ : العشاءَ الآخِرةَ ، ﴿ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [طه : ١٣٠] أرادَ : الظهرَ والمغربَ ؛ لأنَّ الظهرَ صلاةٌ في آخِرِ الطَّرَفِ الأوَّلِ مِنَ النهارِ ، وآخِرُ الطَّرَفِ الآخِرِ غروبُ الشمسِ ، وفيها صلاةُ المغرب ، فصارَ الظهرُ أوَّلَ الطَّرَفِ الآخِرِ[2] ، فيستقبلُ الطَّرَفَ الآخِرَ باليَقَظَةِ والذِّكْرِ كما استقبلَ الطَّرَفَ الأوَّلَ ، وقد عادَ بنومِ النهارِ جديداً كما كانَ بنومِ الليلِ

ويُصلِّي في أوَّلِ الزوالِ قبلَ السُّنَّةِ والفرضِ أربعَ رَكَعاتٍ بتسليمةٍ واحدةٍ ،

---

(١) في النسخ ما عدا (د ، هـ ، ح) : (لخدمة) بدل (بخدمة) .

(٢) العبارة في (ط) وفيها زيادةٌ : (فصار الظهر أول الطرف الأول ، والمغرب آخر الطرف الآخر) .

كما كان يُصلِّيها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] ، وهٰذهِ صلاةُ الزوالِ قبلَ الظهرِ في أوَّلِ أوقاتِهِ

ويحتاجُ أنْ يُراعِيَ لهٰذهِ الصلاةِ أوَّلَ الوقتِ ؛ بحيثُ يَفطَنُ للوقتِ قبلَ المُؤذِّنينَ ، [وحينَ] يذهبُ وقتُ الكراهيةِ بالاستواءِ يشرعُ في صلاةِ الزوالِ ، ويسمعُ الأذانَ وقد توسَّطَ هٰذهِ الصلاةَ

ثمَّ يستعدُّ لصلاةِ الظهرِ ، فإنْ وجدَ في باطنِهِ كَدَراً مِنْ مُخالَطةٍ أو مُجالَسةٍ اتَّفقَتْ . . يستغفرُ اللهَ تعالىٰ ويتضرَّعُ إليهِ ، ولا يشرعُ في صلاةِ الظهرِ إلا بعدَ أنْ يجدَ الباطنَ عائداً إلىٰ حالِهِ مِنَ الصفاءِ ؛ فالذائقونَ حَلاوةَ المُناجاةِ ، وصَفْوَ الأُنْسِ في الصلاةِ[2] . . يتكدَّرونَ بيسيرٍ مِنَ الاسترسالِ في المُباحِ ، ويصيرُ علىٰ بواطِنِهِم مِنْ ذلكَ عُقَدٌ وكَدَرٌ .

وقد يكونُ ذلكَ بمُجرَّدِ المُخالَطةِ والمُجالَسةِ معَ الأهلِ والولدِ معَ كونِ ذلكَ عبادةً ، ولٰكنَّ حسناتِ الأبرارِ سيِّئاتُ المُقرَّبينَ ، فلا يدخلُ الصلاةَ إلا بعدَ حَلِّ العُقَدِ وإذهابِ الكُدُورةِ ، وحَلُّ العُقَدِ بصدقِ الإنابةِ والاستغفارِ والتضرُّعِ إلى اللهِ تعالىٰ

ودواءُ ما يحدُثُ مِنَ الكَدَرِ بمُجالَسةِ الأهلِ والأولادِ . . أنْ يكونَ في مُجالَستِهِ غيرَ راكنٍ إليهِم كلَّ الرُّكُونِ ، بل يسترقُ القلبُ في ذلكَ نَظَراتٍ

---

(1) رواه أبو داود (١٢٧٠) ، وابن ماجه (١١٥٧) ، وأحمد (٥/ ٤١٦ـ٤١٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٤/ ١٦٩) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، والترمذي (٤٧٨) عن سيدنا عبد الله بن السائب رضي الله عنهما .

(2) العبارة في (ط) : (فالذائقون حلاوة الإيمان لا بدَّ أن يجدوا صفوَ . . .) ، والفعل بعدُ فيه : (ويتكدَّرون) بواو العطف والرفع

إلى اللهِ تعالىٰ ، فتكونُ تلكَ النَّظَراتُ كفَّارةَ تلكَ المُجالَسةِ

إلا أنْ يكونَ قَوِيَّ الحالِ لا يَحجُبُهُ الخَلْقُ عنِ الحقِّ ، فلا ينعقدُ علىٰ باطنِهِ عُقْدَةٌ ، فهوَ حينَ يدخلُ في الصلاةِ يجدُها ويجدُ باطنَهُ وقلبَهُ ؛ لأنَّهُ حيثُ استروحَتْ نَفْسُ هـٰذا إلى المُجالَسةِ . كانَ استرواحُ نَفْسِهِ مُنغمِراً برَوحِ قلبِهِ ؛ لأنَّهُ يُجالِسُ ويُخالِطُ بعينِ ظاهرِهِ ، فعينُ ظاهرِهِ ناظرةٌ إلى الخَلْقِ ، وعينُ قلبِهِ مُطالِعةٌ للحضرةِ الإلـٰهيَّةِ[1] ، فلا ينعقدُ علىٰ باطنِهِ عُقْدَةٌ

وصلاةُ الزوالِ التي ذَكَرْناها تَحُلُّ العُقَدَ ، وتُهيِّئُ الباطنَ لصلاةِ الظهرِ ، فيقرأُ في صلاةِ الزوالِ بمقدارِ سورةِ (البقرةِ) في النهارِ الطويلِ ، وفي القصيرِ ما يتيسَّرُ مِنْ ذلكَ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: ١٨] ، وهـٰذا هوَ الإظهارُ .

فإنِ انتظرَ بعدَ السُّنَّةِ حضورَ الجماعةِ للفرضِ ، وقَرَأَ الدعاءَ الذي بينَ الفريضةِ والسُّنَّةِ مِنْ صلاةِ الفجرِ . فحَسَنٌ ، وما وَرَدَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دعا بهِ إلا لصلاةِ الفجرِ[2]

ثمَّ إذا فَرَغَ مِنْ صلاةِ الظهرِ . يقرأُ (الفاتحةَ) وآيةَ الكُرْسيِّ ، ويُسبِّحُ ويَحمَدُ ويُكبِّرُ ثلاثاً وثلاثينَ كما وَصَفْنا ، ولو قَدَرَ على الآياتِ كلِّها التي ذَكَرْناها بعدَ صلاةِ الصبحِ وعلى الأدعيةِ أيضاً . كانَ في ذلكَ خيرٌ كثيرٌ ، وفضلٌ عظيمٌ ، ومَنْ لهُ هِمَّةٌ ناهضةٌ ، وعزيمةٌ صادقةٌ . لا يستكثرُ شيئاً للهِ تعالىٰ .

---

(١) في (أ ، ز ، ي) : (باطنه) .

(٢) وقد سبق هـٰذا الدعاء (٢/ ٢٩٦ـ٢٩٨) .

ثمَّ يُحيِي بينَ الظهرِ والعصرِ كما يُحيِي بينَ العِشاءَينِ على الترتيبِ الذي ذكَرْناهُ ؛ مِنَ الصلاةِ والتلاوةِ ، والذِّكْرِ والمُراقَبةِ .

ومَنْ دامَ سَهَرُهُ ينامُ نَوْمةً خفيفةً في النهارِ الطويلِ بينَ الظهرِ والعصرِ ، ولو أَحْيا بينَ الظهرِ والعصرِ بركعتَينِ يقرأُ فيهِما رُبُعَ القرآنِ ، أو يقرأُ ذلكَ في أربعِ ركَعاتٍ . . فهوَ خيرٌ كثيرٌ[1]

وإنْ أرادَ أنْ يُحيِيَ هذا الوقتَ بمئةِ ركعةٍ في النهارِ الطويلِ . . يُمكِنُ ذلكَ ، أو بعشرينَ ركعةً يقرأُ فيها : (قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ألفَ مرَّةٍ ؛ في كلِّ ركعةٍ خمسينَ .

ويستاكُ قبلَ الزوالِ إذا كانَ صائماً ، وإنْ لم يكنْ صائماً فأيَّ وقتٍ تغيَّرَ فيهِ الفمُ .

وفي الحديثِ : « ٱلسِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ »[2] ، وعندَ القيامِ إلى الفرائضِ يُستحَبُّ .

قيلَ : إنَّ الصلاةَ بالسِّواكِ تَفضُلُ على الصلاةِ بغيرِ سواكٍ سبعينَ ضِعْفاً ، وقيلَ : هوَ خبرٌ[3]

وإنْ أرادَ يقرأُ بينَ الصلاتَينِ في صلاتِهِ في عشرينَ ركعةً ، في كلِّ ركعةٍ آيةَ

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً)

(٢) سبق تخريجه في (٢/ ١٣٥)

(٣) رواه أحمد (٦/ ٢٧٢) ، والحاكم (١/ ١٤٥ـ١٤٦) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٤٧٣٨) ، والبزار في « المسند » (١٨/ ١٤٥) برقم : (١٠٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١/ ٣٨) مرفوعاً عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها

أو بعضَ آيةٍ ؛ يقرأُ في الركعةِ الأولىٰ : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة : ٢٠١]، ثمَّ في الثانيةِ : ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٠].

ثمَّ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا . . . ﴾ إلىٰ آخرِ السورةِ [البقرة : ٢٨٦] ، ثمَّ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا . . . ﴾ الآيةَ [آل عمران : ٨] .

ثمَّ : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ . . . ﴾ الآيةَ [آل عمران : ١٩٣] ، ثمَّ : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ . . . ﴾ [آل عمران : ٥٣]

ثمَّ : ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا . . . ﴾ [الأعراف : ١٥٥] ، ثمَّ : ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ . . . ﴾ [يوسف : ١٠١]

ثمَّ : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ . . . ﴾ الآيةَ [إبراهيم : ٣٨] ، ثمَّ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه : ١١٤]

ثمَّ : ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ . . . ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، ثمَّ : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ . . . ﴾ [الأنبياء ٨٩] .

ثمَّ ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون : ١١٨] ، ثمَّ : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا . . . ﴾ [الفرقان ٧٤] .

ثمَّ ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [النمل ١٩] ، ثمَّ ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر : ١٩] .

ثمَّ ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ . . . ﴾ الآيةَ مِنْ سورةِ

(الأحقافِ) [الأحقاف : ١٥] ، ثمَّ : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ. . . ﴾ الآيةَ [الحشر : ١٠] .

ثمَّ : ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا. . . ﴾ [الممتحنة : ٤][1] ، ثمَّ : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح : ٢٨]

ومهما يُصَلِّ بهٰذهِ الآياتِ وبالمحافظةِ علىٰ هٰذهِ الآياتِ في الصلاةِ ، مُواطِئاً للقلبِ واللِّسانِ[2] . . يُوشِكْ أنْ يرقىٰ إلىٰ مقامِ الإحسانِ[3]

ولو رَدَّدَ فَرْدَ آيةٍ مِنْ هٰذهِ الآياتِ في ركعتَينِ بينَ الظهرِ والعصرِ . . كانَ في جميعِ الوقتِ مُناجِياً لمَوْلاهُ ، وداعياً وتالياً ومُصلِّياً

والدُّؤُوبُ في العملِ ، واستيعابُ أجزاءِ النهارِ بهِ بلَذَاذةٍ وحلاوةٍ مِنْ غيرِ سآمةٍ . . لا يَصِحُّ إلا لعبدٍ تزكَّتْ نَفْسُهُ بكمالِ التقوىٰ ، واستقصىٰ في الزُّهْدِ في الدنيا ، وانتُزِعَ منهُ مُتابعةُ الهوىٰ

ومتىٰ بَقِيَ على الشخصِ مِنَ التقوىٰ والزُّهْدِ والهوىٰ بقيّةٌ . . لا يدومُ رَوحُهُ في العملِ ، بل يَنشَطُ وقتاً ويَسأَمُ وقتاً ، وتَناوُبُ النشاطِ والكسلِ فيهِ لبقاءِ بقيّةِ مُتابَعةِ شيءٍ مِنَ الهوى بنُقْصانِ تقوىٰ أو محبّةِ دنيا

وإذا صحَّ في الزُّهْد والتقوىٰ ؛ إنْ تَرَكَ العملَ بالجوارحِ . . لا يَفتُرُ عنِ

---

(١) زاد في (ح) : (ثم : ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾) ، وهي غير متناسبة مع العدد الذي ذكره المؤلف .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (د ، ح) : (محافظاً عليها في الصلاة) بدل (وبالمحافظة علىٰ هٰذه الآيات في الصلاة) .

(٣) ويجوز أن يُقرأ أيضاً : (يُرقَّىٰ) ، كما ضُبِطَ كذلك في بعض النسخ

العملِ بالقلبِ ، فمَنْ رامَ دوامَ الرَّوحِ واستحلاءَ الدُّؤوبِ في العملِ . فعليهِ بحَسْمِ مادَّةِ الهوىٰ

والهوىٰ رَوْحُ النَّفْسِ لا يزولُ ، ولـٰكن يزولُ متابعتُهُ ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما استعاذَ مِنْ وجودِ الهوىٰ ، ولـٰكنِ استعاذَ مِنْ مُتابَعتِهِ ؛ فقالَ « أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَوىً مُتَّبَعٍ » ، ولم يَستعِذْ مِنْ وجودِ الشُّحِّ ؛ فإنَّهُ طبيعةُ النَّفْسِ ، ولـٰكنِ استعاذَ مِنْ طاعتِهِ ؛ فقالَ : « وَشُحٍّ مُطاعٍ »[1]

ودقائقُ مُتابَعةِ الهوىٰ تتبيَّنُ علىٰ قَدْرِ صفاءِ القلبِ وعُلُوِّ الحالِ ؛ فقد يكونُ مُتَّبِعاً للهوىٰ باستحلاءِ مُجالَسةِ الخَلْقِ ومُكالَمتِهم أوِ النَّظَرِ إليهِم ، وقد يتَّبِعُ الهوىٰ بتجاوزِ الاعتدالِ في النومِ والأكلِ ، إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ أقسامِ الهوى المُتَّبَعِ ، وهـٰذا شُغْلُ مَنْ ليسَ لهُ شُغْلٌ في الدنيا .

ثمَّ يُصلِّي العبدُ قبلَ العصرِ أربعَ رَكَعاتٍ .

فإنْ أَمْكنَهُ تجديدُ الوضوءِ لكلِّ فريضةٍ . . كان أَكْملَ وأَتَمَّ ، ولوِ اغتسلَ كانَ أَفضلَ[2] ؛ فكلُّ ذلكَ لهُ أَثَرٌ ظاهرٌ في تنويرِ الباطنِ وتكميلِ الصلاةِ .

ويقرأُ في الأربعِ قبلَ العصرِ (إذا زُلزِلَتِ الأرضُ) ، و(العادياتِ) ، و(القارعةَ) ، و(ألهاكُم) .

ويُصلِّي العصرَ ؛ ويجعلُ مِنْ قراءتِهِ في بعضِ الأيَّامِ : (والسماءِ ذاتِ

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٤١) ، والترمذي (٣٠٥٨) ، وابن ماجه (٤٠١٤) عن سيدنا أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه ، بلفظ : « . . . بلِ ائتمروا بالمعروفِ ، وتناهَوا عنِ المنكرِ ؛ حتىٰ إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً ، وهوىً مُتَّبعاً ، ودنيا مُؤْثَرَةً ، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ . . فعليكَ بنفْسِكَ ، ودَعْ عنكَ العوامَّ . . . » .

(٢) في (ب ، هـ ، ح) : (أكمل) ، وفي (ح ، ي) : (أكمل وأفضل) .

البُرُوجِ) ؛ سمعتُ أنَّ قراءةَ سورةِ (البروجِ) في صلاةِ العصرِ أمانٌ مِنَ الدَّماميلِ ، ويقرأُ بعدَ العصرِ ما ذَكَرْنا مِنَ الآياتِ والدعاءِ ، وما يتيسَّرُ لهُ مِنْ ذلكَ .

فإذا صلَّى العَصْرَ ذَهَبَ وقتُ التنفُّلِ بالصلاةِ ، وبَقِيَ وقتُ الأذكارِ والتلاوةِ ، وأَفْضلُ مِنْ ذلكَ مُجالَسةُ مَنْ يُزهِّدُهُ في الدنيا ويَشُدُّ كلامُهُ عُرا التقوىٰ ؛ مِنَ العلماءِ الزاهدينَ المُتكلِّمينَ بما يُقوِّي عزائمَ المُريدينَ

فإذا صحَّتْ نيّةُ القائلِ والمُستمعِ . . فهٰذهِ المُجالَسةُ أَفْضلُ مِنَ الانفرادِ والمُداوَمةِ على الأذكارِ .

وإنْ عَدِمَ هٰذهِ المُجالَسةَ وتعذَّرتْ . . فليتروَّحْ بالتنقُّلِ في أنواعِ الأذكارِ[١] ، وإنْ كانَ خروجُهُ لحوائجِهِ وأَمْرِ معاشِهِ في هٰذا الوقتِ . . يكونُ أفضلَ وأَوْلىٰ مِنْ خروجِهِ في أولِ النهارِ .

ولا يخرجُ مِنَ المنزلِ إلا وهوَ على الوضوءِ

وكرهَ جمعٌ من العلماءِ تحيّةَ الطهارةِ بعدَ صلاةِ العصرِ ، وأجازَها المشايخُ والصالحونَ

ويقولُ كلَّما خَرَجَ مِنْ منزلِهِ : (باسمِ اللهِ ، ما شاءَ اللهُ ، حَسْبيَ اللهُ ، لا قوّةَ إلا باللهِ ، اللَّهُمَّ ؛ إليكَ خرجتُ وأنتَ أخرجْتَني) ، ولْيَقرَأْ : (الفاتحةَ) و(المُعوِّذتَينِ) .

ولا يَدَعُ أنْ يتصدَّقَ كلَّ يومٍ بما يتيسَّرُ لهُ ولو تمرةً واحدةً أو لُقْمةً ؛ فإنَّ

---

(١) في النسخ ما عدا (ب ، د ، ز) : (بالتنفُّل) بدل (بالتنقُّل) ، وفي (ب) : (بالشغل) .

القليلَ بحُسْنِ النيَّةِ عندَ اللهِ كثيرٌ ؛ رُوِيَ أنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أَعْطَتِ السائلَ عِنَبةً واحدةً وقالتْ : إنَّ فيها لمثاقيلَ ذرٍّ كثيرٍ[١]

وجاءَ في الخبرِ : « كُلُّ ٱمْرِئٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ صَدَقَتِهِ »[٢]

ويكونُ مِنْ ذِكْرِهِ مِنَ العصرِ إلى المغربِ مئةَ مرَّةً : (لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ) ، وقد وَرَدَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّ مَنْ قالَ ذلكَ في يومِهِ مئةَ مرَّةٍ[٣] . . لم يعملْ أحدٌ في يومِهِ أفضلَ مِنْ عملِهِ[٤]

---

(١) رواه مالك (٢/ ٩٩٧) بلاغاً ، وابن زنجويه في « الأموال » (١٣٢٥ ، ١٣٢٦) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٨/ ٤٩٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٣١٩٠) ، وروىٰ أيضاً (٨٧١١) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه : أنَّ سائلاً أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأعطاه تمرة ، فقال الرجل : سبحان الله !! نبيٌّ من الأنبياء يتصدَّقُ بتمرة ؟! فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم « أَوَما علمتَ أنَّ فيها مثاقيلَ ذرٍّ كثيرةً ؟ » ، فأتاه آخَرُ فسأله ، فأعطاه تمرةً ، فقال : تمرةٌ من نبيٍّ من الأنبياء ، لا تُفارِقُني هـٰذه التمرةُ ما بَقِيتُ ، ولا أزالُ أرجو بركتَها أبداً ، قال : فأمر النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم له بمعروف ، وما لَبِثَ الرجلُ أنِ استغنىٰ .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٤٥) ، وأحمد (٤/ ١٤٧ـ١٤٨) ، وابن حبان (٣٣١٠) ، والحاكم (١/ ٤١٦) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٣) في بعض النسخ : (مئتي مرة) .

(٤) رواه البخاري (٦٤٣) ، ومسلم (٢٦٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وجاءت العبارة في (ط) مع زيادة موجودة في « الصحيحين » ، واللفظ فيها : (مئة مرَّة . . كانَ له عِدْلُ عشر رقاب ، وكُتِبتْ له مئةُ حسنة ، ومُحِيتْ عنه مئةُ سيِّئة ، وكانتْ له حِرزاً من الشيطان يومَهُ ذلك حتىٰ يُمسيَ ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ ممَّا جاء به ، إلا أحدٌ عَمِلَ أكثرَ من ذلك) ، ثمَّ قال : (ومئتا مرَّة : « لا إلـه إلا اللهُ المَلِكُ الحقُّ المبين » ؛ فقد ورد : أنَّ مَنْ قال في يومه مئتي مرَّة : « لا إلـه إلا اللهُ المَلِكُ الحقُّ » . . لم يعمل أحدٌ في يومه أفضلَ من عمله) ، ولعلَّ الأَوْلىٰ ما أُثبت من جميع النسخ الخطِّية ، والله تعالىٰ أعلم

ويقولُ مئةَ مرَّةٍ : (سُبْحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ . . .) الكلماتِ[1]

ومئةَ مرَّةٍ : (سُبْحانَ اللهِ وبحمدِهِ ، سُبْحانَ اللهِ العظيمِ وبحمدِهِ ، أستغفرُ اللهَ)

ومئةَ مرَّةٍ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ المَلِكُ الحقُّ المُبينُ)

ومئةَ مرَّةٍ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ)

ومئةَ مرَّةٍ : (أستغفرُ اللهَ العظيمَ الذي لا إلـٰهَ إلا هوَ الحيَّ القيومَ ، وأسألُهُ التوبةَ)

ومئةَ مرَّةٍ : (ما شاءَ اللهُ لا قوَّةَ إلا باللهِ) .

ورأيتُ بعضَ الفقراءِ مِنَ المغربِ بمكَّةَ حَرَسَها اللهُ ولهُ سُبْحةٌ فيها ألفُ حبَّةٍ في كيسٍ لهُ ، ذَكَرَ أنَّ وِرْدَهُ أنْ يُدِيرَها كلَّ يومٍ اثنتَيْ عَشْرَةَ مرَّةً بأنواعِ الذِّكْرِ

ونُقِلَ عن بعضِ الصحابةِ أنَّ ذلكَ كانَ وِرْدَهُ بينَ اليومِ والليلةِ[2]

ونُقِلَ عن بعضِ التابعينَ أنَّهُ كانَ وِرْدُهُ مِنَ التسبيحِ ثلاثينَ ألفاً بينَ اليومِ والليلةِ[3]

ولْيَقُلْ مئةَ مرَّةٍ بينَ اليومِ والليلةِ هـٰذا التسبيحَ : (سُبْحانَ اللهِ العَلِيِّ الديَّانِ ، سُبْحانَ اللهِ شديدِ الأركانِ ، سُبْحانَ مَنْ يَذهَبُ بالليلِ ويأتي

---

(١) يعني : (ولا إلـه إلا الله ، والله أكبر) . من هامش (ح)

(٢) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٢٤ـ١٢٥) ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧٢٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٢٥)

بالنهارِ ، سُبْحانَ مَنْ لا يشغلُهُ شانٌ عن شانٍ ، سُبْحانَ اللهِ الحنَّانِ المنَّانِ ، سُبْحانَ اللهِ المُسبَّحِ في كلِّ مكانٍ)[1]

رُوِيَ أنَّ بعضَ الأبدالِ باتَ على شاطئِ البحرِ ، فسَمِعَ في هُدوءِ الليلِ هٰذا التسبيحَ ، فقالَ : مَنْ ذا الذي أسمعُ صوتَهُ ولا أرىٰ شَخْصَهُ ؟

فقالَ : أنا مَلَكٌ مِنَ الملائكةِ مُوكَّلٌ بهٰذا البحرِ ، أُسبِّحُ اللهَ بهٰذا التسبيحِ منذُ خُلِقْتُ .

فقلتُ : ما اسمُكَ ؟ فقالَ : مَهْلَيهيائيل[2]

قلتُ : ما ثوابُ هٰذا التسبيحِ ؟ قالَ : مَنْ قالَهُ مئةَ مرَّةٍ لم يَمُتْ حتىٰ يرىٰ مقعدَهُ مِنَ الجنَّةِ أو يُرىٰ له[3]

ورُوِيَ أنَّ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ سألَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر : ٦٣] ، فقالَ : « سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ عَظِيمٍ مَا سَأَلَنِي غَيْرُكَ ؛ هُوَ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَٱللهُ أَكْبَرُ ، وَسُبْحَـانَ ٱللهِ ، وَٱلْحَمْـدُ لِلهِ ، وَلَا حَـوْلَ وَلَا قُـوَّةَ إِلَّا بِـٱللهِ عـزَّ وجـلَّ ، وَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ ٱلْأَوَّلَ ٱلْآخِرَ ٱلظَّاهِرَ ٱلْبَاطِنَ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، بِيَدِهِ ٱلْخَيْرُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ؛ مَنْ قَالَهَا عَشْراً حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي . . أُعْطِيَ سِتَّ خِصَالٍ .

---

(١) قوله : (المُسبَّح) زِيدَ من بعض النسخ ، وجاء في بعضها بدلَ لفظ الجلالة

(٢) تفاوت ضبطه في النسخ ، والمثبت من أكثرها ، وهو من الأسماء السريانية

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٢٥) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٥٢٥)

فَأَوَّلُ خَصْلَةٍ : أَنْ يُحْرَسَ مِنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ

ٱلثَّانِيَةُ : يُعْطَىٰ قِنْطَاراً مِنَ ٱلْأَجْرِ

ٱلثَّالِثَةُ : تُرْفَعُ لَهُ دَرَجَةٌ فِي ٱلْجَنَّةِ

ٱلرَّابِعَةُ : يُزَوِّجُهُ ٱللهُ مِنَ ٱلْحُورِ ٱلْعِينِ .

ٱلْخَامِسَةُ : ٱثْنَا عَشَرَ مَلَكاً يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ .

ٱلسَّادِسَةُ : يَكُونُ لَهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ كَمَنْ حَجَّ وَٱعْتَمَرَ »(١)

ويقولُ أيضاً في هٰذا الوقتِ وفي أوَّلِ النهارِ : (اللَّهُمَّ ؛ أنتَ خلقْتَني وأنتَ هَدَيْتَني ، وأنتَ تُطعِمُني وأنتَ تَسْقِيني ، وأنتَ تُميتُني وأنتَ تُحيِيني ، أنتَ ربِّي لا ربَّ لي سِواكَ ، ولا إلٰهَ إلا أنتَ وَحْدَكَ لا شريكَ لكَ)

ويقولُ : (ما شاءَ اللهُ لا قوَّةَ إلا باللهِ ، ما شاءَ اللهُ كلُّ نعمةٍ مِنَ اللهِ ، ما شاءَ اللهُ الخيرُ كلُّهُ بيدِ اللهِ ، ما شاءَ اللهُ لا يصرفُ السُّوءَ إلا اللهُ) .

ويقولُ (حَسْبيَ اللهُ لا إلٰهَ إلا هوَ عليهِ توكَّلتُ وهوَ ربُّ العرشِ العظيمِ) .

ثمَّ يستعدُّ لاستقبالِ الليلِ بالوضوءِ والطهارةِ ، ويقرأُ المُسبِّعاتِ قُبيلَ الغروبِ ، ويُدِيمُ التسبيحَ والاستغفارَ ؛ بحيثُ تغيبُ الشمسُ وهوَ في التسبيحِ والاستغفارِ .

---

(١) رواه أبو يعلىٰ كما في « المقصد العلي » (١٦٤٧) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٤٠٥) ، والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (٤/٢٣١) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٧٣) ، والطبراني في « الدعاء » (١٧٠٠)

ويقرأُ عندَ الغروبِ أيضاً (والشمسِ) (والليلِ) و(المُعوِّذتَين) ، ويستقبلُ الليلَ كما استقبلَ النهارَ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان ٦٢] .

فكما أنَّ الليلَ يَعقُبُ النهارَ والنهارَ يَعقُبُ الليلَ . . ينبغي أنْ يكونَ العبدُ بينَ الذِّكْرِ والشكرِ ؛ يَعقُبُ أحدُهُما الآخَرَ ، لا يتخلَّلُهُما شيءٌ ، كما لا يتخلَّلُ بينَ الليلِ والنهارِ شيءٌ

والذِّكْرُ جميعُهُ أعمالُ القلبِ ، والشكرُ أعمالُ الجوارحِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرًا ﴾ [سبأ : ١٣] ، واللهُ المُوفِّقُ والمُعِينُ(١)

* * *

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) ، وفيه : (بلغ سماع الجماعة على الشيخ أمين الدين في الرابع والثلاثين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الحادي والخمسون

في أدب المريد مع الشيخ

أدبُ المُرِيدينَ معَ الشُّيُوخِ عندَ الصُّوفيّةِ . . مِنْ مَهامِّ الآدابِ ، وللقومِ في ذلكَ اقتداءٌ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابِهِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١] .

رُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّهُ قالَ : قَدِمَ وفدٌ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ بني تميمٍ[١] ، فقالَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أَمِّرِ القَعْقاعَ بنَ مَعْبَدٍ ، وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : بل أَمِّرِ الأقرعَ بنَ حابسٍ ، فقالَ أبو بكرٍ ما أردتَ إلا خِلافي ، وقالَ عمرُ ما أردتُ خِلافَكَ[٢] ، فتَمَارَيا حتى ارتفعَتْ أصواتُهُما ، فأَنْزلَ اللهُ تعالىٰ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ . . . ﴾ الآيةَ[٣]

---

(١) والوفد في هـٰذا الوقت قيل : سبعون أو ثمانون . من هامش (ح)

(٢) في النسخ ما عدا (ب) : (إلا خلافي) بدل (خلافك) ، وعليها يكون (أردت) بفتح التاء ، والمثبت من (ب) موافق لرواية « البخاري »

(٣) رواه البخاري (٤٣٦٧ ، ٤٨٤٥) ، وسيأتي أيضاً في (٢/ ٣٤٢ـ ٣٤٣) مسنداً من طريق الترمذي

قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (﴿ لَا تُقَدِّمُوا ﴾ : لا تتكلَّمُوا بينَ يَدَيْ كلامِهِ)(١)

وقالَ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ : (كانَ ناسٌ يُضحُّونَ قبلَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فنُهُوا عن تقديمِهِمُ الأُضْحِيَةَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)(٢)

وقيلَ كانَ قومٌ يقولونَ (لو أنزلَ في كذا وكذا) ، فكَرِهَ اللهُ ذلكَ(٣)

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (أي : لا تَصُومُوا قبلَ أنْ يصومَ نبيُّكُم)(٤)

وقالَ الكَلْبيُّ : (لا تَسْبِقُوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بقولٍ ولا فعلٍ حتىٰ يكونَ هوَ الذي يأمرُكُم بهِ)(٥)

وهـٰذا أدبُ المُريدِ معَ الشيخِ ؛ أنْ يكونَ مسلوبَ الاختيارِ ، لا يتصرَّفُ

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٢٧٢) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٦٠٦) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٢٧٦) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٣٦) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٢٧٦) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٦٠٤) .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٧١٣) ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٧/ ٥٤٧) إلى ابن مردويه ، ورواه ابن مردويه أيضاً كما في « الدر المنثور » (٧/ ٥٤٧) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٥) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤١)

في نَفْسِهِ ومالِهِ إلا بمُراجَعةِ الشيخِ وأَمْرِهِ ، وقدِ استَوْفَيْنا هـٰذا المعنىٰ في (بابِ المَشْيَخَةِ)[1]

وقيلَ : (﴿ لَا تُقَدِّمُواْ ﴾ لا تَمْشُوا بينَ يَدَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[2]

وروىٰ أبو الدَّرْداءِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كنتُ أَمْشي أمامَ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتَمْشِي أَمَامَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ؟! »[3]

وقيلَ نَزَلَتْ في أقوامٍ كانوا يَحضُرونَ مَجْلِسَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فإذا سُئِلَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن شيءٍ . . خاضُوا فيهِ ، وتقدَّمُوا بالقولِ والفَتْوىٰ ، فنُهُوا عن ذلكَ[4]

وهكذا أدبُ المُريدِ في مجلسِ الشيخِ ؛ ينبغي أنْ يلزمَ السكوتَ ، ولا يقولَ شيئاً بحضرتِهِ مِنْ كلامٍ حَسَنٍ إلا إذا استأمرَ الشيخَ[5] ، ووَجَدَ مِنَ الشيخِ فُسْحةً لهُ في ذلكَ .

وشأنُ المُريدِ في حضرةِ الشيخِ كمَنْ هوَ قاعدٌ علىٰ ساحلِ بَحْرٍ ينتظرُ رِزْقاً

---

(١) راجع (الباب العاشر) ، وانظر (٢/ ٣٦٥ـ ٣٦٧)

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٢) .

(٣) رواه ابن أبي عاصم في « السنة » (١٢٢٤) ، وأحمد في « فضائل الصحابة » (١٣٥) ، وأبو طاهر المُخلِّص في « المخلصيات » (١٩١٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٢٥)

(٤) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٣)

(٥) في (أ ، ز) : (استأذن) بدل (استأمر) .

يُساقُ إليهِ ، فتَطَلُّعُهُ إلى الاستماعِ وما يُرزَقُ مِنْ طريقِ كلامِ الشيخِ . . يُحقِّقُ مقامَ إرادتِهِ وطَلَبِهِ واستزادتِهِ مِنْ فضلِ اللهِ ، وتَطَلُّعُهُ إلى القولِ يَرُدُّهُ عن مقامِ الطَّلَبِ والاستزادةِ إلىٰ مقامِ إثباتِ شيءٍ لنَفْسِهِ ، وذلكَ جِنايةُ المُريدِ .

وينبغي أنْ يكونَ تَطَلُّعُهُ إلىٰ مُبهَمٍ مِنْ حالِهِ يستكشفُ عنهُ بالسؤالِ مِنَ الشيخِ

علىٰ أنَّ الصادقَ لا يحتاجُ إلى السؤالِ باللِّسانِ في حَضْرةِ الشيخِ ، بل يُبادِئُهُ بما يُريدُهُ ؛ لأنَّ الشيخَ يكونُ مُستنطِقاً نُطْقَهُ بالحقِّ ، وهوَ عندَ حضورِ الصادقينَ يرفعُ قلبَهُ إلى اللهِ ، ويستمطرُ ويَسْتَسْقي لهُم ، فيكونُ لسانُهُ وقلبُهُ في القولِ والنُّطْقِ مأخوذَينِ إلىٰ مُهِمِّ الوقتِ مِنْ أحوالِ الطالِبينَ المُحتاجِينَ إلىٰ ما يُفتَحُ بهِ عليهِ ؛ لأنَّ الشيخَ يعلمُ تَطَلُّعَ الطالبِ إلىٰ قولِهِ واعتدادَهُ بقولِهِ .

فالقولُ كالبَذْرِ يقعُ في الأرضِ ، فإذا كانَ البَذْرُ فاسداً لا يَرِيعُ[1] ، وفسادُ الكلمةِ بدخولِ الهوىٰ فيها

فالشيخُ يُنقِّي بَذْرَ الكلامِ عن شَوْبِ الهوىٰ ، ويُسلِمُهُ إلى اللهِ ، ويسألُ اللهَ تعالى المعونةَ والسَّدادَ ، ثمَّ يقولُ فيكونُ كلامُهُ بالحقِّ مِنَ الحقِّ للحقِّ .

فالشيخُ للمُريدينَ أمينُ الإلهامِ ، كما أنَّ جبريلَ أمينُ الوحيِ ؛ فكما لا يخونُ جبريلُ في الوحيِ لا يخونُ الشيخُ في الإلهامِ ، وكما أنَّ رسولَ اللهِ

(١) في النسخ ما عدا (ج ، د) : (مفسوداً) بدل (فاسداً) ، وهو لا يصحُّ إلا إذا جاء فعله مُتعدِّياً ، وعدَّهُ الحريري في « درة الغواص » (ص١٨٣) من مفاضح اللحن الشنيع ، ويَرِيع : يزكو وينمو .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يَنطِقُ عنِ الهوىٰ . . كذلكَ الشيخُ مُقتَدٍ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ظاهراً وباطناً ؛ لا يتكلَّمُ بهوى النَّفْسِ .

وهوى النَّفْسِ في القولِ بشيئَينِ

أحدُهُما طَلَبُ استجلابِ القلوبِ وصَرْفُ الوجوهِ إليهِ ، وما هٰذا مِنْ شأنِ الشُّيُوخِ

والثاني ظُهُورُ النَّفْسِ باستحلاءِ الكلامِ والعُجْبِ ، وذلكَ خِيانةٌ عندَ المُحقِّقينَ[1]

والشيخُ فيما يَجْرِي علىٰ لسانِهِ . . راقدُ النَّفْسِ ، تشغلُهُ مُطالَعةُ نِعَمِ الحقِّ في ذلكَ ، وأخذُ الحظِّ مِنْ فوائدِهِ . . عن ظهورِ النَّفْسِ بالاستحلاءِ والعُجْبِ .

ويكونُ الشيخُ فيما يُجْرِيهِ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ عليهِ مُستمِعاً كأحدِ المُستمِعينَ .

وكانَ الشيخُ أبو السُّعُودِ رحمةُ اللهِ عليهِ يتكلَّمُ معَ الأصحابِ بما يُلقىٰ إليهِ ، وكانَ يقولُ أنا في هٰذا الكلامِ مُستمعٌ كأحدِكُم .

فأَشْكَلَ ذلكَ علىٰ بعضِ الحاضرينَ ، وقالَ : إذا كانَ القائلُ هوَ يعلمُ ما يقولُ . . كيفَ يكونُ كمُستمعٍ ما يعلمُ حتىٰ يَسمَعَ منهُ ؟!

فرَجَعَ إلىٰ منزلِهِ ، فرأىٰ ليلتَهُ في المنامِ كأنَّ قائلاً يقولُ لهُ : أليسَ الغَوَّاصُ يغوصُ في البحرِ لطَلَبِ الدُّرِّ ، ويجمعُ الصَّدَفَ في مِخْلاتِهِ ، والدُّرُّ

---

(١) في (ب ، د) : (جناية) بدل (خيانة)

قد حَصَلَ معَهُ ، ولـٰكن لا يراهُ إلا إذا خَرَجَ مِنَ البحرِ ، ويُشارِكُهُ في رؤيةِ الدُّرِّ مَنْ هوَ على الساحلِ ؟! ففَهِمَ بالمنامِ إشارةَ الشيخِ في ذلكَ .

فأحسنُ آدابِ المُرِيدِ معَ الشيخِ : السُّكُونُ[1] والخُمُودُ والجُمُودُ حتىٰ يُبادِئَهُ الشيخُ بما لهُ فيهِ الصلاحُ قولاً وفِعْلاً

وقيلَ أيضاً في قولِهِ تعالىٰ ﴿ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ : (لا تَطلُبُوا منزلةً وراءَ منزلتِهِ)[2]

وهـٰذا مِنْ محاسنِ الآدابِ وأَعَزِّها ؛ ينبغي للمُرِيدِ أَلَّا يُحدِّثَ نَفْسَهُ بطلبِ منزلةٍ فوقَ منزلةِ الشيخِ ، بل يُحِبُّ للشيخِ كلَّ منزلةٍ عاليةٍ ، ويتمنَّىٰ للشيخِ عزيزَ المِنَحِ وغرائبَ المواهبِ .

وبهـٰذا يظهرُ جوهرُ المُرِيدِ في حُسْنِ الإرادةِ ، وهـٰذا يَعِزُّ في المُرِيدينَ ، فإرادتُهُ للشيخِ تُعطِيهِ فوقَ ما يتمنَّىٰ لنَفْسِهِ ، ويكونُ قائماً بأدبِ الإرادةِ .

قالَ السَّرِيُّ رحمَهُ اللهُ : (حُسْنُ الأدبِ تَرْجُمانُ العَقْلِ)[3]

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفِيفٍ رحمَهُ اللهُ : قالَ لي رُوَيمٌ : يا بُنَيَّ ؛ اجعَلْ عملَكَ مِلْحاً ، وأدبَكَ دقيقاً[4]

وقيلَ : (التصوُّفُ كلُّهُ أدبٌ ، لكلِّ وقتٍ أدبٌ ، ولكلِّ حالٍ أدبٌ ،

---

(١) في (ح) ونسخة أشار إليها في (د) : (السكوت)

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٠) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٣) .

(٣) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٥٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٢٤).

(٤) أورده القرافي في « الفروق » (٣/ ٩٦) من قول رُوَيم لابنه رحمهما الله تعالىٰ .

ولكلِّ مقامٍ أدبٌ ؛ فمَنْ لَزِمَ الأدبَ يبلغُ مبلغَ الرجالِ ، ومَنْ حُرِمَ الأدبَ فهوَ بعيدٌ مِنْ حيثُ يَظُنُّ القُرْبَ ، ومردودٌ مِنْ حيثُ يرجو القَبولَ)(١)

ومِنْ تأديبِ اللهِ تعالىٰ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . قولُهُ تعالىٰ : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ [الحجرات : ٢] .

كانَ ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ في أُذُنِهِ وَقْرٌ ، وكانَ جَهْوَرِيَّ الصوتِ ، وكانَ إذا كَلَّمَ إنساناً جَهَرَ بصوتِهِ ، وربَّما كانَ يُكلِّمُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيتأذَّىٰ بصوتِهِ ، فأَنْزَلَ اللهُ الآيةَ تأديباً لهُ ولغيرِهِ(٢)

(١١٧) ـ أخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفَتْحِ الهَرَويُّ ، قالَ أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ المُثنَّىٰ ، قالَ حدَّثَنا مُؤمَّلُ بنُ إسماعيلَ ، قالَ : حدَّثَنا نافعُ بنُ عمرَ بنِ جَميلٍ الجُمَحيُّ ، قالَ حدَّثَني ابنُ أبي مُلَيكةَ ، قالَ : حدَّثَني عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ : أنَّ الأَقْرعَ بنَ حابسٍ قَدِمَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ أبو بكرٍ : استعمِلْهُ علىٰ قومِهِ ، وقالَ عمرُ : لا تستعمِلْهُ يا رسولَ اللهِ ، فتكلَّما عندَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتىٰ عَلَتْ أصواتُهُما

فقالَ أبو بكرٍ لعُمَرَ : ما أردتَ إلا خِلافي ، وقالَ عمرُ : ما أردتُ

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٤٨) عن أبي حفص الحداد من قوله رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٤) ، والواحدي في « أسباب النزول » (ص٤٠٢) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٧٠٩) ، وما سيأتي في (٢/ ٣٤٥ـ ٣٤٧) .

خِلافَكَ[1] ، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى الآيةَ ، فكانَ عمرُ بعدَ ذلكَ إذا تكلَّمَ عندَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يُسمَعُ كلامُهُ حتىٰ يُستفهَمَ[2]

وقيلَ لمَّا نَزَلَتِ الآيةُ آلىٰ أبو بكرٍ ألَّا يتكلَّمَ عندَ رسولِ اللهِ إلا كأخي السِّرارِ[3]

فهكذا ينبغي أنْ يكونَ المُرِيدُ معَ الشيخِ ؛ لا ينبسطُ برَفْعِ الصوتِ وكَثْرةِ الضَّحِكِ وكثرةِ الكلامِ ، إلا إذا بَسَطَهُ الشيخُ

فرَفْعُ الصوتِ تنحيةُ جِلْبابِ الحياءِ والوَقارِ ، والوَقارُ إذا سَكَنَ القلبَ عَقَلَ اللِّسانَ .

وقد يُنازِلُ باطنَ بعضِ المُرِيدينَ مِنَ الحُرْمةِ والوَقارِ مِنَ الشيخِ . . . ما لا يستطيعُ المُرِيدُ أنْ يُشبِعَ النظرَ إلى الشيخِ

وقد كنتُ أُحَمُّ ، فيدخلُ عَلَيَّ عمِّي وشيخي أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ ، فيَرْشَحُ جَسَدي عَرَقاً ، وكنتُ أتمنَّى العرقَ لتَخِفَّ عنِّي الحُمَّىٰ ، فكنتُ أجدُ ذلكَ عندَ دخولِ الشيخِ عَلَيَّ ، ويكونُ في قُدُومِهِ بركةٌ وشفاءٌ[4]

---

(١) في النسخ : (ما أردتَ إلا خلافي) ، وانظر ما تقدَّم تعليقاً في (٢/ ٣٣٦) .

(٢) سنن الترمذي (٣٢٦٦) ، وانظر ما تقدَّم في (٢/ ٣٣٦)

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٧٤) ، والحارث بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٩٥) من حديث سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو في « صحيح البخاري » (٧٣٠٢) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه ، ولم يذكره الراوي ـ وهو سيدنا ابن الزبير ـ عن جدِّه أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وآلىٰ : حلف ، والسِّرار المُساررة ، والمراد : أنَّهُ حلف ألَّا يكلمه إلا كصاحب السِّرار ، أو كمثل المُسارزة ؛ لخفض صوته

(٤) في غالب النسخ : (وكان في قدمه) بدل (ويكون في قدومه) .

وكنتُ ذاتَ يومٍ في البيتِ خالياً ، وهناكَ مِنْديلٌ وَهَبَهُ ليَ الشيخُ ، وكانَ يتعمَّمُ بهِ ، فوقعَ قَدَمي على المِنْدِيلِ اتِّفاقاً ، فتألَّمَ باطني مِنْ ذلكَ ، وهالَني وَطْئي بالقَدَمِ مِنْديلَ الشيخِ ، وانبعثَ مِنْ باطني مِنَ الاحترامِ ما أرجو بركتَهُ .

وقالَ ابنُ عطاءٍ في قولِهِ تعالىٰ ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ ﴾ : (زَجَرَ عنِ الأَدْنىٰ ؛ لئلَّا يتخطَّىٰ أحدٌ إلىٰ ما فوقَهُ مِنْ تركِ الحُرْمةِ)(١)

وقالَ سهلٌ في ذلكَ : (لا تُخاطِبُوهُ إلا مُستفهِمِينَ)(٢)

وقالَ أبو بكرِ بنُ طاهرٍ (لا تبدؤُوهُ بالخطابِ ، ولا تُجِيبوهُ إلا علىٰ حُدُودِ الحُرْمة ، ﴿ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ [الحجرات : ٢] ؛ أي : لا تُغلِظُوا لهُ في الخِطابِ ، ولا تُنادُوهُ باسمِهِ : يا محمَّدُ ، يا أحمدُ ، كما يُنادي بعضُكُم لبعضٍ ، ولـٰكنْ فَخِّمُوهُ واحْترِمُوهُ ، وقُولُوا : يا نبيَّ اللهِ ، ويا رسولَ اللهِ)(٣)

ومِنْ هـٰذا القَبيلِ يكونُ خِطابُ المُريدِ معَ الشيخِ ، وإذا سَكَنَ الوَقارُ القلبَ . . عَلِمَ اللِّسانُ كيفيَّةَ الخِطابِ .

ولمَّا كَلِفَتِ النفوسُ بمحبَّةِ الأولادِ والأزواجِ ، وتمكَّنتْ أَهْوِيةُ النفوسِ والطِّباعِ . . استُخرِجَتْ مِنَ اللِّسانِ عباراتٌ غريبةٌ هيَ نَحْتُ وقتِها ، صاغَها كَلَفُ النَّفْسِ وهواها ، وإذا امتلأَ القلبُ حُرْمةً ووَقاراً . . يُعلِّمُ اللِّسانَ العبارةَ(٤)

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٠) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٠) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٠) إلىٰ قوله : (الحرمة) ، وانظر « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٤) .

(٤) في (ب ، ج ، د ، ز) : (تعلَّم اللسانُ العبارةَ)

فلمَّا نزلَتْ هٰذهِ الآيةُ . قَعَدَ ثابتُ بنُ قيسٍ في الطريقِ يبكي ، فمرَّ بهِ عاصمُ بنُ عَدِيٍّ فقالَ : ما يُبكِيكَ يا ثابتُ ؟ فقالَ : هٰذهِ الآيةُ ؛ أخافُ أنْ تكونَ نزلَتْ فِيَّ ؛ ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات : ٢] ، وأنا رفيعُ الصوتِ أخافُ أنْ يَحبَطَ عملي وأكونَ مِنْ أصحابِ النارِ

فمضىٰ عاصمٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وغَلَبَ ثابتاً البكاءُ

فأتىٰ ثابتٌ امرأتَهُ جميلةَ بنتَ عبدِ اللهِ بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ ، فقالَ لها : إذا دخلتُ بيتَ فَرَسي فَشُدِّي على الضَّبَّةِ بمِسْمارٍ(١) ، فضرَبَتْهُ بِمِسْمارٍ ، حتىٰ إذا خَرَجَتْ عَطَفَتْهُ ، وقالَ لا أخرجُ حتىٰ يتوفَّاني اللهُ أو يرضىٰ عنِّي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

فأتىٰ عاصمٌ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فأَخْبرَهُ بخبرِهِ ، فقالَ اذهَبْ فادْعُهُ ، فجاءَ عاصمٌ إلى المكانِ الذي رآهُ ، فلم يَجِدْهُ ، فجاءَ إلىٰ أهلِهِ فوَجَدَهُ في بيتِ الفرسِ(٢) ، فقالَ لهُ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يدعوكَ ، فقالَ : اكْسِرِ الضَّبَّةَ

فأَتَيَا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا يُبْكِيكَ يَا ثَابِتُ ؟ » ، فقالَ : أنا صَيِّتٌ وأخافُ أنْ تكونَ هٰذهِ الآيةُ نزلتْ فِيَّ .

---

(١) في بعض النسخ : (فرشي) بدل (فرسي) ، و(فسُدِّي) بدل (فشدي) ، وضُبط قوله (على الضبَّة) في بعضها : (عليَّ الضبَّةَ) ، ولعل الأولىٰ والأوضح ما أثبته ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) في بعض النسخ : (الفرش) .

فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَعِيشَ سَعِيداً ، وَتُقْتَلَ شَهِيداً ، وَتَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ ؟ » ، فقالَ : قد رَضِيتُ ببُشْرى اللهِ تعالىٰ ورسولِهِ ، ولا أرفعُ صوتي أبداً علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأَنْزَلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات : ٣]

قالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : **كُنَّا ننظرُ إلى الرجلِ مِنْ أهلِ الجنَّةِ يمشي بينَ أيدينا**

فلمَّا كانَ يومُ اليمامةِ في حربِ مُسيلِمةَ . . رأىٰ ثابتٌ مِنَ المسلمينَ بعضَ الانكسارِ ، وانهزمَتْ طائفةٌ منهُم ، فقالَ : **أُفٍّ لهٰؤلاءِ وما يصنعونَ !!**

ثمَّ قالَ ثابتٌ لسالمٍ مَوْلىٰ أبي حُذَيفةَ ما كُنَّا نقاتلُ أعداءَ اللهِ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مثلَ هٰذا ، **ثمَّ ثَبَتَا ولم يزالا يُقاتِلانِ حتىٰ قُتِلا** ، واستشهدَ ثابتٌ كما وَعَدَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعليهِ دِرْعٌ

فرآهُ رجلٌ مِنَ الصحابةِ بعدَ موتِهِ في المنامِ أنَّهُ قالَ لهُ : اعلَمْ أنَّ فلاناً ـ رجلاً مِنَ المسلمينَ ـ نَزَعَ دِرْعي فذَهَبَ بها ، وهوَ في ناحيةٍ مِنَ العسكرِ ، وعندَهُ فرسٌ يستنُّ في طِوَلِهِ(١) ، وقد وضعَ علىٰ دِرْعي بُرْمةً(٢) ، فَأْتِ خالدَ بنَ الوليدِ فأَخْبِرْهُ حتىٰ يستردَّ دِرْعي ، وأْتِ أبا بكرٍ خليفةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقُلْ لهُ : إنَّ عَلَيَّ دَيناً حتىٰ يقضيَهُ عنِّي ، وفلانٌ مِنْ عبيدي عَتِيقٌ .

---

(١) استنَّ الفرس : إذا عدا لمرحه ونشاطه شوطاً أو شوطين ، ولا راكب عليه ، والطِّوَل : الحبل الطويل يُشَدُّ أحد طرفيه في وتد والطرف الآخر في الفرس ليدور فيه ويرعىٰ

(٢) البُرْمة : القِدْر من الحجر ، والمعنىٰ أنَّ هٰذا الرجل نزع درع ثابت بعد استشهاده وخبَّأه في قدر حتىٰ يأخذه بعد انتهاء المعركة .

فأخبرَ الرجلُ خالداً ، فوَجَدَ دِرْعَهُ والفرسَ علىٰ ما وصفَهُ ، واستردَّ الدِّرْعَ ، وأخبرَ خالدٌ أبا بكرٍ بتلكَ الرُّؤْيا ، فأجازَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ وصيَّتَهُ[1]

قالَ مالكُ بنُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا أعلمُ وصيَّةً أُجيزَتْ بعدَ موتِ صاحبِها إلا هـٰذهِ)[2]

فهـٰذهِ كراماتٌ ظهرتْ لثابتٍ بحُسْنِ تَقْواهُ وأدبِهِ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فلْيَعْتَبِرِ المُرِيدُ الصادقُ ويعلمْ أنَّ الشيخَ عندَهُ تَذْكِرَةٌ مِنَ اللهِ ورسولِهِ ، وأنَّ الذي يعتمدُهُ معَ الشيخِ عِوَضُ ما لو كانَ في زمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ واعتمدَهُ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فلمَّا قامَ القومُ بواجبِ الأدبِ . . أَخْبرَ الحقُّ عن حالِهِم وأَثْنىٰ عليهِم ؛ فقالَ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [الحجرات : ٣] ؛ أيِ اختبرَ قلوبَهُم وأَخْلصَها ، كما يُمتحَنُ الذهبُ بالنارِ فيخرجُ خالصُهُ .

فكما أنَّ اللِّسانَ تَرْجُمانَ القلبِ ، وتَهَذُّبَ اللفظِ لتأدُّبِ القلبِ . . فهكذا ينبغي أنْ يكونَ المُرِيدُ معَ الشيخِ

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٢٧٨ـ ٢٧٩) عن محمد بن ثابت بن قيس بن شمَّاس ، وليس فيه : (قال أنس بن مالك . . .) ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢/ ٧٠ـ٧١) عن ابنة سيدنا ثابت بن قيس ، وأصله في « البخاري » (٣٦١٣) ، و« مسلم » (١١٩) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، وأورده بلفظ المؤلف الثعالبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٥ـ٣٤٧)

(٢) انظر « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٧) ، و« تفسير البغوي » (٧/ ٣٣٦) .

قالَ أبو عثمانَ : (الأدبُ عندَ الأكابرِ ، وفي مجالسِ الساداتِ مِنَ الأولياءِ . يَبلُغُ بصاحبِهِ إلى الدرجاتِ العُلا ، والخيرِ في الأُولىٰ والعُقبىٰ ؛ ألا ترىٰ إلىٰ قولِ اللهِ تعالىٰ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [الحجرات : ٥] ؟!)[1]

وممَّا علَّمَهُمُ اللهُ تعالىٰ قولُهُ سبحانَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات : ٤]

وكانَ هٰذا الحالُ مِنْ وفدِ بني تميمٍ ؛ جاؤوا إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فنادَوْا يا محمَّدُ ؛ اخْرُجْ إلينا ؛ فإنَّ مَدْحَنا زَيْنٌ ، وذَمَّنا شَيْنٌ ، قالَ : فسَمِعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فخرجَ إليهِم وهوَ يقولُ : « إِنَّمَا ذَلِكُمُ اللهُ الَّذِي ذَمُّهُ شَيْنٌ وَمَدْحُهُ زَيْنٌ . . . » في قصَّةٍ طويلةٍ .

وكانوا أَتَوْا بشاعرِهِم وخطيبِهِم ، فغلبَهُم حسَّانُ بنُ ثابتٍ[2] ، وشُبَّانُ المُهاجِرينَ والأنصارِ بالخُطْبةِ[3]

وفي هٰذا تأديبٌ للمُريدِ في الدخولِ على الشيخِ والإقدامِ عليهِ ، وتركِهِ للاستعجالِ ، وصبرِهِ إلىٰ أنْ يخرجَ الشيخُ مِنْ موضعِ خَلْوتِهِ

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٠ـ٢٦١) ، وفي (أ ، ي) : (وفي مجالسة) بدل (وفي مجالس) ، وكذلك في (ج ، ز) إلا أنها دون واو العطف .

(٢) أي : غلبهم بالشعر ، وهٰذا القيد مفهوم من السياق

(٣) رواه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (١٠٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ١٨٧ـ١٩٠) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ورواه مختصراً الترمذي (٣٢٦٧) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٤٥١) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما ، وأحمد (٣/ ٤٨٨) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١١٧٨) عن سيدنا الأقرع بن حابس رضي الله عنه .

سمعتُ أنَّ الشيخَ عبدَ القادرِ رحمةُ اللهِ عليهِ كانَ إذا جاءَ إليهِ فقيرٌ زائرٌ يُخبَرُ بالفقيرِ ، فيخرجُ ويفتحُ جانبَ البابِ ، ويُصافحُ الفقيرَ ويُسلِّمُ عليهِ ، ولا يجلسُ معَهُ ، ويرجعُ إلىٰ خَلْوتِهِ ، وإذا جاءَ أحدٌ ممَّنْ ليسَ مِنْ زُمْرةِ الفقراءِ . . يخرجُ ويجلسُ معَهُ .

فخَطَرَ لبعضِ الفقراءِ نوعُ إنكارٍ ؛ لتركِهِ الخروجَ إلى الفقيرِ وخروجِهِ لغيرِ الفقيرِ ، فانتهىٰ ما خَطَرَ للفقيرِ إلى الشيخِ ، فقالَ : الفقيرُ رابطتُنا معَهُ رابطةٌ قلبيَّةٌ ، وهوَ أهلٌ ، وليسَ عندَهُ أجنبيَّةٌ ، فيُكتفىٰ معَهُ بمُوافقةِ القلوبِ ، ويَقنَعُ بها مِنْ مُلاقاةِ الظاهرِ بهٰذا القَدْرِ ، وأمَّا مَنْ هوَ مِنْ غيرِ جنسِ الفقراءِ . . فهوَ واقفٌ معَ العاداتِ والظاهرِ ، فمتىٰ لم نُوَفِّ حقَّهُ مِنَ الظاهرِ . . استَوْحَشَ .

فحقُّ المُرِيدِ : عِمارةُ الظاهرِ والباطنِ بالأدبِ معَ الشيخِ

قيلَ لأبي منصورٍ المَغْرِبيِّ : كم صَحِبتَ أبا عثمانَ ؟ قالَ : خدمتُهُ ، ما صَحِبتُهُ[(١)]

فالصُّحْبةُ معَ الإخوانِ والأَقْرانِ ، ومعَ المشايخِ خِدْمةٌ[(٢)]

---

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص٦١١) ، وفيها : (منصور بن خلف المغربي) بدل (أبي منصور المغربي) ، واسمُهُ تامّاً ـ كما في « المنتخب من كتاب السياق » (ص٤٧٩) ـ : (أبو القاسم منصور بن خلف بن حمُّود المغربي المالكي) .

(٢) ذكر القشيري في « الرسالة » (ص ٦١٠ـ ٦١١) أنَّ الصحبة علىٰ ثلاثة أقسام : صحبةٌ مع مَنْ فوقَكَ ، وهي في الحقيقة خدمةٌ ، وصحبة مع مَنْ هو دونك ، وهي تقضي على المتبوع بالشفقة والرحمة ، وعلى التابع بالوِفاق والحُرْمة ، وصحبةُ الأَكْفاء والنُّظَراء ، وهي مبنيةٌ على الإيثار والفُتُوَّة .

وينبغي للمُريدِ أنَّهُ كلَّما أَشْكلَ عليهِ شيءٌ مِنْ حالِ الشيخِ . . يذكرُ قصَّةَ موسىٰ معَ الخَضِرِ عليهِما السلامُ ؛ كيفَ كانَ الخَضِرُ يفعلُ أشياءَ يُنكِرُها موسىٰ ، فإذا أَخبرَهُ الخَضِرُ بسِرِّها يرجعُ موسىٰ عن إنكارِهِ

فما يُنكِرُهُ المُريدُ لِقلَّةِ علمِهِ بحقيقةِ ما يُوجَدُ مِنَ الشيخِ ؛ فللشيخِ في كلِّ شيءٍ عُذْرٌ بلسانِ العلمِ والحكمةِ .

سألَ بعضُ أصحابِ الجُنيدِ مسألةً مِنَ الجُنيدِ رحمَهُ اللهُ ، فأجابَهُ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ ، فعارضَهُ في ذلكَ ، فقالَ الجُنيدُ فإنْ لم تُؤمِنوا لي فاعْتزِلُونِ[1]

وقالَ بعضُ المشايخِ (مَنْ لم يُعظِّمْ حُرْمةَ مَنْ تأدَّبَ بهِ . . حُرِمَ بركةَ ذلكَ الأدبِ)

وقيلَ : (مَنْ قالَ لأستاذِهِ : « لا » . . لا يُفلِحُ أبداً)[2]

(١١٨) ـ أخبرَنا شيخُنا ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا هنَّادٌ ، عن أبي مُعاوِيةَ ، عنِ الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ

---

(١) رواه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٣٧) ، وفيه اقتباس ظاهر من سورة (الدخان) الآية : (٢١) ، وفي النسخ ما عدا (هـ ، ح) : (فاعتزلوني) ، وحذف الياء بعد نون الوقاية جائز . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٤٩٩)

(٢) رواه القشيري في « رسالته » (ص٦٧٢) عن أبي سهل الصعلوكي رحمه الله تعالىٰ

عليهِ وسلَّمَ : « ٱتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فَخُذُوا عَنِّي ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِم ، وَٱخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ »(١)

قالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : رأيتُ معَ أبي حفصٍ النَّيسابُوريِّ إنساناً كثيرَ الصَّمْتِ لا يتكلَّمُ ، فقلتُ لأصحابِهِ : مَنْ هـٰذا ؟

فقيلَ لي : هـٰذا إنسانٌ يصحبُ أبا حفصٍ ويَخدُمُنا ، وقد أنْفقَ عليهِ مئةَ ألفِ درهمٍ كانتْ لهُ ، واستدانَ مئةَ ألفٍ أُخرىٰ أنفقَها عليهِ ، ما يُسوِّغُهُ أبو حفصٍ أنْ يتكلَّمَ بكلمةٍ واحدةٍ(٢)

وقالَ أبو يزيدَ البِسْطاميُّ رحمَهُ اللهُ : (صَحِبتُ أبا عليٍّ السِّنْديَّ ، فكنتُ أُلقِّنُهُ وأُعلِّمُهُ ما يُقِيمُ بهِ فرضَهُ ، وكانَ يُعلِّمُني التوحيدَ والحقائقَ صِرْفاً)(٣)

وقالَ أبو عثمانَ : صحبتُ أبا حفصٍ وأنا غلامٌ حَدَثٌ ، فطَرَدَني وقالَ : لا تَجْلِسْ عندي ، فلم أجعَلْ مُكافأتي لهُ علىٰ كلامِهِ أنْ أُولِّيَ ظَهْري إليهِ ، فانصرفتُ أَمْشي إلىٰ خَلْفٍ ووجهي مُقابِلٌ لهُ ، حتىٰ غِبْتُ عنهُ

واعتقدتُ أنْ أَحفِرَ لنَفْسي بئراً علىٰ بابِهِ ، وأنزلَ وأقعدَ فيهِ ولا أخرجَ منهُ إلا بإذنِهِ ، فلمَّا رأىٰ ذلكَ منِّي قَرَّبَني وقَبِلَني ، وصيَّرَني مِنْ خواصِّ أصحابِهِ إلىٰ أنْ ماتَ رحمَهُ اللهُ(٤)

ومِنْ آدابِهِمُ الظاهرةِ : أنَّ المُريدَ لا يَبسُطُ سَجَّادتَهُ معَ وجودِ الشيخِ

---

(١) سنن الترمذي (٢٦٧٩) ، ورواه مسلم (١٣٣٧)

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٥) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٥) .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٥)

إلا لوقتِ الصلاةِ ؛ فإنَّ المُرِيدَ مِنْ شأنِهِ التَّبَتُّلُ للخِدْمةِ ، وفي السَّجَّادةِ إيماءٌ إلى الاستراحةِ والتعزُّزِ

ولا يتحرَّكُ في السماعِ معَ وجودِ الشيخِ ، إلا أنْ يخرجَ عن حدِّ التمييزِ

وهَيْبةُ الشيخِ تمنعُ المُرِيدَ عنِ الاسترسالِ في السماعِ وتُقيِّدُهُ ، واستغراقُهُ في الشيخِ بالنظرِ إليهِ ومُطالَعةِ مواردِ فَضْلِ الحقِّ عليهِ . . أَنْجَعُ لهُ مِنَ الإصغاءِ إلى السماعِ

ومِنَ الأدبِ : أَلَّا يَكتُمَ الشيخَ شيئاً مِنْ حالِهِ ومواهبِ الحقِّ عندَهُ ، وما يظهرُ لهُ مِنْ كرامةٍ وإجابةٍ ، ويَكشِفُ للشيخِ مِنْ حالِهِ ما يعلمُ اللهُ تعالىٰ منهُ ، وما يستحيي مِنْ كشفِهِ يذكرُهُ إيماءً وتعريضاً ؛ فإنَّ المُرِيدَ متى انطوىٰ ضميرُهُ علىٰ شيءٍ لا يَكشِفُهُ للشيخِ تصريحاً أو تعريضاً . . يصيرُ علىٰ باطنِهِ منهُ عُقْدةٌ في الطريقِ ، وبالقولِ معَ الشيخِ تنحلُّ العُقْدةُ وتزولُ .

ومِنَ الأدبِ : أَلَّا يدخلَ في صُحْبةِ الشيخِ إلا بعدَ علمِهِ بأنَّ الشيخَ قَيِّمٌ بتأديبِهِ وتهذيبِهِ ، وأنَّهُ أَقْومُ بالتأديبِ مِنْ غيرِهِ

ومتىٰ كانَ عندَ المُرِيدِ تَطلُّعٌ إلىٰ شيخٍ آخَرَ . . لا تصفو صُحْبتُهُ ، ولا يَنفُذُ القولُ فيهِ ، ولا يستعدُّ باطنُهُ لسِرايةِ حالِ الشيخِ إليهِ ؛ فإنَّ المُرِيدَ كلَّما أَيْقَنَ تَفرُّدَ الشيخِ بالمَشْيَخةِ . . عَرَفَ فضلَهُ وقَوِيَتْ مَحبَّتُهُ ، والمحبَّةُ والتآلُفُ هوَ الواسطةُ بينَ المُرِيدِ والشيخِ

وعلىٰ قَدْرِ قُوَّةِ المَحبَّةِ تكونُ سِرايةُ الحالِ ؛ لأنَّ المحبَّةَ علامةُ التَّعارُفِ ، والتَّعارُفَ علامةُ الجِنْسيَّةِ ، والجِنْسيَّةَ جالبةٌ للمُرِيدِ حالَ الشيخِ أو بعضَ حالِهِ

(١١٩) ـ أخبرَنا الشيخُ الثِّقَةُ أبو الفتحِ محمَّدُ ابنُ سَلْمانَ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ حَمْدٌ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو نُعيمٍ ، قالَ : حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ[(١)] ، قالَ : حدَّثَنا أنسُ بنُ سَلْمٍ ، قالَ : حدَّثَنا [عُبيدُ] بنُ رَزِينٍ[(٢)] ، قالَ : سمعتُ إسماعيلَ بنَ عيَّاشٍ يقولُ حدَّثَنا محمَّدُ بنُ زيادٍ الأَلْهانيُّ ، عن أبي أُمامةَ الباهِليِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ عَلَّمَ عَبْداً آيَةً مِنْ كِتَابِ ٱللهِ تَعَالَىٰ . فَهُوَ مَوْلَاهُ ، لَا يَنْبَغِي لهُ أَنْ يَخْذُلَهُ وَلَا يَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ فَصَمَ عُرْوَةً مِنْ عُرَا ٱلْإِسْلَامِ »[(٣)]

ومِنَ الأدبِ : أنْ يُراعِيَ خَطَراتِ الشيخِ في جُزْئيَّاتِ الأمورِ وكُلِّيَّاتِها ، ولا يستحقرَ كراهةَ الشيخِ ليسيرِ حَرَكَاتِهِ ، مُعتمِداً علىٰ حُسْنِ خُلُقِ الشيخِ وكمالِ حِلْمِهِ ومُدَاراتِهِ

قالَ إبراهيمُ بنُ شَيْبانَ : كُنَّا نصحبُ أبا عبدِ اللهِ المَغْرِبيَّ ونحنُ شُبَّانٌ ، ويُسافِرُ بنا في البَرَاري والفَلَوَاتِ ، وكانَ معَهُ شيخٌ اسمُهُ حَسَنٌ ، وقد صَحِبَهُ سبعينَ سنةً ، فكانَ إذا جرىٰ مِنْ أحدِنا خَطَأٌ ، وتغيَّرَ عليهِ حالُ الشيخِ . . نتشفَّعُ إليهِ بهـٰذا الشيخِ حتىٰ يرجعَ لنا إلىٰ ما كانَ[(٤)]

---

(١) هو الطبراني الحافظ الشهير .

(٢) جاء (عُبَيد) في النسخ ما بين : (عتيبة) و(عتبة) ، والمثبت من المصادر الآتية .

(٣) المعجم الكبير (٨/ ١٣١ـ١٣٢) ، مسند الشاميين (٨١٨) ، وليس فيهما : (فمن فعل ذلك . . .) ، ورواه تاماً تمَّام في « فوائده » (٣٥٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٢٣) ، وفي (هـ ، ح) ونسخة علىٰ هامش (د) : (قصم) بدل (فصم) ، والفَصْم : الكسر دون إبانة ، والقَصْم : الكسر مع إبانة ، والقاف رواية « الشعب »

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٥ـ٢٣٦)

ومِنْ أدبِ المُريدِ معَ الشيخِ ألَّا يَستقِلَّ بواقعتِهِ وكَشْفِهِ دونَ مُراجعةِ الشيخِ ؛ فإنَّ الشيخَ عِلْمُهُ أَوْسعُ ، وبابُهُ المفتوحُ إلى اللهِ تعالىٰ أكبرُ ، فإنْ كانَ واقعُ المُريدِ مِنَ اللهِ . . يُوافقُهُ الشيخُ ويُمضِيهِ لهُ ، وما كانَ مِنْ عندِ اللهِ لا يختلفُ ، وإنْ كانَ فيهِ شُبْهةٌ تزولُ شُبْهةُ الواقعةِ بطريقِ الشيخِ ، ويكتسبُ المُريدُ علماً بصحَّةِ الوقائعِ والكُشُوفِ

فالمُريدُ لعلَّهُ في واقعتِهِ يُخامِرُهُ كُمُونُ إرادةٍ في النَّفْسِ ، فيتشبَّكُ كُمُونُ الإرادةِ بالواقعةِ ؛ مناماً كانَ ذلكَ أو يقظةً ، ولهـٰذا سِرٌّ عجيبٌ ، ولا يقومُ المُريدُ باستئصالِ شَأْفةِ الكامنِ في النَّفْسِ[1] ، وإذا ذَكَرَهُ للشيخِ فما في المُريدِ مِنْ كُمُونِ إرادةِ النَّفْسِ مفقودٌ في حقِّ الشيخِ ؛ فإنْ كانَ مِنَ الحقِّ يتبرهنُ بطريقِ الشيخِ ، وإنْ كانَ تنزعُ واقعتُهُ إلىٰ كُمُونِ هوى النَّفْسِ . . تزولُ وتبرأُ ساحةُ المُريدِ ، ويتحمَّلُ الشيخُ ثِقَلَ ذلكَ ؛ لقوَّةِ حالِهِ ، وصحَّةِ إيوائِهِ إلىٰ جَنَابِ الحقِّ ، وكمالِ معرفتِهِ

ومِنَ الأدبِ معَ الشيخِ : أنَّ المُريدَ إذا كانَ لهُ كلامٌ معَ الشيخِ في شيءٍ مِنْ أمرِ دينِهِ أو أمرِ دُنْياهُ . . لا يستعجلُ بالإقدامِ علىٰ مُكالمةِ الشيخِ والهُجُومِ عليهِ حتىٰ يتبيَّنَ لهُ مِنْ حالِ الشيخِ أنَّهُ مُستعِدٌّ لهُ ، ولسماعِ كلامِهِ وقولِهِ مُتفرِّغٌ ؛ فكما أنَّ للدعاءِ أوقاتاً وآداباً وشُرُوطاً ؛ لأنَّهُ مُخاطَبةُ اللهِ تعالىٰ . . فللقولِ معَ الشيخِ أيضاً آدابٌ وشروطٌ ؛ لأنَّهُ مِنْ مُعامَلةِ اللهِ تعالىٰ .

ويسألُ اللهَ تعالىٰ قبلَ الكلامِ معَ الشيخِ التوفيقَ لِمَا يُحِبُّ مِنَ الأدبِ .

---

(١) الشَّأفة في الأصل : قرحةٌ تخرجُ في أصل القدم ، فتُكوىٰ فتذهب ، يُقال في المثل : استأصل اللهُ شَأْفتَهُ ؛ أي أذهبه الله كما أذهب تلك القرحة بالكَيِّ .

وقد نبَّهَ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ علىٰ ذلكَ فيما أَمَرَ بهِ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في مُخاطَبتِهِ ؛ فقالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلة : ١٢] ؛ يعني : أمامَ مُناجاتِكم

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (سأَلَ الناسُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فأَكْثرُوا حتىٰ شَقُّوا عليهِ وأَحْفَوْهُ بالمسألةِ ، فأدَّبَهُمُ اللهُ تعالىٰ وفَطَمَهُم عن ذلكَ ، وأَمَرَهُم أَلَّا يُناجُوهُ حتىٰ يُقدِّمُوا صدقةً)(١)

وقيلَ : كانَ الأغنياءُ يأتونَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ويَغلِبونَ الفقراءَ على المَجْلِسِ ، حتىٰ كَرِهَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ طُولَ حديثِهِم ومُناجاتِهِم ، فأَمَرَ اللهُ بالصدقةِ عندَ المُناجاةِ ، فلمَّا رَأَوْا ذلكَ انتهَوْا عن مُناجاتِهِ

فأمَّا أهلُ العُسْرةِ فلأنَّهُم لم يَجِدُوا شيئاً ، وأمَّا أهلُ اليُسْرةِ فبَخِلُوا ومَنَعُوا ، فاشتدَّ ذلكَ علىٰ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ونزلتِ الرُّخْصةُ ، وقال اللهُ تعالىٰ ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ﴾ [المجادلة : ١٣](٢) .

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٣/ ٢٤٩) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٨٤٨) ، والبيهقي في « المدخل » (١٤٣٠) ، وزادوا : (فلمَّا قال ذلك ضنَّ كثيرٌ من الناس وكفُّوا عن المسألة ، فأنزل الله تعالىٰ بعد هـٰذا : ﴿ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [المجادلة : ١٣] ، فوسَّع الله ذلك ولم يُضيِّق) ، وأَحْفَوْهُ : ألحُّوا واستقصَوْا في سؤاله ، وفي (د ، ح) : (ألحفُوه) ، وهو بمعنىٰ : ألحُّوا .

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٨/ ٨٤) مرسلاً عن مقاتل بن حيَّان رحمه الله تعالىٰ ، وأورده عنه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦/ ١٥٤-١٥٥) .

وقيلَ لمَّا أَمَرَ اللهُ تعالىٰ بالصدقةِ لم يُناجِ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلا عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، فقَدَّمَ ديناراً فتصدَّقَ بهِ[1] ، وقالَ عليٌّ : (في كتابِ اللهِ آيةٌ ما عَمِلَ بها أحدٌ قَبْلي ، ولا يعملُ بها أحدٌ بَعْدي)[2]

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا نزلتِ الآيةُ دعا عليّاً وقالَ : « مَا تَرَىٰ فِي ٱلصَّدَقَةِ كَمْ تَكُونُ ؟ ديناراً ؟ » ، قالَ عليٌّ لا يُطِيقونَهُ ، قالَ : « كَمْ ؟ » ، قالَ عليٌّ : لِتكُنْ حبَّةً أو شَعِيرةً ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّكَ لَزَهِيدٌ » ، ثمَّ نزلتِ الرُّخْصةُ ونُسِختِ الآيةُ[3]

وما نبَّهَ الحقُّ سبحانَهُ عليهِ بالأمرِ بالصدقةِ فيهِ وإنْ كانَ قد نُسِخَ . فما فيهِ مِنْ حُسْنِ الأدبِ ، وتقييدِ اللفظِ والاحترامِ . . ما نُسِخَ ، والفائدةُ باقيةٌ .

(١٢٠) ـ أخبرَنا الشيخُ الثقةُ أبو الفتحِ محمَّدُ ابنُ سَلْمانَ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ حَمْدٌ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو نُعَيمٍ ، قالَ حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، قالَ : حدَّثَنا مُطَّلِبُ بنُ شُعَيبٍ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قالَ حدَّثَنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن أبي قَبيلٍ ، عن عُبادةَ بنِ

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٣/٢٤٨) ، وعبد الرزاق في « تفسيره » (٣١٧٦) ، وعزاه في « الدر المنثور » (٨/ ٨٤) إلىٰ عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، جميعهم عن مجاهد رحمه الله تعالىٰ مرسلاً

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٧٨٨) ، والطبري في « تفسيره » (٢٣/٢٤٨) ، والحاكم (٢/ ٤٨٣) .

(٣) رواه الترمذي (٣٣٠٠) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٤٨٤) ، وابن حبان (٦٩٤١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٧٨٩) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

الصامتِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « ليسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ »[1]

فاحترامُ العلماءِ توفيقٌ وهِدايةٌ ، وإهمالُ ذلكَ خِذْلانٌ وعُقُوقٌ ، نعوذُ باللهِ مِنْ ذلكَ[2]

* * *

---

(١) مكارم الأخلاق (١٤٧) للطبراني ، ورواه أحمد (٥/ ٣٢٣) ، والحاكم (١/ ١٢٢) ، ورواه دون الجملة الأخيرة أبو داود (٤٩٤٣) ، والترمذي (١٩٢٠) وغيرهما عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وروي أيضاً عن غيره .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الثاني والخمسون

في أدب الشيخ وما يعتمده مع الأصحاب والتلامذة (1)

أهمُّ الآدابِ : ألَّا يتعرَّضَ الصادقُ للتقدُّمِ علىٰ قومٍ ، ولا يتعرَّضَ لاستجلابِ بواطنِهم بلُطْفِ الرِّفْقِ وحُسْنِ الكلامِ ؛ محبَّةً للاستتباعِ

فإذا رأىٰ أنَّ اللهَ تعالىٰ يبعثُ إليهِ المُريدينَ والمُسترشِدينَ بحُسْنِ الظنِّ وصِدْقِ الإرادةِ . . يَحذَرُ أنْ يكونَ ذلكَ ابتلاءً واختباراً وامتحاناً مِنَ اللهِ تعالىٰ ، والنفوسُ مجبولةٌ علىٰ محبَّةِ قَبولِ الخَلْقِ والشُّهْرةِ ، وفي الخُمُولِ السلامةُ .

---

(1) ومن المناسب إيرادُهُ ها هنا : ما سُئل عنه المؤلف رضي الله عنه ؛ وهو أنَّهُ هل يجوز لمن يدَّعي المشيخة ويُربِّي المريدين بالدعوة إلى الحقِّ وسلوك طريق الآخرة أن يحرصَ على الدنيا وأشباهِها وجمعِها لإقامة الجاه وإمالة القلوب إليه ، أم يكون بَرِيّاً من ذلك كلِّه ؟

فأجاب : بأنَّ الحريص على الدنيا وجمعِها وإقامةِ الجاه فيها إنَّما يحمله علىٰ طول أمله وغَفْلته ، ومَنْ يكونُ بهٰذه المثابة لا يكون شيخاً ، وقد ذكرنا أنَّهُ لا يكون من أهل المشيخة ، إلا أن يكون له هوىً مُتَّبع ، فبإماطة الأذىٰ يمحو آثار الحرص والأمل وتندفع الغفلة عنه ، فإذا رأى المريدُ من شيخه ذلك . . فليتواضع لله تعالىٰ ويكثر اللَّجأ إليه سبحانه أن يكشف له حال الشيخ هل هو شيخ حقيقةً أم ادعاءً [للمشيخة] من غير حقيقة ، ولا يعمل المريد بمُجرَّد ظنِّهِ ، فإن كان صادقاً سوف يكشف الحقُّ سبحانه وتعالىٰ عن شأن الشيخ وحقيقة أمره ، فيتبيَّنُ له حاله إن شاء الله تعالىٰ ، وهو حسبنا ونعم الوكيل « أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٧) .

فإذا بلغَ الكتابُ أجلَهُ ، وتمكَّنَ العبدُ مِنْ حالِهِ ، وعَلِمَ بتعريفِ اللهِ تعالىٰ إيَّاهُ أنَّهُ مُرادٌ بالإرشادِ والتعليمِ للمُريدينَ . فيُكلِّمُهُم حينَئذٍ كلامَ الناصحِ المُشفِقِ الوالدِ لولدِهِ بما ينفعُهُ في دِينِهِ ودُنْياهُ .

وكلُّ مُريدٍ ومُسترشِدٍ ساقَهُ اللهُ تعالىٰ إليهِ . يُراجِعُ اللهَ تعالىٰ في معناهُ[1] ، ويُكثِرُ اللَّجأَ إليهِ أنْ يتولَّاهُ فيهِ وفي القولِ معَهُ ، ولا يتكلَّمُ معَ المُريدِ بالكلمةِ إلا وقلبُهُ ناظرٌ إلى اللهِ ، مُستعِينٌ بهِ في الهدايةِ إلى الصوابِ مِنَ القولِ .

سمعتُ شيخَنا أبا النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديَّ يُوصي بعضَ أصحابِهِ ويقولُ (لا تُكلِّمْ أحداً مِنَ الفقراءِ إلا في أَصْفىٰ أوقاتِكَ) .

وهٰذهِ وصيَّةٌ نافعةٌ ؛ لأنَّ الكلمةَ تقعُ في سَمْعِ المُريدِ الصادقِ كالحبَّةِ تقعُ في الأرضِ ، وقد ذَكَرْنا أنَّ الحبَّةَ الفاسدةَ تَهلِكُ وتضيعُ ، وفسادُ حبَّةِ الكلامِ بالهوىٰ ، وقَطْرةٌ مِنَ الهوىٰ تُكدِّرُ بحراً مِنَ العلمِ .

فعندَ الكلامِ معَ أهلِ الصدقِ والإرادةِ ينبغي أنْ يستمدَّ القلبُ مِنَ اللهِ كما يستمدُّ اللسانُ مِنَ القلبِ ، وكما أنَّ اللسانَ تَرْجُمانُ القلبِ يكونُ قلبُهُ تَرْجُمانَ الحقِّ عندَ العبدِ ، فيكونُ ناظراً إلى اللهِ ، مُصغِياً إليهِ ، مُتلقِّياً ما يَرِدُ عليهِ ، مُؤدِّياً للأمانةِ فيهِ .

ثمَّ ينبغي للشيخِ أنْ يعتبرَ حالَ المُريدِ ، ويتفرَّسَ فيهِ بنورِ الإيمانِ وقوَّةِ العلمِ والمعرفةِ ما يتأتَّىٰ منهُ ومِنْ صلاحيَّتِهِ واستعدادِهِ .

فمِنَ المُريدينَ مَنْ يصلُحُ للتعبُّدِ المَحْضِ وأعمالِ القوالبِ وطريقِ

---

(1) أي : في معنى الإرشاد . من هامش (ح) .

الأبرارِ ، ومِنَ المُريدينَ مَنْ يكونُ مُستعِدّاً صالحاً للقُرْبِ وسلوكِ طريقِ المُقرَّبينَ المُرادِينَ بمُعاملاتِ القلوبِ والمُعاملاتِ السَّنِيَّةِ ، ولكلٍّ مِنَ الأبرارِ والمُقرَّبينَ مَبادٍ ونهاياتٌ ، فيكونُ الشيخُ صاحبَ الإشرافِ على البواطنِ ، يعرفُ كلَّ شخصٍ وما يَصلُحُ لهُ

والعَجَبُ أنَّ الصَّحْراويَّ يعلمُ الأراضيَ والغُرُوسَ ، ويعلمُ كلَّ غَرْسٍ وأرضَهُ ، وكلُّ صاحبِ صنعةٍ يعلمُ منافعَ صنعتِهِ ومَضارَّها ؛ حتى المرأةُ تعلمُ قُطْنَها وما يتأتَّىٰ منهُ مِنَ الغَزْلِ ودِقَّتِهِ وغِلَظِهِ ، ولا يعلمُ الشيخُ حالَ المُريدِ وما يَصلُحُ لهُ !!

وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُكلِّمُ الناسَ علىٰ قَدْرِ عقولِهِم[1] ، ويأمرُ كلَّ شخصٍ بما يَصلُحُ لهُ[2] ؛ فمِنْهُم مَنْ كانَ يأمرُهُ بالإنفاقِ[3] ، ومِنْهُم مَنْ أَمَرَهُ بالإمساكِ[4] ، ومِنْهُم مَنْ أَمَرَهُ بالكسبِ[5] ، ومِنْهُم مَنْ قَرَّرَهُ

(١) رواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٤/ ٤٢٥) مرسلاً عن سعيد بن المسيِّب رحمه الله تعالىٰ ، والديلمي في « الفردوس » (١٦١١) مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وتكليمُ الناس علىٰ قدر عقولهم معروفٌ ومشهور من سيرته صلى الله عليه وسلم ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ١٩٦ـ١٩٧) .

(٢) وهو معروف ومشهور أيضاً من سيرته صلى الله عليه وسلم .

(٣) ومنه : ما رواه البخاري (٢٥٩١) ، ومسلم (١٠٢٩) عن سيدتنا أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وما سبق في (٢/ ٧٦) من أمره لسيدنا بلال رضي الله عنه بذلك .

(٤) ومنه : ما رواه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) عن سيدنا كعب بن مالك في قصة توبته رضي الله عنه ، وفيها : « أَمْسِكْ عليكَ بعضَ مالِكَ ؛ فهوَ خيرٌ لكَ »

(٥) ومنه : ما رواه أبو داود (١٦٤١) ، وابن ماجه (٢١٩٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

علىٰ تركِ الكَسْبِ ؛ كأصحابِ الصُّفَّةِ

فكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يعرفُ أوضاعَ الناسِ وما يَصلُحُ لكلِّ أحدٍ ، فأمَّا في رُتْبةِ الدعوةِ فكانَ يُعمِّمُ الدعوةَ ؛ لأنَّهُ مبعوثٌ لإثباتِ الحُجَّةِ وإيضاحِ المَحَجَّةِ ، يدعو على الإطلاقِ ، ولا يُخصِّصُ بالدعوةِ مَنْ يتفرَّسُ فيهِ الهدايةَ دونَ غيرِهِ

ومِنْ أدبِ الشيخِ : أنْ يكونَ لهُ خَلْوةٌ خاصَّةٌ ، ووقتٌ خاصٌّ ، لا يَسَعُهُ فيهِ مُعاناةُ الخَلْقِ ؛ حتىٰ تَفِيضَ علىٰ جَلْوتِهِ فائدةُ خَلْوتِهِ ، ولا تَدَّعِيَ نَفْسُهُ قوَّةً ؛ ظنّاً منها أنَّ استدامةَ المُخالَطةِ معَ الخَلْقِ والكلامَ معَهُم لا تَضُرُّهُ ولا تأخذُ منهُ ، وأنَّهُ غيرُ مُحتاجٍ إلى الخَلْوةِ ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معَ كمالِ حالِهِ . كانَ لهُ قيامُ الليلِ ، وصلواتٌ يُصلِّيها ويُداوِمُ عليها ، وأوقاتٌ يخلو فيها

فطَبْعُ البشرِ لا يستغني عنِ السياسةِ ، قَلَّ ذلكَ أو كَثُرَ ، لَطُفَ ذلكَ أو كَثُفَ .

وكم مِنْ مغرورٍ قانعٍ باليسيرِ مِنْ طِيبةِ القلبِ اتَّخذَ ذلكَ رأسَ مالِهِ ، واغترَّ بطِيبةِ قلبِهِ ، واسترسلَ في المُمازَجةِ والمُخالَطةِ ، وجَعَلَ نَفْسَهُ مُناخاً للبطَّالينَ بلُقْمةٍ تُؤكَلُ عندَهُ ، ورِفْقٍ يُوجَدُ منهُ ، فيَقصِدُهُ مَنْ ليسَ قصدُهُ الدِّينَ ، ولا بُغْيتُهُ سُلُوكَ طريقِ المُتَّقِينَ ، فافتتنَ وأَفْتنَ ، وبَقِيَ في خِطَّةِ القُصُورِ ، ووَقَعَ في دائرةِ الفُتُورِ !!

فما يستغني الشيخُ عنِ الاستمدادِ مِنَ اللهِ ، والتضرُّعِ بينَ يَدَيِ اللهِ بقلبِهِ إنْ لم يكنْ بقالَبِهِ وقلبِهِ ، فيكونُ لهُ في كلِّ كلمةٍ إلى اللهِ رجوعٌ ، وفي كلِّ حركةٍ بينَ يَدَيْهِ خضوعٌ .

وإنَّما دخلتِ الفتنةُ على المَغْرورِينَ المُدَّعِينَ للقوَّةِ والاسترسالِ في الكلامِ والمُخالَطةِ ؛ لقِلَّةِ معرفتِهِم بصفاتِ النَّفْسِ ، واغترارِهِم بيسيرٍ مِنَ المَوْهِبةِ ، وقِلَّةِ تأدُّبِهِم بالشيوخِ .

وكانَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ يقولُ لأصحابِهِ : (لو علمتُ أنَّ صلاةَ ركعتَينِ لي أفضلُ مِنْ جلوسي معَكُم . . ما جلستُ عندَكُم)[1]

فإذا رأى الفضلَ في الخَلْوةِ . . يخلو ، وإذا رأى الفضلَ في الجَلْوةِ . . يجلسُ معَ الأصحابِ ، فتكونُ جَلْوتُهُ في حِمايةِ خَلْوتِهِ ، وخلْوتُهُ مَزِيداً لجَلْوتِهِ[2]

وفي هـٰذا سِرٌّ ؛ وذلكَ أنَّ الآدميَّ ذو تركيبٍ مُختلِفٍ ، فيهِ تضادٌّ وتغايرٌ علىٰ ما أَسْلَفْنا مِنْ كونِهِ مُتردِّداً بينَ السُّفْليِّ والعُلْويِّ[3] ؛ ولما فيهِ مِنَ التغايرِ لهُ حظٌّ مِنَ الفُتُورِ عنِ الصبرِ علىٰ صِرْفِ الحقِّ ؛ ولهـٰذا كانَ لكلِّ عاملٍ فَتْرةٌ[4]

والفترةُ قد تكونُ تارةً في صورةِ العملِ ، وتارةً في عدمِ الرَّوحِ في العملِ وإن لم تكنْ في صورةِ العملِ .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٧٣) .

(٢) في بعض النسخ : (وجلوته مَزيداً لخلوته) .

(٣) راجع (الباب العاشر) .

(٤) والفرق بين الفترة والوقفة : أنَّ الفترةَ في الأعمال ، والوقفةَ في الأحوال ، وسببُ الوقفة : إهمالُ حكم الحال ، والإخلالُ بشيء من شروط الحال ، وموجب الإخلال والإهمالِ لنقصان علم الحال ، ونقصانُ علم الحال لنقصان علم القيام ، وعلمُ القيام سرُّ ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد : ٣٣] ، وهـٰذا النقصانُ هو الفتور عن المراقبة « أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٢) .

ففي وقتِ الفَتْرةِ للمُريدينَ والسالكينَ . تضييعٌ واسترواحٌ للنَّفْسِ ، وركونٌ إلى البَطَالةِ

فمَنْ بَلَغَ رُتْبَةَ المَشْيَخةِ انصرفَ قِسْمُ فَتْرتِهِ إلى الخَلْقِ ، فأَفْلحَ الخَلْقُ بِقِسْمِ فَتْرتِهِ ، وما ضاعَ قِسْمُ فترتِهِ كضَيَاعِهِ في حقِّ المُريدينَ

فالمُريدُ يعودُ مِنَ الفترةِ بقوَّةِ الشَّرَهِ وحِدَّةِ الطلبِ إلى الإقبالِ على اللهِ ، والشيخُ يكتسبُ الفضيلةَ مِنْ نفعِ الخَلْقِ بقِسْمِ فترتِهِ ، ويعودُ إلىٰ أوطانِ خَلْوتِهِ وخاصِّ حالِهِ بنَفْسٍ مُشرَئِبَّةٍ أكثرَ مِنْ عَوْدِ الفقيرِ بحِدَّةِ إرادتِهِ مِنْ فترتِهِ ، فيعودُ مِنَ الخَلْقِ إلى الخَلْوةِ مُنتزَعَ الفُتُورِ ، بقلبٍ مُتعطِّشٍ وافرِ النُّورِ ، ورُوحٍ مُتخلِّصةٍ عن مَضِيقِ مُطالَعةِ الأغيارِ ، قادمةٍ بحِدَّةِ شَعَفِها إلىٰ ديارِ القَرَارِ (١)

ومِنْ وظيفةِ الشيخِ وحُسْنِ خُلُقِهِ معَ أهلِ الإرادةِ والطَّلَبِ : النُّزُولُ مِنْ حقِّهِ فيما يجبُ مِنَ التبجيلِ والتعظيمِ للمشايخِ ، واستعمالُهُ التواضعَ

حكى الدُّقِّيُّ قالَ كنتُ بمصرَ ، وكُنَّا في المسجدِ جماعةً مِنَ الفقراءِ جلوساً ، فدخلَ الزَّقَّاقُ ، فقامَ عندَ أُسْطُوانةٍ يركعُ ، فقُلْنا : يَفرُغُ الشيخُ مِنْ صلاتِهِ ونقومُ ونُسلِّمُ عليهِ .

فلمَّا فَرَغَ جاءَ إلينا وسلَّمَ علينا ، فقُلْنا : نحنُ كُنَّا أَوْلىٰ بهـٰذا مِنَ الشيخِ ، فقالَ : ما عَذَّبَ اللهُ قلبي بهـٰذا قطُّ (٢) ؛ يعني : ما تقيَّدتُ بأنْ أُحترَمَ وأُقصَدَ .

ومِنْ أدبِ الشُّيُوخِ : النزولُ إلىٰ حالِ المُريدينَ مِنَ الرِّفْقِ بهِم وبَسْطِهِم

---

(١) في (ب ، هـ ، ح) : (شغفها) بدل (شعفها) ، والشَّغَف : الحُبُّ الذي يدخل حجابَ القلب وغلافه ، والشَّعَف : الحُبُّ الذي يذهب بصاحبه كلَّ مذهب .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٧٣) .

قالَ بعضُهُم : (إذا رأيتَ الفقيرَ فالْقَهُ بالرِّفْقِ ، ولا تَلْقَهُ بالعِلْمِ ؛ فإنَّ الرِّفْقَ يُؤنِسُهُ ، والعِلْمَ يُوحِشُهُ)[١]

فإذا فَعَلَ الشيخُ هٰذا المعنىٰ مِنَ الرِّفْقِ . . تدرَّجَ المُرِيدُ ببركةِ ذلكَ إلى الانتفاعِ بالعلمِ ، فيُعامَلُ حينَئذٍ بصريحِ العلمِ

ومِنْ أدبِ الشُّيوخِ التعطُّفُ على الأصحابِ ، وقضاءُ حقوقِهِم في الصِّحَّةِ والمرضِ ، ولا يتركَ حقوقَهُمْ اعتماداً علىٰ إرادتِهِم وصدقِهِم

قالَ بعضُهُم : (لا تُضيِّعْ حقَّ أخيكَ بما بينَكَ وبينَهُ مِنَ المَوَدَّةِ)[٢]

وحُكِيَ عنِ الجُرَيريِّ قالَ : وافَيتُ مِنَ الحجِّ ، فابتدأتُ بالجُنيدِ وسلَّمتُ عليهِ ، وقلتُ : حتىٰ لا يتعنَّىٰ ، ثمَّ أتيتُ منزلي ، فلمَّا صلَّيتُ الغَداةَ التفتُّ ؛ فإذا بالجُنيدِ خَلْفي ، فقلتُ يا سيِّدي ؛ إنَّما ابتدأتُ بالسلامِ عليكَ ؛ لكيلا تتعنَّىٰ إلىٰ ها هنا ، فقالَ لي : يا أبا محمَّدٍ ؛ هٰذا حقُّكَ ، وذاكَ فضلُكَ[٣]

ومِنْ أدبِ الشُّيُوخِ أنَّهُم إذا عَلِمُوا في بعضِ المُسترشِدينَ ضَعْفاً في مُراغَمةِ النُّفُوسِ وقَهْرِها واعتمادِ صدقِ العزيمةِ . . أنْ يَرفُقُوا بهِ ويُوقِفُوهُ علىٰ حدِّ الرُّخْصةِ ؛ ففي ذلكَ خيرٌ كثيرٌ .

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٧٩) مسنداً عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص١٧٧) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ٤٢٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٩٠) ، وعَزَوْهُ إلىٰ أبي عبد الله الجلّا رحمه الله تعالىٰ ، وسيأتي مسنداً في (٢/ ٣٨٨) مع زيادة

(٣) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٧٣) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص٥٣٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/ ٢٥٢)

وما دامَ العبدُ لا يتخطَّىٰ حريمَ الرُّخصةِ . . فهوَ بخيرٍ ، ثمَّ إذا ثَبَتَ وخالطَ الفقراءَ وتدرَّبَ في لزومِ الرُّخصةِ . . يُدرَّجُ بالرِّفْقِ إلىٰ أوطانِ العزيمةِ

قالَ أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ : كانَ شابٌّ يُعرَفُ بإبراهيمَ الصائغِ ، وكانَ لأبيهِ نِعْمةٌ ، فانقطعَ إلى الصُّوفيَّةِ ، وصَحِبَ أبا أحمدَ القَلَانِسيَّ ، فربَّما كانَ يقعُ بيدِ أبي أحمدَ شيءٌ مِنَ الدراهمِ ، فكانَ يشتري لهُ الرُّقَاقَ والشِّواءَ والحَلْواءَ ويُؤْثِرُهُ عليهِ ، ويقولُ هٰذا خَرَجَ مِنَ الدنيا وقد تعوَّدَ النِّعْمةَ ، فيجبُ أنْ يُرفَقَ بهِ ويُؤثَرَ عليهِ(١)

ومِنْ أدبِ الشُّيُوخِ : التنزُّهُ عن مالِ المُريدِ وخدمتِهِ ، والارتفاقِ مِنْ جانبِهِ بكلِّ وجهٍ مِنَ الوجوهِ ؛ لأنَّهُ جاءَ للهِ تعالىٰ ، فيجعلُ نفعَهُ وإرشادَهُ خالصاً لوجهِهِ ، فما يُسدِي الشيخُ إلى المُريدينَ مِنْ أفضلِ الصدقاتِ(٢)

وقد وَرَدَ : « مَا تَصَدَّقَ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ أَفْضَلَ مِنْ عِلْمٍ يَبُثُّهُ فِي ٱلنَّاسِ »(٣) ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ تنبيهاً علىٰ خُلُوصِ ما للهِ وحِراستِهِ مِنَ الشوائبِ : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٩]

فلا ينبغي للشيخِ أنْ يطلبَ علىٰ صدقتِهِ جزاءً ، إلا أنْ يظهرَ لهُ في شيءٍ

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٧٣) إلىٰ قوله : (ويؤثره عليه) ، والرُّقاق : الخبز الرقيق

(٢) في (أ) ونسخة علىٰ هامش (و) : (فما يُسدىٰ من الشيخ) بدل (فما يسدي الشيخ) .

(٣) ولا ريب أنَّ أشرفَ العلوم وأجلَّها هو معرفة الله سبحانه وتعالىٰ ، والحديث رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٧/ ٢٨٠) ، وابن عدي في « الكامل » (٤/ ٣٤١) ، وابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٧/ ١٠١-١٠٢) عن سيدنا سمرة بن جندب رضي الله عنه .

مِنْ ذلكَ علمٌ يَرِدُ عليهِ مِنَ اللهِ في قَبولِ الرِّفْقِ منهُ ، أو صلاحٌ يتراءىٰ للشيخِ في حقِّ المُرِيدِ بذلكَ ، فيكونُ التلبُّسُ بمالِهِ والارتفاقُ بخدمتِهِ لمصلحةٍ تعودُ على المُرِيدِ ، مأمونةِ الغائلةِ مِنْ جانبِ الشيخِ

قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ * إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴾ [محمد ٣٦ـ٣٧] معنىٰ (يُحفِكُم) ؛ أي يُجهِدْكم ويُلِحَّ عليكُم .

قالَ قَتادةُ : (عَلِمَ اللهُ تعالىٰ أنَّ في مسألةِ المالِ خروجَ الأَضْغانِ)[1]

وهٰذا تأديبٌ مِنَ اللهِ الكريمِ ، والأدبُ أدبُ اللهِ .

قالَ جعفرٌ الخُلْديُّ جاءَ رجلٌ إلى الجُنيدِ وأرادَ أنْ يخرجَ مِنْ مالِهِ كلِّهِ ويجلسَ معَهُم على الفقرِ ، فقالَ لهُ الجُنيدُ : **لا تُخرِجْ كلَّ ما معَكَ ، احبِسْ منهُ بمقدارِ ما يَكفِيكَ وأَخْرِجِ الفضلَ ، وتقوَّتْ بما حَبَسْتَ ، واجْتهِدْ في طلبِ الحلالِ ، ولا تُخرِجْ كلَّ ما عندَكَ ؛ فلستُ آمَنُ عليكَ أنْ تُطالِبَكَ نَفْسُكَ** ، وكانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أرادَ أنْ يعملَ عملاً تَثَبَّتَ[2]

وقد يكونُ الشيخُ يعلمُ مِنْ حالِ المُرِيدِ أنَّهُ إذا خرجَ مِنَ الشيءِ يُكسِبُهُ مِنَ

---

(١) رواه عبد الرزاق في « تفسيره » (٢٨٩١) ، وأورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٢١٣) ، والواحدي في « الوسيط » (٤/ ١٣٠) ، والبغوي في « تفسيره » (٧/ ٢٩١) ، وفي بعض النسخ : (خروج المال) بدل (مسألة المال) ، وفي بعضها : (إخراج) بدل (خروج) في كلا الموضعين .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٧٤) ، وقوله : (تثبَّت) كذا في النسخ ، والمشهور في الرواية ـ كما في « مسلم » (٧٤٦/ ١٤١) وغيره من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها ـ : (أَثْبتَهُ) بمعنىٰ : ثبَّته وداوم عليه

الحالِ ما لا يتطلَّعُ إلى المالِ ؛ فحينئذٍ : يجوزُ لهُ أنْ يفسحَ للمُريدِ في الخروجِ مِنَ المالِ كما فسحَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ وقَبِلَ منهُ جميعَ مالِهِ[١]

ومِنْ أدبِ الشيخِ إذا رأىٰ مِنْ بعضِ المُريدينَ مكروهاً ، أو عَلِمَ مِنْ حالِهِ اعْوِجاجاً ، أو أحسَّ منهُ بدعوىٰ ، أو رأىٰ أنَّهُ داخَلَهُ عُجْبٌ . . ألَّا يُصرِّحَ لهُ بالمكروهِ ، بل يتكلَّمُ على الأصحابِ ، ويُشِيرُ إلى المكروهِ الذي يعلمُ ، ويَكشِفُ عن وجهِ المَذَمَّةِ مُجمَلاً ، فيحصلُ بذلكَ الفائدةُ للكلِّ ، فهٰذا أقربُ إلى المُداراةِ ، وأكثرُ أثَراً لتألُّفِ القلوبِ .

وإذا رأىٰ مِنَ المُرِيدِ تقصيراً في خِدْمةٍ نَدَبَهُ إليها . . يحملُ تقصيرَهُ[٢] ، ويعفو عنهُ ، ويُحرِّضُهُ على الخِدْمةِ بالرِّفْقِ واللِّينِ ، وإلىٰ ذلكَ نَدَبَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فيما :

(١٢١) ـ أخبرَنا ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ أخبرَنا أبو الفتحِ الكَرُوخيُّ قراءةً عليهِ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا قُتَيبةُ ، قالَ : حدَّثَنا رِشْدِينُ بنُ سعدٍ ، عن أبي هانِئٍ الخَوْلانيِّ ، عن عبَّاسِ بنِ جُلَيدٍ الحَجْريِّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) كما رواه أبو داود (١٦٧٨) ، والترمذي (٣٦٧٥) ، والدارمي (١٧٠١) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) في (ج) : (يحتمل) بدل (يحمل) ، وفي نسخة على هامش (أ) : (يتحمَّل) .

وسلَّمَ فقالَ يا رسولَ اللهِ ؛ كم أَعْفُو عنِ الخادمِ ؟ قالَ : « كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً »(١)

وأخلاقُ المشايخِ مُهذَّبةٌ بحُسْنِ الاقتداءِ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وهم أحقُّ الناسِ بإحياءِ سُنَّتِهِ في كلِّ ما أَمَرَ ونَدَبَ ، وأَنْكرَ وأَوْجبَ .

ومِنْ جُمْلةِ مَهامِّ الآدابِ حِفْظُ أسرارِ المُريدينَ فيما يُكاشَفونَ بهِ ويُمنَحونَ مِنْ أنواعِ المِنَحِ ؛ فسِرُّ المُريدِ لا يتعدَّىٰ ربَّهُ وشيخَهُ .

ثمَّ يُحقِّرُ الشيخُ في نَفْسِ المُريدِ ما يَجِدُهُ في خَلْوتِهِ مِنْ كَشْفٍ أو سماعِ خطابٍ ، أو شيءٍ مِنْ خوارقِ العاداتِ ، ويُعرِّفُهُ أنَّ الوقوفَ معَ شيءٍ مِنْ هٰذا يُشغِلُ عنِ اللهِ ويَسُدُّ بابَ المَزِيدِ ، بل يُعرِّفُهُ أنَّ هٰذهِ نِعْمةٌ تُشكَرُ ، ومِنْ ورائِها نِعَمٌ لا تُحصىٰ ، ويُعرِّفُهُ أنَّ شأنَ المُريدِ طلبُ المُنعِمِ لا النِّعْمةِ ؛ حتىٰ يبقىٰ سِرُّهُ محفوظاً عندَ نَفْسِهِ وعندَ شيخِهِ ، ولا يُذِيعَ سِرَّهُ .

فإذاعةُ الأسرارِ مِنْ ضِيقِ الصدرِ ، وضِيقُ الصدرِ المُوجِبُ لإذاعةِ السِّرِّ يُوصَفُ بهِ النِّسْوانُ وضُعَفاءُ العُقُولِ مِنَ الرِّجالِ .

وسببُ إذاعةِ السِّرِّ أنَّ للإنسانِ قُوَّتَينِ : آخِذةً ، ومُعطِيةً ، وكلتاهُما تتشوَّفانِ إلى الفعلِ المُختصِّ بهِما ، ولولا أنَّ اللهَ تعالىٰ وَكَّلَ المُعطِيةَ بإظهارِ ما عندَها . . ما ظهرتِ الأسرارُ .

فكاملُ العقلِ كلَّما طَلَبَتِ القُوَّةُ الفعلَ . . قيَّدَها ووَزَنَها بالعقلِ حتىٰ

---

(١) سنن الترمذي (١٩٤٩) ، ورواه أبو داود (٥١٦٤) ، واختلف في الراوي هل هو ابن عمر أو ابن عمرو ، وانظر « التاريخ الكبير » (٧/ ٣ـ٤) ، و« غنية العارف » (٢/ ٧٣٤)

يضعَها في مواضعِها ، فيَجلُّ حالُ الشيوخِ عن إذاعةِ الأسرارِ ؛ لرزانةِ عقولِهم .

وينبغي للمُريدِ أنْ يحفظَ سِرَّهُ مِنْ زِرِّهِ ؛ ففي ذلكَ صحَّتُهُ وسلامتُهُ ، وتأييدُ اللهِ تعالىٰ يتداركُ المُريدينَ الصادقينَ في مَوْرِدِهِم ومَصْدَرِهِم[1]

❁ ❁ ❁

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً)

الباب الثالث والخمسون

في حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر

المُتقاضي للصُّحْبةِ وجودُ الجِنْسيَّةِ ، وقد يدعو إليها أعمُّ الأوصافِ ، وقد يدعو إليها أخصُّ الأوصافِ

فالدُّعاءُ بأعمِّ الأوصافِ : كمَيْلِ جنسِ البشرِ بعضِهِم إلىٰ بعضٍ ، والدعاءُ بأخصِّ الأوصافِ كمَيْلِ أهلِ كلِّ مِلَّةٍ بعضِهِم إلىٰ بعضٍ ، ثمَّ أخصُّ مِنْ ذلكَ : كمَيْلِ أهلِ الطاعةِ بعضِهِم إلىٰ بعضٍ ، وكمَيْلِ أهلِ المعصيةِ بعضِهِم إلىٰ بعضٍ

فإذا عُلِمَ هـٰذا الأصلُ ، وأنَّ الجاذبَ إلى الصُّحْبةِ وجودُ الجِنْسيَّةِ بالأعمِّ تارةً وبالأخصِّ أُخرىٰ . . فليَتَفَقَّدِ[1] الإنسانُ نَفْسَهُ عندَ المَيْلِ إلىٰ صُحْبةِ شخصٍ ، وينظرَ ما الذي يميلُ بهِ إلىٰ صُحْبتِهِ ، ويَزِنَ أحوالَ مَنْ يميلُ إليهِ بميزانِ الشرعِ

فإنْ رأىٰ أحوالَهُ مُسدَّدةً فلْيُبشِّرْ نَفْسَهُ بحُسْنِ الحالِ[2] ؛ فقد جعلَهُ اللهُ تعالىٰ مِرْآتَهُ ، يلوحُ لهُ في مِرْآةِ أخيهِ جمالُ حُسْنِ الحالِ

وإنْ رأىٰ أفعالَهُ غيرَ مُسدَّدةٍ فلْيَرْجِعْ إلىٰ نَفْسِهِ باللائمةِ والاتِّهامِ ؛ فقد لاحَ

(١) في (د ، هـ ، ح) : (فليفتقد) ، وهو صحيح أيضاً .
(٢) ويجوز أن تضبط العبارة أيضاً : (فلتَبشَرْ نفسُهُ بحسن الحال) .

لهُ في مرآةِ أخيهِ سوءُ حالِهِ ، فبالجَدِيرِ أنْ يَفِرَّ منهُ كفِرارِهِ مِنَ الأسدِ ؛ فإنَّهُما إذا اصطحبا ازدادا ظُلْمةً واعْوِجاجاً

ثمَّ إذا عَلِمَ مِنْ صاحبِهِ الذي مالَ إليهِ حُسْنَ الحالِ ، وحَكَمَ لنَفْسِهِ بحُسْنِ الحالِ ، وطالعَ ذلكَ في مِرْآةِ أخيهِ . . فليعلَمْ : أنَّ المَيْلَ بالوصفِ الأعمِّ مَرْكُوزٌ في جِبِلَّتِهِ ، والمَيْلَ بطريقِهِ واقعٌ ، ولهُ بحسبِهِ أحكامٌ ، وللنَّفْسِ بسببِهِ سُكُونٌ ورُكُونٌ ، فيَسلُبُ المَيْلُ بالوصفِ الأعمِّ جَدْوى المَيْلِ بالوصفِ الأخصِّ ، ويحصلُ بينَ المُتصاحِبَيْنِ استرواحاتٌ طبيعيَّةٌ ، وتَلَذُّذاتٌ جِبِلِّيَّةٌ ، لا يُفرِّقُ بينَها وبينَ خُلُوصِ الصُّحْبةِ للهِ إلا العلماءُ الزاهدونَ .

وقد يَفسُدُ المُرِيدُ الصادقُ بأهلِ الصلاحِ أكثرَ ممَّا يَفسُدُ بأهلِ الفسادِ[1]

ووجهُ ذلكَ : أنَّ أهلَ الفسادِ عَلِمَ فسادَ طريقِهِم فأخذَ حَذَرَهُ منهُم ، وأهلَ الصلاحِ غَرَّهُ صلاحُهُم فمالَ إليهِم بجِنْسِيَّةِ الصلاحيةِ ، ثمَّ حصلَ بينَهُمُ استرواحاتٌ طبيعيَّةٌ جِبِلِّيَّةٌ ، حالتْ بينَهُم وبينَ حقيقةِ الصُّحْبةِ للهِ ، فاكتسبَ مِنْ طريقِهِمُ الفُتُورَ في الطَّلَبِ ، والتخلُّفَ عن بلوغِ الأَرَبِ .

فلْيَتنبَّهِ الصادقُ لهٰذهِ الدقيقةِ ، ويأخذْ مِنَ الصُّحْبةِ أَصْفى الأقسامِ ، ويذرْ منها ما يَسُدُّ في وجهِ المَرَامِ ؛ قالَ بعضُهُم (هل رأيتَ شرّاً قطُّ إلا ممَّنْ تَعرِفُ ؟!)[2]

ولهٰذا المعنىٰ أنكرَ طائفةٌ مِنَ السلفِ الصُّحْبةَ ، ورَأَوْا فضيلةَ العُزْلةِ

---

(١) في غالب النسخ : (ينفسد) بدل (يفسد) في الموضعين ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/٣٩١) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٥٤٧) .

والوَحْدةِ ؛ كإبراهيمَ بنِ أدهمَ ، وداودَ الطائيِّ ، وفُضَيلِ بنِ عِياضٍ ، وسُلَيمانَ الخَوَّاصِ[(١)]

وحُكِيَ عنهُ أنَّهُ قيلَ لهُ : جاءَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ ، أَمَا تَلْقاهُ ؟

قالَ : لأَنْ أَلْقىٰ سَبُعاً ضارياً أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أَلْقىٰ إبراهيمَ بنَ أدهمَ ؛ قالَ : لأنِّي إذا رأيتُهُ أُحسِّنُ لهُ كلامي ، وتظهرُ نَفْسي بإظهارِ أحسنِ أحوالِها ، وفي ذلكَ الفِتْنةُ .

وهٰذا كلامُ عالِمٍ بالنَّفْسِ وأخلاقِها ، وهٰذا واقعٌ بينَ المُتصاحِبَينِ ، إلَّا مَنْ يَعصِمُهُ اللهُ .

(١٢٢) ـ أخبرَنا الشيخُ الثقةُ أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي إجازةً ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ مَسْعَدَةَ[(٢)] ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرٍو محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ[(٣)] ، قالَ : أخبرَنا أبو سليمانَ حَمْدُ بنُ محمَّدٍ الخَطَّابيُّ ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ بكرِ بنِ عبدِ الرزَّاقِ ، قالَ : حدَّثَنا سُلَيمانُ بنُ الأشعثِ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ مَسْلَمةَ ، عن مالكٍ ، عن عبدِ الرحمٰنِ بنِ

---

(١) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٥٤٧ـ ١٥٤٨) .

(٢) هو الإمام المفتي الملقب بنافلة الإسماعيلي (ت ٤٧٧هـ) من أحفاد الإمام الكبير أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني رحمهما الله تعالىٰ ، وانظر « التقييد لمعرفة الأسانيد » (ص ٢٠٤ـ ٢٠٥) .

(٣) هو الإمام الفقيه المُحدِّث الأديب أبو عمرو الرُّزْجاهي البِسْطامي (ت ٤٢٧هـ) ، والرُّزْجاهي : نسبة إلىٰ (رُزْجاه) قرية من قرىٰ بسطام ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٥٠٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٥١) .

أبي صَعْصَعَةَ ، عن أبيهِ ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ ٱلْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شِعَابَ ٱلْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ ٱلْقَطْرِ ؛ يَفِرُّ بِدِينِهِ عَنِ ٱلْفِتَنِ »(١)

قالَ اللهُ تعالىٰ إخباراً عن خليلِهِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ [مريم ٤٨] ؛ استظهرَ بالعُزْلةِ علىٰ قومِهِ

قيلَ العُزْلةُ نوعانِ : فريضةٌ ، وفضيلةٌ ؛ فالفريضةُ : العُزْلةُ عنِ الشرِّ وأهلِهِ ، والفضيلةُ : عُزْلةٌ عنِ الفُضُولِ وأهلِهِ .

ويجوزُ أنْ يُقالَ : الخَلْوةُ غيرُ العُزْلةِ ؛ فالخَلْوةُ عنِ الأغيارِ ، والعُزْلةُ عنِ النَّفْسِ وما تدعو إليهِ ، وما يشغلُ عنِ اللهِ ؛ فالخَلْوةُ كثيرةُ الوجودِ ، والعُزْلةُ قليلةُ الوجودِ .

قالَ أبو بكرٍ الوَرَّاقُ : (ما ظهرتِ الفِتْنةُ إلا بالخُلْطةِ مِنْ لَدُنْ آدمَ إلىٰ يومِنا هٰذا ، وما سَلِمَ إلا مَنْ جانبَ الخُلْطةَ)

وقيلَ : السلامةُ عشرةُ أجزاءٍ ؛ تسعةٌ في الصَّمْتِ ، وواحدةٌ في العُزْلةِ(٢)

وقيلَ : الخلوةُ أصلٌ ، والخُلْطةُ عارضٌ

فلْيَلْزَمِ الأصلَ ، ولا يُخالِطْ إلا بقَدْرِ الحاجةِ ، وإذا خالطَ لا يُخالِطُ إلا

---

(١) العزلة (ص١٠) ، سنن أبي داود (٤٢٦٧) ، ورواه البخاري (١٩) وغيره ، وشعاب الجبال : أطرافها ، أو الصدوع التي فيها التي تأوي إليها الأمطار ، والمشهورُ في الرواية : كون (الشعاب) بالفاء ؛ أي : رؤوس الجبال .

(٢) أورده بنحوه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣١٢) ، وعزاه إلىٰ شقيق البلخي رحمه الله تعالىٰ ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٤٢) عن حكيم من الحكماء

بحُجَّةٍ ، وإذا خالطَ يُلازِمُ الصمتَ ؛ فإنَّهُ أصلٌ والكلامَ عارضٌ ، ولا يتكلَّمُ إلا بحُجَّةٍ ؛ فخَطَرُ الصُّحبةِ كثيرٌ يحتاجُ العبدُ فيها إلىٰ مَزِيدِ علمٍ

والأخبارُ والآثارُ في التحذيرِ عنِ الخُلْطةِ والصُّحْبةِ . . كثيرةٌ ، والكتبُ بها مشحونةٌ ، وأجمعُ الأخبارِ في ذلكَ ما :

(١٢٣) ـ أخبرَنا الشيخُ الثقةُ أبو الفتحِ بإسنادِهِ السابقِ إلىٰ أبي سليمانَ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ سَلْمانَ النَّجَّادُ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ يُونُسَ الكُدَيْميُّ ، قالَ حدَّثَنا محمَّدُ بنُ منصورٍ الجُشَميُّ ، قالَ : حدَّثَنا سَلْمُ بنُ سالمٍ ، قالَ : حدَّثَنا السَّرِيُّ بنُ يحيىٰ ، عنِ الحسنِ ، عن أبي الأَحْوصِ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ لَا يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ ، إِلَّا مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَىٰ قَرْيَةٍ ، وَمِنْ شَاهِقٍ إِلَىٰ شَاهِقٍ ، وَمِنْ جُحْرٍ إِلَىٰ جُحْرٍ ، كَٱلثَّعْلَبِ ٱلَّذِي يَرُوغُ »

قالوا : ومتىٰ ذلكَ يا رسولَ اللهِ ؟

قالَ « إِذَا لَمْ تُنَلِ ٱلْمَعِيشَةُ إِلَّا بِمَعَاصِي ٱللهِ تَعَالَىٰ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ٱلزَّمَانُ حَلَّتِ ٱلْعُزُوبَةُ » .

قالوا : وكيفَ ذلكَ يا رسولَ اللهِ وقد أَمَرْتَنا بالتزويجِ ؟

قالَ « إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ ٱلزَّمَانُ كَانَ هَلَاكُ ٱلرَّجُلِ عَلَىٰ يَدَيْ أَبَوَيْهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلَىٰ يَدَيْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا وَلَدٌ . . فَعَلَىٰ يَدَيْ قَرَابَتِهِ .

قالوا : وكيفَ ذلكَ يا رسولَ اللهِ ؟

قالَ : « يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ ٱلْمَعِيشَةِ ، فَيَتَكَلَّفُ مَا لَا يُطِيقُ ، حَتَّىٰ يُورِدَهُ مَوَارِدَ ٱلْهَلَكَةِ »(١)

وقد رَغِبَ جمعٌ مِنَ السلفِ في الصُّحبةِ والأُخُوَّةِ في اللهِ(٢) ، ورأَوْا أنَّ اللهَ تعالىٰ مَنَّ علىٰ أهلِ الإيمانِ حيثُ جعلَهُم إخواناً ؛ فقالَ سُبْحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال ٦٢ـ٦٣] .

وقـدِ اختـارَ الصُّحْبـةَ والأُخُـوَّةَ فـي اللهِ تعـالـىٰ سعيـدُ بـنُ المُسيِّـبِ ، وعبدُ اللهِ بنُ المباركِ ، وغيرُهُما(٣)

وفائدةُ الصُّحْبةِ أنَّها تفتحُ مَسَامَّ الباطنِ ، ويكتسبُ الإنسانُ بها علمَ الحوادثِ والعوارضِ ؛ قيلَ : أعلمُ الناسِ بالآفاتِ أكثرُهُم آفاتٍ(٤)

ويتصلَّبُ الباطنُ برَزينِ العلمِ ، ويتمكَّنُ الصدقُ بطُرُوقِ هُبُوبِ الآفاتِ ، ثمَّ التخلُّصِ منها بالإيمانِ .

ويقعُ بطريقِ الصُّحْبةِ والأُخُوَّةِ التعاضدُ والتعاونُ ، وتتقوَّىٰ جنودُ القلبِ ، وتَستروِحُ الأرواحُ بالتشامِّ ، وتتَّفقُ في التوجُّهِ إلى الرفيقِ الأَعْلىٰ ، ويصيرُ

---

(١) العزلة (ص١٠) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٥) من وجه آخر عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه إلىٰ قوله (ومن جُحْر إلىٰ جُحْر) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٤٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) قوله : (رَغِبَ) يجوز أن يُقرأ (رَغَّبَ) ، وعليه : فيحتاج إلى تقدير مفعول .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٥٤٨) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٦٧) عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

مثالُها في الشاهدِ كالأصواتِ إذا اجتمعَتْ خَرَقَتِ الأجرامَ ، وإذا انفردَتْ قَصَرَتْ عن بلوغِ المَرَامِ

وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « ٱلْمُؤْمِنُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ »(١)

وقالَ اللهُ تعالىٰ مُخبِراً عمَّنْ لا صديقَ لهُ ؛ فقالَ : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء : ١٠٠ـ١٠١] .

والأصلُ في الحَمِيمِ (الهَمِيمُ) ، أُبدِلتِ الحاءُ بالهاءِ ؛ لقُربِ مَخْرَجِهما ؛ إذ هما مِنْ حروفِ الحَلْقِ ، والهَمِيمُ : مأخوذٌ مِنَ الاهتمامِ ؛ أي : يهتمُّ بأمرِ أخيهِ ، فالاهتمامُ بمُهِمِّ الصديقِ حقيقةُ الصداقةِ(٢)

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (إذا رأىٰ أحدُكُم وُدّاً مِنْ أخيهِ . فليتمسَّكْ بهِ ؛ فقلَّما يُصِيبُ ذلكَ)(٣)

وقد قالَ القائلُ(٤) : [من الكامل]

وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ فَهُوَ ٱلْمُرَادُ وَأَيْنَ ذَاكَ ٱلْوَاحِدُ

---

(١) رواه أبو الشيخ في « أمثال الحديث » (٤٦) ، وابن عدي في « الكامل » (٤/ ٢٢٥) ، والقضاعي في « المسند » (١٨٦) ، والديلمي في « الفردوس » (٦٦٢٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٢٤) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما ، واللفظ فيها (المرء) بدل (المؤمن) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٧٤١ـ٧٤٢)

(٢) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٥٤٩) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٤٩) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٢٣) .

(٤) أورده أبو حيان التوحيدي في « الصداقة والصديق » (ص١٣٥) ، والشَّرِيشي في « شرح مقامات الحريري » (٢/ ٢١٣) ، وعزاه إلىٰ وزير للمعتمد بن عبَّاد .

وأَوْحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داودَ عليهِ السلامُ قالَ : يا داودُ ؛ ما لي أراكَ مُنتبِذاً وُحْداناً ؟ قالَ إلـٰهي ؛ قَلَيْتُ الخَلْقَ مِنْ أجلِكَ

فأَوْحى اللهُ تعالىٰ إليهِ يا داودُ ؛ كُنْ يَقْظاناً[1] ، مُرْتاداً لنَفْسِكَ إخْواناً ، وكلُّ خِدْنٍ لا يُوافِقُكَ علىٰ مَسَرَّتي فلا تَصحَبْهُ ؛ فإنَّهُ عدوٌّ يُقسِّي قلبَكَ ، ويُباعِدُكَ منِّي[2]

وقد وَرَدَ في الخبرِ « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى ٱللهِ ٱلَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ ؛ فَٱلْمُؤْمِنُ آلِفٌ مَأْلُوفٌ »[3]

وفي هـٰذا دقيقةٌ ؛ وذلكَ أنَّهُ ليسَ مَنِ اختارَ العُزْلَةَ والوَحْدةَ للهِ يذهبُ عنهُ هـٰذا الوصفُ فلا يكونُ آلِفاً مَأْلُوفاً ؛ فإنَّ هـٰذه الإشارةَ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ هـٰذا الوصفِ . إشارةٌ إلى الخُلُقِ الجِبِلِّيِّ ، وهـٰذا الخُلُقُ يَكمُلُ في كلِّ مَنْ كانَ أتمَّ معرفةً ويقيناً ، وأَرْزنَ عقلاً ، وأتمَّ أهليَّةً واستعداداً ، وكانَ أَوْفرُ الناسِ حظّاً مِنْ هـٰذا الوصفِ . الأنبياءَ ثمَّ الأولياءَ ، وأتمُّ الجميعِ في هـٰذا نبيُّنا صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ .

---

(١) كذا في النسخ ، والقياس والفصيح أن يكون ممنوعاً من الصرف ؛ لأنَّ مؤنثه على (فَعْلىٰ) ، إلا علىٰ لغة أسد الذين جوَّزوا (امرأة غضبانة) و(ملآنة) و(عطشانة) ونحوه . انظر « شرح المفصل » لابن يعيش (١/ ١٨٦) .

(٢) أورده في « القوت » (٣/ ١٥٤٩) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٦٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦١٦) من إيحاء الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام .

(٣) رواه دون الجملة الأخيرة : الطبراني في « مكارم الأخلاق » (٦) ، وأصله عند « الترمذي » (٢٠١٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ورواه أيضاً الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٦٩٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والجملة الأخيرة سبق تخريجها في (١/ ٣٦٥) .

وكلُّ مَنْ كانَ مِنَ الأنبياءِ أتمَّ أُلْفةً . كانَ أكثرَ تبَعاً ، ونبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ أكثرَهُم أُلْفةً وأكثرَهُم تبَعاً ، وقالَ عليهِ السلامُ « تَنَاكَحُوا تَكْثُرُوا ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ ٱلْأُمَمَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[1]

وقد نبَّهَ اللهُ تعالىٰ علىٰ هٰذا الوصفِ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فقالَ : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وإنَّما طلبوا العُزْلةَ معَ وجودِ هٰذا الوصفِ ، ومَنْ كانَ هٰذا الوصفُ فيهِ أَقْوىٰ وأتمَّ . كانَ طَلَبُ العُزْلةِ منهُ أكثرَ في الابتداءِ ؛ ولهٰذا المعنىٰ حُبِّبَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الخَلْوةُ في أَوَّلِ أمرِهِ ، وكانَ يخلو في غارِ حِرَاءٍ ، ويتحنَّثُ الليالِيَ ذواتِ العَدَدِ[2]

وطلبُ العُزْلةِ لا يَسلُبُ وصفَ كونِهِ آلِفاً مَأْلُوفاً ، وقد غَلِطَ في هٰذا قومٌ ظنُّوا أنَّ العُزْلةَ تَسلُبُ هٰذا الوصفَ ، فتركوا العُزْلةَ طلباً لهٰذهِ الفضيلةِ ، وهٰذا خَطَأٌ

وسِرُّ طَلَبِ العُزْلةِ لمَنْ هٰذا الوصفُ فيهِ أتمُّ ؛ مِنَ الأنبياءِ ، ثمَّ الأَمْثلِ فالأَمْثلِ . . أنَّا أَسْلَفْنا في أوَّلِ البابِ أنَّ في الإنسانِ مَيْلاً إلى الجنسِ بالوصفِ الأعمِّ[3] ، فلمَّا عَلِمَ الحُذَّاقُ ذلكَ أَلْهَمَهُمُ اللهُ تعالىٰ مَحَبَّةَ الخَلْوةِ والعُزْلةِ ؛

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠) ، والنسائي (٦/ ٦٥) ، وابن حبان (٤٠٥٦) عن سيدنا معقل بن يسار رضي الله عنه ، وأحمد (٣/ ٢٤٥) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٨١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٧٤٣ـ ٧٤٤) ، وفي بعض النسخ : (أباهي) بدل (مكاثر) ، وكلاهما مروي .

(٢) رواه البخاري (٣) ، ومسلم (١٦٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها

(٣) انظر (٢/ ٣٧٠) .

لتصفيةِ النَّفْسِ عنِ الميلِ بالوصفِ الأعمِّ ؛ لترتقيَ الهِمَمُ العاليةُ عن مَيْلِ الطِّباعِ إلىٰ تألُّفِ الأرواحِ

فإذا وَفَّوُا التصفيةَ حقَّها اشرأبَّتِ الأرواحُ إلىٰ جنسِها بالتألُّفِ الأصليِّ الأوَّليِّ ، وأعادَها اللهُ تعالىٰ إلى الخَلْقِ ومُخالَطتِهم مُصفَّاةً ، واستنارتِ النفوسُ الطاهرةُ بأنوارِ الأرواحِ ، وظهرتْ صفةُ الجِبِلَّةِ مِنَ الأُلْفةِ المُكمَّلةِ آلِفةً مَأْلُوفةً ، فصارتِ العُزْلةُ مِنْ أهمِّ الأمورِ عندَ مَنْ يَأْلَفُ ويُؤْلَفُ ، ومِنْ أَدَلِّ الدليلِ علىٰ أنَّ الذي اعتزلَ آلِفٌ مَأْلُوفٌ ؛ حتىٰ يذهبُ الغَلَطُ عنِ الذي غَلِطَ في ذلكَ وذمَّ العُزْلةَ على الإطلاقِ مِنْ غيرِ علمٍ بحقيقةِ الصُّحْبةِ وحقيقةِ العُزْلةِ ، فصارتِ العُزْلةُ مرغوبةً في وقتِها ، والصُّحْبةُ مرغوبةً في وقتِها[1]

قالَ محمَّدُ بنُ الحنفيَّةِ رحمَهُ اللهُ : (ليسَ بحكيمٍ مَنْ لم يُعاشِرْ بالمعروفِ مَنْ لا يجدُ مِنْ مُعاشَرتِهِ بُدّاً ، حتىٰ يجعلَ اللهُ لهُ منهُ فَرَجاً)[2]

وكانَ بِشْرُ بنُ الحارثِ يقولُ : (إذا قَصَّرَ العبدُ في طاعةِ اللهِ . سَلَبَهُ اللهُ تعالىٰ مَنْ يُؤْنِسُهُ)[3]

فالأَنِيسُ يُهيِّئُهُ اللهُ تعالىٰ للصادقينَ[4] ؛ رِفْقاً مِنَ اللهِ تعالىٰ ، وثواباً للعبدِ مُعجَّلاً

---

(١) في بعض النسخ : (مرغوباً فيها) بدل (مرغوبة) في كلا الموضعين .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الحلم » (١٠٨)، و« مداراة الناس » (٢٠)، والخطابي في « العزلة » (ص١٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٧٥)، والبيهقي في « الشعب » (٧٧٥١).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٤٣٨) ، وفيه أنَّهُ قاله عند وفاة أخته مضغة أو مخة ، وبشر : هو الحافي الصوفيُّ الشهير رحمه الله تعالىٰ .

(٤) في (ب ، هـ) : (يهبه) بدل (يُهيِّئه) .

والأَنِيسُ قد يكونُ مُفِيداً ؛ كالمشايخِ ، وقد يكونُ مُستفِيداً ؛ كالمُرِيدينَ .

فصحيحُ الخَلْوةِ والعُزْلةِ لا يُترَكُ مِنْ غيرِ أَنِيسٍ ، فإنْ كانَ قاصراً يُؤنِسُهُ اللهُ تعالىٰ بمَنْ يُتَمِّمُ حالَهُ بهِ[1] ، وإنْ كانَ غيرَ قاصرٍ يُقيِّضُ اللهُ تعالىٰ لهُ مَنْ يُؤنِسُهُ مِنَ المُرِيدينَ

وهـٰذا الأُنْسُ ليسَ فيهِ مَيْلٌ بالوصفِ الأعمِّ ، بل هوَ باللهِ ومِنَ اللهِ وفي اللهِ .

روىٰ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱلْمُتَحَابُّونَ فِي ٱللهِ عَلَىٰ عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، فِي رَأْسِ ٱلْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ ، مُشْرِفُونَ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ، يُضِيءُ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ ٱلْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ ٱلشَّمْسُ لِأَهْلِ ٱلدُّنْيَا ، فَيَقُولُ أَهْلُ ٱلْجَنَّةِ : ٱنْطَلِقُوا بِنَا نَنْظُرْ إِلَى ٱلْمُتَحَابِّينَ فِي ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا أَشْرَفُوا عَلَيْهِمْ أَضَاءَ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ ٱلْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ ٱلشَّمْسُ لِأَهْلِ ٱلدُّنْيَا ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ ، مَكْتُوبٌ عَلَىٰ جِبَاهِهِمْ : هَـٰؤُلَاءِ ٱلْمُتَحَابُّونَ فِي ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ »[2]

وقالَ أبو إدريسَ الخَوْلانيُّ لمُعاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ : إنِّي أُحبُّكَ في اللهِ تعالىٰ ، فقالَ لهُ : أَبْشِرْ ثمَّ أَبْشِرْ ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ « تُنْصَبُ لِطَائِفَةٍ مِنَ ٱلنَّاسِ كَرَاسِيُّ حَوْلَ ٱلْعَرْشِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وُجُوهُهُمْ كَٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ ، يَفْزَعُ ٱلنَّاسُ وَلَا يَفْزَعُونَ ، وَيَخَافُ ٱلنَّاسُ وَلَا

---

(١) في نسخة علىٰ هامش (ح) : (صادقاً) بدل (قاصراً) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٢٣٦) ، وأبو يعلىٰ كما في « المقصد العلي » (١٠٤٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٣/ ٧٥) ، وابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٤٩٩)

يَخَافُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ ٱللهِ ٱلَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »

فقيلَ : مَنْ هـٰؤلاءِ يا رسولَ اللهِ ؟

قالَ : « هُمُ ٱلْمُتَحَابُّونَ فِي ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ »(١)

وروىٰ عُبادةُ بنُ الصامتِ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ « يَقُولُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَٱلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَٱلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، وَٱلْمُتَصَادِقِينَ فِيَّ »(٢)

(١٢٤) ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ خَيْرونَ(٣) ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ المَحَامِليُّ ، قالَ أخبرَنا أبو القاسمِ عمرُ بنُ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ سَلْمٍ ، قالَ أخبرَنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ إسحاقَ الحَرْبيُّ ، قالَ حدَّثَنا حمَّادٌ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصَّدَقَةِ ؟ » ، قالوا وما هوَ ؟ قالَ « إِصْلَاحُ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ ، وَإِيَّاكُمْ وَٱلْبِغْضَةَ ؛ فَإِنَّهَا هِيَ ٱلْحَالِقَةُ »(٤)

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٩٣)

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٢٨) ، والحاكم (٤/ ١٧٠) ، ورواه مالك (٢/ ٩٥٣) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٧٧)

(٣) في النسخ ما عدا (ح) : (الحسين) بدل (الحسن) ، والمثبت موافق لـ « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ١٠٥)

(٤) أسنده من طريق إبراهيم الحربي في « غريب الحديث » ، كما في « غنية العارف » (٢/ ٧٤٨) ، ورواه مالك (٢/ ٩٠٤) ، وابن المبارك في « الزهد » (٧٣٨)

(١٢٥) ـ وبإسنادِ إبراهيمَ الحَرْبيِّ ، عن عُبيدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ، عن أبي أُسامةَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ الوليدِ ، عن عِمْرانَ بنِ رَباحٍ قالَ : سمعتُ أبا مسلمٍ يقولُ : سمعتُ أبا هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ . . . الخبرَ[١]

وفي الخبرِ تحذيرٌ عنِ البِغْضةِ ؛ وهوَ أنْ يجفوَ المُتخلِّي الناسَ مَقْتاً لهُم وسُوءَ ظنٍّ بهِم ، وهـٰذا خطأٌ

وإنَّما يُرِيدُ أنْ يخلوَ ؛ مَقْتاً لنَفْسِهِ ، وعِلْماً بما في نَفْسِهِ مِنَ الآفاتِ ، وحَذَراً علىٰ نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وعلى الخَلْقِ أنْ يعودَ عليهِم مِنْ شرِّهِ .

فمَنْ كانتْ خَلْوتُهُ بهـٰذا الوصفِ . . لا يدخلُ تحتَ هـٰذا الوعيدِ .

والإشارةُ بالحَالِقةِ ؛ يعني أنَّ البِغْضةَ حَالِقةٌ للدِّينِ ؛ لأنَّهُ ينظرُ إلى المؤمنينَ والمسلمينَ بعَينِ المَقْتِ .

(١٢٦) ـ وأخبرَنا الشيخُ الثقةُ أبو الفتحِ بإسنادِهِ إلىٰ إبراهيمَ الحَرْبيِّ ، قالَ حدَّثَنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عاصمٍ ، عن ثورٍ ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ قالَ : (إنَّ للهِ تعالىٰ مَلَكاً نصفُهُ مِنْ نارٍ ، ونصفُهُ مِنْ ثلجٍ ، وإنَّ مِنْ دعائِهِ : اللَّهُمَّ ؛ فكما أَلَّفتَ بينَ هـٰذا الثلجِ وهـٰذهِ النارِ ؛ فلا الثلجُ يُطفِئُ النارَ، ولا النارُ تُذِيبُ الثلجَ . . أَلِّفْ بينَ قلوبِ عبادِكَ الصالحينَ)[٢] .

---

(١) أسنده من طريق إبراهيم الحربي في « غريب الحديث » ، كما في « غنية العارف » (٢/٧٤٨) ، ورواه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٦٠) ، والترمذي (٢٥٠٨) ، والمعروف في الباب حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه الذي رواه أبو داود (٤٩١٩) ، والترمذي (٢٥٠٩) ، وأحمد (٦/٤٤٤ـ٤٤٥) ، وابن حبان (٥٠٩٢) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/٢١٤) ، ورواه أبو الشيخ في « العظمة » (٣٣٣) =

وكيفَ لا تتألَّفُ قلوبُ الصالحينَ وقد وَجَدَهُم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في وقتِهِ العزيزِ بقابِ قوسَينِ ، في وقتٍ لا يسعُهُ فيهِ شيءٌ للُطفِ حالِ الصالحينَ ، وَجَدَهُم في ذلكَ المَقامِ العزيزِ ، وقالَ : « ٱلسَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ ٱللهِ ٱلصَّالِحِينَ » ؟ ![1]

فهم مجتمعونَ وإنْ كانوا مُتفرِّقينَ ، وصُحْبَتُهُم لازمةٌ ، وعزيمتُهُم في التواصلِ في الدنيا والآخِرةِ جازمةٌ .

وعن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (لو أنَّ رجلاً صامَ النهارَ وقامَ الليلَ وتصدَّقَ وجاهدَ ولم يُحِبَّ في اللهِ ولم يُبغِضْ في اللهِ . . ما نفعَهُ ذلكَ)[2]

(١٢٧) ـ أخبرَنا رَضِيُّ الدِّينِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ يوسفَ إجازةً إنْ لم يكنْ سماعاً ، قالَ : أخبرَنا أبو المُظفَّرِ ، عن والدِهِ أبي القاسمِ القُشَيريِّ ، قالَ : سمعتُ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ ابنَ المُعلِّمِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الطَّمَسْتانيَّ يقولُ : (اصحَبُوا معَ اللهِ ، فإنْ لم تُطِيقُوا فاصحَبُوا معَ مَنْ يصحبُ معَ اللهِ ؛ لتُوصِلَكُم بركةُ صُحْبتِهِم إلىٰ صُحْبَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ)[3]

= مرفوعاً عن سيدنا معاذ والعرباض بن سارية رضي الله عنهما ، وعزاه في « كنز العمال » (١٥١٧٤) إلى الديلمي من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(١) رواه البخاري (٨٣١) ، ومسلم (٤٠٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥٨) عن سيدنا عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٢٠ـ٢١) عن ابنه فقط

(٣) الرسالة القشيرية (ص٦١٦)

(١٢٨) ـ وأخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرَوَرْديُّ رحمةُ اللهِ عليهِ[١] ، قالَ : أخبرَنا عمرُ بنُ أحمدَ بنِ الصفَّارِ النَّيسابُوريُّ[٢] ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ خَلَفٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ الأَصْفَهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الحدَّادَ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ سهلٍ يقولُ : (الأُنْسُ باللهِ : أنْ تستوحشَ مِنَ الخَلْقِ ، إلا مِنْ أهلِ ولايةِ اللهِ ؛ فإنَّ الأُنْسَ بأهلِ ولايةِ اللهِ هوَ الأُنْسُ باللهِ)[٣]

وقد نبَّهَ القائلُ نَظْماً علىٰ حقيقةٍ جامعةٍ لمعاني الصُّحْبةِ والخَلْوةِ وفائدتِهِما وما يُحذَرُ فيهِما . . بقولِهِ[٤] : [من مجزوء الرمل]

وَحْـــدَةُ ٱلْإِنْسَـــانِ خَيْـــرٌ مِـــنْ جَلِيـــسِ ٱلسُّـــوءِ عِنْـــدَهْ
وَجَلِيـــسُ ٱلْخَيْـــرِ خَيْـــرٌ مِـــنْ قُعُـــودِ ٱلْمَـــرْءِ وَحْـــدَهْ[٥]

❁ ❁ ❁

---

(١) زاد في (ب ، هـ) : (إجازة) .

(٢) زاد في (ط) : (إجازة) .

(٣) طبقات الصوفية (ص٢٣٥) ، ورواه من طريقه البيهقي في « الشعب » (٤٤٥) .

(٤) أورد البيتين الثعالبي في « اللطائف والظرائف » (ص١٢٧) ، ونسبهما إلىٰ أبي العتاهية ، وأبو حيان التوحيدي في « الصداقة والصديق » (ص٣٠٩) ، ونسبهما إلىٰ عبيد الله ابن طاهر .

(٥) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) ، وفيه : (بلغ سماع الجماعة في الخامس والثلاثين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الرابع والخمسون

في أداء حقوق الصحبة والأخوة في الله تعالى

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة ٢] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٣] [(١)] .

وقالَ تعالىٰ في وصفِ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩]

كلُّ هـٰذهِ الآياتِ تنبيهٌ مِنَ اللهِ تعالى الكريمِ للعبادِ علىٰ أداءِ حُقُوقِ الصُّحْبةِ

فمَنِ اختارَ صُحْبةً وأُخُوَّةً . . فأدبُهُ في أوَّلِ ذلكَ : أنْ يُسلِّمَ نَفْسَهُ وصاحبَهُ إلى اللهِ تعالىٰ بالمسألةِ والدُّعاءِ والتضرُّعِ ، ويسألَ البركةَ في الصُّحْبةِ ؛ فإنَّهُ يفتحُ علىٰ نَفْسِهِ بذلكَ إمَّا باباً مِنْ أبوابِ الجنَّةِ ، وإمَّا باباً مِنْ أبوابِ النارِ .

فإنْ كانَ اللهُ تعالىٰ يفتحُ بينَهُما خيراً . . فهوَ بابٌ مِنْ أبوابِ الجنَّةِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف ٦٧] .

وقيلَ إنَّ أحدَ الأَخوَينِ في اللهِ تعالىٰ يُقالُ لهُ : ادخُلِ الجنَّةَ ، فيسألُ

---

(١) في (ب ، د ، هـ ، ي) : (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) .

عن منزلِ أخيهِ ، فإنْ كانَ دونَهُ لم يدخُلِ الجنَّةَ حتىٰ يُعطىٰ أخوهُ مثلَ منزلِهِ[1] ، فإنْ قيلَ لهُ : لم يكنْ يعملُ مثلَ عَمَلِكَ . . فيقولُ : إنِّي كنتُ أعملُ لي ولهُ ، فيُعطىٰ جميعَ ما يسألُ لأخيهِ ، ويُرفَعُ أخوهُ إلىٰ درجتِهِ[2]

وإنْ فَتَحَ اللهُ تعالىٰ عليهِما بالصُّحْبةِ شرّاً . . فهوَ بابٌ مِنْ أبوابِ النارِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٧ـ ٢٨] ، وإنْ كانتِ الآيةُ وَرَدَتْ في قصَّةٍ مشهورةٍ ، ولٰكنْ للهِ تعالىٰ تنبيهٌ في ذلكَ لعبادِهِ على الحَذَرِ مِنْ كلِّ خليلٍ يقطعُ عنِ اللهِ

واختيارُ الصُّحبةِ والأُخُوَّةِ اتِّفاقاً مِنْ غيرِ نيَّةٍ في ذلكَ وتَثَبُّتٍ في أوَّلِهِ . . شأنُ أربابِ الغَفْلةِ الجاهلينَ بالنِّيَّاتِ والمقاصدِ ، والمنافعِ والمَضَارِّ ، وقد قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما في كلامٍ لهُ : (وهل يُفسِدُ الناسَ إلا الناسُ ؟!)[3]

فالفسادُ بالصُّحبةِ مُتوقَّعٌ ، والصلاحُ مُتوقَّعٌ ، وما هٰذا سبيلُهُ كيفَ لا يُحذَرُ في أوَّلِهِ ، ويُحكَمُ الأمرُ فيهِ بكثرةِ اللَّجَأِ إلى اللهِ تعالىٰ ، وصدقِ الافتقارِ ، وسؤالِ البركةِ والخِيَرَةِ في ذلكَ ، وتقديمِ صلاةِ الاستخارةِ ؟!

ثمَّ إنَّ اختيارَ الصُّحْبةِ والأُخُوَّةِ عملٌ ، وكلُّ عملٍ يحتاجُ إلى النيَّةِ وإلىٰ حُسْنِ الخاتمةِ

---

(١) في بعض النسخ : (منزلته) .
(٢) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٥٥٠ـ١٥٥١) ، و« الدر المنثور » (٧/ ٣٨٨ـ٣٨٩) .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٨) ، و« مداراة الناس » (١٢٦) .

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الخبرِ الطويلِ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ . . . » ؛ فمِنْهُمُ اثنانِ تحابَّا في اللهِ ، فعاشا علىٰ ذلكَ وماتا عليهِ[1] ، إشارةً إلىٰ أنَّ الأُخُوَّةَ والصُّحْبةَ مِنْ شرطِها حُسْنُ الخاتمةِ حتىٰ يُكتَبَ لهُما ثوابُ المُؤَاخاةِ ، ومتىٰ أَفْسدَ المُؤَاخاةَ بتضييعِ الحقوقِ فيهِ . . فَسَدَ العملُ مِنَ الأوَّلِ .

قيلَ : ما حَسَدَ الشيطانُ مُتعاونَينِ علىٰ بِرٍّ . . حَسَدَهُ مُتآخِيَينِ في اللهِ مُتحابَّينِ فيهِ ؛ فإنَّهُ يَجهَدُ نَفْسَهُ ويَحُثُّ قَبيلَهُ علىٰ إفسادِ ما بينَهُما[2]

وكانَ يقولُ الفُضَيلُ رحمَهُ اللهُ : (إذا وَقَعَتِ الغِيبةُ ارتفعتِ الأُخُوَّةُ)[3]

والأُخُوَّةُ في اللهِ تعالىٰ مُواجَهةٌ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] ، ومتىٰ أَضْمرَ أحدُهُما للآخَرِ سُوءاً ، أو كَرِهَ منهُ شيئاً ولم يُنبِّهْهُ عليهِ حتىٰ يُزِيلَهُ أو يتسبَّبَ إلىٰ إزالتِهِ منهُ . . فما واجَهَهُ ، بلِ استدبرَهُ .

قالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (ما تواخَى اثنانِ في اللهِ واستوحشَ أحدُهُما مِنْ صاحبِهِ . . إلا لعِلَّةٍ في أحدِهِما)[4]

---

(١) رواه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥١) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ١٢٥) ، ولفظ « القوت » : (العدو) بدل (الشيطان) .

(٣) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في « التوبيخ والتنبيه » (١٨٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٦)

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ١٣١ـ١٣٢) .

فالمُؤاخاةُ في اللهِ أَصْفىٰ مِنَ الماءِ الزُّلالِ ، وما كانَ للهِ فاللهُ مُطالِبٌ بالصفاءِ فيهِ ، وكلُّ ما صفا دامَ ، والأصلُ في دوامِ صفائِهِ عدمُ المُخالَفةِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا تُمَارِ أَخَاكَ ، وَلَا تُمَازِحْهُ ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِداً فَتُخْلِفَهُ »(١)

وقالَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : صَحِبْتُ الصُّوفيَّةَ خمسينَ سنةً ، ما وَقَعَ بيني وبينَهُم خلافٌ ، فقيلَ لهُ : وكيفَ ذاكَ ؟ قالَ : لأنِّي كنتُ معَهُم علىٰ نَفْسي(٢)

(١٢٩) ـ أخبرَنا شيخُنا ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ إجازةً ، قالَ أخبرَنا عمرُ بنُ أحمدَ الصَّفَّارُ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ ابنُ خلفٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ الرازيَّ ، قالَ : سمعتُ أبا عمرٍو الدِّمَشْقيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ الجَلَّا يقولُ وقد سألَهُ رجلٌ علىٰ أيِّ شرطٍ أصحبُ الخَلْقَ ؟ فقالَ : إنْ لم تَبَرَّهُم فلا تُؤذِهِم ، وإنْ لم تَسُرَّهُم فلا تَسُؤْهُم(٣)

(١٣٠) ـ وبهـٰذا الإسنادِ قالَ أبو عبدِ اللهِ : (لا تُضيِّعْ حقَّ أخيكَ بما بينَكَ وبينَهُ مِنَ المَوَدَّةِ والصداقةِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ فَرَضَ لكلِّ مؤمنٍ حُقُوقاً ، لم يُضيِّعْها إلا مَنْ لم يُراعِ حقوقَ اللهِ عليهِ)(٤)

---

(١) سبق مسنداً في (٢/ ٨٣ ـ ٨٤) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص١٧٦) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦٦) .

(٣) طبقات الصوفية (ص١٧٧) .

(٤) سبق تخريجه في (٢/ ٣٦٤)

ومِنْ حقوقِ الصُّحْبةِ أَنَّهُ إذا وَقَعَ بينَهُ وبينَ أخيهِ فُرْقةٌ ومُباينةٌ لا يذكرُ أخاهُ إلا بخيرٍ

قيلَ كانَ لبعضِهِم زوجةٌ ، وكانَ يعلمُ منها ما يكرهُهُ ، فكانَ يُقالُ لهُ استخباراً عن حالِها ذلكَ ، فقالَ لا ينبغي للرجلِ أنْ يقولَ في أهلِهِ إلا خيراً

ففارقَها وطَلَّقَها ، فاستُخبِرَ عن ذلكَ ، فقالَ : امرأةٌ بَعُدَتْ عنِّي وليستْ منِّي بشيءٍ ، كيفَ أذكرُها ؟!

وهـٰذا مِنَ التخلُّقِ بأخلاقِ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّهُ سُبْحانَهُ يُظهِرُ الجميلَ ، ويَستُرُ القبيحَ

وإذا وُجِدَ مِنْ أحدِهِما ما يُوجِبُ التقاطعَ . فهل يُبغِضُهُ أو لا ؟ اختلفَ القولُ في ذلكَ :

كانَ أبو ذَرٍّ يقولُ : (إذا انقلبَ عمَّا كانَ عليهِ أُبغِضُهُ مِنْ حيثُ أحببتُهُ)(١)

وقالَ غيرُهُ : لا يُبغَضُ الأخُ بعدَ الصُّحْبةِ ، ولـٰكن يُبغَضُ عملُهُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٦] ، ولم يَقُلْ : (إنِّي بريءٌ منكُم)(٢)

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٥٨/٣) ، والغزالي في « الإحياء » (١١٠/٤) ، وقولُهُ : (أُبغِضُهُ . . .) كذا ضبطت العبارة في غالب النسخ ، وضبطت في (و) : (أَبْغِضْهُ من حيثُ أحببتَهُ) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١٥٥٨/٣) ، و« إحياء علوم الدين » (١١٤/٤) ، ورجَّح =

وقيلَ كانَ شابٌ يُلازِمُ مَجلِسَ أبي الدَّرْداءِ ، وكانَ أبو الدَّرداءِ يُميِّزُهُ علىٰ غيرِهِ ، فابتُلِيَ الشابُّ بكبيرةٍ مِنَ الكبائرِ ، وانتهىٰ إلىٰ أبي الدَّرْداءِ ما كانَ منهُ ، فقيلَ لهُ : لو أَبْعَدتَهُ وهَجَرْتَهُ ؟ فقالَ سُبْحانَ اللهِ !! لا يُترَكُ الصاحبُ لشيءٍ كانَ منهُ(١)

قيلَ : الصَّداقةُ لُحْمةٌ كلُحْمةِ النَّسَبِ(٢)

وقيلَ لحكيمٍ مرَّةً : أيُّما أحبُّ إليكَ ؟ أخوكَ أو صديقُكَ ؟ فقالَ : إنَّما أُحِبُّ أخي إذا كانَ صديقي(٣)

وهٰذا الخلافُ في المُفارَقةِ ظاهراً وباطناً

وأمَّا في المُلازمةِ باطناً إذا وَقَعَتِ المُباينةُ ظاهراً . . فيختلفُ ذلكَ باختلافِ الأشخاصِ ، ولا يُطلَقُ القولُ فيهِ إطلاقاً مِنْ غيرِ تفصيلٍ .

فمِنَ الناسِ مَنْ كانَ تَغَيُّرُهُ رجوعاً عنِ اللهِ ، وظهورَ حكمِ سوءِ السابقةِ ، فيجبُ بغضُهُ ومُوافقةُ الحقِّ فيهِ .

= الإمام الغزالي هٰذا القول ؛ فقال : (وهٰذا التحقيق ؛ وهو أنَّ الصداقة لُحمةٌ كلُحمة النسب ، والقريب لا يجوز أن يُهجَر بالمعصية)

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥٨) ، ومختصراً الغزالي في « الإحياء » (٤/ ١١٥) ، وفي بعض النسخ : (لا نترك) بدل (لا يُترك)

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥٨) ، وانظر « الإحياء » (٤/ ١١٤)

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥٨) ، وفيه : (وقيل لحكيم بن مرة) بدل (وقيل لحكيم مرة) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٦٤) ، وعزاه إلىٰ خالد بن صفوان ، وأورده الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص٢٤٧) ، وعزاه إلىٰ بعض قريش ، وابن عبد البر في « بهجة المجالس » (١/ ١٤٨) ، وعزاه إلىٰ عبد الحميد الكاتب .

وَمِنَ الناسِ مَنْ كانَ تَغَيُّرُهُ عَثْرَةً حدثتْ وفترةً وقعَتْ يُرجىٰ عَوْدُهُ ، فلا ينبغي أنْ يُبغَضَ ، ولٰكن يُبغَضُ عملُهُ في الحالةِ الحاضرةِ ، ويُلحَظُ بعينِ الوُدِّ مُنتظَراً لهُ الفرجُ والعَوْدُ إلىٰ أوطانِ الصُّلْحِ

وقد وَرَدَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا شَتَمَ القومُ الرجلَ الذي أتىٰ بفاحشةٍ . قالَ : « مَهْ » ، وزَبَرَهُم ، وقالَ : « لَا تَكُونُوا عَوْناً لِلشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ »[1]

وقالَ إبراهيمُ النَّخَعيُّ : (لا تقطعْ أخاكَ ، ولا تَهْجُرْهُ عندَ الذنبِ يُذنِبُهُ ؛ فإنَّهُ يركبُهُ اليومَ ويتركُهُ غداً)[2]

وفي الخبرِ : « ٱتَّقُوا زَلَّةَ ٱلْعَالِمِ وَلَا تَقْطَعُوهُ ، وَٱنْتَظِرُوا فَيْئَتَهُ »[3]

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ سألَ عن أخٍ لهُ كانَ آخاهُ فخَرَجَ إلى الشامِ ، فسألَ عنهُ بعضَ مَنْ قَدِمَ عليهِ ، فقالَ : ما فعلَ أخي ؟ فقالَ لهُ : ذاكَ أخوكَ الشيطانُ[4]

قالَ لهُ : مَهْ ، قالَ : إنَّهُ قارفَ الكبائرَ حتىٰ وَقَعَ في الخمرِ[5]

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وزَبَرَهم : زَجَرَهم ونَهَرَهم .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥٩) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ١١٠)

(٣) رواه ابن عدي في « الكامل » (٧/ ١٩٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢١١) ، والديلمي في « الفردوس » (٣٠٨) عن سيدنا عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه .

(٤) في نسخة علىٰ هامش (أ) : (أخ) بدل (أخوك) ، وهي رواية « القوت » .

(٥) في (ب ، د) : (قارب) بدل (قارف) ، وفي (هـ) : (قارن)

فقالَ : إذا أردتَ الخروجَ فآذِنّي ، قالَ فكتبَ إليهِ ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ * غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر : ١-٣] ، ثمَّ عاتبَهُ تحتَ ذلكَ وعَذَلَهُ ، فلمَّا قرأَ الكتابَ بكىٰ ، وقالَ صدقَ اللهُ عزَّ وجلَّ ونَصَحَ عمرُ[١] ، فتابَ ورَجَعَ[٢]

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأى ابنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما يلتفتُ يميناً وشمالاً ، فسألَهُ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أحببتُ رجلاً فأنا أطلبُهُ ولا أراهُ

فقالَ : « يَا عَبْدَ ٱللهِ ؛ إِذَا أَحْبَبْتَ أَحَداً فَٱسْأَلْهُ عَنِ ٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ وَعَنْ مَنْزِلِهِ ، فَإِنْ كَانَ مَرِيضاً عُدْتَهُ ، وَإِنْ كَانَ مَشْغُولاً أَعَنْتَهُ »[٣]

وكانَ يقولُ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (ما اختلفَ رجلٌ إلىٰ مجلسي ثلاثاً مِنْ غيرِ حاجةٍ تكونُ لهُ ، فعَلِمْتُ ما مكافأتُهُ في الدنيا)[٤]

وكانَ يقولُ سعيدُ بنُ العاصِ (لجليسي عليَّ ثلاثٌ إذا دنا رحَّبتُ بهِ ، وإذا حَدَّثَ أَقْبلتُ عليهِ ، وإذا جلسَ أَوْسعتُ لهُ)[٥]

---

(١) ضبط في (هـ ، ح) : (ونُصْحُ عمرَ) ، فهو معطوف علىٰ لفظ الجلالة .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٩٧) ، ولفظه في « القوت » (٣/ ١٥٥٩) ، و« الإحياء » (٤/ ١١١)

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٧٢) ، وتمام في « فوائده » (١٤١٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٩٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٦٠٧)

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٦٠) .

(٥) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١/ ١٣٧) ، وأورده ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (٢/ ٢٦٦) ، وأبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٦١)

ويُعلَمُ خُلُوصُ المَحَبَّةِ للهِ تعالىٰ : بألَّا يكونَ فيها شائبةُ حظٍّ عاجلٍ مِنْ رِفْقٍ أو إحسانٍ ؛ فإنَّ ما كانَ معلولاً يزولُ بزوالِ عِلَّتِهِ ، ومَنْ لا يستندُ في خُلَّتِهِ إلىٰ عِلَّةٍ يُحكَمُ بدوامِ خُلَّتِهِ

ومِنْ شرطِ الحُبِّ في اللهِ : إيثارُهُ الأخَ بكلِّ ما يقدرُ عليهِ مِنْ أمرِ الدِّينِ والدنيا ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر ٩] .

وقولُهُ تعالىٰ ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ ؛ أي : لا يَحسُدونَ إخوانَهُم علىٰ مالِهِم .

وهـٰذانِ الوصفانِ بِهِما يَكمُلُ صفوُ المَحَبَّةِ ؛ أحدُهُما : انتزاعُ الحسدِ علىٰ شيءٍ مِنْ أمرِ الدِّينِ والدنيا ، والثاني : الإيثارُ بالمَقْدورِ .

وفي الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ ، وَلَا خَيْرَ لَكَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَىٰ لَكَ مِثْلَ مَا يَرَىٰ لِنَفْسِهِ »[١]

وكانَ يقولُ أبو معاويةَ الأسودُ : إخواني كلُّهُم خيرٌ منِّي ، قيلَ وكيفَ ذاكَ ؟ قالَ كلُّهُم يرىٰ ليَ الفضلَ عليهِ ، ومَنْ فضَّلَني علىٰ نَفْسِهِ فهوَ خيرٌ منِّي

ولبعضِهِم نَظْماً[٢] [من المتقارب]

---

(١) رواه القضاعي في « المسند » (٩٠٧) عن سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما ، ورواه دون قوله (ولا خير لك . . .) أبو داود (٤٨٣٣) ، والترمذي (٢٣٧٨) ، وأحمد (٢/ ٣٠٣) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٧٥٩) .

(٢) أورد البيتين الأنباري في « نزهة الألباء » (ص٢٦٩) ، وياقوت الحموي في « معجم =

تَـذَلَّـلْ لِمَـنْ إِنْ تَـذَلَّلْـتَ لَـهْ يَـرَىٰ ذَاكَ لِلْفَضْـلِ لَا لِلْبَلَـهْ
وَجَانِـبْ صَـدَاقَـةَ مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ عَلَى ٱلْأَصْدِقَاءِ يَرَى ٱلْفَضْلَ لَهْ[1]

* * *

= الأدباء » (٣/ ١٣٩١) ، وعزواهما إلى ابن الفتى الحلواني النحوي ، وأبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٦٣) ، وعزاه إلىٰ محمد بن جامع الفقيه ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ١٩) ، وعزاه إلىٰ جحظلة البرمكي ، وفي نسبته إلى ابن الفتىٰ نَظَرٌ ؛ لأنَّ ولادته بعد وفاة صاحب « القوت » ، والله تعالىٰ أعلم .

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً ، بلغ قراءةً)

الباب الخامس والخمسون

في آداب الصحبة والأخوة

سُئِلَ أبو حَفْصٍ عن أدبِ الفقراءِ في الصُّحْبةِ ، فقالَ : حفظُ حُرُماتِ المشايخِ ، وحُسْنُ العِشْرةِ معَ الإخوانِ ، والنصيحةُ للأصاغرِ ، وتركُ صُحْبةِ مَنْ ليسَ في طبقتِهِم ، ومُلازَمةُ الإيثارِ ، ومُجانَبةُ الادِّخارِ ، والمُعاوَنةُ في أمرِ الدِّين والدنيا(١)

فمِنْ أدبِهِم : التغافُلُ عن زَلَلِ الإخوانِ ، والنُّصْحُ فيما تجبُ فيهِ النصيحةُ ، وكَتْمُ عيبِ صاحبِهِ ، وإطْلاعُهُ علىٰ عيبٍ يعلمُ منهُ ؛ قالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : (رَحِمَ اللهُ امرأً أَهْدىٰ إليَّ عُيُوبي)(٢)

وهـٰذا فيهِ مصلحةٌ كُلِّيَّةٌ ؛ أنْ يكونَ للشخصِ مَنْ يُنبِّهُهُ علىٰ عيوبِهِ .

قالَ جعفرُ بنُ بُرْقانَ : قالَ لي ميمونُ بنُ مِهْرانَ : قُلْ لي في وَجْهي ما أكرهُ ؛ فإنَّ الرجلَ لا ينصحُ أخاهُ حتىٰ يقولَ لهُ في وجهِهِ ما يكرهُهُ(٣)

---

(١) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص١٢١)

(٢) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ٢٩٣) ، والبلاذري في « أنساب الأشراف » (١٠/ ٣٤٥_٣٤٦) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٨٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/ ٣٦٥) .

فإنَّ الصادقَ يُحِبُّ مَنْ يَصدُقُهُ ، والكاذبَ لا يُحِبُّ الناصحَ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٩]

والنصيحةُ ما كانتْ في السِّرِّ

ومِنْ أدبِ الصُّوفيَّةِ القيامُ بخدمةِ الإخوانِ ، واحتمالُ الأذىٰ منهُم ؛ فبذلكَ يظهرُ جوهرُ الفقيرِ

رُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ أمرَ بقَلْعِ مِيزابٍ كانَ في دارِ العبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ إلى الطريقِ بينَ الصفا والمروةِ ، فقالَ لهُ العبَّاسُ : قلعتَ ما كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وَضَعَهُ بيدِهِ ؟! فقالَ إذاً لا يَرُدُّهُ إلىٰ مكانِهِ غيرُ يدِكَ ، ولا يكونُ لكَ سُلَّمٌ غيرُ عاتقِ عمرَ ، فأقامَهُ علىٰ عاتقِهِ ، وردَّهُ إلىٰ موضعِهِ(١)

ومِنْ أدبِهِم : ألَّا يَرَونَ لنفْسِهِم مِلْكاً يختصُّونَ بهِ

قالَ إبراهيمُ بنُ شيبانَ : (كُنَّا لا نصحبُ مَنْ يقولُ : نَعْلي)

(١٣١) ـ أخبرَنا بذلكَ رَضِيُّ الدِّينِ ، عن أبي المُظفَّرِ ، عن والدِهِ أبي القاسمِ القُشَيريِّ رحمةُ اللهِ عليهِ ، قالَ : سمعتُ أبا حاتِمٍ الصُّوفيَّ قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ ذلكَ(٢)

وقالَ أبو أحمدَ بنُ القلانِسيِّ دخلتُ علىٰ قومٍ مِنَ الفقراءِ يوماً

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢١٠) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١٥٢٦٤) ، والبسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/ ٥١١) ، وقوله : (بين الصفا والمروة) وَهَمٌ ؛ فإنَّ القصة وقعت بالمدينة والدار بها ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٧٦٣)

(٢) الرسالة القشيرية (ص٦١٢) ، ولم يسنده ، وانظر « اللمع » (ص٢٣٢ ، ٢٣٤)

بالبصرةِ ، فأَكْرَمُوني وبَجَّلُوني ، فقلتُ يوماً لبعضِهِم : أينَ إزاري ؟ فسقطتُ مِنْ أعينِهِم[1]

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ إذا صَحِبَهُ إنسانٌ شارطَهُ علىٰ ثلاثةِ أشياءَ : أنْ تكونَ الخِدْمةُ والأذانُ لهُ ، وأنْ تكونَ يدُهُ في جميعِ ما يفتحُ اللهُ عليهِم مِنَ الدُّنيا كيدِهِ

فقالَ رجلٌ مِنْ أصحابِهِ أنا لا أَقدِرُ علىٰ هـٰذا ، فقالَ : أَعْجَبَني صِدْقُكَ[2]

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ ينظرُ البساتينَ ، ويعملُ في الحصادِ ، ويُنفِقُ علىٰ أصحابِهِ[3]

وكانَ مِنْ أخلاقِ السَّلَفِ : أنَّ كلَّ مَنِ احتاجَ إلىٰ شيءٍ مِنْ مالِ أخيهِ استعملَهُ مِنْ غيرِ مُؤامَرةٍ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورىٰ : ٣٨] ؛ أي : مُشاعٌ هم فيهِ سواءٌ .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٤١) ، وأسنده القشيري في « الرسالة » (ص٦١٢) إلىٰ أبي حاتم عن السرَّاج عن القلانسي ، ومعلومٌ أنَّ ثمة انقطاعاً بين السرَّاج والقلانسي ، ويحتملُ أنَّ العبارة : (سمعت أبا نصر السرَّاج يقول : قال أبو أحمد بن القلانسي) ، كما في « الرسالة » ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٦) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦١٣) ، ورواه مُتفرِّقاً أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٦ ، ٢٨)

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦١٣) .

ومِنْ أدبِهِم أنَّهُم إذا استَثْقلُوا صاحباً يَتَّهِمُونَ نفوسَهُم ، ويَتسبَّبُونَ إلىٰ إزالةِ ذلكَ مِنْ بواطنِهِم ؛ لأنَّ انطواءَ الضميرِ علىٰ مِثْلِ ذلكَ للمُصاحِبِ . . وَلِيجةٌ في الصُّحْبةِ .

قالَ أبو بكرٍ الكَتَّانيُّ رحمَهُ اللهُ : صَحِبَني رجلٌ وكانَ علىٰ قلبي ثقيلاً ، فوهبتُ لهُ شيئاً بنيَّةِ أنْ يزولَ ثِقَلُهُ مِنْ قلبي ، فلم يَزُلْ ، فخَلَوْتُ بهِ يوماً وقلتُ لهُ : ضَعْ رِجْلَكَ علىٰ خَدِّي ، فأبىٰ ، فقلتُ لهُ : لا بُدَّ مِنْ ذلكَ ، ففعلَ ذلكَ ، فزالَ ما كنتُ أَجِدُهُ في باطني ، قالَ الدُّقِّيُّ : قصدتُ مِنَ الشامِ إلى الحجازِ حتىٰ سألتُ الكَتَّانيَّ عن هـٰذهِ الحكايةِ[1]

ومِنْ أدبِهِم تقديمُ مَنْ يعرفونَ فضلَهُ ، والتَّوسِعَةُ لهُ في المجلسِ ، والإيثارُ بالموضعِ .

رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ جالساً في صُفَّةٍ ضَيِّقةٍ ، فجاءَهُ قومٌ مِنَ البدريِّينَ فلم يجدوا مَوْضِعاً يجلسونَ فيهِ ، فأقامَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَنْ لم يكنْ مِنْ أهلِ بدرٍ ، فجلسوا مكانَهُم ، فاشتدَّ ذلكَ عليهِم ، فأنزلَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ . . . ﴾ الآيةَ [المجادلة : ١١][2] .

وحُكِيَ : أنَّ عليَّ بنَ بُندارٍ الصُّوفيَّ وَرَدَ علىٰ أبي عبدِ اللهِ بنِ خَفيفٍ زائراً ،

---

(١) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٦) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص٦١٣) ، إلا أنَّهُ لم يذكر قول الدُّقِّي آخِراً .

(٢) عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٨/ ٨٢) إلى ابن أبي حاتم مرسلاً عن مقاتل بن حيان رحمه الله تعالىٰ ، وأورده الواحدي في « الوسيط » (٤/ ٢٦٥) ، والبغوي في « تفسيره » (٨/ ٥٧) .

فتَمَاشَيا ، فقالَ لهُ أبو عبدِ اللهِ تقدَّمْ ، فقالَ : بأيِّ عُذرٍ ؟ فقالَ : بأنَّكَ لَقِيتَ الجُنيدَ وما لَقِيتُهُ[1]

ومِنْ أدبِهِم : تركُ صُحْبةِ مَنْ همُّهُ شيءٌ مِنْ فُضولِ الدنيا ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النجم ٢٩] .

ومِنْ أدبِهِم : بَذْلُ الإنصافِ للإخوانِ ، وتركُ المُطالَبةِ بالإنصافِ .

قالَ أبو عثمانَ الحِيريُّ : (حقُّ الصُّحْبةِ : أنْ تُوسِّعَ علىٰ أخيكَ مالَكَ ولا تطمعَ في مالِهِ ، وتُنصِفَهُ مِنْ نفسِكَ ولا تطلبَ منهُ الإنصافَ ، وتكونَ تَبَعاً لهُ ولا تطمعَ أنْ يكونَ تَبَعاً لكَ ، وتستكثرَ ما يصلُ إليكَ منهُ وتستقِلَّ ما يصلُ إليهِ منكَ) .

ومِنْ أدبِهِم في الصُّحْبةِ : لِينُ الجانبِ ، وتركُ ظهورِ النَّفْسِ بالصَّوْلةِ

قالَ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ : (الصَّوْلةُ علىٰ مَنْ هوَ فوقَكَ قِحَةٌ ، وعلىٰ مَنْ هوَ مثلُكَ سوءُ أدبٍ ، وعلىٰ مَنْ هوَ دونَكَ عَجزٌ)[2]

ومِنْ أدبِهِم : ألَّا يَجْرِيَ في كلامِهِم : (لو كانَ كذا لم يكنْ كذا) ، و(ليتَ كانَ كذا) ، و(عسىٰ أنْ يكونَ كذا) ؛ فإنَّهُم يَرَونَ هٰذهِ التقديراتِ عامِّيَّةً .

ومِنْ أدبِهِم في الصُّحْبةِ : حَذَرُ المُفارَقةِ ، والحِرْصُ على المُلازَمةِ .

---

(١) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٥٠٤) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/٢٨٨) .

(٢) رواه السلمي في « بيان تذلل الفقراء » (ص٥٤) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٢٣) ، والقِحَة ـ بكسر القاف وفتحها ـ : الوقاحة وقلة الحياء .

قيلَ : صَحِبَ رجلٌ رجلاً ، ثمَّ أرادَ المُفارَقةَ ، فاستأذنَ صاحبَهُ ، فقالَ : بشرطِ ألَّا تصحبَ أحداً إلا إذا كانَ فوقَنا ، وإنْ كانَ فوقَنا أيضاً فلا تصحبْهُ ؛ لأنَّكَ صَحِبْتَنا أوَّلاً ، فقالَ الرجلُ : زالَ عن قلبي نيّةُ المُفارَقةِ[1]

ومِنْ أدبِهِمُ : التعطُّفُ على الأصاغرِ

قيلَ كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ يعملُ في الحصادِ ، ويُطعِمُ الأصحابَ ، وكانوا يجتمعونَ بالليلِ وهم صيامٌ ، وربَّما كانَ يتأخَّرُ في بعضِ الأيَّامِ في العملِ ، فقالوا ليلةً تعالَوْا نأكلْ فُطُورَنا دونَهُ حتىٰ يعودَ بعدَ هـٰذا أَسْرعَ ، فأَفْطَرُوا وناموا

فرجعَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ ، فوَجَدَهُم نِياماً ، فقالَ : مساكينُ لعلَّهُم لم يكن لهُم طعامٌ ، فعَمَدَ إلىٰ شيءٍ مِنَ الدقيقِ فعَجَنَهُ ، فانتبهوا وهوَ يَنفُخُ في النارِ واضعاً مَحاسِنَهُ على الترابِ ، فقالوا لهُ في ذلكَ ، قالَ قلتُ : لعلَّكُم لم تَجِدُوا فُطُوراً فنِمْتُم .

فقالوا : انْظُروا بأيِّ شيءٍ عامَلْناهُ ، وبأيِّ شيءٍ يُعامِلُنا !![2]

ومِنْ أدبِهِم ألَّا يقولوا عندَ الدعاءِ (إلىٰ أينَ ؟) ، (ولِمَ ؟) ، و(بأيِّ سببٍ ؟)

قالَ بعضُ العلماءِ (إذا قالَ الرجلُ لصاحبِهِ « قُمْ بنا » ، فقالَ « إلىٰ أينَ ؟ » . . فلا تصحبْهُ)[3]

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٦١٢) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٦١٣) ، وابن خميس في « مناقب الأبرار » (١/ ٢٦ـ٢٧) ، والمحاسن : المواضع الحسنة من البدن ، والمراد هنا : الوجه .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٦٧)، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٩٧).

وقالَ آخرُ : (مَنْ قالَ لأخيهِ « أَعْطِني مِنْ مالِكَ » ، فقالَ : « كم تُرِيدُ ؟ » . . ما قامَ بحقِّ الإخاءِ)[١]

وقد قالَ الشاعرُ[٢] : [من البسيط]

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا

ومِنْ أدبِهِم : ألَّا يتكلَّفوا للإخوانِ .

قيلَ لمَّا وَرَدَ أبو حفصٍ العراقَ . . تكلَّفَ لهُ الجُنيدُ أنواعَ الأطعمةِ ، فأَنْكَرَ ذلكَ أبو حفصٍ وقالَ : صَيَّرَ أصحابي مثلَ المَخَانيثِ يُقدِّمُ لهُمُ الألوانَ !! والفُتُوَّةُ عندَنا تركُ التَّكَلُّفِ ، وإحضارُ ما حَضَرَ ؛ فإنَّ بالتَّكَلُّفِ ربَّما يُؤثِرُ مُفارَقةُ الضيفِ ، وبتركِ التكلُّفِ يستوي مَقامُهُ وذهابُهُ[٣]

ومِنْ أدبِهِم في الصُّحْبةِ : المُدَارَاةُ ، وتركُ المُداهَنةِ .

وتشتبهُ المُداراةُ بالمُداهنةِ ، والفرقُ بينَهُما : أنَّ المُداراةَ : ما أردتَ بهِ صلاحَ أخيكَ ، فداريتَهُ لرجاءِ صلاحِهِ ، واحتملتَ منهُ ما تكرهُ ، والمُداهنةَ : ما قَصَدتَ بهِ شيئاً مِنَ الهوىٰ ؛ مِنْ طلبِ حظٍّ ، أو إقامةِ جاهٍ .

ومِنْ أدبِهِم في الصُّحْبةِ : رعايةُ الاعتدالِ بينَ الانقباضِ والانبساطِ .

نُقِلَ عنِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (الانقباضُ عنِ الناسِ مَكْسَبةٌ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٥٦٧) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/٩٧) .

(٢) البيت لقُريط بن أُنيف كما في « ديوان الحماسة » (١/١٦) ، ويَندُبُهم : يدعوهم

(٣) أورده نجم الدين الرازي في « منارات السائرين » (ق/١٣١) .

لعداوتِهم ، والانبساطُ إليهِم مَجْلَبَةٌ لقُرَناءِ السُّوءِ ، فكُنْ بينَ المُنقبِضِ والمُنبسِطِ)[1]

ومِنْ أدبِهِم : سَتْرُ عوراتِ الإخوانِ .

قالَ عيسىٰ عليهِ السلامُ لأصحابِهِ : كيفَ تصنعونَ إذا رأيتُم أخاكُم نائماً فكشفتِ الرِّيحُ عنهُ ثوبَهُ ؟ قالوا : نسترُهُ ونُغطِّيهِ .

فقالَ : بل تكشِفُونَ عورتَهُ ، قالوا : سبحانَ اللهِ مَنْ يفعلُ هـٰذا ؟!

قالَ : أحدُكُم يسمعُ في أخيهِ بالكلمةِ فيزيدُ عليها ويُشِيعُها بأعظمَ منها[2]

ومِنْ أدبِهِم : الاستغفارُ للإخوانِ بظهرِ الغيبِ ، والاهتمامُ لهُم معَ اللهِ تعالىٰ في دَفْعِ المَكارِهِ عنهُم .

حُكِيَ أنَّ أخوَينِ ابتُلِيَ أحدُهُما بهوىً ، فأَظْهرَ عليهِ أخاهُ ، فقالَ : إنِّي ابتُلِيتُ بهوىً ، فإنْ شئتَ ألَّا تقعدَ علىٰ محبَّتي للهِ فافعَلْ

فقالَ : ما كنتُ لأَحُلَّ عَقْدَ إخائِكَ لأجلِ خطيئتِكَ ، وعَقَدَ بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ عَقْداً ألَّا يأكلَ ولا يشربَ حتىٰ يُعافِيَهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ هواهُ ، فطوىٰ أربعينَ يوماً كلَّما يسألُهُ عن هواهُ فيقولُ : ما زالَ ، فبعدَ الأربعينَ أَخْبرَهُ أنَّ الهوىٰ قد زالَ ، فأكلَ وشَرِبَ[3]

---

(1) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١٢٢) ، ورواه الخطابي في « العزلة » (ص٩٨) عن أكثم بن صيفي الحكيم الشهير المعمَّر .

(2) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٦٧) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٨٨)

(3) أورده نجم الدين الرازي في « منارات السائرين » (ق/ ١٣١)

ومِنْ أدبِهِم ألَّا يُحوِجُوا صاحبَهُم إلى المُدَاراةِ ، ولا يُلجِئُوهُ إلى الاعتذارِ ، ولا يتكلَّفوا للصاحبِ ما يَشُقُّ عليهِ ، بل يكونوا للصاحبِ مِنْ حيثُ هوَ مُؤثِرينَ مُرادَ الصاحبِ علىٰ مُرادِ أنفسِهِم .

قالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : (شرُّ الأصدقاءِ مَنْ أَحْوجَكَ إلىٰ مُدَاراةٍ ، أو أَلْجأكَ إلى اعتذارٍ ، أو تكلَّفْتَ لهُ)(١)

وقالَ جعفرٌ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُ : (أَثْقلُ إخواني عَلَيَّ : مَنْ يتكلَّفُ لي في الصُّحْبةِ وأتحفَّظُ منهُ ، وأَخَفُّهُم علىٰ قلبي : مَنْ أكونُ معَهُ كما أكونُ وَحْدي)(٢)

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : آدابُ الصُّحْبةِ وحقوقُ الأُخُوَّةِ كثيرةٌ ، والحكاياتُ في ذلكَ يطولُ نَقْلُها

وقد رأيتُ في كتابِ الشيخِ أبي طالبٍ المَكِّيِّ رحمَهُ اللهُ مِنَ الحكاياتِ في هٰذا المعنىٰ شيئاً كثيراً ، وقد أَوْدعَ كتابَهُ كلَّ شيءٍ حَسَنٍ مِنْ ذلكَ(٣)

وحاصلُ الجميعِ : أنَّ العبدَ ينبغي لهُ أنْ يكونَ لمَوْلاهُ ، ويُرِيدَ كلَّ ما يُرِيدُ لمَوْلاهُ لا لنَفْسِهِ ، وإذا صاحبَ شخصاً تكونُ صُحْبَتُهُ إيَّاهُ للهِ تعالىٰ ، وإذا صَحِبَهُ للهِ تعالىٰ يجتهدُ لهُ في كلِّ شيءٍ يزيدُهُ عندَ اللهِ زُلْفىٰ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٧٢) دون نسبة ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ١٣٢)

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٧٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ١٣٣)

(٣) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٥٤٧) وما بعدها

وكلُّ مَنْ قامَ بحقوقِ اللهِ تعالىٰ يَرزُقُهُ اللهُ تعالىٰ عِلْماً بمعرفةِ النَّفْسِ وعيوبِها ، ومحاسنِ الأخلاقِ ، ويُعرِّفُهُ محاسنَ الآدابِ ، ويُوفِّقُهُ مِنْ أداءِ الحقوقِ علىٰ بصيرةٍ ، ويُفقِّهُهُ في كلِّ ذلكَ ، ولا يَفوتُهُ شيءٌ ممَّا يحتاجُ إليهِ فيما يرجعُ إلىٰ حقوقِ الحقِّ ، وفيما يرجعُ إلىٰ حقوقِ الخَلْقِ .

فكلُّ تقصيرٍ يوجدُ مِنْ خُبْثِ النَّفْسِ وعدمِ تزكيتِها ، وبقاءِ صفاتِها عليهِ ، فإنْ صَحِبَتْ ظَلَمتْ بالإفراطِ تارةً ، وبالتفريطِ أُخْرىٰ ، وتعدَّتِ الواجبَ فيما يرجعُ إلى الحقِّ والخَلْقِ ، فالحكاياتُ والمواعظُ والآدابُ وسماعُها . . لا تعملُ في النَّفْسِ زيادةَ تأثيرٍ ، وتكونُ كبئرٍ يُقلَبُ فيها الماءُ مِنْ فوقُ ، فلا يمكثُ فيها ، ولا يُنتفَعُ بهِ .

وإذا أَخَذَتْ بالتقوىٰ والزُّهْدِ في الدنيا . . نَبَعَ مِنْها ماءُ الحياةِ ، وتفقَّهتْ وعَلِمَتْ ، وأدَّتِ الحقوقَ ، وقامتْ بواجبِ الآدابِ بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ وبعونِهِ[1]

❁ ❁ ❁

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب السادس والخمسون

في معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك

(١٣٢) ـ حدَّثَنا شيخُنا أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ ، قالَ : أخبرَنا الشريفُ نورُ الهدىٰ أبو طالبٍ الزَّيْنَبيُّ ، قالَ أخبرَتْنا كَريمةُ المَرْوَزِيَّةُ ، قالَتْ : أخبرَنا أبو الهيثمِ الكُشْمِيهَنيُّ ، قالَ أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ الفِرَبْريُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ البُخَاريُّ ، قالَ حدَّثَنا عمرُ بنُ حفصٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبي ، قالَ : حدَّثَنا الأعمشُ ، قالَ : حدَّثَنا زيدُ بنُ وَهْبٍ ، قالَ حدَّثَنا عبدُ اللهِ[١] ، قالَ : حدَّثَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ الصادقُ المصدوقُ قالَ : « إنَّ أَحَدَكُم يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ ٱللهُ إِلَيْهِ مَلَكاً بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ؛ فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَرِزْقَهُ[٢] ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ ٱلرُّوحُ

وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلنَّارِ ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ ٱلْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ ، وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ

---

(١) هو سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه

(٢) ويجوز ضبط (فيكتب) بالبناء للمجهول ورفع ما بعده ، وهي رواية أبي ذرّ الهروي انظر « إرشاد الساري » (٥/ ٣٢٤)

لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ ٱلْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلنَّارِ فَيَدْخُلُ ٱلنَّارَ »(١)

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون : ١٢ ـ ١٣] ؛ أي حَرِيزٍ ، مُكِّنَ ؛ لاستقرارِها فيهِ إلىٰ بلوغِ أَمَدِها

ثمَّ قالَ بعدَ ذِكْرِ تقلُّباتِهِ : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] ، قيلَ هـٰذا الإنشاءُ نَفْخُ الرُّوحِ فيهِ(٢)

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : واعلَمْ : أنَّ الكلامَ في الرُّوحِ صَعْبُ المَرَامِ ، والإمساكَ عن ذلكَ سبيلُ ذَوِي الأحلامِ ، وقد عَظَّمَ اللهُ تعالىٰ شأنَ الرُّوحِ ، وأَسْجَلَ على الخَلْقِ بقِلَّةِ العِلْمِ ؛ حيثُ قالَ : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وقد أَخْبرَ اللهُ تعالىٰ في كلامِهِ عن إكرامِهِ بني آدمَ ؛ فقالَ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

قيلَ : قالتِ الملائكةُ : ربَّنا ؛ إنَّكَ أَعْطَيتَ بني آدمَ الدنيا يأكلونَ فيها ويتنعَّمونَ(٣) ، ولم تُعطِنا ذلكَ ، فأَعْطِناهُ في الآخرةِ(٤) ، فقالَ : وعِزَّتي

---

(١) صحيح البخاري (٣٣٣٢) ، ورواه مسلم (٢٦٤٣) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧/١٩) ، والبغدادي في « تاريخ بغداد » (٩٠/١٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) في (أ) ونسخة أشار إليها في (و) : (ويتمتعون) ، وجمع بين النسختين في (ز) .

(٤) العبارة في (ط) : (ورُوي أنَّهُ لمَّا خلق الله تعالىٰ آدم وذرِّيَّته . . قالت الملائكة : يا رب ؛ خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة)

وجلالي ؛ لا أجعلُ ذُرِّيَّةَ مَنْ خلقتُ بيديَّ كمَنْ قلتُ لهُ : (كُنْ) فكانَ[1]

فمعَ هٰذهِ الكرامةِ ، واختيارِهِ سُبْحانَهُ وتعالىٰ إيَّاهُم على الملائكةِ . . لمَّا أَخْبرَ عنِ الرُّوحِ أَخبرَ عنهُم بقِلَّةِ العِلْمِ وقالَ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالتِ اليهودُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أَخْبِرْنا : ما الرُّوحُ ؟ وكيفَ تُعذَّبُ الرُّوحُ التي في الجسدِ وإنَّما الرُّوحُ مِنْ أمرِ اللهِ ؟ ولم يكنْ نَزَلَ إليهِ فيهِ شيءٌ ، فلم يُجِبْهُم ، فأتاهُ جبريلُ بهٰذهِ الآيةِ[2]

وحيثُ أَمْسكَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الإخبارِ عنِ الرُّوحِ وماهيَّتِهِ بإذنِ اللهِ تعالىٰ ووَحْيِهِ ، وهوَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مَعدِنُ العلمِ ، ويَنبُوعُ الحكمةِ . . فكيفَ يَسُوغُ لغيرِهِ الخوضُ فيهِ والإشارةُ إليهِ ؟!

لا جَرَمَ لمَّا تقاضَتِ النَّفْسُ الإنسانيةُ المُتطلِّعةُ إلى الفُضُولِ ، المُتشوِّفةُ إلى المعقولِ ، المُتحرِّكةُ بوضعِها إلىٰ كلِّ ما أُمِرَتْ بالسكونِ فيهِ ، المُتسوِّرةُ بحِرْصِها إلىٰ كلِّ تحقيقٍ وكلِّ تمويهٍ ، وأَطْلقَتْ عِنانَ النَّظَرِ في مَسارِحِ الفِكْرِ ، وخاضَتْ غَمَراتِ معرفةِ ماهيَّةِ الرُّوحِ . . تاهتْ في التِّيهِ ،

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٣/٦٥٨) ، و« المعجم الأوسط » (٦١٧٣) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، و« مسند الشاميين » (٥٢١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٤٧) ، والديلمي في « الفردوس » (٥٢٨٩) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧/٥٤٣) ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٥/ ٣٣١) إلى ابن مردويه من طريق العوفي .

وتنوَّعتْ آراؤُها فيهِ ، ولم يُوجَدِ الاختلافُ بينَ أربابِ النقلِ والعقلِ في شيءٍ كالاختلافِ في ماهيَّةِ الرُّوحِ

ولو لَزِمَتِ النُّفُوسُ حدَّها معترفةً بعَجْزِها . . كانَ ذلكَ أَجْدرَ بها وأَوْلىٰ

فأمَّا أقاويلُ مَنْ ليسَ بمُتمسِّكٍ بالشرائعِ . . فنُنزِّهُ الكتابَ عن ذِكْرِها ؛ لأنَّها أقوالٌ أَبْرزَتْها العقولُ التي ضَلَّتْ عنِ الرَّشادِ ، وطُبِعَتْ على الفسادِ ، ولم يُصِبْها نُورُ الاهتداءِ ، ببركةِ مُتابَعةِ الأنبياءِ ، فهم كما قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف : ١٠١] ، ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت : ٥] .

فلمَّا حُجِبُوا عنِ الأنبياءِ لم يسمعوا ، وحيثُ لم يسمعوا لم يهتدوا ، فأَصَرُّوا على الجَهالاتِ ، وحُجِبُوا بالعقولِ عنِ المأمولِ

والعقلُ حُجَّةُ اللهِ تعالىٰ يَهْدي بهِ قوماً ، ويُضِلُّ بهِ آخَرِينَ ، فلم ننقلْ أقوالَهُم في الرُّوحِ واختلافَهُم فيهِ

وأمَّا المُتمسِّكونَ بالشرائعِ تكلَّمُوا في الرُّوحِ ؛ فقومٌ مِنْهُم بطريقِ الاستدلالِ والنَّظَرِ ، وقومٌ مِنْهُم بلسانِ الذَّوقِ والوَجْدِ لا باستعمالِ الفِكَرِ ؛ حتىٰ تكلَّمَ في ذلكَ مَشايخُ الصُّوفيَّةِ أيضاً ، وكانَ الأَوْلى الإمساكَ عن ذلكَ ، والتأدُّبَ بأدبِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وقد قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (الرُّوحُ شيءٌ استأثرَ اللهُ تعالىٰ بعلمِهِ ، ولا تجوزُ العبارةُ عنهُ بأكثرَ مِنْ موجودٍ)[1]

---

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٧٣ـ ٧٤)

ولـٰكن نجعلُ للصادقينَ مَحْمِلاً لأقوالِهم وأفعالِهم ، ويجوزُ أنْ يكونَ كلامُهُم في ذلكَ بمثابةِ التأويلِ لكلامِ اللهِ تعالىٰ والآياتِ المُنزَلةِ ؛ حيثُ حُرِّمَ تفسيرُهُ وجُوِّزَ تأويلُهُ ؛ إذ لا يَسَعُ القولُ في التفسيرِ إلا نقلاً ، وأمَّا التأويلُ فتمتدُّ العقولُ إليهِ بالباعِ الطويلِ ؛ وهوَ ذِكْرُ ما تحتملُ الآيةُ مِنَ المعنىٰ ، مِنْ غيرِ القَطْعِ بذلكَ[1] ، وإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فللقولِ فيهِ وَجْهٌ ومَحْمِلٌ

قالَ أبو عبدِ اللهِ النِّباجيُّ : (الرُّوحُ جسمٌ يَلطُفُ عنِ الحِسِّ ، ويَكبُرُ عنِ اللَّمْسِ ، ولا يُعبَّرُ عنهُ بأكثرَ مِنْ موجودٍ)[2]

وهوَ وإنْ مَنَعَ عنِ العبارةِ فقد حَكَمَ بأنَّهُ جسمٌ ، فكأنَّهُ عبَّرَ عنهُ

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (خَلَقَ اللهُ الأرواحَ قبلَ الأجسادِ ؛ لقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ ؛ يعني : الأرواحَ ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ [الأعراف : ١١] ؛ يعني الأجسادَ)[3]

وقالَ بعضُهُمْ : (الرُّوحُ لطيفٌ قائمٌ في كَثيفٍ ؛ كالبصرِ جوهرٌ لطيفٌ قائمٌ في كَثيفٍ)[4]

وفي هـٰذا القولِ نَظَرٌ

وقالَ بعضُهُمْ : (الرُّوحُ عبارةٌ ، والقائمُ بالأشياءِ هوَ الحقُّ)[5]

---

(١) وذهب بعض العلماء إلى الترادف بين التأويل والتفسير ، وقيل غير ذلك ، وانظر التفصيل في هـٰذه المسألة في « الإتقان في علوم القرآن » (٤/ ١٩٢ـ١٩٧) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٧٤)

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٧٤) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٧٤)

(٥) صوابه : وما تقوم الأشياء به هو الحق عز وجل . من هامش (ح) ، وهـٰذا القول أورده=

وهٰذا فيهِ نَظَرٌ أيضاً ، إلا أنْ يُحمَلَ علىٰ معنى الإحياءِ ؛ فقد قالَ بعضُهُمْ : (الإحياءُ صفةُ المُحْيِي ؛ كالتخليقِ صفةُ الخالقِ ، وقالَ تعالىٰ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء : ٨٥] ، وأمرُهُ كلامُهُ ، وكلامُهُ ليسَ بمخلوقٍ)[١]

أي : صارَ الحيُّ حياً بقولِهِ : (كُنْ حيّاً) ، وعلىٰ هٰذا : لا يكونُ الرُّوحُ معنىً في الجسدِ .

فمِنَ الأقوالِ ما يَدُلُّ : علىٰ أنَّ قائلَهُ يعتقدُ قِدَمَ الرُّوحِ ، ومِنَ الأقوالِ ما يَدُلُّ علىٰ أنَّهُ يعتقدُ حدوثَهُ .

ثمَّ إنَّ الناسَ مختلفونَ في الرُّوحِ الذي سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنهُ ؛ فقالَ قومٌ : هوَ جبريلُ

ونُقِلَ عن أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضوانُ اللهِ عليهِ أنَّهُ قالَ : (هوَ مَلَكٌ مِنَ الملائكةِ ، لهُ سبعونَ ألفَ وجهٍ ، ولكلِّ وجهٍ منهُ سبعونَ ألفَ لسانٍ ، ولكلِّ لسانٍ منهُ سبعونَ ألفَ لغةٍ ، يُسبِّحُ اللهَ تعالىٰ بتلكَ اللُّغاتِ كلِّها ، ويُخلَقُ مِنْ كلِّ تسبيحةٍ مَلَكٌ يطيرُ معَ الملائكةِ إلىٰ يومِ القيامةِ)[٢]
ورُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما (إنَّ الرُّوحَ خَلْقٌ مِنْ

= السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٩٥) ، وعزاه في موضع آخر (١/ ٣٩٧) إلىٰ بعض البغداديين .

(١) انظر « التعرف » (ص٧٤) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧/ ٥٤٤) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤٠٨) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٤٤) .

خَلْقِ اللهِ ، صُوَرُهُم علىٰ صُوَرِ بني آدمَ ، وما نَزَلَ مِنَ السماءِ مَلَكٌ إلا ومعَهُ واحدٌ مِنَ الرُّوحِ)[1]

وقالَ أبو صالحٍ : (الرُّوحُ كهيئةِ الإنسانِ ، وليسوا بناسٍ)[2]

وقالَ مُجاهِدٌ : (الرُّوحُ علىٰ صورةِ بني آدمَ ؛ لهُم أيدٍ وأرجلٌ ورُؤُوسٌ ، يأكلونَ الطعامَ ، وليسوا بملائكةٍ)[3]

وقالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ رحمَهُ اللهُ : (لم يَخلُقِ اللهُ تعالىٰ خَلْقاً أَعْظمَ مِنَ الرُّوحِ غيرَ العرشِ ، ولو شاءَ أنْ يَبْلَعَ السماواتِ السبعَ والأَرَضِينَ السَّبْعَ في لُقْمةٍ . . لَفَعَلَ ، صورةُ خَلْقِهِ علىٰ صورةِ الملائكةِ ، وصورةُ وجهِهِ علىٰ صورةِ الآدميِّينَ ، يقومُ يومَ القيامةِ عن يمينِ العرشِ والملائكةُ معَهُ في صَفٍّ واحدٍ ، وهوَ ممَّنْ يشفعُ لأهلِ التوحيدِ ، ولولا أنَّ بينَهُ وبينَ الملائكةِ سِتْراً مِنْ نُورٍ . . لأحرقَ أهلَ السماواتِ مِنْ نورِهِ)[4]

فهٰذهِ الأقاويلُ لا تكونُ إلا نقلاً وسماعاً ، بَلَغَهُم عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذلكَ ، وإذا كانَ الرُّوحُ المسؤولُ عنهُ شيئاً مِنْ هٰذا المنقولِ . . فهوَ غيرُ الرُّوحِ الذي في الجسدِ .

---

(١) رواه أبو الشيخ في « العظمة » (٤٠٤) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٤٤) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٤/١٧٦) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤١٣) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٤٤) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٤/١٧٦) ، ورواه أبو الشيخ في « العظمة » (٤١٠) موقوفاً علىٰ سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

(٤) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٦/٤٦٩-٤٧٠) ، والبغوي في « تفسيره » (٥/١٢٥)

فعلىٰ هـٰذا : يَسُوغُ القولُ في هـٰذا الرُّوحِ ، ولا يكونُ الكلامُ فيهِ ممنوعاً .

قالَ بعضُهُمُ : (الرُّوحُ لطيفةٌ تسري مِنَ اللهِ تعالىٰ إلىٰ أماكنَ معروفةٍ ، لا يُعبَّرُ عنهُ بأكثرَ مِنْ موجودٍ بإيجادِ غيرِه)[١]

وقالَ بعضُهُمُ : الرُّوحُ لم يخرجْ مِنْ (كُنْ) ؛ لأنَّهُ لو خَرَجَ مِنْ (كُنْ) كانَ عليهِ الذُّلُّ ، قيلَ : فمِنْ أيِّ شيءٍ خَرَجَ ؟

قالَ : مِنْ بينِ جمالِهِ وجلالِهِ سُبْحانَهُ وتعالىٰ ، بمُلاحَظةِ الإشارةِ خصَّها بسلامِهِ ، وحيَّاها بكلامِهِ ؛ فهيَ مُعتَقَةٌ مِنْ ذُلِّ (كُنْ)[٢]

وسُئِلَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ عنِ الرُّوحِ : أمخلوقةٌ هيَ ؟ قالَ : نعم ، ولولا ذلكَ ما أقرَّتْ بالرُّبُوبيَّةِ حيثُ قالتْ : (بلىٰ)[٣]

والرُّوحُ هيَ التي قامَ بها البدنُ ، واستحقَّ بها اسمَ الحياةِ ، وبالروحِ ثَبَتَ العقلُ ، وبالرُّوحِ قامتِ الحُجَّةُ ، ولو لم يكنِ الرُّوحُ كانَ العقلُ مُعطَّلاً لا حُجَّةَ عليهِ ولا لهُ

وقيلَ : إنَّها جوهرٌ مخلوقٌ ، ولـٰكنَّها أَلْطفُ المخلوقاتِ ، وأَصْفى الجواهرِ وأَنْورُها ، وبها تُرى المُغيَّباتُ ، وبها يكونُ الكشفُ لأهلِ الحقائقِ ، وإذا حُجِبَتِ الرُّوحُ عن مُراعاةِ السِّرِّ[٤] . . أساءتِ الجوارحُ

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٩٥)

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٩٦) ، وانظر « سراج العقول » للقزويني (ق/ ٤٦ ، ١٠٧) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٩٦)، والقزويني في « سراج العقول » (ق/ ٤٦) .

(٤) في « تفسير السلمي » : (ملاقاة) بدل (مراعاة)

الأدبَ ؛ ولذلكَ صارتِ الرُّوحُ بينَ تَجَلٍّ واستتارٍ ، وقابضٍ ونازعٍ[1]

وقيلَ : الدنيا والآخرةُ عندَ الأرواحِ سواءٌ[2]

وقيلَ : الأرواحُ تَجُولُ في البرزخِ ، وتُبصِرُ أحوالَ الدنيا ، والملائكةَ تتحدَّثُ في السماءِ عن أحوالِ الآدميِّينَ ، وأرواحٌ تحتَ العرشِ ، وأرواحٌ طيَّارةٌ إلى الجِنانِ وإلىٰ حيثُ شاءتْ علىٰ أقدارِهِم مِنَ السَّعْيِ إلى اللهِ أيَّامَ الحياةِ[3]

وروىٰ سعيدُ بنُ المُسيِّبِ عن سلمانَ الفارسيِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ (أرواحُ المؤمنينَ تذهبُ في برزخٍ مِنَ الأرضِ حيثُ شاءتْ بينَ السماءِ والأرضِ ، حتىٰ يَرُدَّها اللهُ إلىٰ أجسادِها)[4]

وقيلَ (إذا وَرَدَ على الأرواحِ مَيِّتٌ مِنَ الأحياءِ . . التقَوْا وتحدَّثُوا وتساءلُوا ، ووكَّلَ اللهُ تعالىٰ بها ملائكةً تَعرِضُ عليها أعمالَ الأحياءِ ، حتىٰ إذا عُرِضَ على الأمواتِ ما يُعاقَبُ بهِ الأحياءُ في الدنيا مِنْ أجلِ الذنوبِ . . كانَ عُذْرُ اللهِ ظاهراً عندَ الأمواتِ ؛ فإنَّهُ لا أحدَ أحبُّ إليهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ)[5]

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١/٣٩٦) .

(٢) قاله أبو بكر الواسطي ضمن جواب عن مكان الأرواح ، كما في « تفسير السلمي » (١/٣٩٦) .

(٣) قاله الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/٢١٠) .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٢٩) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٩١٩ ، ٩٢٠)

(٥) قاله الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/٢١١) .

وقد وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تُعْرَضُ ٱلْأَعْمَالُ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ وَٱلْخَمِيسِ عَلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَتُعْرَضُ عَلَى ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلآبَاءِ وَٱلْأُمَّهَاتِ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ، فَيَفْرَحُونَ بِحَسَنَاتِهِمْ ، وَتَزْدَادُ وُجُوهُهُمْ بَيَاضاً وَتَشْرِقَةً ، فَٱتَّقُوا ٱللهَ تَعَالَىٰ ، وَلَا تُؤْذُوا أَمْوَاتَكُمْ »(١)

وفي خبرٍ آخَرَ : « إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَىٰ عَشَائِرِكُمْ وَأَقَارِبِكُمْ مِنَ ٱلْمَوْتَىٰ ، فَإِنْ كَانَ حَسَناً ٱسْتَبْشَرُوا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَٰلِكَ قَالُوا : ٱللَّهُمَّ ؛ لَا تُمِتْهُمْ حَتَّىٰ تَهْدِيَهُم كَمَا هَدَيْتَنَا »(٢)

وهـٰذهِ الأقوالُ والأخبارُ تَدُلُّ علىٰ أنَّها أعيانٌ في الجسدِ ، وليستْ بمعانٍ وأعراضٍ .

سُئِلَ الواسِطيُّ رحمَهُ اللهُ : لأيِّ عِلَّةٍ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَحْكَمَ الخَلْقِ ؟ قالَ لأنَّهُ خُلِقَ رُوحُهُ أوَّلاً ، فوقعَ لهُ صُحْبةُ التمكينِ والاستقرارِ ؛ أَلَا تَراهُ يقولُ : « كُنْتُ نَبِيّاً وآدَمُ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ »(٣) ؛ أي : لم يكنْ رُوحاً ولا جسداً(٤)

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٩٢٤) عن عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جدِّه ، وفي (ب ، ج ، ز) : (وإشراقاً) بدل (وتشرقة) ، وفي النسخ ما عدا (أ ، ز ، ي) : (موتاكم) بدل (أمواتكم)

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٦٥) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٩٢٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ورواه أبو داود الطيالسي في « المسند » (١٩٠٣) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وفي (ج ، هـ) : (لما هديتنا) بدل (كما هديتنا) .

(٣) سبق تخريجه في (١/ ١٧٤ـ ١٧٥) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٩٦) .

وقالَ بعضُهُمُ : (الرُّوحُ خُلِقَ مِنْ نورِ العِزَّةِ ، وإبليسُ خُلِقَ مِنْ نارِ العِزَّةِ ؛ ولهـٰذا قالَ ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] ، ولم يَدْرِ أنَّ النُّورَ خيرٌ مِنَ النارِ)(١)

وقالَ بعضُهُم (قَرَنَ اللهُ تعالى العِلْمَ بالرُّوحِ(٢) ، فهيَ للطافتِها تنمو بالعِلْمِ ، كما ينمو البدنُ بالغذاءِ ، وهـٰذا في علمِ اللهِ ؛ لأنَّ علمَ الخَلْقِ قليلٌ لا يبلُغُ ذلكَ)(٣)

والمختارُ عندَ أكثرِ مُتكلِّمي الإسلامِ : أنَّ الإنسانيَّةَ والحيوانيَّةَ عَرَضانِ خُلِقا في الإنسانِ ، والموتُ يُعدِمُهُما ، وأنَّ الرُّوحَ هيَ الحياةُ بعينِها ، صارَ البدنُ بوجودِها حيّاً ، وبالإعادةِ إليهِ في القيامةِ يصيرُ حيّاً(٤)

وذهبَ بعضُ مُتكلِّمي الإسلامِ : إلىٰ أنَّهُ جسمٌ لطيفٌ اشتبكَ بالأجسامِ الكثيفةِ اشتباكَ الماءِ بالعُودِ الأخضرِ ، وهوَ اختيارُ أبي المعالي الجُوَينيِّ(٥)

وكثيرٌ منهُم مالَ إلىٰ أنَّهُ عَرَضٌ ، إلا أنَّهُ ردَّهُم عن ذلكَ الأخبارُ الدالَّةُ علىٰ أنَّهُ جسمٌ ؛ لما وَرَدَ فيهِ مِنَ العُرُوجِ والهُبُوطِ والتَّرَدُّدِ في البَرْزخِ ؛ فحيثُ

---

(١) رواه إلىٰ قوله : (من نار العزة) إسحاق بن راهويه في « المسند » (٧٨٨) ، وعبد الله بن أحمد في « السنة » (١٠٨٣) عن عكرمة رحمه الله تعالىٰ .

(٢) كقوله : ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] . من هامش (ح) .

(٣) انظر « تفسير السلمي » (١/ ٣٩٦)

(٤) انظر « سراج العقول » (ق/ ٤٥)

(٥) وهو الصحيح ، وعليه أهل السُّنَّة من المُتكلِّمين والمُحدِّثين والفقهاء والصوفيَّة ، وانظر « الإرشاد » (ص٣٧٧) ، و« شرح النووي علىٰ مسلم » (١٣/ ٣٢ـ٣٣) ، و« نهاية المرام » (ص١٦٠) ، و« تحفة المريد » (ص٢٦٢)

وُصِفَ بأوصافٍ دَلَّ علىٰ أنَّهُ جسمٌ ؛ لأنَّ العَرَضَ لا يُوصَفُ بأوصافٍ ؛ إذِ الوصفُ معنىً ، والمعنىٰ لا يقومُ بالمعنىٰ .

وأَصَرَّ بعضُهُم علىٰ أنَّهُ عَرَضٌ

سُئِلَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ؛ قيلَ لهُ : أينَ تذهبُ الأرواحُ عندَ مُفارَقةِ الأبدانِ ؟ فقالَ : أينَ يذهبُ ضوءُ المصباحِ عندَ فناءِ الأَدْهانِ ؟

قيلَ لهُ : فأينَ تذهبُ الجُسُومُ إذا بَلِيَتْ ؟ فقالَ : فأينَ يذهبُ لحمُها إذا مَرِضَتْ ؟[(١)]

وقالَ بعضُ مَنْ يُتَّهَمُ بالعلومِ المردودةِ المذمومةِ ويُنسَبُ إلى الإسلامِ : (الرُّوحُ ينفصلُ مِنَ البدنِ في جسمٍ لطيفٍ)[(٢)]

وقالَ بعضُهُم : (إنَّها إذا فارقَتِ البدنَ تَحُلُّ معَها القُوَّةُ الوَهْميَّةُ بتوسُّطِ النُّطْقيَّةِ ، فتكونُ حينئذٍ مُطالِعةً للمعاني المحسوساتِ ؛ لأنَّ تجرُّدَهُ مِنْ هيئاتِ البدنِ عندَ المُفارَقةِ غيرُ مُمكِنٍ .

وهيَ عندَ الموتِ شاعرةٌ بالموتِ ، وبعدَ الموتِ مُتخيِّلةٌ نَفْسَها مقبورةً ، وتَتَصَوَّرُ جميعَ ما كانتْ تعتقدُهُ حالَ الحياةِ ، وتَحُسُّ بالثوابِ والعقابِ في القبرِ)[(٣)]

وقالَ بعضُهُم : (أَسْلَمُ المقالاتِ أنْ يُقالَ : الرُّوحُ شيءٌ مخلوقٌ ،

---

(١) أورده القزويني في « سراج العقول » (ق/٤٩) ، وفي (أ ، ج ، ز) : (الأشباح . . . الأجسام) بدل (الأبدان . . . الجُسُوم) .

(٢) عزاه القزويني في « سراج العقول » (ق/٤٧) إلىٰ ثابت بن قرة الحرَّاني .

(٣) انظر « سراج العقول » (ق/٤٧) .

أَجْرى اللهُ تعالى العادةَ أنْ يحيا البدنُ ما دامَ مُتَّصِلاً بهِ ، وأنَّهُ أَشْرفُ مِنَ الجسدِ ، يذوقُ الموتَ بمُفارَقةِ الجسدِ ، كما أنَّ الجسدَ بمُفارَقتِهِ يذوقُ الموتَ ؛ فإنَّ الكيفيَّةَ والماهيَّةَ يتعاشى العقلُ فيهِما كما يتعاشى البصرُ في شُعاعِ الشمسِ)[1]

ولمَّا رأى المُتكلِّمونَ أنَّهُ يُقالُ لهُمُ : الموجوداتُ محصورةٌ : قديمٌ وجسمٌ وجوهرٌ وعَرَضٌ ، فالرُّوحُ مِنْ أيِّ هٰؤلاءِ ؟

فاختارَ قومٌ منهُم أنَّهُ عَرَضٌ

وقومٌ منهُم : أنَّهُ جسمٌ لطيفٌ كما ذَكَرْنا[2]

واختارَ قومٌ : أنَّهُ قديمٌ ؛ لأنَّهُ أمرٌ ، والأمرُ كلامٌ ، والكلامُ قديمٌ .

فما أحسنَ الإمساكَ عنِ القولِ فيما هٰذا سبيلُهُ !!

وكلامُ الشيخِ أبي طالبٍ المَكِّيِّ رحمَهُ اللهُ في « كتابِهِ » : يَدُلُّ علىٰ أنَّهُ يميلُ إلىٰ أنَّ الأرواحَ أعيانٌ في الجسدِ ، وهٰكذا النُّفُوسُ ؛ لأنَّهُ يذكرُ أنَّ الرُّوحَ تتحرَّكُ للخيرِ ، ومِنْ حركتِها يظهرُ نُورٌ في القلبِ يراهُ المَلَكُ ، فيُلهِمُ الخيرَ عندَ ذلكَ ، وأنَّ النَّفْسَ تتحرَّكُ ، ومِنْ حركتِها تظهرُ ظُلْمةٌ في القلبِ ، فيرى الشيطانُ الظُّلْمةَ ، فيُقبِلُ بالإغواءِ[3]

وحيثُ وجدتُ أقوالَ المشايخِ تُشيرُ إلى الرُّوحِ أقولُ : ما عندي في ذلكَ

---

(١) في (أ ، و) : (يتغاشىٰ) في الموضعين ، وفي (ح ، ي) : (يتلاشىٰ) كذلك .

(٢) انظر (٢/ ٤١٥) .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٢/ ٣٥٧_٣٥٨)

علىٰ معنىٰ ما ذكرتُ مِنَ التأويلِ دونَ أنْ أقطعَ بهِ ؛ إذ مَيْلي في ذلكَ إلى السكوتِ والإمساكِ ، فأقولُ واللهُ أعلمُ :

الرُّوحُ الإنسانيُّ العُلْويُّ السَّماويُّ مِنْ عالَمِ الأمرِ ، والرُّوحُ الحَيَوانيُّ البَشَريُّ مِنْ عالَمِ الخَلْقِ ، والرُّوحُ الحَيَوانيُّ البَشَريُّ مَحَلُّ الرُّوحِ العُلْويِّ ومَوْرِدُهُ .

والرُّوحُ الحَيَوانيُّ جِسْمانيٌّ لطيفٌ حاملٌ لقُوَّةِ الحِسِّ والحركةِ ، تنبعثُ مِنَ القلبِ ـ أعني بالقلب ها هنا : المُضْغةَ اللَّحْميَّةَ المعروفةَ الشكلِ ، المُودَعةَ في الجانبِ الأيسرِ مِنَ الجسدِ ـ وتنتشرُ في تجاويفِ العُرُوقِ الضوارِبِ

وهٰذهِ الرُّوحُ لسائرِ الحيواناتِ ، ومنهُ تفيضُ قُوى الحواسِّ ، وهوَ الذي قِوامُهُ بإجْراءِ سُنَّةِ اللهِ تعالىٰ بالغِذاءِ غالباً ، ويُتصرَّفُ بعِلْمِ الطبِّ فيهِ باعتدالِ مزاجِ الأَخْلاطِ .

ولوُرُودِ الرُّوحِ الإنسانيِّ العُلْويِّ علىٰ هٰذا الرُّوحِ . . تَجَنَّسَ الرُّوحُ الحَيَوانيُّ ، وباينَ أرواحَ الحيواناتِ ، واكتسبَ صفةً أخرىٰ ، فصارَ نَفْساً مَحَلاً للنُّطْقِ والإلهامِ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس : ٧ـ٨] ؛ فتسويتُها بورودِ الرُّوحِ الإنسانيِّ عليها واقتطاعِها عن جنسِ أرواحِ الحيواناتِ ، فتكوَّنتِ النَّفْسُ بتكوينِ اللهِ مِنَ الرُّوحِ العُلْويِّ .

وصارَ تكوُّنُ النَّفْسِ التي هيَ الرُّوحُ الحَيَوانيُّ مِنَ الآدميِّ مِنَ الرُّوحِ العُلْويِّ في عالَمِ الأمرِ . . كتكوُّنِ حوَّاءَ مِنْ آدمَ في عالَمِ الخَلْقِ ، وصارَ بينَهُما

مِنَ التآلُفِ والتعاشُقِ كما بينَ آدمَ وحَوَّاءَ ، وصارَ كلُّ واحدٍ مِنْهُما يذوقُ الموتَ بمُفارَقةِ صاحبِهِ

قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ؛ فسَكَنَ آدمُ إلىٰ حَوَّاءَ ، وسَكَنَ الرُّوحُ الإنسانيُّ العُلْويُّ إلى الرُّوحِ الحَيَوانيِّ وصيَّرَهُ نَفْساً ، وتكوَّنَ مِنْ سكونِ الرُّوحِ إلى النَّفْسِ القلبُ ، وأعني بهٰذا القلبِ : اللَّطِيفةَ التي مَحَلُّها المُضْغةُ اللَّحْميَّةُ ، فالمُضْغةُ اللَّحْميَّةُ مِنْ عالَمِ الخَلْقِ ، وهٰذهِ اللَّطِيفةُ مِنْ عالَمِ الأمرِ .

وكانَ تكوُّنُ القلبِ مِنَ الرُّوحِ والنَّفْسِ في عالَمِ الأمرِ . . كتكوُّنِ الذُّرِّيَّةِ مِنْ آدمَ وحَوَّاءَ في عالَمِ الخَلْقِ ، ولولا المُساكَنةُ بينَ الزَّوجَينِ اللَّذَينِ أحدُهُما النَّفْسُ . . ما تكوَّنَ القلبُ

فمِنَ القلوبِ قلبٌ مُتطلِّعٌ إلى الأبِ الذي هوَ الرُّوحُ العُلْويُّ مَيَّالٌ إليهِ ؛ وهوَ القلبُ المُؤيَّدُ الذي ذَكَرَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما رواهُ حُذَيفةُ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : « ٱلْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ : قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يَزْهَرُ ؛ فَذَلِكَ قَلْبُ ٱلْمُؤْمِنِ ، وَقَلْبٌ أَسْوَدُ مَنْكُوسٌ ؛ فَذَلِكَ قَلْبُ ٱلْكَافِرِ ، وَقَلْبٌ مَرْبُوطٌ عَلَىٰ غِلَافِهِ ؛ فَذَلِكَ قَلْبُ ٱلْمُنَافِقِ ، وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ ؛ فَمَثَلُ ٱلْإِيمَانِ فِيهِ مَثَلُ ٱلْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا ٱلْمَاءُ ٱلطَّيِّبُ ، وَمَثَلُ ٱلنِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ ٱلْقَرْحَةِ يَمُدُّهَا ٱلْقَيْحُ وَٱلصَّدِيدُ ، فَأَيُّ ٱلْمِدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَيْهِ حُكِمَ لَهُ بِهَا »(١)

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٤٣٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣١٠٤٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٧٦) موقوفاً علىٰ سيدنا حذيفة رضي الله عنه ، ورواه أحمد (٣/ ٧) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (١٠٧٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٣٨٥) مرفوعاً عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

والقلبُ المنكوسُ مَيَّالٌ إلى الأُمِّ التي هيَ النَّفْسُ الأَمَّارةُ بالسُّوءِ

ومِنَ القلوبِ قلبٌ مُترَدِّدٌ في مَيْلِهِ إليهِما[1] ، وبحَسَبِ غَلَبَةِ مَيْلِ القلبِ يكونُ حُكْمُهُ مِنَ السعادةِ والشَّقاوةِ .

والعقلُ جوهرُ الرُّوحِ العُلْويِّ ، ولسانُهُ والدالُّ عليهِ ، وتدبيرُهُ للقلبِ المُؤيَّدِ والنَّفْسِ الزَّكيَّةِ المُطمئنَّةِ . . تدبيرُ الوالدِ للولدِ البارِّ والزوجةِ الصالحةِ ، وتدبيرُهُ للقلبِ المنكوسِ والنَّفْسِ الأَمَّارةِ بالسُّوءِ . . تدبيرُ الوالدِ للولدِ العاقِّ والزوجةِ السَّيِّئةِ ، فمُنكِرٌ مِنْ وجهٍ ، ومُنجذِبٌ إلىٰ تدبيرِهِما مِنْ وجهٍ ؛ إذ لا بُدَّ لهُ مِنْهُما

وقولُ القائلينَ واختلافُهُم في مَحَلِّ العقلِ ؛ فمِنْ قائلٍ : إنَّ مَحَلَّهُ الدِّماغُ ، ومِنْ قائلٍ : إنَّ مَحَلَّهُ القلبُ . . كلامُ الغائبينَ عن دَرْكِ حقيقةِ ذلكَ .

واختلافُهُم في ذلكَ لعدمِ استقرارِ العقلِ علىٰ نَسَقٍ واحدٍ ، وانجذابِهِ إلى البارِّ تارةً وإلى العاقِّ أُخرىٰ ، وللقلبِ والدِّماغِ نسبةٌ إلى البارِّ والعاقِّ .

فإذا رُئِيَ في تدبيرِ العاقِّ قيلَ : مسكنُهُ الدِّماغُ

وإذا رُئِيَ في تدبيرِ البارِّ قيلَ : مسكنُهُ القلبُ .

فالرُّوحُ العُلْويُّ يَهُمُّ بالارتقاءِ إلىٰ مَوْلاهُ شوقاً وحُنُوّاً وتنزُّهاً عنِ الأكوانِ ، ومِنَ الأكوانِ القلبُ والنَّفْسُ .

فإذا ارتقى الرُّوحُ يحنو القلبُ إليهِ حُنُوَّ الولدِ الحسنِ البارِّ إلى الوالدِ ،

---

(١) أي : إلى الأب الذي هو القلب المُؤيَّد ، وإلى الأم الذي هو القلب المنكوس .

وتحنو النَّفْسُ إلى القلبِ الذي هوَ الولدُ حُنُوَّ الوالدةِ الحَنِينةِ إلىٰ ولدِها

وإذا حنَّتِ النَّفسُ ارتقَتْ مِنَ الأرضِ ، وانزوَتْ عُرُوقُها الضاربةُ في العالَمِ السُّفْليِّ ، وانكوىٰ هواها ، وانحسمَتْ مادَّتُهُ ، وزَهِدَتْ في الدنيا ، وتجافَتْ عن دارِ الغُرُورِ ، وأنابَتْ إلىٰ دارِ الخُلُودِ .

وقد تُخلِدُ النَّفسُ التي هيَ الأُمُّ إلى الأرضِ بوضعِها الجِبلِّيِّ ؛ لكونِها مِنَ الرُّوحِ الحَيَوانيِّ المُجنَّسِ ، ومُستنَدِها في كونِها إلى الطبائعِ التي هيَ أركانُ العالَمِ السُّفْليِّ[1] ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] .

فإذا سَكَنتِ النَّفْسُ التي هي الأُمُّ إلى الأرضِ . انجذبَ إليها القلبُ المنكوسُ انجذابَ الولدِ المَيَّالِ إلى الوالدةِ المُعْوَجَّةِ الناقصةِ ، دونَ الوالدِ الكاملِ المُستقيمِ ، وينجذبُ الرُّوحُ إلى الولدِ الذي هوَ القلبُ لِمَا جُبِلَ عليهِ انجذابَ الوالدِ إلىٰ ولدِهِ ، فعندَ ذلكَ يتخلَّفُ عن حقيقةِ القيامِ بحقِّ مَوْلاهُ

وفي هٰذَينِ الانجذابَينِ يظهرُ حُكْمُ السعادةِ والشَّقاوةِ ؛ ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦] .

وقد وَرَدَ في أخبارِ داودَ عليهِ السلامُ : أنَّهُ سألَ ابنَهُ سليمانَ : أينَ مَوضِعُ العقلِ منكَ ؟ فقالَ : القلبُ[2] ؛ لأنَّهُ قالَبُ الرُّوحِ ، والرُّوحَ قالَبُ الحياةِ .

وقالَ أبو سعيدٍ القُرَشيُّ : (الرُّوحُ رُوحانِ : رُوحُ الحياةِ ، ورُوحُ

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

(٢) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٨٦٨) ضمن خبر طويل ، وفيه : (الدماغ) بدل (القلب) .

المماتِ ، فإذا اجتمعا عَقَلَ الجسمُ ، ورُوحُ المماتِ هيَ التي إذا خرجتْ مِنَ الجسدِ يصيرُ الحيُّ ميّتاً ، ورُوحُ الحياةِ : ما بهِ مَجَاري الأنفاسِ وقُوَّةُ الأكلِ والشُّربِ وغيرِهِما)[1]

وقالَ بعضُهُمْ : (الرُّوحُ نسيمٌ طَيِّبٌ يكونُ بهِ الحياةُ ، والنَّفْسُ رِيحٌ حارَّةٌ تكونُ مِنْها الحَرَكاتُ المذمومةُ والشَّهَواتُ)[2] ، ويُقالُ (فلانٌ حارُّ الرأسِ)[3]

وفي الفصلِ الذي ذَكَرْناهُ يقعُ التنبيهُ علىٰ ماهيَّةِ النَّفْسِ ، وإشاراتُ المشايخِ في ماهيَّةِ النَّفْسِ إلىٰ ما يظهرُ مِنْ آثارِها مِنَ الأفعالِ المذمومةِ والأخلاقِ المذمومةِ ، وهيَ التي تُعالَجُ بحُسْنِ الرِّياضةِ والمُجاهدةِ إزالتُها وتبديلُها ؛ فالأفعالُ الرَّدِيئةُ تُزالُ ، والأخلاقُ الرَّدِيئةُ تُبدَّلُ .

(١٣٣) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ رَضِيُّ الدِّينِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ القَزْوِينيُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو [سعدٍ] محمَّدُ بنُ أبي العبَّاسِ الخَلِيليُّ[4] ، قالَ : أخبرَنا العالِمُ القاضي محمَّدُ بنُ سعيدٍ الفَرُّخْزاديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو إسحاقَ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ[5] ، قالَ : أخبرَنا الحسينُ بنُ محمَّدِ ابنِ عبدِ اللهِ

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١/٣٩٧) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٧٦) .

(٣) انظر « نوادر الأصول » (٤/٤٢٩) .

(٤) في النسخ : (سعيد) بدل (سعد) ، والمثبت من « التحبير في المعجم الكبير » (٢/٦٩) ، و« المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (ص١٣٧٠) ، و« معجم شيوخ ابن عساكر » (٢/٨٦٦)

(٥) هو الثعلبي صاحب « الكشف والبيان »

السُّفيانيُّ[1] ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ الحسنِ اليَقْطِينيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ يزيدَ العُقَيليُّ ، قالَ : حدَّثَنا صَفوانُ بنُ صالحٍ ، قالَ : حدَّثَنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عنِ ابنِ لَهيعَةَ ، عن خالدِ بنِ يزيدَ ، عن سعيدِ بنِ أبي هلالٍ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ إذا قرَأَ هـٰذهِ الآيةَ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٩] . . وَقَفَ ثمَّ قالَ : « اللَّهُمَّ ؛ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا »[2]

وقيلَ (النَّفْسُ لطيفةٌ مُودَعةٌ في القالَبِ ؛ مِنْها الأخلاقُ والصفاتُ المذمومةُ ، كما أنَّ الرُّوحَ لطيفةٌ مُودَعةٌ في القالَبِ ؛ مِنْها الأخلاقُ والصفاتُ المحمودةُ ، وكما أنَّ العينَ مَحَلُّ الرُّؤْيةِ ، والسمعَ مَحَلُّهُ الأُذُنُ ، والأنفَ مَحَلُّ الشَّمِّ ، والفمَ مَحَلُّ الذوقِ . . هكذا النَّفْسُ مَحَلُّ الأوصافِ المذمومةِ ، والرُّوحُ مَحَلُّ الأوصافِ المحمودةِ)[3]

وجميعُ أخلاقِ النَّفْسِ وصفاتِها مِنْ أصلَينِ : أحدُهُما : الطَّيْشُ ، والثاني : الشَّرَهُ ، وطَيْشُها مِنْ جهلِها ، وشَرَهُها مِنْ حِرْصِها

---

(١) هو أبو عبد الله ابن فنجويه الثقفي الدينوري .

(٢) الكشف والبيان (٢٩/ ٤٢٦ـ٤٢٧) ، والحديث معضل ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/ ١٠٦) ، وابن المنذر وابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٨/ ٥٢٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما عند قراءة قوله تعالىٰ : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس : ٧ـ٨] ، وكذلك رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٩٣٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مسلم (٢٧٢٢) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه دون تقييدٍ بآياتٍ معيَّنة .

(٣) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٢٩٠ـ٢٩١) .

وشُبِّهَتِ النَّفسُ في طَيشِها : بكُرَةٍ مُستدِيرةٍ علىٰ مكانٍ أَمْلسَ مُصَوَّبٍ لا تزالُ مُتحرِّكةً بجِبِلَّتِها ووَضْعِها

وشُبِّهَتْ في حِرْصِها بالفَرَاشِ الذي يُلْقِي نَفْسَهُ علىٰ ضوءِ المصباحِ ، ولا يَقنَعُ بالضوءِ اليسيرِ دونَ الهُجُومِ علىٰ جِرْمِ الضوءِ الذي فيهِ هلاكُهُ .

فمِنَ الطَّيْشِ تُوجَدُ العَجَلَةُ وقِلَّةُ الصبرِ ، والصبرُ جوهرُ العقلِ ، والطَّيْشُ صفةُ النَّفْسِ وهواها ورُوحُها ، لا يَغلِبُهُ إلا الصبرُ[1] ؛ إذِ العقلُ يَقمَعُ الهوىٰ .

ومِنَ الشَّرَهِ يظهرُ الطمعُ والحِرْصُ ، وهما اللذانِ ظهرا في آدمَ حيثُ طَمِعَ في الخلودِ ، فحَرَصَ علىٰ أكلِ الشجرةِ .

وصفاتُ النَّفْسِ لها أصولٌ مِنْ أصلِ تكوُّنِها ؛ لأنَّها مخلوقةٌ مِنْ ترابٍ ، ولها بحَسَبِهِ وصفٌ .

وقيلَ : (وصفُ الضعفِ في الآدميِّ مِنَ التُّرابِ ، ووصفُ البُخْلِ فيهِ مِنَ الطِّينِ ، ووصفُ الشهوةِ فيهِ مِنَ الحَمَأِ المَسْنونِ ، ووصفُ الجهلِ فيهِ مِنَ الصَّلْصالِ)[2]

وقيلَ : قولُهُ : ﴿ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] بهٰذا الوصفِ : فيهِ شيءٌ مِنَ الشَّيْطَنةِ ؛ لدخولِ النارِ في الفخَّارِ ؛ فمِنْ ذلكَ الخِداعُ والحِيَلُ والحَسَدُ[3]

---

(١) اعلَمْ : أنَّ قِلَّةَ الصبر من قِلَّة جوهر العقل ؛ لأنَّ الصبر جوهر العقل ، فافهم . من هامش (ح) .

(٢) في بعض النسخ : (الشَّرَه) بدل (الشهوة) ، وانظر « قوت القلوب » (١/ ٢٥١)

(٣) انظر « تفصيل النشأتين » (ص٢٥)

فمَنْ عَرَفَ أصولَ النَّفْسِ وجِبِلَّاتِها. . عَرَفَ أنْ لا قُدْرةَ لهُ عليها إلا بالاستعانةِ ببارئِها وفاطرِها

فلا يتحقَّقُ العبدُ بالإنسانيَّةِ إلَّا بعدَ أنْ يُدبِّرَ دواعيَ الحيوانيَّةِ فيهِ بالعِلْمِ والعَدْلِ ؛ وهوَ رعايةُ طَرَفَيِ الإفراطِ والتفريطِ ، ثمَّ بذلكَ تَقْوىٰ إنسانيَّتُهُ ومَعْناهُ ، ويُدرِكُ صفاتِ الشَّيْطَنةِ فيهِ والأخلاقَ المذمومةَ ، وكمالُ إنسانيَّتِهِ يتقاضاهُ أَلَّا يرضىٰ لنَفْسِهِ بذلكَ ، ثمَّ تنكشفُ لهُ الأخلاقُ التي يُنازِعُ بها الرُّبُوبيَّةَ ؛ مِنَ الكِبْرِ ، والعزِّ ، ورُؤْيةِ النَّفْسِ ، والعُجْبِ ، وغيرِ ذلكَ ، فيرىٰ أنَّ صِرْفَ العُبُوديَّةِ في تركِ المُنازَعةِ للرُّبُوبيَّةِ

واللهُ تعالىٰ ذَكَرَ النَّفْسَ في كلامِهِ القديمِ بثلاثةِ أوصافٍ : بالطُّمَأْنينةِ ؛ قالَ : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر : ٢٧] .

وسمَّاها لوَّامةً ؛ قالَ ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ * وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة ١ـ٢]

وسمَّاها أَمَّارةً ؛ فقالَ : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف : ٥٣]

وهيَ نَفْسٌ واحدةٌ ، لها صفاتٌ مُتغايِرةٌ .

فإذا امتلأَ القلبُ سكينةً خَلَعَ على النَّفْسِ خِلَعَ الطُّمَأْنينةِ ؛ لأنَّ السكينةَ مَزِيدُ الإيمانِ ، وفيها ارتقاءُ القلبِ إلىٰ مقامِ الرُّوحِ لِمَا مُنِحَ مِنْ حظِّ اليقينِ ، وعندَ توجُّهِ القلبِ إلىٰ مَحَلِّ الرُّوحِ تتوجَّهُ النَّفْسُ إلىٰ مَحَلِّ القلبِ ، وفي ذلكَ طُمَأْنينتُها

وإذا انزعجتْ مِنْ مَقَارِّ جِبِلَّتِها ودواعي طبيعتِها مُتطلِّعةً إلىٰ مَقامِ

الطُّمَأْنينةِ[1] فهيَ لَوَّامةٌ ؛ لأنَّها تعودُ باللائمةِ علىٰ نَفْسِها ؛ لنَظَرِها وعِلْمِها بمَحَلِّ الطُّمَأْنينةِ ، ثمَّ انجذابِها إلىٰ مَحَلِّها الذي كانتْ فيهِ أمَّارةً بالسُّوءِ ، وإذا أقامتْ في مَحَلِّها لا يَغْشاها نورُ العِلْمِ والمعرفةِ ، فهيَ علىٰ ظُلْمتِها أمَّارةٌ بالسُّوءِ .

فالنَّفْسُ والرُّوحُ يتطارَدانِ ؛ فتارةً تملكُ القلبَ دواعي الرُّوحِ ، وتارةً تملكُهُ دواعي النَّفْسِ

وأمَّا السِّرُّ فقد أشارَ القومُ إليهِ ، ووجدتُ في كلامِ القومِ : أنَّ مِنْهُم مَنْ جعلَهُ بعدَ القلبِ وقبلَ الرُّوحِ .

ومِنْهُم مَنْ جعلَهُ بعدَ الرُّوحِ وأَعْلىٰ مِنْهُ وأَلْطفَ ، وقالوا : السِّرُّ مَحَلُّ المُشاهَدةِ ، والرُّوحُ مَحَلُّ المَحَبَّةِ ، والقلبُ مَحَلُّ المعرفةِ .

والسِّرُّ الذي وقعتْ إشارةُ القومِ إليهِ . . غيرُ مذكورٍ في كلامِ اللهِ تعالىٰ ، وإنَّما المذكورُ في كلامِ اللهِ الروحُ والنَّفْسُ وتنوُّعُ صفاتِها ، والقلبُ والفؤادُ والعقلُ

وحيثُ لم نَجِدْ في كلامِ اللهِ تعالىٰ ذِكْرَ السِّرِّ بالمعنى المُشارِ إليهِ ، ورَأَيْنا الاختلافَ في القولِ فيهِ ، وأشارَ قومٌ إلىٰ أنَّهُ دونَ الرُّوحِ ، وقومٌ إلىٰ أنَّهُ أَلْطفُ مِنَ الرُّوحِ . . فنقولُ واللهُ أعلمُ :

الذي سمَّوهُ سِرّاً ليسَ هوَ شيئاً مُستقِلّاً بنفسِهِ لهُ وجودٌ وذاتٌ كالرُّوحِ والنَّفْسِ ، وإنَّما لمَّا صَفَتِ النَّفْسُ وتزكَّتِ انطلقَ الرُّوحُ مِنْ وَثاقِ ظُلْمةِ النَّفْسِ ، فأَخَذَ في العُرُوجِ إلىٰ أوطانِ القُرْبِ ، وانترحَ القلبُ عندَ ذلكَ مِنْ مُستقَرِّهِ مُتطلِّعاً إلى الرُّوحِ ، فاكتسبَ وَصْفاً زائداً علىٰ وصفِهِ ، فاستعجمَ

(١) في بعض النسخ : (إلى مقار) بدل (إلى مقام) .

على الواجِدِينَ ذلكَ الوصفُ ؛ حيثُ رَأَوْهُ أَصْفى مِنَ القلبِ ، فسَمَّوْهُ سِرّاً

ولمَّا صارَ للقلبِ وصفٌ زائدٌ على وصفِهِ بتطلُّعِهِ إلى الرُّوحِ . . اكتسبَ الرُّوحُ وصفاً زائداً في عُرُوجِهِ ، فاستعجمَ على الواجِدِينَ ، فسمَّوْهُ سِرّاً

والذي زعموا أنَّهُ أَلْطفُ مِنَ الرُّوحِ . . هوَ رُوحٌ مُتَّصِفةٌ بوصفٍ أَخَصَّ ممَّا عَهِدُوهُ ، والذي سمَّوهُ قبلَ الرُّوحِ سِرّاً . . هوَ قلبٌ اتَّصَفَ بوصفٍ زائدٍ غيرِ ما عَهِدُوهُ

وفي مِثْلِ هٰذا التَّرَقِّي مِنَ الرُّوحِ والقلبِ . . ترقَّى النَّفْسُ إلى مَحَلِّ القلبِ ، وتنخلعُ مِنْ وَصْفِها ، فتصيرُ نَفْساً مُطمئِنَّةً تُرِيدُ كثيراً مِنْ مُراداتِ القلبِ ؛ مِنْ قِبَلِ أنَّ القلبَ صارَ يُرِيدُ ما يُرِيدُ مَوْلاهُ مُتبرِّئاً مِنَ الحولِ والقُوَّةِ والإرادةِ والاختيارِ[1] ، وعندَ هٰذا ذاقَ طعمَ صِرْفِ العُبُوديَّةِ ؛ حيثُ صارَ حُرّاً عن إرادتِهِ واختياراتِهِ

وأمَّا العقلُ : فهوَ لسانُ الرُّوحِ وتَرْجُمانُ البصيرةِ ، والبصيرةُ للرُّوحِ بمثابةِ القلبِ ، والعقلُ بمثابةِ اللِّسانِ .

وقد وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « أَوَّلُ مَا خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَىٰ ٱلْعَقْلُ ، فَقَالَ لَهُ : أَقْبِلْ ، فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَدْبِرْ ، فَأَدْبَرَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ٱقْعُدْ ، فَقَعَدَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ٱنْطِقْ ، فَنطَقَ[2] ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ٱصْمُتْ ، فَصَمَتَ

---

(١) في النسخ ما عدا (أ) : (إذ صار القلب) بدل (أن القلب صار) وكلاهما صحيح ، واعتمد ما في (أ) صاحب « شرح المشكلات » (ق/ ٦٧) .

(٢) في (د) : (انطلق ، فانطلق) .

فَقَالَ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، وَعَظَمَتِي وَكِبْرِيَائِي ، وَسُلْطَانِي وَجَبَرُوتِي ؛ مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ ، وَلَا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ ؛ بِكَ أُعْرَفُ ، وَبِكَ أُحْمَدُ ، وَبِكَ أُطَاعُ ، وَبِكَ آخُذُ ، وَبِكَ أُعْطِي ، وَإِيَّاكَ أُعَاتِبُ ، وَلَكَ ٱلثَّوَابُ ، وَعَلَيْكَ ٱلْعِقَابُ ، وَمَا أَكْرَمْتُكَ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ ٱلصَّبْرِ »(١)

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يُعْجِبَنَّكُمْ إِسْلَامُ رَجُلٍ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا عُقْدَةُ عَقْلِهِ »(٢)

وسألتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ قالتْ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ بأيِّ شيءٍ يتفاضلُ الناسُ ؟ قالَ : « بِٱلْعَقْلِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ »

قالتْ : قلتُ : أليسَ يُجزَى الناسُ بأعمالِهِم ؟ قالَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ وَهَلْ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ ٱللهِ إِلَّا مَنْ قَدْ عَقَلَ ؟! فَبِقَدْرِ عُقُولِهِمْ يَعْمَلُونَ ، وَعَلَىٰ قَدْرِ مَا يَعْمَلُونَ يُجْزَوْنَ »(٣)

---

(١) رواه بلفظه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٣٥) مرسلاً عن الأوزاعي رحمه الله تعالىٰ ، ومرفوعاً (١٠٣٤) عن عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس فيه : (وما أكرمتك بشيء أفضل من الصبر) ، ورواه مختصراً ابن عدي في « الكامل » (٣/ ٢٨٨)، وابن أبي الدنيا في « العقل وفضله » (٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣١٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (٣/ ١٧٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٣٣٩ـ٣٤٠) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، وأفاض في تخريجه الحافظ الزبيدي في « إتحاف السادة المتقين » (١/ ٤٥٣ـ ٤٥٥)

(٢) رواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٤/ ١٩٢) ، وابن عدي في « الكامل » (١/ ٥٣٤) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٣٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣٢٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(٣) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٤٣) ، والحارث بن أبي أسامة كما =

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ لَيَنْطَلِقُ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ فَيُصَلِّي ، وَصَلَاتُهُ لَا تَعْدِلُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ لَيَأْتِي ٱلْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي ، وَصَلَاتُهُ تَعْدِلُ جَبَلَ أُحُدٍ إِذَا كَانَ أَحْسَنَهُمَا عَقْلاً »

قيلَ وكيفَ يكونُ أحسنَهُما عقلاً ؟ قالَ « أَوْرَعُهُمَا عَنْ مَحَارِمِ ٱللهِ ، وَأَحْرَصُهُمَا عَلَىٰ أَسْبَابِ ٱلْخَيْرِ ، وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فِي ٱلْعَمَلِ وَٱلتَّطَوُّعِ »(١)

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ قَسَمَ ٱلْعَقْلَ بَيْنَ عِبَادِهِ أَشْتَاتاً ، وَإِنَّ ٱلرَّجُلَيْنِ يَسْتَوِي عَمَلُهُمَا وَبِرُّهُمَا وَصَوْمُهُمَا وَصَلَاتُهُمَا ، وَلَـٰكِنَّهُمَا يَتَفَاوَتَانِ فِي ٱلْعَقْلِ كَٱلذَّرَّةِ فِي جَنْبِ أُحُدٍ »(٢)

ورُوِيَ عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ رحمَهُ اللهُ أَنَّهُ قالَ : (إِنِّي أجدُ في سبعينَ كتاباً : أنَّ جميعَ ما أُعطِيَ الناسُ مِنْ بُدُوِّ الدنيا إلى انقطاعِها مِنَ العقلِ في جَنْبِ عَقْلِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . كهيئةِ رَمْلةٍ وقعتْ مِنْ بينِ جميعِ رمالِ الدنيا)(٣)

= في « بغية الباحث » (٨٢٣)

(١) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٤٤) عن سيدنا أبي حميد الساعدي رضي الله عنه ، والحارث بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٨٢١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٦٢) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، وفيها : أنَّ السائل هو سيدنا أبو حميد الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٤٥) مرسلاً عن طاوس رحمه الله تعالىٰ ، وزاد : (وما قَسَمَ اللهُ لخلقِهِ حظّاً هوَ أفضلُ مِنَ العقلِ واليقينِ) ، وفي (أ ، ج) : (علمهما) بدل (عملهما) .

(٣) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٤٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤/ ٢٦)

واختلفَ الناسُ في ماهيّةِ العقلِ ، والكلامُ في ذلكَ يَكثُرُ ، ولا نُؤثِرُ نقلَ الأقاويلِ ، وليسَ ذلكَ مِنْ غرَضِنا

فقالَ قومٌ : (العقلُ مِنَ العُلُومِ ؛ فإنَّ الخاليَ مِنْ جميعِ العلومِ لا يُوصَفُ بالعقلِ ، وليسَ العقلُ جميعَ العلومِ ؛ فإنَّ الخاليَ مِنْ مُعظَمِ العلومِ يُوصَفُ بالعقلِ)

وقالوا (ليسَ مِنَ العلومِ النَّظَريَّةِ ؛ فإنَّ مِنْ شرطِ ابتداءِ النَّظَرِ تَقَدُّمَ كمالِ العقلِ ؛ فهوَ إذاً مِنَ العلومِ الضَّرُوريَّةِ ، وليسَ هوَ جميعَها ؛ فإنَّ صاحبَ الحواسِّ المُختلَّةِ عاقلٌ وقد عَدِمَ بعضَ مداركِ العلومِ الضَّرُوريَّةِ) .

وقالَ بعضُهُمُ : (العقلُ ليسَ مِنْ أقسامِ العلومِ ؛ لأنَّهُ لو كانَ مِنْها لوَجَبَ الحُكْمُ بأنَّ الذاهلَ عن ذِكْرِ الاستحالةِ والجوازِ لا يتَّصِفُ بكونِهِ عاقلاً ، ونحنُ نرى العاقلَ في كثيرٍ مِنْ أوقاتِهِ ذاهلاً) .

وقالوا علىٰ هـٰذا : العقلُ صفةٌ يتهيَّأُ بها دَرْكُ العلومِ .

ونُقِلَ عنِ الحارثِ بنِ أسدٍ المُحاسبيِّ رحمَهُ اللهُ وهوَ مِنْ أَجَلِّ المشايخِ . أنَّهُ قالَ : (العقلُ : غَريزةٌ يتهيَّأُ بها دَرْكُ العلومِ)(١)

وعلىٰ هـٰذا يَتقرَّرُ ما ذَكَرْناهُ في أوَّلِ ذِكْرِ العقلِ : أنَّهُ لسانُ الرُّوحِ(٢) ؛ لأنَّ الرُّوحَ مِنْ أمرِ اللهِ ، وهيَ المُتحمِّلةُ للأمانةِ التي أَبَتِ السماواتُ والأَرَضُونَ أنْ يَحمِلْنَها ، ومِنْها يَفِيضُ نُورُ العقلِ ، وفي نُورِ العقلِ تتشكَّلُ العلومُ ،

---

(١) أورده الإمام الجويني في « البرهان » (١/ ١١٢) .

(٢) انظر (١/ ٣١٠ ، ٢/ ٤٢٧) .

فالعقلُ للعلوم بمثابةِ اللَّوحِ للمكتوبِ[1]

وهوَ بصفتِهِ منكوسٌ مُتطلِّعٌ إلى النَّفْسِ تارةً ، ومُنتصِبٌ مُستقِيمٌ تارةً .

فمَنْ كانَ العقلُ فيهِ منكوساً إلى النَّفْسِ . . فرَّقَهُ في أجزاءِ الكونِ ، وعَدِمَ حُسْنَ الاعتدالِ بذلكَ ، وأَخْطأَ طريقَ الاهتداءِ .

ومَنِ انتصبَ العقلُ فيهِ واستقامَ . . تأيَّدَ العقلُ بالبصيرةِ التي هيَ للرُّوحِ بمثابةِ القلبِ ، واهتدىٰ إلى المُكوِّنِ ، ثمَّ عَرَفَ الكونَ بالمُكوِّنِ مُستوفِياً أقسامَ المعرفةِ بالمُكوِّنِ والكونِ ، فيكونُ هٰذا العقلُ عقلَ الهدايةِ .

فكلَّما أَحَبَّ اللهُ إقبالَهُ علىٰ أمرٍ . . دَلَّهُ علىٰ إقبالِهِ عليهِ ، وما كَرِهَ اللهُ لهُ دَلَّهُ على استدبارِهِ ، فلا يزالُ يتتبَّعُ مَحَابَّ اللهِ تعالىٰ ويجتنبُ مَساخِطَهُ ، وكلَّما استقامَ العقلُ وتأيَّدَ بالبصيرةِ . . كانَ دَلالتُهُ على الرُّشْدِ ونَهْيُهُ عنِ الغَيِّ .

قالَ بعضُهُمْ : (العقلُ علىٰ ضربَينِ : ضَرْبٌ يُبصِرُ بهِ أمرَ دنياهُ ، وضَرْبٌ يُبصِرُ بهِ أمرَ آخرتِهِ) ، وذَكَرَ : أنَّ العقلَ الأوَّلَ مِنْ نُورِ الرُّوحِ ، والعقلَ الثانيَ مِنْ نورِ الهدايةِ ، والعقلَ الأوَّلَ موجودٌ في عامَّةِ ولدِ آدمَ ، والعقلَ الثانيَ موجودٌ في المُوحِّدينَ ، مفقودٌ في المشركينَ[2]

وقيلَ : (إنَّما سُمِّيَ العقلُ عقلاً ؛ لأنَّ الجهلَ ظُلْمةٌ ، فإذا غَلَبَ النورُ وبَصَّرَهُ في تلكَ الظُّلْمةِ . . زالتِ الظُّلْمةُ وأَبْصرَ ، فصارَ عِقالاً للجهلِ)[3]

---

(١) في النسخ ما عدا (ب ، هـ) : (المكتوب) .

(٢) النقل للحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/٤٢٨) .

(٣) النقل للحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/٤٢٨) .

وقيلَ : (عقلُ الإيمانِ مَسْكَنُهُ في القلبِ ، ومُعتمَلُهُ في الصدرِ بينَ عَيْنَيِ الفؤادِ)[1]

والذي ذَكَرْناهُ مِنْ كونِ العقلِ لسانَ الرُّوحِ ؛ وهوَ عقلٌ واحدٌ ليسَ هوَ علىٰ ضربَيْنِ ، ولـٰكنَّهُ إذا انتصبَ واستقامَ تأيَّدَ بالبصيرةِ واعتدلَ ، ووضعَ الأشياءَ مواضعَها

وهـٰذا العقلُ هوَ العقلُ المُستضِيءُ بنورِ الشرعِ ؛ لأنَّ انتصابَهُ واعتدالَهُ هداهُ إلى الاستضاءةِ بنورِ الشرعِ ؛ لكونِ الشرعِ وَرَدَ علىٰ لسانِ النبيِّ المُرسَلِ ، وذلكَ لقُرْبِ رُوحِهِ مِنَ الحَضْرةِ الإلـٰهيَّةِ ، ومُكاشَفةِ بصيرتِهِ التي هيَ للرُّوحِ بمثابةِ القلبِ بقُدْرةِ اللهِ تعالىٰ وآياتِهِ ، واستقامةِ عقلِهِ بتأييدِ البصيرةِ

فالبصيرةُ تُحيطُ بالعلومِ التي يستوعبُها العقلُ ، والتي يَضِيقُ عنها نِطاقُ العقلِ ؛ لأنَّها تستمدُّ مِنْ كلماتِ اللهِ التي يَنفَدُ البحرُ دونَ نفادِها

والعقلُ تَرْجُمانٌ تُؤدِّي البصيرةُ إليهِ مِنْ ذلكَ شَطْراً ، كما يُؤدِّي القلبُ إلى اللسانِ بعضَ ما فيهِ ، ويستأثرُ ببعضِهِ دونَ اللِّسانِ .

ولهـٰذا المعنىٰ مَنْ جَمَدَ علىٰ مُجرَّدِ العقلِ مِنْ غيرِ الاستضاءةِ بنورِ الشرعِ . . حَظِيَ بعلومِ الكائناتِ التي هيَ مِنَ المُلْكِ ، والمُلْكُ ظاهرُ الكائناتِ .

ومَنِ استضاءَ عقلُهُ بنورِ الشرعِ . . تأيَّدَ بالبصيرةِ ، فاطَّلَعَ على

---

(١) النقل للحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/٤٢٩) ، وفي بعض النسخ : (ومتعمله) بدل (ومعتمله) ، وكذلك في الموضع الآتي

المَلَكُوتِ ، والمَلَكُوتُ باطنُ الكائناتِ ، اختصَّ بمُكاشَفتِهِ أربابُ البصائرِ والعقولِ ، دونَ الجامِدِينَ علىٰ مُجرَّدِ العقولِ دونَ البصائرِ

وقد قالَ بعضُهُم (إنَّ العقلَ عقلانِ العقلُ الأوَّلُ[1] مَسْكنُهُ في القلبِ ، وذلكَ خاصٌّ للمؤمنينَ المُوقِنينَ ، ومُعتمَلُهُ في الصَّدْرِ بينَ عَيْنَيِ الفؤادِ ، والعقلُ الآخَرُ مَسْكنُهُ في الدِّماغِ ، ومُعتمَلُهُ في الصَّدْرِ بينَ عَيْنَيِ الفؤادِ ؛ فبالأوَّلِ يُدبِّرُ أمرَ الآخرةِ ، وبالثاني يُدبِّرُ أمرَ الدنيا)[2]

والذي ذَكَرْناهُ : أنَّهُ عقلٌ واحدٌ ؛ إذا تأيَّدَ بالبصيرةِ دَبَّرَ الأمرَينِ ، وإذا تفرَّدَ دَبَّرَ أمراً واحداً[3] ، وهوَ أَوْضحُ وأَبْينُ

وقد ذَكَرْنا في أوَّلِ البابِ مِنْ تدبيرِهِ للنَّفْسِ المُطمئِنَّةِ والأمَّارةِ . . ما يتنبَّهُ الإنسانُ بهِ علىٰ كونِهِ عقلاً واحداً مُؤَيَّداً بالبصيرةِ تارةً ، ومُنفرِداً بوضعِهِ تارةً[4] ، واللهُ أعلمُ ، واللهُ بكرمِهِ المُلهِمُ للصوابِ[5]

❁ ❁ ❁

(١) في النسخ ما عدا (هـ ، ح) : (إن العقل عقل الهداية) بدل (إن العقل عقلان : العقل الأول)

(٢) انظر « نوادر الأصول » (٤/ ٤٢٨ـ ٤٣٠)

(٣) انظر (٢/ ٤٣١ـ ٤٣٢)

(٤) في (ج ، و ، ز) : (بوصفه) بدل (بوضعه) .

(٥) في هامش (ب) (بلغ مقابلة) ، وفيه (بلغ سماع الجماعة في السادس والثلاثين على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي)

الباب السابع والخمسون

في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها[1]

(١٣٤) ـ أخبرَنا الشيخُ شيخُنا أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا هنَّادٌ ، قالَ حدَّثَنا أبو الْأَحْوَصِ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِٱبْنِ آدَمَ ، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً[2] ، فَأَمَّا لَمَّةُ ٱلشَّيْطَانِ : فَإِيعَادٌ بِٱلشَّرِّ ، وَتَكْذِيبٌ بِٱلْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ ٱلْمَلَكِ : فَإِيعَادٌ بِٱلْخَيْرِ ، وَتَصْدِيقٌ بِٱلْحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ ٱللهِ سبحانَهُ ، فَلْيَحْمَدِ ٱللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ ٱلْأُخْرَىٰ فَلْيَتَعَوَّذْ بِٱللهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ » ، ثمَّ قرأَ ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] [3] .

---

(١) مطالعة هـٰذا الباب من أهمِّ المهمَّات . من هامش (ح) .

(٢) اللَّمَّةُ : من الإلمام ، ومعناه : النزول والقرب والإصابة ، والمراد به : ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو المَلَك ، وأمَّا اللِّمَّة ـ بالكسر ـ فهي الشَّعَر النازل على الكتف .

(٣) سنن الترمذي (٢٩٨٨) ، ورواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٩٨٥) ، وابن حبان (٩٩٧) .

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : وإنَّما يتطلَّعُ إلىٰ معرفة اللَّمَّتَينِ وتمييزِ الخواطرِ . طالبٌ مُرِيدٌ يتشوَّفُ إلىٰ ذلكَ تَشَوُّفَ العَطْشانِ إلى الماءِ ؛ لِمَا يعلمُ مِنْ وَقْعِ ذلكَ وخَطَرِهِ وفلاحِهِ ، وصلاحِهِ وفسادِهِ ، ويكونُ ذلكَ عبداً مُراداً بالحُظْوةِ بصَفْوِ اليقينِ ومِنَحِ المُوقِنينَ(١)

وأكثرُ التَّشَوُّفِ إلىٰ ذلكَ(٢) : للمُقرَّبينَ ومَنْ أَخَذَ بهِ في طريقِهِم(٣)

ومَنْ أخذَ في طريقِ الأبرارِ . قد يَتَشَوَّفُ إلىٰ ذلكَ بعضَ التَّشَوُّفِ ؛ لأنَّ التَّشَوُّفَ إليهِ يكونُ علىٰ قَدْرِ الهِمَّةِ والطَّلَبِ والإرادةِ والحظِّ مِنَ اللهِ الكريمِ

ومَنْ هوَ في مقامِ عامَّةِ المُؤمنينَ والمُسلمينَ . لا يتطلَّعُ إلىٰ معرفةِ اللَّمَّتَينِ ، ولا يهتمُّ بتمييزِ الخواطرِ

ومِنَ الخواطرِ ما هيَ رُسُلُ اللهِ تعالىٰ إلى العبدِ ، كما قالَ بعضُهُم : (لي قلبٌ إنْ عَصَيْتُهُ عَصَيْتُ اللهَ)(٤)

وهٰذا حالُ عبدٍ استقامَ قلبُهُ ، واستقامةُ القلبِ لطُمَأْنينةِ النَّفْسِ ، وفي طُمَأْنينةِ النَّفْسِ يَأْسُ الشيطانِ ؛ لأنَّ النَّفْسَ كلَّما تحرَّكتْ كدَّرتْ صفاءَ القلبِ ، وإذا تكدَّرَ القلبُ طَمِعَ الشيطانُ وقَرُبَ منهُ ؛ لأنَّ صفاءَ القلبِ

---

(١) قوله : (بالحُظْوة) يُقال : رجلٌ حَظِيٌّ : إذا كان ذا حُظْوة ومنزلة عند مخدومه . من هامش (ح) .

(٢) أي : إلىٰ معرفة اللمتين .

(٣) الفعل (أخذ) هنا من أفعال الشروع .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٣٤٠) ، وقال بعده : (يعني : أنَّهُ لا يُقذَفُ فيه إلا طاعةٌ ، ولا يُقَرُّ فيه إلا حقٌّ ؛ فقد صار رسولَهُ إليه ، فإذا عصاه فقد عصى المُرسِل) .

مَحْفُوفٌ بالتذكُّرِ والرِّعايةِ ، وللذِّكْرِ نورٌ يتَّقيهِ الشيطانُ كاتِّقاءِ أحدِنا النارَ

وقد وَرَدَ في الخبرِ : « إنَّ ٱلشَّيْطَانَ جَاثِمٌ عَلَىٰ قَلْبِ ٱبْنِ آدَمَ ، فَإِذَا ذَكَرَ ٱللهَ تَعَالَىٰ تَوَلَّىٰ وَخَنَسَ ، وَإِذَا غَفَلَ ٱلْتَقَمَ قَلْبَهُ فَحَدَّثَهُ وَمَنَّاهُ »(١)

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف ٣٦] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف ٢٠١] .

فبالتقوىٰ وجودُ خالصِ الذِّكْرِ ، وبها ينفتحُ بابُهُ ، ولا يزالُ العبدُ يتَّقي حتىٰ يحميَ الجوارحَ مِنَ المَكارِهِ ، ثمَّ يحميَها مِنَ الفُضُولِ وما لا يعنيهِ ، فتصيرُ أقوالُهُ وأفعالُهُ ضرورةً

ثمَّ ينتقلُ تَقْواه إلىٰ باطِنِهِ ، ويُطهِّرُ الباطنَ ويُقيِّدُهُ عنِ المَكارِهِ ، ثمَّ مِنَ الفضولِ ، حتىٰ يتَّقيَ حديثَ النَّفْسِ ؛ قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (أَسْوأُ المعاصي : حديثُ النَّفْسِ)

ويرى الإصغاءَ إلىٰ ما تتحدَّثُ بهِ النَّفْسُ ذنباً فيتَّقيهِ ، ويتَّقدُ القلبُ عندَ هٰذا الاتِّقاءِ بالذِّكْرِ اتِّقادَ الكواكبِ في كَبِدِ السماءِ ، ويصيرُ القلبُ سماءً محفوظاً بزينةِ كواكبِ الذِّكْرِ ، فإذا صارَ كذلكَ بَعُدَ الشيطانُ عنهُ .

(١) رواه أبو يعلىٰ في « المسند » (٤٣٠١) ، وابن أبي الدنيا في « مكايد الشيطان » (٢٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٤/ ١٢٩) ، والطبراني في « الدعاء » (١٨٦٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٦٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٩١٩) ، والطبري في « تفسيره » (٢٤/ ٧٠٩) موقوفاً علىٰ سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

ومِثْلُ هٰذا العبدِ يَندُرُ في حقِّهِ الخواطرُ الشيطانيّةُ ولَمَّاتُهُ ، ويكونُ لهُ خواطرُ النَّفْسِ ، ويحتاجُ إلىٰ أنْ يتَّقيَها ويُميِّزَها بالعلمِ ؛ لأنَّ مِنْها خواطرَ لا يَضُرُّ إمضاؤُها ؛ كمُطالَباتِ النَّفْسِ بحاجاتِها ، وحاجاتُها تنقسمُ إلى الحقوقِ والحُظُوظِ ، ويتعيَّنُ التمييزُ عندَ ذلكَ ، واتِّهامُ النَّفْسِ بمُطالَباتِ الحظوظِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات : ٦] ؛ أي : فتثبَّتُوا

وسببُ نزولِ الآيةِ : الوليدُ بنُ عُقْبَةَ ؛ حيثُ بعثَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ بني المُصْطَلِقِ ، فكَذَبَ عليهِم وسامَهُم إلى الكُفْرِ والعِصْيانِ ، حتىٰ همَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بقتالِهِم ، ثمَّ بعثَ خالداً إليهِم ، فسَمِعَ أذانَ المغربِ والعِشاءِ ، ورأىٰ ما يَدُلُّ علىٰ كَذِبِ الوليدِ بنِ عُقْبةَ ، فأنزلَ اللهُ تعالى الآيةَ في ذلكَ(١)

فظاهرُ الآيةِ وسببُ نزولِها ظاهرٌ ، وصارَ ذلكَ تنبيهاً مِنَ اللهِ عبادَهُ على التثبُّتِ في الأمورِ

قالَ سهلٌ في هٰذهِ الآيةِ : (الفاسقُ : الكذَّابُ)(٢)

والكذبُ صفةُ النَّفْسِ ؛ لأنَّها تُملِي أشياءَ وتُسوِّلُ أشياءَ علىٰ غيرِ

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٧٩) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٦٠٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣/ ٣١٠ـ٣١١) عن سيدنا الحارث بن ضرار الخزاعي ، وابن راهويه في « المسند » (١٨٨٦) ، والطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٢٨٦) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣/ ٤٠١) عن سيدتنا أم سلمة رضي الله عنها

(٢) تفسير التستري (ص١٤٩) ، وأورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦١) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٦٤)

حقائقِها ، فتعيَّنَ التثبُّتُ عندَ خاطرِها وإلقائِها ، فيجعلُ العبدُ خاطرَ النَّفْسِ نبأً يُوجِبُ التثبُّتَ ، ولا يَستفِزُّهُ الطبعُ ، ولا يستعجلُهُ الهوىٰ ؛ فقد قالَ بعضُهُم : (أَدْنى الأدبِ : أنْ تقفَ عندَ الجهلِ ، وآخِرُ الأدبِ : أنْ تقفَ عندَ الشُّبْهةِ)(١)

ومِنَ الأدبِ عندَ الاشتباهِ : إنزالُ الخاطرِ بمُحرِّكِ النَّفْسِ وخالقِها وبارئِها وفاطرِها ، وإظهارُ الفقرِ والفاقةِ إليهِ ، والاعترافُ بالجهلِ ، وطَلَبُ المعرفةِ والمعونةِ مِنْهُ ؛ فإنَّهُ إذا أتىٰ بهـٰذا الأدبِ يُغاثُ ويُعانُ ، ويتبيَّنُ لهُ هلِ الخاطرُ لطلبِ حَظٍّ أو طلبِ حقٍّ ؛ فإنْ كانَ للحقِّ أَمْضاهُ ، وإنْ كانَ للحظِّ نفاهُ .

وهـٰذا التوقُّفُ إذا لم يتبيَّنْ لهُ الخاطرُ بظاهرِ العلمِ ؛ لأنَّ الافتقارَ إلىٰ باطنِ العلمِ عندَ فقدِ الدليلِ في ظاهرِ العلمِ .

ثمَّ مِنَ الناسِ مَنْ لا يَسَعُهُ في صِحَّتِهِ إلَّا الوقوفُ على الحقِّ دونَ الحظِّ ، وإنْ أَمْضىٰ خاطرَ الحظِّ يصيرُ ذلكَ ذنبَ حالِهِ ، يستغفرُ مِنْهُ كما يستغفرُ مِنَ الذنوبِ .

ومِنَ الناسِ مَنْ يدخلُ في تناولِ الحظِّ ، ويُمضِي خاطرَهُ بمَزيدِ علمٍ لديهِ مِنْ عندِ اللهِ ، وهوَ عِلْمُ السَّعَةِ لعبدٍ مأذونٍ لهُ في السَّعَةِ ، عالمٍ بالإذنِ ؛ فيُمضِي خاطرَ الحظِّ والمرادَ بذلكَ علىٰ بصيرةٍ مِنْ أمرِهِ ، يَحسُنُ بهِ ذلكَ ويليقُ بهِ ، عالمٍ بزيادتِهِ ونُقْصانِهِ ، عالِمٍ بحالِهِ ، مُحكِمٍ لعلمِ الحالِ وعلمِ القيامِ ، لا يُقاسُ علىٰ حالِهِ ، ولا يُدخَلُ فيهِ بالتقليدِ ؛ لأنَّهُ أمرٌ خاصٌّ لعبدٍ خاصٍّ .

---

(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٢٠٧) عن سهل بن عبد الله التستري من قوله رحمه الله تعالىٰ ، وفي نسخة على هامش (ج) : (وأحسن) بدل (وآخر)

وإذا كانَ شأنُ العبدِ تمييزَ خواطرِ النَّفْسِ في مقامِ تَخَلُّصِهِ مِنْ لَمَّاتِ الشيطانِ.. تكثُرُ لديهِ خواطرُ الحقِّ وخواطرُ المَلَكِ، وتصيرُ الخواطرُ الأربعةُ في حقِّهِ ثلاثةً، ويسقطُ خاطرُ الشيطانِ إلا نادراً لِضِيقِ مكانِهِ مِنَ النَّفْسِ؛ لأنَّ الشيطانَ يدخلُ بطريقِ اتِّساعِ النَّفْسِ، واتِّساعُ النَّفْسِ باتِّباعِ الهوىٰ والإخلادِ إلى الأرضِ[1]، ومَنْ ضايقَ النَّفْسَ على التمييزِ بينَ الحقِّ والحظِّ.. ضاقتْ نَفْسُهُ، وسَقَطَ مَحَلُّ الشيطانِ إلا نادراً؛ لدخولِ الابتلاءِ عليهِ.

ثمَّ مِنَ المُرادِينَ المُتعلِّقينَ بمقامِ المُقرَّبينَ مَنْ إذا صارَ قلبُهُ سماءً مُزيَّناً بزينةِ كواكبِ الذِّكْرِ.. يصيرُ قلبُهُ سماويّاً، فيترقَّىٰ ويَعرُجُ بباطنِهِ ومَعْناهُ وحقيقتِهِ في طبقاتِ السماواتِ، وكلَّما ترقَّىٰ تتضاءلُ النَّفْسُ المُطمئِنَّةُ وتَبعُدُ عنهُ[2]، وتَبعُدُ خواطرُها، حتىٰ يُجاوِزَ السماواتِ بعُرُوجِ باطنِهِ، كما كانَ ذلكَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بظاهرِهِ وقالَبِهِ.

فإذا استكملَ العُرُوجَ تنقطعُ عنهُ خواطرُ النَّفْسِ؛ لتَستُّرِهِ بأنوارِ القُرْبِ، وبُعْدِ النَّفْسِ عنهُ، وعندَ ذلكَ تنقطعُ عنهُ خواطرُ الحقِّ أيضاً؛ لأنَّ الخاطرَ رسولٌ، والرسالةَ إلىٰ مَنْ بَعُدَ، وهٰذا قريبٌ.

وهٰذا الذي وَصَفْناهُ نازلٌ ينزلُ بهِ ولا يدومُ، بل يعودُ في هبوطِهِ إلىٰ منازلِ مُطالَباتِ النَّفْسِ وخواطرِهِ[3]، فتعودُ إليهِ خواطرُ الحقِّ وخواطرُ

---

(١) في (د): (والخلود) بدل (والإخلاد)، والكثير الفصيح ما أُثبت
(٢) أي: عن القلب.
(٣) في (ح): (وخواطرها).

المَلَكِ ؛ وذلكَ أنَّ الخواطرَ تستدعي وُجُوداً ، وما أَشَرْنا إليهِ حالُ الفناءِ ، فلا خاطرَ فيهِ ، وخاطرُ الحقِّ انتفى لمكانِ القُرْبِ ، وخاطرُ النَّفْسِ بَعُدَ لبُعْدِ النَّفْسِ ، وخاطرُ المَلَكِ تخلَّفَ عنهُ كتخلُّفِ جبريلَ عليهِ السلامُ في ليلةِ المِعْراجِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ حيثُ قالَ : (لو دَنَوْتُ أُنْمُلَةً لاحترقتُ)[1]

قالَ محمَّدُ بنُ عليٍّ التِّرمِذيُّ (المُحدَّثُ والمُكلَّمُ إذا تحقَّقا في درجتِهِما . لم يخافا مِنْ حديثِ النَّفْسِ ، فكما أنَّ النُّبُوَّةَ محفوظةٌ مِنْ إلقاءِ الشيطانِ . كذلكَ مَحَلُّ المُكالَمةِ والمُحادَثةِ محفوظٌ مِنْ إلقاءِ النَّفْسِ وفِتْنتِها ، ومحروسٌ بالحقِّ والسَّكِينةِ ؛ لأنَّ السَّكِينةَ حِجابُ المُكلَّمِ والمُحدَّثِ معَ نَفْسِهِ)[2]

وسمعتُ الشيخَ أبا محمَّدِ بنَ عبدِ اللهِ البَصْريَّ بالبَصْرةِ يقولُ : (الخواطرُ أربعةٌ : خاطرٌ مِنَ النَّفْسِ ، وخاطرٌ مِنَ الحقِّ ، وخاطرٌ مِنَ الشَّيطانِ ، وخاطرٌ مِنَ المَلَكِ .

فأمَّا الذي مِنَ النَّفْسِ : يُحَسُّ بهِ مِنْ أرضِ القلبِ ، والذي مِنَ الحقِّ :

---

(١) رواه أبو الشيخ في « العظمة » (٢٦٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٤٠٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٥٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ورواه أبو الشيخ في « العظمة » (٢٧١) ، والدينوري المالكي في « المجالسة وجواهر العلم » (٦٥) مرسلاً عن زرارة بن أوفى رحمه الله تعالى ، وعند جميعهم أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم سأل جبريل « هل رأيتَ ربَّكَ ؟ » ، فانتفض جبريل ، فقال : يا محمَّدُ ؛ إنَّ بيني وبينه سبعين حجاباً من نور ، لو دَنَوْتُ من أدْناها لاحترقت .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٢٢٠) .

مِنْ فوقِ القلبِ ، والذي مِنَ المَلَكِ : عن يمينِ القلبِ ، والذي مِنَ الشَّيطانِ : عن يسارِ القلبِ)

والذي ذَكَرَهُ إنَّما يَصِحُّ لعبدٍ أذابَ نَفْسَهُ بالتقوىٰ والزُّهْدِ ، وتصفَّىٰ وُجُودُهُ ، واستقامَ ظاهِرُهُ وباطنُهُ ، فيكونُ قلبُهُ كالمِرْآةِ المَجْلُوَّةِ لا يأتيهِ الشيطانُ مِنْ ناحيةٍ إلا ويُبصِرُهُ ، فإذا اسودَّ القلبُ وعلاهُ الرَّيْنُ لا يُبصِرُ الشيطانَ .

وروىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَٱسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهِ حَتَّىٰ يعْلُوَ قَلْبَهُ ٱلرَّيْنُ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] »[١]

سمعتُ بعضَ العارفينَ يقولُ كلاماً دقيقاً كُوشِفَ بهِ ؛ فقالَ : (الحديثُ في باطنِ الإنسانِ ، والخيالُ الذي يتراءىٰ لباطنِهِ ويحولُ بينَ القلبِ وصفاءِ الذِّكْرِ[٢] . . هوَ مِنَ القلبِ ، وليسَ هوَ مِنَ النَّفْسِ) ، وهـٰذا بخلافِ ما تقرَّرَ .

فسألتُهُ عن ذلكَ ، فذكرَ أنَّ بينَ القلبِ والنَّفْسِ مُناغاتٍ ومُحادثاتٍ[٣] ،

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤) ، وابن ماجه (٤٢٤٤) ، وأحمد (٢/٢٩٧) ، وقوله (حتىٰ يعلو قلبه الرَّين) كذا في (و ، ح) ، وفي (أ ، ب ، ج ، د) : (يعلو قلبه) دون ذكر (الرين) ، وفي (هـ ، ز) : (تعلو قلبه) ؛ أي : النكتة ، والرين والران واحدٌ ؛ وهو الطبع والتغطية

(٢) في (ب ، و ، ز) : (ويحيل) بدل (ويحول) ، وفي (هـ ، ح) : (ويتخيل) ، وفي (ي) : (ويحيل ويخيل)

(٣) **المُناغاة في الأصل** : تكليم الصبي بما يهواه .

وتألُّفاً وتودُّداً ، وكلَّما انطلقتِ النَّفْسُ في شيءٍ بهواها مِنَ القولِ والفعلِ . . تأثَّرَ القلبُ بذلكَ وتكدَّرَ ، فإذا عادَ العبدُ مِنْ مواطنِ مُطالَباتِ النَّفْسِ ، وأَقبلَ علىٰ ذِكْرِهِ ومَحَلِّ مُناجاتِهِ وخِدْمتِهِ للهِ تعالىٰ . . أَقْبلَ القلبُ بالمُعاتَبةِ للنَّفْسِ ، وذَكَّرَ النَّفْسَ شيئاً فشيئاً مِنْ فعلِها وقولِها ، كاللائِمِ للنَّفْسِ والمُعاتِبِ لها علىٰ ذلكَ .

فإذا كانَ الخاطرُ أوَّلَ الفعلِ ومُفتتَحَهُ . . فمعرفتُهُ مِنْ أَهَمِّ شأنِ العبدِ ؛ لأنَّ الأفعالَ مِنَ الخواطرِ تنشأُ؛ حتىٰ ذَهَبَ بعضُ العلماءِ إلىٰ أنَّ العِلْمَ المُفترَضَ طلبُهُ بقولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «طَلَبُ ٱلْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ»[1] . . هوَ علمُ الخواطرِ ؛ قالَ : (لأنَّها أوَّلُ الفعلِ ، وبفسادِها فسادُ الفعلِ)

وهٰذا لَعَمْري لا يتوجَّهُ ؛ لأنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَوْجَبَ ذلكَ علىٰ كلِّ مسلمٍ ، وليسَ كلُّ المسلمينَ عندَهُم مِنَ القريحةِ والمعرفةِ ما يعرفونَ بهِ ذلكَ[2] ، ولٰكن يعلمُ الطالبُ أنَّ الخواطرَ بمثابةِ البَذْرِ ؛ فمِنْها ما هوَ بَذْرُ السعادةِ ، ومِنْها ما هوَ بَذْرُ الشَّقاوةِ .

وسببُ اشتباهِ الخواطرِ : أحدُ أربعةِ أشياءَ لا خامسَ لها : إمَّا ضَعْفُ اليقينِ ، أو قِلَّةُ العلمِ بمعرفةِ النفسِ وصفاتِها وأخلاقِها ، أو مُتابَعةُ الهوىٰ بخَرْمِ قواعدِ التقوىٰ ، أو مَحَبَّةُ الدُّنْيا وجاهِها ومالِها وطَلَبِ الرِّفْعةِ والمنزلةِ عندَ الناسِ

فمَنْ عُصِمَ عن هٰذهِ الأربعةِ يُفرِّقُ بينَ لَمَّةِ المَلَكِ ولَمَّةِ الشيطانِ ، ومَنِ

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٣٧٨)

(٢) في (ب ، د) : (العزيمة) بدل (القريحة)

ابتُلِيَ بها لا يعلمُها ولا يتطلَّبُها ، وانكشافُ بعضِ الخواطرِ دونَ البعضِ لوجودِ بعضِ هـٰذهِ الأربعةِ دونَ البعضِ .

وأقومُ الناسِ بتمييزِ الخواطرِ أقومُهُم بمعرفةِ النَّفْسِ ، ومعرفةُ النَّفْسِ عسيرُ المَنَالِ ، لا يكادُ يتيسَّرُ إلا بعدَ الاستقصاءِ في الزُّهْدِ والتقوىٰ .

واتَّفقَ المشايخُ : علىٰ أنَّ مَنْ كانَ أكلُهُ مِنَ الحرامِ لا يُفرِّقُ بينَ الإلهامِ والوسوسةِ ، وقالَ أبو عليٍّ الدَّقَّاقُ : (مَنْ كانَ قُوتُهُ معلوماً لا يُفرِّقُ بينَ الإلهامِ والوَسْوَسةِ)[1]

وهـٰذا[2] لا يَصِحُّ على الإطلاقِ إلا بقيدٍ ؛ وذلكَ أنَّ مِنَ المعلومِ ما يُقيمُهُ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ لعبدٍ بإذنٍ يسبقُ إليهِ في الأخذِ منهُ والتَقَوُّتِ ، ومثلُ هـٰذا المعلومِ لا يَحجُبُ عنِ التمييزِ بينَ الخواطرِ ، إنَّما ذلكَ يُقالُ في حقِّ مَنْ دخلَ في معلومٍ باختيارٍ منهُ وإيثارٍ ؛ لأنَّهُ ينحجبُ لموضعِ اختيارِهِ ، والذي أَشَرْنا إليهِ مُنسلخٌ مِنْ إرادتِهِ ، فلا يَحجُبُهُ المعلومُ .

وفرَّقوا بينَ هواجسِ النَّفْسِ ووَسْوَسةِ الشيطانِ ، وقالوا : إنَّ النَّفْسَ تُطالِبُ وتُلِحُّ ، فلا تزالُ كذلكَ حتىٰ تَصِلَ إلىٰ مُرادِها ، والشيطانُ إذا دعا إلىٰ زَلَّةٍ ولم يُجَبْ يُوسوِسُ بأُخْرىٰ ؛ إذ لا غَرَضَ لهُ في تخصيصٍ ، بل مُرادُهُ الإغواءُ كيفَ أَمْكنَ[3]

وتكلَّمَ الشيوخُ في الخاطرَينِ إذا كانا مِنَ الحقِّ : أيُّهما يُتَّبَعُ ؟

---

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص٢٨٤) .

(٢) يعني : ما ذكره أبو علي خاصَّة . من هامش (ج) .

(٣) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٢٨٥) .

قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (الخاطرُ الأوَّلُ ؛ لأنَّهُ إذا بَقِيَ رَجَعَ صاحبُهُ إلى التأمُّلِ ، وهٰذا شرطُ العلمِ)[1]

وقالَ ابنُ عطاءٍ رحمَهُ اللهُ : (الثاني أقْوىٰ ؛ لأنَّهُ ازدادَ قُوَّةً بالأوَّلِ)[2]

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ رحمةُ اللهِ عليهِ (هما سواءٌ ؛ لأنَّهُما مِنَ الحقِّ ، فلا مَزِيَّةَ لأحدِهِما على الآخَرِ)[3]

وقالوا : الوارداتُ أعمُّ مِنَ الخواطرِ[4] ؛ لأنَّ الخواطرَ تختصُّ بنوعِ خطابٍ أو مُطالَبةٍ ، والوارداتِ تكونُ تارةً خواطرَ ، وتارةً تكونُ واردَ سُرُورٍ ، وواردَ حُزْنٍ ، وواردَ قَبْضٍ ، وواردَ بَسْطٍ[5]

وقيلَ (بنُورِ التوحيدِ يُقبَلُ الخاطرُ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، وبنورِ المعرفةِ يُقبَلُ مِنَ المَلَكِ ، وبنورِ الإيمانِ تُنهى النَّفْسُ ، وبنورِ الإسلامِ يُرَدُّ على العَدُوِّ)[6]

ومَنْ قَصَرَ عن دَرْكِ حقائقِ الزُّهْدِ ، وتَطلَّعَ إلىٰ تمييزِ الخواطرِ . يَزِنُ الخاطرَ أوَّلاً بميزانِ الشرعِ ؛ فما كانَ مِنْ ذلكَ فَضْلاً أو فَرْضاً . يُمضِيهِ ، وما كانَ مِنْ ذلكَ مُحرَّماً أو مكروهاً . يَنفِيهِ ، فإنِ استوى الخاطرانِ في نَظَرِ

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٢٨٥)

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٢٨٥) .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص٢٨٥)

(٤) وعرَّف الإمام القشيري الوارد في « رسالته » (ص٢٨٧) بقوله : (والوارد : ما يَرِدُ على القلوب من الخواطر المحمودة ممَّا لا يكونُ بتعمُّل العبد ، وكذلك ما لا يكونُ من قبيل الخواطر ؛ فهو أيضاً واردٌ)

(٥) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٢٨٧)

(٦) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٤)

العلمِ . يُنفِّذُ أقربَهُما إلىٰ مُخالَفةِ هوى النَّفْسِ ؛ فإنَّ النَّفْسَ قد يكونُ لها هوىً كامنٌ في أحدِهِما ، والغالبُ مِنْ شأنِ النَّفْسِ الاعوِجاجُ والرُّكونُ إلى الدُّونِ

وقد يُلِمُّ الخاطرُ بنشاطِ النَّفْسِ والعبدُ يَظُنُّ أنَّهُ بنهوضِ القلبِ ، وقد يكونُ مِنَ القلبِ نفاقٌ بسكونِهِ إلى النَّفْسِ ؛ يقولُ بعضُهُم : (منذُ عشرينَ سنةً ما سَكَنَ قلبي إلىٰ نَفْسي ساعةً)[1]

فيظهرُ مِنْ سكونِ القلبِ إلى النَّفْسِ خواطرُ تشتبهُ بخواطرِ الحقِّ علىٰ مَنْ يكونُ ضعيفَ العلمِ ، ولا يُدرِكُ نفاقَ القلبِ والخواطرَ المُتولِّدةَ منهُ . . إلا العلماءُ الراسخونَ ، وأكثرُ ما تدخلُ الآفاتُ علىٰ أربابِ القلوبِ ، والآخِذِينَ مِنَ اليقينِ واليقظةِ والحالِ بسهمٍ مِنْ هـٰذا القَبيلِ ؛ وذلكَ لِقِلَّةِ العلمِ بالنَّفْسِ والقلبِ ، وبقاءِ نصيبِ الهوىٰ فيهِم ، وينبغي أنْ يعلمَ العبدُ قطعاً أنَّهُ مهما بَقِيَ عليهِ أَثَرٌ مِنَ الهوىٰ وإن دَقَّ وقَلَّ . . يبقىٰ عليهِ بحسَبِهِ بقيَّةٌ مِن اشتباهِ الخواطرِ

ثمَّ قد يَغْلَطُ في تمييزِ الخواطرِ محرومٌ قليلُ العلمِ ، ولا يُؤاخَذُ بذلكَ ما لم يكنْ عليهِ مِنَ الشرعِ مُطالَبةٌ ، وقد لا يُسامَحُ بذلكَ بعضُ الغالطينَ ؛ لِمَا كُوشِفُوا بهِ مِنْ دقيقِ الخفاءِ في التمييزِ ، ثمَّ استعجالِهِم معَ علمِهِم وقِلَّةِ التثبُّتِ .

وذَكَرَ بعضُ العلماءِ[2] : أنَّ لَمَّةَ المَلَكِ ولَمَّةَ الشيطانِ وُجِدتا لحركةِ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٣٤٠)

(٢) هو الإمام أبو طالب المكي في « قوت القلوب » .

النَّفْسِ والرُّوحِ ، وأنَّ النَّفْسَ إذا تحرَّكَتِ انقدحَ مِنْ جوهرِها ظُلْمةٌ تَنكُتُ في القلبِ هِمَّةَ سوءٍ ، فينظرُ الشيطانُ إلى القلبِ ، فيُقبِلُ بالإغواءِ والوسوسةِ .

وذَكَرَ : أنَّ حركةَ النَّفْسِ تكونُ إمَّا هوىً ؛ وهوَ عاجلُ حظِّ النَّفْسِ ، أو أُمْنيَّةً ؛ وهيَ عنِ الجهلِ الغَريزيِّ ، أو دعوىٰ حركةٍ أو سكونٍ ؛ وهوَ آفةُ العقلِ ومِحْنةُ القلبِ ، ولا تَرِدُ هـٰذهِ الثلاثةُ إلا بأحدِ ثلاثةٍ : بجهلٍ ، أو غَفْلةٍ ، أو طلبِ فُضُولٍ .

ثمَّ يكونُ مِنْ هـٰذهِ الثلاثةِ ما يجبُ نفيُهُ ؛ فإنَّها تَرِدُ بخلافِ مأمورٍ ، أو علىٰ وَفْقِ مَنْهيٍّ ، ومِنْها ما يكونُ نفيُها فضيلةً إذا وَرَدَتْ بمُباحاتٍ

وذَكَرَ : أنَّ الرُّوحَ إذا تحرَّكَتِ انقدحَ مِنْ جوهرِها نورٌ ساطعٌ ، يظهرُ مِنْ ذلكَ النورِ في القلبِ هِمَّةٌ عاليةٌ بأحدِ معانٍ ثلاثةٍ : إمَّا بفرضٍ أُمِرَ بهِ ، أو بفضلٍ نُدِبَ إليهِ ، وإمَّا بمُباحٍ يعودُ صلاحُهُ إليهِ[1]

وهـٰذا الكلامُ يَدُلُّ علىٰ أنَّ حركةَ الرُّوحِ والنَّفْسِ هما المُوجِبتانِ للَّمَّتَينِ .

وعندي واللهُ أعلمُ : أنَّ اللَّمَّتَينِ تتقدَّمانِ علىٰ حركةِ الرُّوحِ والنَّفْسِ ؛ فحركةُ الرُّوحِ مِنْ لَمَّةِ المَلَكِ ، والهِمَّةُ العاليةُ مِنْ حركةِ الرُّوحِ ، وهـٰذهِ الحركةُ مِنَ الرُّوحِ ببركةِ لَمَّةِ المَلَكِ ، وحركةُ النَّفْسِ مِنْ لَمَّةِ الشيطانِ ، ومِنْ حركةِ النَّفْسِ الهِمَّةُ الدَّنيَّةُ ، وهيَ مِنْ شُؤْمِ لَمَّةِ الشيطانِ ، فإذا وَرَدَتِ اللَّمَّتانِ ظهرتِ الحركتانِ ، وظهرَ سِرُّ العطاءِ والابتلاءِ مِنْ مُعطٍ كريمٍ ومُبتَلٍ حكيمٍ .

وقد تكونُ هاتانِ اللَّمَّتانِ مُتداركَتَينِ ، ويَنْمحِي أثَرُ إحداهُما بالأُخرىٰ ،

---

(١) الكلام بنحوه في « قوت القلوب » (١/ ٣٤٥) .

والمُتفطِّنُ المُتيقِّظُ ينفتحُ عليهِ بمُطالَعةِ وجودِ هـٰذهِ الآثارِ في ذاتِهِ بابُ أُنْسٍ ، ويبقىٰ أبداً مُتفقِّداً حالَهُ مُطالِعاً آثارَ اللَّمَّاتِ[1]

وذُكِرَ خاطرٌ خامسٌ ـ وهوَ خاطرُ العقلِ ـ مُتوسِّطٌ بينَ الخواطرِ الأربعةِ ، فيكونُ معَ النَّفْسِ والعَدُوِّ ؛ لوجودِ التمييزِ وإثباتِ الحُجَّةِ على العبدِ ؛ ليدخلَ العبدُ في الشيءِ بوجودِ عقلٍ ؛ إذ لو فُقِدَ العقلُ سَقَطَ العقابُ والعتابُ ، وقد يكونُ معَ المَلَكِ والرُّوحِ ؛ ليُوقِعَ الفعلَ مُختاراً ، ويستوجبَ بهِ الثوابَ

وذُكِرَ خاطرٌ سادسٌ ؛ وهوَ خاطرُ اليقينِ ، وهوَ رُوحُ الإيمانِ ومَزِيدُ العلمِ .

ولا يَبعُدُ أنْ يُقالَ الخاطرُ السادسُ ـ وهوَ خاطرُ اليقينِ ـ حاصلُهُ راجعٌ إلىٰ ما يَرِدُ مِنْ خاطرِ الحقِّ ، وخاطرُ العقلِ أصلُهُ تارةً مِنْ خاطرِ المَلَكِ ، وتارةً مِنْ خاطرِ النَّفْسِ ، وليسَ مِنَ العقلِ خاطرٌ على الاستقلالِ ؛ لأنَّ العقلَ كما ذَكَرْنا غَرِيزةٌ يَتهيَّأُ بها إدراكُ العلومِ ، ويَتهيَّأُ بها الانجذابُ إلىٰ دواعي النَّفْسِ تارةً ، وإلىٰ دواعي الرُّوحِ تارةً ، وإلىٰ دواعي المَلَكِ تارةً ، وإلىٰ دواعي الشيطانِ تارةً

فعلىٰ هـٰذا : لا تزيدُ الخواطرُ على الأربعةِ[2]

---

(١) في (د) : (اللمتين) .

(٢) ثمَّ اعلَمْ بعد هـٰذا التقسيم أنَّ الخاطر الذي من قِبَلِ الله ابتداءً . . قد يكون بخير ؛ إكراماً وإلزاماً للحُجَّة ، وقد يكون بشرٍّ ؛ امتحاناً وتغليظاً للمحنة ، والخاطرُ الذي من قِبَل المُلهِم لا يكون إلا بخير ؛ إذ هو ناصحٌ مُرشِدٌ لم يُرسَل إلا بذلك ، والخاطرُ الذي من قِبَلِ الشيطان لا يكون [إلا] بشرٍّ ؛ إغواءً واستزلالاً ، وربَّما يكون بالخير مكراً واستدراجاً ، والذي يكون من قِبَل هوى النفس يكون بالشرِّ ، وربَّما لا خير فيه تمتُّعاً =

ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يذكرْ غيرَ اللَّمَّتَينِ ، وهاتانِ اللَّمَّتانِ هما الأصلُ ، والخاطرانِ الآخَرَانِ فرعٌ عليهما ؛ لأنَّ لَمَّةَ المَلَكِ إذا حَرَّكَتِ الرُّوحَ ، واهتزَّتِ الرُّوحُ بالهِمَّةِ الصالحةِ . . قَرُبَتْ باهتزازِها بالهِمَّةِ الصالحةِ إلىٰ حظائرِ القُرْبِ ، فوَرَدَ عليهِ عندَ ذلكَ خواطرُ مِنَ الحقِّ ، وإذا تحقَّقَ بالقُرْبِ يتحقَّقُ بالفناءِ ، فتثبتُ الخواطرُ الرَّبَّانيَّةُ عندَ ذلكَ ـ كما ذَكَرْناهُ مِنْ قبلُ ـ لموضعِ قُرْبِهِ ، فيكونُ أصلُ خواطرِ الحقِّ لَمَّةَ المَلَكِ .

ولَمَّةُ الشيطانِ إذا حَرَّكَتِ النَّفْسَ هَوَتْ بجِبِلَّتِها إلىٰ مركزِها مِنَ الغريزةِ والطبعِ ، فظَهَرَ مِنْها لحركتِها خواطرُ مُلائِمةٌ لغريزتِها وطبيعتِها وهواها ، فصارتْ خواطرُ النَّفْسِ نتيجةَ لَمَّةِ الشيطانِ ، فأصلُهُما لَمَّتانِ تُنتِجانِ أُخْرَيَينِ ، وخاطرُ اليقينِ والعقلِ مُندرِجٌ فيهما ، واللهُ أعلمُ[١]

* * *

= وتعسُّفاً ، ولقد وجدت عن بعض السلف : أنَّ هوى النفس أيضاً قد يدعو إلى الخير والمقصودُ منه شرٌّ كالشيطان . « منهاج العابدين » . من هامش (ح) .

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة)

الباب الثامن والخمسون

في شرح الحال والمقام والفرق بينهما

قد كَثُرَ الاشتباهُ بينَ الحالِ والمقامِ ، واختلفتْ إشاراتُ الشيوخِ في ذلكَ[1] ، ووجودُ الاشتباهِ لمكانِ تشابُهِهِما في نفسِهِما وتداخلِهِما ، فتراءىٰ للبعضِ الشيءُ حالاً ، وتراءىٰ للبعضِ مقاماً ، وكلا الرؤيتَينِ صحيحٌ ؛ لوجودِ تداخلِهِما[2]

ولا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ ضابطٍ يُفرِّقُ بينَهُما ؛ علىٰ أنَّ اللفظَ والعبارةَ عنهُما مُشعِرٌ بالفرقِ ؛ فالحالُ سُمِّيَ حالاً ؛ لتَحوُّلِهِ ، والمقامُ مَقاماً ؛ لثبوتِهِ واستقرارِهِ

وقد يكونُ الشيءُ بعينِهِ حالاً ثمَّ يصيرُ مَقاماً ؛ مثلُ أنْ ينبعثَ مِنْ باطنِ العبدِ داعيةُ المُحاسَبةِ ، ثمَّ تزولَ الداعيةُ بغلبةِ صفاتِ النَّفْسِ ، ثمَّ تعودَ ، ثمَّ تزولَ ، فلا يزالُ للعبدِ حالُ المُحاسَبةِ ، يتعاهدُهُ الحالُ ، ثمَّ يحولُ الحالُ بظهورِ صفاتِ النَّفْسِ ، إلىٰ أنْ تتداركَهُ المعونةُ مِنَ اللهِ الكريمِ ، ويَغلِبَ حالُ المُحاسَبةِ ، وتنقهرَ النَّفْسُ وتنضبطَ وتتملَّكَها المُحاسَبةُ ، فتصيرُ المُحاسَبةُ

---

(1) في (أ) : (واختلفت الشيوخ فيهما وإشارات المشايخ في ذلك)

(2) وفي هامش (ح) : (**الأحوال** : هي المواهب الفائضة على العبد من ربِّهِ ؛ إمَّا واردةٌ عليه ميزاناً للعمل الصالح المُزكِّي للنفس المُصفِّي للقلب ، وإمَّا نازلةٌ من الحقِّ امتناناً محضاً ، وإنَّما سُمِّيت أحوالاً ؛ لحول العبد بها من الرسوم الخلقيَّة ودركات العبد إلى الصفات الحَقِّيَّة ودرجات القُرْب ؛ وذلك معنى الترقِّي . من « قاشاني ») .

وطَنَهُ ومُستقرَّهُ ومقامَهُ ، ويصيرُ في مقامِ المُحاسَبةِ بعدَ أنْ كانَ لهُ حالُ المُحاسَبةِ .

ثمَّ يُنازِلُهُ حالُ المُراقَبةِ ، فمَنْ كانتِ المُحاسَبةُ مقامَهُ يصيرُ لهُ مِنَ المُراقَبةِ حالٌ ، ثمَّ يحولُ حالُ المُراقَبةِ ؛ لتناوُبِ السَّهْوِ والغَفْلةِ في باطنِ العبدِ ، إلىٰ أنْ ينقشعَ ضَبابُ السهوِ والغفلةِ ، ويتداركَ اللهُ عبدَهُ بالمعونةِ ، فتصيرُ المُراقَبةُ مقاماً بعدَ أنْ كانتْ حالاً

ولا يستقرُّ مقامُ المُحاسَبةِ قرارَهُ إلا بنازلِ حالِ المُراقَبةِ ، ولا يستقرُّ مقامُ المُراقَبةِ قرارَهُ إلا بنازلِ حالِ المُشاهَدةِ ، فإذا مُنِحَ العبدُ بنازلِ حالِ المُشاهَدةِ . . استقرَّتْ مُراقبتُهُ وصارتْ مقامَهُ ، ونازلُ المُشاهَدةِ أيضاً يكونُ حالاً يحولُ بالاستتارِ ، ويظهرُ بالتَّجَلِّي ، ثمَّ يصيرُ مقاماً ، وتتخلَّصُ شمسُهُ عن كسوفِ الاستتارِ .

ثمَّ في مقامِ المُشاهَدةِ أحوالٌ وزياداتٌ وتَرَقِّياتٌ مِنْ حالٍ إلىٰ حالٍ أَعْلىٰ منهُ ؛ كالتحقُّقِ بالفناءِ ، والتخلُّصِ إلى البقاءِ ، والتَّرَقِّي مِنْ عينِ اليقينِ إلىٰ حقِّ اليقينِ ، وحقُّ اليقينِ نازلٌ يَخرِقُ شَغَافَ القلبِ(١) ، وذلكَ أَعْلىٰ فروعِ المُشاهَدةِ .

وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَاناً يُبَاشِرُ قَلْبِي »(٢)

---

(١) الشَّغاف : [غلاف] القلب ؛ وهو جلدةٌ دونه كالحجاب ؛ [يُقال] : شغفه الحب ؛ أي : بلغ شغافه ، وقرأ ابن عباس : ﴿ قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا ﴾ [يوسف : ٣٠] ، [قال] : دخل حبُّهُ تحت الشغاف . « صحاح » . من هامش (ح) .

(٢) رواه البزار في « المسند » (٥٣٨٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، =

قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ : (للقلبِ تَجْوِيفانِ ؛ أحدُهُما : باطنٌ ، وفيهِ السمعُ والبصرُ ، وهوَ قلبُ القلبِ وسُوَيداؤُهُ

والتجويفُ الثاني : ظاهرُ القلبِ ، وفيهِ العقلُ ، ومَثَلُ العقلِ في القلبِ مَثَلُ النَّظَرِ في العينِ ؛ هوَ صِقَالٌ لموضعٍ مخصوصٍ فيهِ ، بمنزلةِ الصِّقَالِ الذي في سوادِ العينِ ، ومنهُ تنبعثُ الأَشِعَّةُ المُحِيطةُ بالمَرْئيَّاتِ ، فهكذا تنبعثُ مِنْ نَظَرِ العقلِ أَشِعَّةُ العلومِ المُحِيطةُ بالمعلوماتِ)[1]

وهٰذهِ الحالةُ التي خَرَقَتْ شِغافَ القلبِ ووصلتْ إلىٰ سُوَيدائِهِ وهوَ حقُّ اليقينِ . . هيَ أَسْنى العطايا وأعزُّ الأحوالِ وأشرفُها ، ونسبةُ هٰذهِ الحالِ مِنَ المُشاهَدةِ كنسبةِ الآجُرِّ مِنَ الترابِ ؛ إذ يكونُ تراباً ، ثمَّ طيناً ، ثمَّ لَبِناً ، ثمَّ آجُرّاً

فالمُشاهَدةُ هيَ الأوّلُ والأصلُ ، يكونُ مِنْها الفناءُ ؛ كالطِّينِ ، ثمَّ البقاءُ ؛ كاللَّبِنِ ، ثمَّ هٰذهِ الحالةُ ، وهيَ آخِرُ الفروعِ .

ولمَّا كانَ الأصلُ في الأحوالِ هٰذهِ الحالةَ ـ وهيَ أشرفُ الأحوالِ ، وهيَ مَحْضُ مَوْهِبةٍ لا تُكتَسبُ ـ . . سُمِّيتْ كلُّ المواهبِ مِنَ النوازلِ بالعبدِ أحوالاً ؛ لأنَّها غيرُ مقدورةٍ للعبدِ بكسبِهِ ، فأطلقوا القولَ فيهِ ، وتداولتْ أَلْسِنةُ الشُّيُوخِ أنَّ المقاماتِ مكاسبُ ، والأحوالَ مواهبُ .

= والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٩٧٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٤٣٢) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وفيهما أنه قاله حاكياً دعاء سيدنا آدم عندما أُهبط تجاه البيت الحرام .

(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ٣٤٣ـ ٣٤٤)

وعلى الترتيبِ الذي دَرَّجْناهُ كلُّها مواهبُ ؛ إذِ المكاسبُ محفوفةٌ بالمَوهِبةِ ، والمواهبُ محفوفةٌ بالكسبِ ، فالأحوالُ مواجيدُ ، والمقاماتُ طُرُقُ المواجيدِ ، ولـٰكنْ في المقاماتِ ظَهَرَ الكسبُ وبَطَنَتِ المَوهِبةُ ، وفي الأحوالِ بَطَنَ الكسبُ وظهرتِ المَوهِبةُ ؛ فالأحوالُ مواهبُ عُلْويَّةٌ سماويَّةٌ ، والمقاماتُ طُرُقُها .

وقولُ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ : (سَلُوني عن طُرُقِ السماواتِ ؛ فإنِّي أَعْرَفُ بها مِنْ طُرُقِ الأرضِ)[1] . . إشارةٌ : إلى المقاماتِ والأحوالِ ، فطُرُقِ السماءِ التوبةُ والزهدُ وغيرُ ذلكَ مِنَ المقاماتِ ؛ فإنَّ السالكَ لهـٰذهِ الطُّرُقِ يصيرُ قلبُهُ سماويّاً ، فهيَ طُرُقُ السماواتِ ، ومُستنزِلَةٌ للبركاتِ[2] ، وهيَ الأحوالُ لا يتحقَّقُ بها إلا ذو قلبٍ سماويٍّ

وقالَ بعضُهُمْ : (الحالُ : هوَ الذِّكْرُ الخَفِيُّ)[3] ، وهـٰذا إشارةٌ إلىٰ شيءٍ ممَّا ذَكَرْناهُ .

وسمعتُ المشايخَ بالعراقِ يقولونَ : (الحالُ : ما مِنَ اللهِ)[4] ؛ فكلُّ ما كانَ مِنْ طريقِ الاكتسابِ والأعمالِ . . يقولونَ هـٰذا ما مِنَ العبدِ ، فإذا لاحَ للمُرِيدِ شيءٌ مِنَ المواهبِ والمواجيدِ . . قالوا هـٰذا ما مِنَ اللهِ ، وسمَّوهُ حالاً ؛ إشارةً مِنْهُم إلىٰ أنَّ الحالَ موهبةٌ .

---

(١) أورده سبط ابن الجوزي في « مرآة الزمان » (٦ / ٤٤١) .

(٢) في (د) : (ومستنزل البركات)

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦٦) .

(٤) ويجوز أن يقرأ أيضاً : (ما منَّ اللهُ) ، ومثل ذلك في الموضعين الآتيين .

وقالَ بعضُ مشايخِ خُراسانَ : (الأحوالُ مواريثُ الأعمالِ)(١)

وقالَ بعضُهُمْ : (الأحوالُ كالبروقِ ، فإنْ بَقِيَ فحديثُ النَّفْسِ)(٢)

وهٰذا لا يكادُ يستقيمُ على الإطلاقِ ، وإنَّما يكونُ ذلكَ في بعضِ الأحوالِ ؛ فإنَّها تَطرُقُ ثمَّ تَستلِبُها النَّفْسُ ، فأمَّا على الإطلاقِ فلا ، والأحوالُ لا تمتزجُ بالنَّفْسِ ؛ كالدُّهنِ لا يمتزجُ بالماءِ

وذَهَبَ بعضُهُم : إلىٰ أنَّ الأحوالَ لا تكونُ إلا إذا دامتْ ، فأمَّا إذا لم تَدُمْ فهيَ لوائحُ وطوالعُ وبَوَادِهُ(٣) ، وهيَ مُقدِّماتُ الأحوالِ ، وليستْ بأحوالٍ .

واختلفَ المشايخُ في أنَّ العبدَ هل يجوزُ لهُ أنْ ينتقلَ إلىٰ مقامٍ غيرِ مقامِهِ الذي هوَ فيهِ قبلَ إحكامِ حُكْمِ مقامِهِ ؟

قالَ بعضُهُم : (لا ينبغي لهُ أنْ ينتقلَ إلىٰ غيرِ الذي هوَ فيهِ دونَ أنْ يُحكِمَ حُكْمَ مقامِهِ)(٤)

---

(١) انظر « التعرف » (ص٩٧) .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٣١٥) ، وأورده القشيري في « رسالته » (ص١٨٩ ، ٢٣٧) عن أبي الحسن بن الصائغ الدِّينوري ، وزاد في (أ) بعد (بقي) : (منها شيء)

(٣) اللوائح : أماراتُ طلوع شمس المعارف علىٰ قلب العبد ، ويكون زوالُها سريعاً ، والطوالع : أماراتٌ أبقىٰ وقتاً ، إلا أنَّها علىٰ خطر الذهاب والأفول ، والبواده : ما يفجأ القلبَ من الغيب ، فيوجب فرحاً أو ترحاً . انظر « الرسالة القشيرية » (ص٢٧٢ـ ٢٧٣) ، وما سيأتي في (٢/ ٥٦٥) .

(٤) فمَنْ لا قناعة له لا يصحُّ له التوكُّلُ ، ومَنْ لا توكُّلَ له لا يصحُّ له التسليمُ ، ومَنْ لا توبةَ له لا يصحُّ له الإنابةُ ، ومَنْ لا ورعَ له لا يصحُّ له الزُّهْدُ ، وكذا البواقي . من هامش (ج)

وقالَ بعضُهُم : (لا يَكمُلُ لهُ المقامُ الذي هوَ فيهِ إلا بعدَ تَرَقِّيهِ إلىٰ مقامٍ فوقَهُ ، فينظرُ مِنْ مقامِهِ العالي إلىٰ ما دونَهُ مِنَ المقامِ ، فيُحكِمُ أمرَ مقامِهِ)(١)

والأَوْلىٰ أنْ يُقالَ واللهُ أعلمُ : الشخصُ في مقامِهِ يُعطىٰ حالاً مِنْ مقامِهِ الأَعْلى الذي سوفَ يرتقي إليهِ ، فبوِجْدانِ ذلكَ الحالِ يستقيمُ أمرُ مقامِهِ الذي هوَ فيهِ ، ويتصرَّفُ الحقُّ فيهِ كذلكَ .

ولا يُضافُ الشيءُ إلى العبدِ أنَّهُ يرتقي أو لا يرتقي ؛ فإنَّ العبدَ بالأحوالِ يرتقي إلى المقاماتِ ، والأحوالُ مواهبُ تُرَقِّي إلى المقاماتِ التي يمتزجُ فيها الكسبُ بالمَوْهِبةِ

ولا يلوحُ للعبدِ حالٌ مِنْ مقامٍ أَعْلىٰ ممَّا هوَ فيهِ إلا وقد قَرُبَ تَرَقِّيهِ إليهِ ، فلا يزالُ العبدُ يُرقَّىٰ إلى المقاماتِ بزائدِ الأحوالِ(٢)

فعلىٰ ما ذَكَرْناهُ : يتَّضِحُ تداخلُ المقاماتِ والأحوالِ حتى التوبةِ ، ولا يُعرَفُ مقامٌ(٣) إلا وفيه حالٌ ومقامٌ ، وفي الزُّهْدِ حالٌ ومقامٌ ، وفي التوكُّلِ حالٌ ومقامٌ ، وفي الرِّضا حالٌ ومقامٌ .

قالَ أبو عُثْمانَ الحِيريُّ : (منذُ أربعينَ سنةً ما أقامَني اللهُ تعالىٰ في حالٍ فكَرِهْتُهُ)(٤)

---

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٢٣٥) .

(٢) في (ج ، د) : (براثد) بدل (بزائد) .

(٣) في (ط) : (ولا يعرف فضيلة) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٤٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص١٥٨) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/ ١٠٣) .

أشارَ : إلى الرِّضا ، ويكونُ منهُ حالٌ ثمَّ يصيرُ مقاماً

والمحبَّةُ حالٌ ومقامٌ ، ولا يزالُ العبدُ يتتوَّبُ بطُرُوقِ حالِ التوبةِ حتىٰ يتوبَ ، وطروقُ حالِ التوبةِ بالانزجارِ أوَّلاً

قالَ بعضُهُمْ : (الزَّجْرُ هَيَجانٌ في القلبِ لا يُسكِّنُهُ إلا الانتباهُ مِنَ الغَفْلةِ ، فيَرُدُّهُ إلى اليقظةِ ، فإذا تَيَقَّظَ أَبْصرَ الصوابَ مِنَ الخطأِ)

وقالَ بعضُهُمُ : (الزَّجْرُ ضياءٌ في القلبِ يُبصِرُ بهِ خطأَ قصدِهِ) .

والزَّجْرُ في مُقدِّمةِ التوبةِ علىٰ ثلاثةِ أوجهٍ : زَجْرٌ مِنْ طريقِ العلمِ ، وزَجْرٌ مِنْ طريقِ العقلِ ، وزَجْرٌ مِنْ طريقِ الإيمانِ .

فيُنازِلُ التائبَ حالُ الزَّجْرِ ، وهيَ مَوْهِبةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ تقودُهُ إلى التوبةِ ، ثمَّ إلى اللهِ تعالىٰ ، ولا يزالُ بالعبدِ ظهورُ هوى النَّفْسِ يمحو آثارَ حالِ التوبةِ والزجرِ ، ثمَّ يُعاوِدُهُ الحالُ ، حتىٰ تستقرَّ التوبةُ وتصيرَ مقاماً

وهكذا في الزُّهْدِ ؛ لا يزالُ يتزهَّدُ بنازلةِ حالٍ تُرِيهِ لَذَّةَ تركِ الاشتغالِ بالدنيا ، وتُقبِّحُ لهُ الإقبالَ عليها ، ثمَّ يمحو أَثَرَ حالِهِ بدَلالةِ شَرَهِ النَّفْسِ وحِرْصِها على الدنيا ورؤيةِ العاجلةِ ، حتىٰ تتداركَهُ المعونةُ مِنَ اللهِ الكريمِ ، فيزهدَ ويستقرَّ زُهْدُهُ ، ويصيرَ الزهدُ مقامَهُ .

ولا تزالُ نازلةُ حالِ التوكُّلِ تقرعُ بابَ قلبِهِ حتىٰ يتوكَّلَ ، وهٰكذا حالُ الرِّضا ، حتىٰ يطمئنَّ على الرِّضا ، ويصيرَ ذلكَ مقامَهُ .

وها هنا دقيقةٌ لطيفةٌ : وذلكَ أنَّ مقامَ الرِّضا والتوكُّلِ يثبتُ ويُحكَمُ ببقائِهِ معَ وجودِ داعيةِ الطبعِ ، ولا يُحكَمُ ببقاءِ حالِ الرِّضا معَ وجودِ داعيةِ الطبعِ ؛

وذلكَ مثلُ كراهةٍ يجدُها الراضي بحُكْمِ الطبعِ ، ولـٰكنْ عِلْمُهُ بمقامِ الرِّضا يَغمُرُ حُكْمَ الطبعِ ، وظهورُ حُكْمِ الطبعِ في وجودِ الكراهةِ المغمورةِ بالعلمِ . . لا يُخرِجُهُ عن مقامِ الرِّضا ، ولـٰكن يفقدُ حالَ الرِّضا ؛ لأنَّ الحالَ لمَّا تجرَّدتْ مَوْهِبةً أَحْرقتْ داعيةَ الطبعِ

فيُقال : كيفَ يكونُ صاحبَ مقامٍ في الرِّضا ولا يكونُ صاحبَ حالٍ فيهِ والحالُ مُقدِّمةُ المقامِ والمقامُ أثبتُ ؟!

نقولُ : لأنَّ المقامَ لمَّا كانَ مَشُوباً بكَسْبِ العبدِ . . احتملَ وجودُ الطبعِ فيهِ ، والحالَ لمَّا كانَ مَوْهِبةً مِنَ اللهِ . . نُزِّهَتْ عن مَزْجِ الطبعِ ، فحالُ الرِّضا أَصْلفُ[1] ، ومقامُ الرِّضا أَمْكنُ .

ولا بُدَّ للمقاماتِ مِنْ زائدِ الأحوالِ ؛ فلا مقامَ إلا بعدَ سابقةِ حالٍ ، ولا تَفرُّدَ للمقاماتِ دونَ سابقةِ الأحوالِ

وأمَّا الأحوالُ فمِنْها ما يصيرُ مقاماً ، ومِنْها ما لا يصيرُ مقاماً ، والسِّرُّ فيهِ ما ذَكَرْناهُ ؛ أنَّ الكسبَ في المقامِ ظَهَرَ والمَوْهِبةَ بَطَنتْ ، وفي الحالِ ظَهَرتِ الموهبةُ والكسبُ بَطَنَ .

فلمَّا كانَ في الأحوالِ الموهبةُ غالبةً . . لم تتقيَّدْ ، وصارتِ الأحوالُ إلىٰ ما لا نهايةَ لها ، ولَطُفَ سَنِيُّ الأحوالِ أنْ يصيرَ مقاماً ، ومقدوراتُ الحقِّ غيرُ مُتناهيةٍ ، ومواهبُهُ غيرُ متناهيةٍ ؛ ولهـٰذا قالَ بعضُهُم : (لو أُعطِيتُ رُوحانيَّةَ عيسىٰ ، ومُكالَمةَ موسىٰ ، وخُلَّةَ إبراهيمَ عليهِمُ السلامُ . . لطلبتُ ما وراءَ ذلكَ ؛ لأنَّ مواهبَ الحقِّ لا تنحصرُ) .

---

(١) أَصْلف : أَصْلب ؛ أي : ليس له لذّة . من هامش (ح) .

وهٰذهِ أحوالُ الأنبياءِ ، فلا تُعطىٰ للأولياءِ ، ولٰكن هٰذهِ إشارةٌ مِنَ القائلِ إلىٰ دوامِ تَطَلُّعِ العبدِ وتَطَلُّبِهِ ، وعدمِ قناعتِهِ بما هوَ فيهِ مِنْ أمرِ الحقِّ سبحانَهُ ؛ لأنَّ سيِّدَ المُرسَلِينَ صلواتُ اللهِ وسلاماتُهُ عليهِ نَبَّهَ علىٰ عدمِ القناعةِ ، وقَرْعِ بابِ الطَّلَبِ ، واستنزالِ بركةِ المَزِيدِ . بقولِهِ عليهِ الصلاةُ السلامُ : « كُلُّ يَوْمٍ لَمْ أَزْدَدْ فِيهِ عِلْماً . فَلَا بُورِكَ لِي فِي صَبِيحَةِ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ »[1]

وفي دعائِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱللَّهُمَّ ؛ مَا قَصَرَ عَنْهُ رَأْيِي ، وَضَعُفَ فِيهِ عَمَلِي ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي ـ أو أُمْنِيَّتِي ـ مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَداً مِنْ عِبَادِكَ ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ . فَأَنَا أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ ، وَأَسْأَلُكَهُ »[2]

حتىٰ تَعلَمَ[3] أنَّ مَواهِبَ الحقِّ لا تنحصرُ ، والأحوالَ مواهبُ ، وهيَ مُتَّصِلةٌ بكلماتِ اللهِ تعالى التي يَنفَدُ البحرُ دونَ نفادِها ، وتَنفَدُ أعدادُ الرِّمالِ دونَ أعدادِها ، واللهُ المُنعِمُ المُعطِي[4]

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه ابن عدي في « الكامل » (٢/٢٧٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٦٣٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/١٨٨) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٣١٨) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه الترمذي (٣٤١٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/٣٤٣ـ ٣٤٤) ، وابن نصر المروزي في « صلاة الوتر » (ص٣٣٧) ، والبيهقي في « الدعوات الكبير » (٦٩) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

(٣) هو غاية لقوله : (لأنَّ سيد المرسلين نبَّه . . .) .

(٤) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) .

البابُ التاسعُ والخمسون

في الإشارةِ إلى المقاماتِ على الاختصارِ والإيجازِ

(١٣٥) ـ أخبرَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ عبدُ القاهرِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورِ بنُ خَيْرونَ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ الجَوْهَريُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ بنِ محمَّدٍ ، قالَ أخبرَنا أبو محمَّدٍ يحيى بنُ صاعدٍ ، قالَ : أخبرَنا الحسينُ بنُ الحسنِ المَرْوَزيُّ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ ، قالَ : حدَّثَنا الهيثمُ بنُ جميلٍ ، قالَ حدَّثَنا كَثيرُ بنُ سُلَيمٍ المَدَائِنيُّ ، قالَ : سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجلٌ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنِّي رجلٌ ذَرِبُ اللِّسانِ ، وأُكثِرُ ذلكَ على أَهْلي ، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ ٱلِٱسْتِغْفَارِ ؟! فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ فِي ٱلْيَوْمِ وَٱللَّيْلَةِ مِئَةَ مَرَّةٍ »(١)

وروى أبو هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ في حديثٍ آخَرَ : « فَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ

---

(١) الزهد لابن المبارك (١١٣٧) ، ورواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣١٧٣) ، ورواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٢٠٩) ، وابن ماجه (٣٨١٧) ، وأحمد (٣٩٦/٥) ، وابن حبان (٩٢٦) من حديث سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، وذَرَابة اللسان : فُحْشُهُ وسلاطته وحِدَّته .

وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ »[1]

وروىٰ أبو بُرْدةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي ، فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ »[2]

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم : ٨] .

التوبةُ أصلُ كلِّ مَقامٍ[3] ، وقِوامُ كلِّ مقامٍ ، ومِفْتاحُ كلِّ حالٍ ، وهيَ أَوَّلُ المقاماتِ ، وهيَ بمثابةِ الأرضِ للبناءِ ؛ فمَنْ لا أرضَ لهُ لا بناءَ لهُ ، ومَنْ لا توبةَ لهُ لا حالَ لهُ ولا مقامَ لهُ[4]

---

(١) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠١٩٥) ، وابن ماجه (٣٨١٥) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٠٥٥) ، وهو في « صحيح البخاري » (٦٣٠٧) وغيره : (أكثر من سبعين مرة)

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢) وغيره من رواية أبي بردة عن سيدنا الأَغَرِّ المزني رضي الله عنه .

(٣) ماهيّة التوبة مركَّبة من ثلاثة أجزاء : التحسُّرُ والتندُّمُ علىٰ ما سبق ، والانقلاعُ في الحال ، والعزمُ على الامتناع في الاستقبال ، هٰكذا قال فخر الدِّين الرازيُّ في بعض مُصنَّفاته ، وأمَّا إرضاءُ الخصوم وقضاءُ الفوائت والتصفيةُ عن كُدُورات المعاصي السابقة . . فمن أوصاف كمال التوبة الخارجةِ عن [ماهيَّتها] وإن كانتْ واجبةً . من هامش (ح) .

(٤) للتوبة أقسام : توبةُ العوامِّ عن الذنوب الظاهرة ، وتوبةُ الخواصِّ عن الأخلاق الذَّميمة الباطنة ، وتوبةُ أهل البداية من أصحاب الحقيقة وأرباب الكشف عن مواقع الرِّيبة والشُّبهة ؛ لأنَّ الوقوفَ في الشُّبُهات سادٌّ لبابِ الحقيقة ، وتوبةُ المُحبِّين عن الغفلة عن ذكر الله تعالىٰ ، وتوبةُ أهل الكمال من أرباب الحقيقة عن الوقوف علىٰ مقامٍ يتصوَّر أن=

وإنِّي بمَبْلَغِ عِلْمي وقَدْرِ وُسْعي وجُهْدي اعتبرتُ المقاماتِ والأحوالَ وثمراتِها ، فرأيتُها تجمعُها ثلاثةُ أشياءَ بعدَ صِحَّةِ الإيمانِ وعُقُودِهِ وشروطِهِ ، فصارتْ معَ الإيمانِ أربعةً ، ثمَّ رأيتُها في إفادةِ الولادةِ المعنويَّةِ الحقيقيَّةِ بمثابةِ الطبائعِ الأربعِ التي جَعَلَها اللهُ تعالىٰ بإجراءِ سُنَّتِهِ مُفيدةً للولادةِ الطبيعيَّةِ .

ومَنْ تَحقَّقَ بحقائقِ هٰذهِ الأربعةِ . . يَلِجُ مَلَكُوتَ السماواتِ ، ويُكاشَفُ بالقُدَرِ والآياتِ ، ويصيرُ لهُ ذوقٌ وفهمٌ لكلماتِ اللهِ المُنزَلاتِ ، ويحظىٰ بجميعِ الأحوالِ والمقاماتِ ؛ فكلُّها مِنْ هٰذهِ الأربعةِ ظَهرَتْ ، وبها تهيَّأَتْ وتأكَّدَتْ

فأحدُ الثلاثِ بعدَ الإيمانِ : التوبةُ النَّصُوحُ ، والثاني : الزُّهْدُ في الدُّنْيا ، والثالثُ تحقيقُ مقامِ العُبُوديَّةِ بدوامِ العملِ للهِ ظاهراً وباطناً مِنَ الأعمالِ القلبيَّةِ والقالَبيَّةِ مِنْ غيرِ فُتُورٍ وقُصُورٍ (١)

ثمَّ يُستعانُ علىٰ إتمامِ هٰذهِ الأربعةِ بأربعةٍ أُخْرىٰ بها تمامُها وقِوامُها ؛ وهيَ قِلَّةُ الكلامِ ، وقِلَّةُ المنامِ ، وقِلَّةُ الطعامِ ، والاعتزالُ عنِ الناسِ

واتَّفَقَ المشايخُ والعلماءُ الزاهدونَ علىٰ أنَّ هٰذهِ الأربعةَ بها تستقرُّ

= يكون له مقامٌ آخر ، وعلىٰ هٰذا : أَوَّلَ بعضُ المشايخ قولَ النبيِّ عليه السلام : « إنِّي لأتوبُ إلى الله تعالىٰ كلَّ يومٍ مئةَ مَرَّةٍ » ؛ [أنَّ] النبيَّ عليه السلام كان يترقَّىٰ كلَّ يوم مئةَ مقامٍ ، وإذا وَصَلَ إلىٰ مقامٍ استغفر عن وقوفه فيما سبق .

وسأل فقيرٌ [مِنَ الملامتيَّةِ] عن توبة أهل الحقيقة ، فأجاب بعضهم : بأنَّ توبتَهُمُ الجلوسُ علىٰ بساط الشهودِ ، وإفرادُ القلب للفَرْد الحقيقيِّ جلَّ جلالُهُ . من هامش (ح) .

(١) زاد في بعض النسخ بعدَ (وباطناً) : (وإما باطناً) ، والعبارة في (أ) : (ظاهراً وباطناً من الأعمال القلبية والقالَبية ، وإمَّا باطناً من الأعمال القلبية من غير فتور وقصور)

المقاماتُ ، وتستقيمُ الأحوالُ ، وبها صارَ الأبدالُ أبدالاً ، بتأييدِ اللهِ وحُسْنِ توفيقِهِ

ونُبيِّنُ بالبيانِ الواضحِ أنَّ سائرَ المقاماتِ تندرجُ في صِحَّةِ هٰذهِ ، ومَنْ ظَفِرَ بها فقد ظَفِرَ بالمقاماتِ كلِّها

أوَّلُها بعدَ الإيمانِ التوبةُ ، وهيَ في مبدأِ صِحَّتِها تفتقرُ إلىٰ أحوالٍ ، وإذا صحَّتْ تشتملُ علىٰ مقاماتٍ وأحوالٍ

ولا بُدَّ في ابتدائِها مِنْ وجودِ زاجرٍ ، ووِجْدانُ الزاجرِ حالٌ ؛ لأنَّهُ مَوهِبةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ علىٰ ما تقرَّرَ أنَّ الأحوالَ مَواهِبُ[١] ، وحالُ الزَّجْرِ مِفْتاحُ التوبةِ ومُبتدَؤُها

قالَ رجلٌ لبِشْرٍ الحافي : ما لي أراكَ مهموماً ؟ قالَ : لأنِّي ضالٌّ ومطلوبٌ ؛ ضَلَلتُ الطريقَ والمَقصِدَ ، وأنا مطلوبٌ بهِ ، ولو تبيَّنتُ كيفَ الطريقُ إلى المَقصِدِ لطلبتُ ، ولٰكنَّ سِنَةَ الغَفْلةِ أَدْرَكَتْني ، وليسَ لي مِنْها خلاصٌ إلا أنْ أُزجَرَ فأَنزجِرَ

قالَ الأَصْمَعيُّ : رأيتُ أعرابيّاً بالبَصْرةِ يشتكي عينَهُ ، وهيَ يسيلُ مِنْها الماءُ ، فقلتُ : أَلاَ تمسحُ عينَكَ ؟ فقالَ : لا ، فقلتُ : لِمَ ، فقالَ لأنَّ الطبيبَ قد زَجَرَني ، ولا خيرَ فيمَنْ لا ينزجرُ[٢]

فالزاجرُ في الباطنِ حالٌ يَهَبُها اللهُ تعالىٰ ، ولا بُدَّ مِنْ وجودِها للتائبِ .

---

(١) انظر (٢/ ٤٥١ـ٤٥٢)

(٢) رواه ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص٤٨)

ثمَّ بعدَ الانزجارِ يجدُ العبدُ حالَ الانتباهِ ؛ قالَ بعضُهُم : (مَنْ لَزِمَ مُطالَعةَ الطوارقِ انتبهَ)

وقالَ أبو يزيدَ : (علامةُ الانتباهِ خمسٌ : إذا ذَكَرَ نَفْسَهُ افتقرَ ، وإذا ذَكَرَ ذنبَهُ استغفرَ ، وإذا ذَكَرَ الدنيا اعتبرَ ، وإذا ذَكَرَ الآخرةَ استبشرَ ، وإذا ذَكَرَ المَوْلى افتخرَ) .

وقالَ بعضُهُمُ : (الانتباهُ أوائلُ دَلالاتِ الخيرِ)

إذا انتبهَ العبدُ مِنْ رَقْدةِ غَفْلتِهِ . أدَّاهُ ذلكَ الانتباهُ إلى التيقُّظِ ، فإذا تيقَّظَ أَلْزمَهُ تَيَقُّظُهُ الطلبَ لطريقِ الرُّشْدِ ، فيَطلُبُ ، فإذا طَلَبَ عرفَ أنَّهُ علىٰ غيرِ سبيلِ الحقِّ ، فيَطلُبُ الحقَّ ويرجعُ إلىٰ بابِ توبتِهِ ، ثمَّ يُعطىٰ بانتباهِهِ حالَ التيقُّظِ .

قالَ فارسٌ : (أَوْفى الأحوالِ : التَّيَقُّظُ والاعتبارُ) .

وقيلَ : التيقُّظُ : تِبْيانُ خطأِ المَسْلَكِ بعدَ مُشاهَدةِ سبيلِ النجاةِ .

وقيلَ : إذا صحَّتِ اليَقَظَةُ كانَ صاحبُها في أوائلِ طريقِ التوبةِ .

وقيلَ اليَقَظَةُ : حَرْدَةٌ مِنْ جهةِ المَوْلىٰ لقلوبِ الخائفينَ تَدُلُّهُم علىٰ طلبِ التوبةِ[1]

فإذا تمَّتْ يقظتُهُ نُقِلَ بذلكَ إلىٰ مقامِ التوبةِ .

فهٰذهِ أحوالٌ ثلاثةٌ تتقدَّمُ التوبةَ .

---

(١) الحَرْدة : القصد .

ثمَّ التوبةُ في استقامتِها تحتاجُ إلى المُحاسَبةِ ، ولا تستقيمُ التوبةُ إلا بالمُحاسَبةِ .

نُقِلَ عن أميرِ المؤمنينَ عمرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (حاسِبُوا أنفسَكُم قبلَ أنْ تُحاسَبُوا ، وزِنُوها قبلَ أنْ تُوزَنُوا ، وتَزَيَّنُوا للعَرْضِ الأكبرِ على اللهِ ؛ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٨])(١)

فالمُحاسَبةُ بحفظِ الأنفاسِ ، وضبطِ الحواسِّ ، ورعايةِ الأوقاتِ ، وإيثارِ المُهِمَّاتِ .

ويعلمُ العبدُ أنَّ اللهَ تعالىٰ أَوْجبَ عليهِ هٰذهِ الصَّلَواتِ الخمسَ في اليومِ واللَّيلةِ رحمةً منهُ سُبْحانَهُ وتعالىٰ ؛ لعلمِهِ بعبدِهِ ، واستيلاءِ الغَفْلةِ عليهِ ؛ كي لا يستعبدَهُ الهوىٰ ، وتَسترِقَّهُ الدنيا ؛ فالصَّلَواتُ الخَمْسُ سِلْسِلةٌ تَجذِبُ النفوسَ إلىٰ مواطنِ العُبُوديَّةِ لأداءِ حقِّ الرُّبُوبيَّةِ .

ويُراقِبُ العبدُ نَفْسَهُ بحُسْنِ المُحاسَبةِ مِنْ كلِّ صلاةٍ إلىٰ صلاةٍ أُخرىٰ ، ويَسُدُّ مداخلَ الشيطانِ بحُسْنِ المُحاسَبةِ والرِّعايةِ ، ولا يدخلُ في الصلاةِ إلا بعدَ حَلِّ عُقَدِ القلبِ بحُسْنِ التوبةِ والاستغفارِ ؛ لأنَّ كلَّ كلمةٍ وحركةٍ علىٰ خلافِ الشرعِ تَنكُتُ في القلبِ نُكْتةً سوداءَ ، وتَعقِدُ عليهِ عُقْدةً .

والمُتفقِّدُ المُحاسِبُ يُهيِّئُ الباطنَ للصلاةِ بضبطِ الجوارحِ(٢) ويُحقِّقُ مقامَ

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٠٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦٠٠) ، وأحمد في « الزهد » (٦٣٣) ، وابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٢) .

(٢) في (ج ، ح) : (ويضبط) بدل (بضبط) .

المُحاسَبةِ[1] ، فيكونُ عندَ ذلكَ لصلاتِهِ نورٌ يُشرِقُ على أجزاءِ وقتِهِ إلى الصلاةِ الأُخرىٰ ، فلا تزالُ صلاتُهُ مُنوَّرةً تامَّةً بنورِ وقتِهِ ، ووقتُهُ مُنوَّراً معموراً بنورِ صلاتِهِ[2]

وكانَ بعضُ المُحاسِبينَ يكتبُ الصَّلَواتِ في قِرْطاسٍ ، ويَدَعُ بينَ كلِّ صلاتَينِ بياضاً ، وكلَّما ارتكبَ خطيئةً مِنْ كلمةِ غِيبةٍ أو أمرٍ آخَرَ . . خَطَّ خطّاً ، وكلَّما تكلَّمَ أو تحرَّكَ فيما لا يَعنِيهِ . . نَقَطَ نُقْطةً ؛ ليعتبرَ ذنوبَهُ وحركاتِهِ فيما لا يَعنِيهِ ؛ ليُضيِّقَ بالمُحاسَبةِ مجاريَ الشيطانِ والنَّفْسَ الأمَّارةَ بالسُّوءِ ؛ لمَوضِعِ صِدْقِهِ في حُسْنِ الافتقادِ ، وحِرْصِهِ على تحقيقِ مقامِ العُبَّادِ .

وهٰذا مقامُ المُحاسَبةِ والرِّعايةِ يقعُ مِنْ ضرورةِ صِحَّةِ التوبةِ ؛ قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ حَسُنَتْ رِعايتُهُ ، دامَتْ وِلايتُهُ)

وسُئِلَ الوَاسِطيُّ : أيُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قالَ : مُراعاةُ السِّرِّ ، والمُحاسَبةُ في الظاهرِ ، والمُراقَبةُ في الباطنِ ، ويَكمُلُ أحدُهُما بالآخرِ ، وبِهِما تستقيمُ التوبةُ

والمُراقَبةُ والرِّعايةُ حالانِ شريفانِ ، ويصيرانِ مقامَينِ شريفَينِ يَصِحَّانِ بصِحَّةِ مقامِ التوبةِ ، وتستقيمُ التوبةُ على الكمالِ بهِما ، فصارتِ المُحاسَبةُ والمُراقَبةُ والرِّعايةُ مِنْ ضرورةِ مقامِ التوبةِ .

---

(١) في النسخ ما عدا (أ ، ب ، ج ، ح) (وتحقق) بدل (ويحقق) ، والعطف واضح ، وعلى المثبت يكون العطف على قوله : (يُهيِّئ)

(٢) في (أ ، ج) : (مغموراً) بدل (معموراً) .

(١٣٦) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، عنِ ابنِ خَلَفٍ أبي بكرٍ الشِّيرازيِّ ، قالَ : سمعتُ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميَّ يقولُ : سمعتُ [أبا الحسينِ] الفارسيَّ يقولُ(١) سمعتُ الجُرَيْريَّ يقولُ (أمرُنا هـٰذا مَبْنيٌّ علىٰ فَصْلَينِ ؛ وهما أنْ تُلزِمَ نَفْسَكَ المُراقَبةَ للهِ تعالىٰ ، ويكونَ العلمُ علىٰ ظاهرِكَ قائماً)(٢)

وقالَ المُرتعِشُ : (المُراقَبةُ : مُراعاةُ السِّرِّ لمُلاحظةِ الحقِّ في كلِّ لحظةٍ ولَفْظةٍ)(٣)

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد : ٣٣] .

وهـٰذا هوَ علمُ القيامِ ، وبذلكَ يَتِمُّ علمُ الحالِ ، ومعرفةُ الزيادةِ والنُّقْصانِ ؛ وهوَ(٤) أنْ يعلمَ مِعْيارَ حالِهِ فيما بينَهُ وبينَ اللهِ ، وكلُّ هـٰذا مُلازِمٌ لصِحَّةِ التوبةِ ، وصِحَّةُ التوبةِ مُلازِمٌ لها ؛ لأنَّ الخواطرَ مُقدِّماتُ العزائمِ ، والعزائمَ مُقدِّماتُ الأفعالِ ؛ لأنَّ الخواطرَ تُحقِّقُ إرادةَ القلبِ ، والقلبُ أميرُ الجوارحِ ، والجوارحُ لا تتحرَّكُ إلا بحركةِ القلبِ بالإرادةِ ، والمُراقَبةُ حَسْمُ موادِّ الخواطرِ الرَّديئةِ .

فصارَ مِنْ تمامِ المُراقَبةِ تمامُ التوبةِ ؛ لأنَّ مَنْ حَصَرَ الخواطرَ كُفِيَ مُؤْنةَ

---

(١) في النسخ : (الحسن) بدل (أبا الحسين) ، والمثبت من « الرسالة » وغيرها
(٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٤٥٠) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٠٣)
(٣) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٤٥٠) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٠٦)
(٤) أي : علم القيام

الجوارحِ ؛ لأنَّ بالمُراقبةِ استئصالَ عُرُوقِ إرادةِ المَكارِهِ مِنَ القلبِ ، وبالمُحاسَبةِ استدراكَ ما انفلتَ مِنَ المُراقَبةِ

(١٣٧) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عنِ ابنِ خَلَفٍ ، عنِ السُّلَميِّ قالَ سمعتُ أبا عُثْمانَ المغربيَّ يقولُ : (أفضلُ ما يلزمُ الإنسانُ في هٰذا الطريقِ : المُحاسَبةُ ، والمُراقَبةُ ، وسِياسةُ العملِ بالعلمِ)[١]

وإذا صحَّتِ التوبةُ صَحَّتِ الإنابةُ ؛ قالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ : (إذا صَدَقَ العبدُ في توبتِهِ صارَ مُنِيباً ؛ لأنَّ الإنابةَ ثاني درجةِ التوبةِ)

وقالَ أبو سعيدٍ القُرَشيُّ (المُنِيبُ : الراجعُ عن كلِّ شيءٍ يشغلُهُ عنِ اللهِ إلى اللهِ) .

وقالَ بعضُهُمْ : (الإنابةُ : الرجوعُ منهُ إليهِ لا مِنْ شيءٍ غيرِهِ ، فمَنْ رَجَعَ مِنْ غيرِهِ إليهِ ضَيَّعَ أحدَ طَرَفَيِ الإنابةِ .

والمُنِيبُ على الحقيقةِ مَنْ لم يكنْ لهُ مَرجِعٌ سواهُ ، فيرجعُ إليهِ مِنْ رجوعِهِ ، ثمَّ يرجعُ مِنْ رجوعِ رجوعِهِ ، فيبقىٰ شَبَحاً لا وَصْفَ لهُ ، قائماً بينَ يَدَيِ الحقِّ ، مُستغرِقاً في عينِ الجمعِ)[٢]

ومُخالَفةُ النَّفْسِ ، ورُؤْيةُ عيوبِ الأفعالِ ، والمجاهدةُ . . تتحقَّقُ بتحقيقِ الرِّعايةِ والمُراقَبةِ .

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٤٥٠) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٠٣) ، وفي (هـ ، ح) : (أفضل التوبة) بدل (أفضل) ، وعبارة « الرسالة » : (أفضل ما يُلزِمُ الإنسان نفسه في هٰذه الطريقة) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ١٢٥) .

قالَ أبو سُلَيمانَ : (ما استحسنتُ مِنْ نَفْسي عملاً فاحتسبتُهُ)[1]

وقالَ أبو عبدِ اللهِ السِّجْزيُّ (مَنِ استحسنَ شيئاً مِنْ أحوالِهِ في حالِ إرادتِهِ[2] . . فسدتْ عليهِ إرادتُهُ ، إلا أنْ يرجعَ إلى ابتدائِهِ ، فيُروِّضَ نَفْسَهُ ثانياً ، ومَنْ لم يَزِنْ نَفْسَهُ بميزانِ الصِّدْقِ فيما لهُ وعليهِ . . لا يبلُغُ مَبْلَغَ الرجالِ) .

ورؤيةُ عيوبِ الأفعالِ مِنْ ضرورةِ صِحَّةِ الإنابةِ ، وهوَ في تحقيقِ مقامِ التوبةِ

ولا تستقيمُ التوبةُ إلا بصدقِ المُجاهَدةِ ، ولا يَصدُقُ العبدُ في المجاهدةِ إلا بوجودِ الصبرِ ؛ روىٰ فَضالةُ بنُ عُبيدٍ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « ٱلْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ »[3]

ولا يَتِمُّ ذلكَ إلا بالصبرِ ، وأفضلُ الصبرِ الصبرُ على اللهِ بعُكُوفِ الهمِّ عليهِ[4] ، وصِدْقِ المُراقَبةِ لهُ بالقلبِ ، وحَسْمِ مَوَادِّ الخواطرِ .

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣١٢)

(٢) أي : في حال سلوكه في نظر الشيخ . من هامش (ح) .

(٣) رواه الترمذي (١٦٢١) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٧٩٤) ، وأحمد (٦/ ٢٠) ، وابن حبان (٤٦٢٤) ، وقال الطِّيبي في « الكاشف » (٢/ ٤٩١) : (يعني : المجاهدُ ليس مَنْ قاتل الكفار فقط ، بل المجاهدُ مَنْ حارب نَفْسَهُ وحَمَلَها وأكرهها علىٰ طاعة الله تعالىٰ ؛ لأنَّ نَفْسَ الرجلِ أَشَدُّ عداوةً معه مِنَ الكُفَّار ؛ لأنَّ الكُفَّار أبعدُ منه ، ولا يتَّفق التلاحقُ والتقابلُ معهم إلا حيناً بعدَ حين ، وأمَّا نَفْسُهُ فأبداً تُلازِمُهُ وتمنعُهُ من الخير والطاعة ، ولا شكَّ أنَّ القتال مع العدو الذي يُلازِمُ الرجلَ أهمُّ من القتال مع العَدُوِّ الذي هو بعيدٌ منه ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾ [التوبة : ١٢٣]) .

(٤) في (د) : (الهمة) بدل (الهم) .

والصبرُ ينقسمُ : إلىٰ فرضٍ وفضلٍ

فالفرضُ : الصبرُ علىٰ أداءِ المُفترَضاتِ ، والصبرُ عنِ المُحرَّماتِ .

ومِنَ الصبرِ الذي هوَ فضلٌ : الصبرُ على الفقرِ ، والصبرُ عندَ الصَّدْمةِ الأُولىٰ ، وكِتْمانُ المصائبِ والأوجاعِ ، وتركُ الشَّكْوىٰ ، والصبرُ علىٰ إخفاءِ الفقرِ ، والصبرُ علىٰ كَتْمِ المِنَحِ والكراماتِ ، ورُؤْيةِ القُدَرِ والآياتِ .

ووجوهُ الصبرِ فرضاً وفضلاً كثيرةٌ ، وكثيرٌ مِنَ الناسِ مَنْ يقومُ بهٰذهِ الأقسامِ مِنَ الصبرِ ، ويَضِيقُ عنِ الصبرِ على اللهِ بلزومِ صِحَّةِ المُراقَبةِ والرِّعايةِ ونفيِ الخواطرِ

فإذاً حقيقةُ الصبرِ كائنٌ في التوبةِ ، ككينونةِ المُراقَبةِ في التوبةِ[1]

والصبرُ مِنْ أَعَزِّ مقاماتِ المُوقِنينَ ، وهوَ داخلٌ في حقيقةِ التوبةِ

قالَ بعضُ العلماءِ (أيُّ شيءٍ أفضلُ مِنَ الصبرِ وقد ذَكَرَهُ اللهُ تعالىٰ في كلامِهِ في نَيِّفٍ وتسعينَ موضعاً ؟! وما ذَكَرَ شيئاً بهٰذا العددِ)[2]

وصِحَّةُ التوبةِ تحتوي علىٰ مقامِ الصبرِ معَ شرفِهِ

ومِنَ الصبرِ : الصبرُ على النِّعْمةِ ؛ وهوَ أَلَّا يَصرِفَها في معصيةِ اللهِ تعالىٰ ، وهٰذا أيضاً داخلٌ في صِحَّةِ التوبةِ .

وكانَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ يقولُ (الصبرُ على العافيةِ أَشَدُّ مِنَ الصبرِ على البلاءِ)[3]

---

(١) في (أ ، ب ، ج ، د ، هـ) : (لكينونة) بدل (ككينونة) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٥٤٦)

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٥٤٧)، والغزالي في « الإحياء » (٧/ ٢٣٨)، =

ورُوِيَ عن بعضِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم (بُلِينا بالضَّرَّاءِ فصَبَرْنا ، وبُلِينا بالسَّرَّاءِ فلم نَصبِرْ)[1]

ومِنَ الصبرِ : رعايةُ الاقتصادِ في الرِّضا والغضبِ ، والصبرُ عن مَحْمَدةِ الناسِ ، والصبرُ على الخُمُولِ والتواضعِ .

والذِّلَّةُ داخلٌ في الزهدِ وإنْ لم يكنْ داخلاً في التوبةِ ، وكلُّ ما فاتَ في مقامِ التوبةِ مِنَ المقاماتِ السَّنِيَّةِ والأحوالِ . . يُوجَدُ في الزهدِ ، وهوَ ثالثُ الأربعةِ التي ذَكَرْنا[2]

وحقيقةُ الصبرِ تظهرُ مِنْ طُمَأْنِينةِ النَّفْسِ ، وطُمَأْنِينتُها مِنْ تزكيتِها ، وتزكيتُها بالتوبةِ ؛ فالنَّفْسُ إذا تزكَّتْ بالتوبةِ النَّصُوحِ . . ذَهَبَ عنها الشَّراسةُ الطبيعيَّةُ ، وقِلَّةُ الصبرِ مِنْ وُجُودِ شَراسةٍ في النَّفْسِ وإباءٍ واستعصاءٍ فيها .

والتوبةُ النَّصُوحُ تُلَيِّنُ النَّفْسَ ، وتُخرِجُها مِنْ طبيعتِها وشَراستِها إلى اللِّينِ ؛ لأنَّ النَّفْسَ بالمُحاسَبةِ والمُراقَبةِ تصفو وتنطفئُ نيرانُها المُتأجِّجةُ بمُتابعةِ الهوىٰ ، وتَبلُغُ بطُمَأْنِينتِها مَحَلَّ الرِّضا ومقامَهُ ، وتطمئنُّ في مجاري الأقدارِ .

قالَ أبو عبدِ اللهِ النِّباجيُّ (للهِ تعالىٰ عبادٌ يَستَحْيُونَ مِنَ الصبرِ ،

= وأورده بنحوه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢١١) دون عزو .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٢٥٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٠٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٣٠ـ٣١) موقوفاً علىٰ سيدنا عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه .

(٢) انظر (٢/ ٤٦٠) .

يتلقَّفُونَ مواقعَ أقدارِه بالرِّضا تَلَقُّفاً)[1]

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أصبحتُ وما لي سرورٌ إلا مواقعُ القضاءِ)[2]

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما حينَ وصَّاهُ : « ٱعْمَلْ لِلَّهِ بِٱلْيَقِينِ فِي ٱلرِّضَا ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَإِنَّ فِي ٱلصَّبْرِ خَيْراً كَثِيراً »[3]

وفي الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مِنْ خَيْرِ مَا أُعْطِيَ ٱلرَّجُلُ : ٱلرِّضَا بِمَا قَسَمَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لَهُ »[4]

فالأخبارُ والآثارُ والحكاياتُ في فضيلةِ الرِّضا وشَرَفِهِ . . أكثرُ مِنْ أنْ تُحصىٰ .

والرِّضا ثمرةُ التوبةِ النَّصُوحِ ، وما تَخلَّفَ عبدٌ عنِ الرِّضا إلا لتخلُّفِهِ عنِ التوبةِ النَّصُوحِ .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١/ ١٧) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٩/ ٤٢٨٨) .

(٢) رواه عبد الله بن عبد الحكم في « سيرة عمر بن عبد العزيز » (ص٩٧) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٠٠٦)

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٥٤١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣١٤) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (١٦٠٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وأصله في « سنن الترمذي » (٢٥١٦) ، و« مسند أحمد » (١/ ٣٠٣) دون هـٰذا اللفظ

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٠٠٩) ، وروى الترمذي (٢٣٠٥) وغيره من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « وارضَ بما قسمَ اللهُ تكنْ أَغنى الناسِ » .

فإذاً : تجمعُ التوبةُ النَّصُوحُ حالَ الصبرِ ، وحالَ الرِّضا ، ومقامَ الصبرِ ، ومقامَ الرِّضا

والخوفُ والرجاءُ مقامانِ مِنْ مقاماتِ أهلِ اليقينِ ، وهما كائنانِ في صُلْبِ التوبةِ النَّصُوحِ ؛ لأنَّ خوفَهُ حَمَلَهُ على التوبةِ ، ولولا خوفُهُ ما تابَ ، ولولا رجاؤُهُ ما خافَ ؛ فالرجاءُ والخوفُ يتلازمانِ في قلبِ المؤمنِ ، ويعتدلُ الخوفُ والرجاءُ للتائبِ المُستقيمِ في التوبةِ .

دَخَلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ رجلٍ وهوَ في سِياقِ الموتِ ، فقالَ « كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ » ، فقالَ : أَجِدُني أخافُ ذُنُوبي وأرجو رحمةَ ربِّي ، فقالَ : « مَا ٱجْتَمَعَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي هَـٰذَا ٱلْمَوْطِنِ . . إِلَّا أَعْطَاهُ ٱللهُ مَا رَجَا ، وَأَمَّنَهُ مَا يَخَافُ »(١)

وجاءَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] : هوَ العبدُ يُذنِبُ الكبائرَ ثمَّ يقولُ : قد هلكتُ ، لا ينفعُني عملٌ(٢)

فالتائبُ خافَ ، فتابَ ورجا المغفرةَ ، ولا يكونُ التائبُ تائباً إلا وهوَ راجٍ خائفٌ

---

(١) رواه الترمذي (٩٨٣) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٨٣٤) ، وابن ماجه (٤٢٦١) ، وابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (٣١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه عبد الرزاق في « تفسيره » (٢٠٢) ، والطبري في « تفسيره » (٣/٥٨٩) عن عَبيدة السَّلْماني من قوله رحمه الله تعالىٰ ، والبيهقي في « الشعب » (٦٦٩٢) ، والثعلبي في « تفسيره » (٥/ ٦٦ـ٦٧) موقوفاً علىٰ سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما

ثمَّ إنَّ التائبَ حيثُ قيَّدَ الجوارحَ عنِ المَكارِهِ ، واستعانَ بنِعَمِ اللهِ تعالىٰ علىٰ طاعةِ اللهِ . فقد شَكَرَ النِّعَمَ ؛ لأنَّ كلَّ جارحةٍ مِنَ الجوارحِ نعمةٌ ، وشُكْرُها قَيْدُها عنِ المعصيةِ ، واستعمالُها في الطاعةِ ، وأيُّ شاكرٍ للنعمةِ أكثرُ مِنَ التائبِ المستقيمِ ؟!

فإذاً : جَمَعَ مقامُ التوبةِ هـٰذهِ المقاماتِ كلَّها ؛ فجَمَعَ مقامُ التوبةِ حالَ الزَّجْرِ ، وحالَ الانتباهِ ، وحالَ التيقُّظِ ، ومُخالَفةَ النَّفْسِ ، والتقوىٰ ، والمُجاهَدةَ ، ورُؤْيةَ عيوبِ الأفعالِ ، والإنابةَ ، والصبرَ ، والرِّضا ، والمُحاسَبةَ ، والمُراقَبةَ ، والرِّعايةَ ، والشُّكْرَ ، والخوفَ ، والرَّجاءَ .

وإذا صَحَّتِ التوبةُ النَّصُوحُ وتزكَّتِ النَّفْسُ . . انجلَتْ مِرآةُ القلبِ ، وبانَ قُبْحُ الدنيا فيها ، فحَصَلَ الزُّهدُ .

والزاهدُ يتحقَّقُ فيهِ التوكُّلُ ؛ لأنَّهُ لا يزهدُ في الموجودِ إلا لاعتمادِهِ على الموعودِ ، والسُّكونُ إلىٰ وَعْدِ اللهِ تعالىٰ هوَ عينُ التوكُّلِ

وكلُّ ما بَقِيَ على العبدِ مِنْ بقيَّةٍ في تحقيقِ المقاماتِ كلِّها بعدَ توبتِهِ . . يستدركُهُ بزُهدِهِ في الدنيا ، وهوَ ثالثُ الأربعةِ

(١٣٨) ـ أخبرَنا شيخُنا ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ خَيْرُونَ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ إجازةً[١] ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ، قالَ حدَّثَنا أبو محمَّدٍ يحيى بنُ صاعدٍ ، قالَ : حدَّثَنا الحسينُ بنُ الحسنِ المَرْوَزيُّ ،

---

(١) سقط التصريح بالإجازة في (د ، ز) .

قالَ حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ ، قالَ : أخبرَنا الهيثمُ بنُ جَميلٍ ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ [سُلَيمٍ][1] ، عن عبدِ اللهِ بنِ بُرَيدةَ قالَ : قَدِمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ سفرٍ ، فبَدَأَ بفاطمةَ رضيَ اللهُ عنها ، فرآها قد أَحْدثَتْ في البيتِ سِتْراً وزوائدَ في يَدَيْها ، فلمَّا رأىٰ ذلكَ رَجَعَ ولم يدخلْ ، ثمَّ جَلَسَ ، فجعلَ يَنكُتُ في الأرضِ ويقولُ : « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ؟! مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ؟! »

فرأَتْ فاطمةُ أنَّهُ إنَّما رجعَ مِنْ أجلِ ذلكَ السِّتْرِ والزوائدِ ، فأخذتِ السِّتْرَ والزوائدَ ، فأرسلتْ بهِما معَ بلالٍ ، وقالتْ لهُ : اذهَبْ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقُلْ لهُ : قد تصدَّقتُ بهِ ، فضَعْهُ حيثُ شِئتَ ، فأتىٰ بهِ بلالٌ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : قالتْ فاطمةُ : قد تصدَّقتُ بهِ ، فضَعْهُ حيثُ شِئتْ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَدْ فَعَلَتْ بِأَبِي وأُمِّي !! قَدْ فَعَلَتْ بِأَبِي وَأُمِّي !! اْذْهَبْ فَبِعْهُ »[2]

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف : ٧] ؛ قيلَ : أيُّهُم أَزْهدُ في الدنيا[3]

---

(١) في النسخ : (سليمان) أو (سلمان) ، والتصويب من « الزهد » (١١٨٣) ، و« تهذيب الكمال » (٢٥/ ٢٩٢) ، ومحمد بن سليم : هو أبو هلال الراسبي البصري (ت١٦٧هـ) .

(٢) الزهد (١١٨٣) لابن المبارك ، والحديث مرسل ، ورواه مرفوعاً أبو داود (٤٢١٣) ، وأحمد (٥/ ٢٧٥) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١/ ٢٦) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، وابن حبان (٦٩٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٠٧٠٧) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ ، وأورده الواحدي في « الوسيط » (٣/ ١٣٦) ، والبغوي في « تفسيره » (٨/ ١٧٦) =

سُئِلَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ الزُّهدِ ، فقالَ : هوَ ألَّا تُبَالِيَ مَنْ أَكَلَ الدنيا ؛ مؤمنٌ أو كافرٌ[1]

وسُئِلَ الشِّبْليُّ عنِ الزُّهدِ ، فقالَ : وَيْلَكُم ، أيُّ مقدارٍ لجناحِ بعوضةٍ أنْ يُزهَدَ فيها ؟![2]

وقالَ أبو بكرٍ الوَاسِطيُّ : (إلىٰ متىٰ تَصُولُ بتَرْكِ كَنيفٍ ؟! وإلىٰ متىٰ تَصُولُ بإعراضِكَ عمَّا لا يَزِنُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ ؟!)[3]

فإذا صحَّ زُهْدُ العبدِ صحَّ توكُّلُهُ أيضاً ؛ لأنَّ صدقَ توكُّلِهِ مكَّنَهُ مِنْ زُهدِهِ في الموجودِ .

فمَنِ استقامَ في التوبةِ ، وزَهِدَ في الدنيا ، وحَقَّقَ هـٰذَينِ المقامَينِ.. استوفىٰ سائرَ المقاماتِ ، وتمكَّنَ فيها ، وتحقَّقَ بها

وترتيبُ التوبةِ معَ المُراقَبةِ وارتباطُ أحدِهِما بالآخَرِ : أنْ يتوبَ العبدُ ، ثمَّ يستقيمَ في التوبةِ حتىٰ لا يكتبَ عليهِ صاحبُ الشمالِ شيئاً ، ثمَّ يرتقيَ مِنْ تطهيرِ الجوارحِ عنِ المعاصي إلىٰ تطهيرِ الجوارحِ عمَّا لا يَعْنِي ، فلا يسمحَ بكلمةِ فُضُولٍ ولا حركةِ فُضُولٍ .

= عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٢١)

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٩) ، وفيه : (لأقل من جناح بعوضة) بدل (لجناح بعوضة) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤/ ١٤٣) عن أبي سليمان الداراني من قوله دون سؤال بلفظ : (الدُّنيا عند الله أقلُّ مِنْ جناح بعوضة ، فما قيمةُ جناحِ بعوضةٍ حتىٰ يُزهَدَ فيها ؟!) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٠) .

ثمَّ تنتقلَ الرِّعايةُ والمُحاسَبةُ مِنَ الظاهرِ إلى الباطنِ ، وتستوليَ المُراقَبةُ على الباطنِ ـ وهوَ التحقُّقُ بعلمِ القيامِ ـ بمَحْوِ خواطرِ المعصيةِ عن باطنِهِ ، ثمَّ خواطرِ الفُضُولِ ، فإذا تمكَّنَ مِنْ رعايةِ الخَطَراتِ . . عُصِمَ عن مُخالَفةِ الأركانِ والجوارحِ ، وتستقيمُ توبتُهُ

قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود ١١٢] ؛ أَمَرَهُ اللهُ تعالىٰ بالاستقامةِ في التوبةِ أمراً لهُ ولأتباعِهِ وأُمَّتِهِ

وقيلَ : (لا يكونُ المُرِيدُ مُرِيداً حتىٰ لا يكتبَ عليهِ صاحبُ الشمالِ شيئاً عشرينَ سنةً)[١] ، ولا يلزمُ مِنْ هـٰذا وجودُ العِصْمةِ ، ولـٰكنَّ الصادقَ التائبَ النادمَ إذا ابتُلِيَ بذنبٍ نادراً[٢] . . ينمحي أَثَرُ الذنبِ عن باطنِهِ في ألطفِ ساعةٍ ؛ لوجودِ الندمِ في باطنِهِ علىٰ ذلكَ ، والندمُ توبةٌ ، فلا يكتبُ عليهِ صاحبُ الشمالِ شيئاً

فإذا تابَ توبةً نَصُوحاً ثمَّ زَهِدَ في الدنيا ؛ حتىٰ لا يهتمُّ في غَدائِهِ لعَشائِهِ ، ولا في عَشائِهِ لغَدائِهِ ، ولا يرى الادِّخارَ ، ولا يكونُ لهُ تَعَلُّقُ هَمٍّ بغَدٍ . . فقد جَمَعَ في هـٰذا الزُّهدَ والفقرَ

والزُّهدُ أفضلُ مِنَ الفقرِ ، وهوَ فقرٌ وزيادةٌ ؛ لأنَّ الفقيرَ عادمٌ للشيءِ اضطراراً ، والزاهدَ تاركٌ للشيءِ اختياراً ، وزُهدُهُ يُحقِّقُ توكُّلَهُ ، وتوكُّلُهُ

---

(١) سبق مسنداً في (١/ ٣٨٦) عن أبي بكر الزقّاق رحمه الله تعالىٰ .

(٢) العبارة في النسخ ما عدا (ح ، ي) : (. . . التائب بالنادر إذا ابتُلي بذنب) بدل (التائب النادم إذا ابتُلي بذنب نادراً)

يُحقِّقُ رِضاهُ ، ورِضاهُ يُحقِّقُ الصبرَ ، وصبرُهُ يُحقِّقُ حَبْسَ النَّفْسِ وصدقَ المُجاهَدةِ ، وحَبْسُ النَّفْسِ للهِ يُحقِّقُ خوفَهُ ، وخوفُهُ يُحقِّقُ رجاءَهُ ، ويَحْظىٰ بالتوبةِ والزُّهدِ بكلِّ المقاماتِ .

والزُّهدُ والتوبةُ إذا اجتمعا معَ صِحَّةِ الإيمانِ وعُقُودِهِ وشروطِهِ . . يَعُوزُ هـٰذهِ الثلاثةَ رابعٌ بهِ تمامُها ؛ وهوَ دوامُ العملِ للهِ ؛ لأنَّ الأحوالَ السَّنِيَّةَ ينكشفُ بعضُها بهـٰذهِ الثلاثةِ ، ويتستَّرُ بعضُها مُتوقِّفاً علىٰ وجودِ الرابعِ ؛ وهوَ دوامُ العملِ .

وكثيرٌ مِنَ الزُّهَّادِ المُتحقِّقينَ بالزُّهدِ المُستقيمينَ في التوبةِ . . تَخلَّفُوا عن كثيرٍ مِنْ سَنِيِّ الأحوالِ ؛ لتخلُّفِهِم عن هـٰذا الرابعِ ، ولا يُرادُ الزُّهدُ في الدنيا إلا لكمالِ الفراغِ المُستعانِ بهِ علىٰ إدامةِ العملِ للهِ ، والعملُ للهِ أنْ يكونَ العبدُ لا يزالُ ذاكراً أو تالياً أو مُصلِّياً أو مُراقِباً ، لا يشغلُهُ عن هـٰذهِ إلا واجبٌ شرعيٌّ ، أو مُهِمٌّ لا بُدَّ منهُ طبيعيٌّ

وإذا استولى العملُ القلبيُّ على القلبِ معَ وجودِ الشُّغْلِ الذي أدَّاهُ إليهِ حُكْمُ الشرعِ . . لا يَفتُرُ باطنُهُ عنِ العملِ ، فإذا كانَ معَ الزُّهدِ والتقوىٰ مُتمسِّكاً بدوامِ العملِ . . فقد أَكْملَ الفضلَ ، وما آلىٰ جُهْداً في العُبُوديَّةِ

وقالَ أبو بكرٍ الورَّاقُ : (مَنْ خَرَجَ مِنْ قالَبِ العُبُوديَّةِ . . صُنِعَ بهِ ما يُصنَعُ بالآبِقِ)(١)

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٩٣) ، وابن خميس في « مناقب الأبرار » (١/٤٧٦) ، وأورده السلمي في « تفسيره » (١/١٤٧) عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

وسُئِلَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ رحمَهُ اللهُ : أيُّ منزلةٍ إذا قامَ العبدُ بها قامَ مَقَامَ العُبُودِيَّةِ ؟ قالَ : إذا تَرَكَ التدبيرَ والاختيارَ(١)

فإذا تحقَّقَ العبدُ بالتوبةِ والزُّهدِ ودوامِ العملِ للهِ . . يشغلُهُ وقتُهُ الحاضرُ عن وقتِهِ الآتي ، ويصلُ إلىٰ مقامِ تَرْكِ التدبيرِ والاختيارِ ، ثمَّ يصلُ إلىٰ أنْ يَملِكَ الاختيارَ ، فيكونُ اختيارُهُ مِنِ اختيارِ اللهِ ؛ لزوالِ هواهُ ، ووُفُورِ علمِهِ ، وانقطاعِ مادَّةِ الجهلِ عن باطنِهِ

قالَ يحيى بنُ مُعاذٍ الرازيُّ (ما دامَ العبدُ يتعرَّفُ يُقالُ لهُ : لا تَخْتَرْ ولا تكنْ معَ اختيارِكَ حتىٰ تعرفَ ، فإذا عَرَفَ وصارَ عارفاً يُقالُ لهُ : إنْ شئتَ فاخْتَرْ ، وإنْ شئتَ فلا تَخْتَرْ ؛ لأنَّكَ إنِ اخترتَ فباختيارِنا اخترتَ ، وإنْ تركتَ الاختيارَ فباختيارِنا تركتَ الاختيارَ ؛ فإنَّكَ بنا في الاختيارِ وفي تركِ الاختيارِ)(٢)

والعبدُ لا يتحقَّقُ بهـٰذا المقامِ العالي والحالِ العزيزِ الذي هوَ الغايةُ والنهايةُ ـ وهوَ أنْ يملكَ الاختيارَ بعدَ تَرْكِ التدبيرِ والخروجِ مِنَ الاختيارِ ـ . . إلا بإحكامِهِ هـٰذهِ الأربعةَ التي ذَكَرْناها ؛ لأنَّ تَرْكَ التدبيرِ فناءٌ ، وتمليكَ التدبيرِ والاختيارِ مِنَ اللهِ تعالىٰ عبدَهُ ، وردَّهُ إلى الاختيارِ . تصرُّفٌ بالحقِّ ، وهوَ مقامُ البقاءِ ؛ وهوَ الانسلاخُ عن وجودٍ كانَ بالعبدِ إلىٰ وجودٍ يصيرُ بالحقِّ .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٩٣)

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦١) ، وفي (أ ، ج) : (فباختيارنا تركت) دون المفعول ، وهو أنسب مع ما قبله ، والمثبت من باقي النسخ موافق لـ« اللمع »

وهٰذا العبدُ ما بَقِيَ عليهِ مِنَ الاعوجاجِ ذَرَّةٌ ، واستقامَ ظاهِرُهُ وباطِنُهُ في العُبُودِيَّةِ ، وغَمَرَ العلمُ والعملُ ظاهِرَهُ وباطِنَهُ ، وتَوطَّنَ حَظِيرةَ القُرْبِ[1] بنَفْسٍ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالىٰ مُتمسِّكةٍ بالاستكانةِ والافتقارِ ، مُتحقِّقةٍ بقولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ فَأَهْلِكَ ، وَلَا إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَأَضِيعَ ، اكْلَأْنِي كَلَاءَةَ ٱلْوَلِيدِ ، وَلَا تَخَلَّ عَنِّي »[2] ، واللهُ أعلمُ[3]

* * *

(١) في النسخ ما عدا (ب ، هـ ، و ، ح) : (حضرة القرب) .

(٢) قال الغماري في « الغنية » (٢/ ٨٣٤ـ٨٣٥) : (لم أجده هٰكذا مجموعاً ، وعند البزار [كما في « كشف الأستار » (٣١٩٠)] من حديث ابن عمر : كان من دعائه صلَّى الله عليه وسلَّم : « اللهمَّ ؛ لا تَكِلْني إلىٰ نفسي طرفةَ عينٍ ، ولا تَنزِعْ منِّي صالحَ ما أعطيتَني » ، وسنده ضعيف ، وعند أحمد في « الزهد » [٥٠] ، وأبي يعلىٰ [٥٥٢٧] ، والعسكري في « الأمثال » ، والقضاعي في « مسند الشهاب » [١٤٨٤] من حديث ابن عمر أيضاً : أنَّهُ صلَّى الله عليه وسلَّم كان يقول في دعائه : « اللهمَّ ؛ واقيةً كواقيةِ الوليدِ ») .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً ، بلغ قراءةً) .

الباب الستون

في ذكر إشارات المشايخ في المقامات على الترتيب

قولهم في التوبة

قالَ رُوَيمٌ رحمَهُ اللهُ : (معنى التوبةِ : أنْ تتوبَ مِنَ التوبةِ)(١)

قيلَ : معناهُ : قولُ رابعةَ : (أستغفرُ اللهَ مِنْ قِلَّةِ صِدْقِي في قولي : « أستغفرُ اللهَ »)(٢)

وسُئِلَ الحسنُ المَغَازِليُّ عنِ التوبةِ ؟ فقالَ : تسألُني عن توبةِ الإنابةِ أو توبةِ الاستجابةِ ؟

فقالَ السائلُ : ما توبةُ الإنابةِ ؟ فقالَ : أنْ تخافَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ مِنْ أجلِ قُدْرتِهِ عليكَ .

قالَ : فما توبةُ الاستجابةِ ؟ قالَ : أنْ تستحييَ مِنَ اللهِ لِقُرْبِهِ منكَ(٣)

---

(١) يعني أن تتوبَ من نقض التوبة الأُولىٰ . من هامش (ح) ، وقولُ رُوَيم أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٨) ، وأبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦٨) ، وابن فورك في « الإبانة عن طرق القاصدين » (ص٣٦) .

(٢) رواه السلمي في « ذكر النسوة المتعبدات » (ص٢٩) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٨) ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٤٨٤) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢/ ٢٤٤) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٨) .

وهـٰذا الذي ذَكَرَهُ مِنْ توبةِ الاستجابةِ إذا تحقَّقَ العبدُ بها ربَّما تابَ في صلاتِهِ مِنْ كلِّ خاطرٍ يُلِمُّ بهِ سوى اللهِ ، ويستغفرُ اللهَ منهُ ، وهـٰذهِ توبةٌ لازمةٌ لبواطنِ أهلِ القُرْبِ ، كما قيلَ(١) : [من الطويل]

إِذَا قُلْتُ مَا أَذْنَبْتُ قَالَتْ مُجِيبَةً وُجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ

قالَ ذو النُّونِ : (توبةُ العوامِّ مِنَ الذنوبِ ، وتوبةُ الخواصِّ : مِنَ الغَفْلةِ ، وتوبةُ الأنبياءِ : مِنْ رُؤْيةِ عَجْزِهِم عن بلوغِ ما نالَهُ غيرُهُم)(٢)

سُئِلَ أبو محمَّدٍ سَهْلُ بنُ عبدِ اللهِ عنِ الرجلِ يتوبُ مِنَ الشيءِ ويتركُهُ ، ثمَّ يَخطُرُ ذلكَ الشيءُ بقلبِهِ أو يراهُ أو يسمعُ بهِ ، فيجدُ حَلاوتَهُ ، فقالَ : الحَلاوةُ طَبْعُ البَشَريَّةِ ، ولا بُدَّ مِنَ الطَّبْعِ ، وليسَ لهُ حيلةٌ إلا أنْ يرفعَ قلبَهُ إلىٰ مَوْلاهُ الكريمِ بالشَّكْوىٰ ، ويُنكِرَهُ بقلبِهِ ، ويُلزِمَ نَفْسَهُ الإنكارَ ولا يُفارِقَهُ ، ويدعوَ اللهَ تعالىٰ أنْ يُنسيَهُ ذلكَ ويُشغِلَهُ بغيرِهِ مِنْ ذكرِهِ وطاعتِهِ .

قالَ : وإنْ غَفَلَ عنِ الإنكارِ طَرْفةَ عينٍ . . أخافُ عليهِ ألَّا يسلمَ ، وتعملَ الحَلاوةُ في قلبِهِ ، ولـٰكنْ معَ وِجْدانِ الحَلاوةِ يُلزِمُ قلبَهُ الإنكارَ ويحزنُ ؛ فإنَّهُ لا يَضُرُّهُ(٣)

وهـٰذا الذي قالَهُ سَهْلُ بنُ عبدِ اللهِ . . كافٍ بالغٌ لكلِّ طالبٍ صادقٍ يُرِيدُ صِحَّةَ تَوبتِهِ

---

(١) روى البيت ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٦/ ٥١) عن جارية من أهل بغداد .

(٢) أورده تاماً الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٩٤) ، ودون قوله : (وتوبة الأنبياء . . .) أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٠١) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٥١٠) .

والعارفُ القويُّ الحالِ يتمكَّنُ مِنْ إزالةِ الحَلاوةِ عن باطنِهِ ، ويَسهُلُ عليهِ ذلكَ ، وأسبابُ سهولةِ ذلكَ مُتنوِّعةٌ للعارفِ ، ومَنْ تمكَّنَ مِنْ قلبِهِ حَلاوةُ حُبِّ اللهِ الخاصِّ عن صفاءِ مُشاهَدةٍ وصِرْفِ يقينٍ . . أيُّ حَلاوةٍ تبقىٰ في قلبِهِ ؟! وإنَّما حَلاوةُ الهوىٰ لعدمِ حَلاوةِ حُبِّ اللهِ تعالىٰ .

وسُئِلَ السُّوسيُّ عنِ التوبةِ ، فقالَ : التوبةُ مِنْ كلِّ شيءٍ ذمَّهُ العلمُ إلىٰ ما مدحَهُ العلمُ[(١)]

وهٰذا وصفٌ يَعُمُّ الظاهرَ والباطنَ لمَنْ كُوشِفَ بصريحِ العلمِ ؛ لأنَّهُ لا بقاءَ للجهلِ معَ العلمِ ، كما لا بقاءَ للَّيلِ معَ طلوعِ الشمسِ ، وهٰذا يستوعبُ جميعَ أقسامِ التوبةِ بالوصفِ الخاصِّ والعامِّ .

وهٰذا العلمُ يكونُ علمَ الظاهرِ والباطنِ ؛ لتطهيرِ الظاهرِ والباطنِ بأَخَصِّ أوصافِ التوبةِ وأعمِّ أوصافِها

وقالَ أبو الحسينِ النُّوريُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (التوبةُ : أنْ تتوبَ عن كلِّ شيءٍ سوى اللهِ تعالىٰ)[(٢)]

قولهم في الورع

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مِلَاكُ دِينِكُمُ ٱلْوَرَعُ »[(٣)]

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٩٤) ، والسلمي في « تفسيره » (١/ ١٨٣) ، ورواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ٢٣٠) عن ابن عطاء الأدَمي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦٨)، والكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٩)، وعزاه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٦٩) إلىٰ طاهر المقدسي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه القضاعي في « المسند » (٤٠) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » =

(١٣٩) ـ أخبرَنا أبو زُرْعَةَ إجازةً[١] ، عن أبي بكرِ بنِ خَلَفٍ إجازةً[٢] ، عن أبي عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميِّ ، قالَ : أخبرَنا أبو سعيدٍ الخَلَّالُ ، قالَ : حدَّثني ابنُ قُتيبةَ ، قالَ : حدَّثَنا [عمرُو] بنُ عُثْمانَ[٣] ، قالَ : حدَّثَنا بَقِيَّةُ ، عن أبي بكرِ بنِ أبي مريمَ ، عن حَبيبِ بنِ عُبيدٍ ، عن أبي الدَّرْداءِ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ توضَّأَ علىٰ نَهَرٍ ، فلمَّا فَرَغَ مِنْ وضوئِهِ أفرغَ فَضْلَهُ في النهرِ وقالَ : « يُبْلِغُهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْماً يَنْفَعُهُمْ »[٤]

قالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا ينبغي لمَنْ أَخَذَ بالتقوىٰ ووَزَنَ بالورعِ أنْ يَذِلَّ لصاحبِ دنيا)[٥]

= (١٠١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ورواه ابن عبد البر أيضاً (١٠٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٦٣٩) ، وابن عبد البر (٩٦) مرسلاً عن عمرو بن قيس المُلائي ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٨٣٨)

(١) سقط التصريح بالإجازة من (د ، هـ ، و) .

(٢) سقط التصريح بالإجازة من (أ ، ج ، و ، ز) .

(٣) في النسخ : (عمر) بدل (عمرو) ، وفي « الزهد الكبير » : (عمران) ، ولعل الصواب ما أثبت . انظر « تهذيب الكمال » (٤/ ١٩٥) في ترجمة بقية بن الوليد .

(٤) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٧٩) من طريق أبي عبد الرحمـٰن السلمي ، والطبراني في « مسند الشاميين » (١٤٦٩) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ١١٠) ، وفي (أ) : (أقواماً أخر) بدل (قوماً) ، وفي (ج) : (قوماً آخرين) ، وفي (ح) : (قوماً آخَرَ) .

(٥) أورده ابن الجوزي في « مناقب عمر بن الخطاب » (ص١٧٢) عن عبيد بن عمير عن سيدنا عمر رضي الله عنه ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٥٦) ، وأورده ابن أبي الدنيا في « القناعة والتعفف » (٨٩) عن عبد الله بن عبيد بن عمير من قوله رحمه الله تعالىٰ .

قالَ معروفٌ الكَرْخيُّ رحمَهُ اللهُ : (احفَظْ لسانَكَ مِنَ المدحِ كما تحفظُهُ مِنَ الذمِّ)(١)

نُقِلَ عنِ الحارثِ بنِ أسدٍ المُحاسِبيِّ أنَّهُ كانَ علىٰ طَرَفِ إصبَعِهِ الوُسْطىٰ عِرْقٌ ، إذا مَدَّ يدَهُ إلىٰ طعامٍ فيهِ شُبْهةٌ ضَرَبَ عليهِ ذلكَ العِرْقُ(٢)

سُئِلَ الشِّبْليُّ رحمَهُ اللهُ عنِ الورعِ ، فقالَ : الوَرَعُ : أنْ تتورَّعَ أنْ يتشتَّتَ قلبُكَ عنِ اللهِ طَرْفةَ عينٍ(٣)

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٧٠٧) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٣٢٨) .

(٢) نقله أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٠ـ٧١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٢٩) ، وروىٰ أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٧٤) بإسناده إلى الجنيد قال (كان الحارث كثيرَ الضُّرِّ ، فاجتاز بي يوماً وأنا جالسٌ علىٰ بابنا ، فرأيتُ في وجهه زيادةَ الضُّرِّ من الجوع ، فقلتُ له : يا عمِّ ؛ لو دخلتَ إلينا نِلْتَ من شيء عندَنا ، فقال : أَوَتفعلُ ؟ قلتُ : نعم وتَسُرُّني بذلك وتَبَرُّني ، فدخلتُ بين يديه ودخل معي ، وعَمَدتُ إلىٰ بيت عمِّي وكان أوسعَ من بيتنا لا يخلو من أطعمةٍ فاخرة لا يكونُ مثلُها في بيتنا سريعاً ، فجئتُ بأنواعٍ كثيرة من الطعام فوضعتُهُ بين يديه ، فمدَّ يده وأخذ لُقْمةً فرفعها إلىٰ فيه ، فرأيتُهُ يَلُوكُها ولا يَزْدَرِدُها ، فخرج وما كلَّمني ، فلمَّا كان الغدُ لَقِيته ، فقلت يا عمِّ ؛ سَرَرْتني ثمَّ نغَّصتَ عليَّ ، فقال : أمَّا الفاقة فكانت شديدةً ، وقد اجتهدتُ أن أنال من الطعام الذي قدَّمتَهُ إليَّ ، ولـٰكن بيني وبين الله علامة إذا لم يكنِ الطعامُ عند الله مرضياً ارتفع إلىٰ أنفي [منهُ زفرةٌ] ، فلم تقبله نفسي ، فقد رَمَيتُ بتلك اللُّقمة في دِهْليزكم وخرجت) ، وأورد القشيري نحو هـٰذه القصَّة في « رسالته » (ص١٢٠) ، وذكر أنَّهُ دعاه مرة أخرىٰ ، فقدَّم إليه كِسَراً كانت عنده ، فأكل وقال : (إذا قدَّمت إلىٰ فقيرٍ شيئاً . . فقدِّم مثلَ هـٰذا) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧١) ، ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٥٧) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٢٦) بلفظ : (الورع أن تتورَّع عن كلِّ ما سوى الله)

وقالَ أبو سُلَيمانَ الدارانيُّ : (الوَرَعُ أوَّلُ الزُّهْدِ ، كما أنَّ القناعةَ طَرَفٌ مِنَ الرِّضا)[1]

وقالَ يحيى بنُ مُعاذٍ الرازيُّ : (الوَرَعُ الوقوفُ على حدِّ العلمِ مِنْ غيرِ تأويلٍ)[2]

سُئِلَ الخَوَّاصُ عنِ الوَرَعِ ، فقالَ : ألَّا يتكلَّمَ العبدُ إلا بالحقِّ ، غَضِبَ أو رَضِيَ ، وأنْ يكونَ اهتمامُهُ بما يُرضِي اللهَ[3]

(١٤٠) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، عن أبي بكرِ بنِ خَلَفٍ إجازةً[4] ، عنِ السُّلَميِّ قالَ : سمعتُ الحسنَ بنَ أحمدَ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ داودَ الدِّينَوَريَّ يقولُ سمعتُ ابنَ الجلَّا يقولُ : (أعرفُ مَنْ أقامَ بمكَّةَ ثلاثينَ سنةً لم يشربْ مِنْ ماءِ زمزمَ إلا ما استقاهُ برَكْوتِهِ ورِشَائِهِ ، ولم يتناولْ مِنْ طعامٍ جُلِبَ مِنْ مِصْرٍ شيئاً)[5]

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٣٤٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٥٧) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٨٣٣) .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٤٨) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٣٢٦) .

(٣) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٢٨٥) ، ومن طريقه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٦٠) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/ ٨) .

(٤) سقط التصريح بالإجازة من (أ ، د) .

(٥) رواه من طريق السلمي البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٥٠) ، و« الشعب » (٥٤٠٢) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٢٦ـ٣٢٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٨٩) ، وقولُهُ : (جُلِبَ من مِصْرٍ) ؛ يعني : لا يأكل الطعام الذي جاء من سائر البلاد والمدن .

وقالَ الخَوَّاصُ (الوَرَعُ دليلُ الخوفِ ، والخوفُ دليلُ المعرفةِ ، والمعرفةُ دليلُ القُرْبةِ)[1]

قولهم في الزهد

قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (الزهدُ : خُلُوُّ الأيدي مِنَ الأملاكِ ، والقلوبِ مِنَ التتبُّعِ)[2]

وسُئِلَ الشِّبْليُّ عنِ الزهدِ ، فقالَ لا زهدَ في الحقيقةِ ؛ لأنَّهُ إمَّا أنْ يَزهَدَ فيما ليسَ لهُ ، فليسَ ذلكَ بزهدٍ ، أو يَزهَدَ فيما هوَ لهُ ، فكيفَ يَزهَدُ فيهِ وهوَ معَهُ وعندَهُ ؟! فليسَ إلا ظَلْفُ النَّفْسِ وبَذْلٌ ومُوَاساةٌ[3]

يُشيرُ : إلى الأقسامِ التي سَبَقَ بها الأقلامُ ، وهـٰذا لوِ اطَّردَ لَهَدَمَ قاعدةَ الاجتهادِ والكسبِ ، ولـٰكنَّ مقصودَ الشِّبْليِّ : أنْ يُقلِّلَ الزهدَ في عينِ المُعتدِّ بالزهدِ ؛ لئلا يغترَّ بالزهدِ

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا رَأَيْتُمُ ٱلرَّجُلَ قَدْ أُوتِيَ زُهْداً فِي ٱلدُّنْيَا وَمَنْطِقاً . فَٱقْرُبُوا مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ يُلَقَّى ٱلْحِكْمَةَ »[4]

---

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٤٤) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٩) ، وأبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٢) ، وفيه : (من الطمع) بدل (من التتبع) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٠) ، والظَّلْف : المنع والكف ، وفي (أ ، ب) : (صلف النفس) بدل (ظلف النفس) ، وفي (د) : (خلاف النفس) .

(٤) رواه ابن ماجه (٤١٠١) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٦٩٠) عن سيدنا أبي خلَّاد رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٨٨٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٦٣١) ، ومن طريق الطبراني أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣١٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيها جميعاً : (وقلة منطق) بدل =

وقد سمَّى اللهُ تعالى الزاهدينَ علماءَ في قصَّةِ قارونَ ؛ فقالَ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾ [القصص : ٨٠] ؛ قيلَ : همُ الزاهدونَ(١)

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (للعقلِ ألفُ اسمٍ ، ولكلِّ اسمٍ منهُ ألفُ اسمٍ ، وأوَّلُ كلِّ اسمٍ منهُ تركُ الدنيا) .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ﴾ [السجدة : ٢٤] ؛ قيلَ : عنِ الدنيا(٢)

وفي الخبرِ : « ٱلْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ ٱلرُّسُلِ ، مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي ٱلدُّنْيَا ، فَإِذَا دَخَلُوا فِي ٱلدُّنْيَا فَٱحْذَرُوهُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ »(٣)

وجاءَ في الأثرِ : « لَا تَزَالُ (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) تَدْفَعُ عَنِ ٱلْعِبَادِ سَخَطَ ٱللهِ ، مَا لَمْ يُبَالُوا مَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاهُمْ معَ سلامةِ دينِهِم ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ(٤) وَقَالُوا :

= (ومنطق) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٨٤٠)

(١) أورده الفيروزابادي في « تنوير المقباس من تفسير ابن عباس » (ص٣٣١) ، وأبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦٨٠)

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٠/ ١٩٥) من تفسير وكيع رحمه الله تعالىٰ ، والدينوري المالكي في « المجالسة وجواهر العلم » (١٢١٦) من تفسير الحسن بن صالح بن حي رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « النكت والعيون » (٤/ ٣٦٦) ، و« الدر المنثور » (٦/ ٥٥٦) .

(٣) رواه الديلمي في « الفردوس » (٤٢١٠) ، والرافعي في « تاريخ قزوين » (٢/ ٤٤٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٦/ ١٢٥-١٢٦) ، و« غنية العارف » (٢/ ٨٤١)

(٤) أي : بالوا ما نقص من دنياهم . من هامش (ح) .

(لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) . . قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : كَذَبْتُمْ ، لَسْتُمْ بِهَا صَادِقِينَ »[١]

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (أعمالُ البِرِّ كلُّها في موازينِ الزُّهَّادِ ، وثوابُ زُهْدِهِم زيادةٌ لهُم)[٢]

وقيلَ : (مَنْ سُمِّيَ باسمِ الزهدِ في الدنيا . . فقد سُمِّيَ بألفِ اسمِ محمودٍ ، ومَنْ سُمِّيَ باسمِ الرَّغْبةِ في الدنيا . . فقد سُمِّيَ بألفِ اسمِ مذمومٍ)[٣]

وقالَ السَّرِيُّ رحمَهُ اللهُ : (الزهدُ : تركُ حُظُوظِ النَّفْسِ مِنْ جميعِ ما في الدنيا) ، ويجمعُ هـٰذا : الحُظُوظَ الماليَّةَ والجاهيَّةَ ، وحُبَّ المنزلةِ عندَ الناسِ ، وحُبَّ المَحْمَدةِ والثناءِ مِنَ الخَلْقِ .

وسُئِلَ الشِّبْليُّ عنِ الزهدِ وعن حقيقتِهِ ، فقالَ الزهدُ غَفْلةٌ ؛ لأنَّ الدنيا لا شيءَ ، والزُّهْدُ في لا شيءَ غَفْلةٌ[٤]

وقالَ بعضُهُم (لمَّا رَأَوْا حقارةَ الدنيا زَهِدُوا في زهدِهِم في الدنيا ؛ لهوانِها عندَهُم)[٥]

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٩٠) ، وابن أبي الدنيا في « العقوبات » (٦) ، وابن أبي عاصم في « الزهد » (٢٨٨) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٠١٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، والبزار في « المسند » (٨٣٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٨٤٣) .
(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٢٤٣) ط . دار صادر .
(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٢) .
(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٣) .
(٥) انظر « اللمع » (ص٧٣) .

قالَ الشيخُ رحمَهُ اللهُ : وعندي أنَّ الزهدَ في الزهدِ غيرُ هـٰذا ، وإنَّما الزهدُ في الزهدِ بالخروجِ مِنَ الاختيارِ في الزهدِ ؛ لأنَّ الزاهدَ اختارَ الزهدَ وأرادَهُ ، وإرادتُهُ تستندُ إلىٰ علمِهِ ، وعلمُهُ قاصرٌ ، فإذا أُقِيمَ في مُقامِ تركِ الإرادةِ وانسلخَ مِنِ اختيارِهِ . كاشفَهُ اللهُ تعالىٰ بمُرادِهِ ، فيتركُ الدنيا بمُرادِ الحقِّ لا بمُرادِ نَفْسِهِ ، فيكونُ زُهْدُهُ باللهِ تعالىٰ حينَئذٍ ، أو يعلمُ أنَّ مُرادَ اللهِ منهُ التَّلَبُّسُ بشيءٍ مِنَ الدنيا ، فما يدخلُ باللهِ في شيءٍ مِنَ الدنيا لا يَنقُضُ عليهِ زهدَهُ ، فيكونُ دخولُهُ في الشيءِ مِنَ الدُّنْيا باللهِ وبإذنٍ منهُ زهداً في الزهدِ .

والزاهدُ في الزهدِ استوىٰ عندَهُ وجودُ الدنيا وعدمُها ؛ إن تركَها تركَها باللهِ ، وإنْ أخذَها أخذَها باللهِ ، وهـٰذا هوَ الزهدُ في الزهدِ ، وقد رَأَيْنا مِنَ العارفينَ مَنْ أُقِيمَ في هـٰذا المُقامِ .

وفوقَ هـٰذا المقامِ مقامٌ آخَرُ في الزهدِ ؛ وهوَ لمَنْ يَرُدُّ الحقُّ إليهِ اختيارَهُ لسَعَةِ علمِهِ وطهارةِ نَفْسِهِ في مقامِ البقاءِ ، فيزهَدُ زهداً ثالثاً ، ويتركُ الدنيا بعدَ أنْ مُكِّنَ مِنْ ناصيتِها ، وأُعِيدَتْ عليهِ موهبةً ، ويكونُ تركُهُ للدنيا في هـٰذا المقامِ باختيارِهِ ، واختيارُهُ مِنِ اختيارِ الحقِّ

فقد يختارُ تركَها حِيناً ؛ تأسِّياً بالأنبياءِ والصالحينَ ، ويرىٰ أنَّ أخذَها في مقامِ الزهدِ في الزهدِ رِفْقٌ أُدخِلَ عليهِ لمَوضِعِ ضعفِهِ عن دركِ شَأْوِ الأقوياءِ مِنَ الأنبياءِ والصِّدِّيقينَ[١] ، فيتركُ الرِّفْقَ مِنَ الحقِّ بالحقِّ للحقِّ .

وقد يتناولُهُ باختيارِهِ ؛ رِفْقاً بالنَّفْسِ بتدبيرٍ يَسُوسُهُ فيهِ صريحُ العلمِ ،

---

(١) الشَّأْو : الغاية والنهاية .

وهـٰذا مقامُ التصرُّفِ لأقوياءِ العارفينَ ؛ زَهِدُوا ثالثاً باللهِ ، كما رَغِبُوا ثانياً باللهِ ، كما زَهِدُوا أوَّلاً للهِ صدقاً وإخلاصاً[1]

قولهم في الصبر

قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ : (الصبرُ : انتظارُ الفرجِ مِنَ اللهِ ، وهوَ أفضلُ الخِدْمةِ وأَعْلاها)[2]

وقالَ بعضُهُمْ : (الصبرُ : أنْ تصبرَ في الصبرِ) ؛ أي : لا تُطالِعَ فيهِ الفرجَ[3]

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وقيلَ : (لكلِّ شيءٍ جوهرٌ ، وجوهرُ الإنسانِ العقلُ ، وجوهرُ العقلِ الصبرُ)[4]

فالصبرُ عَرْكُ النَّفْسِ ، وبالعَرْكِ تَلِينُ ، والصبرُ جارٍ في الصابرِ مَجْرى الأنفاسِ ؛ لأنَّهُ يحتاجُ إلى الصبرِ عن كلِّ شيءٍ مَنْهِيٍّ ومكروهٍ ومذمومٍ ظاهراً

---

(١) قوله : (صدقاً وإخلاصاً) زيادة من (و) ، وهي في نسخة علىٰ هامش (أ) بعد قوله (ثانياً بالله) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٠) ، وجاء في بعض النسخ : (الفرح) بدل (الفرج) .

(٣) أورده مع التفسير الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٠) .

(٤) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٠٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣٥٨) .

وباطناً ، والعلمُ يَدُلُّ والصبرُ يقبلُ ، ولا تنفعُ دَلالةُ العلمِ بغيرِ قَبولِ الصبرِ ، ومَنْ كانَ العلمُ سائسَهُ في الظاهرِ والباطنِ . . لا يَتِمُّ لهُ ذلكَ إلا إذا كانَ الصبرُ مُستقرَّهُ ومَسكنَهُ .

والعلمُ والصبرُ مُتلازِمانِ كالرُّوحِ والجسدِ ، لا يَستقِلُّ أحدُهُما بدونِ الآخرِ ، ومصدرُهُما الغَريزةُ العقليَّةُ ، وهما مُتقارِبانِ ؛ لاتِّحادِ مصدرِهِما ، وبالصبرِ تحاملٌ على النَّفْسِ ، وبالعلمِ تَرَقٍّ إلى الرُّوحِ ، وهما البرزخُ والفُرْقانُ بينَ الرُّوحِ والنَّفْسِ[1] ؛ ليستقرَّ كلُّ واحدٍ منهُما في مُستقَرِّهِ ، وفي ذلكَ صريحُ العَدْلِ وصِحَّةُ الاعتدالِ ، وبانفصالِ أحدِهِما عنِ الآخَرِ ـ أعني : العلمَ والصبرَ ـ مَيْلُ أحدِهِما على الآخرِ ؛ أعني : النَّفْسَ والرُّوحَ ، وبيانُ ذلكَ يَدِقُّ

وناهيكَ بشَرَفِ الصَّبْرِ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] !! كلُّ أجيرٍ أجرُهُ بحسابٍ ، وأجرُ الصابرِ بغيرِ حسابٍ .

وقالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ عليهِ السلامُ : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] ؛ أضافَ الصبرَ إلىٰ نَفْسِهِ ؛ لشريفِ مكانِهِ وتكمُّلِ النعمةِ بهِ .

قيلَ وَقَفَ رجلٌ على الشِّبْليِّ ، فقالَ أيُّ صبرٍ أَشَدُّ على الصابرينَ ؟

---

(١) البرزخ في الأصل هو الحائل بين الشيئين ، ويُعبَّرُ عنه عن عالَم المثال الحاجز بين الأجسام الكثيفة وعالَمِ الأرواح المُجرَّدة ؛ أعني : الدنيا والآخرةَ ؛ ومنه الكشفُ الصُّوري من « الاصطلاحات » ، والفُرْقان : هو العِلْم التفصيليُّ الفارق بين الحقِّ والباطل . من هامش (ح) .

فقالَ : الصبرُ في اللهِ(١) ، فقالَ : لا ، فقالَ : الصبرُ للهِ(٢) ، فقالَ : لا ، فقالَ : الصبرُ معَ اللهِ(٣) ، فقالَ : لا

فغَضِبَ الشِّبْليُّ وقالَ وَيْحَكَ أَيْشٍ هوَ ؟ فقالَ الرجلُ : الصبرُ عنِ اللهِ(٤) ، قالَ : فصَرَخَ الشِّبْليُّ صرخةً كادَ أنْ يَتْلَفَ رُوحُهُ(٥)

وعندي في معنى الصبرِ عنِ اللهِ وجهٌ ، ولكونِهِ مِنْ أشدِّ الصبرِ على الصابرينَ وجهٌ ؛ وذلكَ أنَّ الصبرَ عنِ اللهِ يكونُ في أَخَصِّ مقاماتِ

---

(١) هو الثبات في سلوك طريق الحقِّ ، وتوطينُ النَّفْس من المجاهدة بالاختيار وتركِ المألوفات واللَّذَّات ، وتحمُّلِ البَلِيَّات ، وقوَّةُ العزيمة في التوجُّه إلىٰ مَنْبَع الكمالات ، وهو من مقام السالكين ، [يَهَبُهُ اللهُ] لِمَنْ يشاء من فضله من أهل الطريقة . من هامش (ح) .

(٢) هو من لوازم الإيمان ، وأول درجات أهل الإسلام ، وقال النبيُّ عليه السلام : « الإيمانُ نصفان ؛ نصفٌ صبرٌ ، ونصف شكرٌ » ؛ وهو حبسُ النفس عن الجزع عند فوات مرغوبٍ أو وقوع مكروهٍ ، وهو من فضائل الأخلاق الموهوبة من فضل الله لأهل دينه وطاعته المُقتضي للثواب الجزيل . من هامش (ح) .

(٣) هو لأهل الحضور والكشفِ عند التجرُّدِ [عن] ملابس الأفعال [والصفات] ، والتعرُّضِ لتجلِّيات الجمال والكمال ، [وتواردِ] واردات الأُنْس والهَيْبة ، فهو بحضور القلب لِمَنْ كان له قلبٌ ، والاحتراسِ عن الغفلة والغَيبة عند التلوينات لظهور النفس ، وهو أَشَقُّ على النفس من الضرب على الهامِ وإن كان لذيذاً جدّاً . من هامش (ح) .

(٤) هو لأهل العِيان والمشاهدة من العُشَّاق المشتاقينَ المُتقلِّبينَ في أطوار التجلِّي ، المُتَخَلِّفين عن الناسوت ، المُتنوِّرين بنور اللاهوت ، ما بقي لهم قلبٌ ولا وصف ، [كلَّما] لاح لهم نورٌ من سُبُحات أنوار الجمال . . احترقوا وتفانَوا ، وكلَّما ضُرِبَ بهم حجابٌ ورَّد وجودهم تشريفاً وتعظيماً . . ذاقوا مِنْ أَلَمِ الشوقِ وحركة الفُرْقة ما يُحِيلُ به صبرَهُم ويُحقِّق موتَهُم ، وهو [من] أحوال المُحبِّين . من هامش (ح)

(٥) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٤٤١) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٦) .

المُشاهَدةِ ، يرجعُ العبدُ عن مَوْلاهُ استحياءً وإجلالاً ، وتنطبقُ بصيرتُهُ خَجَلاً وذَوَباناً، ويتغيَّبُ في مَفاوزِ استكانتِهِ وتَخَفِّيهِ ؛ لإحساسِهِ بعظيمِ أمرِ التَّجَلِّي .

وهٰذا مِنْ أشدِّ الصبرِ ؛ لأنَّهُ يَوَدُّ استدامةَ هٰذا الحالِ ؛ تأديةً لحقِّ الجلالِ ، والرُّوحَ تَوَدُّ أنْ تكتحلَ بصيرتُها باسْتِلْماعِ نُورِ الجمالِ ، وكما أنَّ النَّفْسَ مُنازِعةٌ لعمومِ حالِ الصبرِ . فالرُّوحُ في هٰذا الصبرِ مُنازِعةٌ ، فاشتدَّ **الصبرُ عنِ اللهِ تعالىٰ لذلكَ**

وقالَ أبو الحسنِ بنُ سالمٍ : (هم ثلاثةٌ : مُتصبِّرٌ ، وصابرٌ ، وصَبَّارٌ ؛ **فالمُتصبِّرُ** : مَنْ صَبَرَ في اللهِ ؛ فمرَّةً يصبرُ ، ومرَّةً يجزعُ[(١)]

والصابرُ مَنْ يصبرُ في اللهِ وللهِ ، ولا يجزعُ ، ولٰكن يُتوقَّعُ منهُ الشَّكْوىٰ ، وقد يُمكِنُ منهُ الجَزَعُ .

وأمَّا الصَّبَّارُ ؛ فذلكَ الذي صبرُهُ في اللهِ وللهِ وباللهِ ، فهٰذا لو وَقَعَ عليهِ جميعُ البلايا لا يجزعُ ولا يتغيَّرُ مِنْ جهةِ الوجوبِ والحقيقةِ ، لا مِنْ جهةِ الرَّسْمِ والخِلْقةِ)[(٢)]

وإشارتُهُ في هٰذا : إلىٰ ظهورِ حُكْمِ العلمِ فيهِ معَ ظهورِ صفةِ الطَّبيعةِ[(٣)]

وكانَ الشِّبْليُّ يتمثَّلُ بهٰذَينِ البيتَينِ[(٤)] : [من الخفيف]

---

(١) في (د ، ي) و« اللمع » : (يَعجِز) .
(٢) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٦ـ٧٧)
(٣) في (ب) (بقية صفة الطبيعة) بدل (صفة الطبيعة)
(٤) عزا السلمي البيت الثاني في « تفسيره » (٢/ ١٩٤) إلىٰ ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ ، وروى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٤٣٤) عن ذي النون المصري أنه=

إِنَّ صَوْتَ ٱلْمُحِبِّ مِنْ أَلَمِ ٱلشَّوْ ـقِ وَخَوْفِ ٱلْفِرَاقِ يُورِثُ ضُرَّا
صَابَرَ ٱلصَّبْرَ فَٱسْتَغَاثَ بِهِ ٱلصَّبْـ ـرُ فَصَاحَ ٱلْمُحِبُّ لِلصَّبْرِ صَبْرَا[١]

قالَ جعفرٌ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُ : (أَمَرَ اللهُ تعالىٰ أنبياءَهُ بالصبرِ ، وجعلَ الحظَّ الأَعْلىٰ للرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ حيثُ جعلَ صبرَهُ باللهِ لا بنَفْسِهِ ؛ فقالَ : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧])[٢]

وسُئِلَ السَّرِيُّ رحمَهُ اللهُ عنِ الصبرِ ، فتكلَّمَ فيهِ ، فدَبَّ علىٰ رِجْلِهِ عقربٌ ، فجعلَ يضربُهُ بإبرتِهِ ، فقيلَ لهُ : لمَ لا تدفعُهُ ؟ قال أستحيي مِنَ اللهِ أنْ أتكلَّمَ في حالٍ ثمَّ أُخالِفَ ما أتكلَّمُ فيهِ[٣]

= كان له عصاً مكتوبٌ عليها هـٰذان البيتان ، وزاد قبلهما :

عَبَـراتٌ كَتَبْـنَ فـي الخـدِّ سَطْـرَا قـد قَـرَاهُ مَـنْ ليسَ يُحسِـنُ يَقْـرَا

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٧) ، وزاد بيتاً ذكرته في التعليق السابق .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٧٩) إلىٰ قوله : (للرسول صلى الله عليه وسلم) ، ونسب الباقي إلىٰ سهل التستري رحمه الله تعالىٰ ، وبداية قوله : (واعلم : أنه لا معين على الصبر إلا الله ؛ حيث جعل صبره . . .) ، فما أورده المؤلف مُركَّبٌ من قولين ، والصبر بالله : هو لأهل التمكين في مقام الاستقامة الذين أفناهم اللهُ بالكُلِّيَّة وما ترك عليهم شيئاً من بقيَّة الإنِّيَّة والاثْنِينِيَّة ، ثمَّ وهب [لهم] وجوداً من [ذاته] حتىٰ قاموا به وفعلوا بصفاته ، وهو من أخلاق الله تعالىٰ ليس لأحد فيه نصيب ؛ ولهـٰذا أمره به ، ثمَّ بَيَّنَ أنَّ ذلك الصبرَ الذي أمرتُ به ليس من سائر أقسام الصبر حتىٰ يكونَ بنفسك أو بقلبك ، بل هو صبري ؛ لا [تُباشِرُهُ] إلا بي ، ولا [تُطِيقُهُ] إلا [بقوَّتي] ، ولعدم وفاء قوَّتِهِ بهـٰذا الصبر قال « شيَّبتني سورةُ هودٍ » ، ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الحجر : ٨٨] بالتلوين بظهور القلب بصفته ؛ لأنَّ صاحبَ هـٰذا الصبر يرى الأشياءَ بعين الحقِّ ؛ فكلُّ ما يَصدُرُ عنهم يراه فعلَ الله ، [وكلُّ] صفة تظهر عليهم تَجَلِّياً من تجلِّياته من هامش (ح) .

(٣) سبق تخريجه في (٢/ ١١١) .

(١٤١) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً[١] ، عن أبي بكرِ بنِ خَلَفٍ إجازةً ، عن أبي عبدِ الرحمٰنِ السُّلَميِّ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ خالدٍ يقولُ : سمعتُ الفَرْغانيَّ يقولُ : سمعتُ الجُنيدَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ أَكْرمَ المُؤمنينَ بالإيمانِ ، وأَكْرمَ الإيمانَ بالعقلِ ، وأَكْرمَ العقلَ بالصبرِ ؛ فالإيمانُ زينُ المؤمنِ ، والعقلُ زينُ الإيمانِ ، والصبرُ زينُ العقلِ)[٢]

وأُنشِدَ عن إبراهيمَ الخوَّاص رحمَهُ اللهُ[٣] : [من الطويل]

صَبَرْتُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَذَىٰ خَوْفَ كُلِّهِ ... وَدَافَعْتُ عَنْ نَفْسِي لِنَفْسِي فَعَزَّتِ
وَجَرَّعْتُهَا ٱلْمَكْرُوهَ حَتَّىٰ تَدَرَّبَتْ ... وَلَوْ لَمْ أُجَرِّعْهَا إِذاً لَٱشْمَأَزَّتِ
أَلَا رُبَّ ذُلٍّ سَاقَ لِلنَّفْسِ عِزَّةً ... وَيَا رُبَّ نَفْسٍ بِٱلتَّذَلُّلِ عَزَّتِ
إِذَا مَا مَدَدْتُ ٱلْكَفَّ أَلْتَمِسُ ٱلْغِنَىٰ ... إِلَىٰ غَيْرِ مَنْ قَالَ ٱسْأَلُونِي فَشَلَّتِ
سَأَصْبِرُ جَهْدِي إِنَّ فِي ٱلصَّبْرِ عِزَّةً ... وَأَرْضَىٰ بِدُنْيَايَ وَإِنْ هِيَ قَلَّتِ
وَمَا ٱلنَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا ٱلْفَتَىٰ ... فَإِنْ أُطْمِعَتْ تَاقَتْ وَإِلَّا تَسَلَّتِ

قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ : (ما أَنْعَمَ اللهُ علىٰ عبدٍ مِنْ نعمةٍ ثمَّ انتزعَها منهُ ، فعاضَهُ ممَّا انتزعَ منهُ الصبرَ . . إلا كانَ ما عاضَهُ خيراً ممَّا انتزعَ منهُ)[٤]

---

(١) سقط التصريح بالإجازة من بعض النسخ ، وكذلك في الراوي بعدُ .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، ج ، ح) : (دين) بدل (زين) في المواضع الثلاثة .

(٣) نقل الأبيات الرافعي في « التدوين » (٢/ ٩٩) بإسناد السلمي في كتابه « المقامات » إلى الخوَّاص ، وأوردها ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧١/ ٢٥) ، وروى الأبيات الثلاثة الأولى السلمي في « آداب الصحبة » (٤٩) من إنشاد عبد الحميد بن عبد الرحمٰن القاضي ، ويُروى البيت الأخير لسيدنا عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الصبر والثواب عليه » (٢٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » =

وأُنشِدَ لسُمْنونٍ[1] : [من الطويل]

تَجرَّعْتُ مِنْ حَالَيْهِ نُعْمَىٰ وَأَبْؤُسَا زَمَانٌ إِذَا أَجْرَىٰ عَزَالَيْهِ إِحْتَسَىٰ[2]
فَكَمْ غَمْرَةٍ قَدْ جَرَّعَتْنِي كُؤُوسَهَا فَجَرَّعْتُهَا مِنْ بَحْرِ صَبْرِيَ أَكْؤُسَا
تَدَرَّعْتُ صَبْرِيَ وَٱلْتَحَفْتُ صُرُوفَهُ وَقُلْتُ لِنَفْسِي ٱلصَّبْرَ أَوْ فَٱهْلِكِي أَسَىٰ
خُطُوبٌ لَوَ ٱنَّ ٱلشُّمَّ زَاحَمْنَ خَطْبَهَا لَسَاخَتْ وَلَمْ تُدْرِكْ لَهَا ٱلْكَفُّ مَلْمَسَا[3]

قولهم في الفقر

قالَ ابنُ الجَلَّا : (الفقرُ : أَلَّا يكونَ لكَ ، فإذا كانَ لا يكونُ لكَ)[4] ؛ يعني : تُؤْثِرُهُ

وقالَ الكَتَّانيُّ (إذا صحَّ الافتقارُ إلى اللهِ .. صحَّ الغِنىٰ باللهِ تعالىٰ ؛ لأنَّهما حالانِ لا يَتِمُّ أحدُهُما إلا بالآخَرِ)[5]

= (٥/ ٢٩٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٥٦٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٣٠-٢٣١)

(١) أورد الأبيات الكلاباذي في « التعرف » (ص١١١)

(٢) قوله : (زمان) ضبطت في (و) بالنصب منونة ، وأشير إلىٰ نسخة في الهامش مضبوطة بالجر والرفع منونة ، والعَزَالين : مُثنَّىٰ (عَزْلاء) ، والجمع : (عَزَالي) و(عَزَالَىٰ) ؛ وهي فمُ المزادة الأسفل ، وانظر « حسن التصرف » (ق/ ٩٩) .

(٣) الشُّمُّ : جمع (أَشَمَّ) ؛ وهو الجبل العالي .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٥) ، والكلاباذي في « التعرف » (ص١١٢) ، وزاد السرَّاج : (ومِنْ حيثُ لم يكن لك لم يكن لك) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٥٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٢٥٧) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٢) ، وهو في « الرسالة القشيرية » (ص٥٧٣) مروي عن الجنيد أو الفرغاني رحمهما الله تعالىٰ

وقالَ النُّوريُّ : (نعتُ الفقيرِ : السُّكُونُ عندَ العَدَمِ ، والبَذْلُ عندَ الوجودِ)[1]

وقالَ غيرُهُ : (والاضطرابُ عندَ الوجودِ)[2]

وقالَ الدَّرَّاجُ : فتَّشتُ كِنْفَ أُسْتاذي أُرِيدُ مُكْحُلَةً[3] ، فوجدتُ فيها قطعةً[4] ، فتحيَّرتُ ، فلمَّا جاءَ قلتُ لهُ : إنِّي وجدتُ في كِنْفِكَ قطعةً ، قالَ : قد رأيتَها ؟! رُدَّها ، ثمَّ قالَ : خُذْها واشترِ بها شيئاً ، فقلتُ : ما كانَ أمرُ هـٰذهِ القطعةِ بحقِّ معبودِكَ ؟ فقالَ ما رَزَقَني اللهُ مِنَ الدنيا صَفْراءَ ولا بيضاءَ غيرَها ، فأردتُ أنْ أُوصِيَ أنْ تُشَدَّ في كَفَني فأَرُدَّها إلى اللهِ[5]

قالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ : (الفقرُ رداءُ الشَّرَفِ ، ولباسُ المُرسلينَ ، وجِلْبابُ الصالحينَ)[6]

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (١٢٥٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٧٨) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٢) ، وعزاه السلمي في « تفسيره » (١/ ٢٧٩) إلىٰ إبراهيم الخواص رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٤٣٠) عن أبي سعيد بن الأعرابي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) الكِنْف في الأصل : وعاء تكون فيه أداة الراعي ، وبتصغيره جاء الأثر : (كُنَيفٌ مُلِئَ عِلْماً) .

(٤) في « التعرف » : (قطعة فضة) .

(٥) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٢- ١١٣) ، وفي (ج) : (يُسَد) بدل (تُشَد)

(٦) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٤) ، وبنحوه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٥٨) ، وزاد السرَّاج : (وتاج المُتَّقين ، وزَيْنُ المؤمنين ، وغنيمة العارفين ، ومُنية المريدين ، وحِصْن المطيعين ، وسجن المذنبين ، ومُكفِّرٌ للسيِّئات ، =

وسُئِلَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ عنِ الفقيرِ الصادقِ ، فقالَ لا يسألُ ، ولا يَرُدُّ ، ولا يحبسُ[1]

وقالَ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ رحمَهُ اللهُ : سألَني الزَّقَّاقُ فقالَ يا أبا عليٍّ ؛ لِمَ تَرَكَ الفقراءُ أَخْذَ البُلْغةِ في وقتِ الحاجةِ[2] ؟ قالَ : قلتُ : لأنَّهُم مُستغنُونَ بالمُعطِي عنِ العطايا ، قالَ : نعم ، ولٰكنْ وَقَعَ لي شيءٌ آخَرُ ، فقلتُ هاتِ أَفِدْني ما وَقَعَ لكَ ، قالَ : لأنَّهُم قومٌ لا ينفعُهُمُ الوجودُ ؛ إذِ اللهُ فاقتُهُم ، ولا تَضُرُّهُمُ الفاقةُ ؛ إذِ اللهُ وجودُهُم[3]

قالَ بعضُهُمْ : (الفقرُ : وقوفُ الحاجةِ على القلبِ ، ومَحْوُها عمَّا سوى الرَّبِّ)

وقالَ المُسُوحيُّ : (الفقيرُ : الذي لا تُغنِيهِ النِّعَمُ ، ولا تُغيِّرُهُ المِحَنُ)

وقالَ يحيى بنُ مُعاذٍ (حقيقةُ الفقرِ ألَّا يستغنيَ إلا باللهِ ، ورسمُهُ : عَدَمُ الأسبابِ كلِّها)[4]

وقالَ أبو بكرٍ الطُّوسيُّ : بَقِيتُ مُدَّةً أسألُ عن معنى اختيارِ أصحابِنا لهٰذا

= ومُعظِمٌ للحسنات ، ورافع للدرجات ، ومُبلِغٌ إلى الغايات ، ورضا الجبَّار ، وكرامةٌ لأهل ولايته من الأبرار ، والفقرُ هو شعار الصالحين ، ودأب المتقين) ، وزاد أيضاً الخركوشي مع اختلاف كثير مع عبارة « اللمع »

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٥) ، وروى القشيري في « الرسالة » (ص٤٠٨) أنَّهُ قاله في علامة المُتوكِّل

(٢) البُلْغة ما يُتبلَّغُ به من العيش ، وتَبَلَّغَ بكذا ؛ أي اكتفى به . « صحاح » . من هامش (ح)

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٤ـ٧٥)

(٤) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٥٧٢)

الفقرِ علىٰ سائرِ الأشياءِ ، فلم يُجبْني أحدٌ بجوابٍ يُقنِعُني ، حتىٰ سألتُ نصرَ ابنَ الحَمَّاميِّ ، فقالَ لي لأنَّهُ أوَّلُ منزلٍ مِنْ منازلِ التوحيدِ ، فقَنَعْتُ بذلكَ(١)

وسُئِلَ ابنُ الجَلَّا عنِ الفقرِ ، فسَكَتَ حتىٰ صلَّىٰ ، ثمَّ ذهبَ ورَجَعَ ، ثمَّ قالَ : إنَّني لم أسكتْ إلا لدرهمٍ كانَ عندي ، فذهبتُ وأخرجتُهُ ، واستحيَيْتُ مِنَ اللهِ أنْ أتكلَّمَ في الفقرِ وعندي درهمٌ ، ثمَّ جلسَ وتكلَّمَ(٢)

قالَ أبو بكرِ بنُ طاهرٍ : (مِنْ حُكْمِ الفقيرِ : ألَّا يكونَ لهُ رغبةٌ ، فإنْ كانَ ولا بُدَّ لا تُجاوِزُ رغبتُهُ كفايتَهُ)(٣)

قالَ فارسٌ : قلتُ لبعضِ الفقراءِ مرَّةً ورأيتُ عليهِ أَثَرَ الجوعِ والضُّرِّ : لِمَ لا تسألُ الناسَ فيُطعِمُوكَ ؟ فقالَ أخافُ أنْ أسألَهُم فيمنعُوني ، فلا يُفلِحوا(٤)

وأُنشِدَ لبعضِهِم(٥) [من البسيط]

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٥) .

(٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٥٧٥ ـ ٥٧٦) ، وأورده مختصراً الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٥٨) .

(٣) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٣٩٤) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٣٢٥٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨١) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٣) ، ولعلَّهُ أراد ما رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٢٩٤) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً : « لولا أنَّ المساكينَ يكذبونَ ما أفلحَ مَنْ رَدَّهم » ، ورمز السيوطي في « الجامع الصغير » إلىٰ ضعفه ، وانظر « فيض القدير » (٥/ ٣٤١)

(٥) روى الأبياتَ الكلاباذيُّ في « التعرف » (ص١١٣) عن النوري رحمه الله تعالىٰ ، =

قَالُوا غَدًا ٱلْعِيدُ مَاذَا أَنْتَ لَابِسُهُ ... فَقُلْتُ خِلْعَةَ سَاقٍ عَبْدَهُ جُرَعَا[1]
فَقْرٌ وَصَبْرٌ هُمَا ثَوْبَانِ تَحْتَهُمَا ... قَلْبٌ يَرَىٰ رَبَّهُ ٱلْأَعْيَادَ وَٱلْجُمَعَا
أَحْرَى ٱلْمَلَابِسِ أَنْ تَلْقَى ٱلْحَبِيبَ بِهَا ... يَوْمَ ٱلتَّزَاوُرِ فِي ٱلثَّوْبِ ٱلَّذِي خَلَعَا
اَلدَّهْرُ لِي مَأْتَمٌ إِنْ غِبْتَ يَا أَمَلِي ... وَٱلْعِيدُ مَا دُمْتَ لِي مَرْأًىٰ وَمُسْتَمَعَا

قولهم في الشكر

قالَ بعضُهُمْ : (الشكرُ : هوَ الغَيبةُ عنِ الشكرِ برُؤْيةِ المُنعِمِ)[2]

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ الرازيُّ : (لستَ بشاكرٍ ما دُمْتَ تشكرُ ، وغايةُ الشكرِ التحيُّرُ ؛ وذلكَ أنَّ الشكرَ نعمةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ يجبُ الشكرُ عليها)[3]

وفي أخبارِ داودَ عليهِ السلامُ : إلٰهي ؛ كيفَ أشكرُكَ وأنا لا أستطيعُ أنْ أشكرَكَ إلا بنعمةٍ ثانيةٍ مِنْ نِعَمِكَ ؟! فأَوْحى اللهُ إليهِ : إذا عرفتَ هٰذا فقد شَكَرْتَني[4]

= وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٧٢) عن الشبلي رحمه الله تعالىٰ ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨١) عن بعضهم ، وقال بعدها : (وقيل : إنَّ هٰذه الأبيات لأبي علي الرُّوذباري) ، وليس في « التعرف » و« الحلية » تصريح واضح بأنَّها من شعر النوري والشبلي ، وهي في « ديوان الشبلي » (ص١٠٩) .

(١) في (هـ ، ح) : (أتىٰ) بدل (غدا) ، وهي رواية « الحلية » .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٨) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٨) .

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٩٧) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٥٦٦) ، وفي (د) : (من عندك) بدل (من نعمك) .

ومعنى الشكرِ في اللغةِ : هوَ الكشفُ والإظهارُ ؛ يُقال : شَكَرَ وكَشَرَ : إذا كَشَفَ عن ثَغْرِهِ وأَظْهرَهُ

فنَشْرُ النِّعَمِ وذِكْرُها وتَعدادُها باللِّسانِ مِنْ ظاهرِ الشكرِ ، وباطنُ الشكرِ أنْ يستعينَ بالنِّعَمِ على الطاعةِ ، ولا يستعينَ بها على المعصيةِ[1] ؛ فهوَ شكرُ النعمةِ

وسمعتُ شيخَنا رحمَهُ اللهُ يُنشِدُ عن بعضِهِم[2] : [من الكامل]

أَوْلَيْتَنِي نِعَماً أَبُوحُ بِشُكْرِهَا وَكَفَيْتَنِي كُلَّ ٱلْأُمُورِ بِأَسْرِهَا
فَلَأَشْكُرَنَّكَ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ فَلَتَشْكُرَنَّكَ أَعْظُمِي فِي قَبْرِهَا

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَوَّلُ مَنْ يُدْعَىٰ إِلَى ٱلْجَنَّةِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ : ٱلْحَمَّادُونَ ٱلَّذِينَ يَحْمَدُونَ ٱللهَ فِي ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ »[3]

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ ٱبْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَأُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَظُلِمَ فَغَفَرَ ، وَظَلَمَ فَٱسْتَغْفَرَ » ، قيلَ : فما بالُهُ ؟ قالَ « أُولَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ »[4]

---

(١) ويجوز أن يقرأ (يستعين) في الموضعين بالتاء أوله ، كما ضبط كذلك في بعض النسخ .
(٢) أورد البيتين الطُّرْطُوشي في « سراج الملوك » (ص٣٨٦) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .
(٣) سبق تخريجه في (٢/ ٩٧) .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٦٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧/ ١٦٣) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/ ١٩٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٤١١٧) عن سيدنا سَخبرة الأَزْدي رضي الله عنه .

قالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (فرضُ الشكرِ : الاعترافُ لهُ بالنِّعَمِ بالقلبِ واللِّسانِ)[1]

وفي الحديثِ « أَفْضَلُ ٱلذِّكْرِ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَأَفْضَلُ ٱلدُّعَاءِ ٱلْحَمْدُ لِلهِ »[2]

وقالَ بعضُ العلماءِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠] ؛ قالَ : (الظاهرةُ : العَوافي والغِنىٰ ، والباطنةُ : البلايا والفقرُ)[3] ؛ فإنَّ هـٰذهِ نِعَمٌ أُخْرويَّةٌ ؛ لِمَا يُستوجَبُ بها مِنَ الجزاءِ

وحقيقةُ الشكرِ أنْ يرىٰ جميعَ المَقْضِيِّ لهُ بهِ نِعَماً غيرَ ما يَضُرُّهُ في دِينِهِ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ لا يقضي للعبدِ المؤمنِ شيئاً إلا وهوَ نعمةٌ في حقِّهِ ؛ فإمَّا عاجلةٌ يعرفُها ويفهمُها[4] ، وإمَّا آجلةٌ بما يقضي لهُ مِنَ المَكارِهِ ، فإمَّا أنْ يكونَ درجةً لهُ ، أو تمحيصاً ، أو تكفيراً

فإذا عَلِمَ أنَّ مَوْلاهُ أنْصحُ لهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وأَعْلمُ بمصالحِهِ ، وأنَّ كلَّ ما منهُ نِعَمٌ . . فقد شَكَرَ

---

(١) أورده ابن خميس في « مناقب الأبرار » (ص ٣٧٠) ، والمجد ابن الجزري في « المختار » (٢/ ٨١) .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٣) ، وابن ماجه (٣٨٠٠) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٥٩٩) ، وابن حبان (٨٤٦) ، والحاكم (١/ ٤٩٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٥٧٠)

(٤) في (و) (ويفرح بها) بدل (ويفهمها)

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَأْسُ ٱلْحِكْمَةِ : مَخَافَةُ ٱللهِ »(١) .

ورُوِيَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « كَانَ دَاوُدُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ ٱلنَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّ بِهِ مَرَضاً ، وَمَا بِهِ مَرَضٌ إِلَّا خَوْفُ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَٱلْحَيَاءُ مِنْهُ »(٢)

قال أبو عمرٍو الدِّمَشْقيُّ : (الخائفُ : مَنْ يخافُ مِنْ نَفْسِهِ أكثرَ ممَّا يخافُ مِنَ الشيطانِ)(٣)

وقالَ بعضُهُم : (ليسَ الخائفُ مَنْ يبكي ويمسحُ عينَيهِ ، ولـٰكنَّ الخائفَ التاركُ ما يخافُ أنْ يُعذَّبَ عليهِ)(٤)

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١١٥٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٣٠) مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وأبو داود في « الزهد » (١٦٠) ، والبيهقي في « المدخل » (٧٨٦) موقوفاً علىٰ سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ٤٢١) ، و« غنية العارف » (٢/ ٨٥٣)

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٣٧) ، وتمام الرازي في « فوائده » (٢٩٢) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢/ ٥١٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٨٥٣)

(٣) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٣٥٠) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٤٣) ، وفي هامش (ح) بيتان للزمخشري ؛ وهما : (من الطويل)

إلـٰهي إليكَ المُشتكَىٰ نَفْسُ مُشتهٍ ... إلى الشَّرِّ تَدْعُوني عنِ الخيرِ تنهاني
ومـا يشتكـي الشيطـانَ إلا مُغفَّـلٌ ... أَلَا إنَّ نَفْسَ المُشتهي ألفُ شيطانِ

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨/ ٢٠٦) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب =

وقيلَ الخائفُ : الذي لا يخافُ غيرَ اللهِ[1] ، قيلَ أي : لا يخافُ لنَفْسِهِ ، إنَّما يخافُ إجلالاً لهُ ، والخوفُ للنَّفْسِ خوفُ العقوبةِ[2]

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ : (الخوفُ ذَكَرٌ ، والرجاءُ أُنْثىٰ)[3] ؛ أي : منهُما تتولَّدُ حقائقُ الإيمانِ[4]

قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ١٣١] ؛ قيلَ : هٰذهِ الآيةُ قُطْبُ القرآنِ ؛ لأنَّ مدارَ الأمرِ كلِّهِ علىٰ هٰذا[5]

وقيلَ إنَّ اللهَ تعالىٰ جَمَعَ للخائفينَ ما فَرَّقَهُ على المؤمنينَ ؛ وهوَ الهُدَىٰ والرحمةُ والعلمُ والرِّضوانُ ؛ فقالَ تعالىٰ : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٤] ، وقالَ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر ٢٨] ، وقالَ : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة : ٨] [6] .

وقالَ سهلٌ : (كمالُ الإيمانِ بالعلمِ ، وكمالُ العلمِ بالخوفِ)[7]

= الأسرار » (ص١٤٢) عن إسحاق بن خلف الزاهد رحمه الله تعالىٰ

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٦) عن رُوَيم رحمه الله تعالىٰ .

(٢) انظر « التعرف » (ص١١٦)

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٦) ، وأبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦٥٢) ، وفيه : (والمحبة) بدل (والرجاء)

(٤) انظر « التعرف » (ص١١٦)

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦١٦)

(٦) الكلام لأبي طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦١٧) .

(٧) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦١٧) .

وقالَ أيضاً : (العلمُ كَسْبُ الإيمانِ ، والخوفُ كَسْبُ المعرفةِ)(١)

وقالَ ذو النُّونِ : (لا يُسقى المُحِبُّ كأسَ المَحَبَّةِ إلا مِنْ بعدِ أنْ يُنضِجَ الخوفُ قلبَهُ)(٢)

وقالَ الفُضَيلُ بنُ عياضٍ : (إذا قيلَ لكَ : « تخافُ اللهَ ؟ ». . اسكُتْ ؛ فإنَّكَ إنْ قلتَ : « لا » كَفَرْتَ ، وإنْ قُلْتَ : « نعم » فليسَ وصفُكَ وصفَ مَنْ يخافُ)(٣)

قولهم في الرجاء

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَقُولُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : أَخْرِجُوا مِنَ ٱلنَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ؛ لَا أَجْعَلُ مَنْ آمَنَ بِي فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ كَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِي »(٤)

وقيلَ جاءَ أعرابيٌّ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ مَنْ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦١٧) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦١٧) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٤٦) ، وزادا : (فإنَّما خوف النار عند خوف الفراق . . بمنزلة قطرةٍ قطرتْ في بحر لُجِّيٍّ ، ولا أعلم شيئاً أحمدَ للقلب من خوف الفراق)

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦١٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٧/ ٥١٦ـ٥١٧)

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٩٧٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٥٨ـ٣٥٩) ، والخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (٨٧٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو في « صحيح البخاري » (٢٢) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه دون قوله : (ثمَّ يقول : وعِزَّتي وجلالي . . .)

يَلِي حسابَ الخَلْقِ ؟ فقالَ : « ٱللهُ تَعَالَىٰ » ، قالَ : هوَ بنَفْسِهِ ؟ قالَ « نَعَمْ » ، فتبسَّمَ الأعرابيُّ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مِمَّ ضَحِكْتَ يَا أَعْرَابيُّ ؟ » ، فقالَ : إنَّ الكريمَ إذا قَدَرَ عفا ، وإذا حاسبَ سامحَ[1]

وقالَ شاهٌ الكَرْمانيُّ : (علامةُ الرجاءِ : حُسْنُ الطاعةِ)[2]

وقيلَ : الرجاءُ : رؤيةُ الجلالِ بعينِ الجمالِ[3]

وقيلَ : الرجاءُ : قربُ القلبِ مِنْ مُلاطَفةِ الرَّبِّ[4]

وقالَ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ : (الخوفُ والرجاءُ كجناحَيِ الطائرِ ؛ إذا استويا استوى الطيرُ وتمَّ طَيَرانُهُ)[5]

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ : (الرجاءُ : ارتياحُ القلوبِ لرُؤْيةِ كَرَمِ المَرْجُوِّ)[6]

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٢٥٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (٢٥) مرسلاً عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٥٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٥٩) .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣٥٩)

(٤) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣٥٩) ، وفي بعض النسخ : (ملاحظة) بدل (ملاطفة) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٩٩٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٦٠) ، وزادا : (وإذا نَقَصَ أحدُهُما وقع فيه النقصُ ، وإذا ذهبا صار الطائر في حدِّ الموت) .

(٦) أورده أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٨٦) ضمن كلام طويل ، وفيه : (الموجد) بدل (المرجو) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٥٢) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٦٠) ، وفي (د) : (الموجود) بدل (المرجو) .

قالَ مُطرِّفٌ : (لو وُزِنَ خوفُ المؤمنِ ورجاؤُهُ . لَاعْتَدَلَا)[1]

والخوفُ والرجاءُ للإيمانِ كالجناحَينِ ، ولا يكونُ خائفاً إلا وهوَ راجٍ ، ولا راجياً إلا وهوَ خائفٌ ؛ لأنَّ مُوجِبَ الخوفِ الإيمانُ ، ومِنَ الإيمانِ رجاءٌ ، ومُوجِبَ الرجاءِ الإيمانُ ، ومِنَ الإيمانِ خوفٌ .

ولهٰذا المعنىٰ رُوِيَ عن لُقْمانَ أنَّهُ قالَ لابنِهِ : خَفِ اللهَ تعالىٰ خوفاً لا تأمنُ فيهِ مَكْرَهُ ، وارجُهُ أشدَّ مِنْ خوفِكَ .

قالَ : فكيفَ أستطيعُ ذلكَ وإنَّما لي قلبٌ واحدٌ ؟ قالَ : أَمَا علمتَ أنَّ المؤمنَ لَذُو قلبَينِ ؛ يخافُ بأحدِهِما ، ويرجو بالآخَرِ[2] ؟! وهٰذا لأنَّهُما مِنْ حُكْمِ الإيمانِ .

قولهم في التوكل

قالَ السَّرِيُّ : (التوكُّلُ : الانخلاعُ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ)[3]

وقالَ الجُنيدُ : (التوكُّلُ : أنْ يكونَ للهِ كما لم يكنْ ، فيكونَ اللهُ لهُ كما لم يَزَلْ)[4]

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/٢٠٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٩٤) ، وأورده بلفظه أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٥٩٤) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩١٢) ، وأحمد في « الزهد » (٥٤٩) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠١٥) ، وابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (١٣٣)

(٣) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٥٠) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٨) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٩) ، ودون نسبة الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٣٥) .

وقالَ سهلٌ : (كلُّ المقاماتِ لها وجهٌ وقَفاً ، غيرَ التوكُّلِ ؛ فإنَّهُ وجهٌ بلا قَفاً)[1] ، قالَ بعضُهُم : (يُريدُ : توكُّلَ العِنايةِ ، لا توكُّلَ الكِفايةِ)[2]

واللهُ تعالىٰ جَعَلَ التوكُّلَ مقروناً بالإيمانِ ؛ فقالَ : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] ، وقالَ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٢] .

وقالَ لنبيِّهِ عليهِ السلامُ : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

وقالَ ذو النُّونِ (التوكُّلُ : تركُ تدبيرِ النَّفْسِ ، والانخلاعُ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ)[3]

وقالَ أبو بكرٍ الزَّقَّاقُ : (التوكُّلُ : رَدُّ العيشِ إلىٰ يومٍ واحدٍ ، وإسقاطُ هَمِّ غدٍ)[4]

وقالَ أبو بكرٍ الواسطيُّ : (أصلُ التوكُّلِ : صدقُ الفاقةِ والافتقارِ ، وألَّا يُفارِقَ التوكُّلَ في أمانيهِ ، ولا يلتفتَ بسِرِّهِ إلىٰ توكُّلِهِ لحظةً في عُمُرِهِ)[5]

وقالَ بعضُهُم : (مَنْ أرادَ أنْ يقومَ بحقِّ التوكُّلِ . . فليَحفِرْ لنَفْسِهِ قبراً

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٣٩) .
(٢) قاله الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٩) ، وزاد : (وهو ألا يطالبه بالأعواض) .
(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٨) .
(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٨) ، والسلمي في « تفسيره » (١/ ٣٤٢) ، وعزاه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٣٨) إلىٰ أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالىٰ
(٥) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٩) ، والسلمي في « تفسيره » (١/ ٣٦٦)

يَدفِنُها فيهِ ، وينسى الدنيا وأهلَها ؛ لأنَّ حقيقةَ التوكُّلِ لا يقومُ لهُ أحدٌ مِنَ الخَلْقِ علىٰ كمالِهِ)(١)

وقالَ سهلٌ (أوَّلُ مقاماتِ التوكُّلِ : أنْ يكونَ العبدُ بينَ يَدَيِ اللهِ كالميِّتِ بينَ يَدَيِ الغاسلِ ؛ يُقلِّبُهُ كيفَ أرادَ ، ولا يكونُ لهُ حركةٌ ولا تدبيرٌ)(٢)

وقالَ حَمْدونٌ القصَّارُ : (التوكُّلُ : هوَ الاعتصامُ باللهِ)(٣)

وقالَ سهلٌ أيضاً : (العلمُ كلُّهُ بابٌ مِنَ التعبُّدِ ، والتعبُّدُ كلُّهُ بابٌ مِنَ الوَرَعِ ، والوَرَعُ كلُّهُ بابٌ مِنَ الزهدِ ، والزهدُ كلُّهُ بابٌ مِنَ التوكُّلِ)(٤)

وقيلَ : التقوىٰ واليقينُ مِثْلُ كِفَّتَيِ الميزانِ ، والتوكُّلُ لسانُهُ ؛ بهِ يُعرَفُ الزيادةُ والنُّقْصانُ(٥)

قالَ الشيخُ رحمَهُ اللهُ : ويقعُ لي أنَّ التوكُّلَ علىٰ قَدْرِ العلمِ بالوكيلِ ؛ فكلُّ مَنْ كانَ أَتَمَّ معرفةً كانَ أتمَّ توكُّلاً ، ومَنْ كَمَلَ توكُّلُهُ غابَ في رؤيةِ الوكيلِ عن رؤيةِ توكُّلِهِ

ثمَّ إنَّ قوَّةَ المعرفةِ تُفِيدُهُ صِرْفَ العلمِ بالعدلِ في القِسْمةِ ، وأنَّ الأقسامَ

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٩) .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (١٢٥٠) دون قوله (ولا يكون له . . .) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٣٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٠٩) .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص٤٠٩) .

(٤) تفسير التستري (ص١٧٢) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٨٥٣)

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٨٥٣) عن سهل التستري رحمه الله تعالىٰ ، وهو في « تفسيره » (ص١٧٢) .

نُصِبَتْ بإزاءِ المقسومِ لهُم عدلاً ومُوازَنةً ، وأنَّ النَّظَرَ إلىٰ غيرِ اللهِ ؛ لوجودِ الجهلِ في النَّفْسِ ، وكلَّما أَحَسَّ بشيءٍ يَقدَحُ في توكُّلِهِ.. يراهُ مِنْ مَنبَعِ النَّفْسِ ؛ فنُقْصانُ التوكُّلِ يظهرُ بظهورِ النَّفْسِ ، وكمالُهُ يثبتُ بغَيبةِ النَّفْسِ

وليسَ للأقوياءِ اعتدادٌ بتصحيحِ توكُّلِهِم ، وإنَّما شُغْلُهُم في تغييبِ النَّفْسِ بتقويةِ مَوَادِّ القلبِ ، فإذا غابتِ النَّفْسُ انحسمَتْ مادَّةُ الجهلِ ، فيصحُّ التوكُّلُ ، والعبدُ غيرُ ناظرٍ إليهِ ، وكلَّما تحرَّكَ مِنَ النَّفْسِ بقيَّةٌ.. يَرِدُ علىٰ ضمائرِهِم سِرُّ قولِهِ تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍ ﴾ [العنكبوت : ٤٢] ، فيغلبُ وجودُ الحقِّ الأعيانَ والأكوانَ ، ويرى الكونَ باللهِ مِنْ غيرِ استقلالِ الكونِ في نَفْسِهِ ، ويصيرُ التوكُّلُ حينَئذٍ اضطراراً

ولا يقدحُ في توكُّلِ مِثْلِ هـٰذا المُتوكِّلِ ما يقدحُ في توكُّلِ الضعفاءِ في التوكُّلِ مِنْ وجودِ الأسبابِ والوسائطِ ؛ لأنَّهُ يرى الأسبابَ أمواتاً لا حياةَ لها إلا بالوكيلِ ، وهـٰذا توكُّلُ خواصِّ أهلِ المعرفةِ .

قولهم في الرضا

قالَ الحارثُ : (الرِّضا : سكونُ القلبِ تحتَ جَرَيانِ الحُكْمِ)[1]

وقالَ ذو النُّونِ : (الرِّضا : سرورُ القلبِ بمُرِّ القَضا)[2]

---

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٠) ، والسلمي في « تفسيره » (٢/ ٤١٢) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٢٩) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٣٠/ ١٣٣)

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٠) ، وأبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٨٠) ، والسلمي في « تفسيره » (٢/ ٤١٢) ، وعزاه في (١/ ٢٨٤) إلى الجنيد=

وقالَ سُفْيانُ عندَ رابعةَ : اللَّهُمَّ ؛ ارضَ عنَّا ، فقالتْ لهُ : أَمَا تستحيي أنْ تطلبَ رضا مَنْ لستَ عنهُ براضٍ ؟!

فسألَها بعضُ الحاضرينَ : متىٰ يكونُ العبدُ راضياً عنِ اللهِ تعالىٰ ؟ فقالتْ : إذا كانَ سرورُهُ بالمصيبةِ كسرورِهِ بالنعمةِ[1]

وقالَ سهلٌ : (إذا اتَّصَلَ الرِّضا بالرِّضْوانِ . اتَّصلَتِ الطُّمَأْنينةُ ، فطُوبىٰ لهُم وحُسْنُ مآبٍ)[2]

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ذَاقَ طَعْمَ ٱلإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِٱللهِ رَبّاً »[3]

وقالَ عليهِ الصلاةُ السلامُ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ بِحِكْمَتِهِ جَعَلَ ٱلرَّوْحَ وَٱلْفَرَحَ فِي ٱلرِّضَا وَٱلْيَقِينِ ، وَجَعَلَ ٱلْهَمَّ وَٱلْحُزْنَ فِي ٱلشَّكِّ وَٱلسُّخْطِ »[4]

وقالَ الجُنيدُ : (الرِّضا : هوَ صِحَّةُ العلمِ الواصلِ إلى القلوبِ)

= رحمه الله تعالىٰ ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٥٧) ، وعزاه إلى النوري رحمه الله تعالىٰ

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٠١١) ، وفيه تصريح بالسائل ؛ وهو جعفر بن سليمان الضبعي ، وهو في « التعرف » (ص١٢٠) وبعض النسخ دون سؤال بعض الحاضرين .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٠)

(٣) رواه مسلم (٣٤) عن سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

(٤) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٦٨ـ٦٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ٢٦٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٢١) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

فإذا باشرَ القلبَ حقيقةُ العلمِ . . أدَّاهُ إلى الرِّضا ، وليسَ الرِّضا والمَحَبَّةُ كالخوفِ والرجاءِ ؛ فإنَّهُما[1] حالانِ لا يُفارِقانِ العبدَ في الدنيا والآخرةِ ؛ لأنَّهُ في الجنَّة لا يستغني عنِ الرِّضا والمَحَبَّةِ .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (الرِّضا : سكونُ القلبِ إلىٰ قديمِ اختيارِ اللهِ تعالىٰ للعبدِ أنَّهُ اختارَ لهُ الأفضلَ ، فيرضىٰ لهُ ؛ وهوَ تركُ السُّخْطِ)[2]

وقالَ أبو ترابٍ : (ليسَ ينالُ الرِّضا مِنَ اللهِ مَنْ للدنيا في قلبِهِ مقدارٌ)[3] .

وقالَ سَرِيٌّ : (خمسٌ مِنْ أخلاقِ المُقرَّبينَ الرِّضا عنِ اللهِ فيما تُحِبُّ النَّفْسُ وتكرهُ ، والحُبُّ لهُ بالتحبُّبِ إليهِ ، والحياءُ مِنَ اللهِ ، والأُنْسُ بهِ ، والوَحْشةُ ممَّا سواهُ)[4]

وقالَ الفُضَيلُ : (الراضي لا يتمنَّىٰ فوقَ منزلتِهِ شيئاً)[5]

وقالَ ابنُ سَمْعونٍ : (الرِّضا بالحقِّ ، والرِّضا لهُ ، والرِّضا عنهُ ؛ فالرِّضا بهِ مُدبِّراً ومُختاراً ، والرِّضا عنهُ قاسماً ومُعطِياً ، والرِّضا لهُ إلـٰهاً وربّاً)[6]

---

(١) أي : الرضا والمحبة .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٠) ، وأبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٨٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٥٧) .

(٣) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٤٥٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٦/٤٠) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧٥) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله بقضائه » (١٦) ، والسلمي في « تفسيره » (٢٧٩/١) .

(٦) رواه البيهقي في « الشعب » (٢٣٠) ، وقد قاله عندما سئل عن الرضا

سُئِلَ أبو سعيدٍ هل يجوزُ أنْ يكونَ العبدُ راضياً ساخطاً ؟ قالَ نعم ، يجوزُ أنْ يكونَ راضياً عن ربِّهِ ، ساخطاً علىٰ نَفْسِهِ وعلىٰ كلِّ قاطعٍ يقطعُهُ عنِ اللهِ .

وقيلَ للحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضوانُ اللهِ عليهما : إنَّ أبا ذرٍّ يقولُ : الفقرُ أَحَبُّ إليَّ مِنَ الغنىٰ ، والسُّقْمُ أَحَبُّ إليَّ مِنَ الصحَّةِ

قالَ : رَحِمَ اللهُ أبا ذرٍّ ، أمَّا أنا فأقولُ : مَنِ اتَّكلَ علىٰ حُسْنِ اختيارِ اللهِ لهُ . . لم يتمنَّ أنَّهُ في غيرِ الحالةِ التي اختارَ اللهُ لهُ(١)

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ(٢) : (مَنْ جلسَ علىٰ بساطِ الرِّضا . . لم يَنَلْهُ مِنَ اللهِ مكروهٌ أبداً ، ومَنْ جلسَ علىٰ بساطِ السؤالِ . . لم يَرْضَ عنِ اللهِ في كلِّ حالٍ)

وقالَ يحيىٰ : (يرجعُ الأمرُ كلُّهُ إلىٰ هـٰذَينِ الأصلَينِ : فِعْلٍ منهُ بكَ ، وفِعْلٍ منكَ لهُ ؛ فترضىٰ فيما عملَ ، وتُخلِصُ فيما تعملُ)(٣)

وقالَ بعضُهُمْ : (الراضي مَنْ لم يندمْ علىٰ فائتٍ مِنَ الدنيا ، ولم يتأسَّفْ عليها) .

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٤٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٣/١٣)

(٢) في (ج) : (وقال أيضاً) بدل (وقال علي رضي الله عنه) ، وفي (ي) : (وقال عيسىٰ عليه السلام) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٨٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٦٥/٩) ، وعزواه إلىٰ محمد بن سعيد المروزي ، وزادا : (فإذا أنتَ قد سعدت بهـٰذين . . فُزت في الدارَين) .

وقيلَ ليحيى بنِ مُعاذٍ : متىٰ يبلغُ العبدُ إلى مقامِ الرِّضا ؟ قالَ : إذا أقامَ نَفسَهُ علىٰ أربعةِ أصولٍ فيما يُعامِلُ بهِ ؛ يقولُ : إنْ أعطيتَني قَبِلتُ ، وإنْ منعتَني رَضِيتُ ، وإنْ تركتَني عَبَدتُ ، وإنْ دعوتَني أَجبتُ[1]

وقالَ الشِّبْليُّ رحمَهُ اللهُ بينَ يَدَي الجُنيدِ لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ ، فقالَ الجُنيدُ : قولُكَ ذا ضِيقُ صدرٍ ، فقالَ : صدقتَ ، قالَ فضِيقُ الصدرِ تركُ الرِّضا بالقضاءِ[2]

وهـٰذا إنَّما قالَهُ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ تنبيهاً منهُ علىٰ أصلِ الرِّضا ؛ وذلكَ أنَّ الرِّضا يحصلُ لانشراحِ القلبِ وانفساحِهِ ، وانشراحُ القلبِ مِنْ نورِ اليقينِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٢٢] .

فإذا تمكَّنَ النورُ مِنَ الباطنِ اتَّسَعَ الصدرُ ، وانفتحَتْ عينُ البصيرةِ ، وعاينَ حُسْنَ تدبيرِ اللهِ تعالىٰ ، فينتزعُ التَّسَخُّطَ والتضجُّرَ ؛ لأنَّ انشراحَ الصدرِ يتضمَّنُ حلاوةَ الحُبِّ ، وفعلَ المحبوبِ بموقعِ الرِّضا عندَ المُحِبِّ الصادقِ ؛ لأنَّ المُحِبَّ يرىٰ أنَّ الفعلَ مِنَ المحبوبِ مرادُهُ واختيارُهُ ، فيَفْنىٰ في لذَّةِ رؤيةِ اختيارِ المحبوبِ عنِ اختيارِ نَفْسِهِ ، كما قيلَ[3] : [من البسيط]

وَكُلُّ مَا يَفْعَلُ ٱلْمَحْبُوبُ مَحْبُوبُ

●●●

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (١٠/٦٦) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٤٥٦)

(٣) عجز بيت لمهيار الديلمي في « ديوانه » (١/٢٤) ، وصدره : (أرضىٰ وأسخطُ أو أرضىٰ تلوُّنَهُ) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) .

الباب الحادي والستون

في ذكر الأحوال وشرحها

[قولهم في المحبة]

(١٤٢) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ الشيخُ ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو طالبٍ الزَّيْنَبيُّ ، قالَ : أخبرَتْنا كَريمةُ المَرْوَزِيَّةُ ، قالتْ : أخبرَنا أبو الهيثمِ الكُشْمِيهَنيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ الفَرَبْريُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ البُخَاريُّ ، قالَ : حدَّثَنا سُلَيمانُ بنُ حَرْبٍ ، قالَ : حدَّثَنا شُعْبةُ ، عن قَتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ ٱلْإِيمَانِ[1] : مَنْ كَانَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْداً لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي ٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ ٱللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ »[2]

(١٤٣) ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعةَ طاهرُ بنُ أبي الفضلِ إجازةً[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ خَلَفٍ إجازةً[4] ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمٰنِ ،

---

(١) زاد في (د) : (في قلبه) .

(٢) صحيح البخاري (٢١) ، ورواه مسلم (٤٣) .

(٣) سقط التصريح بالإجازة من النسخ ما عدا (أ ، ب ، ح)

(٤) سقط التصريح بالإجازة من النسخ ما عدا (أ ، ب ، هـ ، ح)

قالَ : أخبرَنا أبو عُمَرَ بنُ حَيُّويَهْ ، قالَ : حدَّثني أبو عُبيدِ بنُ مُؤمَّلٍ ، عن أبيهِ قالَ حدَّثنا بِشْرُ بنُ محمَّدٍ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الملكِ بنُ وَهْبٍ ، عن إبراهيمَ بنِ أبي عَبْلَةَ ، عنِ العِرْباضِ بنِ ساريةَ قالَ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يدعو « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي ، وَأَهْلِي وَمَالِي ، وَمِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ »(١)

فكأنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ طَلَبَ خالصَ الحُبِّ ، وخالصُ الحُبِّ : هوَ أنْ يُحِبَّ اللهَ تعالىٰ بكُلِّيَّتِهِ ، وذلكَ أنَّ العبدَ قد يكونُ في حالٍ قائماً بشروطِ حالِهِ بحُكْمِ العلمِ ، والجِبِلَّةُ تتقاضاهُ بضدِّ العلمِ ؛ مثلُ أنْ يكونَ راضياً والجِبِلَّةُ قد تكرهُ ، ويكونُ النَّظَرُ إلى الانقيادِ بالعلمِ لا إلى الاستعصاءِ بالجِبِلَّةِ ؛ فقد يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ بحُكْمِ الإيمانِ ، ويُحِبُّ الأهلَ والولدَ بحُكْمِ الطَّبْعِ

وللمَحَبَّةِ وجوهٌ ، وبواعثُ المَحَبَّةِ في الإنسانِ مُتنوِّعةٌ ؛ فمِنْها : مَحَبَّةُ الرُّوحِ ، ومَحَبَّةُ القلبِ ، ومَحَبَّةُ النَّفْسِ ، ومَحَبَّةُ العقلِ

فقولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وذِكْرُهُ الأهلَ والمالَ والماءَ الباردَ . استئصالُ عُرُوقِ المَحَبَّةِ بمَحَبَّةِ اللهِ تعالىٰ ، حتىٰ يكونَ حُبُّ اللهِ غالباً ، فيُحِبُّ اللهَ تعالىٰ بقلبِهِ ورُوحِهِ وكُلِّيَّتِهِ ، حتىٰ يكونَ حُبُّ اللهِ أغلبَ في

---

(١) رواه الديلمي في « الفردوس » (١٩٦٦) ، ورواه من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه أبو نعيم في « الحلية » (١/٢٢٦) ، وكذلك الترمذي (٣٤٩٠) ، والحاكم (٢/٤٣٣) ، إلا أنَّ فيهما : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « كانَ مِنْ دعاءِ داودَ يقولُ اللهمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ حبَّكَ وحبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، والعملَ الذي يُبلِّغُني حُبَّكَ ، اللَّهمَّ ؛ اجعلْ حبَّكَ أحبَّ إليَّ مِنْ نَفْسي وأهلي ، ومِنَ الماءِ الباردِ »

الطبعِ أيضاً والجِبِلَّةِ مِنْ حُبِّ الماءِ البارِدِ ، وهـٰذا يكونُ حُبّاً خاصّاً لخواصَّ ينغمرُ بهِ وبنورِهِ نارُ الطبعِ والجِبِلَّةِ ، وهـٰذا يكونُ حبَّ الذاتِ عن مُشاهَدةِ بعُكوفِ الرُّوحِ وخُلُوصِهِ إلىٰ مواطنِ القُرْبِ

قالَ الواسِطيُّ في قولِهِ تعالىٰ ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة ٥٤] : (كما أنَّهُ بذاتِهِ يُحِبُّهُم كذلكَ يُحِبُّونَ ذاتَهُ ؛ فالهاءُ راجعةٌ إلى الذَّاتِ ، دونَ النُّعُوتِ والصِّفاتِ)(١)

وقالَ بعضُهُمْ : (الحُبُّ شرطُهُ : أنْ تلحقَهُ سَكَراتُ المَحَبَّةِ ، فإذا لم يكنْ ذلك لم يكنْ فيهِ حقيقةٌ)(٢)

فإذاً : الحُبُّ حُبّانِ : حُبٌّ عامٌّ ، وحُبٌّ خاصٌّ .

فالحُبُّ العامُّ : مُفسَّرٌ بامتثالِ الأمرِ ، وربَّما كانَ حُبّاً مِنْ مَعدِنِ العِلْمِ بالآلاءِ والنَّعْماءِ ، وهـٰذا الحُبُّ مُحرِّكُهُ مِنَ الصِّفاتِ(٣)

وقد ذَكَرَ جمعٌ مِنَ المشايخِ الحُبَّ في المقاماتِ ، فيكونُ النَّظَرُ إلىٰ هـٰذا الحُبِّ العامِّ الذي يكونُ لكسبِ العبدِ فيهِ مدخلٌ .

وأمَّا الحبُّ الخاصُّ : فهوَ حبُّ الذاتِ عن مُطالَعةِ الرُّوحِ ، وهوَ الحبُّ الذي فيهِ السَّكَراتُ ؛ وهوَ الاصطناعُ مِنَ اللهِ الكريمِ لعبدِهِ واصطفاؤُهُ إيَّاهُ

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١/١٧٩) ، وعزاه إلىٰ أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالىٰ

(٢) رواه السلمي في « تفسيره » (١/١٧٩) ، وعزاه إلىٰ أبي الحسن السلامي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) في (هـ ، ز ، ح) : (مخرجه) بدل (محركه)

وهٰذا الحبُّ يكونُ مِنَ الأحوالِ ؛ لأنَّهُ مَحْضُ مَوْهِبةٍ ليسَ للكسبِ فيهِ مدخلٌ ، وهوَ مفهومٌ مِنْ قولِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ »[1] ؛ لأنَّهُ كلامٌ عن وِجْدانِ رُوحٍ تَلْتَذُّ بحبِّ الذاتِ .

وهٰذا الحبُّ روحٌ ، والحبُّ الذي يظهرُ مِنْ مُطالَعاتِ الصِّفاتِ ويَطلُعُ مِنْ مطالعِ الإيمانِ . . قالَبُ هٰذا الرُّوحِ .

ولمَّا صحَّتْ محبَّتُهُم هٰذهِ . . أَخْبرَ اللهُ عنهُم بقولِهِ : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] ؛ لأنَّ المُحِبَّ يَذِلُّ لمحبوبِهِ ولمحبوبِ محبوبِهِ ، ويُنشِدُ : [من الطويل]

لِعَيْنٍ تُفَدَّىٰ أَلْفُ عَيْنٍ وَتُتَّقَىٰ ... وَيُكْرَمُ أَلْفٌ لِلْحَبِيبِ ٱلْمُكَرَّمِ

وهٰذا الحُبُّ الخاصُّ هوَ أصلُ الأحوالِ السَّنِيَّةِ ومُوجِبُها ، وهوَ في الأحوالِ كالتوبةِ في المقاماتِ ، فمَنْ صحَّتْ توبتُهُ على الكمالِ . . تحقَّقَ بسائرِ المقاماتِ ؛ مِنَ الزُّهْدِ والرِّضا والتوكُّلِ علىٰ ما شَرَحْناهُ أوَّلاً ، ومَنْ صحَّتْ مَحَبَّتُهُ هٰذهِ . . تحقَّقَ بسائرِ الأحوالِ ؛ مِنَ الفناءِ والبقاءِ ، والصَّحْوِ والمَحْوِ ، وغيرِ ذلكَ .

والتوبةُ لهٰذا الحبِّ أيضاً بمثابةِ الجُثْمانِ ؛ لأنَّها مُشتمِلةٌ على الحبِّ العامِّ الذي هوَ لهٰذا الحبِّ كالجسدِ ، ومَنْ أُخِذَ في طريقِ المحبوبينَ ـ وهوَ طريقٌ خاصٌّ مِنْ طُرُقِ المَحَبَّةِ ـ . . يتكمَّلُ فيهِ ويجتمعُ لهُ رُوحُ الحبِّ الخاصِّ معَ قالَبِ الحبِّ العامِّ الذي يشتملُ عليهِ التوبةُ النَّصُوحُ ، وعندَ ذلكَ لا يتقلَّبُ في

(١) سبق مسنداً في (٢/ ٥١٤ـ٥١٥) .

أَطْوارِ المقاماتِ ؛ لأنَّ التَّقَلُّبَ في أَطْوارِ المقاماتِ ، والتَّرَقِّيَ مِنْ شيءٍ منها إلىٰ شيءٍ . . طريقُ المُحبِّينَ .

ومَنْ أُخِذَ في طريقِ المُجاهَدةِ مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، ومِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورىٰ : ١٣] ؛ أَثْبتَ كَسْبَ الإنابةِ سبباً للهدايةِ ، وفي حالِ المحبوبِ صَرَّحَ بالاجتباءِ غيرَ مُعلَّلٍ بالكسبِ ؛ فقالَ : ﴿ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [الشورىٰ : ١٣]

فمَنْ أُخِذَ في طريقِ المحبوبينَ . . يَطْوي بساطَ أَطْوارِ المقاماتِ ، ويندرجُ فيهِ صَفْوُها وخالصُها بأتمِّ وصفِها ، **والمقاماتُ لا تُقيِّدُهُ ولا تَحبِسُهُ** ، وهوَ يُقيِّدُها ويَحبِسُها بترقِّيهِ منها واستنزاعِهِ صَفْوَها وخالصَها ؛ لأنَّهُ حيثُ أَشْرَقَتْ عليهِ أنوارُ الحبِّ الخاصِّ خَلَعَ ملابسَ صفاتِ النَّفْسِ ونعوتِها

والمقاماتُ كلُّها مُصفِّيَةٌ للنُّعُوتِ والصفاتِ النَّفْسانيَّةِ ؛ **الزُّهدُ يُصفِّيهِ** عنِ الرغبةِ ، **والتوكُّلُ يُصفِّيهِ** عن قِلَّةِ الاعتمادِ المُتولِّدِ مِنْ جهلِ النَّفْسِ ، **والرِّضا يُصفِّيهِ** عن ضَرَبانِ عِرْقِ المُنازَعةِ[1] ، **والمُنازَعةُ لبقاءِ جُمُودٍ في النَّفْسِ** ما أَشْرقَتْ عليها شموسُ المَحبَّةِ الخاصَّةِ ، فبَقِيَ ظُلْمتُها وجُمُودُها

فمَنْ تَحقَّقَ بالحُبِّ الخاصِّ . . لانتْ نَفْسُهُ وذهبَ جمودُها ، **فماذا يَنزِعُ الزهدُ منهُ مِنَ الرغبةِ** ورغبةُ الحبِّ أَحْرقَتْ رغبتَهُ ؟! **وماذا يُصفِّي منهُ التوكُّلُ**

---

(١) الضَّرَبان : الحركة القوية .

ومُطالَعةُ الوكيلِ حَشَتْ بصيرتَهُ ؟! وماذا يُسكِّنُ فيهِ الرِّضا مِنْ عُرُوقِ المُنازَعةِ والمُنازَعةُ ممَّنْ لم يُسْلِمْ كُلِّيَّةَ ؟![1]

قالَ الرُّوذْباريُّ : (ما لم تخرجْ مِنْ كُلِّيَّتِكَ لا تدخلُ في حَدِّ المَحَبَّةِ)

وقالَ أبو يزيدَ : (مَنْ قَتَلَتْهُ مَحَبَّتُهُ فدِيَتُهُ رؤيتُهُ ، ومَنْ قتلَهُ عشقُهُ فدِيَتُهُ مُنادمتُهُ)[2]

(١٤٤) ـ أخبرَنا بذلكَ أبو زُرْعةَ إجازةً ، عنِ ابنِ خَلَفٍ إجازةً[3] ، عن أبي عبدِ الرحمـٰنِ[4] ، قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ عَلُّويَهْ يقولُ : قالَ أبو يَزِيدَ ذلكَ[5]

فإذاً : التَّقَلُّبُ في أَطْوارِ المقاماتِ لعوامِّ المُحبِّين ، وطَيُّ بساطِ الأَطْوارِ لخَوَاصِّ المُحبِّينَ ، وهمُ المحبوبونَ ، تخلَّفتْ عن هِمَمِهِمُ المقاماتُ ، وربَّما كانتِ المقاماتُ علىٰ مدارجِ طبقاتِ السماواتِ ، وهيَ مواطنُ مَنْ يتعثَّرُ في أَذْيالِ بقاياهُ .

قالَ بعضُ الكبارِ لإبراهيمَ الخَوَّاصِ : إلىٰ ماذا أدَّىٰ بكَ التصوُّفُ ؟

---

(١) علىٰ هامش (أ) دون تصحيح : (والمتحقِّق بالحب الخاص قد سلَّم كليَّته) ، ويجوز أن يضبط المثبت : بـ (لم تَسْلَمْ كليَّتُهُ) ، أو (لم تُسلِمْ . . .) .

(٢) كما قيل : من لم يَمُتْ لم يرَ اللهَ ، وكما قيل : مَنْ قتله محبَّتُهُ حَصَلَ له الوصال ، ومَنْ قتله العشقُ حَصَلَ له الاتِّصال . من هامش (ح) ، والمراد بالمنادمة هنا : المكالمة والمجالسة .

(٣) سقط التصريح بالإجازة في الموضعين في غالب النسخ .

(٤) زاد في (د) التصريح بالإجازة .

(٥) أورده أبو المعالي شيذله في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٢٦٧) .

فقالَ : إلى التوكُّلِ ، فقالَ تسعىٰ في عِمْرانِ باطِنِكَ !! أينَ أنتَ مِنَ الفناءِ في التوكُّلِ برؤيةِ الوكيلِ ؟ ![1]

فالنَّفْسُ إذا تحرَّكَتْ بصفتِها مُنفلِتةً مِنْ دائرةِ الزهدِ . . يَرُدُّها الزاهدُ إلى الدائرةِ بزهدِهِ ، والمُتوكِّلُ إذا تحرَّكَتْ نَفْسُهُ . . يَرُدُّها بتوكُّلِهِ ، والراضي يَرُدُّها برضاهُ .

وهٰذهِ الحركاتُ مِنَ النَّفْسِ بقايا وجوديَّةٌ تفتقرُ إلىٰ سياسةِ العِلْمِ ، وفي ذلكَ تَنَسُّمُ رَوْحِ القُربِ مِنْ بعيدٍ ؛ وهوَ أداءُ حَقِّ العُبُوديَّةِ مَبْلَغَ العلمِ[2] ، وبحَسَبِهِ الاجتهادُ والكسبُ .

ومَنْ أُخِذَ في طريقِ الخاصِّ . . عَرَفَ طريقَ التخلُّصِ مِنَ البقايا بالتستُّرِ بأنوارِ فَضْلِ الحقِّ ، ومَنِ اكتسىٰ ملابسَ نُورِ القُرْبِ برُوحٍ دائمةِ العُكُوفِ ،

---

(١) رواه بنحوه القشيري في « الرسالة » (ص٤١١) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٠) ، وبعض الكبار هو الحسين بن منصور الحلَّاج ، ويُعبِّر عنه الكلاباذي أحياناً في « التعرف » بـ (بعض الكبراء) أو (بعض الكبار) ، والخركوشي في « التهذيب » بـ (المذبوح) ، وقد قال السلمي في « طبقاته » (ص٣٠٧ـ ٣٠٨) (والمشايخ في أمره مختلفون ، ردَّه أكثر المشايخ ونَفَوْهُ ، وأَبَوا أن يكون له قَدَمٌ في التصوُّف ، وقَبِلَهُ من جملتهم أبو العبَّاس بن عطاء ، وأبو عبد الله محمد بن خفيف ، وأبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذي ، وأَثْنَوْا عليه ، وصحَّحوا له حاله ، وحكوا عنه كلامه ، وجعلوه أحد المُحقِّقين ؛ حتىٰ قال محمَّد بن خفيف : الحسين بن منصور عالمٌ ربَّانيٌّ) ، ونقل هـٰذا الكلامَ أيضاً ابنُ خميس في « مناقب الأبرار » (٢/ ٦٩٦) .

وقال المُناوي في « الكواكب الدُّرِّيَّة » (٢/ ٦٩) : (وقد اختلف فيه الناس ؛ ما بين مُكفِّرٍ له ، ومعتقدٍ ولايتَهُ ، وهم الجمهور ؛ ومنهم القشيري في « الرسالة » ، وابن الحاج في « المدخل » ، وغيرهما) .

(٢) في (أ ، د) : (بمبلغ العلم) .

مَحْمِيَّةٍ عنِ الطوارقِ والصُّرُوفِ . . لا يُزعِجُهُ طَلَبٌ ، ولا يُوحِشُهُ سَلَبٌ .

فالزُّهدُ والتوكُّلُ والرِّضا كائنٌ فيهِ وهوَ غيرُ كائنٍ فيها ؛ علىٰ معنىٰ أنَّهُ كيفَ تَقَلَّبَ كانَ زاهداً وإنْ رَغِبَ ؛ لأنَّهُ بالحقِّ لا بنَفْسِهِ ، وإنْ رُئِيَ منهُ الالتفاتُ إلى الأسبابِ . . فهوَ مُتوكِّلٌ ، وإنْ وُجِدَ منهُ الكراهةُ . . فهوَ راضٍ ؛ لأنَّ كراهتَهُ لنَفْسِهِ ـ ونَفْسُهُ للحقِّ ، وكراهتُهُ بالحقِّ ـ أُعِيدَتْ إليهِ نَفْسُهُ بدواعيها وصفاتِها مُطهَّرةً موهوبةً محمولةً ملطوفاً بها ، صارَ عينُ الداءِ دواءَهُ ، وصُوَرُ الإعلالِ شفاءَهُ ، ونابَ طَلَبُ اللهِ لهُ مَنابَ كلِّ طلبٍ مِنْ زهدٍ وتوكُّلٍ ورِضاً ، وصارَ مطلوبُهُ مِنَ اللهِ ينوبُ عن كلِّ مطلوبٍ مِنْ زهدٍ وتوكُّلٍ ورِضاً

قالتْ رابعةُ : (مُحِبُّ اللهِ لا يَسكُنُ حَنينُهُ وأَنينُهُ حتىٰ يَسكُنَ معَ محبوبِهِ) .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ القُرَشيُّ : (حقيقةُ المَحَبَّةِ : أنْ تهَبَ كُلَّكَ لمَنْ أَحْبَبتَ ، ولا يبقىٰ لكَ منكَ شيءٌ)[1]

وقالَ أبو الحسينِ الورَّاقُ (السُّرُورُ باللهِ مِنْ شِدَّةِ المَحَبَّةِ لهُ ، والمَحَبَّةُ في القلبِ نارٌ تُحرِقُ كلَّ دَنَسٍ)

وقالَ يحيىٰ بنُ مُعاذٍ : (صبرُ المُحبِّينَ أَشَدُّ مِنْ صبرِ الزاهدينَ ، واعجباً !! كيفَ يصبرُ الإنسانُ عن حبيبِهِ ؟!)[2]

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٦٥٣) ، وأبو المعالي شَيْذَلَه في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٥٦٧) ، وزاد : (فتذوبَ بذلك في طاعته ، ولسانُكَ في ذِكْرِه ، وقلبُك في تفكُّر جلاله وجماله ، وسِرُّك في مُؤانسته ومُشاهدته) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٤٤٠) ، وابن خميس في « مناقب الأبرار » (١/ ٢٧٨) ، وزادا : وأنشد : (من الكامل)

الصبرُ يُحمَدُ في المواطنِ كُلِّها ... إلا عليكَ فإنَّهُ لا يُحمَدُ

وقالَ بعضُهم : (مَنِ ادَّعىٰ مَحَبَّةَ اللهِ مِنْ غيرِ تَوَرُّعٍ عن محارِمِهِ . . فهوَ كذَّابٌ ، ومَنِ ادَّعىٰ مَحَبَّةَ الجنَّةِ مِنْ غيرِ إنفاقِ مِلْكِهِ[1] . . فهوَ كذَّابٌ ، ومَنِ ادَّعىٰ مَحَبَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ غيرِ حُبِّ الفقراءِ . . فهوَ كذَّابٌ)[2]

وكانتْ رابعةُ تُنشِدُ[3] : [من الكامل]

تَعْصِي ٱلْإِلَـٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَـٰذَا لَعَمْرِي فِي ٱلْفَعَالِ بَدِيعُ

لَـوْ كَـانَ حُبُّكَ صَـادِقاً لَأَطَعْتَـهُ إِنَّ ٱلْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ[4]

وإذا كانَ الحبُّ للأحوالِ كالتوبةِ للمقاماتِ . . فَمَنِ ادَّعىٰ حالاً يُعتبَرُ حبُّهُ ، ومَنِ ادَّعىٰ مَحَبَّةً تُعتبَرُ توبتُهُ ؛ فإنَّ التوبةَ قالَبُ رُوحِ الحبِّ ، وهـٰذا الرُّوحُ قيامُهُ بهـٰذا القالَبِ ، والأحوالَ أَعْراضٌ قِوامُها بجوهرِ الرُّوحِ .

---

(١) في (د) : (ماله) بدل (ملكه) .

(٢) رواه السلمي في « الطبقات » (ص٩٧) ، ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٧٥) عن حاتم الأصم رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روى البيتين البيهقي في « الشعب » (٤٩١) ، وأوردهما ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٩/ ١١٨) ، وليس البيتان ظاهري النسبة لها ؛ إذ يحتمل أنَّها قالتهما تمثُّلاً ، ورواهما البيهقي في « الشعب » (٤٩٢) من قول أبي العتاهية ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ٤٦٩) من قول عبد الله بن المبارك ، ونُسبا أيضاً إلى الشافعي ومحمود الوراق وغيرهما ، وفي (هـ) : (تضمر) بدل (تظهر) ، وفي نسخة على هامش (د) : (في القياس) بدل (في الفعال) .

(٤) في هامش (ح) زيادة بيت دون إشارة تصحيح ؛ وهو :

فـي كـلِّ يـومٍ يَبْتـدِيـكَ بنعمـةٍ منـهُ وأنـتَ لشُكْـرِ ذاكَ مُضِيـعُ

وقالَ سُمْنُونٌ : (ذَهَبَ المُحِبُّونَ للهِ بشرفِ الدنيا والآخرةِ ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » ، فهم معَ اللهِ تعالىٰ)(١)

وقالَ أبو يعقوبَ السُّوسيُّ : (لا تَصِحُّ المَحَبَّةُ حتىٰ يخرجَ مِنْ رُؤْيةِ المَحَبَّةِ إلىٰ رؤيةِ المحبوبِ بفناءِ علمِ المَحَبَّةِ ؛ مِنْ حيثُ كانَ لهُ المحبوبُ في الغيبِ ، ولم يكنْ هـٰذا بالمَحَبَّةِ ، فإذا خَرَجَ المُحِبُّ إلىٰ هـٰذهِ اللِّبْسةِ . كانَ مُحِبّاً مِنْ غيرِ مَحَبَّةٍ)(٢)

وسُئِلَ الجُنيدُ عنِ المَحَبَّةِ ، فقالَ : دخولُ صفاتِ المحبوبِ على البَدَلِ مِنْ صفاتِ المُحِبِّ(٣)

قيلَ : هـٰذا علىٰ معنىٰ قولِهِ تعالىٰ « فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً »(٤) ؛ وذلكَ أنَّ المَحَبَّةَ إذا صَفَتْ وكَمَلَتْ لا تزالُ تَجذِبُ بوصفِها إلىٰ محبوبِها ، فإذا انتهتْ إلىٰ غايةِ جُهدِها . وقفتْ والرابطةُ مُتأصِّلةٌ

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٦٥٤) ، وأورده أبو المعالي شَيْذَلَه في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٣٤٦) ، والحديث سبق تخريجه في (١/ ٢٧١ـ٢٧٢) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٨٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٦٢ـ٦٣) ، وإلىٰ قوله : (بفناء علم المحبة) القشيري في « الرسالة » (ص٦٥٧) ، وفي (هـ) و« اللمع » : (النسبة) بدل (اللبسة) ، وفي « التهذيب » : (الخصلة) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٨٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٥٢) ، وأبو المعالي شَيْذَلَه في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٣١٨) ، وزاد بعده : (فيبلغ به الغايةَ التي لا مدىٰ وراءَها ، والنهايةَ التي لا مطلوبَ بعدَها ؛ وهو المحبوبُ) .

(٤) سبق تخريجه في (١/ ٣٢١) .

مُتأكِّدةٌ ، وكمالُ وصفِ المَحَبَّةِ أزالَ الموانعَ مِنَ المُحِبِّ ، وبكمالِ وصفِ المَحَبَّةِ تُجذَبُ صفاتُ المحبوبِ ؛ تَعطُّفاً على المُحِبِّ المُخلَّصِ مِنْ موانعَ قادحةٍ في صدقِ الحبِّ، ونظراً إلىٰ قصورِهِ بعدَ استنفادِ جُهدِهِ، فيعودُ المُحِبُّ بعوائدِ اكتسابِ الصفاتِ مِنَ المحبوبِ ، فيقولُ عندَ ذلكَ[1] : [من الرمل]

أَنَا مَنْ أَهْوَىٰ وَمَنْ أَهْوَىٰ أَنَا   نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَا
فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ   وَإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا

وهـٰذا الذي عَبَّرْنا عنهُ حقيقةُ قولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ ٱللهِ »[2] ؛ لأنَّهُ بنزاهةِ النَّفْسِ وكمالِ التزكيةِ يستعدُّ للمَحَبَّةِ ، والمَحَبَّةُ مَوْهِبةٌ غيرُ مُعلَّلةٍ بالتزكيةِ ، ولـٰكنَّ سُنَّةَ اللهِ جاريةٌ أنْ يُزكِّيَ نفوسَ أَحِبَّائِهِ بحُسْنِ توفيقِهِ وتأييدِهِ ، وإذا مَنَحَ نزاهةَ النَّفْسِ وطهارتَها ، ثمَّ جَذَبَ رُوحَهُ بجاذبِ المَحَبَّةِ . . خَلَعَ عليهِ خِلَعَ الصفاتِ والأخلاقِ ، ويكونُ ذلكَ عندَهُ رُتْبةً في الوصولِ .

فتارةً ينبعثُ الشوقُ مِنْ باطنِهِ إلىٰ ما وراءَ ذلكَ ؛ لكونِ عظيمِ أمرِ اللهِ غيرَ مُتناهٍ ، وتارةً يتسلَّىٰ بما مُنِحَ ، فيكونُ ذلكَ وصولَهُ الذي يُسكِّنُ نيرانَ شوقِهِ ، وبباعثِ الشوقِ تستقرُّ الصفاتُ الموهوبةُ المُحقِّقةُ رُتْبَةَ الوصولِ عندَ المُحِبِّ ، ولولا باعثُ الشوقِ رجعَ القَهْقَرىٰ ، وظهرتْ صفاتُ نَفْسِهِ الحائلةُ بينَ المرءِ وقلبِهِ .

---

(١) البيتان للحلاج في « ديوانه » (ص٣٤٢ـ٣٤٣) ، وللإمام الغزالي في « مشكاة الأنوار » (ص٥٧ـ٥٨) فصل نفيس في تأويل هـٰذين البيتين وأمثالهما من العبارات الموهمة .

(٢) أورده الغزالي في « المقصد الأسنىٰ » (ص٣٠٢) ، والرازي في « تفسيره » (٥٨/٧) ، وقال الغماري في « الغنية » (٨٧٠/٢) : (لم أجده)

ومَنْ ظَنَّ أَنَّ الوصولَ غيرُ ما ذَكَرْناهُ ، أو تُخُيِّلَ لهُ غيرُ هـٰذا القَدْرِ . . فهوَ مُتعرِّضٌ لمذهبِ النصارىٰ في اللَّاهُوتِ والنَّاسُوتِ .

وإشاراتُ الشُّيُوخِ في الاستغراقِ والفناءِ كلُّها عائدةٌ إلىٰ تحقيقِ مقامِ المَحَبَّةِ ؛ باستيلاءِ نورِ اليقينِ وخُلاصةِ الذِّكْرِ على القلبِ ، وتحقيقِ حقِّ اليقينِ بزوالِ اعوجاجِ البقايا ، وأَمْتِ اللَّوْثِ الوُجُوديِّ مِنْ بقاءِ صفاتِ النَّفْسِ(١) ، وإذا صحَّتِ المحبَّةُ ترتَّبتْ عليها الأحوالُ وتَبِعَتْها

سُئِلَ الشِّبْليُّ عنِ المَحَبَّةِ ، فقالَ : كأسٌ لها وَهَجٌ إذا استقرَّ في الحواسِّ وسَكَنَ في النُّفُوسِ . . تلاشَتْ(٢)

وقيلَ للمَحَبَّةِ ظاهرٌ وباطنٌ ؛ ظاهرُها : اتِّباعُ رِضا المحبوبِ ، وباطنُها : أنْ يكونَ مَفْتُوناً بالحبيبِ عن كلِّ شيءٍ ؛ فلا يبقىٰ فيهِ بقيةٌ لغيرِهِ ولا لنَفْسِهِ

---

(١) في (ي) : (إماطة) بدل (أمت) ، والأَمْتُ في الأصل : الانخفاض والارتفاع ، أو الاختلاف في الشيء ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه : ١٠٧] ، واللَّوث : بمعنى الشائبة

(٢) أورده أبو المعالي شيذله في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٤٤٦ ، ٤٤٨) ، وفيه زيادة ، وعبارته في الموضع الأوَّل : (المحبَّة : نارٌ حَشْوُها وَهَج ؛ إن بلغتْ إلى القلوب ثبتتْ واستقرَّتْ في الحواسِّ ، وإن وقفتْ مع النفوس تلاشتْ ، فهو بلاءٌ في بلاء ، أوَّلُهُ البلاء وآخره التلف والنوىٰ) ، وعبارته في الموضع الثاني (المحبَّة كأسٌ لها وَهَج ؛ إن استقرَّتْ في الحواسِّ قتلتْ ، وإن تمكَّنت في النفوس أَسْكَرتْ ، فهي سُكْرٌ في الظاهر ، صَحْوٌ في الباطن ، فأرواحُ المُحبِّين تلطَّفتْ بعضُها علىٰ بعض ، وتعطَّفتْ بعضُها علىٰ بعض ، فليس الكونُ ببالهم ، وكيف يخطرُ الكونُ ببالِ مَنْ عرف مُكوِّن الكون ؟!) .

فمِنَ الأحوالِ السَّنِيَّةِ في المَحَبَّةِ :

الشوق

ولا يكونُ المُحِبُّ إلا مُشتاقاً أبداً ؛ لأنَّ أمرَ الحقِّ سُبْحانَهُ لا نهايةَ لهُ ؛ فما مِنْ حالٍ يبلغُها المُحِبُّ إلا ويعلمُ أنَّ وراءَ ذلكَ أَوْفىٰ منها وأَتَمَّ ، وأُنشِدَ [من الكامل]

حُـزْنِـي كَحُسْنِـكَ لَا لِـذَا أَمَـدٌ يُنْهَـىٰ إِلَيْـهِ وَلَا لِـذَا أَمَـدُ

ثمَّ هٰذا الشوقُ الحادثُ عندَهُ ليسَ كسبَهُ ، وإنَّما هوَ مَوْهِبةٌ خصَّ اللهُ تعالىٰ بها المُحبِّينَ .

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحَوَاريِّ : دخلتُ علىٰ أبي سُلَيمانَ الدَّارانيِّ فرأيتُهُ يبكي ، فقلتُ : ما يُبكِيكَ رحمَكَ اللهُ ؟

قالَ : وَيْحَكَ يا أحمدُ !! إذا جَنَّ هٰذا الليلُ ، [وافترشَ] أهلُ المَحبَّةِ أقدامَهُم ، وجَرَتْ دموعُهُم علىٰ خدودِهِم . . أَشْرفَ الجليلُ جَلَّ جلالُهُ عليهِم وقالَ : بعَيني مَنْ تَلَذَّذَ بكلامي ، واستراحَ إلىٰ مُناجاتي ، وإنِّي لَمُطَّلِعٌ عليهِم في خَلَواتِهِم ، أسمعُ أنينَهُم ، وأرىٰ بُكاءَهُم ، يا جبريلُ ؛ نادِ فيهِم ما هٰذا البكاءُ الذي أراهُ فيكُم ؟! هل خَبَّرَكُم مُخبِّرٌ أنَّ حبيباً يُعذِّبُ أحبابَهُ بالنارِ ؟! بل كيفَ يَجمُلُ بي أنْ أُعذِّبَ قوماً إذا جَنَّهُمُ الليلُ تملَّقُوا لي ؟! فبي حلفتُ ؛ إذا وَرَدُوا القيامةَ عليَّ أنْ أُسفِرَ لهُم عن وَجْهي ، وأُبيحَهُم رياضَ قُدْسي (١)

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص١٣٤ـ١٣٥)

وهـٰذهِ أحوالُ قومٍ مِنَ المُحبِّينَ أُقيموا مَقامَ الشوقِ

والشوقُ مِنَ المَحَبَّةِ كالزهدِ مِنَ التوبةِ ؛ إذا استقرَّتِ التوبةُ ظهرَ الزهدُ ، وإذا استقرَّتِ المَحَبَّةُ ظهرَ الشوقُ

قالَ الوَاسِطيُّ في قولِهِ تعالىٰ ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه : ٨٤] ؛ قالَ[1] : (شوقاً واستهانةً بمَنْ وراءَهُ ، فقالَ : ﴿ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي ﴾ [طه : ٨٤] ؛ مِنْ شوقِهِ إلىٰ مُكالَمةِ اللهِ ، ورمىٰ بالألواحِ ؛ لِمَا فاتَهُ مِنْ وقتِهِ)[2]

قالَ أبو عُثْمانَ (الشوقُ ثمرةُ المَحَبَّةِ ؛ مَنْ أَحَبَّ اللهَ اشتاقَ إلىٰ لقائِهِ)[3]

وقالَ أيضاً : (قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ ﴾ [العنكبوت : ٥] تعزيةٌ للمُشتاقِينَ ؛ مَعْناهُ : إنِّي أعلمُ أنَّ شوقَكُم إليَّ غالبٌ ، وإنِّي أجَّلتُ للقائِكُم أَجَلاً ، وعن قريبٍ يكونُ وصولُكُم إلىٰ مَنْ تشتاقونَ إليهِ)[4]

وقالَ ذو النُّونِ : (الشوقُ أَعْلى الدَّرَجاتِ ، وأَعْلى المقاماتِ ، فإذا بَلَغَها الإنسانُ استبطأَ الموتَ ؛ شَوْقاً إلىٰ ربِّهِ ، ورجاءً للقائِهِ والنظرِ إليهِ)[5]

---

(١) يعني : قال الواسطي : عَجِلَ موسىٰ لأجل الشوق لربِّهِ ، ولاستهانته [بما] سوى الله . من هامش (ح) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٤٤٧) ، وعزاه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧٠) إلى الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧١) .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٥٨) ، وأورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ١١٤) ، والقشيري في « رسالته » (ص٦٦٨) ، وزاد السلمي : (فطِيبُوا نفساً وتنعَّموا) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٥٦) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٤٣١) .

وعندي أنَّ الشوقَ الكائنَ في المُحبِّينَ إلىٰ رُتَبٍ يتوقَّعُونَها في الدنيا . . غيرُ الشوقِ الذي يكونُ يُتوقَّعُ ما بعدَ الموتِ ، واللهُ تعالىٰ يُكاشِفُ أهلَ وُدِّهِ بعطايا يجدونَها عِلْماً ، ويطلبونَها ذَوْقاً ؛ فلذلكَ يكونُ شوقُهُم ليصيرَ العلمُ ذَوْقاً ، وليسَ مِنْ ضرورةِ مقامِ الشوقِ استبطاءُ الموتِ ، وربَّما الأَصِحَّاءُ مِنَ المُحبِّينَ يستلذُّونَ الحياةَ للهِ تعالىٰ ، كما قالَ الخليلُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام ١٦٢] .

فمَنْ كانتْ حياتُهُ للهِ تعالىٰ مَنَحَهُ الكريمُ لذَّةَ المُناجاةِ والمَحَبَّةِ ؛ فتمتلئُ عينُهُ مِنَ النَّقْدِ[١] ، ثمَّ يُكاشِفُهُ مِنَ المِنَحِ والعطايا في الدنيا ما يتحقَّقُ بمقامِ الشوقِ مِنْ غيرِ الشوقِ إلىٰ ما بعدَ الموتِ .

وأنكرَ بعضُهُم مقامَ الشوقِ ، وقالَ : إنَّما يكونُ الشوقُ إلى الغائبِ ، ومتىٰ يَغِيبُ الحبيبُ عنِ الحبيبِ حتىٰ يشتاقَ إلى الحبيبِ ؟!

ولهٰذا سُئِلَ الأَنْطَاكيُّ عنِ الشوقِ ، فقالَ : إنَّما يشتاقُ الغائبُ ، وما غِبْتُ عنهُ منذُ وجدتُهُ[٢] .

وإنكارُ الشوقِ على الإطلاقِ لا أرىٰ لهُ وجهاً ؛ لأنَّ رُتَبَ العطايا والمِنَحِ مِنْ أَنْصبةِ القُرْبِ إذا كانتْ غيرَ مُتناهِيةٍ . . كيفَ يُنكَرُ الشوقُ مِنَ المُحِبِّ ؟! فهوَ غيرُ غائبٍ وغيرُ مُشتاقٍ بالنسبةِ إلىٰ ما وَجَدَ ، ولٰكن يكونُ مُشتاقاً إلىٰ ما لم يجدْ مِنْ أَنْصبةِ القُرْبِ ، فكيفَ يُمنَعُ حالُ الشوقِ والأمرُ هٰكذا ؟!

ووَجْهٌ آخَرُ ؛ أنَّ الإنسانَ لا بُدَّ لهُ مِنْ أمورٍ يَرُدُّها حُكْمُ الحالِ ؛ لموضعِ

---

(١) يُقال : ما زال فلان يَنقُدُ بصره إلى الشيء : إذا لم يَزَلْ ينظرُ إليه .

(٢) أورده دون نسبة الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/٥٠٦)

بَشَرِيَّتِهِ وطبيعتِهِ ، وعدمِ وقوفِهِ علىٰ حدِّ العلمِ الذي يقتضيهِ حكمُ الحالِ ، ووجودُ هـٰذهِ الأمورِ مُثيرٌ لنارِ الشوقِ ، ولا نعني بالشوقِ إلا مُطالَبةً تنبعثُ مِنَ الباطنِ إلى الأَوْلىٰ والأَعْلىٰ مِنْ أَنْصِبةِ القُرْبِ ، وهـٰذهِ المُطالَبةُ كائنةٌ في المُحبِّينَ .

فالشوقُ إذاً : كائنٌ لا وجهَ لإنكارِهِ ، وقد قالَ قومٌ : (شوقُ المُشاهَدةِ واللِّقاءِ أَشَدُّ مِنْ شوقِ البُعْدِ والغَيْبوبةِ) ، فيكونُ في حالِ الغَيْبُوبةِ مُشتاقاً إلى اللِّقاءِ ، ويكونُ في حالِ اللِّقاءِ والمُشاهَدةِ مُشتاقاً إلىٰ زوائدَ ومَبارَّ مِنَ الحبيبِ وإفْضالِهِ ، وهـٰذا هوَ الذي أراهُ وأختارُهُ .

وقالَ فارسٌ : (قلوبُ المُشتاقِينَ مُنوَّرةٌ بنُورِ اللهِ ، فإذا تحرَّكتِ اشتياقاً أضاءَ النُّورُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ ، فيَعرِضُهُمُ اللهُ على الملائكةِ فيقولُ هـٰؤلاءِ المُشتاقونَ إليَّ ، أُشهِدُكُم أنِّي إليهِم أَشْوقُ)[1]

وقالَ أبو يزيدَ : (لو أنَّ اللهَ حَجَبَ أهلَ الجنَّةِ عن رُؤْيتِهِ . لاستغاثُوا مِنَ الجنَّةِ كما يستغيثُ أهلُ النارِ مِنَ النارِ)[2]

وسُئِلَ ابنُ عطاءٍ عنِ الشوقِ ، فقالَ : احتراقُ الحَشَا[3] ، وتَلَهُّبُ القلوبِ ، وتَقَطُّعُ الأكبادِ مِنَ البُعْدِ بعدَ القُرْبِ[4]

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٦٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٤) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٦٦٧) .

(٣) الحشا : ما اشتملت عليه الضلوع .

(٤) أورده القشيري في « رسالته » (ص٦٦٦) .

وسُئِلَ بعضُهُمُ : الشوقُ أَعْلىٰ أم المَحَبَّةُ ؟ فقالَ : المَحَبَّةُ ؛ لأنَّ الشوقَ يتولَّدُ منها(١)

فلا مُشتاقَ إلا مِنْ غلبةِ الحبِّ ؛ فالحبُّ أصلٌ ، والشوقُ فرعٌ(٢)

وقالَ النَّصْرَاباذيُّ (للخَلْقِ كُلِّهِم مقامُ الشوقِ لا مقامُ الاشتياقِ ، ومَنْ دَخَلَ في حالِ الاشتياقِ هامَ فيهِ ؛ حتىٰ لا يُرىٰ لهُ أَثَرٌ ولا قَرارٌ)(٣)

ومنها :

الأنس

وقد سُئِلَ الجُنيدُ عنِ الأُنْسِ ، فقالَ : ارتفاعُ الحِشْمةِ معَ وجودِ الهَيْبةِ(٤)

وسُئِلَ ذو النُّونِ عنِ الأُنْسِ ، فقالَ: هوَ انبساطُ المُحِبِّ إلى المحبوبِ(٥) .

قيلَ مَعْناهُ : قولُ الخليلِ : ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ، وقولُ موسىٰ : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] (٦) .

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٦٦٦)
(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٦٦٦)
(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص٦٦٥)
(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٥) ، وأبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٩٧) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٨١)
(٥) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٥) .
(٦) انظر « التعرف » (ص١٢٥)

وأُنشِدَ لرُوَيمٍ[1] : [من المنسرح]

شَغَلْتَ قَلْبِي بِمَا لَدَيْكَ فَلَا يَنْفَكُّ طُولَ ٱلْحَيَاةِ مِنْ فِكَرِي
آنَسْتَنِي مِنْكَ بِٱلْوِدَادِ فَقَدْ أَوْحَشْتَنِي مِنْ جَمِيعِ ذَا ٱلْبَشَرِ
ذِكْرُكَ لِي مُؤْنِسٌ يُعَارِضُنِي يُوعِدُنِي عَنْكَ مِنْكَ بِٱلظَّفَرِ
وَحَيْثُمَا كُنْتَ يَا مَدَىٰ هِمَمِي فَأَنْتَ مِنِّي بِمَوْضِعِ ٱلنَّظَرِ

ورُوِيَ أنَّ مُطرِّفَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ كَتَبَ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : (لِيَكُنْ أُنْسُكَ باللهِ ، وانقطاعُكَ إليهِ ؛ فإنَّ للهِ عباداً استأنسوا باللهِ ، فكانوا في وَحْدتِهِم أَشَدَّ استئناساً مِنَ الناسِ في كَثْرتِهِم ، وأَوْحَشُ ما يكونُ الناسُ آنَسُ ما يكونونَ ، وآنَسُ ما يكونُ الناسُ أَوْحَشُ ما يكونونَ)[2]

قالَ الوَاسِطيُّ (لا يَصِلُ إلىٰ مَحَلِّ الأُنْسِ مَنْ لم يستوحشْ مِنَ الأكوانِ كلِّها) .

وقالَ أبو الحسينِ الورَّاقُ : (لا يكونُ الأُنْسُ باللهِ إلا ومعَهُ التعظيمُ ؛ لأنَّ كلَّ مَنِ استأنستَ بهِ سَقَطَ عن قلبِكَ تعظيمُهُ ، إلا اللهَ تعالىٰ ؛ فإنَّكَ لن تزيدَ بهِ أُنْساً إلا ازددتَ منهُ هيبةً وتعظيماً)[3]

---

(١) أورد الأبيات الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٥) ، وهي مشكوكة النسبة إلى الحلاج . انظر « ديوانه » (ص٤٥٧) .
(٢) رواه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧٧) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٩٦) .
(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٨٢) .

قالتْ رابعةُ : (كلُّ مُطيعٍ مُستأنِسٌ)[١] ، وأنشدتْ[٢] : [من الكامل]

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي ٱلْفُؤَادِ مُحَدِّثِي وَأَبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي
فَٱلْجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي ٱلْفُؤَادِ أَنِيسِي

وقالَ مالكُ بنُ دينارٍ (مَنْ لم يَأْنَسْ بمُحادَثةِ اللهِ عن مُحادَثةِ المخلوقينَ . فقد قَلَّ علمُهُ ، وعَمِيَ قلبُهُ ، وضيَّعَ عُمُرَهُ)[٣]

قيلَ لبعضِهِم مَنْ معَكَ في الدارِ ؟ قالَ : اللهُ تعالىٰ معي ، ولا يستوحشُ مَنْ أَنِسَ بربِّهِ .

وقالَ الخَرَّازُ : (الأُنْسُ مُحادَثةُ الأرواحِ معَ المحبوبِ في مجالسِ القُرْبِ) .

ووَصَفَ بعضُ العارفينَ صفةَ أهلِ المَحَبَّةِ الواصلينَ ؛ فقالَ : (جَدَّدَ لهُمُ الوُدَّ في كلِّ طَرْفةٍ بدوامِ الاتِّصالِ ، وآواهُم في كَنَفِهِ بحقائقِ السُّكُونِ إليهِ ، حتىٰ أَنَّتْ قلوبُهُم ، وحَنَّتْ أرواحُهُم شوقاً ، فكانَ الحُبُّ والشوقُ منهُم إشارةً مِنَ الحقِّ إليهِم عن حقيقةِ التوحيدِ ؛ وهوَ الوجودُ باللهِ ، فذَهَبَ مُناهُم ، وانقطعتْ آمالُهُم عندَهُ ؛ لِمَا بانَ منهُ لهُم .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٣٧٦) عن ذي النون المصري من قوله رحمه الله تعالىٰ ، ورواه البيهقي في « الشعب » (١٠٠١) عن ذي النون أنه وجده مكتوباً علىٰ حجر

(٢) أورد البيتين الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٨٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٩/١١٨) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢/٤٣٢)

(٣) رواه ابن حبان البستي في « روضة العقلاء » (ص٨٥) ، وأورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٠٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧٨)

ولو أنَّ الحقَّ أَمَرَ جميعَ الأنبياءِ يسألونَ لهُم . . ما سألوهُ بعضَ ما أَعَدَّ لهُم في قديمِ وَحْدانيَّتِهِ ودوامِ أزليَّتِهِ ، وسابقِ علمِهِ ، فكانَ نصيبُهُم معرفتَهُم بهِ ، وإفراغَ هِمَمِهِم عليهِ[1] ، واجتماعَ أهوائِهِم فيهِ ، فصارَ يَحسُدُهُم مِنْ عبيدِهِ العُمُومُ ؛ أنْ رَفَعَ عن قلوبِهِم جميعَ الهُمُومِ)

وأُنْشِدَ في مَعْناهُ[2] [من البسيط]

كَـانَـتْ لِقَلْبِـيَ أَهْـوَاءٌ مُفَـرَّقَـةٌ ... فَٱسْتَجْمَعَتْ إِذْ رَأَتْكَ ٱلنَّفْسُ أَهْوَائِي
فَصَارَ يَحْسُدُنِي مَنْ كُنْتُ أَحْسُدُهُ ... وَصِرْتُ مَوْلَى ٱلْوَرَىٰ مُذْ صِرْتَ مَوْلَائِي
تَرَكْتُ لِلنَّاسِ دُنْيَاهُمْ وَدِينَهُمُ ... شُغْلاً بِذِكْرِكَ يَا دِينِي وَدُنْيَائِي

وقد يكونُ مِنَ الأُنْسِ الأُنْسُ بطاعةِ اللهِ ، وذكرِهِ وتلاوةِ كلامِهِ ، وسائرِ أبوابِ القُرُباتِ ، وهـٰذا القَدْرُ مِنَ الأُنْسِ نعمةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ ومِنْحةٌ منهُ ، ولـٰكن ليسَ هوَ حالَ الأُنْسِ الذي يكونُ للمُحبِّينَ .

والأُنْسُ حالٌ شريفٌ يكونُ عندَ طهارةِ الباطنِ ، وكَنْسِهِ بصدقِ الزهدِ ، وكمالِ التقوىٰ ، وقَطْعِ الأسبابِ والعلائقِ ، ومَحْوِ الخواطرِ والهواجسِ

وحقيقتُهُ عندي كَنْسُ الوجودِ بثِقَلِ لائحِ العَظَمةِ ، وانتشارُ الرُّوحِ في ميادينِ الفُتُوحِ ، ولهُ استقلالٌ بنَفْسِهِ يشتملُ على القلبِ ، فيجمعُهُ بهِ عنِ الهيبةِ ، وفي الهيبةِ اجتماعُ الرُّوحِ ورُسُوبُهُ إلىٰ مَحَلِّ النَّفْسِ

---

(١) في (ج ، هـ ، ح) : (له) بدل (عليه)

(٢) أورد البيت الأول والثاني الأصبهاني في « الزهرة » (ص٩٧) ، وعزاهما إلىٰ بعض أهل عصره ، وأوردها كاملة أبو طالب المكي في « القوت » (٢/١٠٥٨) ، وأبو المعالي شَيْذَلَه في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٥٧٦) ، و(النفس) فاعل (استجمعت) .

وهٰذا الذي وَصَفْناهُ مِنْ أُنْسِ الذَّاتِ وهيبةِ الذَّاتِ . . يكونُ في مقامِ البقاءِ بعدَ العبورِ علىٰ مَمَرِّ الفناءِ ، وهما غيرُ الأُنْسِ والهيبةِ اللَّذَينِ يذهبانِ بوجودِ الفناءِ ؛ لأنَّ الهيبةَ والأُنْسَ قبلَ الفناءِ ظَهَرا مِنْ مُطالَعةِ الصفاتِ مِنَ الجلالِ والجمالِ ؛ وذاكَ مقامُ التَّلْوينِ ، وما ذَكَرْناهُ بعدَ الفناءِ في مقامِ التمكينِ والبقاءِ . . مِنْ مُطالَعةِ الذَّاتِ

ومِنَ الأُنْسِ خضوعُ النَّفْسِ المُطمئنَّةِ ، ومِنَ الهَيبةِ خُشُوعُها ، والخُضُوعُ والخُشُوعُ يتقاربانِ ويفترقانِ بفَرْقٍ لطيفٍ مُدرَكٍ بإيماءِ الرُّوحِ .

ومنها :

القرب

قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٩] .

وقد وَرَدَ : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ ٱلْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ فِي سُجُودِهِ »(١)

فالساجدُ إذا أُذيقَ طعمَ السجودِ يَقرُبُ ؛ لأنَّهُ يسجدُ ويَطْوِي بسجودِهِ بساطَ الكونِ ما كانَ وما يكونُ ، ويسجدُ علىٰ طَرَفِ رداءِ العَظَمةِ ، فيَقرُبُ .

وقد وَرَدَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما يُشيِّدُ هٰذا القولَ ؛ وهو قولُهُ عليهِ السلامُ : « إِنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا سَجَدَ يُطَهِّرُ بِسُجُودِهِ مَا تَحْتَ جَبْهَتِهِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ »(٢) ؛ بإيماءٍ يُدرِكُهُ أربابُهُ .

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٩٥١ ، ٨٦٨٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

قالَ بعضُهُم : إنِّي لَأجدُ الحضورَ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالىٰ ، فأقولُ : (يا أللهُ) أو (يا ربِّ) ، فأجدُ ذلكَ أثْقلَ عليَّ مِنَ الجبالِ ، قيلَ : ولِمَ ؟ قالَ لأنَّ النداءَ يكونُ مِنْ وراءِ حجابٍ ، وهل رأيتَ جليساً يُنادي جليسَهُ ؟! وإنَّما هيَ إشاراتٌ ومُلاحَظاتٌ ومُناغاتٌ ومُلاطَفاتٌ .

وهٰذا الذي وصفَهُ مقامٌ عزيزٌ مُتحقِّقٌ فيهِ القُرْبُ ، ولٰكنَّهُ مُشعِرٌ بمحوٍ ، ومُؤذِنٌ بسُكْرٍ ، يكونُ ذلكَ لمَنْ غابتْ نَفْسُهُ في نورِ روحِهِ ؛ لغلبةِ سُكْرِهِ ، وقوَّةِ مَحْوِهِ ، فإذا صحا وأفاقَ يتخلَّصُ الرُّوحُ مِنَ النَّفْسِ ، والنَّفْسُ مِنَ الرُّوحِ ، ويعودُ كلٌّ مِنَ العبدِ إلىٰ محلِّهِ ومقامِهِ ، فيقولُ : (يا أللهُ) و(يا ربِّ) بلسانِ النفْسِ المُطمئنَّةِ ، العائدةِ إلىٰ مقامِ حاجتِها ومَحَلِّ عُبُوديَّتِها

والرُّوحُ يستقلُّ بفتوحِهِ وبكمالِ الحالِ عنِ الأقوالِ ، وهٰذا أتَمُّ وأقربُ مِنَ الأوَّلِ ؛ لأنَّهُ وفَّىٰ حقَّ القُرْبِ باستقلالِ الرُّوحِ بالفتوحِ ، وأقامَ رَسْمَ العُبُوديَّةِ بعَودِ حُكْمِ النَّفْسِ إلىٰ مَحَلِّ الافتقارِ .

وحظُّ القُرْبِ لا يزالُ يتوفَّرُ للروحِ بإقامةِ رَسْمِ العُبُوديَّةِ مِنَ النَّفْسِ .

قالَ الجُنيدُ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ يَقرُبُ مِنْ قلوبِ عبادِهِ علىٰ حَسَبِ ما يرىٰ مِنْ قُرْبِ قلوبِ عبادِهِ منهُ ، فانظُرْ ماذا يَقرُبُ مِنْ قلبِكَ)[1]

وقالَ أبو يعقوبَ السُّوسيُّ : (ما دامَ العبدُ يكونُ بالقُرْبِ . . لم يكنْ قريباً حتىٰ يَغِيبَ عنِ القُرْبِ بالقُرْبِ ، فإذا ذَهَبَ عن رُؤْيةِ القُرْبِ بالقُرْبِ . . فذلكَ قُرْبٌ)[2]

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٨٥) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٨٥)، والسلمي في « تفسيره » (٢/٣٠٣)، =

وقد قالَ قائلُهُم[1] [من مجزوء الرمل]

قَــدْ تَحَقَّقْتُــكَ فِــي ٱلسِّــرِّ فَنَــاجَــاكَ لِسَــانِــي
فَــاْجْتَمَعْنَــا لِمَعَــانٍ وَٱفْتَــرَقْنَــا لِمَعَــانِــي
إنْ يَكُــنْ غَيَّبَــكَ ٱلتَّعْـظِيـمُ عَــنْ لَحْـظِ عِيَـانِــي
فَلَقَــدْ صَيَّــرَكَ ٱلْــوَجْـدُ مِــنَ ٱلْأَحْشَــاءِ دَانِــي

قالَ ذو النُّونِ : (ما ازدادَ أحدٌ مِنَ اللهِ قُرْبةً إلا ازدادَ هيبةً) .

وقالَ سهلٌ : (أَدْنىٰ مقامٍ مِنْ مقاماتِ القُربِ الحياءُ)[2]

وقالَ النَّصْرَاباذيُّ : (باتِّباعِ السُّنَّةِ تُنالُ المعرفةُ ، وبأداءِ الفرائضِ تُنالُ القُرْبةُ ، وبالمُواظَبةِ على النوافلِ تُنالُ المَحبَّةُ)[3]

ومنها

الحياء

والحياءُ على الوصفِ العامِّ ، والوصفِ الخاصِّ

فأمَّا الوصفُ العامُّ فما أَمَرَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قولِهِ : « ٱسْتَحْيُوا مِنَ ٱللهِ حَقَّ ٱلْحَيَاءِ » ، قالوا : إنَّا نستحيي يا رسولَ اللهِ !!

= والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧٥) .

(١) أورد الأبيات السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٠٢) ، ورواها الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/ ١١٥) ، وعزاها إلى الحلاج ، وأوردها أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٨٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٢٥٣) ، وعزواها إلى الجنيد رحمه الله تعالىٰ

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٧١) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧٦) دون نسبة .

قالَ « لَيْسَ ذَلِكَ ، وَلَـٰكِنْ مَنِ ٱسْتَحْيَا مِنَ ٱللهِ حَقَّ ٱلْحَيَاءِ . . فَلْيَحْفَظِ ٱلرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ ، وَٱلْبَطْنَ وَمَا حَوَىٰ ، وَلْيَذْكُرِ ٱلْمَوْتَ وَٱلْبِلَىٰ ، وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ ٱلدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَٰلِكَ فَقَدِ ٱسْتَحْيَا مِنَ ٱللهِ حَقَّ ٱلْحَيَاءِ »(١)

وهـٰذا الحياءُ مِنَ المقاماتِ .

وأمَّا الحياءُ الخاصُّ فمِنَ الأحوالِ ؛ وهوَ ما نُقِلَ عن عُثْمانَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (إنِّي لَأَغتسلُ في البيتِ المُظلِمِ ، فأَنْطوِي حياءً مِنَ اللهِ)(٢)

(١٤٥) ـ **أخبرَنا** أبو زُرْعةَ إجازةً ، عنِ ابنِ خَلَفٍ إجازةً ، عن أبي عبدِ الرحمـٰنِ قالَ : سمعتُ أبا العبَّاسِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ ابنَ صالحٍ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عَبْدُونٍ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ المُؤدِّبَ يقولُ : قالَ لي سَرِيٌّ : (احْفَظْ عنِّي ما أقولُ لكَ : إنَّ **الحياءَ والأُنْسَ** يطوفانِ بالقلبِ ، فإذا وَجَدا فيهِ الزهدَ والورَعَ حطَّا ، وإلا رَحَلا)(٣)

والحياءُ : إطراقُ الرُّوحِ إجلالاً لعظيمِ الجلالِ ، **والأُنْسُ** : التذاذُ الرُّوحِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٨) ، وأحمد (١/ ٣٨٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٦١) ، والحاكم (٤/ ٣٢٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وروي عن غيره أيضاً . انظر « غنية العارف » (٢/ ٨٨٠)

(٢) رواه بنحوه أحمد في « الزهد » (٦٦٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٥٦) ، ورواه بلفظ المؤلف ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٤/ ١١٣) ، وأحمد في « الزهد » (١١٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٦٠) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه من قوله .

(٣) رواه من طريق السلميِّ تلميذُهُ القشيري في « الرسالة » (ص٤٨٩) ، وفيه : (يطرقان القلب) بدل (يطوفان بالقلب) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (٧٣٥٣) عن الجنيد عن خاله السري ، واللفظ فيه : (الشوق والوَله يُرفرِفان على القلب ، فإن وجدا فيه الحياء والأنس . . أَوْطنا ، وإلا رحلا ، احفظْ عنِّي هـٰذا الكلام يا غلامُ لا يُضيِّع)

بكمالِ الجمالِ ، فإذا اجتمعا فهوَ الغايةُ في المُنىٰ ، والنهايةُ في العطاء .

قالَ بعضُ الحُكَماءِ : (مَنْ تكلَّمَ في الحياءِ ولا يستحيي مِنَ اللهِ فيما يتكلَّمُ بهِ . . فهوَ مُستدرَجٌ)(١)

وقالَ ذو النُّونِ : (الحياءُ وجودُ الهَيْبَةِ في القلبِ معَ حِشْمةِ ما سَبَقَ منكَ إلىٰ ربِّكَ)(٢)

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (العلمُ الأكبرُ : الهَيبةُ والحياءُ ، فإذا ذَهَبَ عنهُ الهيبةُ والحياءُ . . فلا خيرَ فيهِ)(٣)

وقالَ أبو سُلَيمانَ : (إنَّ العبادَ عَمِلُوا علىٰ أربعِ درجاتٍ : على الخوفِ ، والرجاءِ ، والتعظيمِ ، والحياءِ ، وأَشْرفُهُم منزلةً : مَنْ عَمِلَ على الحياءِ ؛ لِمَا أَيْقنَ أنَّ اللهَ تعالىٰ يراهُ علىٰ كلِّ حالٍ ، استحيا مِنْ حسناتِهِ أكثرَ ممَّا استحيا العاصُونَ مِنْ سيِّئاتِهِم)(٤)

وقالَ بعضُهُمْ (الغالبُ علىٰ قلوبِ المُستحيِينَ : الإجلالُ والتعظيمُ دائماً عندَ نَظَرِ اللهِ إليهم) .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٤٤٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٨٩) ، وعزواه إلىٰ أبي عثمان الحيري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٣٥٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٨٩) ، وفي « الشعب » : (خشية) بدل (حشمة) ، وفي « الرسالة » : (وحشة) .

(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص٤٨٩) .

(٤) أورده بنحوه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٤٤٥) ، وعزاه إلىٰ أبي أحمد القاضي رحمه الله تعالىٰ ، والزمخشري في « ربيع الأبرار » (٢/١٣٨) ، وعزاه إلىٰ إبراهيم الخواص رحمه الله تعالىٰ .

وأنشدَ شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ السُّهرُوَرْديُّ[1] [من مجزوء الكامل]

أَشْتَـاقُـهُ فَـإِذَا بَـدَا أَطْـرَقْـتُ مِـنْ إِجْـلَالِـهِ
لَا خِيفَـةً بَـلْ هَيْبَـةً وَصِيَـانَـةً لِجَمَـالِـهِ[2]
اَلْمَـوْتُ فِـي إِدْبَـارِهِ وَٱلْعَيْـشُ فِـي إِقْبَـالِـهِ
وَأَصُـدُّ عَنْـهُ إِذَا بَـدَا وَأَرُومُ طَيْـفَ خَيَـالِـهِ

ومنها :

الاتصال[3]

قالَ النُّوريُّ (الاتِّصالُ : مُكاشفاتُ القلوبِ ، ومُشاهَداتُ الأسرارِ)[4]

وقالَ بعضُهُمْ : (الاتِّصالُ : وصولُ السِّرِّ إلىٰ مقامِ الذُّهُولِ)[5]

وقالَ بعضُهُمْ : (الاتِّصالُ : ألَّا يشهدَ العبدُ غيرَ خالقِهِ ، ولا يتَّصلَ بسرِّهِ خاطرٌ لغيرِ صانعِهِ)[6]

---

(١) الأبيات في « مرآة الزمان » (١٨/ ١٧٧) من شعر عبد الواحد بن نصر الببَّغاء ، وعزا العميدي في « الإبانة عن سرقات المتنبي » (ص٤٥) البيتين الأوَّل والثاني إلىٰ معوج الرقي .

(٢) في (د) : (وصبابة بجماله) .

(٣) الاتِّصال : هو ملاحظة العبد عينَهُ متَّصلاً بالوجود الأَحَديِّ ، بقطع النظر عن تقيُّد وجوده بعينه ، وإسقاط إضافته إليه ، فيرى اتِّصالَ مدد الوجود ونَفَسِ الرحمـٰن إليه على الدوام بلا انقطاع ، حتىٰ يبقىٰ موجوداً به . من هامش (ح) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٧) .

(٥) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٧) ، وقال بعده : (معناه : أن يشغله تعظيم الله عن تعظيم سواه)

(٦) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٧) ، وعزاه إلىٰ بعض الكبار ، ولعلَّ المراد به الحلاج .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (حُرِّكُوا بالبلاءِ فتَحَرَّكُوا ، ولو سَكَنُوا اتَّصَلُوا)[1]

وقالَ يحيى بنُ مُعاذٍ الرازيُّ (العُمَّال أربعةٌ تائبٌ ، وزاهدٌ ، ومُشتاقٌ ، وواصلٌ ؛ فالتائبُ محجوبٌ بتوبتِهِ ، والزاهدُ محجوبٌ بزهدِهِ ، والمُشتاقُ محجوبٌ بحالِهِ ، والواصلُ لا يَحجُبُهُ عنِ الحقِّ شيءٌ)

وقالَ أبو سعيدٍ القُرَشيُّ (الواصلُ الذي يَصِلُهُ اللهُ تعالىٰ ، فلا يُخشىٰ عليهِ القطعُ أبداً ، والمُتَّصِلُ : الذي بجُهْدِهِ يتَّصِلُ ، وكلَّما دنا انقطعَ)

وكأنَّ هٰذا الذي ذَكَرَهُ حالُ المُريدِ والمُرادِ ؛ لكونِ أحدِهما مُباداً بالكشوفِ ، وكونِ الآخرِ مردوداً إلى الاجتهادِ .

وقالَ أبو يزيدَ (الواصلونَ في ثلاثةِ أحرفٍ : همُّهُمُ اللهُ ، وشُغْلُهُم في اللهِ ، ورجوعُهُم إلى اللهِ)

وقالَ السَّيَّاريُّ (الوصولُ مقامٌ جليلٌ ؛ وذلكَ أنَّ اللهَ تعالىٰ إذا أَحَبَّ عبداً أن يُوصِلَهُ اختصرَ عليهِ الطريقَ ، وقَرَّبَ إليهِ البعيدَ)

وقالَ الجُنيدُ : (الواصلُ هوَ الحاصلُ عندَ ربِّهِ)

وقالَ رُوَيمٌ : (أهلُ الوصولِ أَوْصلَ اللهُ إليهِم قلوبَهُم ؛ فهم محفوظو القِوىٰ ، ممنوعونَ مِنَ الخلقِ أبداً)

---

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٨)

وقالَ ذو النُّونِ : (ما رَجَعَ مَنْ رَجَعَ إلا مِنَ الطريقِ ، وما وَصَلَ إليهِ أحدٌ فرَجَعَ عنهُ)[1]

واعلَمْ : أنَّ الاتِّصالَ والمُواصَلةَ أشارَ إليهِ الشيوخُ ، وكلُّ مَنْ وَصَلَ إلىٰ صَفْوِ اليقينِ بطريقِ الذوقِ والوِجْدان. . فهوَ في رُتْبةٍ مِنَ الوصولِ ، ثمَّ يتفاوتونَ .

فمنهُم : مَنْ يَجِدُ اللهَ بطريقِ الأفعالِ ، وهوَ رُتْبةٌ في التَّجَلِّي ، فيَفْنىٰ فعلُهُ وفعلُ غيرِهِ ؛ لوقوفِهِ معَ فعلِ اللهِ ، ويخرجُ في هـٰذهِ الحالةِ مِنَ التدبيرِ والاختيارِ ، وهـٰذهِ رُتْبةٌ في الوصولِ .

ومنهُم : مَنْ يُوقَفُ في مقامِ الهَيبةِ والأُنْسِ بما يُكاشَفُ قلبُهُ بهِ مِنْ مُطالَعةِ الجلالِ والجمالِ ، وهـٰذا تَجَلٍّ بطريقِ الصفاتِ ، وهوَ رُتْبةٌ في الوصولِ .

ومنهُم : مَنْ يُرقَّىٰ إلىٰ مقامِ الفناءِ ، مُشتمِلاً علىٰ باطنِهِ أنوارُ اليقينِ والمُشاهَدةِ ، مُغيَّباً في شهودِهِ عن وجودِهِ ، وهـٰذا ضربٌ مِنْ تَجَلِّي الذاتِ لخواصِّ المُقرَّبينَ ، وهـٰذا رُتْبةٌ في الوصولِ .

وفوقَ هـٰذا حقُّ اليقينِ ، ويكونُ مِنْ ذلكَ في الدنيا للخواصِّ لُمَحٌ ؛ وهوَ سَرَيانُ نُورِ المُشاهَدةِ في كُلِّيَّةِ العبدِ ، حتىٰ يحظىٰ بهِ رُوحُهُ وقلبُهُ ونَفْسُهُ حتىٰ قالَبُهُ ، وهـٰذا مِنْ أَعْلىٰ رُتَبِ الوصولِ .

وإذا تحقَّقتِ الحقائقُ يعلمُ العبدُ معَ هـٰذهِ الأحوالِ الشريفةِ أنَّهُ بعدُ في

---

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٦٧) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦١) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٩) عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

أوَّلِ المنزلِ ، فأينَ الوصولُ ؟! هيهاتَ !! منازلُ طريقِ الوصولِ لا تُقطَعُ أبدَ الآبادِ في عُمُرِ الآخرةِ الأبَديِّ ، فكيفَ في العُمُرِ القصيرِ الدُّنْياويِّ ؟!

ومنها :

القبض والبسط

وهما حالانِ شريفانِ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البقرة : ٢٤٥].

وقد تكلَّمَ فيهِما الشيوخُ ، وأشاروا بإشاراتٍ هيَ علاماتُ القبضِ والبسطِ ، ولم أَجِدْ كَشْفاً عن حقيقتِهِما ؛ لأنَّهُمُ اكتفَوْا بالإشارةِ ، والإشارةُ تُقنِعُ الأهلَ .

وأحببتُ أنْ أُشبِعَ الكلامَ فيهِما ؛ لعلَّهَ يتشوَّفُ إلىٰ ذلكَ طالبٌ ويُحِبُّ بسطَ القولِ فيهِ

واعلَمْ : أنَّ القبضَ والبسطَ لهُما مَوسِمٌ معلومٌ ووقتٌ محتومٌ ؛ لا يكونانِ قبلَهُ ، ولا يكونانِ بعدَهُ .

ووقتُهُما ومَوسِمُهُما : في أوائلِ حالِ المَحبَّةِ الخاصَّةِ ، لا في نهايتِها ، ولا قبلَ حالِ المَحبَّةِ الخاصَّةِ ، فمَنْ هوَ في مقامِ المَحبَّةِ العامَّةِ الثابتةِ بحُكْمِ الإيمانِ . لا يكونُ لهُ قبضٌ ولا بسطٌ ، وإنَّما يكونُ لهُ خوفٌ ورجاءٌ

وقد يجدُ شِبْهَ حالِ القبضِ وشِبْهَ حالِ البسطِ ويَظُنُّ ذلكَ قبضاً وبسطاً ، وليسَ هوَ ذلكَ ، وإنَّما هوَ هَمٌّ يَعْتريهِ فيَظُنُّهُ قبضاً ، واهتزازٌ نَفْسانيٌّ ونشاطٌ طبيعيٌّ فيظنُّهُ بسطاً ، والهمُّ والنشاطُ يَصدُرانِ مِنْ مَحَلِّ النَّفْسِ ومِنْ جوهرِها ؛ لبقاءِ صفاتِها ، وما دامتْ صفةُ الأَمَّاريَّةِ فيها بقيَّةٌ على النَّفْسِ .

يكونُ منها الاهتزازُ والنشاطُ والهمُّ ، والهمُّ وَهَجُ [شاخوزِ] النَّفْسِ[1] ، والنشاطُ ارتفاعُ مَوْجِ النَّفْسِ عندَ تلاطُمِ بحرِ الطبعِ

فإذا ارتقىٰ مِنْ حالِ المَحَبَّةِ العامَّةِ إلىٰ أوائلِ المَحَبَّةِ الخاصَّةِ . يصيرُ ذا حالٍ ، وذا قلبٍ ، وذا نَفْسٍ لوَّامةٍ ، ويتناوبُ القبضُ والبسطُ فيهِ عندَ ذلكَ ؛ لأنَّهُ ارتقىٰ مِنْ رُتْبَةِ الإيمانِ إلىٰ رُتْبَةِ الإيقانِ وحالِ المَحَبَّةِ الخاصَّةِ ، فيَقبِضُهُ الحقُّ تارةً ويَبسُطُهُ أُخْرىٰ .

قالَ الواسطيُّ : (يَقبِضُكَ عمَّا لكَ ، ويَبسُطُكَ فيما لهُ)[2]

وقالَ النُّوريُّ : (يَقبِضُكَ بإيَّاهُ ، ويَبسُطُكَ لإيَّاهُ)[3]

واعلَمْ أنَّ وجودَ القبضِ لظهورِ صفةِ النَّفْسِ وغَلَبتِها ، وظهورَ البسطِ لظهورِ صفةِ القلبِ وغَلَبتِهِ ، والنَّفْسُ ما دامتْ لوَّامةً فتارةً مغلوبةٌ ، وتارةً غالبةٌ ، والقبضُ والبسطُ باعتبارِ ذلكَ منها

وصاحبُ القلبِ تحتَ حجابٍ نُورانيٍّ ؛ لوجودِ قلبِهِ ، كما أنَّ صاحبَ النَّفْسِ تحتَ حجابٍ ظُلْمانيٍّ ؛ لوجودِ نَفْسِهِ ، فإذا ارتقىٰ مِنَ القلبِ وخَرَجَ مِنْ حجابِهِ . لا يُقيِّدُهُ الحالُ ولا يتصرَّفُ فيهِ ، فيخرجُ مِنْ تصرُّفِ القبضِ والبسطِ حينَئذٍ ، فلا يُقبَضُ ولا يُبسَطُ ما دامَ مُتخلِّصاً مِنَ الوجودِ النُّورانيِّ

---

(١) الوَهَجُ في الأصل : حرُّ النار ، وفي النسخ : (شاخور) بدل (شاخوز) ، والشاخوز لعلَّهُ مأخوذٌ من الشَّخز ؛ وهو الاضطراب ، والله تعالىٰ أعلم ، وقد فُسِّر في هامش (ح) بذلك .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٧٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٨٣) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٧٤) .

الذي هوَ القلبُ ، ومُتحققاً بالقُرْبِ مِنْ غيرِ حجابِ النَّفْسِ والقلبِ

فإذا عادَ إلى الوجودِ مِنَ الفناءِ والبقاءِ . . يعودُ إلى الوجودِ النُّورانيِّ الذي هوَ القلبُ ، فيعودُ القبضُ والبسطُ إليهِ عندَ ذلكَ ، **ومهما تَخَلَّصَ إلى الفناءِ والبقاءِ** . . فلا قبضَ ولا بسطَ

قالَ فارسٌ : (أوَّلاً القبضُ ، ثمَّ البسطُ ، ثمَّ لا قبضَ ولا بسطَ)[١] ؛ لأنَّ القبضَ والبسطَ يقعانِ في الوجودِ ، **فأمَّا معَ الفناءِ والبقاءِ** فلا[٢]

ثمَّ إنَّ القبضَ قد يكونُ عقوبةَ الإفراطِ في البسطِ ؛ وذلكَ أنَّ الواردَ مِنَ اللهِ تعالىٰ يَرِدُ على القلبِ ، فيمتلئُ القلبُ منهُ رَوْحاً وفَرَحاً واستبشاراً ، فتسترقُ النَّفسُ السمعَ عندَ ذلكَ وتأخذُ بنصيبِها ، فإذا وَصَلَ أثَرُ الواردِ إلى النَّفْسِ . . طَغَتْ بطبعِها ، وأَفْرطَتْ في البسطِ ، حتىٰ يُشاكِلُ البسطُ نشاطاً ، فيُقابَلُ بالقبضِ عقوبةً .

وكلُّ القبضِ إذا فُتِّشَ لا يكونُ إلا مِنْ حركةِ النَّفْسِ وظهورِها بصفتِها ، **ولو تأدَّبتِ النَّفْسُ وعَدَلَتْ** ، ولم تَجْرِ بالطُّغيانِ تارةً وبالعِصْيانِ أُخْرىٰ . . ما وَجَدَ صاحبُ القلبِ القبضَ ، ودامَ رَوْحُهُ وأُنْسُهُ ، **ورعايةُ الاعتدالِ الذي يَسُدُّ بابَ القبضِ** . . مُتلقّىً مِنْ قولِهِ تعالىٰ ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣] .

فـواردُ الفَـرَحِ مـا دامَ مـوقـوفـاً علـى الـرُّوحِ والقلـبِ . . لا يَكثُـفُ ،

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٨٣)

(٢) أي : فلا يقع القبض والبسط في الفناء والبقاء . **من هامش (ح)**

ولا يستوجبُ صاحبُهُ القبضَ ، سيَّما إذا لَطُفَ الفرحُ بالواردِ بالإيواءِ إلى اللهِ تعالىٰ ، وإذا لم يَلتجِئْ بالإيواءِ إلى اللهِ . تطلَّعتِ النَّفْسُ وأخذتْ حظَّها مِنَ الفرحِ ، وهوَ الفَرَحُ بما أُوتِيَ الممنوعُ منهُ ، فمِنْ ذلكَ القبضُ في بعضِ الأحايينِ ، وهٰذا مِنْ أَلْطَفِ الذُّنُوبِ المُوجِبةِ للقبضِ ، وفي النَّفْسِ مِنْ حركاتِها وصفاتِها وَثَبَاتٌ مُتعدِّدةٌ مُوجِبةٌ للقبضِ

ثمَّ الخوفُ والرجاءُ لا يَعدَمُهُما صاحبُ القبضِ والبسطِ ، ولا صاحبُ الأُنْسِ والهَيبةِ ؛ لأنَّهُما مِنْ ضرورةِ الإيمانِ ، فلا ينعدمانِ ، وأمَّا القبضُ والبسطُ فينعدمانِ عندَ صاحبِ الإيمانِ ؛ لنُقْصانِ الحظِّ مِنَ القلبِ ، وعندَ صاحبِ الفناءِ والبقاءِ والقُرْبِ ؛ لتخلُّصِهِ مِنَ القلبِ .

وقد يَرِدُ على الباطنِ قبضٌ وبسطٌ ولا يُعلَمُ سببُهُما ، ولا يخفىٰ سببُ القبضِ والبسطِ إلا علىٰ قليلِ الحظِّ مِنَ العلمِ الذي لم يُحكِمْ علمَ الحالِ ولا علمَ المقامِ ، ومَنْ أَحْكَمَ علمَ الحالِ وعلمَ المقامِ . لا يخفىٰ عليهِ سببُ القبضِ والبسطِ ، وربَّما كما كانَ يشتبهُ عليهِ سببُ القبضِ والبسطِ . يشتبهُ عليهِ الهمُّ بالقبضِ والنشاطُ بالبسطِ ، وإنَّما علمُ ذلكَ لمَنِ استقامَ قلبُهُ .

ومَنْ عَدِمَ القبضَ والبسطَ وارتقىٰ منهُما . فنَفْسُهُ مُطمئِنَّةٌ ، لا ينقدحُ مِنْ جوهرِها نارٌ تُوجِبُ القبضَ ، ولا يتلاطمُ بحرُ طبعِها مِنْ أَهْوِيةِ الهوىٰ حتىٰ يظهرَ منهُ البسطُ[1] ، وربَّما صارَ لمثلِ هٰذا القبضُ والبسطُ في نَفْسِهِ لا مِنْ نَفْسِهِ ، تكونُ نَفْسُهُ المُطمئِنَّةُ بطبعِ القلبِ ، فيجري القبضُ والبسطُ في نَفْسِهِ

(١) قوله : (أهوية) كذا في النسخ ، وقد نقلت سابقاً في (١/ ٢٦٩) أنَّ قياسه (أهواء) ، وأنَّ (أهوية) جمع (هواء)

المُطمئنَّةِ وما لقلبِهِ قبضٌ ولا بسطٌ ؛ لأنَّ القلبَ مُتحصِّنٌ بشُعاعِ نورِ الرُّوحِ ، مُستقِرٌّ في دَعَةِ القُرْبِ ، فلا قبضَ ولا بسطَ .

ومنها :

الفناء والبقاء

فقد قيلَ : الفناءُ : أنْ تَفْنىٰ عنهُ الحظوظُ ؛ فلا يكونُ لهُ في شيءٍ حظٌّ ؛ بل يفنىٰ عنِ الأشياءِ كلِّها شُغْلاً بمَنْ فَنِيَ بهِ[1] ، وقد قالَ عامرُ بنُ عبدِ اللهِ : (ما أُبالي امرأةً رأيتُ أم حائطاً)[2]

ويكونُ محفوظاً فيما للهِ عليهِ ، مصروفاً عن جميعِ المُخالَفاتِ .

والبقاءُ يَعقُبُهُ ؛ وهوَ أنْ يفنىٰ عمَّا لهُ ويبقىٰ بما للهِ[3]

وقيلَ : الباقي : أنْ تصيرَ الأشياءُ كلُّها لهُ شيئاً واحداً ؛ فتكونُ كلُّ حركاتِهِ في مُوافَقةِ الحقِّ دونَ مُخالَفتِهِ ، فيكونُ فانياً عنِ المُخالَفاتِ ، باقياً في المُوافَقاتِ[4]

وعندي : أنَّ هـٰذا الذي ذَكَرَهُ هـٰذا القائلُ هوَ مقامُ صِحَّةِ التوبةِ النَّصُوحِ ، وليسَ مِنَ الفناءِ والبقاءِ بشيءٍ .

ومِنَ الإشارةِ إلى الفناءِ : ما رُوِيَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما

---

(١) هو من كلام الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٢) .

(٢) رواه أحمد في « الزهد » (١٢٣٣) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٦٦) من كلام معروف الكرخي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) انظر « التعرف » (ص١٤٣) .

(٤) هو من كلام الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٣) .

سَلَّمَ عليهِ إنسانٌ وهوَ في الطوافِ ، فلم يَرُدَّ عليهِ ، فشكاهُ إلىٰ بعضِ أصحابِهِ ، فقالَ لهُ : كُنَّا نتراءى اللهَ في ذلكَ المكانِ[1]

وقيلَ : الفناءُ : هوَ الغَيبةُ عنِ الأشياءِ ، كما كانَ فناءُ موسىٰ عليهِ السلامُ حينَ تجلَّىٰ ربُّهُ للجبلِ[2]

وقالَ الخَرَّازُ : (الفناءُ : هوَ التلاشي بالحقِّ ، والبقاءُ : هوَ الحضورُ معَ الحقِّ)[3]

وقالَ الجُنيدُ : (الفناءُ : استعجامُ الكُلِّ عن أوصافِكَ ، واشتغالُ الكُلِّ منكَ بكُلِّيَّتِهِ)[4]

وقالَ إبراهيمُ بنُ شيبانَ : (علمُ الفناءِ والبقاءِ يدورُ علىٰ إخلاصِ الوَحْدانيَّةِ وصحَّةِ العُبُوديَّةِ ، وما كانَ غيرَ هـٰذا فهوَ المغاليطُ والزَّنْدقةُ)[5]

وسُئِلَ الخَرَّازُ : ما علامةُ الفاني ؟ قالَ : علامةُ مَنِ ادَّعى الفناءَ : ذهابُ حظِّهِ مِنَ الدنيا والآخرةِ إلا مِنَ اللهِ تعالىٰ[6]

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في « أدب النفس » (ص١٠٥) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٤) .

(٢) هو من كلام الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٤) .

(٣) وقيل : إنَّ الخرَّازَ أوَّلُ مَنْ تكلَّم في علم الفناء والبقاء انظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٢٨) ، و« مناقب الأبرار » (ص ٤٧٧) .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٨٥) .

(٥) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٤٠٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٢٠٩) ، وبنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٦١)

(٦) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٨٤) ، وزادا واللفظ للكلاباذي : (ثمَّ يبدو بادٍ من قدرة الله تعالىٰ فيُريه ذهابَ=

وقالَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : (أهلُ الفناءِ في الفناءِ صحَّتُهُم أنْ يصحبَهُم علمُ البقاءِ ، وأهلُ البقاءِ في البقاءِ صحَّتُهُم أنْ يصحبَهُم علمُ الفناءِ)[1]

واعلَمْ : أنَّ أقاويلَ الشُّيُوخِ في الفناءِ والبقاءِ كثيرةٌ ؛ فبعضُها إشارةٌ إلىٰ فناءِ المُخالَفاتِ وبقاءِ المُوافَقاتِ ، وهـٰذا تقتضيهِ التوبةُ النصوحُ ، فهوَ ثابتٌ بوصفِ التوبةِ

وبعضُها يُشِيرُ : إلىٰ زوالِ الرَّغْبةِ والحِرْصِ والأملِ ، وهـٰذا يقتضيهِ الزهدُ .

وبعضُها إشارةٌ : إلىٰ فناءِ الأوصافِ المذمومةِ وبقاءِ الأوصافِ المحمودةِ ، وهـٰذا تقتضيهِ تزكيةُ النَّفْسِ .

وبعضُها إشارةٌ : إلىٰ حقيقةِ الفناءِ المُطلَقِ ، وكلُّ هـٰذهِ الإشاراتِ فيها معنى الفناءِ مِنْ وجهٍ ، ولـٰكنَّ الفناءَ المُطلَقَ هوَ ما يستولي مِنْ أمرِ الحقِّ سُبْحانَهُ وتعالىٰ على العبدِ ، فيَغلِبُ كونُ الحقِّ سُبْحانَهُ وتعالىٰ علىٰ كونِ العبدِ ، وهو ينقسمُ إلىٰ فناءٍ ظاهرٍ ، وفناءٍ باطنٍ .

فأمَّا الفناءُ الظاهرُ : فهوَ أنْ يتجلَّى الحقُّ سُبْحانَهُ وتعالىٰ بطريقِ الأفعالِ ، ويَسلُبَ عنِ العبدِ اختيارَهُ وإرادتَهُ ، فلا يرىٰ لنَفْسِهِ ولغيرِهِ فعلاً إلا بالحقِّ ، ثمَّ يأخذَهُ في المُعامَلةِ معَ اللهِ تعالىٰ بحَسَبِهِ ؛ حتىٰ سمعتُ أنَّ بعضَ مَنْ أُقِيمَ في هـٰذا المقامِ مِنَ الفناءِ كانَ يبقىٰ أيَّاماً لا يتناولُ الطعامَ والشرابَ حتىٰ يتجرَّدَ

= حظِّهِ من الله تعالىٰ إجلالاً لله ، ثمَّ يبدو له بادٍ من الله تعالىٰ فيُريه ذهابَ حظِّهِ من رؤية ذهاب حظِّهِ ، ويبقىٰ رؤية ما كان من الله لله ، ويتفرَّد الواحد الصمد في أَحَديَّته ، فلا يكونُ لغير الله مع الله فناءٌ ولا بقاءٌ) .

(١) علم البقاء : علم الشرع ، وعلم الفناء : علم التوحيد . من هامش (ج) .

لـهُ فعـلُ اللهِ فيـهِ ، ويُقيِّضَ اللهُ تعـالـىٰ لـهُ مَنْ يُطعِمُـهُ ويَسْقِيـهِ كيـفَ شـاءَ وأَحَبَّ[1] ، وهـٰذا لَعَمْري فناءٌ ؛ لأنَّهُ فَنِيَ عن نَفْسِهِ وعنِ الغيرِ ؛ نَظَراً إلىٰ فعلِ اللهِ تعالىٰ بفناءِ فعلِ غيرِ اللهِ .

والفناءُ الباطنُ أنْ يُكاشَفَ تارةً بالصفاتِ ، وتارةً بمشاهَدةِ آثارِ عَظَمةِ الذاتِ ، فيستـولـي علـىٰ بـاطنِـهِ أمـرُ الحقِّ ، حتـىٰ لا يبقـىٰ لـهُ هـاجـسٌ ولا وَسْواسٌ

وليسَ مِنْ ضرورةِ الفناءِ أنْ يغيبَ إحساسُهُ ، وقد يتَّفقُ غَيبةُ الإحساسِ لبعضِ الأشخاصِ ، وليسَ ذلكَ مِنْ ضرورةِ الفناءِ على الإطلاقِ .

وقد سألتُ الشيخَ أبا محمَّدِ بنَ عبدِ البَصْريِّ وقلتُ لهُ : هل يكونُ بقاءُ المُتخيَّلاتِ في السرِّ ووجودُ الوساوسِ مِنَ الشِّرْكِ الخَفِيِّ ؟ وكانَ عندي أنَّ ذلكَ مِنَ الشِّرْكِ الخَفِيِّ ، فقالَ لي : هـٰذا يكونُ في مقامِ الفناءِ ، ولم يذكرْ أنَّهُ هل هوَ مِنَ الشِّرْكِ الخَفِيِّ أم لا

ثمَّ ذَكَرَ حكايةَ مسلمِ بنِ يسارٍ أنَّهُ كانَ في الصلاةِ فوقعتْ أُسْطُوانةٌ في الجامعِ انزعجَ لهدَّتِها أهلُ الأسواقِ ، فدخلوا المسجدَ ، فرَأَوْهُ في الصلاةِ ولم يَحُسَّ بالأُسْطُوانةِ ووقوعِها[2]

فهـٰذا هوَ الاستغراقُ والفناءُ باطناً .

ثمَّ قد يتَّسعُ وعاؤُهُ ؛ حتىٰ لعلَّهُ يكونُ مُتحقِّقاً بالفناءِ ومَعْناهُ رُوحاً وقلباً ، ولا يغيبُ عن كلِّ ما يجري عليهِ مِنْ قولٍ وفعلٍ .

---

(١) انظر ما تقدم في (١/ ٤٤٦ـ ٤٥١) .

(٢) سبق تخريجها في (٢/ ١٧٣ـ ١٧٤) .

ويكونُ مِنْ أقسامِ الفناءِ أنْ يكونَ في كلِّ فعلٍ وقولٍ مرجعُهُ إلى اللهِ سبحانَهُ ، وينتظرَ الإذنَ في كُلِّيَّاتِ أمورِهِ ؛ ليكونَ في الأشياءِ باللهِ لا بنَفْسِهِ .

فتاركُ الاختيارِ مُنتظِراً لفعل الحقِّ فانٍ ، وصاحبُ الانتظارِ لإذنِ الحقِّ في كُلِّيَّاتِ أمورِهِ. . راجعٌ إلى اللهِ سبحانَهُ بباطنِهِ في جُزْئيَّاتِها فانٍ ، ومَنْ مَلَّكَهُ اللهُ اختيارَهُ وأَطْلَقَهُ في التصرُّفِ ؛ يختارُ كيفَ شاءَ وأرادَ ، لا مُنتظِراً للفعلِ ، ولا مُنتظِراً للإذنِ. . هوَ باقٍ ، والباقي في مقامٍ لا يَحجُبُهُ الحقُّ عنِ الخلقِ ، ولا الخلقُ عنِ الحقِّ ، والفاني محجوبٌ بالحقِّ عنِ الخلقِ .

والفناءُ الظاهرُ لأربابِ القلوبِ والأحوالِ ، والفناءُ الباطنُ لمَنْ أُطلِقَ عن وَثاقِ الأحوالِ ، وصارَ باللهِ لا بالأحوالِ ، وخَرَجَ مِنَ القلبِ فصارَ معَ مُقلِّبِهِ لا معَ قلبِه ، طُوبىٰ لهُ ، طُوبىٰ لهُ[1]

❁ ❁ ❁

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً)

الباب الثاني والستون

في شرح كلمات مشيرة إلى بعض الأحوال من اصطلاح الصوفية

(١٤٦) ـ أخبرَنا الشيخُ الثقةُ أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي ابنِ سَلْمانَ إجازةً(١) ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ حَمْدُ بنُ أحمدَ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو نُعَيمٍ الأَصْفَهانيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ ، قالَ : حدَّثَنا أبو مسلمٍ الكَشِّيُّ ، قالَ : حدَّثَنا مِسْوَرُ بنُ عيسىٰ ، قالَ : حدَّثَنا القاسمُ بنُ يحيىٰ ، قالَ حدَّثَنا ياسينُ الزيَّاتُ ، عن أبي الزُّبيرِ ، عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ مِنْ مَعَادِنِ ٱلتَّقْوَىٰ تَعَلُّمَكَ إِلَىٰ مَا قَدْ عَلِمْتَ عِلْمَ مَا لَمْ تَعْلَمْ ، وَٱلنَّقْصُ فِيمَا عَلِمْتَ قِلَّةُ ٱلزِّيَادَةِ فِيهِ ، وَإِنَّمَا يُزَهِّدُ ٱلرَّجُلَ فِي عِلْمِ مَا لَمْ يَعْلَمْ قِلَّةُ ٱلِانْتِفَاعِ بِمَا قَدْ عَلِمَ »(٢)

فمشايخُ الصُّوفيَّةِ أَحْكموا أساسَ التقوىٰ ، وتعلَّموا العلمَ للهِ تعالىٰ ، وعَمِلُوا بما عَلِمُوا لمَوْضِعِ تَقْواهُم ، فعلَّمَهُمُ اللهُ تعالىٰ ما لم يعلموا مِنْ

---

(١) سقط التصريح بالإجازة من (أ ، ج ، هـ) .

(٢) رواه من طريق أبي مسلم الكشي أبو نعيم في « رياضة الأبدان » كما في « الغنية » (٢/٨٩١) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٤٩٢) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٥٨٠) ، ومن طريق أبي نعيمٍ تلميذُهُ الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١/ ٤٣١) ، وانظر « العلل المتناهية » (١/ ٨٥ ـ ٨٦) .

غرائبِ العلومِ ودقيقِ الإشاراتِ ، واستنبطوا مِنْ كلامِ اللهِ تعالىٰ غرائبَ العلومِ وعجائبَ الأسرارِ ، وتَرَسَّخَ قَدَمُهُم في العلمِ .

قالَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ (أَوَّلُ الفهمِ لكلامِ اللهِ العَمَلُ بهِ ؛ لأنَّ فيهِ العلمَ والفهمَ والاستنباطَ ، وأَوَّلُ الفهمِ : إلقاءُ السمعِ والمُشاهَدةِ ؛ لقولِهِ تعالىٰ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [قٓ : ٣٧])[١]

وقالَ أبو بكرٍ الواسِطيُّ (الراسخونَ في العلمِ هُمُ الذينَ رسخوا بأرواحِهِم في غَيبِ الغَيبِ ، وفي سِرِّ السِّرِّ ، فعَرَّفَهُم ما عَرَّفَهُم ، وأرادَ منهُم مِنْ مُقتضى الآياتِ ما لم يُرِدْ مِنْ غيرِهِم ، وخاضوا بحرَ العلمِ بالفهمِ لطلبِ الزِّياداتِ ، فانكشفَ لهُم مِنْ مَذْخُورِ الخزائنِ والمخزونِ تحتَ كلِّ حرفٍ وآيةٍ مِنَ الفهمِ وعجائبِ النصِّ ، فاستخرجوا الدُّرَرَ والجواهرَ ، ونطقوا بالحِكْمةِ)[٢]

وقد وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما رواهُ سُفْيانُ بنُ عُيَينَةَ ، عنِ ابنِ جُرَيجٍ ، عن عطاءٍ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : « إِنَّ مِنَ ٱلْعِلْمِ كَهَيْئَةِ ٱلْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا ٱلْعُلَمَاءُ بِٱللهِ ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا أَهْلُ ٱلْغِرَّةِ بِٱللهِ »[٣]

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١١٣)

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١١٣) ، والسلمي في « تفسيره » (١/ ٨٧)

(٣) رواه السلمي في « الأربعين في التصوف » (ص١٣) ، والديلمي في « الفردوس » (٨٠٢) ، والغِرَّة : الغفلة

(١٤٧) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً[1] ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ خَلَفٍ إجازةً[2] ، قالَ أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ ، قالَ : سمعتُ النَّصْراباذيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ عائشةَ يقولُ : سمعتُ القُرَشيَّ يقولُ : (هيَ أسرارُ اللهِ تعالىٰ يُبدِيها إلىٰ أُمَناءِ أوليائِهِ وساداتِ النُّبَلاءِ مِنْ غيرِ سماعٍ ولا دراسةٍ ، وهيَ مِنَ الأسرارِ التي لم يُطلِعْ عليها إلا الخَوَاصَّ)[3]

وقالَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : (للعارفينَ خزائنُ أَوْدعُوها علوماً غريبةً وأنباءً عجيبةً ، يتكلَّمونَ فيها بلسانِ الأَبَدِيَّةِ ، ويُخبِرُونَ عنها بعبارةِ الأَزَلِيَّةِ ، وهوَ مِنَ العلمِ المجهولِ)[4]

فقولُهُ : (بلسانِ الأبديَّةِ) و(عبارةِ الأزليّةِ) إشارةٌ إلىٰ أنَّهُم باللهِ يَنطِقُونَ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ علىٰ لسانِ نبيِّهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « بي يَنْطِقُ »[5] ، وهوَ العلمُ اللَّدُنِّيُّ الذي قالَ اللهُ تعالىٰ فيهِ في حقِّ الخَضِرِ عليهِ السلامُ : ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] .

فمِمَّا تداولَتْهُ ألسنتُهُم مِنَ الكلماتِ تفهيماً مِنْ بعضِهِم للبعضِ ، وإشارةً منهُم إلىٰ أحوالٍ يجدونَها ، ومعاملاتٍ قلبيّةٍ يعرفونَها . . قولُهُمُ :

---

(١) سقط التصريح بالإجازة من بعض النسخ .

(٢) سقط التصريح بالإجازة من بعض النسخ .

(٣) قوله : (هي) ؛ أي : العلوم التي هي كهيئة المكنون .

(٤) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٢٣٢) ، ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٤٧) .

(٥) سبق تخريجه في (١/٣٢١) .

قيلَ أصلُ الجمعِ والتفرقةِ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ﴾ ، فهٰذا جمعٌ ، ثمَّ فرَّقَ فقالَ : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ١٨] ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ جمعٌ ، ثمَّ فرَّقَ بقولِهِ : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

والجمعُ أصلٌ ، والتفرقةُ فرعٌ ؛ فكلُّ جمعٍ بلا تفرقةٍ زندقةٌ ، وكلُّ تفرقةٍ بلا جمعٍ تعطيلٌ[(١)]

وقالَ الجُنيدُ : (القُرْبُ بالوجدِ جمعٌ ، وغَيْبتُهُ في البَشَريَّةِ تفرقةٌ)[(٢)]

وقيلَ : جَمَعَهُم في المعرفةِ ، وفرَّقَهُم في الأحوالِ[(٣)]

والجمعُ اتِّصالٌ لا يُشاهِدُ صاحبُهُ إلا الحقَّ ، فمتىٰ شاهدَ غيرَهُ فما جمعَ ، والتفرقةُ شهودٌ لمَنْ شاهدَ بالمُبايَنةِ[(٤)]

وعباراتُهُم في ذلكَ كثيرةٌ .

والمقصودُ : أنَّهُم أشاروا بالجمعِ إلىٰ تجريدِ التوحيدِ ، وأشاروا بالتفرقةِ : إلى الاكتسابِ ؛ فعلىٰ هٰذا لا جَمْعَ إلا بتفرقةٍ .

ويقولونَ : (فلانٌ في عينِ الجمعِ) ؛ يعنونَ : استيلاءَ مُراقَبةِ الحقِّ علىٰ

---

(١) الكلام لأبي نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٨٣) .

(٢) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص١٥٧) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٨٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٨٠)

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٨٠) عن الأبهري رحمه الله تعالىٰ

(٤) في (ب ، د ، هـ ، ي) : (لمن شاء) بدل (لمن شاهد)

باطنِهِ ، فإذا عادَ إلىٰ شيءٍ مِنْ أعمالِهِ . . عادَ إلى التفرقةِ ؛ فصحَّةُ الجمعِ بالتفرقةِ ، وصحَّةُ التفرقةِ بالجمعِ ، وهٰذا يرجعُ حاصلُهُ : إلىٰ أنَّ الجمعَ مِنَ العلمِ باللهِ ، والتفرقةَ مِنَ العلمِ بأمرِ اللهِ ، ولا بُدَّ منهُما جميعاً .

قالَ المُزيِّنُ : (الجمعُ : عينُ الفناءِ باللهِ ، والتفرقةُ : العُبُوديَّةُ مُتَّصِلٌ بعضُها بالبعضِ)[1]

وقد غَلِطَ قومٌ وادَّعَوْا أنَّهُم في عينِ الجمعِ ، وأشاروا إلىٰ صِرْفِ التوحيدِ ، وعطَّلوا الاكتسابَ ، فتزَنْدَقُوا ، وإنَّما الجمعُ حُكْمُ الرُّوحِ ، والتفرقةُ حُكْمُ القالَبِ ، وما دامَ هٰذا التركيبُ باقياً فلا بُدَّ مِنَ الجمعِ والتفرقةِ

وقالَ الواسطيُّ : (إذا نظرتَ إلىٰ نَفْسِكَ فرَّقتَ ، وإذا نظرتَ إلىٰ ربِّكَ جمعتَ ، وإذا كنتَ قائماً بغيرِكَ فأنتَ فانٍ بلا جمعٍ ولا تفرقةٍ)[2]

وقيلَ : (جمعَهُم بذاتِهِ ، وفرَّقَهُم في صفاتِهِ) .

وقد يُريدونَ بالجمعِ والتفرقةِ : أنَّهُ إذا أَثْبتَ لنَفْسِهِ كَسْباً ونَظَراً إلىٰ أعمالِهِ . . فهوَ في التفرقةِ ، وإذا أَثْبتَ الأشياءَ بالحقِّ . . فهوَ في الجمعِ .

ومجموعُ الإشاراتِ تُنبئُ : أنَّ الكونَ يُفرِّقُ ، والمُكوِّنَ يجمعُ ، فمَنْ أَفْردَ المُكوِّنَ جَمَعَ ، ومَنْ نَظَرَ إلى الكونِ فَرَّقَ ؛ فالتفرقةُ عبوديَّةٌ ، والجمعُ توحيدٌ .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٧٩) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٨٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٨٠) ، وفيهما : (فأنت ميت) بدل (فأنت فان) .

فإذا أَثْبتَ طاعاتِهِ نَظَراً إلىٰ كسبِهِ . فَرَّقَ ، وإذا أَثبتَها باللهِ جَمَعَ ، وإذا تحقَّقَ بالفناءِ فهوَ جمعُ الجمعِ .

ويُمكِنُ أنْ يُقالَ : رؤيةُ الأفعالِ تفرقةٌ ، ورؤيةُ الصفاتِ جمعٌ ، ورؤيةُ الذَّاتِ جمعُ الجمعِ .

سُئِلَ بعضُهُم عن حالِ موسىٰ عليهِ السلامُ في وقتِ الكلامِ ، فقالَ : أُفْنِيَ موسىٰ عن موسىٰ ، فلم يكنْ لموسىٰ خبرٌ مِنْ موسىٰ ، ثمَّ كُلِّمَ ، فكانَ المُكلِّمُ والمُكلَّمُ هو ، وكيفَ كانَ يُطِيقُ موسىٰ حملَ الخطابِ وردَّ الجوابِ لولا بإِيَّاهُ سَمِعَ ؟!

معنىٰ هٰذا : أنَّ اللهَ تعالىٰ مَنَحَهُ قوَّةً ، بتلكَ القوَّةِ سمعَ ، ولولا تلكَ القوَّةُ ما قَدَرَ على السمعِ .

ثمَّ أَنْشَدَ القائلُ مُتمثِّلاً : [من الكامل]

وَبَدَا لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا ٱنْدَمَلَ ٱلْهَوَىٰ ... بَـرْقٌ تَـأَلَّـقَ مَـوْهِنـاً لَمَعَـانُـهُ
يَبْـدُو كَحَـاشِيَـةِ ٱلـرِّدَاءِ وَدُونَـهُ ... صَعْـبُ ٱلـذُّرَا مُتَمَنِّـعٌ أَرْكَـانُـهُ
فَبَدَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ لَاحَ فَلَمْ يُطِقْ ... نَظَـراً إِلَيْـهِ وَرَدَّهُ أَشْجَـانُـهُ
فَٱلنَّارُ مَا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ ... وَٱلْمَاءُ مَا سَمَحَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ(١)

---

(١) أورده ابن خميس في « مناقب الأبرار » (٢/ ٧٠١) ، والمسؤول عن حال سيدنا موسىٰ عليه السلام : هو الحلَّاج الحسين بن منصور ، وعزا الأبيات أبو الفرج الأصفهاني في « مقاتل الطالبيين » (ص٤٨١) ، والقالي في « النوادر » (ص٢٠٥) إلىٰ محمد بن صالح بن عبد الله الطالبي ، ونُسبت إلى الحلاج أيضاً ، وهي في « ديوانه » (ص٥١٠ـ ٥١١)

ومنها : قولُهُمُ :

التجلي والاستتار

قالَ الجُنيدُ (إنَّما هوَ تأديبٌ وتهذيبٌ وتذويبٌ ؛ فالتأديبُ مَحَلُّ الاستتارِ ، وهوَ للعوامِّ ، والتهذيبُ للخواصِّ ؛ وهوَ التَّجَلِّي ، والتذويبُ للأولياءِ ؛ وهوَ المُشاهَدةُ)(١)

وحاصلُ الإشاراتِ في الاستتارِ والتَّجَلِّي . . راجعٌ إلىٰ ظهورِ صفاتِ النَّفْسِ .

ومنها

الاستتار

وهوَ إشارةٌ إلىٰ غَيبةِ صفاتِ النفسِ بكمالِ قوَّةِ صفاتِ القلبِ

ومنها :

التجلي

ثمَّ التَّجَلِّي قد يكونُ بطريقِ الأفعالِ ، وقد يكونُ بطريقِ الصفاتِ ، وقد يكونُ بطريقِ الذاتِ

والحقُّ تعالىٰ أَبْقىٰ على الخواصِّ موضعَ الاستتارِ ؛ رحمةً منهُ لهُم ولغيرِهِم ؛ فأمَّا لهُم : فلأنَّهُم بهِ يرجعونَ إلىٰ مصالحِ النُّفُوسِ ، وأمَّا

---

(١) وهـٰذه الثلاثة كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، والمعرفة والمكاشفة والمشاهدة من هامش (ج) .

لغيرِهِم فلأنَّهُ لولا مواضعُ الاستتارِ لم يُنتفَعْ بهِم ؛ لاستغراقِهِم في جمعِ الجمعِ ، وبُرُوزِهِم للهِ الواحدِ القهَّارِ .

قالَ بعضُهُم (علامةُ تَجَلِّي الحقِّ للأسرارِ هوَ أَلَّا يشهدَ السِّرُّ ما يتسلَّطُ عليهِ التعبيرُ ويَحْوِيهِ الفهمُ ، فمَنْ عَبَّرَ أو فَهِمَ فهوَ صاحبُ خاطرِ استدلالٍ ، لا ناظرُ إجلالٍ)[1]

وقالَ بعضُهُمُ : (التَّجَلِّي : رفعُ حَجْبةِ البشريَّةِ ، لا أنْ تتلوَّنَ ذاتُ الحقِّ عزَّ وجلَّ ، والاستتارُ : أنْ تكونَ البشريَّةُ حائلةً بينَكَ وبينَ شهودِ الغيبِ)[2] .

ومنها :

التجريد والتفريد

إشارةً منهُم في التَّجْريدِ والتَّفْريدِ : أنَّ العبدَ يتجرَّدُ عنِ الأغراضِ فيما يفعلُهُ[3] ؛ لا يأتي بما يأتي بهِ نَظَراً إلى الأعواضِ في الدنيا والآخرةِ ، بل ما كُوشِفَ بهِ مِنْ حقِّ العَظَمةِ يُؤدِّيهِ حَسْبَ جُهْدِهِ عُبُوديَّةً وانقياداً ، والتَّفْريدُ : أَلَّا يرىٰ نَفْسَهُ فيما يأتي بهِ ، بل يرىٰ مِنَّةَ اللهِ عليهِ .

فالتَّجْريدُ ينفي الأغيارَ ، والتَّفْريدُ ينفي نَفْسَهُ واستغراقَهُ في رؤيةِ نعمةِ اللهِ عليهِ وغَيبتِهِ عن كَسْبِهِ .

---

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤١) ، وعزاه إلىٰ بعض الكبار ، ولعل المراد به : الحلَّاج الحسين بن منصور ، وقوله : (فهو صاحب خاطر استدلال) ؛ أي : لا يشهد ما لا تمكن العبارة عنه ؛ لأنَّهُ لا يشهد إلا عظمته وحقيقته ، فيسقط ذلك عن تخيير ما شاهده في الحال . من هامش (ج)

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٢) .

(٣) في (أ ، د ، ح) : (الأعواض)

ومنها :

الوجد والتواجد والوجود

فالوجدُ ما يَرِدُ على الباطنِ مِنَ اللهِ يَكسِبُهُ فَرَحاً أو حُزْناً ، ويُغيِّرُهُ عن هيئتِهِ ، ويتطلَّعُ إلى اللهِ تعالىٰ ، وهوَ فُرْجةٌ يجدُها المغلوبُ عليهِ بصفاتِ نَفْسِهِ[1] ، ينظرُ منها إلى اللهِ تعالىٰ[2]

والتواجدُ : استجلابُ الوَجْدِ بالتذكُّرِ والتفكُّرِ[3]

والوجودُ : اتِّساعُ فُرْجةِ الوَجْدِ بالخروجِ إلىٰ فضاءِ الوِجْدانِ ، فلا وجدَ معَ الوِجْدانِ ، ولا خبرَ معَ العِيانِ ؛ فالوجدُ بعَرَضيَّةِ الزوالِ ، والوجودُ ثابتٌ ثبوتَ الجبالِ[4] ، وقد قيلَ[5] : [من البسيط]

قَدْ كَانَ يُطْرِبُنِي وَجْدِي فَأَفْقَدَنِي ... عَنْ رُؤْيَةِ ٱلْوَجْدِ مَنْ فِي ٱلْوَجْدِ مَوْجُودُ
وَٱلْوَجْدُ يُطْرِبُ مَنْ فِي ٱلْوَجْدِ رَاحَتُهُ ... وَٱلْوَجْدُ عِنْدَ حُضُورِ ٱلْحَقِّ مَفْقُودُ

---

(١) في (د ، و ، ز) : (فرحة) بدل (فرجة)

(٢) قوله : (منها) ؛ أي : الفرجة .

(٣) فالتواجدُ بداية ، والوجود نهاية ، والوَجْد واسطة ؛ فهو كمَنْ شاهد البحر ، ثمَّ ركبه ، ثمَّ غَرِقَ فيه . من هامش (ج) .

(٤) المواجيد ثمرات الأوراد ؛ فمَنِ ازداد وظائفُهُ ، ازداد من الله تعالىٰ لطائفُهُ ، فمَنْ لا وِرْدَ له بظاهره ، لا وارد له في سرائره ، وكلُّ ما يتكلَّفُ العبدُ من المعاملات الظاهرة.. يُوجِبُ له حلاوةَ الطاعات ، وما يُنازِلُهُ من أحكام باطنه.. يُوجِبُ له المواجيدَ في المعاملات ، والمواجيدُ نتائجُ المنازلات . من هامش (ج) .

(٥) أورد البيتين الكلاباذي في « التعرف » (ص١٣٢) ، وعزاهما إلى الجنيد رحمه الله تعالىٰ ، ونُسبا إلى الحلَّاج كما في ذيل « ديوانه » (ص٤٣٥) ، وفي (ج) : (فغيَّبني) بدل (فأفقدني) ، وفي (ح) : (فأقعدني) .

ومنها :

الغلبة

والغَلَبَةُ : وَجْدٌ مُتلاحِقٌ ؛ فالوَجْدُ كالبرقِ يبدو ، والغَلَبَةُ كتلاحقِ البرقِ وتواترِهِ يُغيِّبُ عنِ التمييزِ ؛ فالوَجْدُ ينطفئُ سريعاً ، والغَلَبَةُ تبقىٰ للأسرارِ مُذيعاً

ومنها

المسامرة

وهيَ تفرُّدُ الأرواحِ بخَفِيِّ مُناجاتِها ولطيفِ مُناغاتِها في سِرِّ السِّرِّ ، يلطفُ إدراكُها للقلبِ ؛ لتفرُّدِ الرُّوحِ بها ، وتَلَزُّمِهِ بها دونَ القلبِ[1]

ومنها

السكر والصحو

فالسُّكرُ : استيلاءُ سُلْطانِ الحالِ

والصحوُ : العَوْدُ إلىٰ ترتيبِ الأفعالِ ، وتهذيبِ الأقوالِ .

قالَ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ خَفيفٍ رحمةُ اللهِ عليهِ (السُّكْرُ : غَلَيانُ القلبِ عندَ مُعارَضاتِ ذِكْرِ المحبوبِ)[2]

وقالَ الواسطيُّ : (مقاماتُ الواجدينَ أربعةٌ : الذُّهُولُ[3] ، ثمَّ الحَيْرةُ ،

---

(١) في (ب ، هـ ، ح) : (وتلتذُّ) بدل (وتلزمه) .

(٢) رواه السلمي في « الطبقات » (ص٤٦٤) ، وأورده أبو نعيم في « الحلية » (٣٨٦/١٠)

(٣) أي : الغفلة عمّا سوى الله . من هامش (ح) .

ثمَّ السُّكْرُ ، ثمَّ الصَّحْوُ ، كمَنْ سَمِعَ بالبحرِ ، ثمَّ دنا منهُ ، ثمَّ دخلَ فيهِ ، ثمَّ أخذتْهُ الأمواجُ) .

فعلىٰ هـٰذا : مَنْ بَقِيَ عليهِ أَثَرٌ مِنْ سَرَيانِ الحالِ فيهِ . . فعليهِ أَثَرٌ مِنَ السُّكْرِ ، ومَنْ عادَ كلُّ شيءٍ منهُ إلىٰ مُستقَرِّهِ . . فهوَ صاحٍ

فالسُّكْرُ لأربابِ القلوبِ ، والصَّحْوُ للمُكاشَفِينَ بحقائقِ الغيوبِ

ومنها :

المحو والإثبات

المَحْوُ : بإزالةِ أوصافِ النفوسِ ، والإثباتُ : بما أُدِيرَ عليهِم مِنْ آثارِ الحُبِّ الكؤوسُ[1]

أوِ المَحْوُ : مَحْوُ رُسُومِ الأعمالِ بنظرِ الفناءِ إلىٰ نَفْسِهِ وما منهُ ، والإثباتُ إثباتُها بما أَنْشأَ الحقُّ لهُ مِنَ الوجود بهِ ، فهوَ بالحقِّ لا بنَفْسِهِ ، بإثباتِ الحقِّ إيَّاهُ مُستأنِفاً بعدَ أنْ محاهُ عن أوصافِهِ

قالَ ابنُ عطاءٍ : (يمحو أوصافَهُم ، ويُثبِتُ أسرارَهُم)[2]

ومنها

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

فعلمُ اليقينِ : ما كانَ مِنْ طريقِ النَّظَرِ والاستدلالِ .

وعينُ اليقينِ : ما كانَ مِنْ طريقِ الكُشُوفِ والنَّوَالِ .

---

(١) في النسخ ما عدا (ب) : (كؤوس) ، والأنسب ما أثبت ، والله تعالىٰ أعلم

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٣٧)

وحقُّ اليقينِ : ما كانَ بتحقيقِ الانفصالِ عن لَوْثِ الصَّلْصالِ ، بوُرُودِ رائدِ الوِصالِ[(١)]

قالَ فارسٌ : (علمُ اليقينِ لا اضطرابَ فيهِ ، وعينُ اليقينِ هوَ العلمُ الذي أَوْدعَهُ اللهُ الأسرارَ)[(٢)]

والعلمُ إذا انفردَ مِنْ نعتِ اليقينِ كانَ عِلماً بشبهةٍ ، فإذا انضمَّ إليهِ اليقينُ كانَ علماً بلا شبهةٍ ، وحقُّ اليقينِ هوَ حقيقةُ ما يُشِيرُ إليهِ علمُ اليقينِ وعينُ اليقينِ

وقالَ الجُنيدُ : (حقُّ اليقينِ ما يتحقَّقُ العبدُ بذلكَ ؛ وهوَ أنْ يُشاهِدَ الغيوبَ كما يُشاهِدُ المَرْئيَّاتِ مُشاهَدةَ عِيانٍ ، ويحكمَ على الغيبِ ، فيُخبِرَ عنهُ بالصدقِ ، كما أَخْبرَ الصِّدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ حينَ قالَ لمَّا قالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَاذَا أَبْقَيْتَ لِعِيَالِكَ ؟ » ، قالَ اللهَ ورسولَهُ)[(٣)]

وقالَ بعضُهُم : (علمُ اليقينِ حالُ المعرفةِ ، وعينُ اليقينِ حالُ الجمعِ ، وحقُّ اليقينِ : جمعُ الجمعِ بلسانِ التوحيدِ)[(٤)]

وقيلَ : اليقينُ : اسمٌ ، ورسمٌ ، وعلمٌ ، وعينٌ ، وحقٌّ ؛ فالاسمُ والرَّسمُ للعوامِّ ، والعلمُ علمُ اليقينِ للأولياءِ ، وعينُ اليقينِ لخواصِّ الأولياءِ ، وحقُّ اليقينِ للأنبياءِ عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ ، وحقيقةُ حقِّ اليقينِ اختصَّ بهِ نبيُّنا محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

---

(١) في (ب ، هـ ، ز ، ح) : (زائد) بدل (رائد) .
(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٤١٧) .
(٣) سبق تخريج الحديث في (٢/ ٣٦٧)
(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٤١٧) دون الجملة الأخيرة

ومنها :

الوقت

والمرادُ بالوقتِ : ما هوَ غالبٌ على العبدِ ، وأَغْلبُ ما على العبدِ وقتُهُ ؛ فإنَّهُ كالسيفِ يمضي الوقتُ بحكمِهِ ويقطعُ(١)

وقد يُرادُ بالوقتِ : ما يَهجُمُ على العبدِ لا بكسبِهِ ، فيتصرَّفُ فيهِ فيكونُ بحكمِهِ ؛ يُقالُ : (فلانٌ بحكمِ الوقتِ) ؛ يعني : مأخوذاً عمَّا منهُ بما للحقِّ(٢)

---

(١) أي : فكما أنَّ السيفَ قاطعٌ فالوقتُ بما يُمضِيه الحقُّ ويُجْرِيه غالبٌ ، وقيل : السيفُ لَيِّنٌ مَسُّهُ ، قاطعٌ حَدُّهُ ، فمَنْ لاينَهُ سَلِمَ ، ومَنْ خاشنه اصطُلِمَ ، وهكذا الوقتُ ؛ مَنِ استسلم لحُكْمِهِ نجا ، ومَنْ عارضه بتَرْكِ الرضا انتكَسَ فتردَّىٰ ، وأُنشِدَ : [من الطويل]

وكالسيفِ إنْ لاينتَهُ لانَ مسُّهُ ... وحدَّاهُ إنْ خاشنْتَهُ خَشِنانِ

ومَنْ ساعدَهُ الوقتُ فالوقتُ له وقتٌ ، ومَنْ ناكدَهُ الوقت فالوقتُ لهُ مقتٌ . من هامش (ج) .

(٢) قال أبو عليٍّ الدقَّاقُ : (الوقتُ : ما أنتَ به ؛ إن كنتَ بالدنيا فوقتُكَ الدنيا ، وإن كنت بالعُقْبىٰ فوقتُكَ العُقبىٰ ، وإن كنتَ بالسُّرور فوقتُكَ سرورٌ ، وإن كنت بالحُزْنِ فوقتُكَ حزن) ؛ يريد بهـٰذا : أنَّ الوقتَ ما كان غالباً على الإنسان ، و[قد] يعنون بالوقت : ما هو فيه من الزمان ؛ [فإنَّ قوماً قالوا : (الوقتُ : ما بين الزمانَين) ؛ يعني] : بينَ الماضي والمستقبل ، ويقولون : (الصوفيُّ ابن وقته) ؛ أي : مُشتغِلٌ بما هو أَوْلىٰ في الحال ، وقيل : (الفقير ما يهمُّهُ ماضي وقتِهِ وآتي وقتِهِ ، بل يهمُّهُ وقته الذي هو فيه) ، قال الشاعر : [من الخفيف]

ما مضىٰ فاتَ والمُؤمَّلُ غَيبٌ ... ولكَ الساعةُ التي أنتَ فيها

وقيل : الاشتغالُ بفوات وقتٍ ماضٍ . . تضييعُ وقتٍ ثانٍ ، وقد يريدون بالوقت : ما يُصادِفُهم من تصريف الحقِّ لهم دون ما يختارون لأنفسهم ؛ فيقولون : (فلانٌ بحُكْمِ الوقت) ؛ أي : إنَّهُ مُستسلِمٌ لما يبدو من الغيب من غير اختيارٍ . من هامش (ج) .

ومنها

الغيبة والشهود

فالشُّهُودُ : هوَ الحضورُ وقتاً بنعتِ المُراقَبةِ ، ووقتاً بوصفِ المُشاهَدةِ ، فما دامَ العبدُ موصوفاً بالشُّهُودِ والرِّعايةِ . فهوَ حاضرٌ ، فإذا فقدَ حالَ المُشاهَدةِ والمُراقَبةِ . . خَرَجَ مِنْ دائرةِ الحُضُورِ ، فهوَ غائبٌ

وقد يعنونَ بالغَيبةِ : الغَيبةَ عنِ الأشياءِ بالحقِّ ؛ فيكونُ علىٰ هـٰذا المعنىٰ حاصلُ ذلكَ راجعاً إلىٰ مقامِ الفناءِ

ومنها

الذوق والشرب والرّي

فالذوقُ إيمانٌ ، والشُّربُ عِلْمٌ ، والرِّيُّ حالٌ .

فالذوقُ لأربابِ البَوادِهِ والبَوادِي ، والشُّرْبُ لأربابِ الطَّوالعِ واللَّوامعِ واللَّوائحِ ، والرِّيُّ لأربابِ الأحوالِ ؛ وهيَ أنَّ الأحوالَ هيَ التي تستقرُّ ، فما لم يستقرَّ فليسَ بحالٍ ، وإنَّما هيَ لوامعُ وطوالعُ

وقيلَ : الحالُ لا تستقرُّ ؛ لأنَّها تحولُ ، فإذا استقرَّتْ صارَتْ مقاماً

ومنها :

المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة

فالمُحاضَرةُ لأربابِ التلوينِ ، والمُشاهَدةُ لأربابِ التمكينِ ، والمُكاشَفةُ بينَهُما إلىٰ أنْ تستقرَّ المُشاهَدةُ

فالمُحاضَرةُ لأهلِ العلمِ ، والمُكاشَفةُ لأهلِ العينِ ، والمُشاهَدةُ لأهلِ الحقِّ ؛ أي : حقِّ اليقينِ

ومنها :

الطوارق والبوادي والبواده، والواقع والقادح والطوالع واللوامع واللوائح

فهٰذهِ كلُّها ألفاظٌ مُتقارِبةُ المعنىٰ ، ويمكنُ بسطُ القولِ فيهِ[1] ، ويكونُ حاصلُ ذلكَ راجعاً إلىٰ معنىً واحدٍ يَكثُرُ بالعبارةِ ، فلا فائدةَ فيهِ

والمقصودُ : أنَّ هٰذهِ الأسماءَ كلَّها مبادئُ الحالِ ومُقدِّماتُهُ ، وإذا صحَّ الحالُ استوعبَ هٰذهِ الأسماءَ كلَّها ومعانيَها

ومنها

التلوين والتمكين

فالتلوينُ لأربابِ القلوبِ ؛ لأنَّهُم تحتَ حُجُبِ القلوبِ ، وللقلوبِ تَخَلُّصٌ إلى الصفاتِ ، وللصفاتِ تَعَدُّدٌ بتعدُّدِ جهاتِها ، فظهرَ لأربابِ القلوبِ بحَسَبِ تعدُّدِ الصفاتِ تلويناتٌ ، ولا تجاوزَ للقلوبِ وأربابِها عن عالَمِ الصفاتِ .

وأمَّا أربابُ التمكينِ فخَرَجُوا مِنْ مشائمِ الأحوالِ ، وخَرَقُوا حُجُبَ القلوبِ ، وباشرَ أرواحَهُم سُطُوعُ نورِ الذَّاتِ ، فارتفعَ التلوينُ ؛ لعدمِ التغيُّرِ في الذاتِ ؛ إذ جلَّ ذاتُهُ عن حلولِ الحوادثِ والتغيُّراتِ ، فلمَّا خَلَصُوا إلىٰ مواطنِ القُرْبِ ، واحْتَظَوْا مِنْ أَنْصِبةِ تَجَلِّي الذَّاتِ . ارتفعَ عنهُمُ التلوينُ .

---

(١) في (هـ ، ح) ونسخة علىٰ هامش (ج) : (فيها) ، وعلى المثبت فالضمير راجع إلى (المعنىٰ) .

فالتلوينُ حينَئذٍ يكونُ في نفوسِهِم ؛ لأنَّها في مَحَلِّ القلوبِ لموضعِ طهارتِها وقُدْسِها ، والتلوينُ الواقعُ في النُّفُوسِ لا يُخرِجُ صاحبَهُ عن حالِ التمكينِ ؛ لأنَّ جريانَ التلوينِ في النَّفْسِ لبقاءِ رَسْمِ الإنسانيَّةِ ، وثبوتَ القدمِ في التمكينِ كشفُ حقِّ الحقيقةِ

وليسَ المَعْنيُّ بالتمكينِ ألَّا يكونَ للعبدِ تغيُّرٌ ؛ فإنَّهُ بشرٌ ، وإنَّما نعني بهِ أنَّ ما كُوشِفَ بهِ مِنَ الحقيقةِ لا يتوارىٰ عنهُ أبداً ، ولا يتناقصُ بل يزيدُ ، وصاحبُ التلوينِ قد يتناقصُ الشيءُ في حقِّهِ عندَ ظهورِ صفاتِ نَفْسِهِ ، وتغيبُ عنهُ الحقيقةُ في بعضِ الأحوالِ ، ويكونُ ثبوتُهُ علىٰ مُستقَرِّ الإيمانِ ، وتلوينُهُ في زوائدِ الأحوالِ

ومنها :

النَّفَس

ويُقالُ : النَّفَسُ للمُنتهي ، والوقتُ للمُبتدِئِ ، والحالُ للمُتوسِّطِ ؛ فكأنَّهُ إشارةٌ منهُم إلىٰ أنَّ المُبتدِئَ يَطرُقُهُ مِنَ اللهِ طارقٌ لا يستقرُّ ، والمُتوسِّطَ صاحبُ حالٍ غالبٌ حالُهُ عليهِ ، والمُنتهيَ صاحبُ نَفَسٍ مُتمكِّنٌ مِنَ الحالِ ؛ لا يتناوبُ عليهِ الحالُ بالغَيبةِ والحُضُورِ ، بل تكونُ المواجيدُ مقرونةً بأنفاسِهِ ، مُقيمةً لا تتناوبُ عليهِ .

وهٰذهِ كلُّها أحوالٌ لأربابِها ، ولهُم منها ذوقٌ وشُرْبٌ ، واللهُ ينفعُ ببركتِهِم ، آمينَ(١)

* * *

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الثالث والستون

في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها

(١٤٨) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : أخبرَنا الشريفُ أبو طالبٍ الحسينُ بنُ محمَّدٍ الزَّيْنَبيُّ ، قالَ : أخبرَتْنا كَريمةُ المَرْوَزِيَّةُ ، قالَتْ : أخبرَنا أبو الهيثمِ محمَّدُ بنُ المَكِّيِّ الكُشْمِيهَنيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ يُوسُفَ الفِرَبْريُّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ البُخاريُّ ، قالَ : حدَّثَنا الحُمَيديُّ ، قالَ حدَّثَنا سُفيانُ بنُ عُيَينَةَ ، قالَ حدَّثَنا يحيى بنُ سعيدٍ الأنصاريُّ ، قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ إبراهيمَ التَّيْميُّ : أنَّهُ سَمعَ عَلْقَمةَ بنَ وقَّاصٍ قالَ : سمعتُ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ على المِنْبَرِ سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِٱلنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مَا نَوَىٰ ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ . فَهِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلَى ٱمْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا . فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ »[1]

---

(١) صحيح البخاري (١) ، ورواه غالب المُحدِّثين بروايات عديدة ، وللإمام السيوطي : « منتهى الآمال في شرح حديث إنَّما الأعمال » ، وللبرهان الكُوراني : « إعمال الفكر والرويات في بيان حديث إنَّما الأعمال بالنيَّات »

قالَ الشيخُ رحمةُ اللهِ عليهِ : النيّةُ أوّلُ العملِ ، وبِحَسبِها يكونُ العملُ ، وأهمُّ ما للمُرِيدِ في ابتداءِ أمرِهِ في طريقِ القومِ : أنْ يدخلَ طريقَ الصُّوفيّةِ ، ويتزيّا بزِيِّهِم ، ويُجالِسَ طائفتَهُم للهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ دخولَهُ في طريقِهِم هِجْرةُ حالِهِ ووقتِهِ

وقد وَرَدَ : « ٱلْمُهَاجِرُ : مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى ٱللهُ عَنْهُ »(١)

وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء : ١٠٠] .

فالمُرِيدُ ينبغي أنْ يخرجَ إلىٰ طريقِ القومِ للهِ ؛ فإنَّهُ إنْ وَصَلَ إلىٰ نهاياتِ القومِ . . فقد لَحِقَ بالمنزلِ ، وإنْ أَدْرَكَهُ الموتُ قبلَ الوصولِ إلىٰ نهاياتِ القومِ . . فأَجْرُهُ على اللهِ ، وكلُّ مَنْ كانتْ بدايتُهُ أَحْكَمَ . . كانتْ نهايتُهُ أَتَمَّ .

(١٤٩) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، عنِ ابنِ خَلَفٍ إجازةً ، عن أبي عبدِ الرحمـٰنِ ، عن أبي العبّاسِ البغداديِّ ، عن جعفرٍ الخُلْديِّ قالَ : سمعتُ الجُنيدَ يقولُ : (أكثرُ العوائقِ والحوائلِ والموانعِ مِنْ فسادِ الابتداءِ) .

فالمُرِيدُ في أوّلِ سلوكِ هـٰذا الطريقِ يحتاجُ إلىٰ إحكامِ النيّةِ ، وإحكامُ النيّةِ تنزيهُها مِنْ دواعي الهوىٰ وكلِّ ما كانَ للنَّفْسِ فيهِ حظٌّ عاجلٌ ، حتىٰ يكونَ خروجُهُ خالصاً للهِ تعالىٰ .

وكَتَبَ سالمُ بنُ عبدِ اللهِ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ (اعلَمْ يا عُمَرُ : أنَّ عونَ اللهِ للعبدِ بقَدْرِ النيّةِ ؛ فمَنْ تمّتْ نيّتُهُ تمَّ عونُ اللهِ لهُ ، ومَنْ قَصَرَتْ عنهُ

(١) رواه البخاري (١٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

نيَّتُهُ قَصرَ عنهُ عونُ اللهِ بقَدْرِ ذلكَ)[1]

وكَتَبَ بعضُ الصالحينَ إلىٰ أخيهِ : (أَخْلِصِ النِّيَّةَ في أعمالِكَ يَكْفِكَ قليلٌ مِنَ العملِ)[2]

ومَنْ لم يهتدِ إلى النيةِ بنفْسِهِ.. يصحبُ مَنْ يُعلِّمُهُ حُسْنَ النيةِ ؛ قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (أوَّلُ ما يُؤمَرُ بهِ المُريدُ المُبتدِئُ : التبرُّؤُ مِنَ الحركاتِ المذمومةِ ، ثمَّ التنقُّلُ إلى الحركاتِ المحمودةِ ، ثمَّ التفرُّدُ لأمرِ اللهِ ، ثمَّ التوقُّفُ في الرشادِ ، ثمَّ الثباتُ ، ثمَّ البيانُ ، ثمَّ القُرْبُ ، ثمَّ المُناجاةُ ، ثمَّ المُصافاةُ ، ثمَّ المُوالاةُ ، ويكونُ الرِّضا والتسليمُ مُرادَهُ ، والتفويضُ والتوكُّلُ حالَهُ ، ثمَّ يَمُنُّ اللهُ تعالىٰ بعدَ هٰذا بالمعرفةِ ، فيكونُ مقامُهُ عندَ اللهِ مقامَ المُتبرِّئينَ مِنَ الحولِ والقوَّةِ ، وهٰذا مقامُ حَمَلَةِ العرشِ ، وليسَ بعدَهُ مقامٌ)[3]

هٰذا مِنْ كلامِ سهلٍ جَمَعَ فيهِ ما في البدايةِ والنهايةِ .

ومتىٰ تمسَّكَ المُريدُ بالصدقِ والإخلاصِ.. بَلَغَ مبلغَ الرجالِ ، ولا يُحقِّقُ صدقَهُ وإخلاصَهُ كشيئَينِ ؛ متابعةِ أمرِ الشرعِ ، وقطعِ النَّظَرِ عنِ الخَلْقِ ؛ فكلُّ الآفاتِ التي دخلتْ علىٰ أهلِ البداياتِ لمَوضِعِ نَظَرِهِم إلى الخَلْقِ .

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (١٧٣٨) ، وأبو بكر الآجري في « أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز » (ص٧٠ـ٧٢) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٤٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٩/ ٦١)

(٣) أورده أبو المعالي شيذله في « لوامع أنوار القلوب » (ص ١٣٨ـ ١٣٩)

وبَلَغنا عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حديثٌ أنَّهُ قالَ « لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ ٱلْمَرْءِ حَتَّىٰ يَكُونَ ٱلنَّاسُ عِنْدَهُ كَٱلْأَبَاعِرِ ، ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَىٰ نَفْسِهِ فَيَرَاهَا أَصْغَرَ صَاغِرٍ »[1] ؛ إشارةً إلىٰ قَطْعِ النَّظَرِ عنِ الخَلْقِ ، والخروجِ منهُم ، وتركِ التقيُّدِ بعاداتِهِم

قالَ أحمدُ بنُ خِضْرُويَه : (مَنْ أَحَبَّ أنْ يكونَ اللهُ تعالىٰ معَهُ علىٰ كلِّ حالٍ . . فلْيَلْزَمِ الصدقَ ؛ فإنَّ اللهَ معَ الصادقينَ)[2]

وقد وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلصِّدْقُ يَهْدِي إِلَى ٱلْبِرِّ »[3]

ولا بُدَّ للمُرِيدِ مِنَ الخروجِ مِنَ المالِ والجاهِ ، والخروجِ مِنَ الخَلْقِ بقطعِ النَّظَرِ إليهِم إلىٰ أنْ يُحكِمَ أساسَهُ ، فيعلمَ دقائقَ الهوىٰ وخفايا شهواتِ النَّفْسِ

فأنفعُ شيءٍ للمُرِيدِ : معرفةُ النَّفْسِ ، ولا يقومُ بواجبِ حقِّ معرفةِ النَّفْسِ مَنْ لهُ في الدنيا حاجةٌ مِنْ طلبِ الفُضُولِ والزياداتِ ، أو عليهِ مِنَ الهوىٰ بقيَّةٌ .

---

(١) رواه بنحوه أبو داود في « الزهد » (٢٤٢) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٥١٦) موقوفاً علىٰ سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، ورواه مرفوعاً (١٥١٥) عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنه ، وقال : (وهـٰذا حديثٌ لا يصحُّ مرفوعاً ، وإنَّما الصحيح فيه أنَّهُ من قول أبي الدرداء) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٤٢) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٩١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٨٢ـ٤٨٣) .

(٣) رواه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (٢٦٠٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

قالَ زيدُ بنُ أَسْلمَ : (خَصْلتانِ هما كمالُ أمرِكَ : تُصبحُ ولا تَهُمُّ للهِ بمعصيةٍ ، وتُمسِي ولا تَهُمُّ للهِ بمعصيةٍ)[1]

فإذا أَحْكَمَ الزهدَ والتقوى انكشفتْ لهُ النَّفْسُ ، وخرجتْ مِنْ حُجُبِها ، وعلِمَ طريقَ حَرَكَتِها ، وخَفِيَّ شهوتِها ، ودسائسَها وتلبيساتِها ، ومَنْ تمسَّكَ بالصدقِ فقد تمسَّكَ بالعُرْوةِ الوُثْقىٰ .

قالَ ذو النُّونِ : (للهِ تعالىٰ في أرضِهِ سيفٌ ما وُضِعَ علىٰ شيءٍ إلَّا قَطَعَ ؛ وهوَ الصدقُ)[2]

ونُقِلَ في معنى الصدقِ : أنَّ عابداً مِنْ بني إسرائيلَ راودتْهُ مَلِكَةٌ عن نَفْسِهِ ، فقالَ : اجعلوا لي ماءً في الخلاءِ أتنظَّفْ بهِ ، ثمَّ صَعِدَ أَعْلىٰ موضعٍ في القصرِ ، فرمى بنَفْسِهِ ، فأَوْحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ مَلَكِ الهواءِ : أنِ الزَمْ عبدي ، قالَ : فلَزِمَهُ ووضعَهُ على الأرضِ وضعاً رفيقاً ، فقيلَ لإبليسَ : أَلَا أَغْوَيتَهُ ؟ فقالَ : ليسَ لي سلطانٌ علىٰ مَنْ خالفَ هواهُ ، وبَذَلَ نَفْسَهُ للهِ عزَّ وجلَّ[3]

وينبغي للمُرِيدِ أنْ تكونَ لهُ في كلِّ شيءٍ نيَّةٌ للهِ تعالىٰ ؛ حتىٰ في أكلِهِ وشُرْبِهِ وملبوسِهِ ؛ فلا يَلبَسُ إلا للهِ ، ولا يأكلُ إلا للهِ ، ولا يشربُ إلا للهِ ،

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩/ ٢٨٧) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٤٤) ، وفي النسخ ما عدا (ب ، ج ، هـ) : (تهتم) بدل (تهم) في كلا الموضعين .

(٢) رواه السلمي في « الطبقات » (ص٢٢ـ٢٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٩٥) ، وأورده الخركوشي في « التهذيب » (ص١٨٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٨٦) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٢٧٣) .

ولا ينامُ إلا للهِ ؛ لأنَّ هـٰذهِ كلَّها أَرْفاقٌ أَدْخَلَها على النَّفْسِ ، فإذا كانتْ للهِ لا تستعصي النَّفْسُ ، وتُجيبُ إلىٰ ما يُرادُ منها مِنَ المعاملةِ للهِ والإخلاصِ ، وإذا دَخَلَ في شيءٍ مِنْ رِفْقِ النَّفْسِ لا للهِ ولا بنيّةٍ صالحةٍ . . صارَ ذلكَ وَبالاً عليهِ

وقد وَرَدَ في الخبرِ « مَنْ تَطَيَّبَ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ جاءَ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ ٱلْمِسْكِ ٱلْأَذْفَرِ ، وَمَنْ تَطَيَّبَ لِغَيْرِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ جاءَ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ وَرِيحُهُ أَنْتَنُ مِنَ ٱلْجِيفَةِ »[1]

وقيلَ : كانَ أنسٌ يقولُ : (طَيِّبُوا كَفِّي بمسكٍ ؛ فإنَّ ثابتاً يُصافِحُني ، ويُقبِّلُ يدي)

وقد كانوا يُحسِّنونَ اللِّباسَ للصلاةِ مُتقرِّبينَ بذلكَ إلى اللهِ بنيَّتِهِم

فالمُريدُ ينبغي أنْ يتفقَّدَ جميعَ أقوالِهِ وأفعالِهِ وأحوالِهِ ، ولا يُسامِحَ نَفْسَهُ أنْ يتحرَّكَ بحركةٍ أو يتكلَّمَ بكلمةٍ إلا للهِ تعالىٰ[2] ، وقد رَأَيْنا في أصحابِ شيخِنا مَنْ كانَ ينوي عندَ كلِّ لُقْمةٍ ، ويقولُ بلسانِهِ أيضاً (آكُلُ هـٰذهِ اللُّقْمةَ للهِ تعالىٰ)

ولا ينفعُ القولُ إذا لم تكنِ النيةُ في القلبِ ؛ لأنَّ النيةَ عملُ القلبِ ، وإنَّما اللِّسانُ تَرْجُمانٌ ، فما لم تشتملْ عليها عزيمةُ القلبِ للهِ . . لا يكونُ نيَّةً .

---

(١) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٧٩٣٣) مرسلاً عن إسحاق بن أبي طلحة رحمه الله تعالىٰ .

(٢) قوله : (يتحرك . . . يتكلم) ضبط في بعض النسخ بالتاء ، وضبط في بعضها الآخر بالوجهين ، ومرجع الضمير علىٰ كلٍّ واضحٌ .

ونادىٰ رجلٌ امرأتَهُ وكانَ يُسرِّحُ شَعَرَهُ ؛ فقالَ : هاتِ المِدْرىٰ[1] ، أرادَ المِيلَ ليُفرِّقَ شَعَرَهُ ، فقالتْ لهُ امرأتُهُ : أجيءُ بالمِرْآةِ ؟ فسَكَتَ ، ثمَّ قالَ : نعم ، فقالَ لهُ مَنْ سمعَهُ : سَكَتَّ وتوقَّفتَ عنِ المِرْآةِ ثمَّ قلتَ : نعم !! فقالَ : إنِّي قلتُ لها : (هاتِ المِدْرىٰ) بنيَّةٍ ، فلمَّا قالتْ : (المِرْآةِ) لم يكنْ لي في المِرْآةِ نيَّةٌ ، فوقفتُ حتىٰ هَيَّأَ اللهُ عزَّ وجلَّ لي نيَّةً ، فقلتُ : نعم[2]

فكلُّ مُبتدِئٍ لا يُحكِمُ أساسَ بدايتِهِ بمُهاجَرةِ الأُلَّافِ والأصدقاءِ والمعارفِ ، ولا يتمسَّكُ بالوَحْدةِ . . لا تستقرُّ بدايتُهُ ، وقد قيلَ : مِنْ قِلَّةِ الصدقِ : كثرةُ الخُلَطاءِ[3] ، وأنفعُ ما لهُ : لزومُ الصمتِ ، وألَّا يطرقَ سمعَهُ كلامُ الناسِ ؛ فإنَّ باطنَهُ يتغيَّرُ ويتأثَّرُ بالأقوالِ المختلفةِ .

وكلُّ مَنْ لا يعلمُ كمالَ زهدِهِ في الدنيا ، وتمسُّكَهُ بحقائقِ التقوىٰ . . لا يعرفُهُ أبداً ؛ فإنَّ معرفتَهُ لهُ لا تُنتِجُ عليهِ خيراً ، وبواطنُ أهلِ الابتداءِ كالشمعِ يقبلُ كلَّ نقشٍ

وربَّما استضرَّ المُبتدِئُ بمُجرَّدِ النَّظَرِ إلى الناسِ ، ويستضرُّ بفُضُولِ النَّظَرِ أيضاً وفُضُولِ المشيِ ، فيقفُ مِنَ الأشياءِ كلِّها على الضرورةِ ، فينظرُ

---

(١) المِدْرىٰ : قرن من عظم كانوا يمتشطون به .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٥٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٩/ ٤٩) .

(٣) رواه السلمي في « الطبقات » (ص٥٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٢٤) عن السري السقطي رحمه الله تعالىٰ ، وفي (ج) و« الحلية » : (الخطأ) بدل (الخلطاء) .

ضرورةً ؛ حتىٰ لو مشىٰ في بعضِ الطُّرُقِ يجتهدُ أنْ يكونَ نَظَرُهُ إلى الطريقِ الذي يسلكُهُ لا يلتفتُ يَمْنةً ولا يَسْرةً ، ثمَّ يتَّقي موضعَ نَظَرِ الناسِ إليهِ وإحساسِهِم منهُ بالرِّعايةِ والاحترازِ ؛ فإنَّ علمَ الناسِ منهُ بذلكَ أَضَرُّ عليهِ مِنْ فعلِهِ .

ولا يستحقرُ فُضُولَ المشيِ ؛ فإنَّ كلَّ شيءٍ مِنْ قولٍ وفعلٍ ونظرٍ وسماعٍ خَرَجَ عن حدِّ الضرورةِ . . جَرَّ إلى الفُضُولِ ، ثمَّ يَجُرُّ إلىٰ تضييعِ الأصولِ

قالَ سُفْيانُ : (إنَّما حُرِمُوا الوصولَ ، بتضييعِ الأصولِ)[1]

فكلُّ مَنْ لا يتمسَّكُ بالضرورةِ في القولِ والفعلِ . . لا يقدرُ أنْ يقفَ علىٰ قَدْرِ الحاجةِ مِنَ الطعامِ والشرابِ والنومِ ، ومتىٰ تعدَّى الضرورةَ تداعتْ عزائمُ قلبِهِ ، وانحلَّتْ شيئاً فشيئاً

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (مَنْ لم يعبدِ اللهَ اختياراً . . يعبدِ الخلقَ اضطراراً)

وينفتحُ على العبدِ أبوابُ الرُّخَصِ والاتِّساعِ ، ويَهلِكُ معَ الهالكينَ

ولا ينبغي للمبتدِئِ أنْ يعرفَ أحداً مِنْ أربابِ الدنيا ؛ فإنَّ معرفتَهُ لهُم سمٌّ قاتلٌ ، وقد وَرَدَ : (الدنيا مبغوضةُ اللهِ ، مَنْ تمسَّكَ بحبلٍ منها قادتْهُ إلى النارِ)[2] ، وما حَبْلٌ مِنْ حبالِها إلَّا كأبنائِها والطَّالبينَ لها والمُحبِّينَ ، فمَنْ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٢٦٤) ، وعزاه إلىٰ سفيان الثوري وغيره رحمهم الله تعالىٰ ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣١٦) ، وعزاه إلىٰ أحمد بن أبي الورد الصوفي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) روى الثعلبي في « الكشف والبيان » (٩/ ٢٦١) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً : « السماحُ شجرةٌ في الجنَّةِ ، أغصانُها في الدنيا ، مَنْ تعلَّقَ بغصنٍ =

عَرَفَهُمُ انجذبَ إليها شاءَ أم أبىٰ .

ويحترزُ المُبتدِئُ مِنْ مُجالَسةِ الفقراءِ الذينَ لا يقولونَ بقيامِ الليلِ وصيامِ النهارِ ؛ فإنَّهُ يدخلُ عليهِ منهُم شرٌّ ممَّا يدخلُ عليهِ مِنْ مُجالَسةِ أبناءِ الدنيا ، وربَّما يُشِيرُونَ إلىٰ أنَّ الأعمالَ شُغْلُ المُتعبِّدينَ ، وأنَّ أربابَ الأحوالِ ارتقَوا مِنْ ذلكَ ، وينبغي للفقيرِ أنْ يختصرَ على الفرائضِ وصومِ رمضانَ فحَسْبُ .

ولا ينبغي أنْ يدخلَ هٰذا الكلامُ سمعَهُ رأساً ؛ فإنَّا جَرَّبْنا ومارسْنا الأمورَ كلَّها ، وجالسْنا الفقراءَ والصالحينَ ، ورَأَيْنا أنَّ الذينَ يقولونَ هٰذا القولَ ، ويَرَونَ الفرائضَ دونَ الزياداتِ والنوافلِ . . تحتَ القصورِ ، معَ كونِهِم أصحَّاءَ في أحوالِهِم

فعلى العبدِ : التَّمسُّكُ بكلِّ فريضةٍ وفضيلةٍ ؛ فبذلكَ تثبتُ قدمُهُ في بدايتِهِ .

ويُراعي يومَ الجمعةِ خاصَّةً ، ويجعلُهُ للهِ تعالىٰ خالصاً لا يَمزُجُهُ بشيءٍ مِنْ أحوالِ نَفْسِهِ ومآربِها ، ويُبكِّرُ إلى الجامعِ قبلَ طلوعِ الشمسِ بعدَ الغُسْلِ للجمعةِ ، وإنِ اغتسلَ قريباً مِنْ وقتِ الصلاةِ إذا أَمْكَنَهُ ذلكَ . . فحَسَنٌ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؛ ٱغْتَسِلْ لِلْجُمُعَةِ وَلَوِ ٱشْتَرَيْتَ ٱلْمَاءَ بِعَشَائِكَ »[1] ، وما مِنْ نبيٍّ إلَّا وقد أمرَهُ اللهُ تعالىٰ أنْ يغتسلَ

= مِنْ أغصانِها . . قادتْهُ إلى الجنةِ ، والبخلُ شجرةٌ في النارِ ، أغصانُها في الدنيا ، مَنْ تعلَّقَ بغصنٍ مِنْ أغصانِها . . قادتْهُ إلى النار » .

(١) رواه الديلمي في « الفردوس » (٨٣٨٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، بلفظ : « يا أبا هريرةَ ؛ اغتسِلْ في كلِّ جمعةٍ ولو صارَ أنْ تشتريَ الماءَ بقوتِ يومِكَ » ، وانظر « تنزيه الشريعة المرفوعة » (٢/ ٧٤) .

للجمعةِ ؛ فإنَّ غُسْلَ الجمعةِ كفَّارةٌ للذنوبِ ما بينَ الجمعتَينِ[١]

ويشتغلُ ويخدمُ بالصلاةِ والتضرُّعِ والدعاءِ والتلاوةِ وأنواعِ الأذكارِ مِنْ غيرِ فُتُورٍ إلىٰ أنْ يُصلِّيَ الجمعةَ ، ويجلسُ مُعتكِفاً في الجامعِ إلىٰ أنْ يُصلِّيَ الفرضَ مِنْ صلاةِ العصرِ ، وبقيّةُ النهارِ يشغلُهُ بالتسبيحِ والاستغفارِ والصلاةِ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُ يجدُ بركةَ ذلكَ في جميعِ أُسْبُوعِهِ

وقد كانَ مِنَ الصادقينَ مَنْ يضبطُ أحوالَهُ وأقوالَهُ وأفعالَهُ جميعَ الأُسْبُوعِ حتىٰ يَجِدَ ثمرةَ ذلكَ يومَ الجمعةِ ؛ لأنَّهُ يومُ المَزِيدِ لكلِّ صادقٍ ، ويكونُ ما يجدُهُ يومَ الجمعةِ مِحَكّاً يعتبرُ بهِ سائرَ الأُسْبُوعِ الذي مضىٰ[٢] ؛ فإنَّهُ إذا كانَ الأُسْبُوعُ سليماً يكونُ يومُ الجمعةِ فيهِ مزيدُ الأنوارِ والبركاتِ ، وما يجدُ في يومِ الجمعةِ مِنَ الظُّلْمةِ وسآمةِ النَّفْسِ وقِلَّةِ الانشراحِ . . فلِمَا ضَيَّعَ في الأُسْبُوعِ ، يعرفُ ذلكَ ويعتبرُهُ .

ويتَّقي جدّاً أنْ يَلْبَسَ للناسِ الرفيعَ مِنَ الثيابِ ، أو ثيابَ المُتقشِّفينَ ليُرىٰ بعينِ الزهدِ ؛ ففي لُبْسِ الرفيعِ للناسِ هوىً ، وفي لُبْسِ الخَشِنِ رياءٌ ، فلا يَلْبَسُ إلا للهِ

بَلَغَنا أنَّ سُفْيانَ لَبِسَ القميصَ مقلوباً ، ولم يعلمْ بذلكَ حتى ارتفعَ النهارُ ونبَّهَهُ علىٰ ذلكَ بعضُ الناسِ ، فهَمَّ أنْ يخلعَهُ ويُغيِّرَهُ ، ثمَّ أَمْسكَ وقالَ :

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤/ ١٦١) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، وأحمد (٣/ ٨١) ، وابن حبان (٢٧٧٨) ، والحاكم (١/ ٢٨٣) عن سيدينا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما

(٢) في نسخة علىٰ هامش (ح) : (محكماً) بدل (محكاً) .

لا ، لَبِسْتُهُ بنيَّةٍ للهِ ، فلا أُغيِّرُهُ فألبَسُهُ بنيَّةٍ للناسِ[1]

فليَعْلَمِ العبدُ ذلكَ ويَعتبرْهُ .

ولا بُدَّ للمُبتدِئِ أنْ يكونَ لهُ حظٌّ مِنْ تلاوةِ القرآنِ ومِنْ حفظِهِ ؛ فيحفظُ مِنَ القرآنِ مِنَ السبعِ إلى الجميعِ إلىٰ أقلَّ أو أكثرَ كيفَما أَمْكنَ ، ولا يُصْغِي إلىٰ قولِ مَنْ يقولُ مُلازَمةُ ذِكْرٍ واحدٍ أفضلُ مِنْ تلاوةِ القرآنِ ؛ فإنَّهُ يجدُ بالقرآنِ وتلاوتِهِ في الصلاةِ وفي غيرِ الصلاةِ جميعَ ما يتمنَّىٰ بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ ، وإنَّما اختارَ مِنَ المشايخِ بعضُهُم أنْ يُدِيمَ المُريدُ ذِكْراً واحداً ؛ ليجتمعَ الهَمُّ

ومَنْ لازمَ التلاوةَ في الخَلْوةِ ، وتمسَّكَ بالوَحْدةِ . تُفِيدُهُ التلاوةُ والصلاةُ أَوْفىٰ ممَّا يُفِيدُهُ الذِّكْرُ الواحدُ ، فإذا سَئِمَ في بعضِ الأحايينِ يُصانِعُ النَّفْسَ على الذِّكْرِ مُصانعةً ، وينزلُ مِنَ التلاوةِ إلى الذِّكْرِ ؛ فإنَّهُ أَخَفُّ على النَّفْسِ

وينبغي أنْ يعلمَ أنَّ الاعتبارَ بالقلبِ ؛ فكلُّ عملٍ مِنْ تلاوةٍ وصلاةٍ وذكرٍ لا يجمعُ فيهِ بينَ القلبِ واللِّسانِ . لا يُعتدُّ بهِ كلَّ الاعتدادِ ؛ فإنَّهُ عملٌ ناقصٌ

ولا يحقرُ الوساوسَ وحديثَ النَّفْسِ ؛ فإنَّهُ مُضِرٌّ وداءٌ عُضالٌ ، بل يُطالِبُ نَفْسَهُ أنْ يُصيِّرَ في تلاوتِهِ معنى القرآنِ مكانَ حديثِ النَّفْسِ مِنْ باطنِهِ ، كما أنَّ التلاوةَ على اللسانِ مشغولٌ لسانُهُ بالتلاوةِ ولا يمزجُهُ كلامٌ آخَرُ . هكذا يكونُ معنى القرآنِ في القلبِ لا يمزجُهُ حديثُ النَّفْسِ .

وإنْ كانَ أَعْجمياً لا يعرفُ معنى القرآنِ . تكونُ المُراقَبةُ حِلْيَةَ باطنِهِ ،

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٢٤٧)

فيُشغِلُ باطنَهُ بمُطالَعةِ نَظَرِ اللهِ إليهِ مكانَ حديثِ النَّفْسِ ؛ فإنَّ بالدوامِ علىٰ ذلكَ يصيرُ مِنْ أربابِ المُشاهَدةِ

قالَ مالكٌ : (قلوبُ الصِّدِّيقينَ إذا سمعتِ القرآنَ طَرِبتْ إلى الآخرةِ)[1] .

فليتمسَّكِ المُريدُ بهـٰذهِ الأصولِ ، ويستعينَ بدوامِ الافتقارِ إلى اللهِ ؛ فبذلكَ ثباتُ قَدَمِهِ

قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ رحمَهُ اللهُ : (علىٰ قَدْرِ لزومِ الالتجاءِ والافتقارِ يعرفُ البلاءَ ، وعلىٰ قَدْرِ معرفتِهِ بالبلاءِ يكونُ افتقارُهُ إلى اللهِ)[2]

فدوامُ الافتقارِ إلى اللهِ أصلُ كلِّ خير ، ومفتاحُ كلِّ علمٍ دقيقٍ في طريقِ القومِ ، وهـٰذا الافتقارُ معَ الأنفاسِ لا يستبدُّ بحركةٍ ، ولا يستقلُّ بكلمةٍ دونَ اللهِ تعالىٰ ودونَ الافتقارِ إلى اللهِ تعالىٰ فيها ، وكلُّ كلمةٍ وحركةٍ خَلَتْ عن مُراجعةِ اللهِ والافتقارِ إليهِ فيها . . لا تُعقِبُ خيراً قطعاً ، عَلِمْنا ذلكَ وتَحَقَّقْناهُ .

وقالَ سهلٌ (مَنِ انتقلَ مِنْ نَفَسٍ إلىٰ نَفَسٍ مِنْ غيرِ ذِكْرٍ . . فقد ضيَّعَ حالَهُ ، وأَدْنىٰ ما يدخلُ علىٰ مَنْ ضيَّعَ حالَهُ دخولُهُ فيما لا يعنيهِ وتركُهُ ما يعنيهِ)[3]

وبَلَغَنا أنَّ حسَّانَ بنَ سِنانٍ قالَ ذاتَ يومٍ : لمَنْ هـٰذهِ الدارُ ؟ ثمَّ رَجَعَ إلىٰ

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (١٨٧٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٥٨) .
(٢) تفسير التستري (ص٦٩) بنحوه ، ورواه بنحوه أيضاً أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٩٩)
(٣) أورده ابن الحاج في « المدخل » (١/ ٢١) .

نَفْسِهِ وقالَ : ما لي وهـٰذا السؤالَ ؟! وهل هـٰذهِ إلا كلمةٌ لا تعنيني ؟! وهل هـٰذا إلا لاستيلاءِ نَفْسي وقِلَّةِ أدبِها ؟! وآلىٰ علىٰ نَفْسِهِ أنْ يصومَ سنةً كفَّارةً لهـٰذهِ الكلمةِ[1]

فبالصدقِ نالُوا ما نالُوا ، وبقُوَّةِ العزائمِ عزائمِ الرجالِ بَلَغُوا ما بَلَغُوا

(١٥٠) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ خَلَفٍ إجازةً[2] ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ ، قالَ : سمعتُ منصوراً يقولُ : سمعتُ أبا عمرٍو الأَنْماطيَّ يقولُ : سمعتُ الجُنيدَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (لو أَقْبلَ صادقٌ على اللهِ ألفَ سنةٍ ، ثمَّ أَعْرضَ عنهُ لحظةً . . لكانَ ما فاتَهُ مِنَ اللهِ أكثرَ ممَّا نالَهُ)[3]

وهـٰذهِ الجملةُ يحتاجُ المُبتدِئُ أنْ يُحكِمَها ، والمنتهي عالمٌ بها عاملٌ بحقائقِها ؛ فالمُبتدِئُ صادقٌ ، والمُنتهي صِدِّيقٌ .

قالَ أبو سعيدٍ عبدُ اللهِ القُرَشيُّ : (الصادقُ : الذي ظاهرُهُ مستقيمٌ ، وباطنُهُ يميلُ أحياناً إلىٰ حظِّ النَّفْسِ ، وعلامتُهُ : أنْ يجدَ الحلاوةَ في بعضِ الطاعةِ ولا يجدَ في بعضٍ ، وإذا اشتغلَ بالذِّكْرِ نَوَّرَ الرُّوحَ ، وإذا اشتغلَ بحظوظِ النَّفْسِ يُحجَبُ عنِ الأذكارِ)[4]

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٥٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١١٥) ، ومن طريق ابن أبي الدنيا البيهقي في « الشعب » (٤٧٣١) .

(٢) سقط التصريح بالإجازة في كلا الموضعين من بعض النسخ .

(٣) طبقات السلمي (ص١٦١) ، ورواه من طريقه القشيري في « رسالته » (ص١٥٥) ، وفيهما : (ألفَ ألفِ) بدل (ألف)

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ١٩٠) ، وفي (أ ، و ، ز ، ح) (نوَّر) بدل =

والصِّدِّيقُ الذي استقامَ ظاهرُهُ وباطنُهُ ، يعبدُ اللهَ تعالىٰ بتلوينِ الأحوالِ ، لا يَحجُبُهُ عنِ اللهِ وعنِ الأذكارِ أكلٌ ولا نومٌ ولا شُربٌ ولا طعامٌ ، والصِّدِّيقُ يُريدُ نَفْسَهُ للهِ ، وأقربُ الأحوالِ إلى النُّبُوَّةِ : الصِّدِّيقيَّةُ ، وقالَ أبو يزيدَ رحمةُ اللهِ عليهِ : (آخِرُ نهاياتِ الصِّدِّيقِينَ أوَّلُ درجاتِ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ عليهِم)[١]

واعلَمْ : أنَّ أربابَ النهاياتِ استقامَتْ بواطنُهُم وظواهرُهُم للهِ ، وأرواحُهُم خَلَصَتْ عن ظُلْمةِ النُّفُوسِ ، ووَطِئتْ بساطَ القُرْبِ ، ونفوسُهُم مُنقادةٌ مِطْواعةٌ مُصالِحةٌ معَ القلوبِ ، مُجيبةٌ إلىٰ كلِّ ما تُجيبُ إليهِ القلوبُ ، أرواحُهُم مُتعلِّقةٌ بالمقامِ الأَعْلى ، انطفأتْ فيهِم نيرانُ الهوىٰ ، وتَخَمَّرَ في بواطِنِهِم صريحُ العلمِ ، وانكشفَتْ لهُمُ الآخرةُ ، كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حقِّ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ مَيِّتٍ يَمْشِي عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ . فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ » رَضِيَ اللهُ عنهُ[٢] ؛ إشارةً منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ ما كُوشِفَ بهِ مِنْ صريحِ العلمِ الذي لا يَصِلُ إليهِ عوامُّ المؤمنينَ إلا بعدَ الموتِ ؛ حيثُ يُقالُ : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [قٓ : ٢٢] .

= (ثوَّر) ، وفي (ب ، د) : (تنوَّر) .

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٧٦) .

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٦٢) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ١٢٧) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٤٨٩٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١/ ٥٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، بلفظ : « مَنْ أرادَ أنْ ينظرَ إلىٰ عتيقٍ مِنَ النارِ . فلينظرْ إلىٰ أبي بكرٍ » .

فأربابُ النهاياتِ ماتتْ أَهْوِيَتُهُم ، وخَلَصَتْ أرواحُهُم .

قالَ يحيى بنُ مُعاذٍ وقد سُئِلَ عن وصفِ العارفِ ، فقالَ : رجلٌ معَهُم بائنٌ منهُم ، وقالَ مرَّةً : عبدٌ كانَ فبانَ[١]

فأربابُ النهاياتِ هم عندَ اللهِ بحقيقتِهِم ، مُعوَّقينَ بتوقيتِ الأجلِ ، جعلَهُمُ اللهُ تعالىٰ مِنْ جنودِهِ في خَلْقِهِ ، بِهِم يُهدَىٰ وبهِم يُرشَدُ وبهِم يُجذَبُ أهلُ الإرادةِ ، كلامُهُم دواءٌ ، ونَظَرُهُم دواءٌ[٢] ، ظاهرُهُم محفوظٌ بالحُكْمِ ، وباطنُهُم معمورٌ بالعلمِ .

قالَ ذو النُّونِ : (علامةُ العارفِ ثلاثةٌ : لا يُطفِئُ نورُ معرفتِهِ نورَ ورعِهِ ، ولا يعتقدُ باطناً مِنَ العلمِ ينقضُ عليهِ ظاهراً مِنَ الحُكْمِ ، ولا تحملُهُ كثرةُ نِعَمِ اللهِ وكرامتُهُ علىٰ هَتْكِ أستارِ محارمِ اللهِ)[٣]

فأربابُ النهاياتِ كلَّما ازدادوا نعمةً ازدادوا عُبُوديَّةً ، وكلَّما ازدادوا دُنْيا ازدادوا قُرْباً ، وكلَّما ازدادوا جاهاً ورِفْعةً ازدادوا تواضعاً وذِلَّةً ؛ ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

وكلَّما تناولوا شهوةً مِنْ شهواتِ النُّفُوسِ.. استخرجتْ منهُم شُكْراً

---

(١) أوردهما أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٥٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٤٦) .

(٢) في (ي) : (شفاء) بدل (دواء) ، والذي أُرجِّحه أنَّ أصل الكلمة (رَوَاء) بالراء ، ثم تصحَّفت إلى الدال ؛ أي : نظرُهُم مُرْوٍ للمريدين الطالبين المُتعطِّشين إلى المعرفة ، وهو أبلغ وأقرب ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٤٦) ، والشارعي في « مرشد الزوار » (١/ ٣٧٩) .

صافياً ، يتناولونَ الشهواتِ تارةً رِفقاً بالنُّفوسِ ؛ لأنَّها معَهُم كالطفلِ الذي يُلطَّفُ بالشيءِ ، ويُهدىٰ لهُ الشيءُ ؛ لأنَّهُ مقهورٌ تحتَ السياسةِ ، مرحومٌ ملطوفٌ بهِ ، وتارةً يمنعونَ نُفُوسَهُمُ الشهواتِ تَأَسِّياً بالأنبياءِ صلواتُ اللهِ عليهِم واختيارِهِمُ التقلُّلَ مِنَ الشهواتِ الدُّنْيويَّةِ

قالَ يحيى بنُ مُعاذٍ : (الدُّنْيا عروسٌ ، ومَنْ يَطلُبُها ماشِطَتُها ، والزاهدُ فيها يُسخِّمُ وجهَها ، وينتِفُ شَعرَها ، ويُخرِّقُ ثوبَها ، والعارفُ باللهِ مُشتغِلٌ بسيِّدِهِ ، ولا يلتفتُ إليها)(١)

واعلَمْ : أنَّ المُنتهيَ معَ كمالِ حالِهِ لا يستغني أيضاً عن سياسةِ النَّفْسِ ومَنْعِها مِنَ الشهواتِ ، وأَخْذِ الحظِّ مِنْ زيادةِ الصيامِ والقيامِ وأنواعِ البِرِّ .

وقد غَلِطَ في هـٰذا خَلْقٌ ، وظنُّوا أنَّ المُنتهيَ استغنىٰ عنِ الزياداتِ والنوافلِ ، ولا يَضُرُّهُ الاسترسالُ في تناولِ المَلاذِّ والشهواتِ .

وهـٰذا خطأٌ ، لا مِنْ حيثُ إنَّهُ يَحجُبُ العارفَ عن معرفتِهِ ، ولـٰكنْ يُوقِفُ عن مقامِ المَزيدِ

فقومٌ لمَّا رَأَوْا أنَّ هـٰذِهِ الأشياءَ لا تُؤَثِّرُ فيهِم قَسْوةً ولا تُورِثُهُم حَجْبةً . . رَكَنُوا إليها واسترسلوا فيها ، وقَنَعُوا بأداءِ الفرائضِ ، واتَّسعوا في المَآكلِ والمشاربِ ، وهـٰذا الانبساطُ منهُم بقيَّةٌ مِنْ سُكْرِ الأحوالِ ، وتقيُّدٌ بنورِ الحالِ ، وعدمُ التخلُّصِ بالكُلِّيَّةِ إلىٰ نورِ الحقِ .

ومَنْ تَخَلَّصَ مِنْ نورِ الحالِ إلىٰ نورِ الحقِّ . . يذهبُ عنهُ بقايا السُّكْرِ ،

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٥٣ـ٥٤) ، وأورده بلفظه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦١ ، ٧٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٣٩) .

ويُوقِفُ نَفْسَهُ مقامَ العبيدِ ، كآحادِ عوامِّ المؤمنينَ ؛ يتقرَّبُ بالصلاةِ والصومِ وأنواعِ البِرِّ حتىٰ بإماطةِ الأذىٰ عنِ الطريقِ .

ولا يستكبرُ ولا يستنكفُ أنْ يعودَ في صُوَرِ عوامِّ المؤمنينَ مِنْ إظهارِ الإرادةِ مِنْ كلِّ بِرٍّ وصِلةٍ ؛ فيتناولُ الشهواتِ وقتاً ؛ رِفْقاً بالنَّفْسِ المُطهَّرةِ المُزكَّاةِ المُنقادةِ المِطْواعةِ ؛ لأنَّها أَسِيرتُهُ ، ويمنعُها الشهواتِ وقتاً ؛ لأنَّ في ذلكَ صلاحَها

واعْتبِرْ هٰذا سواءً بحالِ الصبيِّ ؛ فإنَّهُ إنْ جاوزَ حدَّ الاعتدالِ مِنْ إعطاءِ المُرادِ وقتاً ومَنْعِهِ وقتاً . . فَسَدَ طبعُهُ[1] ؛ لأنَّ الجِبِلَّةَ لا بُدَّ مِنْ قَمْعِها بسياسةِ العلمِ ، وما دامتِ الجِبِلَّةُ باقيةً لا بُدَّ مِنْ سياسةِ العلمِ ، وهٰذا بابٌ غامضٌ دَخَلَ في النِّهاياتِ على المُنتهِينَ مِنْ ذلكَ دواخلُ ، ووَقَعَ الرُّكُونُ ، وانسدَّ بهِ بابُ المَزِيدِ .

فالمُنتهي مَلَكَ ناصيةَ الاختيارِ في الأَخْذِ والتركِ ، ولا بُدَّ لهُ مِنْ أخذٍ وتركٍ في الأعمالِ والحُظُوظِ .

ففي الأعمالِ لا بُدَّ لهُ مِنْ أَخْذٍ وتَرْكٍ ؛ فتارةً يأتي بالأعمالِ كآحادِ الصادقينَ ، وتارةً يتركُ زيادةَ الأعمالِ رِفْقاً بالنَّفْسِ ، وتارةً يأخذُ الحظوظَ والشهواتِ رِفْقاً بالنَّفْسِ ، وتارةً يتركُها تفقُّداً للنَّفْسِ بِحُسْنِ السياسةِ ، فيكونُ في ذلكَ كلِّهِ مُختاراً .

فمَنْ ساكنَ تَرْكَ الحُظُوظِ بالكُلِّيَّةِ . . فهوَ زاهدٌ تاركٌ بالكُلِّيَّةِ ، ومَنِ

---

(١) في النسخ ما عدا (ب ، هـ) : (انفسد) ، وقد سبق التعليق علىٰ هٰذه الكلمة في (١/ ٣٩١) .

استرسلَ في أخذِها فهوَ راغبٌ بالكُلِّيَّةِ ، والمُنتهي شَمِلَ الطَّرَفَينِ ؛ فإنَّهُ على غايةِ الاعتدالِ ، واقفٌ على الصراطِ بينَ الإفراطِ والتفريطِ

فمَنْ رُدَّتْ إليهِ الأقسامُ في النهايةِ ، فأَخَذَها زاهداً في الزُّهدِ . . فهوَ تحتَ قَهْرِ الحالِ مِنْ تركِ الاختيارِ ، وتاركُ الاختيارِ الواقفُ معَ فعلِ اللهِ . . مُقيَّدٌ بالحالِ ، وكما أنَّ الزاهدَ مُقيَّدٌ بالتركِ تاركُ الاختيارِ . فكذلكَ الزاهدُ في الزهدِ ، الآخِذُ مِنَ الدُّنيا ما سِيقَ إليهِ لرؤيتِهِ فعلَ اللهِ . . مُقيَّدٌ بالأخذِ

وإذا استقرَّتِ النهايةُ لا يتقيَّدُ بالأخذِ ولا بالتركِ ، بل يتركُ وقتاً واختيارُهُ مِنِ اختيارِ اللهِ تعالىٰ ، ويأخذُ وقتاً واختيارُهُ مِنِ اختيارِ اللهِ ، وهكذا صومُهُ النافلةَ ، وصلاتُهُ النافلةَ ؛ يأتي بها وقتاً ويسمحُ للنَّفْسِ وقتاً ؛ لأنَّهُ مختارٌ صحيحٌ في الاختيارِ في الحالَينِ ، وهـٰذا هوَ الصحيحُ ونهايةُ النهايةِ ، وكلُّ حالٍ تستقرُّ وتستقيمُ يُشاكِلُ حالَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

وهكذا كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ يقومُ مِنَ الليلِ ولا يقومُ الليلَ كلَّهُ ، ويصومُ مِنَ الشهرِ ولا يصومُ الشهرَ كلَّهُ غيرَ رمضانَ[1] ، ويتناولُ الشهواتِ

ولمَّا قالَ الرجلُ إنِّي عزمتُ ألَّا آكلَ اللحمَ . . قالَ « لَا ، كُلِ ٱللَّحْمَ ؛ فَإِنِّي آكُلُ ٱللَّحْمَ وَأُحِبُّهُ ، وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُطْعِمَنِيهِ كُلَّ يَوْمٍ . . لَأَطْعَمَنِي »[2] ، وهـٰذا يَدُلُّكَ علىٰ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ

---

(١) روىٰ مسلم (٧٤٦) وغيره عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها أنها قالت ضمن حديث طويل : (ولا أعلمُ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قرأ القرآنَ كلَّهُ في ليلة ، ولا صلَّىٰ ليلةً إلى الصبح ، ولا صامَ شهراً غيرَ رمضان) .

(٢) المثبت غريب باللفظ الذي ذكره المؤلف . انظر « غنية العارف » (٢/ ٩٢٢-٩٢٣)

مُختاراً في ذلكَ ؛ إنْ شاءَ أَكَلَ وإنْ شاءَ لم يأكلْ ، وكانَ يتركُ الأكلَ اختياراً ، ويأكلُ اختياراً

وقد دخلتِ الفِتْنةُ علىٰ قومٍ كلَّما قِيلَ لهُم : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَعَلَ كذا . . يقولونَ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُشرِّعاً ، وهٰذا إذا قالوهُ علىٰ معنىٰ : أنَّهُ لا يلزمُهُمُ التأسِّي بهِ . . جهلٌ محضٌ ؛ فإنَّ الرُّخْصةَ الوقوفُ علىٰ حدِّ قولِهِ ، والعزيمةَ التأسِّي بفعلِهِ ، وقولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأربابِ الرُّخَصِ ، وفعلُهُ لأربابِ العزائمِ .

ثمَّ إنَّ المُنتهيَ يُحاكي حالُهُ حالَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في دعاءِ رسولِ الله الخَلْقَ إلى الحقِّ ؛ فكلُّ ما كانَ يعتمدُهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ينبغي أنْ يعتمدَهُ ، فكانَ قيامُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وصيامُهُ الزائدُ لا يخلو : إمَّا أنْ كانَ ليُقتدىٰ بهِ ، وإمَّا أنْ كانَ لمَزِيدٍ كانَ يجدُهُ بذلكَ ؛ فإنْ كانَ ليُقتدىٰ بهِ فالمُنتهي أيضاً مُقتدىً بهِ ، فينبغي أنْ يأتيَ بمثلِ ذلكَ .

والصحيحُ الحقُّ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يفعلْ ذلكَ لمُجرَّدِ الاقتداءِ ، بل كانَ يجدُ بذلكَ زيادةً ؛ وهوَ ما ذَكَرْناهُ مِنْ تهذيبِ الجِبِلَّةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ خطاباً لهُ : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] ؛ لأنَّ لهُ بذلكَ استمداداً مِنَ الحضرةِ الإلٰهيَّةِ ، وقرعَ بابِ الكريمِ ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُفتقِرٌ إلى الزيادةِ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، غيرُ مُستغنٍ عن ذلكَ .

ثمَّ في ذلكَ سِرٌّ غريبٌ[١] ؛ وذلكَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

(١) في نسخة علىٰ هامش (د) : (عجيب) .

برابطةِ جِنْسيَّةِ النَّفْسِ كانَ يدعو الخلقَ إلى الحقِّ ، ولولا رابطةُ الجِنْسيَّةِ ما وصلوا إليهِ ولا انتفعوا بهِ ، وبينَ نَفْسِهِ الطاهرةِ ونُفُوسِ الأتباعِ رابطةُ التأنيفِ[1] ، كما بينَ رُوحِهِ وأرواحِهِم رابطةُ التأليفِ ، ورابطةُ التأنيفِ : أنَّ النُّفُوسَ أَلِفَتْ آنِفاً كما أنَّ الأرواحَ أَلِفَتْ أوَّلاً ، ولكلِّ رُوحٍ معَ نَفْسِهِ تأليفٌ خاصٌّ ، والسُّكُونُ والتأليفُ والامتزاجُ واقعٌ بينَ الأرواحِ والنفوسِ

فكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُدِيمُ العملَ ؛ لتصفيةِ نَفْسِهِ ونفوسِ الأتباعِ ، فما احتاجَتْ إليهِ نَفْسُهُ مِنْ ذلكَ نالَ ، وما فَضَلَ مِنْ ذلكَ وصلَ إلىٰ نفوسِ الأُمَّةِ ، وهٰكذا المُنتهي معَ الأصحابِ والأتباعِ علىٰ هٰذا المعنىٰ .

فلا يتخلَّفُ عنِ الزياداتِ والنوافلِ ، ولا يسترسلُ في الشهواتِ واللَّذَّاتِ . . إلا بدَلالةِ مَحْضِ النَّفْسِ ، ولا يُعطِي الاعتدالَ حقَّهُ مِنْ ذلكَ إلا بتأييدِ اللهِ تعالىٰ ونورِ الحِكْمةِ .

وكلُّ مَنْ يحتاجُ إلىٰ صحَّةِ الجَلْوةِ للغيرِ . . لا بُدَّ لهُ مِنْ خَلْوةٍ صحيحةٍ بالحقِّ ، حتىٰ تكونَ جَلْوتُهُ في حمايةِ خَلْوتِهِ

ومَنْ يتراءىٰ لهُ أنَّ أوقاتَهُ كلَّها خَلْوةٌ ، وأنَّهُ لا يَحجُبُهُ شيءٌ ، وأنَّ أوقاتَهُ باللهِ وللهِ ، ولا يرىٰ نُقْصاناً ؛ لأنَّ اللهَ ما فَطَّنَهُ لحقيقةِ المَزِيدِ . . فهوَ صحيحٌ في حالِهِ ، غيرَ أنَّهُ تحتَ قُصُورٍ ؛ لأنَّهُ ما نُبِّهَ لسياسةِ الجِبِلَّةِ ، وما عُرِّفَ سِرَّ تمليكِ الاختيارِ ، وما وُقِّفَ مِنَ البيانِ على البيضاءِ النَّقِيَّةِ .

وقد نُقِلتْ عنِ المشايخِ كلماتٌ فيها موضعُ الاشتباهِ ؛ فقد يسمعُها

---

(١) في بعض النسخ : (التأليف) ، وكذلك في الموضع الآتي .

الإنسانُ ويبني عليها ، والأَوْلىٰ : أنْ يفتقرَ العبدُ إلى اللهِ تعالىٰ في كلِّ كلمةٍ يسمعُها ، حتىٰ يُسمِعَهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ ذلكَ الصوابَ .

نُقِلَ عن بعضِهِم أنَّهُ سُئِلَ عن كمالِ المعرفةِ ، فقالَ : إذا اجتمعَتِ المُتفرِّقاتُ ، واستوتِ الأحوالُ والأماكنُ ، وسقطتْ رؤيةُ التمييزِ[1]

فمثلُ هـٰذا القولِ يُوهِمُ ألَّا يبقىٰ تمييزٌ بينَ الجَلْوةِ والخَلْوةِ ، وبينَ القيامِ بصُوَرِ الأعمالِ وبينَ تركِها ، ولم يُفهَمْ منهُ إلا ذلكَ[2] ، ولا يُفهَمُ منهُ أنَّ القائلَ أرادَ بذلكَ معنىً خاصّاً ؛ يعني أنَّ حظَّ المعرفةِ لا يتغيَّرُ بحالٍ مِنَ الأحوالِ .

وهـٰذا صحيحٌ ؛ أنَّ حظَّ المعرفةِ لا يتغيَّرُ بحالٍ ولا يفتقرُ إلى التمييزِ ، وتستوي الأحوالُ فيهِ ، ولـٰكنَّ حظَّ المَزيدِ يتغيَّرُ ويحتاجُ إلى التمييزِ ، وليسَ في هـٰذا الكلامِ وأمثالِهِ ما يُنافي ما ذَكَرْناهُ .

قيلَ لمحمَّدِ بنِ الفضلِ : حاجةُ العارفينَ إلىٰ ماذا ؟ قالَ حاجتُهُم إلى الخَصْلةِ التي كَمَلَتْ بها المحاسنُ كلُّها ؛ أَلَا وهيَ الاستقامةُ[3]

فكلُّ مَنْ كانَ أَتَمَّ معرفةً كانَ أَتَمَّ استقامةً ، فاستقامةُ أربابِ النهاياتِ على التمامِ .

---

(١) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦٢) عن عبد الرحمـٰن الفارسي رحمه الله تعالىٰ ، وعلَّق عليه أبو نصر فقال : (معنىٰ ذلك : أن يكون وقتُ العبد وقتاً واحداً بلا تغيير ، ويكونَ العبد في جميع أحواله بالله ولله ، مأخوذاً عمَّا سوى الله ، فعند ذلك يكونُ هـٰذا حالَهُ)

(٢) سقطت لفظة (إلا) من بعض النسخ .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٥٨) .

والعبدُ في الابتداءِ مأخوذٌ في الأعمالِ ، محجوبٌ بها عنِ الأحوالِ ، وفي التوسُّطِ محظوظٌ بالأحوالِ ؛ فقد يُحجَبُ عنِ الأعمالِ ، وفي الانتهاءِ لا تَحجُبُهُ الأعمالُ عنِ الأحوالِ ، ولا الأحوالُ عنِ الأعمالِ ، وذلكَ هوَ الفضلُ العظيمُ

سُئِلَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ عنِ النهايةِ ، فقالَ : هيَ الرجوعُ إلى البدايةِ

وقد فَسَّرَ بعضُهُم قولَ الجُنيدَ فقالَ : (معناهُ : أنَّهُ كانَ في ابتداءِ أمرِهِ في جهلٍ ، ثمَّ وصلَ إلى المعرفةِ ، ثمَّ رُدَّ إلى التَّحَيُّرِ والجهلِ ، وهوَ كالطُّفُوليَّةِ ؛ يكونُ جهلٌ ، ثمَّ علمٌ ، ثمَّ جهلٌ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [النحل ٧٠])

وقالَ بعضُهُم : (أَعْرَفُ الخَلْقِ باللهِ أَشَدُّهُم تَحَيُّراً فيهِ)(١)

ويجوزُ أنْ يكونَ معنىٰ ذلكَ ما ذَكَرْناهُ : أنَّهُ يُبادَأُ بالأعمالِ ثمَّ يُرقَّىٰ إلى الأحوالِ ، ثمَّ يُجمَعُ لهُ بينَ الأعمالِ والأحوالِ ، وهـٰذا يكونُ للمُنتهي المُرادِ المأخوذِ في طريقِ المحبوبينَ ، يَنجذِبُ رُوحُهُ إلى الحضرةِ الإلـٰهيَّةِ ، فيستتبعُ القلبَ ، والقلبُ يستتبعُ النَّفْسَ ، والنَّفْسُ تستتبعُ القالَبَ ، فيكونُ بكُلِّيَّتِهِ قائماً باللهِ ، ساجداً بينَ يَدَيِ اللهِ تعالىٰ ، كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي »(٢) ، وقالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥].

---

(١) رواه السلمي في « الطبقات » (ص٣٨٠) عن أبي يعقوب النهرجوري رحمه الله تعالىٰ ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٤٢) عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) سبق تخريجه في (٢/٣٨)

والظِّلالُ : القوالبُ تسجدُ لسجودِ الأَرْواحِ ، وعندَ ذلكَ يَسْري رُوحُ المَحَبَّةِ في جميعِ أجزائِهِم وأبعاضِهِم ، فيتلذَّذونَ ويتنعَّمونَ بذِكْرِ اللهِ وتلاوةِ كلامِهِ مَحَبَّةً ووُدّاً ، فيُحِبُّهُمُ اللهُ ، ويُحبِّبُهُم إلىٰ خَلْقِهِ ؛ نعمةً منهُ عليهم وفضلاً ؛ علىٰ ما

(١٥١) ـ أخبرَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرَوَرْديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو طالبٍ الزَّيْنَبيُّ ، قالَ أخبرَتْنا كَريمةُ المَرْوَزِيَّةُ ، قالتْ : أخبرَنا أبو الهيثمِ الكُشْمِيهَنيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ الفِرَبْريُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ البُخاريُّ ، قالَ : حدَّثَني إسحاقُ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الصمدِ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ دينارٍ ، عن أبيهِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ عَبْداً نَادَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : إِنَّ ٱللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي ٱلسَّمَاءِ : إِنَّ ٱللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَاناً فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ ٱلسَّمَاءِ ، وَيُوضَعُ لَهُ ٱلْقَبُولُ فِي ٱلْأَرْضِ »(١)

واللهُ أعلمُ بأحوالِ العبادِ ، وباللهِ العونُ والعصمةُ والتوفيقُ ، وإليهِ انتهاءُ الطريقِ .

والحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّدِنا ونبيِّنا محمَّدٍ وآلِهِ الطيِّبينَ الطاهِرينَ الأبرارِ ، وحسبُنا اللهُ ونعمَ المُعينُ

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح البخاري (٧٤٨٥) ، ورواه مسلم (٢٦٣٧) ، وقولُهُ : (فأحِبَّهُ) الفتح هو الرواية ، والضم أفصح منه انظر « شرح الأشموني على الألفية » (٣/ ٨٩٧)

خواتيم النسخ الخطية

وبعض السماعات والإجازات

خاتمة النسخة (أ)

تمَّ كتاب « عوارف المعارف » بحمد الله وحُسْن توفيقه ، وصلَّى الله علىٰ خير خلقه محمَّد وآله أجمعين ، في يوم السبت وقت صلاة العصر شهر جمادى الثاني سنة سبع وسبعين وست مئة .

كتبه : إسماعيل بن سالار بن زكي بن سالار الكازروني ، حامداً ومُصلِّياً

خاتمة النسخة (ب)

[تمَّ] ما حرَّره العبد الفقير الضعيف إلىٰ عفو الله تعالىٰ ؛ محمَّد بن يوسف بن عبد الرحمـٰن الحوراني(١)

وكان الفراغ من كتاب « عوارف المعارف » ، يوم الأربعاء تاسع عشر من جمادى الآخرة سنة اثنين وتسعين وست مئة من الهجرة النبوية ، أحسن الله تقضِّيَها ، والحمد لله رب العالمين .

خاتمة النسخة (ج)

لله الحمدُ في جميع الأطوار ، ثمَّ الصَّلَواتُ للنبي المختار .

وكُتِبَ بعد هـٰذه الخاتمة خاتمةٌ مُفصَّلة للكتاب ؛ وإليك نصُّها

---

(١) كذا رسمت ، ويحتمل أنَّها (الخوزاني) ، والله تعالىٰ أعلم

(الحمدُ لله المعين ، والصلاةُ والسلام علىٰ خير خلقه النبيِّ الأمين ، وسيدِ الأنبياءِ والمرسلين ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، سيَّما الخلفاءِ الراشدين ، والغُزاة والمستشهدين ، والتابعينَ وتبَعِ التابعين ، والعلماءِ المجتهدينِ ، وأهلِ طاعةِ اللهِ من أهل السماوات وأهلِ الأرَضين ، والشكرُ للهِ تعالىٰ وتقدَّس علىٰ إتمام كتابةِ « عوارف المعارف » ، [كان] ابتداؤها في مسجد سيد الرسل ، وهادي السُّبل ، عليه الصلاة والسلام ، وانتهاؤُها في البلد الحرام ـ لا زال مكانُهُ مأمنَ الأنام ـ والمسجد والمقام .

وقد كُتِبَ لجناب الشيخ الأعلم ، أكرم المشايخ من الأمم ، نزيلِ الحَرَمَينِ الشريفين ، مُدرِّس المسجدين المُنيفَينِ ، مَطَافِ طوائف طرائف ، حكم مهبط وفود لطائف ، كرم روضة دار السلام سعادتَينِ ، حدقةِ حديقةِ أنوارِ رئاستَينِ ، حلَّال مُشكِلات أحكامٍ شرعيٍّ ، شافع معضلات أصليٍّ وفرعي ، قانون شفاء قلوب أولياء ، مشكاة نجاة كروب غُرَباء وصُلَحاء ، شهاب الطريقة والشريعة والحقيقة والدين ، أبي المكارم الشيخ شهاب الدين أحمد بن المرحوم افتخار الأكابر في عصره ، الخواجه شيخ محمد بن الصدر الأعظم الأكرم الأطهار أشراف العجم ، الخواجه أحمد الدشتي الكيلاني ، أبقاه الله في الأمن والأماني ، في عين عِرْفان المعاني ، ورَحِمَ أسلافه ، وكثَّر أولاده وأخلافه ، ورَحِمَ كاتبه وقارئه ، ولجميع المؤمنين ، وصلى الله علىٰ خير النبيِّين ، وأصحابِهِ وأولاده أجمعين ، آمينَ ربَّ العالمين) .

ثمَّ نُقِلَ أبياتٌ لمحمَّد بن فضل الله بن محمود ؛ وهي[1] :

كتبتُ بعونِ اللهِ ذي الفضلِ والعُلا ... عوارفَ شيخي قدَّس اللهُ سرَّهُ
إمامِ الهدىٰ شيخِ الشيوخِ وقُطْبِهِم ... شهابِ لدِينِ اللهِ قد فاقَ عصرَهُ
بكشفٍ وإيقانٍ وزُهْدٍ وحكمةٍ ... وعلمٍ وعِرْفانٍ وأَعْطاهُ نَشْرَهُ
وأَجْرىٰ ينابيعَ العلومِ بنُطْقِهِ ... وطَهَّرَ مَجْراهُ وأَوسَعَ صدرَهُ
تصدَّىٰ بعونِ اللهِ سبعينَ حَجَّةً ... لإرشادِ خَلْقِ اللهِ عَمَّرَ عُمْرَهُ
وأحكمَ بُنْيانَ السُّلُوكِ مُمهِّداً ... قواعدَ عِرْفانٍ وشيَّدَ قصرَهُ
فأصبحَ أصحابُ التصوُّفِ كاشفاً ... بما أوضحَ الشيخُ المُكاشِفُ سرَّهُ
أفاضَ عليهِ الحقُّ شُؤْبُوبَ رحمةٍ ... وفي الجنَّةِ المأوىٰ تُكامِلَ أجرَهُ
فيا ربِّ وفِّقْني لما كنتُ نامقاً ... ويا ربِّ أَلْهِمْني وعلِّمْنِ فَسْرَهُ
ويا ربِّ غُفراناً لمَنْ كانَ سائلاً ... لزَلَّةِ هٰذا العبدِ إذْ طالَ شعرُهُ
وكانَ فراغي منهُ شعبانَ نصفَهُ ... لعامِ ثلاثينَ ثمانيَ أَزْرَهُ[2]
يُزادُ عليهِ سبعُ ماءٍ مُكمَّلاً ... لهجرةِ خيرِ الخَلْقِ إذ تابعَ أمرَهُ
عليهِ سلامُ اللهِ ما حجَّ بيتَهُ ... عليهِ صلاةُ اللهِ ما زارَ قبرَهُ

ثمَّ كُتب بعدُ وصفٌ بسيط للنسخة المقابلة عليها النسخة (ج) ، والتي قُرئت على المؤلف ، كما كُتب تأريخ وتوثيق لهٰذه المقابلة ، وإليك صورة هٰذا المكتوب :

(١) والظاهر أنَّ هٰذه الأبيات قد قيلت بسبب كتابة ونسخ « عوارف المعارف » ، ولعلَّ الناسخ أتىٰ بها ؛ لما فيها من مدح الكتاب ومؤلفه رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في نسخة على الهامش : (وفي نصفِ شعبانٍ تصادفَ ختمُهُ) بدل الشطر الأول .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعدَ حمد الله تعالىٰ علىٰ نَعْمائه وإفضالِهِ ، والصلاةِ والسلامِ علىٰ محمَّد وآله . . قابلتُ هٰذا الكتاب المُسمَّىٰ بـ « عوارف المعارف » للشيخ العالم العامل الربَّاني ، الإمام الكامل المُكمَّل الرَّحْماني ، شهاب المِلَّة والدِّين أبي عبد الله عمرَ السُّهْرُوردي ، قدَّس الله روحه ، بنسخةٍ مأخوذةٍ من أُمِّ النسخ المقروءةِ علىٰ مُصنِّفها مراراً ، وفيها خطُّهُ الشريف تكْراراً ، وهٰذه صورةُ كتابته :

(قَرَأَ عليَّ هٰذا الكتابَ : الولدُ الصالح العالم الزاهد العارف ، نجم المِلَّة والدين ثابت بن تاوان[١] ، قراءةَ مَنْ تفهَّم ما فيهِ من المعاني والإشارات والغرائب التي يختصُّ بمعرفتها مَنْ سَلَكَ طريقَ مشايخ الصوفيَّة ، واللهُ تعالىٰ يزيدُهُ تأييداً وتوفيقاً .

وسمعَ الكتابَ جميعَهُ بقراءته جماعةٌ من الصالحين المقيمين بالرباط الذي أَمَرَ ببنائه بالمَرْزُبانيَّة خليفةُ الله تعالى الإمامُ أبو العبَّاس الناصرُ لدين الله تعالىٰ أميرُ المؤمنين ، شيَّد الله تعالىٰ به قواعدَ الدين ، ونَصَرَ به أحزاب المؤمنين

وكتب : عمر بن محمَّد السُّهْرُوردي ، وصلى الله علىٰ محمَّد وآله)

وقد [قرأه] بعده مشايخ الصوفيَّة [نيِّفاً] وعشرين مرَّة ، وعليها إجازاتٌ

---

(١) وهو من أجلِّ تلاميذ المؤلف . انظر ما تقدم في (١/ ٣٧)

مُتعدِّدة ؛ إمَّا [مكتوبة] في زمان حياة مُصنِّفه رحمه الله ، وإمَّا بعد مُضِيِّ سبيله إلىٰ رحمة ربه الغفور

والكتابُ المُقابَلُ به موقوفٌ على الرباط المبارك المبنيِّ بمحروسة دمشق حماها الله جنبَ الجامع الأمويِّ المُسمَّىٰ بالسُّمَيساطيَّة ، وقابلته مع مولانا الشيخ العالم الفاضل ، الناسك السالك العارف ، مُفِيدِ الطالبين ، علاءِ المِلَّة والدين ، محمود عرب الخراساني ، متَّع الله المسلمين بدوام أنفاسه ، مقابلةً مشفوعة بالاحتياط والتحفُّظ والتحقيقِ ، إلا ما زاغ البصر ، وما وقع عليه النظر ، والمرجوُّ من الله تعالىٰ أن يكون سعيُهُ مشكوراً ، وذنبُهُ مغفوراً

وكتب : أقلُّ المساكين محمَّدُ بن إسحاقَ بن أبي العبَّاس بن إسحاقَ الأبرقو هي مولداً بمدينة دمشق بالمقام المذكور ، وصلَّى الله علىٰ خير خلقه محمَّدٍ وآله وصحبِه وسلَّم من العرب ، من الربع الثاني لسنةِ ثمانٍ وستين وسبعِ مئةٍ .

ونحنُ قابلنا ما كتبنا ونقلنا من هـٰذه النسخة بالحرمين الشريفين ـ دامت حرمتُهُما ـ بهـٰذه النسخة المباركة الموصوفة المشهورة بغاية الاحتياط ، تقبَّل الله من المتقين الواقفين المحتسبين أجرَ الله تعالىٰ إليهم ، وأقبل برحمته الواسعة عليهم. . في رجب الأصب سنة أربع وخمسين وستِّ مئة (   ) علىٰ يد المُصنِّف رحمه الله تعالىٰ .

ثم ذُكِرَ بعدَ ذلك أبياتٌ في مدح كتاب « العوارف » ومؤلِّفِهِ الإمام السُّهْرُوردي ، أصابها بعض الخلل في تركيبها ووزنها ؛ وهي

يـــا أخَ الإنصـــافِ إنْ لـــجَّ   علـــى الخُلْـــفِ المخـــالِـــفْ
صـــانَـــكَ اللهُ أَبِـــنْ لـــي   هـــل رأتْ مُقلـــةُ طـــارِفْ
كشهـــابِ الـــدِّيـــنِ حَبْـــراً   بـــالطـــريـــقِ الحـــقِّ عـــارِفْ
أو بيـــانـــاً ظـــلَّ للحـــقِّ   علـــى البـــاطـــلِ قـــاذفْ
مِـــنْ علـــومِ القـــوم أَشفْـــىٰ   مِـــنْ عـــوارفَ للمعـــارفْ
وصـــفُ شهـــابِ الـــديـــنِ قـــد   حيَّـــرَ [وصـــفَ] كـــلَّ واصـــفْ
ـ أودعَ عَـــــرْفَ ســـــرِّهِ   عـــــوارفَ المعـــــارفِ
ففـــاحَ نَشْـــرُ رَوْحِـــهِ   لـــرَوْحِ كـــلِّ واصـــفِ
ـ [إذا ما] التقينا والعيونُ نواظرٌ   وألسُنُنـا حـربٌ وأعينُنـا سِلْـمُ
وتحتَ مجاري الدمعِ منَّا مودَّةٌ   تطلَّعُ سرّاً حيثُ لا يبلغُ الوهمُ

خاتمة النسخة (د)

فرغ من كتابته: العبد الضعيف الراجي إلىٰ رحمة الله؛ محمَّد بن عبد الله بن محمَّد (. . .)، ثمَّ السورباني، يوم الأربعاء [سابع] صفر سنة ست وخمسين وست مئة بمدينة دمشق [حماها] الله، بالمدرسة العادلية، رحم الله بانيها

خاتمة النسخة (هـ)

[وقع الفراغ] من كتابة [هـٰذا] الكتاب بعون الله وحسن توفيقه، علىٰ يد العبد الفقير الحقير الذليل، المُقِرِّ بذنبه، المحتاجِ إلىٰ رحمة الله وكرمه

وفضله وعفوه ، أبي (. . .) خلف بن أبي زيد بن الحسين الصباغي الكاشغري ، في غرة المُحرَّم ظهير يوم الخميس ، في خانقاه سعيد السعداء ، سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله أجمعين .

خاتمة النسخة (و)

وقع الفراغ من تحريره : العبد الضعيف المذنب الراجي إلىٰ رحمة الله تعالىٰ وغفرانه ؛ محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن عمر بن الحسن (. . .) الدامري ، في يوم الأحد السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك ، سنة أربع وسبعين وست مئة ، عمَّتْ بركته ، ورزقنا قدره ، وأصلِحِ اللهمَّ أحواله ، واجعل مرضاته مآله ، بحقِّ المصطفىٰ وآله .

أموتُ ويبقىٰ كلُّ ما قد كتبتُهُ   فيا ليتَ مَنْ يقرا خُطُوطي دعا ليَا
[لعلَّ إلٰهي يعفو] عنِّي بفضلِهِ   ويغفرُ زلَّاتي وسوءَ فعاليَا

خاتمة النسخة (ز)

تمَّ كتاب « عوارف المعارف » بحمد الله ومَنِّه وحسن توفيقه ، وصلَّى الله علىٰ خير خلقه محمَّد نبيِّهِ وصَفِيِّهِ وآله وسلَّم .

فرغ من تحريره : يومَ الجمعة وقت الضحىٰ في السادس والعشرين من شهر الله المبارك ذي الحجَّة ، سنة ثلاث وسبع مئة .

نَجَزَ حامداً لله ومُصلِّياً ومُستغفِراً ، والحمدُ حقَّ حمده ، والصلاة علىٰ نبيِّه محمَّد وآله أجمعين .

خاتمة النسخة (ح)

وقع الفراغ من تسويد « عوارف المعارف » صنعةِ الإمام العالم الكامل الفاضل البارع المُحقِّق ، قُطْب الإسلام والمسلمين ، شهاب المِلَّة والحقِّ والدِّين ، أبي عبد الله عمر بن محمَّد بن عبد الله السُّهْرُوَرْدي البكري ، رضي الله عنه وأرضاه ، يوم الاثنين وقت الظهر ، في يوم عرفة من شهر رمضان المبارك(١) ، في تاريخ سنة ست وستين وثمان مئة ، علىٰ يد أضعف العباد [وأحقرهم] ، المُقِرِّ بذنبه ، المحتاج إلىٰ رحمة ربِّهِ وكرمه وفضله وعفوه ، يعقوب بن بدر بن مصطفى بن خضر بن ميكائيل الشهير بميكائلي في نواحية عنقري ، غفر الله له ولهم ولأسلافهم ولجميع المؤمنين ، آمين يا ربَّ العالمين ، بحقِّ محمَّد وآله أجمعين ، اللهمَّ ؛ انفعه به في الدنيا والآخرة

فرحم الله عبداً نظرها أو قرأها ، ووقف عليها علىٰ خطاء أو تصحيف أو تحريف غيَّرهُ وردَّهُ إلى الصواب والدعاء بالخير ، ورحم الله عبداً قال : آمينا

أموتُ ويبقىٰ كلُّ ما [قد] كتبتُهُ ... فيا ليتَ مَنْ يقرا كتابي دعا ليَا
لعلَّ إلـٰهي يعفو [عنِّي] خطيئتي ... ويغفرُ [لي] ذنبي وسوءَ فعاليَا

---

(١) كذا في الأصل .

خاتمة النسخة (ي)

[تمَّ هٰذا] الكتاب المُسمَّىٰ بـ « عوارف المعارف » يوم الخميس وقت الضحىٰ في السادس من شهر مُحرَّم الحرام سنة ألف ومئة وخمسة وعشرين ، بيد [العبد] الضعيف النحيف الراجي إلىٰ رحمة الله وشفاعة النبيِّ الحجازي ، أحمد بن عبد النبي عرف [بترك] الغوري ، غفر الله له ولوالديه ولأستاذه وأجداده وأحبَّائه ، وأحسن الله له ولهم ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، آمين ربَّ العالمين .

* * *

سماع النسخة (ب)

قرأت جميع هٰذا الكتاب على الشيخ الإمام العالم الحافظ بقيّة السلف علاء الدين أبي الحسن علي بن أحمد (. . .) القونوي ، وهو قرأه على الشيخ نجم الدين عمرو الروزبهاني البقلي ، وهو قرأه على المُصنِّف رحمه الله .

فسمعه عليه جماعةٌ ؛ منهم : الشيخ الإمام العالم العامل الكامل ، بقيَّة السلف ، أنموذج الخلف ، شرف الدين محمود بن علاء الدين علي بن فخر الدين إبراهيم القيصري شيخ السَّادة الصوفية بخانقاه خابور ظاهر دمشق المحروسة ، وولداه عبد الملك وعبد الله ، وابن عمِّهما محمَّد بن علاء الدين علي بن محمَّد بن علي بن إبراهيم القيصري ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمَّد بن أحمد التبريزي ، وعلاء الدين علي بن محمَّد بن أبي بكر (. . .) ، والشيخ علاء الدين علي بن منصور بن علي الخواجي ، والشيخ شمس الدين محمَّد بن أبي بكر بن أحمد الشِّيرازي ، والشيخ الإمام العالم العلامة جامع الفضائل محيي الدين أبي زكريَّا يحيى بن محمَّد بن سليمان الشيبي ، والشيخ الإمام العلامة الفاضل زين الدين عمر بن عبد الرحمٰن بن محمَّد المارداني ، والشيخ شرف الدين الذهبي ، والشيخ جلال الدين محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الخوارزمي ، كلُّهُم سمعوا جميع الكتاب ، إلا الشيخ شرف الدين الذهبي ؛ فإنَّهُ سمع أكثره وفاته منه مواضع

وكانت قراءته في مجالس ، آخرها يوم الأحد سابع غرة محرم ، سنة أربع وستين وسبع مئة ، وأجاز الشيخ المذكور أيّده الله تعالىٰ لهم روايتَهُ بشرائطه المعتبرة عند أئمة النظر

وكتبه : محمَّد بن منصور بن محمَّد ( ) ، صحَّحه وكمَّل كتبه العبد الفقير علي بن أحمد بن (. . .) القونوي ، عفا الله تعالىٰ عنه

سماعات النسخة (هـ)

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين ، ورضي الله عن التابعين ، وقدَّس أرواحَ المشايخ إلىٰ يوم الدين

وبعد :

ـ **فقد سمعَ بقراءته جميعَ هـٰذا الكتاب** ـ وهو « عوارف المعارف » تصنيفُ الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبي عبد الله عمر بن محمَّد بن عبد الله السُّهرَوردِيِّ ، قدَّسَ الله سرَّهُ ـ : على الشيخ الإمام الأوحد القدوة العارف شرف الدين أبي عبد الله محمَّد بن الحجَّاج بن محمَّد الكاشغريِّ الختني رحمه الله قال قال : **أخبرنا** شيخ الشيوخ علاء الدين أبو المعالي علي بن إسماعيل القونويُّ الشافعيُّ بقراءتي عليه وهو يسمع ، **أخبرنا** الشيخ الجليل الأصيل بدرُ الدين المعروفُ بابن الخلال الدمشقيِّ سماعاً عليه ، قال : **أنبأنا** المُصنِّفُ قدَّسَ الله سرَّهُ

(ح) وبإجازته من الشيخ الإمام الحُجَّة صدر الدين أبي المجامع إبراهيم ، ابن قطب الواصلين سعد الدين محمَّد بن المُؤيَّد الحمُّوِيي

الجوينيّ ، قال أخبرنا بقراءتي سماعاً ـ وهو من أول الكتاب إلى الباب الحادي والثلاثين ، ومن الباب الستين إلىٰ آخر الكتاب ـ وبقراءة الشيخ عماد الدين محمَّد بن أحمد بن الخطيب الجاجرمي ـ من الباب الحادي والثلاثين إلى الباب الستين ـ . الشيخُ النسيب شهاب الدين مسعود بن عبد الرحمـٰن المستوفي الإسفرايينيُّ ، أخبرنا سماعاً بجميعه المُصنِّفُ حُجَّةُ الإسلام شهاب الدين السُّهْرُورديُّ ، في شوَّال سنة ست عشرة وست مئة

وصحَّ لي وثَبَتَ في مجالس بالقدس الشريف بزاوية الأقصىٰ ، آخر ذلك شهر جمادى الأولىٰ من سنة أربعين وسبع مئة ، وأجاز بسؤالي جميعَ ما يجوز له وعنه روايته بشرطه .

وكتب : أحمد بن محمَّد بن محمَّد البخاريُّ النجاريُّ ، حامداً لله ومُصلِّياً ومسلِّماً ، وصلَّى الله علىٰ محمَّد وآله وصحبه وسلم .

ـ وسمعتُ جميعه أيضاً : على الشيخ الإمام الحافظ شيخ المُحدِّثين وعُمْدتِهم ، شمس الدين أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد بن الحسن بن أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمَّد بن الخطيب أبي يحيىٰ عبد الرحيم بن محمَّد بن إسماعيل بن نُباتة الفارقي ثمَّ المصري الشافعي ، بقراءة الشيخ الإمام العلامة سديد الدين أبي الحسن علي بن محمَّد بن أبي الحسن خطيب بلدة سَلَماس ، قال : أخبرنا الشيخ الإمام القدوة قطب الدين أبو بكر محمَّد بن الشيخ القدوة أبي العباس أحمد بن علي بن محمَّد بن الحسن بن عبد الله بن القسطلاني التَّوْزَري الشافعي ، في شهور سنة إحدىٰ وثمانين وست مئة ، بالجامع العتيق بمصر المحروسة ،

قال : أخبرنا الشيخ الإمام مرشد الخلق إلى الحقِّ شهاب الدين أبو عبد الله عمر بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن عَمُّويه ـ واسمه : عبد الله ـ بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمَّد بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن القاسم بن محمَّد بن أبي بكر الصِّدِّيق رضيَ اللهُ عنهُ قراءةً عليه وأنا أسمع بمكَّة تجاه الكعبة المُكرَّمة[1] ، زادها الله شرفاً وكرامة ، في ذي الحجَّة من سنة ست وعشرين وست مئة

وصحَّ وثَبَتَ في مجالسَ في العشر الأخير من رمضان سنة أربعين وسبع مئة بالخانقاه العزيزة المعروفة بالسُّمَيساطية حول الجامع الأموي بدمشق ، وأجاز وسمع آخرون ذُكِرَ أسماؤهم علىٰ نسخة السُّمَيساطية ، وبها كانت القراءة .

وكتب : أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد البخاري حامداً لله ، والحمد لله وحده ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم تسليماً

ـ وقرأتُ جميع هـٰذا الكتاب ـ وهو « عوارف المعارف » ـ : علىٰ شيخي الإمام العارف بالله والمرشد إليه ، شيخ الوقت نادرة الوجود ، علاء الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين يوسف بن إسحاق الحرَّاني المَلَطي المعروف بالمصري ، قدَّس الله سرَّهُ العزيز ونوَّر ضريحه ؛ وذلك حين رحلتي لقصده إلىٰ مَلَطْية بالروم ، فأمرني أن أقرأه عليه بحضور جماعة جمَّة من أصحابه ، وذلك ما بين الظهر والعصر ، وأخبرني أنَّهُ قرأ بعضه وأجازه ببعضه الشيخُ الإمام مرشد الخلق إلى الحق ولي الدين علاء الدولة أحمد بن

---

(١) جاءت الكلمة مطموسة ، ويحتمل أن تكون : (المعظمة) أو (المشرفة) أو نحوهما .

محمَّد بن أحمد السِّمْناني الخراساني رحمة الله عليه ، قال : أخبرنا بجميعه رشيد الدين محمَّد ابن أبي القاسم المقرئ البغدادي إجازةً ، قال : أخبرنا الشيخ الإمام العارف بالله شهاب الدين أبو عمرو[1] عمر السُّهْرُوردي المصنف سماعاً عليه

وصحَّ وثَبَتَ في مجالسَ تجمعها مباحثُ وأحوال ، وذلك في شهور سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، وأجاز الشيخ لي ولمن سمع جميعَ ما يجوز له وعنه روايتُهُ بشرطه .

وكتب : أحمد بن أبي محمَّد بن محمَّد بن محمَّد رحمه الله ، حامداً لله ، والحمد لله وحده ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه .

ـ وسمعتُ جميع كتاب « العوارف » أيضاً : على الشيخ الإمام المُعمَّر الخطيب صدر الدين أبي الفتح محمَّد بن الحافظ شرف الدين [أبي] عبد الله محمَّد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عنان بن موسى بن إسماعيل بن عيسى بن عبد الله بن مكي سبط القاضي الخشَّاب المَيْدومي البكري الشافعي رحمه الله تعالىٰ . . بقراءاتٍ مختلفة ، قيل له : أخبرك الشيخ الإمام قطب الدين أبو بكر محمَّد بن أحمد بن القسطلاني التَّوْزَري الشافعي قراءةً عليه وأنت تسمعُ ، قال : أخبرنا الشيخ شهاب الدين المُصنِّف سماعاً عليه في ذي الحجَّة من سنة ست وعشرين وسبع مئة بمكَّة شرَّفها الله تعالىٰ .

وسمع من هٰذه القراءات ولدي محمَّد ـ عُرف بصدقة ـ من أوَّل

(١) كذا في النسخة ، والمشهور : أنَّهُ يكنىٰ بـ (أبي حفص) ، وقيل : (أبو عبد الله) ، وانظر ما سبق في ترجمته (١/ ١٨) .

الكتاب إلىٰ آخر الباب الثاني عشر في شرح حرمة المشايخ ، ومن أوَّل الحادي والعشرين في شرح حال المُتجرِّد والمُتأهِّل من الصوفيّة وصحَّة مقاصدهم إلىٰ آخر الباب الرابع والعشرين في السماع ترفُّعاً واستغناءً ، ومن قوله : (ومِنْ أخلاق الصوفيّة القناعة) من الباب الثلاثين في تفاصيل أخلاق الصوفيّة إلىٰ آخر الباب الخامس والأربعين في ذكر فضل قيام الليل

وصحَّ وثَبَتَ في شهور سنة اثنين وخمسين وسبع مئة بالقدس الشريف

وأجاز وكتب : أحمد بن محمَّد بن محمَّد رحمه الله .

ـ وسمعتُ أيضاً وولدي محمد ـ عُرِفَ بصدقة ـ وأبو بكر حضوراً في الثالثة من عمره : على الشيخ الرُّحْلة المسند المُعمَّر صدر الدين أبي الفتح بن الحافظ أبي عبد الله بن إبراهيم بن أبي القاسم الشافعي من كتاب « العوارف » الباب الحادي عشر والثاني عشر والثلاثة التي بعدهما ، والحادي والستون إلىٰ آخر الكتاب ، بقراءة المُحدِّث الحسيب الحافظ شمس الدين الحسيني

وصحَّ وثبت في مجلسين ، آخرُهُما يوم الجمعة خامس عشر رمضان المُعظَّم من سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة بسكن ابن حديدة من حارة المغاربة بالقدس الشريف .

وكتب أحمد بن أبي محمَّد بن أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد رحمه الله ، حامداً لله ، والحمد لله وحده ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم .

* * *

إجازات النسخة (أ) بالخرقة الشريفة

أجزتُ ولد العالم الفاضل الكامل مولود بن محمود أعزَّهُ الله بطاعته ، للشيخ العالم الواصل الفاضل الكامل صفي الدين محمَّد بن الشيخ السعيد الشهيد عبد المجيد . . أن يروي عنِّي جميع ما يجوز لي روايتُهُ على شروط أئمَّة النقل ، وتلفَّظت له بالإجازة وبإلباس خرقة المشايخ

وإنِّي لبستها وأجزته من فريد عصره وخير الأُولى الواصلين ، سلطان أعاظم المشايخ المُحقِّقين ، عزِّ الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج الفاروثي ، وهو أخذها عن فريد عصره أفضل العلماء المتبحرين ، قامع بدعة المبتدعين ، سلطان المشايخ المُحقِّقين ، شهاب الدين عمر بن محمَّد بن عبد الله السُّهْرَوردي ، وهو أخذها عن عمِّهِ سلطان مشايخ عصره ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله السُّهْرُوردي ، عن عمِّه القاضي الفاضل الكامل المُتديِّن وجيه الدين عمر بن محمَّد السُّهْرُوردي ، عن أخي فرج الزَّنْجاني ، عن أبي العباس بن خفيف ، عن رُوَيم بن محمَّد ، عن أبي القاسم الجنيد ، عن السري ، عن المعروف الكرخي ، عن داود الطائي ، عن حبيب العجمي ، عن الحسن البصري ، عن أمير المؤمنين ، وقطب الواصلين ، والمجتهدين المُحقِّقين ؛ علي بن

أبي طالب ، عن خاتَم النبيِّين ، ورسول رب العالمين ، محمَّد المصطفىٰ وعلى الغُرِّ الطاهرين أجمعين .

كتبه : أعجز وأفقر خلق الله تعالىٰ عبد الصمد بن عبد السلام بن عبد المجيد بن عمر رحمه الله ، حامداً مُصلِّياً مُسلِّماً .

❁ ❁ ❁

إجازات النسخة (هـ) بالخرقة الشريفة

ـ وقرأتُ على الشيخ الإمام العالم بقيَّة السلف قطب الدين أبي بكر محمَّد بن الإمام العالم جمال الدين محمَّد بن الإمام جلال الدين أبي العزِّ مكرم الأنصاري الخزرجي رحمه الله تعالىٰ . . حديثَ أم خالد الذي في الباب الثاني عشر في شرح حُرْمة المشايخ من هٰذا الكتاب ، قلت : كذا خبرك الشيخ الإمام المُحدِّث رضي الدين أبو أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الطبري الشافعي قراءةً عليه وأنت تسمع ، قال : أخبرنا الإمام ضياء الدين محمَّد بن عمر بن محمَّد القسطلاني قراءةً عليه وأنا أسمع .

(ح) قال الشيخ قطب الدين : وأخبرنا إجازةً الشيخ قطب الدين أبو بكر محمَّد بن أحمد بن القسطلاني [التَّوْزَري الشافعي][1] ، قال : أخبرنا الإمام الحُجَّة شهاب الدين أبو حفص عمر ابن عبد الله بن محمَّد السُّهْرُوردي قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو زرعة ، عن أبيه الحافظ أبي الفضل المقدسي ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الأديب بنيسابور ، أخبرنا الحاكم أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الحافظ ، أخبرنا [أحمد] بن إسحاق ، أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله البصري ، أخبرنا أبو الوليد ، حدَّثنا إسحاق بن سعيد ، أخبرنا أبي ، حدَّثتني أم خالد بنت خالد قالت : أُتي النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال : « مَنْ تَرَونَ أكسو هٰذهِ ؟ » ، فسكت القوم ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه

(١) ما بين المعقوفين لحق غير واضح في هامش (هـ) .

وسلَّمَ : « ائتوني بأمِّ خالدٍ » ، قالت : فأتي بي فألبسنيها بيده ، قال : « أَبْلي وأَخْلِقِي » يقولها مرتين ، وجعل ينظر إلىٰ عَلَمٍ في الخميصة أصفرَ وأحمرَ ويقول : « يا أمَّ خالدٍ ؛ هـٰذا سَنَا » ، قال الشيخ شهاب الدِّين : والسَّنا بلسان الحبشة الحَسَن[1] ، وسمع هـٰذا الحديثَ بقراءتي ولدي محمد عُرِفَ بصدقة .

ـ ثمَّ إنَّ الشيخ قطب الدين ابن المكرم رحمه الله تعالىٰ أَلْبسَ ولدي بعد سماع هـٰذا الحديث الخرقةَ المنسوبة إلى المشايخ رحمة الله عليهم ، وهي له علىٰ سبيل التبرك (   ) ، وقال عندما ألبسه إيَّاها : يا بُنيَّ ؛ ألبسَني هـٰذه الخرقةَ شيخي عماد السلف وعمدة الخلف عزُّ الدين بن عبد العزيز المنوفي رحمه الله تعالىٰ ، وهو لبسها من شيخه أبي الفتح الواسطي ، وهو لبسها من شيخه الإمام محيي الدين أحمد بن أبي الحسن علي بن محمَّد بن علي بن ثابت الرفاعي ، وهو لبسها من علي بن القارئ الواسطي ، وهو لبسها من [أبي] الفضل بن كامخ[2] ، وهو لبسها من غلام بن تُرْكان ، وهو لبسها من الشيخ [أبي علي الرُّوذْباري][3] ، وهو لبسها من علي العجمي ، وهو من الشِّبْلي ، وهو من الجنيد ، وهو صحب بها سَرِيّاً السَّقَطي ، وهو صحب بها أبا محفوظ الكرخي ، وهو صحب بها داود الطائي ، وهو صحب بها حبيباً العجمي ، وهو صحب بها الحسن البصري ، وهو صحب بها أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ، وهو صحب النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم .

---

(١) سبق هـٰذا الحديث مسنداً من طريق المؤلف في (١/ ٣٣٣ـ ٣٣٥) .

(٢) جاء في النسخة قبل علي العجمي الآتي ، والمثبت من « طبقات الأولياء » (ص٩٤) وغيره .

(٣) رسمها في النسخة : (علي بن البارباري) .

وصحَّ هٰذا الإلباسُ بهٰذا السند في العشر الأخير من شهر رجب الفرد من سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة

وكتب : أحمد بن أبي محمَّد بن محمَّد رحمه الله النجَّاري ، حامداً لله ومُصلِّياً ومُسلِّماً ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم .

ـ وألبس ولديَّ محمَّد صدقة وأبا بكر خرقةَ التصوف ـ وهي لمحمَّد الخرقة الأصليّة ـ . الشيخُ الإمام الرُّحلة المسند صدر الدين محمَّد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي القاسم المَيْدومي الخطيب ؛ وذلك يوم الجمعة سادس وعشرين شهر المُحرَّم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأخبرهما أنَّهُ لبسها من الشيخ تاج الدين أبي الهدىٰ أحمد بن محمَّد بن أبي الحسن العبَّاسي ، وهو لبسها من سفير الخلافة الباذَرَائي(١) ، وهو لبسها من شيخ الشيوخ شهاب الدين أبي حفص عمر ابن عبد الله السُّهْرَوردي .

وأخبرهما أنَّهُ صحب بها قطب الدين أبا بكر محمَّد بن أحمد بن القسطلاني ، قال : ألبسني شيخي مرشد الوقت شهاب الدين عمر ابن عبد الله السُّهرُوردي طاقيةً بعثها لي من بغداد ، وأجاز لي لبسها ، ثمَّ إنِّي لبستها من يده المباركة بالحرم الشريف تجاه الكعبة المُعظَّمة سنة ست

(١) كذا في النسخة وكثير من المصادر والمراجع ، والمشهورُ : أنَّهُ بالدال المهملة نسبة إلىٰ (بادَرَايا) قرية من أعمال واسط ، وسفير الخلافة البادرائي : هو الإمام الفقيه نجم الدين أبو محمَّد عبد الله بن أبي الوفاء محمَّد البغدادي البادرائي الشافعي ، وممَّا قاله فيه السراج الوراق بعد إصلاحه بين صاحب الشام الملك الناصر وصاحب مصر :

بكَ التأمَ الإسلامُ بعدَ شتاتِهِ ... وجرَّد نحوَ الكفرِ حدَّ شَبَاتِهِ
هُدِينا بنجمِ الدِّينِ والأمرُ مشكلٌ ... فكانتْ نجومُ الليلِ في كلماتِهِ

انظر « نجم المهتدي » (٢/ ٤٧ـ٤٨) .

وعشرين وست مئة ، قال : ألبسني عمِّي شيخ الإسلام إمام الحرمين ضياء الدين عبد القاهر بن عبد الله السَّهْرُوردي ، وهو لبسها من عم أبيه القاضي وجيه الدين المُلقَّب بـ (عمُّويه) السُّهْرُوردي ، وهو لبسها من أخي فرج الزَّنْجاني ، وهو لبسها من أبي العبَّاس النَّهاوَنْدي ، وهو لبسها من مِمْشاذ الدِّينَوَري ، وهو لبسها من أبي عبد الله محمد بن خَفيف الشِّيرازي ، وهو لبسها من رُوَيم بن محمَّد ، وهو لبسها من أبي القاسم الجنيد بن محمَّد بن الجنيد البغدادي ، وهو صحب خاله أبا الحسن سري بن المُغلِّس السَّقَطي ، وهو صحب أبا محفوظ معروفاً الكرخي ، وهو صحب داود الطائي ، وهو صحب حبيباً العجمي ، وهو صحب أبا سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري ، وهو صحب أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ، وهو صحب سيِّدنا محمَّداً صلَّى الله عليه وسلَّم وكرَّم .

وللشيخ ضياء الدين نسبة أخرىٰ ؛ وهو أنَّهُ صحب بها أحمد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي ، وهو صحب بها أبا بكر النسَّاج ، وهو صحب بها عمرو بن محمَّد بن يوسف الزُّجَاجي ، وهو صحب بها الشِّبْلي ، وهو صحب بها الجنيد .

وللشيخ شهاب الدين نسبة أخرىٰ ؛ وهي أنَّهُ صحب بها أبا محمَّد عبد القادر بن أبي صالح الجِيلي ، وهو من أبي سعيد بن المبارك المخزومي ، وهو من أبي الحسن علي بن محمَّد القرشي الهَكَّاري ، وهو من أبي الفرج الطُّرْطُوشي ، وهو من أبي الفضل عبد الواحد التميمي ، وهو من الشِّبْلي ، وهو من الجنيد .

وأصل خرقة ولدي أبي بكر : فإنَّهُ لبسها من الشيخ العارف شرف الدين أبي عبد الله محمَّد بن الحجَّاج بن محمَّد الكاشغري الجانداري ، وهو لبسها من أبي المجامع صدر الدين إبراهيم بن محمَّد بن المُؤيَّد الحَمُّويي الجُويني ، وهو لبسها من والده شيخ الإسلام قدوة الأنام سعد الدين سلام الله عليه ، وهو لبسها من يد ابن عمٍّ أبيه شيخ الشيوخ صدر الدين أبي الحسن في المسجد الأقصىٰ ، وهو لبسها من يد أبيه شيخ الشيوخ أبي الفتح عمر ، وهو لبسها من يد جدِّهِ جمال السُّنَّة معين الدين أبي عبد الله محمَّد بن حمُّويه ، وله نسبتان ؛ نسبة الصحبة ونسبة الخرقة ؛ أمَّا نسبة الصحبة : فمع الخضر عليه السلام ، وأمَّا نسبة الخرقة : فإنَّهُ لبسها من يد شيخ الإسلام أبي علي الفضل بن محمد الفارْمَذي ، وهو لبسها من يد أبي القاسم عبد الله بن علي الكُركاني الطُّوسي ، وهو لبسها من يد أبي القاسم منصور بن خلف المغربي ، وهو لبسها من يد أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي ، ونقل أن الشيخ أبا القاسم الكُركاني صحب أبا عثمان ولبس الخرقة منه ، وهو لبسها من يد أبي عمرو محمَّد بن إبراهيم الزُّجَاجي النيسابوري ، وهو لبسها من يد سيِّد الطائفة الجنيد .

فهٰذه النسبة ألبسه إيَّاها ، بارك اللهُ له فيها ، ورزقه الاجتناب عمَّا يُنافيها ؛ وذلك في شهور سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، بزاوية الشيخ تقي الدين بالقدس الشريف ، والحمد لله وحده ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه الطيِّبين الطاهرين ، وسلَّم تسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدين .

* * *

الفهارس العامّة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
	سورة فصلت	
﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾	٥	٢/ ٤٠٨
﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾	١١	١/ ١٧٤، ٣١٤
﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	٣٤ـ٣٥	١/ ٣٦٨ـ٢/ ٨٢
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا ﴾	٥٣	١/ ٣٨٣
	سورة الشورى	
﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾	١٣	١/ ١٧١
﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ ﴾	١٣	١/ ١٣٨ـ٢/ ٥١٨
﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾	١٣	١/ ٢٤٠ـ٢/ ٥١٨
﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ ﴾	٣٨	٢/ ٣٩٧
﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾	٥١	١/ ٣٣٨
	سورة الزخرف	
﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾	٣٦	١/ ١٨٣ـ٢/ ٤٣٦
﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ ﴾	٦٧	٢/ ٣٨٥
	سورة الدخان	
﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ ﴾	٢٩	١/ ٣٤٨
	سورة الأحقاف	
﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾	١٥	٢/ ٣٢٧
	سورة محمد	
﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓا أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾	٣٣	٢/ ٢١١
﴿ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ﴾	٣٦ـ٣٧	٢/ ٣٦٦
	سورة الفتح	
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾	١٠	١/ ٣٣٦
﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾	٢٩	١/ ٣٨٧

❁ ❁ ❁

فهرس أطراف الأحاديث(١)

(١) رمزنا بـ (م) إلى الحديث المسند.

❁ ❁ ❁

فهرس الآثار والأقوال (١)

(١) رمزنا بـ (م) إلى الأثر أو القول المسند .

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
ـ إذا نظرت إلى نفسك فرقت	أبو بكر الواسطي	٢/ ٥٥٥
ـ إذا وجد الفقير نفسه مطالبة بشيء	-	١/ ٤٣٢
ـ إذا ورد على الأرواح ميت من الأحياء	الحكيم الترمذي	٢/ ٤١٣
ـ إذا وقعت الغيبة ارتفعت الأخوة	الفضيل بن عياض	٢/ ٣٨٧
ـ إذا وقف العبد في الصلاة يقول الله	أبو سليمان الداراني	٢/ ١٩٢
ـ آذان وعت عن الله أسراره (في تفسير: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾)	أبو بكر الواسطي	١/ ١٦٧
ـ الإرادة سمو القلب لطلب المراد	أبو عبد الله بن خفيف	١/ ٢٤١
ـ ارتفاع الأصوات في بيوت العبادات	بطليموس	١/ ٣٥٢
ـ ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة (لمن سأله عن الأنس)	الجنيد	٢/ ٥٣٠
ـ ارجعوا إلى ما كنتم فيه (قاله في قوم فيهم قوال فلما رأوه أمسكوا)	ممشاذ الدينوري	١/ ٥٢١
ـ أرضاهم بالمقدور (فيمن سأله: من أقهر الناس لنفسه؟)	الحارث المحاسبي	٢/ ٩٠
ـ أرواح المؤمنين تذهب في برزخ	المسيب بن سليمان	٢/ ٤١٣
ـ الأرواح تجول في البرزخ	الحكيم الترمذي	٢/ ٤١٣
ـ أريد إقبال الخلق علي	-	١/ ٣٨٣
ـ استجيبوا لله بسرائركم (في تفسير: ﴿... إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾)	-	١/ ١٨٩
ـ استحيوا من الله وإني لأدخل الكنيف	أبو بكر الصديق	٢/ ١٣٣
ـ أستغفر الله من قلة صدقي	رابعة العدوية	٢/ ٤٧٩
ـ أسرجت وألجمت وطفت	-	٢/ ٣٣
ـ أسلم المقالات أن يقال	-	٢/ ٣١٦
ـ أسوأ المعاصي حديث النفس	سهل التستري	٢/ ٣٢٢، ٤٣٦
ـ أصبح كل يوم وأحب ما إلي الصوم	أبو السعود بن شبل	٢/ ٢١١

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
ـ بيننا وبينهم أن يقعد واحد منهم (لمن سأله عمن يصرع أثناء قراءة القرآن)	ابن سيرين	١/ ٥١٦
ـ التبرع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة (م)	أبو محمد الجريري	٢/ ١١٦
ـ التجلي رفع حجبة البشرية	-	٢/ ٥٥٨
ـ تخضع للحق وتنقاد له (فيمن سأله عن التواضع)	الفضيل بن عياض	٢/ ٢٨
ـ ترك الأدب موجب للطرد	أبو علي الدقاق	٢/ ١١٢
ـ تسألني عن توبة الإنابة أو توبة الاستجابة؟ (لمن سأله عن التوبة)	الحسن المغازلي	٢/ ٤٧٩
ـ تصفية القلب عن موافقة البرية (لمن سأله عن التصوف)	الجنيد، أبو عبد الله بن خفيف	١/ ٢٥٤
ـ التصوف استرسال النفس مع الله	رويم	١/ ٢٥٣
ـ التصوف الأخذ بالحقائق	معروف الكرخي	١/ ٢٤٦
ـ التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة	الجنيد	١/ ٢٤٦
ـ التصوف أن يكون العبد في كل وقت	عمرو بن عثمان المكي	١/ ٢٥٣
ـ التصوف أن يميتك الحق عنك	الجنيد	١/ ٢٥١
ـ التصوف أوله علم	الجنيد	١/ ٢٥٣
ـ التصوف ترك التصرف	الجنيد	١/ ٢٥٤
ـ التصوف ترك التكلف	ابن السماك	٢/ ٧١
ـ التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق (م)	أبو بكر الكتاني	٢/ ٢٠
ـ التصوف ذكر مع اجتماع	-	١/ ٢٥٣
ـ التصوف كله آداب لكل وقت أدب	أبو حفص الحداد	١/ ٢٤٨، ٣٤١
ـ التصوف كله اضطراب	-	١/ ٢٥٦
ـ التصوف كله جد	أبو علي الروذباري	١/ ٥١٨
ـ التصوف مبني على ثلاث خصال	رويم	١/ ٢٤٦ ـ ٢/ ٥١
ـ التصوف: ترك كل حظ للنفس	أبو الحسين النوري	١/ ٣٨٢
ـ تعلم حسن الاستماع	ابن المقفع، الحسن البصري	١/ ١٩٥

❁ ❁ ❁

فهرس القصص والمنامات والوصايا

❁ ❁ ❁

فهرس الأشعار

❁ ❁ ❁

فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق

- الإبانة الكبرى، للإمام المحدث أبي عبد الله عبيد الله بن محمد ابن بطة العكبري البغدادي (ت٣٨٧هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، دار الراية، الرياض، السعودية.

- الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنىً، للإمام الأديب البلاغي الكاتب أبي سعد محمد بن أحمد العميدي (ت٤٣٣هـ)، شرح وتحقيق إبراهيم الدسوقي، طبع سنة (١٩٦١هـ) لدى دار المعارف، القاهرة، مصر.

- الإبانة عن طرق القاصدين، للإمام الأصولي المتكلم المفسر النظار أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (ت٤٠٦هـ)، تحقيق محمد علاء الدين زينو، ط١، (٢٠١٨م)، دار ضياء الشام، دمشق، سورية.

- الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، للإمام الفقيه أبي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي (ت١١٥٦هـ)، طبع سنة (١٣١٦هـ) لدى المطبعة الميمنية، القاهرة، مصر.

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للإمام الشريف الحافظ المحدث المسند اللغوي أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للإمام القارئ شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد البناء الدمياطي (ت١١١٧هـ)، تحقيق أنس مهرة، ط٣، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الإتقان في علوم القرآن، للإمام المفسر الحافظ الفقيه النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع سنة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) لدى الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

- الآحاد والمثاني، للإمام المحدث الرحلة أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت٢٨٧هـ)، تحقيق باسم الجوابرة، ط١، (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، دار الراية، الرياض، السعودية.

- إحكام الدلالة على تحرير الرسالة، للإمام قاضي القضاة شيخ الإسلام زين الدين أبي يحيى زكريا ابن محمد الأنصاري (ت٩٢٦هـ)، تصحيح إبراهيم عبد الغفار الدسوقي، وهو مطبوع بهامش «نتائج الأفكار القدسية» للعروسي، ط١، (١٢٩٠هـ، ١٨٧٠م)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر.

- إحياء علوم الدين، للإمام المجدد حجة الإسلام الفقيه الأصولي المتكلم أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز وسيرته، للإمام الفقيه المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري البغدادي (ت٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله عيلان، ط٢، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- الاختيار لتعليل المختار، للإمام الفقيه المحدث المحرر مجد الدين أبي الفضل عبد الله بن محمود ابن مودود الموصلي (ت٦٨٣هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأحمد برهوم وعبد اللطيف حرز الله، ط١، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، دار الرسالة العالمية، دمشق، سورية.

- أخلاق النبي وآدابه، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق صالح الونيان، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار المسلم، الرياض، السعودية.

- الإخوان، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- آداب الصحبة، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق مجدي السيد، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار الصحابة، طنطا، مصر.

- أدب الإملاء والاستملاء، للإمام الحافظ النسابة المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت٥٦٢هـ)، تحقيق ماكس فايسفايلر، ط١، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- أدب الدين والدنيا، للإمام الفقيه القاضي المفسر الأديب أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- الأدب الصغير والأدب الكبير، للإمام الأديب الكاتب عبد الله بن المقفع (ت١٤٢هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- الأدب المفرد، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

- أدب النفس، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بالحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ)، تحقيق أحمد السايح، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.

- الأربعين في التصوف، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي (ت٤١٢هـ)، ط٢، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للإمام المقرئ الحافظ المتفنن شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، ط٧، (١٩٠٥هـ - ١٣٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، مصر.

- الأسامي والكنى، للإمام الحافظ القاضي أبي أحمد محمد بن محمد النيسابوري المعروف بالحاكم الكبير (ت٣٧٨هـ)، تحقيق يوسف الدخيل، ط١، (١٩٩٤م)، دار الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية.

- أسباب نزول القرآن، للإمام المفسر النحوي اللغوي الفقيه المتفنن أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، تحقيق كمال زغلول، ط١، (١٤١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، طبع سنة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) لدى دار الفكر، بيروت، لبنان.

- الأسماء والصفات، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.

ـ الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ اصطناع المعروف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، للعلامة الفقيه أبي بكر عثمان بن محمد شطا المشهور بالبكري الدمياطي (ت١٣١٠هـ)، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

ـ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط٢، (١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

ـ الأعلام، للأستاذ البحاثة خير الدين بن محمود الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، ط١٥، (٢٠٠٢م)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

ـ إكمال الإكمال، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة (ت٦٢٩هـ)، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

ـ الأم، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المطلبي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، دار الوفاء، المنصورة، مصر.

ـ الأمالي، للإمام الزاهد الواعظ أبي الحسين محمد بن أحمد البغدادي المعروف بابن سمعون الواعظ (ت٣٨٧هـ)، تحقيق عامر صبري، ط١، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

ـ الأمالي، للإمام الزاهد الواعظ أبي القاسم عبد الملك بن محمد ابن بشران البغدادي (ت٤٣٠هـ)، تحقيق أحمد بن سليمان، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية.

- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، للإمام المؤرخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي العبيدي المقريزي (ت٨٤٥)، تحقيق محمد النميسي، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الإمتاع والمؤانسة، للإمام الأديب اللغوي الفيلسوف أبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠ هـ)، ط١، (١٤٢٤هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- أمثال الحديث، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بـأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، ط٢، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، الدار السلفية، بومباي، الهند.

- الأموال، للإمام الحافظ أبي أحمد حميد بن مخلد ابن زنجويه الخراساني (ت٢٥١هـ)، تحقيق شاكر فياض، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، من منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية.

- الأموال، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق سيد رجب، ط١، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، دار الهدي النبوي، مصر. دار الفضيلة، السعودية.

- الأنساب، للإمام الحافظ النسابة المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت٥٦٢هـ)، تحقيق عبد الرحمن المعلمي وآخرين، ط١، (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- الأولياء، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد السعيد زغلول، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- البداية والنهاية، للإمام الحافظ المؤرخ المفسر عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق يوسف البقاعي، طبع سنة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) لدى دار الفكر، بيروت، لبنان.

- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، للإمام الفقيه الحافظ المتبحر المتفنن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن الملقن المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، دار الهجرة، الرياض، السعودية.

- البديع في نقد الشعر، للإمام المؤرخ البلاغي الأديب مؤيد الدولة أبي المظفر أسامة ابن منقذ الكناني (ت٥٨٤)، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، ط١، (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.

- البرصان والعرجان والعميان والحولان، لإمام اللغة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري (ت٢٥٥هـ)، ط١، (١٤١٠هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- البرهان في أصول الفقه، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق عبد العظيم الديب، ط١، (١٣٩٩هـ)، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، قطر.

- البرهان في علوم القرآن، للإمام الفقيه الأصولي المحدث النقاد المتفنن بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- بستان العارفين، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق محمد الحجار، ط٦، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

- البصائر والذخائر، للإمام الأديب اللغوي الفيلسوف أبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق وداد القاضي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسين أحمد صالح الباكري، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، نشر مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، السعودية.

- بغية الطلب في تاريخ حلب، للإمام المحدث المؤرخ كمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم العقيلي (ت٦٦٠هـ)، تحقيق سهيل زكار، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للإمام المفسر الحافظ النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط٢، (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- بيان تذلل الفقراء، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق نصر الله ورجوادى ومحمد سورى، طبع سنة (١٣٨٨هـ)، وهو صادر ضمن «مجموعة آثار أبي عبد الرحمن السلمي»، من منشورات مؤسسة وهشي حكمت وفلسفة، طهران، إيران، ومؤسسة مطالعات إسلامي دانش اه آزاد، برلين، ألمانيا.

- البيان في مذهب الإمام الشافعي، للإمام الفقيه الأصولي أبي الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني (ت٥٥٨هـ)، تحقيق قاسم النوري، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام الشريف الحافظ المحدث المسند اللغوي أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق عبد الستار فراج وآخرين، ط١، (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م)، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.

- تاريخ ابن الوردي، للإمام الفقيه القاضي المؤرخ الشاعر الأديب زين الدين أبي حفص عمر بن مظفر ابن الوردي المعري الكندي (ت٧٤٩هـ)، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تاريخ إربل، المسمى: «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل»، للإمام المؤرخ الأديب المبارك بن أحمد بن المبارك ابن المستوفي اللخمي (ت٦٣٧هـ)، تحقيق سامي الصقار، طبع سنة (١٩٨٠م) لدى دار الرشيد، بغداد، العراق.

- تاريخ أصبهان، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط٢، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- تاريخ الخلفاء، للإمام المفسر الحافظ الفقيه النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط٢، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- التاريخ الكبير، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، للإمام المؤرخ قاضي القضاة مجير الدين أبي اليمن عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي (ت٩٢٨هـ)، تحقيق ثلة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ط١، (١٤٣١هـ - ٢٠١١م)، دار النوادر، دمشق، سورية.

- تاريخ بغداد، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تاريخ دنيسر، للعلامة الطبيب أبي حفص عمر بن الخضر المعروف بن اللمش الدنيسري التركي (ت٦٤٠هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمرو العمروي، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- تاريخ مساجد بغداد وآثارها، للباحث محمود شكري الآلوسي، تهذيب محمد بهجة الأثري، طبع سنة (١٣٤٦هـ)، مطبعة دار السلام، بغداد، العراق.

- تاريخ نيسابور، للإمام الحافظ الناقد أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، مكتبة ابن سينا، طهران، إيران.

- تاريخ يحيى بن معين برواية الدوري، للإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن معين بن عون البغدادي (ت٢٣٣هـ)، تحقيق أحمد نور سيف، ط١، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية.

ـ تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، للإمام المفسر الحافظ الفقيه النحوي البلاغي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق عبد الله الغماري، طبع سنة (١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٤م) لدى المطبعة الإسلامية، القاهرة، مصر.

ـ التبصرة، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، طبع سنة (١٩٦٧م) لدى المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

ـ تحرير ألفاظ التنبيه، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق عبد الغني الدقر، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار القلم، دمشق، سورية.

ـ تحفة الأحوذي، للعلامة المتفنن أبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري (ت١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ تحفة المحتاج في شرح المنهاج، للإمام الفقيه المفتي المحقق المتفنن شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي (ت٩٧٤هـ)، تحقيق لجنة من العلماء، طبع سنة (١٣٥٧هـ ـ ١٩٨٣م) لدى المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.

ـ تحفة المريد على جوهرة التوحيد، لشيخ الأزهر العلامة الفقيه المتكلم أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد الباجوري (ت١٢٧٦هـ)، تحقيق الدكتور علي جمعة، ط١، (١٤٢٢هـ)، دار السلام، القاهرة، مصر.

ـ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، للإمام المحدث الفقيه جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت٧٦٢هـ)، تحقيق عبد الله السعد، ط١، (١٤١٤هـ)، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية.

ـ التدوين في أخبار قزوين، للإمام الفقيه المحقق المحدث المتفنن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت٦٢٣هـ)، طبع سنة (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ التذكرة الحمدونية، للإمام الأديب المؤرخ بهاء الدين أبي المعالي محمد بن الحسن بن محمد ابن حمدون البغدادي (ت٥٦٢هـ)، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، للإمام الحافظ أبي حفص عمر بن أحمد ابن شاهين البغدادي (ت٣٨٥هـ)، تحقيق محمد حسن إسماعيل، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الترغيب والترهيب، للإمام المحدث المفسر قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد القرشي الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)، تحقيق أيمن شعبان، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، دار الحديث، القاهرة، مصر.

ـ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، لإمام الأدب النحوي المؤرخ المتفنن صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي الدمشقي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق السيد الشرقاوي، ط١، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق بسام الجابي، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الجفان والجابي، ليماصول، قبرص. دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ التعرف لمذهب أهل التصوف، للإمام الصوفي أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ت٣٨٠هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ التعريفات، للإمام الأصولي المتكلم المحقق المتفنن السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد الجرجاني الحسيني (ت٨١٦هـ)، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر.

ـ تعظيم قدر الصلاة، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت٢٩٤هـ)، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط١، (١٤٠٦هـ)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.

- تفسير ابن أبي حاتم، المسمى: «تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين»، للإمام الحافظ النقاد المفسر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط٣، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، السعودية.

- تفسير البغوي، المسمى: «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، للإمام الفقيه المفتي المفسر محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط٤، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

- تفسير البيضاوي، المسمى: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، للإمام القاضي المفسر الأصولي المتكلم ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق محمد المرعشلي، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- تفسير التستري، للإمام الصوفي العارف بالله أبي محمد سهل بن عبد الله التستري (ت٢٨٣هـ)، جمع أبي بكر محمد البلدي، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير الخازن، المسمى: «لباب التأويل في معاني التنزيل»، للإمام المفسر علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد الشيحي المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح محمد علي شاهين، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير الرازي، المسمى: «التفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب»، للإمام المجدد المتكلم المفسر الأصولي فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، ط١، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- تفسير السلمي، المسمى: «حقائق التفسير»، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق سيد عمران، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير السمرقندي، المسمى: «بحر العلوم»، لإمام الهدى الفقيه المفسر المتكلم أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير الطبري، المسمى: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للإمام المجتهد المفسر المؤرخ أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد شاكر، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- تفسير القرطبي، المسمى: «الجامع لأحكام القرآن»، للإمام الفقيه المفسر المتفنن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

- تفسير الواحدي، المسمى: «الوسيط في تفسير القرآن المجيد»، للإمام المفسر أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، للإمام المفسر اللغوي الأديب أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، طبع سنة (١٩٨٣م) لدى دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة (ت٦٢٩هـ)، تحقيق كمال الحوت، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- التكملة لوفيات النقلة، للإمام الحافظ الفقيه المؤرخ زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- التكملة والذيل على درة الغواص، أو: «التكملة فيما يلحن فيه العامة»، للإمام الأديب اللغوي أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي قرني، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، وهو مطبوع ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- تلبيس إبليس، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري، طبع سنة (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م) لدى وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

ـ تنبيه الغافلين، لإمام الهدى الفقيه المفسر المتكلم أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق السيد العربي، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، مكتبة الإيمان، القاهرة، مصر.

ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، للإمام المحدث نور الدين علي بن محمد بن علي ابن عراق الكناني (ت٩٦٣هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الغماري، ط١، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٨م)، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمع الإمام اللغوي الأديب المحدث المتفنن مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزابادي (ت٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ التهجد وقيام الليل، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مصلح الحارثي، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

ـ تهذيب الأسرار، للإمام العارف الصوفي أبي سعد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم الخركوشي (ت٤٠٧هـ)، تحقيق بسام بارود، طبع سنة (١٩٩٩م) لدى المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات.

ـ تهذيب الأسماء واللغات، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق مصطفى عطا، طبع سنة (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن القضاعي المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- التواضع والخمول، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق محمد عطا، ط١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- التوبيخ والتنبيه، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بـأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة الفرقان، القاهرة، مصر.

- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد ابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢هـ)، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط١، (١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- الثقات، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ)، ط١، (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- جامع الأحاديث، للإمام المفسر الحافظ الفقيه النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق ثلة من الباحثين بإشراف العلامة الدكتور علي جمعة، طبع على نفقة الدكتور حسن عباس زكي.

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، للإمام المحدث اللغوي الأديب مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط وبشير عيون، ط١، (١٣٨٩هـ)، مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان، دمشق، سورية.

- جامع الشروح والحواشي، للباحث السيد عبد الله محمد بن علي الحبشي الحضرمي، طبع في المركز الثقافي سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، أبوظبي، الإمارات.

- جامع بيان العلم وفضله، للإمام الفقيه الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.

- الجامع لشعب الإيمان، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد العلي حامد، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية. الدار السلفية، بومباي، الهند.

- الجامع، للإمام الحافظ الفقيه أبي عروة معمر بن راشد الأزدي (ت١٥٣هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، (١٤٠٣هـ)، من منشورات المجلس العلمي، باكستان، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- الجرح والتعديل، للإمام الحافظ النقاد المفسر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط١، (١٢٧١هـ - ١٩٥٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- جمل من أنساب الأشراف، للإمام المؤرخ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- جمهرة الأمثال، للإمام اللغوي الأديب الشاعر أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط٢، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الجيل ودار الفكر، بيروت، لبنان.

- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق إبراهيم عبد المجيد، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- الجوع، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- حاشية ابن عابدين، المسماة: «رد المحتار على الدر المختار»، للإمام الفقيه الأصولي المحقق المتفنن السيد محمد أمين بن عمر ابن عابدين أفندي الدمشقي (ت١٢٥٢هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، طبعة خاصة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.

- حاشية السندي على سنن ابن ماجه، المسماة: «كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه»، للإمام الفقيه المحدث المفسر نور الدين محمد بن عبد الهادي التتوي السندي (ت١١٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- الحاوي الكبير في فقه مذهب الشافعي، للإمام القاضي الفقيه المفسر الأديب أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، ط١، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الحاوي للفتاوي، للإمام المفسر الحافظ النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية الصادرة سنة (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، بيروت، لبنان.

- حسن الظن بالله، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مخلص محمد، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

- حقائق عن التصوف، للعلامة الصوفي المربي السيد عبد القادر عيسى (ت١٤١٢هـ)، طبع سنة (١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- الحلم، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد عطا، ط١، (١٤١٣هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، ط٥، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي الصادرة سنة (١٣٥٧هـ)، لدى دار الريان للتراث، القاهرة، مصر. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، للعلامة المؤرخ كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الصابوني المعروف بـابن الفوطي المروزي الشيباني (ت٧٢٣هـ)، تحقيق مصطفى جواد، طبع سنة (١٣٥١هـ) لدى المكتبة العربية، بغداد، العراق.

- حياة الحيوان الكبرى، للإمام الفقيه الأديب المتفنن كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى الدميري (ت٨٠٨هـ)، ط١، (١٢٨٤هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر.

- خاص الخاص، للإمام المؤرخ اللغوي الأديب أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق حسن الأمين، طبع سنة (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

- خطط الشام، للأديب الكاتب المؤرخ محمد بن عبد الرزاق كرد علي (ت١٣٧٢هـ)، ط٣، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، مكتبة النوري، دمشق، سورية.

- خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر، للإمام العارف الفقيه المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار الآثار الإسلامية، بربلي، سريلانكا.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام الحافظ الفقيه النحوي البلاغي المتفنن جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، ط١، (١٤٣٣هـ - ٢٠١١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- درة الغواص في أوهام الخواص، للإمام الأديب الشاعر أبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري (ت٥١٦هـ)، تحقيق عرفات مطرجي، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- الدعاء، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الدعاء، للإمام القاضي الفقيه المحدث أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي (ت٣٣٠هـ)، تحقيق عمرو عبد المنعم، ط١، (١٤١٤هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر. مكتبة العلم، جدة، السعودية.

- الدعوات الكبير، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق بدر البدر، ط١، (٢٠٠٩م)، دار غراس، الكويت.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. دار الريان، القاهرة، مصر.

- **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**، للإمام محمد ابن علان البكري الصديقي (ت١٠٥٧هـ)، تحقيق خليل شيحا، ط٤، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- **ديوان ابن الرومي**، للشاعر العباسي الكبير أبي الحسن علي بن العباس بن جريج ابن الرومي (ت٢٨٣هـ)، تحقيق حسين نصار، ط٣، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

- **ديوان ابن الزيات**، للوزير الأديب محمد بن عبد الملك الزيات (ت٢٣٢هـ)، شرح وتحقيق جميل سعيد، من منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات.

- **ديوان ابن الفارض**، للشاعر الصوفي سلطان العاشقين شرف الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسن ابن الفارض الحموي المصري (ت٦٣٢هـ)، طبع سنة (١٩٦٢م) لدى دار صادر، بيروت، لبنان.

- **ديوان الجرجاني**، للإمام القاضي الأديب أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق سميح صالح، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

- **ديوان الحلاج**، للشاعر الصوفي الحسين بن منصور الحلاج (ت٣٠٩هـ)، جمع وتحقيق كامل الشيبي، ط٢، منشورات الجمل.

- **ديوان الحماسة**، للشاعر العباسي الكبير أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت٢٣١هـ)، ومعه: «شرح ديوان الحماسة» للإمام الخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع سنة (١٣٥٨هـ) لدى المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.

- **ديوان الشبلي**، للإمام الصوفي العارف الزاهد أبي بكر جعفر بن يونس الشبلي (ت٣٣٤هـ)، جمع وتحقيق كامل الشيبي، ط١، (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م)، دار التضامن، بغداد، العراق.

- **ديوان الشريف الرضي**، للشاعر الأديب البلاغي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي البغدادي المعروف بالشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، شرح وتحقيق محمود حلاوي، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.

- **ديوان العباس بن الأحنف**، لشاعر الغزل العباسي أبي الفضل العباس بن الأحنف اليمامي (ت١٩٢هـ)، تحقيق عاتكة الخزرجي، ط١، (١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

- **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، للإمام قاضي القضاة المؤرخ الكبير ولي الدين أبي زيد عبد الرحمن بن محمد **ابن خلدون الإشبيلي** (ت٨٠٨هـ)، تحقيق خليل شحادة، ط٢، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- **ديوان النابغة الجعدي**، للصحابي الجليل الشاعر قيس بن عبد الله **النابغة الجعدي العامري** (ت نحو ٥٠هـ)، جمع وشرح وتحقيق واضح الصمد، ط١، (١٩٩٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- **ديوان مجنون ليلى**، للشاعر الأموي العذري قيس بن الملوح العامري المعروف بـ**مجنون ليلى** (ت٦٨هـ)، برواية أبي بكر الوالبي، تحقيق يسرى عبد الغني، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **ديوان مهيار الديلمي**، للشاعر العباسي أبي الحسين **مهيار بن مرزويه الفارسي الديلمي** (ت٤٢٨هـ)، تحقيق أحمد نسيم، ط١، (١٣٤٤هـ - ١٣٢٥م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

- **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، للإمام المفسر اللغوي الأديب أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ**الراغب الأصفهاني** (ت٥٠٢هـ)، تحقيق أبي زيد العجمي، ط١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، دار السلام، القاهرة، مصر.

- **ذكر الأقران ورواياتهم عن بعضهم بعضاً**، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف **بأبي الشيخ الأصبهاني** (ت٣٦٩هـ)، تحقيق مسعد السعدني، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات**، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية **أبي عبد الرحمن** محمد بن الحسين الأزدي **السلمي** (ت٤١٢هـ)، تحقيق محمود الطناحي، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- **ذم الدنيا**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- **ذم الغيبة والنميمة**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق بشير عيون، ط١، (١٤١٣هـ)، مكتبة دار البيان، دمشق، سورية. مكتبة المؤيد، الرياض، السعودية.

- ذم الملاهي، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق عمرو سليم، ط١، (١٤١٦هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر. مكتبة العلم، جدة، السعودية.

- ذم الهوى، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق خالد العلمي، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- ذيل الروضتين، المسمى: «تراجم رجال القرنين السادس والسابع»، للإمام الفقيه المحدث المؤرخ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي المعروف بابن أبي شامة (ت٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ذيل تاريخ بغداد، للحافظ المؤرخ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود ابن النجار البغدادي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، للإمام اللغوي النحوي المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط١، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

- الرحلة في طلب الحديث، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق نور الدين عتر، ط١، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، الناشر أمين دمج، بيروت، لبنان.

- الرد على المنطقيين، المسمى: «نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان»، للعلامة الشيخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، طبع سنة (١٩٧٦م) لدى دار ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

- الرد على من يحب السماع، للإمام القاضي الفقيه أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري (ت٤٥٠هـ)، تحقيق مجدي السيد، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار الصحابة، طنطا، مصر.

ـ رسالة الفقر في مخالفة النفس والقهر، للإمام الفقيه المفسر المتفنن شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد السهروردي البكري الصديقي (ت٦٣٢هـ)، تحقيق عبد اللطيف المحيمد، ط١، (١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م)، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان.

ـ الرسالة القشيرية، للإمام الصوفي الأصولي المتكلم الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

ـ الرضا عن الله بقضائه، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق ضياء الحسن السلفي، ط١، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، الدار السلفية، بومباي، الهند.

ـ الرقة والبكاء، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط٣، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام النحوي المؤرخ المتبحر أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت٥٨١هـ)، تحقيق عمر السلامي، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ روض الرياحين في حكايا الصالحين، للإمام العارف الفقيه المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، تحقيق عدنان عبد ربه ومحمد أديب الجادر، ط٢، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

ـ روضة الحبور ومعدن السرور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الأطعاني البسطامي (ت٨٠٦هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، (٢٠٠٤م)، مكتبة دارة الكرز، القاهرة، مصر.

ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. دمشق، سورية. عمان، الأردن.

- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد حمزة ومحمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الزهد الكبير، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عامر حيدر، ط٣، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- الزهد والرقائق، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي (ت١٨١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبع سنة (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، طبعة مصورة عن طبعة المجلس العلمي في الهند لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الزهد وصفة الزاهدين، للإمام المؤرخ المحدث أبي سعيد أحمد بن ابن الأعرابي البصري (ت٣٤٠هـ)، تحقيق مجدي السيد، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار الصحابة، طنطا، مصر.

- الزهد، للإمام الحافظ أبي السري هناد بن السري (ت٢٤٣هـ)، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م)، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

- الزهد، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، دار المشكاة، القاهرة، مصر.

- الزهد، للإمام الحافظ أبي سفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي (ت١٩٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، ط١، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.

- الزهد، للإمام المجتهد أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق محمد شاهين، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- زهر الآداب وثمر الألباب، للإمام الأديب الناقد أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ)، تحقيق زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام المحدث المؤرخ شمس الدين محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

- سراج الملوك، للإمام الفقيه الأديب أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت٥٢٠هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- السنة، المسمى: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق أحمد الغامدي، ط٨ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

- السنة، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٩٠هـ)، تحقيق محمد سعيد القحطاني، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار ابن القيم، الدمام، السعودية.

- السنة، للإمام المحدث الرحلة أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت٢٨٧هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- سنن ابن ماجه، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عوض، ط٢، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

- سنن الدارقطني، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- سنن الدارمي، المسمى: «مسند الدارمي»، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، (١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م)، دار المغني، الرياض، السعودية.

- السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق حسن شلبي، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- السنن الكبرى، وفي ذيله «الجوهر النقي»، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، ط١، (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م)، دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- السنن، للإمام الحافظ المفسر أبي عثمان سعيد بن منصور الخراساني (ت٢٢٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م)، الدار السلفية، بومباي، الهند.

- سير أعلام النبلاء، للإمام للحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق ثلة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، للإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت٢١٤هـ)، تحقيق أحمد عبيد، ط٦، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام المؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الدمشقي (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق محمود الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار ابن كثير، دمشق، سورية، وبيروت، لبنان.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى: «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك»، للإمام النحوي نور الدين أبي الحسن علي بن محمد الأشموني (ت نحو ٩٠٠هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- شرح التسهيل، لإمام العربية جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد المختون، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار هجر، القاهرة، مصر.

- **شرح الزرقاني على مختصر خليل**، للإمام المحدث الفقيه المتفنن عبد الباقي بن يوسف **الزرقاني** (ت١٠٩٩هـ)، تحقيق عبد السلام أمين، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **شرح السنة**، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء **البغوي** (ت٥١٦هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، ط٢، (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق، سورية. بيروت، لبنان.

- **شرح الشفا**، للإمام الفقيه المحدث المتفنن نور الدين أبي الحسن علي بن سلطان محمد المعروف **بملا علي القاري** (ت١٠١٤هـ)، تحقيق عبد الله الخليلي، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **شرح الفاسي على الرائية الشريشية**، للعلامة الفقيه المحدث العارف أبي العباس أحمد بن يوسف **الفاسي** (ت١٠٢١هـ)، طبع سنة (١٣١٦هـ) لدى المطبعة العامرة الشرفية، القاهرة، مصر.

- **شرح المفصل**، للإمام النحوي اللغوي موفق الدين **أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش** الموصلي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق إميل يعقوب، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **شرح درة الغواص في أوهام الخواص**، للإمام المفسر الفقيه الأديب المتفنن **شهاب الدين** أحمد بن محمد بن عمر **الخفاجي** المصري (ت١٠٦٩هـ)، وهو صادر ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي قرني، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- **شرح مشكل الآثار**، للإمام الحافظ محدث الديار المصرية وفقيهها أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي **الطحاوي** المصري (ت٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **شرح مقامات الحريري**، للإمام الأديب **أبي العباس** أحمد بن عبد المؤمن القيسي **الشريشي** (ت٦١٩هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) لدى المكتبة العصرية، القاهرة، مصر.

ـ الشريعة، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين البغدادي الآجري (ت٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله الدميجي، ط٢، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.

ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للإمام الحافظ القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق عبده كوشك، ط١، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار الفيحاء، دمشق، سورية. مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.

ـ الشكر، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق بدر البدر، ط٣، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، المكتب الإسلامي، الكويت.

ـ الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق سيد الجليمي، ط١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، السعودية.

ـ الصبر والثواب عليه، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ صحيح ابن خزيمة، المسمى: «مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي ﷺ، بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه ﷺ، من غير قطع في أثناء الإسناد، ولا جرح في ناقلي الأخبار»، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة النيسابوري (ت٣١١هـ)، تحقيق محمد الأعظمي، ط٣، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ صحيح البخاري، المسمى: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، عني به محمد زهير الناصر، ط٣، (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م)، طبعة مصورة عن الطبعة السلطانية اليونينية، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان. دار المنهاج، جدة، السعودية.

- صحيح مسلم، المسمى: «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر، وتم اعتماد ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه لطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الصداقة والصديق ، للإمام الأديب اللغوي الفيلسوف أبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠ هـ)، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار الفكر، بيروت، لبنان. دمشق، سورية.

- صفة الصفوة، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمود فاخوري ومحمد قلعه جي، ط٣، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- صفة النار، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا البغدادي القرشي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- صفوة التصوف، للإمام الحافظ الرحالة المؤرخ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الشيباني المعروف بابن القيسراني (ت٥٠٧هـ)، تحقيق أبو علي النظيف، ط١، (٢٠٠٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- صلاة الوتر، أو: «مختصر قيام الليل»، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت٢٩٤هـ)، اختصار العلامة المقريزي، ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، حديث أكاديمي فيصل آباد، باكستان.

- الصمت وآداب اللسان، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق أبي إسحاق الحويني، ط١، (١٤١٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- الضعفاء الكبير، للإمام الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي (ت٣٢٢هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الطب النبوي، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق مصطفى خضر دونمز التركي، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- طبقات الأولياء، للإمام الفقيه الحافظ المتبحر المتفنن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن الملقن المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق نور الدين شريبه، ط٢، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- طبقات الشافعية الكبرى، للإمام الأصولي قاضي القضاة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط٢، (١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- طبقات الشافعية، للإمام الأصولي الفقيه جمال الدين أبي محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي (ت٧٧٢هـ)، تحقيق كمال الحوت، ط١، (٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- طبقات الشافعية، للإمام الفقيه المؤرخ تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شهبة الأسدي (ت٨٥١هـ)، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط١، (١٤٠٧هـ)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- طبقات الشافعيين، للإمام الحافظ المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد هاشم عمر ومحمد زينهم محمد عزب، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

- طبقات الصوفية، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري (ت٤١٢هـ)، تحقيق نور الدين شريبة، ط٣، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- الطبقات الكبرى، المسمى: «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار»، للإمام الرباني المربي الفقيه المحدث أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت٩٧٣هـ)، طبع سنة (١٣١٧هـ) لدى المطبعة العامرة الشرفية، القاهرة، مصر.

- الطبقات الكبرى، للإمام الحافظ المؤرخ أبي عبد الله محمد بن سعد الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- الطهور، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق مشهور سلمان، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)، مكتبة الصحابة، جدة، السعودية. مكتبة التابعين، القاهرة، مصر.

- طوق الحمامة، للإمام الفقيه الأديب الفيلسوف أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي القرطبي (ت٤٥٦هـ)، ط٢، (١٩٨٧م)، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان.

- العبر في خبر من غبر، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- العزلة والانفراد، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مسعد السعدني، ط١، (٢٠٠٥م)، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

- العزلة، للإمام الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد ابن الخطاب الخطابي (ت٣٨٨هـ)، ط٢، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م)، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر.

- العظمة، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله المباركفوري، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

- العقد الفريد، للإمام الأديب الشاعر أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، تحقيق مفيد قميحة وعبد المجيد الترحيني، ط١، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، للإمام الفقيه الحافظ المتبحر المتفنن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن الملقن المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق أيمن الأزهري وسيد مهنا، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- العقل وفضله، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

- العقوبات، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- علل الحديث، للإمام الحافظ النقاد أبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق ثلة من المحققين بإشراف سعد الحميد وخالد الجريسي، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، مطابع الجريسي، السعودية.

- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق، ط٢، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان.

- العمدة من الفوائد والآثار الصحاح والغرائب في مشيخة شهدة، للشيخة الجليلة المسندة الفقيهة فخر النساء شهدة بنت أبي نصر أحمد الكاتبة الدينورية البغدادية (ت٥٧٤هـ)، تحقيق فوزي عبد المطلب، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- عمل اليوم والليلة، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق فاروق حمادة، ط٢، (١٤٠٦هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- عمل اليوم والليلة، للإمام المحدث الرحالة أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق ابن السني الدينوري (ت٣٦٤هـ)، تحقيق كوثر البرني، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الأرقم، بيروت، لبنان.

- عيون الأخبار، للإمام اللغوي الأديب المؤرخ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، ط٢، (١٩٩٦م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

- غرائب التفسير وعجائب التأويل، للإمام الفقيه المفسر برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المعروف بتاج القراء (ت بعد ٥٣٥ هـ)، تحقيق شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة، جدة، السعودية. مؤسسة علوم القرآن، بيروت، لبنان.

- غريب الحديث، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق حسين محمد محمد شرف، ومراجعة عبد السلام هارون، ط١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، منشورات الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر.

- غنية العارف بتخريج أحاديث عوارف المعارف، للعلامة المحدث السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري (ت١٣٨٠هـ)، تحقيق أديب الكمداني ومحمد المصطفى، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، وهو مطبوع مع «عوارف المعارف»، المكتبة المكية، مكة المكرمة، السعودية.

- الغيلانيات، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن عبد الله البغدادي الشافعي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق حلمي عبد الهادي، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية.

- فتاوى ابن الصلاح، للإمام المحدث الفقيه المفتي تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح الشهرزوري (ت٦٤٣هـ)، تحقيق موفق عبد القادر، ط١، (١٤٠٧هـ)، مكتبة العلوم والحكم، ودار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- الفتاوى الحديثية، للإمام الفقيه المفتي المحدث المحقق شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ)، تحقيق أحمد عناية، ط١، (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- فتاوى الرملي، للإمام الفقيه المفتي المحقق شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي (ت٩٥٧هـ)، ط١، (١٣٠٨هـ - ١٨٨٨م)، طبعة مصورة لدى المكتبة الإسلامية عن المطبعة الميمنية بمصر، ديار بكر، تركيا.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، بعناية محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م)، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة السلفية لدى مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.

- الفتوحات المكية، للشيخ الأكبر سلطان العارفين محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن عربي الحاتمي الطائي (ت٦٣٨هـ)، طبعة مصورة لدى دار صادر عن دار الكتب العربية الكبرى بالقاهرة، بيروت، لبنان.

- الفردوس بمأثور الخطاب، للإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمي (ت٥٠٩هـ)، تحقيق السعيد زغلول، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الفروق، المسمى، «أنوار البروق في أنواء الفروق»، للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي (ت٦٨٤هـ)، تحقيق محمد سراج وعلي جمعة، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، دار السلام، القاهرة، مصر.

- فضائل الأوقات، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عدنان القيسي، ط١، (١٤١٠هـ)، مكتبة المنارة، مكة المكرمة.

- فضائل القرآن، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار ابن كثير، دمشق، سورية. بيروت، لبنان.

- الفلاكة والمفلوكون، للعلامة المتفنن أحمد بن علي الدلجي (ت٨٣٨هـ)، طبع سنة (١٣٢٢هـ) لدى مطبعة الشعب، مصر.

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للعلامة الشريف المحدث المسند محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني (ت١٣٨٢هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط٢، (١٩٨٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- الفوائد، للإمام الحافظ أبي القاسم تمام بن محمد بن عبد الله البجلي الرازي (ت٤١٤هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط١، (١٤١٢هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

- القناعة والتعفف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، للإمام الزاهد العارف شيخ الصوفية أبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي (ت٣٨٦هـ)، تحقيق محمود الرضواني، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

- الكامل في التاريخ، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق عمر تدمري، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- الكامل في اللغة والأدب، لإمام العربية أبي العباس محمد بن يزيد المبرد البصري (ت٢٨٥هـ)، تحقيق محمد الدالي، ط٢، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام اللغوي النحوي المفسر جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط٣، (١٤٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- كشف الأستار عن زوائد البزار، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لمحدث الشام الإمام أبي الفداء إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني الدمشقي (ت١١٦٢هـ)، ط١، (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للإمام المؤرخ مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي حاجي خليفة التركي (ت١٠٦٧هـ)، بعناية محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- كشف المشكل من حديث الصحيحين، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق علي حسين البواب، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للإمام الحافظ المفسر أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق ثلة من الباحثين، ط١، (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، دار التفسير، جدة، السعودية.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للإمام المحدث علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي خان المتقي الهندي المدني (ت٩٧٥هـ)، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، ط٥، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- كنوز الذهب في تاريخ حلب، للإمام المؤرخ موفق الدين أبي ذر أحمد بن إبراهيم سبط ابن العجمي (ت٨٨٤هـ)، ط١، (١٤١٧هـ)، دار القلم، حلب، سورية.

- الكنى والأسماء، للحافظ المؤرخ الوراق أبي بشر محمد بن أحمد الدولابي (ت٣١٠هـ)، تحقيق نظر الفاريابي، ط١، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، للإمام المتبحر المتفنن زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي المناوي (ت١٠٣١هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، ط٣، (٢٠١٢م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- اللباب في تهذيب الأنساب، للإمام النسابة المؤرخ الأديب عز الدين أبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، ط٣، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- لسان الميزان، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

- اللطائف والظرائف، للإمام الأديب اللغوي الناقد أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، دار المناهل، بيروت، لبنان.

- اللمع، للإمام الصوفي الزاهد أبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت٣٧٨هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود وطه سرور، ط١، (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر. مكتبة المثنى، بغداد، العراق.

- لوامع أنوار القلوب في جوامع أسرار المحب والمحبوب، للإمام القاضي الفقيه الأديب أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك الجيلي المعروف بشيذله (ت٤٩٤هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- المتفق والمفترق، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق محمد صادق الحامدي، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار القادري، دمشق، سورية.

- المجالسة وجواهر العلم، للإمام الفقيه المحدث أبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق مشهور آل سلمان، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق محمود زايد، ط١، (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)، دار الوعي، حلب، سورية.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- المجموع شرح المهذب، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق وتكميل محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، السعودية.

- محاسبة النفس، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم وعبد الله الشرقاوي، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للإمام المفسر اللغوي الأديب أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق عمر الطباع، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام النحوي المفسر أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الغرناطي الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام محمد، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الدبيثي، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، طبع سنة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ضمن «تاريخ بغداد» (ج: ١٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ المخلصيات، للإمام الحافظ محمد بن عبد الرحمن المخلص البغدادي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق نبيل جرار، ط١، (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م)، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

ـ مداراة الناس، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا البغدادي القرشي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ المدخل إلى علم السنن، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٧م)، دار اليسر، القاهرة، مصر.

ـ المدخل، للإمام الفقيه الصوفي الزاهد أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج العبدري (ت٧٣٧هـ)، دار التراث، القاهرة، مصر.

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، للإمام العارف الفقيه المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، طبع سنة (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) لدى دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.

ـ مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، للإمام المؤرخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م)، دار الرسالة، دمشق، سورية.

ـ مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، للإمام الفقيه الواعظ موفق الدين أبي محمد بن عبد الرحمن الشارعي (ت٦١٥هـ)، ط١، (١٤١٥هـ)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.

ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للإمام الفقيه المحدث المتفنن نور الدين أبي الحسن علي بن سلطان محمد المعروف بـملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ المستخرج، للإمام الحافظ أبي عوانة يعقوب بن إسحاق النيسابوري الإسفرايني (ت٣١٦هـ)، تحقيق أيمن الدمشقي، ط١، (١٤١٩هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ الناقد أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، ط١، (١٣٤٠هـ ـ ١٩٢١م)، دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- المستفاد من تاريخ بغداد، للإمام المؤرخ أبي الحسن أحمد بن أيبك الحسامي المعروف بابن الدمياطي (ت٧٤٩هـ)، وهو ملحق بـ «تاريخ بغداد»، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المستقصى في أمثال العرب، للإمام اللغوي النحوي المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط٢، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- مسند ابن الجعد، أو «الجعديات»، للإمام المحدث أبي الحسن علي بن الجعد الجوهري البغدادي (ت٢٣٠هـ)، بجمع تلميذه الإمام الحافظ أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت٣١٧هـ)، وتحقيق عبد المهدي بن عبد الهادي، ط١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، مكتبة الفلاح، الكويت.

- مسند أبي يعلى، للإمام الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق حسين أسد، ط١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية.

- مسند إسحاق بن راهويه، للإمام سيد الحفاظ أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه الحنظلي (ت٢٣٨هـ)، تحقيق عبد الغفور البلوشي، ط١، (١٤١٢هـ)، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، السعودية.

- مسند الإمام أحمد، للإمام المجتهد أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، طبع سنة (١٣١٣هـ) لدى المطبعة الميمنية، القاهرة، مصر.

- مسند البزار، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت٢٩٢هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، بدأت سنة (١٩٨٨م) وانتهت سنة (٢٠٠٩م)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية.

- مسند الشاميين، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- مسند الشهاب، المسمى: «شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية» للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت٤٥٤هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط٢، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ مسند الطيالسي، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن داود الطيالسي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق محمد التركي، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار هجر، القاهرة، مصر.

ـ مشكاة الأنوار، للإمام المتكلم حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق أبو العلا عفيفي، طبع سنة (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م) لدى الدار القومية، القاهرة، مصر.

ـ مشيخة السهروردي، لإمام الصوفية المحدث الفقيه العارف شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد القرشي البكري السهروردي (ت٦٣٢هـ) برواية تلميذيه؛ الإمام عماد الدين أبي الفضل محمد بن محمد الشِيرازي، والإمام شهاب الدين أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي، وتخريج الإمام الحسن بن محمد ابن جرويه الشيباني الموصلي، وتحقيق عامر صبري، صدر سنة (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، ضمن مجلة الأحمدية، العدد: (١٠).

ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للإمام اللغوي أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، ط٥، (١٩٢٢م)، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر.

ـ المصنف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ المصنف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار القبلة، جدة، السعودية. مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سورية.

ـ معاني القرآن، للإمام النحوي اللغوي أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء الديلمي (ت٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد النجاتي ومحمد النجار وعبد الفتاح الشلبي، ط٣، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، طبعة مصورة لدى دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

ـ معجم ابن الأعرابي، للإمام الحافظ أبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي البصري (ت٣٤٠هـ)، تحقيق عبد المحسن الحسيني، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية.

ـ معجم الأدباء، المسمى: «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، للإمام الأديب المؤرخ الرحالة الجغرافي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ المعجم الأوسط، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن محمد وعبد المحسن الحسيني، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)، دار الحرمين، القاهرة، مصر.

ـ معجم البلدان، للإمام الأديب المؤرخ الرحالة الجغرافي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، بعناية المستشرق وستنفيلد، ط٢، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، لعلي الرضا قره بلوط، وأحمد طوران قره بلوط، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، دار العقبة، قيصرى، تركيا.

ـ معجم الشيوخ الكبير، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية.

ـ معجم الشيوخ، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق وفاء تقي الدين، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

ـ معجم الشيوخ، للإمام تاج الدين قاضي القضاة الفقيه المحدث المؤرخ المتكلم عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تخريج الإمام ابن سعد الصالحي، تحقيق بشار عواد معروف ورائد العنبكي ومصطفى الأعظمي، ط١، (٢٠٠٤م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ معجم الصحابة، للإمام الحافظ القاضي الفقيه أبي الحسين عبد الباقي بن قانع البغدادي (ت٣٥١هـ)، تحقيق صلاح المصراتي، ط١، (١٤١٨هـ)، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية.

ـ المعجم الكبير، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

- معجم المؤلفين، للأستاذ البحاثة عمر بن رضا كحالة (ت١٤٠٨هـ)، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- معرفة الصحابة، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق عادل العزازي، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.

- المعرفة والتاريخ، للإمام الحافظ أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- المعين في طبقات المحدثين، للإمام للحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق همام سعيد، ط١، (١٤٠٤هـ)، دار الفرقان، عمان، الأردن.

- المغازي، للإمام القاضي المؤرخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي (ت٢٠٧هـ)، تحقيق مارسدن جونس، ط٣، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار الأعلمي، بيروت، لبنان.

- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المغني عن حمل الأسفار، للإمام الحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن إبراهيم العراقي (ت ٨٠٦ هـ)، ط١ (١٤٢٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- مفيد العلوم ومبيد الغموم، المنسوب للإمام أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت ٣٨٣هـ)، طبع سنة (١٤١٨هـ) لدى المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- مقاتل الطالبيين، للإمام الأديب أبي الفرج علي بن الحسين القرشي الأموي الأصبهاني البغدادي (ت٣٥٦هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام المجدد حجة الإسلام الفقيه الأصولي المتكلم أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، بإشراف اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المقفى الكبير، للإمام المؤرخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي العبيدي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق محمد اليعلاوي، ط٢، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أيمن البحيري، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

- مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، للإمام الفقيه الحسين بن نصر ابن خميس الكعبي الموصلي الجهني (ت٥٥٢هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، ط١، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات.

- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، للإمام المؤرخ الحافظ تقي الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني العراقي (ت٦٤١هـ)، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط١، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، للإمام الحافظ النسابة المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت٥٦٢هـ)، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عطا ومصطفى عطا، ط١، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- منهاج الطالبين وعمدة المفتين، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق محمد محمد طاهر شعبان، ط١، (١٤٢٦هـ ـ٢٠٠٥م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الموضوعات، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق نور الدين بوياجيلار، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، أضواء السلف، الرياض، السعودية.

- الموطأ، لإمام دار الهجرة المجتهد أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع سنة (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م) لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الناسخ والمنسوخ، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق محمد المديفر، طبع سنة (١٤١٨هـ) لدى مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط٢، (١٤١٥هـ)، دار ابن كثير، دمشق، سورية.

- نثر الدر، للوزير المؤرخ الأديب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي الرازي (ت٤٢١هـ)، تحقيق خالد محفوظ، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- نجم المهتدي ورجم المعتدي، للإمام القاضي الفقيه فخر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلم القرشي (ت٧٢٥هـ)، تحقيق بلال محمد حاتم السقا، ط١، (١٤٤١هـ ـ ٢٠١٩م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- النجم الوهاج في شرح المنهاج، للإمام الفقيه الأديب المتفنن كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري (ت٨٠٨هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، للإمام المؤرخ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله المصري (ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، مصر.

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، للإمام النحوي الأديب المؤرخ كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

- نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، للإمام المؤرخ صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر ابن دقماق العلائي (ت٨٠٩هـ)، تحقيق سمير طبارة، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- نزهة الحفاظ، للإمام الحافظ أبي موسى محمد بن عمر الأصبهاني المديني (ت٥٨١هـ)، تحقيق عبد الرضا عبد المحسن، ط١، (١٤٠٦هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، أو: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، للباحث المؤرخ عبد الحي بن فخر الدين الحسني الطالبي (ت١٣٤١هـ)، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- النفقة على العيال، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق نجم خلف، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار ابن القيم، الدمام، السعودية.

- النكت والعيون، للإمام القاضي الفقيه المفسر الأديب أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- نهاية المرام في دراية الكلام، للإمام المتكلم ضياء الدين أبي القاسم عمر بن الحسين الطبري المعروف بخطيب الري (ت٥٥٠هـ)، تحقيق عبد القادر علي، ط١، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- نهاية المطلب في دراية المذهب، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق عبد العظيم الديب، ط١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام اللغوي مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بالحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ)، تحقيق توفيق التكلة، ط١، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، دار النوادر، دمشق، سورية.

- هدية العارفين، للعلامة الباحث إسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي (ت١٣٩٩هـ)، طبعة مصورة عن نشرة وكالة المعارف الجليلة بإستنبول (١٩٥١م) لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الوافي بالوفيات، لإمام الأدب النحوي المؤرخ المتفنن صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي الدمشقي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

- الورع، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد الحمود، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، الدار السلفية، الكويت.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، للإمام القاضي المؤرخ الأديب أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- اليقين، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق ياسين السواس، ط١، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

❁ ❁ ❁

محتوى الكتاب

محتوى الجزء الأول

* * *

محتوى الجزء الثاني

* * *

* * *